مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م) (٧)

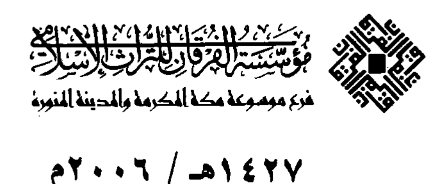
صناعة الكتاب والكتابة في الحجاز:

عصر النبوّة والخلافة الراشدة

تأليف

ماجد بن عبّود باداحح

الجزء الأول



١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

ح مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بادحدح، ماجد عبود سعيد

صناعة الكِتَاب والكِتَابة في الحجاز: عصر النبوة والخلافة الراشدة. ماجد عبود سعيد بادحدح .ـ الرياض، ١٤٢٦هـ.

٨١٥ ص؛ ١٧×٢٤ سم (مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ؛ ٧)

ردمك: ٨-١-٩٦١٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٢-٩٦١٨-٩٩٦٠ (ج١)

١ ـ الكتابة العربية ـ تاريخ ٢ ـ التاريخ الإسلامي ـ عصر صدر الإسلام

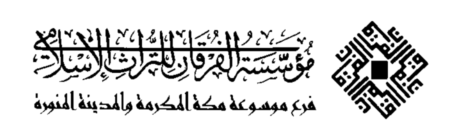
أ ـ العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٢ ١٤٢٦/٥٨٤٣

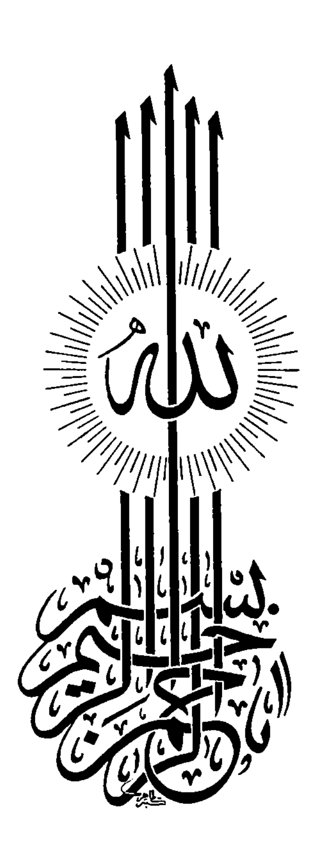
رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٨٤٣

ردمك: ٨-١-٩٦١٨-٩٩٦٠

٦-٢-٩٦١٨-٩٩٦٠ (ج١)



١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



المحتويات



تقديم

نحمد الله حمد الشاكرين، ونصلي ونسلم على رسول الهدى سيدنا محمد، النبي العربي الذي أضاء فضاء البشرية برسالته العظيمة، والتي كان الكتاب والكتابة من وسائل نشر الدعوة، ومن أهم وسائل التدوين في صدر الإسلام.

ولم تكن صناعة الكتاب بأدواتها الأولية، في صدر الإسلام، محل اهتمام الدارسين، فقد ركزت معظم الدراسات على عصور ازدهار الصناعة في حواضر الدولة العباسية، وفي حواضر ما تلتها من الدول الإسلامية عامة. وبقي الدور الريادي لنشوء حركة صناعة الكتاب والكتابة في عصر صدر الإسلام (عصر النبوة ثم الخلافة الراشدة) في مكة المكرمة والمدينة المنورة دون دراسة علمية توثق تلك الحقبة المهمة من تاريخ الحضارة الإسلامية.

فقد قيّض الله للباحث الأستاذ ماجد عبود بن محمد بادحدح أسباب البحث والتقصي للتصدي لهذا الموضوع الصعب، فعمل لسنوات طوال تحت إشراف معلمه الأستاذ الدكتور عباس صالح طاشكندي، منقباً ومحققاً لنصوص أمهات المصادر، حتى تمكن من إنجاز دراسة سلطت الأضواء على تلك الحقبة المهمة من تاريخ الحضارة البشرية المكتوبة.

والباحث في محاولته لتأصيل وتوثيق بدايات صناعة الكتاب والكتابة في الحجاز، استطاع أن يجمع مادة ثرية من النتف النصية المتناثرة في ثنايا المصادر الأساسية؛ مستخلصاً الإرهاصات والبوادر التي صاحبت بداية التدوين، حتى قدّم عملاً نَرُدُّ به على أولئك الذين وصموا تلك الحقبة بآراء سلبية تجاه الكتاب والتدوين. وتأكيداً للدور الدي اضطلعت به مكة المكرمة

والمدينة المنورة في الحياة العلمية والثقافية في حقبة صدر الإسلام، وبما حفلت به من تأثيرات إيجابية على العصور الإسلامية المتعاقبة.

وهذا الكتاب، إذ يصدر ضمن سلسلة (مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية)، ومن إنجازات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، فإنما يؤكد استمرار مسيرتنا في دعم الدراسات العلمية التي تسلط الضوء على أهمية مكة المكرمة كمركز إشعاع حضاري متواصل، وأن مكة المكرمة ستظل عاصمة أبدية للثقافة الإسلامية.

أسأل الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه صالح الإسلام والمسلمين، وأن يجزي العاملين في استمرار هذه السلسلة خير الجزاء، وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أحمد زكي يماني

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً.
وبعد، تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على صناعة الكتابة والكتَاب في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ بوادرها وإرهاصاتها والعوامل المؤثرة فيها، إذْ أنَّ تلك البوادر والإرهاصات لم تحظ باهتمام الدارسين والباحثين بالشكل المطلوب الذي يتناسب مع ما لتلك الفترة من مكانة وأهمية بالغتين في انتشار الكتَاب والكتابة، وذلك بوصفهما وسيلتين مثاليتين لنشر الإسلام ثم لنشر المعرفة البشرية فيما بعد. إن الباحث في أصل صناعة الكتابة والكتاب لتلك الحقبة من الزمن يجد صعوبة بالغة في العثور على نصوص تدعم دراساته؛ فلم يرد في معظم المصادر التاريخية شيءٌ يمكن أن يُغطي صناعة الكتابة والكتاب ـ تحديداً ـ فيما عدا نتف محدودة وعبارات مقتضبة يُستدل منها على بعض المظاهر دون شمول، ولأن الفترة التاريخية التي تلت عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وتحديداً عصر الدولتين الأموية والعباسية، كانت مسرحاً كبيراً لنمو صناعة الكتاب والكتابة، فرأينا ذلك الإنتاج الفكري المتميز في تلك الفترة المزدهرة من التدوين العلمي.. فكان لزاماً على هذه الفترة المذكورة أن تتضمن في ثناياها إرهاصات وبوادر لصناعة الكتابة والكتاب، وذلك وفقاً للتغيير الكبير الذي أحدثه الإسلام في تلك الفترة، ووفقاً للآثار المتفرقة والعبارات المقتضبة الموروثة عن هذا الموضوع والمنثورة في كتب التراث؛ ومن وحي إلهي، أو توجيه نبوي، أو عناية من الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم، والتي تلمع في سماء البحث العلمي بين الفَيْنة والأخرى، ووفقاً للتسلسل والتتابع المنطقي.

ومن هذه المنطلقات والحيثيات جاءت فكرة هذا الموضوع، فعمد الباحث إلى القيام بعملية استرداد لأحداث فترة العهدين النبوي والراشدي، وذلك من خلال

تتبع الآثار المبثوثة والمنثورة في المصادر التاريخية عن تلك الفترة فيما يتعلق بموضوع الدراسة: «صناعة الكتابة والكتّاب: العوامل والبوادر» مستخدماً بذلك المنهج التاريخي، كما تتبع الباحث ونَقَّب في القرآن الكريم ومصادر التفسير المختلفة، وفي مصادر السنة والحديث ومراجع تاريخها وتدوينها، وفي المصادر الأدبية من معاجم لغوية وكتب أدبية، وفي مصادر الكتابة الخطية.. إلى غير ذلك من المصادر الأخرى، حتى وصل إلى نصوص ذات علاقة بقضية تلك العوامل والبوادر؛ فَجَمعها وفحصها ووثقها وعَلَّق على بعضها، ولم يُغفل الباحث المراجع الحديثة في بعض العلوم المذكورة؛ للإفادة والاستئناس بآراء المعاصرين حول الدراسة، كما اطلع على عدد غير قليل من المقالات والأبحاث المنشورة في الدوريات العلمية.

وقد تركزت حدود الدراسة في المصادر التاريخية والأدبية فيما يرد من نصوص تُغَطي مراحل بِعْثة الرسول ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، حتى نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري .

واستعرضت الدراسة في بابها الأول العوامل المؤثرة في صناعة الكتابة والكتاب في تلك الفترة وهي: العامل التعليمي، وعامل الكتابة وجمع القرآن الكريم، والعامل السياسي والإداري، والعامل الحضاري، والعامل التشريعي والمالي. وفي بابها الثاني استعرضت الدراسة بوادر هذه الصناعة: من أدوات الكتابة، وموادها، والمصطلحات التي أُطلقت عليها، وأوعية حفظها، والكَتَبة في ذلك العهد .

وترجع أهمية موضوع الدراسة إلى أن المؤرخين القدماء والمحدثين لم يهتموا الاهتمام الكافي بتغطية هذه الفترة الزمنية على الرغم من أهميتها البالغة ، فرغم كثرة المصادر التاريخية القديمة منها والحديثة ، فإننا لا نجد عملاً متكاملاً يُغطي الموضوع في الفترة التي تحددها الدراسة.

كما أنّ الدراسات التاريخية في حقل المكتبات والمعلومات لا تجد عناية كافية

من قِبَل الباحثين العرب والمسلمين منهم، وخاصةً للفترات الإسلامية الأولى. وإنه لَـمِنَ الـمُلاحظ أن معظم من تناول الدراسات التاريخية في المكتبات الإسلامية لم يكونوا من المسلمين والعرب، لذا فإن بعض دراساتهم تحمل في طياتها كثيراً من المغالطات، مما يؤكد عدم نزاهة تناول هؤلاء الباحثين للفترات الإسلامية ذات التميز الحضاري.

وتتناول الدراسة أيضاً فترة إشراق الحضارة الإسلامية بما حَمَلت من زخم وتأكيد على أنّ الدين الإسلامي دين اهتم أكثر من الأديان السابقة اهتمامًا بالغًا بالكِتَابة والكِتَاب، الذي أصبح بدوره وسيلةً من وسائل نشر العلم والدعوة.

كما كشفت عن عدد من النتائج، ومن أهمها: ظهور العلوم المدونة في ذلك العهد، وتأسيس أول مكتبة عامة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وإنشاء أول دار (مكتبة) قرآنية تحوي عدداً من المصاحف يجتمع فيها عدد من المستفيدين القُرَّاء، وتأثر عرب الحجاز والجزيرة بأهل الكتاب والفرس في صناعة الكتابة والكتاب، وظهور مراكز ثابتة في الأمصار الإسلامية لكتابة ونسخ وصناعة المصاحف، وإثبات صحة الرواية التي مفادها أنَّ مدينة الحيرة كانت مصدراً من مصادر تعلم الصحابة وعرب الحجاز الكتابة، وإثبات أنَّ نشأة الكتاتيب والدواوين كانت في عهده ﷺ.. إلى غير هذه النتائج.

وفي الختام يتوجه الباحث بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عباس بن صالح طاشكندي الذي كان مشرفاً على الدراسة في مرحلة الماجستير وكان لتوجيهاته وإرشاداته أكبر الأثر في قبولها للمناقشة ومن ثم حصولي على الدرجة العلمية، كما تفضل بترشيحها للنشر ضمن هذه السلسلة. كما أشكر الأخ الأستاذ عبدالرحمن بن محمد بن عمر العقيل الباحث في مركز الملك فيصل على ما بذله من جهد كبير في مراجعة الدراسة وتقديم كثير من المعلومات التي استفدت منها فعدلت بموجبها وقمت بتضمين بعضها في هذه الدراسة.





الباب الأول

ظروف النشأة وعوامل التأثير

الفصل الأول : العامل التعليمي

الفصل الثاني : عامل كتابة القرآن الكريم

الفصل الثالث : العامل التشريعي والمالي

الفصل الرابع: العامل الحضاري

الفصل الخامس: العامل السياسي والإداري

توطئــــة:

ارتبطت صناعة الكتابة والكتَاب منذُ عصور قديمة بالأديان السماوية ارتباطًا وثيقًا من خلال كُتُبها المقدَّسة التي حظيت باهتمام أصحاب هذه الدِّيانات؛ كتابةً، ونسخًا، ونشرًا وصيانةً، وحفظًا، وحدثَ عينُ هذا الارتباط ـ بطبيعة الحال ـ في أعظم الرسالات السماوية وخاتمتها رسالة الإسلام، إلا أن ارتباط الإسلام بصناعة الكتابة والكتَاب كان أقوى وأشدَّ تأثيرًا؛ وذلك لأمرين اثنين ـ في نظر الباحث ـ وهما: شمولية الإسلام وخلوده، وخلود كتابه القرآن الكريم إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها.

فحينما يتحدث الباحثُ في هذا الباب من هذه الدراسة عن ظروف النشأة وعوامل التأثير في صناعة الكتابة والكتَابَ في النصف الأوَّل من القرن الأول الهجري، فهو في حقيقة الأمر يتحدث عن الأثر الذي أحدثه الإسلامُ بشموله: ديناً ودنيا.. دولة وحضارة.. شريعة وحياة.

فكما أنَّ ظهور الإسلام قد أَحْدثَ نَقْلَةً روحانيةً وإيمانيةً فريدةً ومتميزةً في تاريخ البشرية فإنَّه قد قَرَنَها بنقلة حضارية شاملة، لا تقلُّ في تفردُّها وتميُّزها عن قرينتها.

وعلى ذلك فإن تأثير مجموع العوامل التي سيذكرُها الباحثُ في متن هذه الدراسة في صناعة الكتابة و الكتَاب في ذلك العهد، إنَّما هو في حقيقة الأمر تأثيرُ الإسلام الشامل لجميع مناحي الحياة.

وهذه العوامل التي سيستعرضها الباحث في هذا الباب ستكون على النحو الآتي: عاملُ الحركة العلمية، وعاملُ كتابة القرآن الكريم، والعاملُ التشريعيّ والماليّ، والعامل الحضاريّ، والعاملُ السياسيّ والإداريّ.



الفصل الأول:

العامل التعليمي

يستعرضُ الباحثُ في هذا الفصل جوانبًا من الحياة العلميَّة في النِّصف الأوَّل من القرن الأوَّل الهجريّ، متمثلةً في الجانبين النظريّ والعملي للسياستين النبويَّة والراشديَّة. وقد شمل الجانبُ العمليُّ بعضًا من مظاهر الحياة العلمية في ذلك العهد مثل: بَعَثات المُعلِّمين من صحابة رسول الله ﷺ، والتعليم الفرديِّ والجماعيِّ.. ويظهرُ الأخير في التَّجمعات والمراكز التعليمية أو ما يشبهُ المدارسَ وتعليمَ الوفود. وشملَ الجانبُ العمليُّ ـ أيضًا ـ: الرحلة في طلب العلم، وتعليمَ الكتابة.

ويهدف الباحثُ من هذا الفَصْل إلى إظْهار تأثير الحياة العلميَّة ـ كعامل رئيس ـ في صناعة الكتابة والكتَاب، وذلك من خلال كون هذه الحياة تُمثِّلُ الركيزة الأمَّ التي قامت عليها عملياتُ تعلم الكتابة وانتشارها بين طلاب العلم وفي التجمعات والمراكز التعليمية، ومن ثمَّ ظهور الرسائل والمُدوَّنات العلمية العامّة والمتخصِّصَة. فكان نتاجُ ذلك أنْ تطوَّر الخطُّ العربيُّ وتطوَّرتْ معه صَناعتُه.

أهمية العلم والقراءة والكتابة في القرآن الكريم:

اهتم الإسلام بالعلم والتعلم، ولا أدلّ على ذلك وأقوى من الكلمة الأولى التي نزل بها الوحي الإلهي على النبيِّ محمد صلوات ربي وسلامه عليه.

كلمة « اقرأ »، هذا الأمر ذو السِّر الإلهي العجيب، الذي امتد أثره من فجر الإسلام، إلى وقتنا الحاضر، وكان من آثاره ذلك التراث الفكري والعلمي الهائل، الذي قلّما خَلّفت أمة من الأمم نظيره من حيث التنوع، والشمول والإتقان، والإبداع. فما قصة ذلك الأمر؟.

روى البخاري ـ رحمه الله ـ في « صحيحه »[١]، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله

(١) كتاب بدء الوحي، ج١، ص ٢٢، رقم ٣.

عنها أنها قالت: «أولُ ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم، فكانَ لا يَرى رُؤْيا إلاّ جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إليه الخلاءَ، وكانَ يَخْلو بغار حراء فيتحنَّثُ فيه ـ وهُوَ التَّعَبُّدُ ـ الليالي ذوات العَدَد قبل أن يَنْزِعَ إلى أهله، ويتزودُ لذلك، ثم يَرْجعُ إلى خديجةَ، فيتزوَّدُ لمثلها، حتى جاءهُ الحق وهُوَ في غار حراء، فجاءه الـمَلَكُ، فقال: اقْرَأْ. قَال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني[1] حتى بَلَغَ مني الجَهْدَ ثمَّ أرْسَلَني، فقال: اقْرَأْ، قلت: ما أَنا بقارئ، فأخَذَني فَغَطَّني الثانية حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثم أرْسَلَني، فقال: اقرأ. فقلتُ: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطَّني الثالثةَ، ثم أَرْسَلَني، فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾[2].

وفي الروايات الأخرى، تَتمَّة الآيات ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[3].

قال القرطبي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾ يعني الخط والكتابة؛ أي علم الإنسان الخط بالقلم. وروى سعيد عن قتادة قال: القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يَقُمْ دين، ولم يصلح عَيْش. فدلّ على كمال كرمه سبحانه بأنه عَلّم عبادَه ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. وما دُوِّنت العلوم ولا قُيِّدت الحِكَم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كُتُب الله الـمُنزّلةُ إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا»[4].

---

(١) الغَطُّ: العصر الشديد والكبس. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٣٧٣، مادة: غطط.

(٢) سورة العلق: الآيات ١-٣. وانظر حول أول ما نزل من القرآن: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٩٦، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٣، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٣١-٥٣٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ٣٤٩-٣٥٠، والذهبي، تاريخ الإسلام، السيرة النبوية، ص ١١٧-١١٨.

(٣) سورة العلق: الآيتان ٤-٥.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٧٢١٠.

وفي إشارة لطيفة، ولفتة ذكية من إسماعيل بن كثير رحمه الله حول تخصيص المولى عز وجل للتعلم بالقلم يقول ـ رحمه الله ـ: «والعلم تارةً يكون في الأذهان، وتارةً يكون في اللسان، وتارةً يكون في الكتابة بالبَنَان؛ ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما [أي: الذهني واللفظي] من غير عكس [أي: على خلاف الذهني واللفظي فهما لايستلزمان الرسمي]؛ فلهذا قال: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾**﴾»[1].

ومما يلاحظ في الآيات أنَّه إلى جانب حقيقة الربوبية المتمثلة في حقيقة كرم الخالق وقدرته «تبرز حقيقة التعليم؛ تعليم الرب للإنسان بالقلم؛ لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرًا في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذْ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن، ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله ـ سبحانه ـ كان يعلم قيمة العلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة، في أول سورة من سور القرآن الكريم»[2].

ثم مضت ثلاث سنوات على الأقل[3] ـ قابلة للزيادة ـ أقسم المولى عز وجل بعدها بالقلم في قوله تعالى: ﴿**نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[4] تأكيداً للمفهوم الذي بدأ الوحي به في الآية السابقة « فهو قَسَمٌ منه تعالى، وتنبيه لِخَلْقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي تُنال بها العلوم؛ ولهذا قال ﴿**نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ يعني: وما يكتبون»[5].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٤٦٢. وانظر حول تفسير هذه الآيات: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٣٢، ص١٥-١٧، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٥٠٦-٥٠٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٩٣٩.

(٣) حول هذا الفاصل الزمني، انظر الشواهد التي ساقها سيد قطب في مقدمة تفسيره لهذه السورة: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٦٥٠-٣٦٥١.

(٤) سورة القلم، آية ١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٣٥١.

وهو « يقسم ـ سبحانه ـ بنون، وبالقلم، وبالكتابة، والعلاقة واضحة بين الحرف (ن) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم والكتابة، فأما القسم بها فهو تعظيمٌ لقيمتها، وتوجيه إليها في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعليم عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة في الوقت الذي كان دورها المُقدّر لها في علم الله يتطلب نمو هذه القدرة فيها وانتشارها بينها؛ لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة، وما من شك أنّ الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة الكبرى »[١].

ولم تكن الآيات الأولى من الرسالة الإلهية الخاتمة تأتي بهذا المفهوم السامي للقراءة والكتابة وبهذا التّوجه العلمي الإيجابي الأخّاذ، في هذا الوقت المبكر من بزوغها إلاّ « لبيان أنّ العقيدة الصحيحة لا تحصل بالتقليد والأخذ عن الغير، وإنما تحصل بالأدلة العلمية القاطعة التي غالبًا ما تكون عن طريق التعلم الحاصل بوسائله المعلومة التي من أشهرها القراءة والكتابة »[٢].

وهنا تتضح مكانة العلم في دين لا يتم الوصول إليه إلا من خلال هذا العلم، ولذلك قال المولى عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾[٣] فبين أنّ العمل يأتي بعد العلم؛ ولذلك عندما سُئل سفيان بن عُيَيْنَة عن فضل العلم، قال: « ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم، وقال: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [٤]، وقال: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ**

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج٦، ص ٣٦٥٤–٣٦٥٥.

(٢) محمد السيد الوكيل، الحركة العلمية في عصر الرسول وخُلفائه، ص ١٣.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) سورة الحديد، الآيتان: ٢٠–٢١.

فِتْنَةٌ﴾[1]، ثم قال بعد: ﴿ **فَاحْذَرُوهُمْ**﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾[3] ثم أمر بالعمل بعد»[4].

وقد أفرد الإمام البخاري بابًا في «صحيحه» عنوانه: «باب العلم قبل القول والعمل» مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾، قال البخاري: «فبدأ بالعلم»[5].

قال ابن المنير في شرحه لكلام الإمام البخاري: «أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل» [6].

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «والخطاب وإن كان للنبيِّ فهو مُتناوِل لأمته» ثم ذكر استدلال سفيان بن عُيَيْنَة الذي ذكره الباحث آنفاً[7].

ثم يتتابع كلام ربِّ العالمين، إلى سيد الخلق أجمعين عبر ثلاثة وعشرين عامًا، مؤكدًا في كثيرٍ من آياته وتشريعاته في أزمنة وأمكنة مختلفة ومواقف متعددة على اهتمام الرسالة الأخيرة للبشرية بالعلم والتعليم.

فتارةً، يجعل العلم صفةً فريدةً يتمايز الناس بها في الدنيا، ويعتمده معيارًا للتمييز الصحيح بينهم مضافًا إليه معيار التقوى، فيقول جلّ في علاه: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**

---

(١) سورة الأنفال، آية ٢٨.

(٢) في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**﴾ [التغابن: ١٤].

(٣) سورة الأنفال، آية ٤١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٦٠٦١-٦٠٦٢.

(٥) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب العلم، ج١، ص ١٥٩.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ١٦٠.

(٧) المصدر السابق.

وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(١)، وقوله عز وجل: **﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾**(٢).

وتارة يجعل العلم مناط التقويم والحكم، فيقول عز من قائل: **﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾**(٣)، ويقول: **﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾**(٤).

وثالثة يبين فيها أن التعليم بعض مهام الرسول ﷺ. فيقول عز وجل: **﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾**(٥).

ورابعة يُذَكِّرُ من خلالها المؤمنين بأن العلم يرفع مكانة صاحبه،وذلك في قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾**(٦).

«قال ابن مسعود رضي الله عنه: مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم»(٧).

---

(١) سورة الزمر، آية ٩.

(٢) سورة فاطر، آية ٢٨.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٤٣.

(٤) سورة الأنعام، آية ١٤٨.

(٥) سورة البقرة، آية ١٥١.

(٦) سورة المجادلة، آية ١١.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص ٦٤٦٩.

وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

« وفي هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء. وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم »(٢).

ويصل الأمر في اهتمام القرآن بالعلم إلى الحَدِّ الذي جعله يستثني طائفةً من النافرين في الجهاد في سبيل الله للمكوث في طلب العلم، وذلك في قول المولى عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٣) « إذ لو نفر الكل لضاع مَنْ وراءهم منَ العيال، فَلْيخرج فريقٌ منهم للجهاد وليقُم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم، حتى إذا عاد النافرون أعلمهم المقيمون ما تعلموه من أحكام الشرع، وما تجدد نزوله على النبي ﷺ »(٤). وإن اختلف(٥) المفسرون حول الطائفة المتفقهة هل هي النافرة أم الماكثة؟، فقد اتفقوا على أنّ « هذه الآية أصلٌ في وجوب طلب العلم »(٦)، وفيها « إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية لا على الأعيان »(٧).

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١٢٨٣.

(٣) سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص ٣١٣٢.

(٥) انظر حول هذا الاختلاف: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٠٠-٤٠١.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص ٣١٣٢-٣١٣٣.

(٧) المصدر السابق، ج٤، ص ٣١٣٣.

السياسة التعليمية للرسول ﷺ :

ما إن لامست كلمة «اقرأ» قلب الرسول ﷺ، ووجدانه، وأحاسيسه، وتَرَسَّخت أبعادها ومضامينها في عقله وفكره؛ إلاّ وبدأت في البزوغ شَمسُ سياسةٍ نبويةٍ تعليمية فريدة ومتميزة من خلال أقواله ﷺ الشريفة التي تُمثِّلُ الجانب النظري من هذه السياسة، ومن خلال أفعاله وقراراته السديدة التي تمثل الجانب العملي منها، وكلٌّ ذلك يتمُّ بوحي إلهيّ وتثبيت ربانيّ قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى** ۝٣ **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾(١).

الجانب النظري في السياسة التعليمية للرسول ﷺ :

أفرد مصنفو دواوين حديث رسول الله ﷺ من علماء السلف في دواوينهم كتابًا يُطلق عليه «كتاب العلم»؛ لِمَا يحتله العلم من مكانة في وجدان سيد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولِمَا تزخر به أقواله ﷺ من اهتمام به، وحثٍّ عليه، وبيان لفضله، وأجر لطالبه، وحرمان لهاجره.

وليس المقام هنا مقام حصر لتلك الأقوال الشريفة، بل نأتي على ذكر طرف منها؛ لنتعرف عن قرب على الدافع الثاني للحركة العلمية في ذلك العهد، وفي العهود الإسلامية جمعاء، بعد القرآن الكريم.

فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من سَلَكَ طريقًا يَطْلُبُ فيه علْمًا، سَلَكَ الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجْنحَتَها رضًا لطالب العلم، وإنَّ العالم ليَسْتَغْفرُ لهُ منْ في السماوات والأرض، والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القَمَر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهماً، ورَّثوا العلمَ، فمن أَخَذَهُ أَخَذَ بحظٍّ وافر»(٢).

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٣– ٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في فضل العلم، ج١٠، ص٥٧–٥٨، رقم ٣٦٣٨،=

وفي حديث آخر يربط رسول الله ﷺ بين الخيرية كغاية وبين التفقه في الدين كوسيلة لهذه الغاية، فعن حُمَيْد بن عبد الرحمن، قال: سمعتُ معاوية رضي الله عنه خطيبًا يقول: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «مَنْ يرد الله به خيرًا، يفقهُ في الدِّين»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام ومايتصل بها من الفروع - فقد حُرِم الخير»(٢).

ويؤكد الرسول ﷺ على أهمية عملية التبليغ والتعليم، فيقول في الحديث الذي يرويه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «بَلِّغُوا عني ولو آية»(٣) الحديث.

وقد دعا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه لحامل حديثه، ومبلغه، وناشره «وحَثَّ على استنباط معاني الحديث، واستخراج المكنون من سرِّه»(٤)، واستكناه فرائده وفوائده. فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً، سَمِعَ منَّا حديثًا فَحَفِظَهُ حتَّى يُبَلِّغهُ، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه،

= وأخرج الترمذي - نحوه - مختصرًا في سننه، كتاب العلم، باب فضل طالب العلم، ج٧، ص٣٨٤، رقم ٢٦٤٦، وأخرج أحمد - نحوه - مختصرًا في مسنده، ج٨، ص ٢٧٥، رقم ٨٢٩٩، ومطولاً ج١٦، ص ٧١، رقم ٢١٦١٢، وأخرجه الدارمي في سننه، باب فضل العلم والعالم، ج١، ص٩٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين، ج١، ص١٦٤، رقم ٧١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص٢٤١، رقم ٢٧٩١، وج٧، ص٤١، رقم ٧١٩٣، وج١٣، ص ١٧٧، رقم ١٦٧٨٠، ١٦٧٨٢، وص ١٧٩، رقم ١٦٧٨٩، وص١٨٠، رقم ١٦٧٩٢، وص١٨٤، رقم ١٦٨٠٣، وص ٢٠٢، رقم ١٦٨٦٨، وص ٢٠٣، رقم ١٦٨٧٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٦، ص٤٩٦، رقم ٣٤٦١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص٤١-٤٢، رقم ٦٤٨٦، وص ٣٧٣، رقم ٦٨٨٨، وص٤٤٤-٤٤٥، رقم ٧٠٠٦.

(٤) محمد العظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ٧٦.

وربَّ حامل فقه ليس بفقيه» [١].

ففي الحفظ الحمل والتبليغ والنشر، وفي الفقه الاستنباط والاستنتاج والاستكناه، وبهاتين العمليتين تتنوع الاستنباطات وتكثر الاستدلالات وتتفرع الاستنتاجات، ومن ثمَّ يكون بينها التمايز والتجانس. وفي هذا المسار نشأت ونمت كثير من العلوم والمعارف الإسلامية التي لم تكن قائمة بذاتها في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، وتأطرت حدودها وتكونت مفرداتها، ومن ثمّ تَضخَّم الانتاج الفكري والعلمي في مجالاتها عبر القرون المتتالية.

وكما دعا النبي ﷺ لنَاشري علمه وحديثه بالنَّضَارة والخير، فقد توعد كاتميه بالعذاب الأليم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عن علْم فَكتَمَهُ، ألْجَمَهُ الله بلجَام من نار يوم القيامة» [٢].

الجانب العملي في السياسة التعليمية للرسول ﷺ:

ترجم المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه تلك الأقوال والتوجيهات إلى سلوك عمليٍّ، وواقع حي، وسياسة تعليمية عملية متميزة. وقد تجلَّت ملامح تلك السياسة من خلال عدد من المظاهر، كان من أهمها:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ج١٠، ص٧٥-٧٦، رقم ٣٦٥٧، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحثِّ على تبليغ السَّماع، ج٧، ص٣٩٢-٣٩٣، رقم ٢٦٥٦، وأخرج ابن ماجه - نحوه - في سننه، المقدمة، باب من بلغ علمًا، ج١، ص٨٤-٨٥، رقم ٢٣٠، ٢٣١، وأخرج أحمد في مسنده - نحوه - باختلاف وزيادة يسيرين، ج٤، ص١٦٢، رقم ٤١٥٧، وج١١، ص ١٥٥-١٥٦، رقم ١٣٢٨٣، وج١٣، ص١٣٩ رقم ١٦٦٨٣، وج١٣، ص١٤٤، رقم ١٦٦٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، ج١٠، ص٧٣، رقم ٣٦٥٥، وأخرج - نحوه - الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، ج٧، ص٣٨٦، رقم ٢٦٤٩، وأخرج ابن ماجه - نحوه - في سننه، المقدمة، باب من سُئل عن علم فكتمه، ج١، ص٩٦-٩٨، رقم ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، وأخرج أحمد - نحوه - في مسنده، ج٩، ص٤٨٦، ٥١٣، رقم ١٠٤٣٥، ١٠٥٤٦.

بَعَثات المعلمين من صحابته رضوان الله عليهم:

البَعَثات الفردية:

لقد كانت بَعثة مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أوائل تلك البَعثات، حيث حدثت قبل الهجرة النبوية بُعَيْد بيعة العقبة الأولى(١)، حيث يروي لنا ابن سعد رحمه الله قصة هذه البَعْثة قائلاً: «لما انصرف أهل العقبة الأولى الاثنا عشر، وفشا الإسلام في دُور الأنصار، أرسلت الأنصار رجلاً إلى رسول الله ﷺ، وكتبت إليه كتاباً: ابعث إلينا رجلاً يُفقهنا في الدين، ويُقْرِئنا القرآن، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، فقدم فَنَزَل على سعد بن زُرارة، وكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم، فيدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فيُسلمُ الرجلُ والرجلان، حتى ظهر الإسلام وفشا في دور الأنصار كلها والعوالي، إلا دوراً من أوس الله، وهي: خَطْمَةُ، ووائلٌ، وواقف.. وكان مصعب يُقرئهم القرآن ويُعلِّمهم»(٢)، وكان يُسمى مصعب بالمدينة: «المقرئ»(٣).

ونجد أن الأمر نفسه يتكرر فيما بعد مع أهل اليمن، حيث يروي لنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك قائلاً: «لما قدم أهل اليمن على النبي ﷺ، قالوا: ابعث معنا رجلاً يُعلِّمنا كتاب رَبِّنَا والسنة، قال: فأخذ النبي ﷺ بيد أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدفعه إليهم، وقال: «هذا أمين هذه الأمة»(٤).

---

(١) وهي البيعة التي بايع فيها اثنا عشر رجلاً من الأنصار رسول الله ﷺ، حيث لَقُوه بالعقبة، منهم: أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعُبادة بن الصامت، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان. انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٥٥٨-٥٥٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ١١٨. وانظر حول بعثة مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج٢، ص٣٧-٣٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص١٩٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، السيرة النبوية، ص٣٣٢، وابن النجار، الدرة الثمينة، ص٤١-٤٩، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٨١-٨٢.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٥٩، والذهبي، تاريخ الإسلام، السيرة النبوية، ص ٢٩٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١١، ص١١٨، رقم ١٣١٥.

وكذلك بعث النبي ﷺ مع وفد بَلْمُصطَلق من خزاعة عبّاد بن بشر رضي الله عنه، يأخذ صدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم القرآن، فلم يَعْدُ ما أمره رسول الله ﷺ، ولم يُضيع حقًا، وأقام عندهم عَشْرًا ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ راضيًا (١).

ويروي لنا ابن الأثير الجزري رحمه الله في أحداث السنة الثامنة للهجرة: أنّ الرسول ﷺ بعد عودته إلى المدينة قادمًا من مكة استخلف على مكة عَتَّاب بن أَسيد رضي الله عنه، وترك معاذ بن جبل رضي الله عنه يفقه الناس في الدين، ويُعلِّمهم القرآن(٢).

وقد أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران في شهر ربيع الآخر، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثًا، فإن أجابوا أقام فيهم وعَلَّمهَم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم؛ فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأجابوا وأسلموا، فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله ﷺ يُعْلمُه إسلامهم، وعاد خالد ومعه وفدهم، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قينان ذي الغصة، ويزيد بن عبد المدان، وغيرهما، فقدموا على رسول الله ﷺ، ثم عادوا عنه في بقية شوال أو في ذي الحجة، وأرسل إليهم عمرو بن حزم رضي الله عنه يُعَلِّمهم شرائع الإسلام(٣).

ويبدو أنّ الرسول ﷺ، كان إذا بعث أحد هؤلاء المعلمين الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - أوصاه بوصايا دعوية وتعليمية. ويظهر ذلك بجلاء في بَعْثه ﷺ معاذًا إلى اليمن، ففي الحديث الذي يرويه أبو مَعْبَد مَوْلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بَعَثه إلى اليمن: إنّك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، فإن هُمْ أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنّ الله قد فَرَضَ

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٦١-١٦٢.

(٢) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٤٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٢.

عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم صَدَقَةً تُؤْخذ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[1].

وفي رواية لابن الجوزي رحمه الله أنه ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه: «يا معاذ، إنك تقدم على قوم أهل كتاب، وإنهم سائلوك عن مفاتح الجنة، فأخبرهم أنّ مفاتح الجنة لا إله إلا الله، وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل، لا تُحجب دونه، من جاء بها يوم القيامة مخلصًا رجحت بكل ذنب. فقال: أرأيتَ ما سُئِلْتُ عنه واخْتصمَ إليّ فيه مِمَّا ليس في كتاب الله، ولم أسمع منك سنة؟ فقال: تواضع لله يرفعك، ولا تقضين إلا بعلم، فإن أشكل عليك أمر، فَسَلْ ولا تستحي، واسْتَشر ثم اجتهد، فإن الله إن يعلم منك الصدق يوفقك، فإن التبس عليك، فقف حتى تَتَبيَّنه أو تكتب إليّ فيه، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار، وعليك بالرفق»[2].

البَعثات الجماعية:

لم يكتف المصطفى ﷺ في سياسته التعليمية بالبَعثات الفردية، بل كان يرسل الجماعات المباركة من معلمي الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ لتعليم الناس ودعوتهم.

ففي أحداث السنة الرابعة، يروي لنا الطبري رحمه الله بسنده إلى عاصم ابن عمر بن قتادة رضي الله عنه أنه قال: «قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رَهط من عَضَل والقارَّة، فقالوا له: يا رسول الله، إنّ فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفقِّهوننا في الدين، ويُقرْئوننا القرآن، ويعلِّموننَا شرائع الإسلام. فبعث

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج٨، ص ٦٤، رقم ٤٣٤٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ٦.

رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة[١] من أصحابه: مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَويّ حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البُكَيْر حليف بني عَديّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح أخا بني عمرو بن عوف، وخُبَيْب بن عَدي أخا بني جَحْجَي بن كُلْفَة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّثنّة أخا بني بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظَفَر من بَلِيّ. وأمَّر رسول الله ﷺ على القوم مَرْثد بن أبي مرثد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهَدْأة)[٢] غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلاً، فلم يُرَع القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف، قد غشوهم... » إلى آخر تلك القصة التي انتهت بقتل مَرْثَد وخالد وعاصم، وأَسْر زيد وخُبَيبْ وعبدالله، ثم قَتْل الأول والثاني بمكة، ورجم الثالث حينما حاول الفرار[٣].

وفي نفس العام، بل وفي نفس الشهر - شهر صفر - من ذلك العام، تكررت عين المأساة والنهاية المؤلمة لبَعْثة تعليمية جماعية أخرى، حيث يروى لنا الطبري بسنده إلى المغيرة ابن عبد الرحمن بن الحارث، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيرهما من أهل العلم، قالوا: قدم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعب الأسنّة - وكان سيد بني عامر بن صَعْصَعة - على رسول الله ﷺ المدينة، وأهدى له هديةً فأبى رسول الله ﷺ أن يَقْبَلَها، وقال: يا أبا براء، لا أقبل هدية مشرك، فَأَسْلم إن أردتَ أن أقبل هديتَك. ثم عَرَضَ عليه الإسلام، وأخبره بما له فيه، وما وعد الله المؤمنين من الثواب، وقرأ عليه القرآن، فلم يُسلم ولم يبعُد، وقال: يا محمد، إنّ أمرك هذا الذي تدعو إليه حسنٌ جميل، فلو بعثت رجالاً من

(١) وفي رواية: «عشرة».

(٢) الهَدْأة: موضع بين عسفان ومكة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٩٥.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٧٧، وانظر حول هذه البعثة: ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٥٩–٦٠، والأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ٢٢٤–٢٢٥، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٤٤٣–٤٤٤.

أصحابك إلى أهل نَجْد فَدَعَوْهم إلى أمْرك رَجَوْتُ أنْ يستجيبوا لك [وفي رواية: « ابعث معنا رجالاً يُعَلِّمونَا القرآن والسنة »](١)، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المُعْنِقَ ليموت في أربعين(٢) رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصِّمَّة، وحَرامُ بن مِلْحَان أخو بني عَدي بن النجَّار، وعُرْوة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَميّ، ونافع بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعيّ، وعامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر.. في رجال مُسَمَّيْنَ من خيار المسلمين(٣).

وتُسفر هاتان القصتان لتلكما البعثتين التعليميتين عمّا بلغته منزلة العلم والتعليم، والعمل لهما في هذا الدين العظيم، منزلةً جعلت من رَسُوله المصطفى ونَبيِّه المُجْتبى ﷺ لا يتردد لحظةً واحدةً في اعتماد إرسال تلكما البعثتين التعليميتين، إحداهما إلى وسط الجزيرة، والأخرى إلى شمالها في وقت كان من أشَدِّ الأوقات وطأةً على المسلمين من النَّاحية الأمنية والعسكرية، حيث لم تمض على المسلمين سوى أربعة أشهر من آخر غزوة كانت لهم مع المشركين، غزوة

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥١٤، وأحمد بن حنبل، المسند، ج١١، ص٢٩٠-٢٩١، رقم ١٣٧٨٨. وفي روايات بعض كتب الحديث أنهم « استمدوا الرسول ﷺ ». (أخرجهما البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع...، ج٧، ص ٣٨٥، رقم ٤٠٩٠، وأخرجهما أحمد في مسنده، ج١٠، ص ٣٤٨، رقم ١٢٠٠٣، وأخرجهما أبو يعلى في مسنده، ج٥، ص٣٠٠، رقم ٢٩٢١). وقد ذكر ابن حجر - رحمه الله - حول رواية « الاستمداد » ورواية « الدعوة والتعليم »، مستنداً في الأخيرة إلى رواية ابن إسحاق - التي رواها الطبري - ما نصُّه: « ويُحتمل أنه لم يكن استمدادهم لهم لقتال عدو، وإنما هو الدعاء إلى الإسلام ». فتح الباري، ج٧، ص٣٨٦.

(٢) جميع المصادر التي ذكرها الباحث آنفًا، تحدد عددهم بسبعين رجلاً، مضافاً إليها: (ابن الأثير الجزري، الكامل، ج٢، ص٦٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣،ص ١٩٨-١٩٩، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص ٤٥١-٤٥٢. وقد جمع ابن حجر - رحمه الله - بين رواية « الأربعين رجلاً » وروايات « السبعين » قائلاً: « ويمكن الجمع بينه وبين الذي في الصحيح بأن الأربعين، كانوا رؤساء، وبقية العدة اتباعًا ». فتح الباري، ج ٧، ص ٣٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٨١.

أُحد[١]. ومشركو قريش وضعاف النفوس من الأعراب ما زالوا يتربَّصُون بالمسلمين الدوائر، إمّا شفاءً لغيظ، أو ردًّا لثأر، أو مَطْلبًا لـمَغْنم[٢].

وكأني بالرسول الكريم ﷺ يُريد أن يؤكد لأمته بأن منزلة العلم في هذا الدين لا تقل أهميةً عن منزلة الجهاد في سبيل الله، ومما يُشير إلى صحة هذا الاستنتاج ما اصطلح عليه المؤرخون من تسمية البعثة التعليمية الأولى بالغزوة، والثانية بالسرية[٣].

التعليم الجماعي:

كان هذا الأسلوب التعليمي يتجلى في أكثر من مظهر من مظاهر الحركة التعليمية في عهد الرسول ﷺ بشقيه العهد المكي والعهد المدني، وكان أكثر ما يتمثل هذا الأسلوب في:

- الدُّور الخاصة.
- المراكز التعليمية أو ما يشبه المدارس.
- تعليم الوفود.

وسيتناول الباحث كل من هذه المظاهر بشيءٍ من التفصيل.

الدُّور الخاصة:

ويقصد بها دُور الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان دَوْرُها بارزاً ومؤثراً بشكل كبير في الفترة المكية وعلى الأخص في فترة الدعوة السِّرية؛ ذلك كَوْنها

---

(١) وقعت غزوة أُحد في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة.

(٢) لعل مما يؤكد خطورة الوضع الأمني على المسلمين من قريش أو من بعض قبائل الجزيرة العربية التي تريد استغلال تلك العداوة في اكتساب مغانم لها، قول الرسول الله ﷺ لأبي براء عامر بن مالك ابن جعفر: «إني أخشى عليهم أهل نجد» (الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٨١، وابن كثير، البداية والنهاية»، ج٤، ص ٤٥٣). وقول رهط عَضَل والقارَّة للنَّفر الستة حينما غدروا بهم: «إنّا والله ما نريد قتلكم، ولكنّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم». الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٧٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٤٤٤.

(٣) انظر: مصادر البَعْثتين التي ذكرها الباحث.

المحضن الوحيد - في تلك المدة - الذي من خلاله يستطيع الداخل في دين الإسلام أن يتعلم ما يريد أَنْ يعرفه عن هذا الدين الجديد «ذلك لأن المسلمين الأوائل لم يتمكنوا من إظهار عبادتهم، حَذَرًا من تعصب قريش لدينها ووثنيتها. ولَمّا دَخَلَ في دين الله ما يربو على الثلاثين، كان من الضروري أن يجتمع بهم رسول الله ﷺ على شكل جماعات، يُرْشدهم ويُعَلِّمهم ليُكوِّنَ منهم القاعدة الصلبة التي يمكن أن يواجه بها أولئك الذين يقفون في وجهه، أو يَحُولُون دون انتشار دعوته»(١). وخصوصاً أنه ﷺ يرى في هذا التعليم والإرشاد امتثالٌ للأمر الإلهي الأول الذي أمر به في مبدأ بعثته، كما مر معنا «فاختار ﷺ لذلك الاجتماع دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي(٢)، فكان يلتقي بهم على شكل أسر يعلمهم أمور دينهم، ويوضح لهم الطريق»(٣)، وكانت دار الأرقم هذه على الصفا(٤) «وكان إلى جانب دار الأرقم - المركز الرئيس - دُورٌ أخرى تكون مراكز فرعية، حيث يذهب إليها رسول الله ﷺ أحياناً دون انتظام، أو يَنتظم فيها الصحابة الذين يَخْتارُهم رسول الله ﷺ مثل دار سعيد بن زيد رضي الله عنه»(٥)، وشاهد ذلك ما رواه عبدالملك

---

(١) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١، ص ٥٧-٥٨.

(٢) الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي. صاحبُ النبيّ ﷺ، من السَّابقين الأولين، اسم أبيه عبد مناف. كان الأرقم أَحَدَ من شَهِدَ بَدْرًا، وقد استخفى النبي ﷺ في داره، وهي عند الصفا، وكان من عقلاء قريش. عاش إلى دولة معاوية. وقد أعطى النبي ﷺ الأرقم يوم بدر سيفًا، واستعمله على الصدقة. توفي بالمدينة سنة ثلاث وخمسين، وله ثلاث وثمانون سنة. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ٧٤.

(٣) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١، ص٥٨.

(٤) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ١٩٧.

(٥) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج١، ص ٥٨. وسعيد بن زيد هو: ابن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى، أبو الأعور القرشي العدوي أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، ومن السابقين الأوّلين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد حصار دمشق=

ابن هشام رحمه الله في سيرته حول إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال: «وكان خَبّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقْرئها القرآن»، فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حال خروجه ليقتل النبيّ ﷺ وكان ذلك قبل إسلامه «فرجع عمر عامداً إلى أخته وخَتَنه [١]، وعندهما خبّاب بن الأرتّ، ومعه صحيفة فيها (طه) يُقرئهما إياها...» إلخ[٢].

ما يشبه المدارس:

وفي إطار التعليم الجماعي لم تخل المصادر الحديثية والتاريخية من الإشارة إلى وجود ما يشبه المدارس في عهد الرسول ﷺ، ومن أهم هذه الأماكن في عهد الرسول ﷺ «الصُّفَّة».

فما هي هذه الصُّفَّة؟ ومن هم أهلها؟ وما علاقتها بالتعليم؟. هذا ما سيحاول الباحث الإجابة عليه بإذن الله تعالى.

الصُّفَّة: اتفق اثنان من الباحثين المعاصرين على أنّ الصُّفَّة «تُمثل مرحلة تاريخية من مراحل العلم في صدر الإسلام»[٣]، «وأنها قد خُصِّصت للأغراض التعليمية»[٤].. بل عَدَّها الأول[٥] «أول جامعة داخلية في الإسلام»[٦]، بينما عَدَّها الثاني «أول

= وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل في نيابة دمشق من هذه الأمة. وامرأته هي ابنة عمه فاطمة، أخت عمر بن الخطاب. أسلم سعيد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم. مات سعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص بالعقيق. قال الواقدي: توفي سعيد بن زيد سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقُبر بالمدينة. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سيرأعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٦-١٧.

(١) الخَتَن: الصِّهْر، وهو الرجل المتزوج في القوم. وهو هنا: زوج أخته، وهو سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٣٨، مادة: ختن.

(٢) انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٧٨.

(٣) محمد محمد حسن شُرَّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج١، ص ٢١٩.

(٤) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص ٥٠.

(٥) أعني الأعظمي؛ وذلك حسب الترتيب الزمني لصدور مؤلفيهما.

(٦) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج ١، ص ٥٠.

مدرسة علمية تربوية واجتماعية في العهد الإسلامي »[١].

فما هي هذه الصُّفَّة؟.

أصل « الصُّفَّة » من صُفَّة البيت، وهي شيء كالظلّة قدامه [٢].. والمعنى اللغوي لها: الصُّفَّةُ من البنيان: شبه البَهْو الواسع الطويل السَّمْك [٣].

وقد وصف عددٌ من المُحدِّثين صُفَّة المسجد النبوي وصفًا يكاد أن يكون متطابقًا، فقد ذَكَر ابن حجر - رحمه الله - في « فتح الباري »: « الصُّفَّة موضعٌ مظللٌ في المسجد النبوي، كانت تأوي إليه المساكين »[٤]، ثم حدد مكانها في موضع آخر من « فتحه » قائلاً: « الصُّفَّة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل... »[٥].

ووصفها النووي - رحمه الله - قائلاً: « مكان منقطع من المسجد مظلل عليه... »[٦]، وقد أكد على تظليلها مع الإمامين ابن حجر والنووي، كل من محمد المباركفوري في « تحفته »[٧] ومحمد الزَّبيدي في « تاجه » [٨].

واتفق على تأخر مكانها في المسجد النبوي مع ابن حجر محمدٌ العظيم آبادي، قائلاً: « والصُّفّةُ مكان في مُؤخّر المسجد... »[٩].

ومن خلال تلكم الشروح نستطيع أن نُجْمل أوصاف مكان « الصُّفَّة » فيما يأتي:

---

(١) محمد محمد حسين شراب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج١، ص ٢١٩.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٣، ص ٤٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٩٥، مادة: صَفَفَ، والزَّبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٣٢٥، مادة: صَفَفَ.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٥٣٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٦، ص ٥٩٥.

(٦) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٣، ص ٤٩.

(٧) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ٩، ص ٦٨.

(٨) الزَّبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص ٣٢٥.

(٩) محمد العظيم آبادي، عون المعبود، ج ٤، ص ٢٤١.

١- واسع.

٢- طويل السَّمْكِ.

٣- مُظلل.

٤- في مؤخّر المسجد النبوي.

أهل الصُّفَّة: حفلت المصادر الحديثية والتاريخية بكثير من الآثار التي تدل على حال أهل الصُّفَّة وهويتهم، ولعل المتتبع لتلك الآثار يستطيع القول بأن أهل الصُّفَّة - في الغالب - تجمعهم ثلاث خصائص رئيسة، وهي أنهم: مهاجرون غرباء، وأخلاط، وفقراء.

أما كونهم مهاجرين غرباء، فقد دل على ذلك قول أحدهم، وهو طلحة بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ -: «أتيتُ المدينةَ وليس لي بها معرفة، فنزلت في الصُّفَّة مع رجل...» الحديث[١].

وفي رواية أخرى لهذا الصحابي الجليل، أخرجها أبو نعيم رحمه الله في «حلية الأولياء» أنه قال: «كان الرجل إذا قدم على النبي ﷺ، إنْ كانَ له عريف بالمدينة نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصُّفَّة. قال: فكنتُ فيمن نزل الصُّفَّة...»[٢].

ولعل الرواية الثانية تؤكد بشكل جلي وواضح هجرة هؤلاء القوم وغربتهم.

وروى أبو نعيم - أيضاً - عن أبي نضرة الطفاوي، قال: قدمتُ المدينة فثويتُ عند أبي هريرة شهراً[٣]، فأخذتني الحمّى فوعكتُ فدخل رسول الله ﷺ المسجد، فقال: «أين الغلام الدوسي؟» فقيل: هو ذاك موعوك في ناحية المسجد. فجاء رسول الله ﷺ، فقال معروفاً[٤].

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٤٠٤-٤٠٥، رقم ١٥٩٣٠.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٣) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي هو عريف أهل الصُّفَّة.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص٣٧٤-٣٧٥.

وعن شَدَّاد بن أسيد رضي الله عنه أنه قَدم على النبي ﷺ، فأسكنه الصُّفَّة[1].

وذُكر عبد الله بن أُنَيْس رضي الله عنه في أهل الصُّفَّة، وكان من جُهَينة، سكن البادية، وكان ينزل في رمضان إلى المدينة ليلةً، فيسكن المسجد والصُّفَّة ليلته[2].

وأما كونهم «أخلاطاً» فقد دلّ عليه حديث أبي رافع رضي الله عنه قال: لما وَلدت فاطمةُ حسنًا، قالت: ألا أَعق عن ابني بدم؟ قال: لا، ولكن احلقي رأسه، وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض، وكان الأوفاض ناسًا من أصحاب رسول الله، محتاجين في المسجد أو في الصُّفَّة، وقال أبو النَّضْر [أحد رواة الحديث]: من الوَرِق على الأوفاض - يعني أهل الصُّفَّة - أو على المساكين، فَفَعلَتْ ذلك، قالت: فلما وَلَدتُ حُسينًا فَعَلتُ مثل ذلك»[3].

وقد أكدت مصادر اللغة وغريب الحديث على أن أهل الصُّفَّة أناسٌ أخلاط، وذلك من خلال شرحها لكلمتي «الأخلاط» و«الأوفاض» مستشهدين بالحديث المذكور آنفا.

فقد قال ابن منظور رحمه الله في «لسان العرب»: «ويُقال للأخلاط: أوفاضٌ. والأوفاضُ: الفِرَق من الناس والأخلاط من قبائل شَتَّى، كأصحاب الصُّفَّة. وفي حديث النبي ﷺ: أنه أمر بصدقة أن توضع في الأوفاض، فُسِّروا أنهم أهل الصُّفَّة، وكانوا أخلاطاً. قال أبو عمرو: الأوفاض هم الفِرَق من الناس والأخلاط؛ من وَفَضَت الإبلُ إذا تَفَرقت. وقيل: هم الفقراء الضِّعاف الذين لا دفاع بهم، وأحدهم: وفض»[4].

وبنحو هذا أو مثله، خَطَّ بنانُ الزَّبيدي في «تاجه»[5]، وسبقهما به ابن الأثير

---

(1) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج1، ص 372.

(2) المصدر السابق، ج2، ص 5.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، ج18، ص 463، رقم 27061.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 251، مادة: وَفَضَ.

(5) الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص 177، مادة: وَفَضَ.

الجزري في «نهايته»[١].

وثالثًا، كون أنهم فقراء، فهذا ما يشهد به الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: قال النبي ﷺ: «لا أُعْطيكم وأدع أهل الصُّفّة تَلَوّى بطونهم من الجوع»[٢].

وشهد لذلك ـ أيضاً ـ حديث سلمان بن ربيعة، حيث قال: سمعت عمر يقول: قَسَمَ رسولُ الله ﷺ قسمةً فقلتُ: يا رسول الله، لَغَيْرُ هؤلاء أحق منهم،أهل الصُّفَّة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تُخيروني بين أن تسألوني بالفُحْش وَبَيْن أن تُبَخلِّوني، ولست بباخل»[٣].

ومن الملاحظ أنّ بعض الأحاديث الواردة في حال أهل الصُّفَّة قد ربطت بين خصيصة هجرتهم وغربتهم وخصيصة فقرهم؛ وذلك لبيان أن الأولى كانت سببًا للثانية، والثانية نتيجة للأولى.

ومن هذه الأحاديث حديث طلحة بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ المذكور آنفاً ـ فبعد أن ذكر حال غربته ونزوله الصُّفَّة أردف قائلاً: «... فكان بيني وبينه [أي صاحبه الذي نزل معه الصفة] كل يوم مد من تمر، فصلى رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما انصرف قال رجل من أصحاب الصُّفَّة: يا رسول الله أحرق بطونَنَا التَّمْر، وتخرقت عَنّا الخُنُف[٤]. فصعد رسول الله ﷺ فخطب ثم قال: «والله لو وجدت خبزًا أو لحمًا

---

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص ٢١٠، مادة: وَفَضَ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص ٤٢٠، رقم ٥٩٦، وأخرجه أحمد ـ أيضاً ـ مطولاً في مسنده، ج١، ص ٥٣٠، رقم ٨٣٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص ٢٢١، رقم ١٢٧. وانظر حول فقرهم وحاجتهم: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، ج٧، ص ٦٧، رقم ٢٣٦٨، والأصفهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص ١٧.

(٤) الخُنُف: جمع خَنيف، وهو نَوعٌ غليظٌ من أرْدأ الكتان.. أراد ثيابًا تُعمل منه كانوا يلبسونها. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٨٤، مادة: خَنَف.

لأطعمتكموه، أَمَا إنكم تُوشكون أنْ تُدركوا، ومن أدرك ذلك منكم أنْ يُراح عليكم بالجفان[١]، وتَلْبَسُون مثل أستار الكعبة. قال: فمكثتُ أنا وصاحبي ثمانية عشر يومًا وليلة ما لنا طعام إلا البَرير[٢]، حتى جئْنا إلى إخواننا من الأنصار فَواسُونا، وكان خير ما أصبنا هذا التمر»[٣].

وقد أكد هذا الربط بين الهجرة والغربة وبين الفقر، أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما قال: «وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد...»[٤] الحديث.

ولا شك أن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة أدت إلى «ظهور مشكلة تتعلق بمعيشة المهاجرين الذين تركوا بيوتهم وأموالهم ومتاعهم بمكة فرارًا بدينهم من طغيان المشركين، ولا شك أنّ بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم إلى المدينة؛ لأن الطابع الزراعي يغلب على اقتصاد المدينة، وليست للمهاجرين خبرة زراعية؛ فمجتمع مكة تجاري، كما أنهم لا يملكون أرضًا زراعية في المدينة، وليست لديهم رؤوس أموال؛ فقد تركوا أموالهم بمكة.. وقد وضع الأنصار إمكانياتهم في خدمة المهاجرين، لكنَّ بعض المهاجرين بَقي مُحتاجًا إلى المأوى، ولا شك أنّ النبي ﷺ فكّر في إيجاد المأوى للفقراء المقيمين، والوفود الطارئين»[٥]..

---

(١) الجفَان: جمع جَفْنَة، وهي أعظم ما يكون من القصاع. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٨٩، مادة: جفن.

(٢) البَرير: ثمر الأراك عامَة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٥٥، مادة: برر.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص٤٠٤– ٤٠٥، رقم ١٥٩٣٠، وأخرج نحوه أبو نعيم في الحلية، ج١، ص ٣٧٤–٣٧٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ج١١، ص ٢٨١، رقم ٦٤٥٢، وأخرج ـ نحوه أيضاً ـ الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، ج٧، ص ١٩٢، رقم ٢٤٧٧.

(٥) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ج١، ص ٢٥٧.

فكانت هذه الصُّفَّة، وكان أهلها من أصحاب رسول الله ﷺ.

ولقد أراد المولى عز وجل أنْ يكون تجمعهم هذا أحد معالم الدولة الإسلامية الفتية، وأحد العناصر الفاعلة في تكوينها.

وفي ضوء تلكم الخصائص الثلاث المستخلصة من الأحاديث والآثار جاءت تعاريف متشابهة إلى حد كبير، من لَدُن المفسرين والمحدثين والمؤرخين والعلماء.

قال السُّدِّي ومجاهد، وغيرهما في تفسير الآية القرآنية ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ**﴾ الآية [1]: «المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم، ثم تتناول الآية كُلَّ من دخل تحت الصُّفَّة غابر الدهر؛ وإنما خَصَّ فقراء المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم، وهم أهل الصُّفَّة، وذلك أنهم كانوا يَقْدمون فقراء على رسول الله ﷺ، وما لهم أهل ولا مال فبُنيت لهم صُفَّةٌ في مسجد رسول الله ﷺ، فقيل لهم: أهل الصُّفَّة»[2].

وقال ابن سعد رحمه الله في «طبقاته»: «كان أهل الصُّفَّة ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ لا منازل لهم، فكانوا ينامون على عهد رسول الله ﷺ، في المسجد، ويَظلُّون فيه ما لهم مأوى غيره»[3]. ثم توالت بعد ذلك تعريفات متشابهة لأهل الصُّفَّة في تراث علمائنا السالفين[4].

نفقتهم: كانت نفقة أهل الصفة على أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «من كان عنده طعام اثنين فَلْيَذهبْ

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١٨٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٥٥.

(٤) حول هذه التعريفات انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ١٨٤، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ٣٧، والنووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٣، ص٤٩، وابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ١٩٥، والزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص ٣٢٥، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج٤، ٢٤١، ومحمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٩، ص ٦٨.

بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فَلْيَذهبْ بخامس أو سادس. أو كما قال»[١].

وفي قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع النبي ﷺ يصف فيها حالته المتردية من شدة ما أصابه من الجوع، أنّ النبي ﷺ قال له: «الْحَق إلى أهل الصُّفَّة فادْعُهُمْ لي، قال: وأهل الصُّفَّة أضْيَاف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أَتَتْهُ صدقةٌ بَعَثَ بها إليهم، ولم يَتَنَاوَلْ منها شيئًا، وإذا أَتَتْهُ هديةٌ أَرْسَل إليهم وأصابَ منها، وأشْرَكهم فيها...» الحديث[٢].

وقد وردت عدة أحاديث في كتب الحديث[٣] حول نفقة أهل الصُّفَّة، تؤكد جميعها على أنّ نفقة أصحاب الصُّفَّة كانت على الرسول ﷺ، وأصحابه البَرَرَة رضوان الله عليهم أجمعين.

عدد أهل الصُّفَّة:

لم تجزم أي من المصادر الحديثية أو التاريخية بعدد محدد لأهل الصفة، لكنها أكدت على أنهم لا يقلون عن السبعين بل يزيدون، وهذا ما يظهره لنا الحديث الذي رواه أبو هريرة، قال: «رأيتُ سبعين من أهل الصُّفَّة ما منهم رجلٌ عليه رداء، إمَّا إزارٌ وإمَّا كِسَاء...» الحديث[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٦، ص ٥٨٧، رقم ٣٥٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ج١١، ص ٢٨١، رقم ٦٤٥٢.

(٣) للاطّلاع على هذه الأحاديث، انظر: صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا دُعي الرجلُ هل يستأذن؟، ج١١، ص ٣١، رقم ٦٢٤٦، ومسند أحمد بن حنبل، ج١١، ص٢٩٠-٢٩١، رقم ١٣٧٨٨، و ج٩، ص ٥٣٦-٥٣٧، رقم ١٠٦٢٧، وسنن ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب النوم في المسجد، ج١، ص ٢٤٨، رقم ٧٥٢، وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب... ومن سورة البقرة، ج٧، ص ٢٧٩، رقم ٢٩٨٧، وسنن الترمذي ـ أيضاً ـ، كتاب صفة القيامة، ج٧، ص ١٩٢، رقم ٢٤٧٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، ج١، ص ٥٣٦، رقم ٤٤٢، وأخرج ـ نحوه ـ أبو نعيم في الحلية، ج١، ص ٣٧٧.

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قوله (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة) يُشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين»[1]. وقد مال إلى هذا العدد ـ أيضاً ـ العلامة محمد المباركفوري رحمه الله ولكنه شكَّكَ في ثباته بقوله: «وكانوا يقلون حيناً ويكثرون حينًا»[2]. وقد حدد عددهم محمد الزَّبيدي ـ رحمه الله ـ في «تاج العروس» في موضع بـ «٩٣»[3]، وفي موضع آخر بـ «٩٢»[4]. وأوصلهم الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ـ رحمه الله ـ إلى «٩٦» عدا من نفى نسبتهم إلى الصُّفَّة[5]. أما مجاهد والسُّدِّي فقد حددا عددهم بـ «٤٠٠» رجل[6].

ومن المعاصرين مَن أوصلهم إلى «٩٤» كأبي تراب الظاهري[7]، وأوصلهم أكرم ضياء العمري إلى «٥١»[8]، وممن ذكرهم أبو نعيم أحمد ابن عبد الله الأصفهاني ـ رحمه الله ـ في «حلية الأولياء» مضافًا إليهم ما توصل إليه من المصادر المعتمدة. ولا يدري ـ الباحث ـ كيف أَوْصَلَهم العمري إلى «٥١» فقط ناسباً قائمته هذه لأبي نعيم في «حلية الأولياء»، وأبو نعيم قد أوصلهم إلى «٩٦» عدا من نفى نسبتهم، كما مر معنا؟.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٥٣٦.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٦٧.

(٣) الزَّبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص ١٧٧.

(٤) المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٢٥، قال في هذا الموضع: «وقد سبق لي في ضبط أسمائهم، تأليف صغير سَمَّيتهُ «تحفة أهل الزُّلْفة، في التوسُّل بأهْل الصُّفَّة».

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص ٣٤٧ (انظر الملحق رقم ١).

(٦) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١١٤٨.

(٧) أصحاب الصفة. وقد ذكر المؤلف في الغلاف الداخلي للكتاب أن هذا الجزء هو الجزء الأول، ولم أستطع العثور على الجزء الثاني. ولا أدري إن كان أوصلهم إلى أكثر من هذا العدد في الجزء الثاني من كتابه ـ إن وجد ـ.

(٨) السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ج١، ص ٢٦٠ - ٢٦٣.

وقد بلغ عدد من تمكنت الباحثة تؤدة محمد الشريف من إحصائهم والترجمة لهم من أهل الصفة « ١٠٤ » من الصحابة[١].

وبلغ عددهم عند الباحث « ١٠٥ »[٢].

ومن أفضل وأجمع ما قيل في عددهم ما قاله الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ إذ قال: «لم يكن جميع أهل الصُّفَّة يجتمعون في وقت واحد، بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له، ويجيء ناسٌ بعد ناس. وكانوا تارةً يقلّون، وتارةً يكثرون، فتارةً يكونون عشرة أو أقل، وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر، وتارة يكونون ستين أو سبعين. وأما عن جملة مَنْ آوى إلى الصُّفَّة مع تفرقهم، فقد قيل: كانوا نحو أربعمئة من الصحابة. وقد قيل: أكثر من ذلك، ولم يُعرف كل واحد منهم»[٣].

دور أهل الصُّفَّة ووظيفتهم: كان لأهل الصُّفَّة تأثيرهم الكبير والمتميز في قيام الدولة الإسلامية الفتية في المدينة المنورة بقيادة الرسول صلوات ربي وسلامه عليه، وكان لنزولهم وتجمعهم في هذا المكان وقُرْبهم من الرسول المعلم القائد ﷺ أكبر الأثر في الاستفادة من جهودهم في تكوين معالم الدولة الجديدة.

وقد ورد ذكر آثارهم في النصوص التراثية في عدد من الأعمال التي تحتاجها دولة الإسلام، فقد كانوا رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار[٤]، طلابًا للعلم، خُدامًا

(١) تؤدة محمد الشريف، أهل الصفة: دورهم الحربي والسياسي والاجتماعي والديني في عهد النبوة وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) انظر الملحق رقم (١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج١١، ص ٤١.

(٤) انظر حول أثر أهل الصُّفَّة الجهادي: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص١١٤٨- ١١٤٩، في تفسير الآية الكريمة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، والأصفهاني، حلية الأولياء، ج١، ص ٣٧٣ في ترجمة: الصحابي صفوان بن بيضاء رضي الله عنه، ومحمد محمد حسن شرّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، وفيه تحليل واستنتاج مهمان حول عملهم الجهادي، وأكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الأولى،=

للقائد المصطفى ﷺ(١).

وما يهم الباحث في هذه الرسالة هو أثرهم العلمي: طلبًا، ودراسة، وحفظًا، ونشرًا، وتعليمًا.

أثر أهل الصُّفَّة العلمي:

كان لملازمة عموم الصحابة - رضوان الله عليهم - لرسول الله ﷺ الأثر الأكبر في نبوغهم العلمي، وتميزهم الفكري في شتى أنواع العلوم والمعارف، من علوم الفقه، والقضاء، والفرائض، والأنساب، والإيمانيات، والأخلاق، والسلوكيات، واللغة، والأدب، والعلوم العسكرية والجهادية.

وقد نَبَّه الإمام أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله، في كتابه «طبقات الفقهاء» إلى هذا المعنى فقال: «اعلم أنّ أكثر أصحاب رسول الله ﷺ الذين صَحبُوه ولازَمُوه كانوا فقهاء؛ وذلك أنّ طرق الفقه في حقِّ الصحابة، خطابُ الله عز وجل وخطاب رسوله ﷺ وما عُقل منها، وأفعال رسول الله ﷺ وما عُقل منها.

فخطاب الله عز وجل هو القرآن، وقد أُنزل ذلك بلغتهم وعلى أسباب عرفوها وقصص كانوا فيها، فعرفوا مَسْطُوره ومَفْهُومَه ومنصوصه ومعقوله؛ ولهذا قال أبو عبيدة في كتاب «المجاز»: لم يُنقل أنّ أحداً من الصحابة رجع في معرفة شيء من

= ص٩٦-٩٧، وتؤدة محمد الشريف، أهل الصفة، دورهم الحربي والسياسي والاجتماعي والديني في عهد النبوة وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، ص ٦٩-٩٨.

(١) انظر حول أثر أهل الصُّفَّة في خدمة المصطفى ﷺ: ما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص٥٩٥، رقم ٢٧٤٦٠ وفيه أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه - وهو من أهل الصفة - كان يخدم النبي ﷺ، وما أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العتق، باب في العتق على شرط، ج١٠، ص ٣٥٤، رقم ٣٩٢٧، وما أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج١، ص٣٦٨-٣٦٩ وفيه أنّ أم سلمة - رضي الله عنها - أعتقت «سفينة» رضي الله عنه وكان من أهل الصفة، شرط أن يخدم رسول الله ﷺ ما عاش، وما أخرجه أبو نعيم - أيضاً - في الحلية، ج١، ص٣٤٨، وج٢، ص ٣١-٣٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٢٨-٥٢٩ وفيه ترجمة «ثوبان» مولى رسول الله ﷺ، وأنّه خدمه إلى أن مات.

القرآن إلى رسول الله ﷺ.

وخطاب رسول الله ﷺ بلغتهم يعرفون معناه، ويفهمون منطوقه وفحواه. وأفعاله هي التي فعلها من العبادات، والمعاملات، والسِّير والسياسات. وقد شاهدوا ذلك كله وعرفوه وتكرر عليهم وتبحّروه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتمُ اهتديتم»؛ ولأن من نظر فيما نقلوه عن رسول الله ﷺ من أقواله، وما وَصَفُوه من أفعاله في العبادات وغيرها، اضطر إلى العلم بفقههم وفضلهم»[1].

وهذا، نتيجةٌ للملازمة العامة التي لازمها أصحاب رسول الله ﷺ له، فكيف يكون حال من لازمه ملازمة خاصة كأهل الصفة، وشافهه مشافهتهم، وشامّه مُشامّتهم، وخدمه خدمتهم، ليله ونهاره، حلِّه وترْحَاله، فرحه وحزنه، رضاه وغضبه، نومه ويقظته؟[2].

لذلك، كان عددٌ من أهل الصفة هم حُفّاظ علمه، وفقهاء شريعته، وترجمان أفعاله وتقريراته.

وقد كَشَفَ عن أثر تلك الملازمة في نبوغ أهل الصُّفَّة العلمي ما رواه مالك بن أبي عامر. قال: «جاء رجلٌ إلى طلْحة بن عُبيد الله، فقال: يا أبا محمد، أرأيت

(١) أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٢٧.

(٢) هذه الملازمة تظهر جليّةً للمتتبع لأقوال الصحابة من أهل الصُّفَّة ـ رضوان الله عليهم ـ في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، ومن هذه الأقوال: قول عبد الله بن حوالة: «كنا عند النبي ﷺ...» (ج٢، ص ٣)، وقول عبد الله بن أم مكتوم: «خرج علينا رسول الله ﷺ...» (ج٢، ص٤)، وقول عبد الله بن الحارث الزبيدي: «كُنا يومًا عند النبي ﷺ في الصُّفّة، فوضع لنا طعاماً...» (ج٢، ص٧)، وقول عمرو بن تغلب: «خرج [أي رسول الله ﷺ] إلى أهل الصفة ذات يوم...» (ج٢،ص١١)، وقول العرْباض بن سارية: «كان رسول الله ﷺ يخرج في الصفة وعليه الحوتكيّة..» (ج٢، ص١٤)، وقول واثلة بن الأسْقَع: «كُنا أصحاب الصُّفَّة في مسجد رسول الله ﷺ... إذ خرج علينا رسول الله ﷺ...» (ج٢، ص٢٢).

هذا اليماني - يعني أبا هريرة - [وهو من أهل الصفة، بل عريفهم الأوحد]، أهو أعْلَمُ بحديث رسول الله ﷺ منكم، نَسْمَعُ منْهُ ما لا نَسْمَعُ منكُم، أو يقولُ على رسول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ؟ قال: أمَّا أن يكون سَمِعَ من رسول الله ﷺ ما لم نَسْمَع عَنْه، وذلكَ أَنَّهُ كان مسكينًا لا شيءَ لهُ، ضيفًا لرسول الله ﷺ، يَدُهُ مَعَ يَد رسول الله ﷺ، وكُنَّا نحنُ أهل بيوتات وغنى، وكُنّا نأتي رسول الله ﷺ طَرَفي النَّهار. لا أشُكُّ إلا أَنَّهُ سمع من رسول الله ﷺ ما لم نَسْمَعْ، ولا تَجدُ أحداً فيه خيرٌ يقول على رسول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ»(١).

وفي رواية أخرى لأبي هريرة نفسه رضي الله عنه يدلل فيها على أنّ ملازمته لرسول الله ﷺ هي سبب إكثاره من رواية حديثه، فيقول: « ... وكنتُ امرءًا مسكينًا من مساكين أهل الصُّفَّة، ألْزَمُ النبي ﷺ على ملء بطني، فأَحْضُرُ حين يغيبون، وأعي حين يَنْسون »(٢).

وقد استثمر المعلم الأول رسول الله ﷺ تلك الملازمة من قبل أهل الصفة له في شَحْذ هِمَمِهِم نحو طلب العلم، وذلك يظهر في الحديث الذي رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه - وكان من أهل الصفة - قال: « خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن في الصُّفَّة فقال: « أيُّكُم يُحبُّ أنْ يَغْدُوَ كُلَّ يوم إلى بَطْحَانَ أو إلى العَقيق(٣)، فيأتي منه بناقتين كَوْماوَيْن(٤)، في غير إثم ولا قطع رحم؟ » فَقُلْنا: يا رسول الله، نُحبُّ ذلك. قال: « أفلا يَغْدُو أحَدُكم إلى المسجد فيعْلَم أو يَقْرأ آيتين من كتاب الله

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه، ج١٠، ص٢٥٢، رقم ٣٨٤٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج١، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) بَطْحَان والعَقيق: واديان من أودية المدينة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٦.

(٤) أصل الكوم: من الارتفاع والعلو، وناقةٌ كَوْماء: أي مُشْرفة السَّنام عاليته. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ٢١٠-٢١١.

عز وجل خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خَيْرٌ له من ثلاث، وأرْبعٌ خيرٌ له من أربع من أعدادهن من الإبل؟»(١).

واستثمرها ﷺ في توجيههم في كثير من أمور دينهم، فعن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أهل الصُّفَّة يُكَنَّى أبا رزين: «إذا خَلَوْت فَحرِّك لسانك بذكر الله، فإنك لا تزال في صلاة ما ذكرت ربك»(٢) الحديث.

وعن زُرْعَة بن عبد الرحمن بن جَرْهَد، عن أبيه، قال: كان جَرْهَدٌ هذا من أصحاب الصُّفَّة، أنه قال: «جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذي مُنْكَشفةٌ، فقال: أما علمتَ أنّ الفَخذَ عورةٌ»(٣).

وقد تفاعل أهل الصفة ـ رضوان الله عليهم ـ مع حثِّ رسول الله ﷺ لهم على طلب العلم، ومع توجيهاته النبوية الكريمة، فكانوا كثيراً ما يجلسون للتدارس والتعلم والتذاكر في حال حضوره ﷺ أو في حال غيابه(٤).

وكان نتيجة تلك الملازمة الشَّريفة وذلك الحثُّ النبوي الكريم وتلْكم المجالس العلمية المباركة، أنْ نبغَ عددٌ من أهل الصُّفَّة ـ رضوان الله عليهم ـ في عدد من العلوم، نستعرض أثرهم فيها بشيء من التفصيل:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ج١، ص٥٥٢، رقم ٢٥١، وأخرج ـ نحوه ـ أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، ج٤، ص ٢٤١، رقم ١٤٥٣، وأخرج ـ نحوه ـ أبو نعيم في حلية الأولياء، ج٢، ص٩٨.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج١، ص ٣٦٦.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحَمّام، باب النهي عن التعرِّي، ج١١، ص ٤٠، رقم ٤٠٠٩، وأخرجه أبو نعيم في الحلية، ج١، ص ٣٥٣.

(٤) انظر شواهد تلك المجالس في الحديثين اللذين أخرجهما أحمد في مسنده، ج١٢، ص٤٧٥، رقم ١٦١٠٨، و١٦١٠٩، وفي الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج١، ص ٣٥٥.

القرآن وعلومه:

ذُكر أنّ من نُقل عنه وجوه القراءة من الصحابة من أهل الصُّفَّة أربعة، وهم: سعد بن أبي وقاص، وحذيفة بن اليمان، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب (١).

وقد روي عن أحدهم، وهو أبو هريرة، أنه «أخذ القرآن عرضًا عن أُبي بن كعب»(٢) تفاعلاً منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع الحثّ النبوي ـ الذي سيأتي لاحقًا ـ ثم صار معلمًا للقرآن، فقرأ عليه [أيْ عَلَى أبي هريرة] أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، أحد القراء العشرة الأئمة (٣)، وقرأ عليه أيضاً عبد الرحمن بن هرمز الأعرج(٤)، وعن الأعرج أخذ القرآن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أشهر القراء السبعة(٥).

«وبهذا نعلم أن القراءة التي كانت الأكثر شهرة عند المسلمين، مدارها على أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وظاهر نص ابن الجزري أنه لا يشاركه أحد فيها»(٦)؛ إذْ يقول: «تنتهي إليه قراءة أبي جعفر ونافع»(٧).

وبهذا نعرف مدى عظمة أثر عريف أهل الصُّفَّة العلمي في الأجيال المتعاقبة في القرآن وعلومه.

وممن اشْتُهرت بَعَثاتهم من قِبَل رسول الله ﷺ لتعليم الناس القرآن ـ من أهل الصُّفَّة ـ: مصعب بن عمير، وعبد الله بن أم مكتوم (٨)، وأبو عبيدة عامر بن

(١) انظر: عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ٤٣.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص ٣٧٠.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨٢.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٠.

(٥) االمصدر السابق، ج٢، ص ٣٣٣.

(٦) عبد المنعم العزي: أقباس من مناقب أبي هريرة، ص ٤٦ (بتصرف).

(٧) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٣٧٠.

(٨) أخرج خبر بعثتهما البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ج٧، ص٢٥٩-٢٦٠، رقم ٣٩٢٥.

عبيد الله بن الجراح[١]، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد مر معنا خبر بعض هذه البعثات في «البعثات التعليمية الفردية».

أما من حاز قَصَب السَّبْق، وفاز بالقدح المعلى، ونال شهادة رسول الله ﷺ في هذا العلم من أهل الصُّفَّة ثلاثة وهم: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري. فقد ذُكر عن مسروق قوله: «ذُكر عبد الله [أي: عبد الله بن مسعود] عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجلٌ لا أزال أحبُّهُ بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسْتَقْرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، فَبَدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل. قال: لا أدري، بدأ بأُبَيّ أو بمعاذ»[٢].

«وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم؛ إما لأنهم كانوا أكثر ضبطًا له وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم لا أنه لم يجمعه غيرهم»[٣].

ومن الملاحظ أن تقديمه ﷺ لابن مسعود ولسالم مولى أبي حذيفة إشارةٌ إلى نبوغهما في هذا العلم - وكلاهما من أهل الصُّفَّة -؛ ولذلك عَلَّقَ ابن حجر على قول الراوي «فبدأ به» بقوله: «فيه أنّ التقديم يُفيد الاهتمام»[٤].

---

(١) أخرج خبر بعثته أحمد في مسنده، ج١١، ص١١٨، رقم ١٣١٥. وكان أبو عبيدة رضي الله عنه معدودًا فيمن جمع القرآن العظيم. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، ج٧، ص ١٠١، رقم ٣٧٥٨، وباب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ج٧، ص١٠٢، رقم ٣٧٦٠، وأخرجه - أيضاً - في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه، ج٧، ص١٢٥، رقم ٣٨٠٦، وباب مناقب أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه، ج٧، ص ١٢٦، رقم ٣٨٠٨، وأخرج - نحوه - الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ج١٠، ص٢٣٥، رقم ٣٨١٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص ١٠٢.

(٤) المصدرالسابق، ج٧، ص ١٠٢.

وقول الرسول ﷺ «استقرئوا» أي: اطلبوا القراءة[(١)]، وما كان لرسول الله ﷺ أَنْ يحث أصحابه على الأخذ من أولئك الأربعة من الصحابة إلاَّ لِـمَا استقر في قلبه وعقله من نبوغهم وتمكنهم من هذا العلم.

ومما يؤكد نبوغ سالم مولى أبي حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا العلم، ما رُوي عن ابن عمر أنّه قال: «لَـمَّا قَدمَ المهاجرون الأولون (العُصْبة) - موضعٌ بقباء - قبْل مَقْدَم رسول الله ﷺ كان يَؤُمهم سالم مولى أبي حذيفة، وكان أكثرهم قرآناً»[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: «وقوله (وكان أكثرهم قرآناً) إشارة إلى سبب تقديمهم له مع كونهم أشرف منه»[(٣)].

وفي رواية أخرى: «وفيهم: أبو بكر، وعمر، وأبو سلمة، وزيد، وعامر بن ربيعة»[(٤)]، «ووجه الدلالة منه إجماع كبار الصحابة القرشيين على تقدم سالم عليهم»[(٥)].

أما ثالثهم، أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، فقد قال له رسول الله ﷺ: «يا أبا موسى، لقد أُوتيت مِزْماراً من مزامير آل داود»[(٦)].

وممن عُرف بالنبوغ في هذا العلم من أهل الصفة - أيضًا - أبو الدرداء عويمر بن

---

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج١٠، ص ٢٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، ج٢، ص١٨٤، رقم ٦٩٢، وأخرج ابن سعد - نحوه - في طبقاته، ج٣، ص٨٧.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص ١٨٦.

(٤) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم، ج١٣، ص١٦٧، رقم ٧١٧٥.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص١٨٦. ومن الرسول ﷺ شهادة أخرى لحسن تلاوة سالم مولى أبي حذيفة، أخرجها ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب حسن الصوت بالقرآن، ج١، ص ٤٢٥، رقم ١٣٣٨.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حُسن الصوت بالقراءة للقرآن، ج٩، ص٩٢، رقم ٥٠٤٨، وأخرج مسلم في صحيحه - نحوه -، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ج١، ص ٥٤٦، رقم ٢٣٥-٢٣٦، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج١٠، ص ٢٦٧، رقم ٣٨٦٤،=

زيد، ومعاذ بن الحارث الأنصاري المعروف بالقارئ رضي الله عنهما، فقد رُوي عن الشعبي قوله: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة نفر» وذكر منهم أبي الدرداء عويمر [١]، وقد لقَّبه الإمام الذهبي رحمه الله بـ «سيد القرّاء بدمشق»، وقال: « .. وتصدر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان»[٢].

أما بالنسبة لأبي حليمة القارئ، فقد ساق أبو نعيم من خبر أبي بكر بن محمد، قال: «زارتنا عمرةٌ ابنة عبدالرحمن ليلةً، فقمتُ أُصَلِّي من الليل، فجعلتُ أخْفي قراءتي، فقالت لي: يا ابن أخي! ألا تَجْهَر بالقرآن، فإنَّهُ ما كان يُوقظنا بالليل إلا قراءةُ معاذ القارئ، وأَفْلَح مَوْلَى أَبي أيوبَ»[٣].

ومعاذ رضي الله عنه ممن أقامهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُصلُّون بالناس التراويح [٤].

وأيضاً، ممن اشْتُهر من أهل الصُّفَّة بقراءة القرآن، عُقْبَة بن عامر بن عبس الجهني[٥]، وقد عَدّ الذهبي رحمه الله منهم فَضَالة بن عُبَيْد الأنصاري من كبار القرّاء[٦].

وعلى هذا، نجد أن أربعة عشر صحابيًا من أهل الصُّفَّة اشْتُهروا بنبوغهم في القرآن وتمكنهم منه.

= وأخرج النسائي في سننه ـ نحوه ـ، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت، ج٢، ص ١٨٠-١٨١، رقم ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، وأخرج ابن ماجه ـ نحوه ـ في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، ج١، ص ٤٢٥-٤٢٦، رقم ١٣٤١، وأخرج الدارمي ـ نحوه ـ في سننه، ج١، ص ٣٤٩، و ج٢، ص ٤٧٢، وأخرج أحمد في مسنده، ج٩، ص ٣١٦-٣١٧، رقم ٩٧٦٨، وج ١٦، ص ٤٧٨-٤٧٩، رقم ٢٢٨٤٨، وص ٤٨٤، رقم ٢٢٨٦٥، وص٥٠٥، رقم ٢٢٩٢٩، وج١٧، ص ٢٢٩، رقم ٢٣٩٧٩، وص ٥٧٤، رقم ٢٥٢١٩.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٥٥.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٣٥.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٢، ص ٢١. وانظر: السخاوي، رُجْحَان الكفَّة في بيان نبذة من أخبار أهل الصُّفَّة، ص ٢٩٤.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص ١٩٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص١٠٩-١١٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٤٢٩، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٦٧.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١١٦.

الفقه والفتوى:

نَبَغَ من أهل الصُّفَّة في الأحكام الفقهية والفتوى، ثُلَّةٌ مباركةٌ - رضوان الله عليهم أجمعين - فمن هؤلاء: عبد الله بن مسعود، وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء عويمر بن زيد. فقد رُوي عن مسروق، قال: «كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأُبَيّ بن كعب، وأبو موسى الأشعري»[1]. وقد شام مسروق هؤلاء الستة فوجد علمهم انتهى إلى علي وعبد الله.

وقد رُوي عن يزيد بن عميرة أنه قال: لما حضر معاذ بن جبل الموت، قيل له: يا أبا عبدالرحمن، أوصنا. قال: «التمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام»[2].

ومنهم - أيضًا - عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فقد كانوا يرون أعلم الناس بالمناسك ابن عمر بعد ابن عفّان[3]. وقال مالك: «أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يُفتي الناس في الموسم، وكان من أئمة الدين»[4]، وكان يُعدُّ من فقهاء الأحداث[5].

ومنهم - أيضًا - أبو سعيد سعد بن مالك الخدري، فقد روى حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه، قالوا: لم يكن أحد من الأحداث وأصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري[6]. وقال عنه الإمام الذهبي - رحمه الله -: «الإمام المجاهد مفتي المدينة، كان أحد الفقهاء المجتهدين»[7].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٥١.

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص٤٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٢١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٧٣.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ٣٧٣.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٦٨.

وهناك رواية تُشير إلى تَصدُّر أبو ذر جُنْدب بن جنادة الغفاري - وهو من أهل الصُّفَّة - للفقه والفتوى، حيث يقول أبو مَرْثد: «جلست إلى أبي ذر الغفاري، إذْ وقف عليه رجل، فقال: ألَمْ يَنْهَك أمير المؤمنين عن الفُتْيا؟ فقال أبو ذر: «والله لو وضعتم الصمصامة على هذه، وأشار إلى حَلْقه، على أن أترك كلمةً سمعتها من رسول الله ﷺ؛ لأنفَذْتُها قَبْلَ أن يكون ذلك»[1].

وقد ذكر أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي رحمه الله[2] ثلَّة مباركة من فقهاء الصحابة من أهل الصُّفَّة غير ما ذكر الباحث، وهم على النحو الآتي:

سعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وفَضَالة بن عُبَيْد الأنصاري[3]، وأبو بَرْزَة الأسلمي[4]، وَوَاثلة بن الأسْقَع الليثي، وعُقْبَة بن عامر الجهني[5].

وبذلك يكون عدد من نَبَغَ في الفقه والفتوى من أهل الصُّفَّة خمسة عشر صحابيًا رضي الله عنهم أجمعين.

الحديث والرواية:

حفظ لنا الكثيرون من أهل الصُّفَّة حديث رسول الله ﷺ، وقد تَبيّن من الدراسات في هذا الموضوع أن غالبيتهم ممن روى عن النبي ﷺ.

وقد كان من المكثرين من رواية حديث رسول الله ﷺ أبو هريرة عبد الرحمن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٥٤.

(٢) أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤٦.

(٣) قال عنه الإمام الذهبي: «القاضي الفقيه.. ولي قضاء دمشق لمعاوية»، وقد روي أن أبا الدرداء عويمر بن زيد كان يقضي على دمشق، وأنه لما احتضر أتاه معاوية عائداً، فقال: من ترى للأمر من بعدك؟ قال: فَضَالة بن عُبَيْد. انظر: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١١٣.

(٤) واسمه: نَضْلة بن عبيد.

(٥) كان عالـمًا، قارئًا، فصيحًا، فقيهًا، فرضيًا، شاعرًا. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٦٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٤٢٩.

ابـن صخـر الدوسـي «الـذي سكـن الصُّفَّـة طوال المدة التي صحب فيها رسول الله ﷺ، منذ إسلامه وهجرته إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة، وحتى وفاة رسول الله»[1] بَلْ يُعدُّ رضي الله عنه أكثر الصحابة روايةً على الإطلاق، فقد «حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، لم يُلْحق في كثرته»[2].

وقد قال الشافعي رحمه الله: «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره»[3] كيف لا، وقد وثّقَه وشهد له بذلك ثلاثة من كبار الصحابة، فهذا ابن عمر يقول لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، أنتَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لرسول الله ﷺ، وأحْفَظَنَا لحديثه»[4]، وفي رواية أخرى: «أنتَ أعلمنا يا أبا هريرة برسول الله ﷺ، وأحفظنا لحديثه»[5].

ويَشْهَدُ له أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه فيقول: «إنّ أبا هريرة كان جريئًا على أن يسأَلَ رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره»[6].

وقد ذكر الباحث شهادة طَلْحة بن عبيد الله القرشي رضي الله عنه له في بداية الكلام عن أثر أهل الصُّفَّة العلمي.

ولقد بلغ مسنده كما قال الذهبي رحمه الله: «خمسة آلاف وثلاث مئة وأربعة وسبعون حديثًا»[7]، ولَقَّبه ـ رحمه الله ـ بـ«سيد الحُفَّاظ الأثبات»[8].

---

(١) تؤدة محمد الشريف، أهل الصفة: دورهم الحربي والسياسي والديني في عهد النبوة وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، ص١١٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٧٩.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٩٩.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه، ج١٠، ص ٢٥١، رقم ٣٨٤٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٦٣.

(٦) أحمد بن حنبل، المسند، ج١٥، ص ٤٦٥، رقم ٢١١٥٦.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٦٣٢.

(٨) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧٨.

وما كان ذلك ليكون لأبي هريرة لولا توفيق المولى عز وجل، ثم ملازمته للمصطفى ﷺ، وبركة دعاء الرسول ﷺ له. فقد روى الحاكم في «المستدرك» من حديث زيد بن ثابت قال: «كنت أنا وأبو هريرة وآخر عند النبي ﷺ، فقال: ادعوَا، فدعوتُ أنا وصاحبي وأمّن النبي ﷺ، ثم دعا أبو هريرة، فقال: اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي، وأسألك علمًا لا يُنْسَى، فأَمّنَ النبي ﷺ. فقلنا: ونحن كذلك يا رسول الله، فقال: سبقكما الغلام الدوسي»(١).

وكذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة نفسه، قال: «قلتُ: يا رسول الله، إني أسمعُ منْكَ حديثًا كثيرًا أنساهُ. قال: ابْسُطْ رداءكَ. فَبَسَطتُه، قال: فَغَرفَ بيديه، ثم قال: ضُمَّهُ. فَضَمَمْتُه، فما نَسيتُ شيئًا بعده»(٢).

ومن المكثرين من رواية حديث رسول الله ﷺ من أهل الصُّفَّة، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقد قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: «روى علمًا كثيرًا نافعًا عن النبي ﷺ»(٣)، وقد بلغ عدد أحاديثه في مسند بَقي بن مخلد «ألفان وست مئة وثلاثون حديثًا بالمكرر»(٤).

ومنهم - أيضًا - أبو سعيد سعد بن مالك الخدري رضي الله عنه، فقد «حدَّث عن النبي ﷺ، فأكثر وأطاب»(٥). وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقد «روى علمًا كثيرًا»(٦)، وله عند بَقيٍّ بالمكرر «ثماني مئة وأربعون حديثًا»(٧).

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج١، ص٢١٥، رقم ١١٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٠٤.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣٨.

(٥) المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٩.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ٤٦١.

(٧) المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٢.

المغازي والسير:

كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يُعلِّمون أولادهم مغازي رسول الله ﷺ، وممن تصدى لتعليم هذه المغازي والسير من صحابة أهل الصُّفَّة صهيب بن سنان رضي الله عنه، فقد كان يقول: «هَلُمّوا نحدثكم عن مغازينا؛ فأمَّا أَنْ أقول: قال رسول الله ﷺ. فلا»[1].

أثر أهل الصُّفَّة في نشر الكتابة وتعليمها:

ليس من الممكن أنْ تتم تلك الحركة العلمية المتميزة بين أهل الصفة، بكل أبعادها ومضامينها وآثارها في غياب الوسيلة الأهم، والطريقة الأمثل للتعلم، ألا وهي وسيلة الكتابة، بل على العكس من ذلك، فإن هذه الوسيلة في ظل هذا الزخم العلمي المتدفق، ستجد ـ حتماً ـ طريقها إلى الازدهار والانتشار.

لذلك نَجد صحابياً أنصارياً كريماً مثل عُبَادة بن الصَّامت رضي الله عنه يقول عن نفسه: «عَلَّمتُ ناساً من أهل الصُّفَّة القرآن والكتابة»[2] الحديث.

ولا شك في أن هذه المجموعة التي تعلمت الكتابة على يد عبادة قد مارست بدورها دور المعلم نحو عدد من أهل الصُّفَّة، أو أبناء الصحابة رضوان الله عليهم، وخصوصاً أن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين قد تبنوا سياسة تعليمية ملموسة لتعليم الكتابة، ونشرها بين الناس، سيأتي الباحث على ذكر شواهدها وآثارها فيما بعد.

ولكي نعرف حجم الأثر الذي أحدثته مدرسة أهل الصفة في نشر وتعليم الكتابة، فقد عمد الباحث إلى المقارنة بين قائمة أسماء الصحابة الكرام المعدودين في أهل الصُّفَّة وبين قائمة أسماء الكُتّاب في ذلك العهد[3]، التي تجمعت لدى

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٢٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم، ج٩، ص٢٢١، رقم ٣٤١٣، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن، ج٢، ص ٧٣٠، رقم ٢١٥٧، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص ٣٩١، رقم ٢٢٥٨٨.

(٣) انظر: فصل «الكَتَبَة في ذلك العهد» في آخر الرسالة.

الباحث من خلال قراءاته في العهد النبوي والراشدي، وكانت نتيجة المقارنة أن وجد الباحث شواهد تؤكد على معرفة أحد عشر صحابيًا من أهل الصُّفَّة الكتابة، بل إنَّ أحدهم قد عرف الكتابة العربية قبل الإسلام، وقد عُدَّ أربعة منهم رضي الله عنهم أجمعين من كُتّاب النبي ﷺ.

وهذا لا يعني بالضرورة أنّ بقيَّة أهل الصُّفَّة يجهلون الكتابة العربية، وفيهم من فيهم من العلماء، والقراء، والفقهاء، والفَرَضيين، وغير ذلك من العلوم التي قد تستلزم معرفة الكتابة العربية، ولكن الباحث يذكر ما وقع تحت يده من الشواهد، وهؤلاء الكُتَّاب من أهل الصفة هم على النحو الآتي:

١- أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري:

ذكر في «تاريخ الطبري»[١] أن جُنْدبًا كتب (صلح أذربيجان)، وذلك في سنة ٢٢ هـ.

٢- حذيفة بن اليمان:

ذكرت المصادر أنّه كان يكتب خرص ثمار الحجاز[٢]، وقد كان من كُتّاب النبي ﷺ، وقد ذكره من ضمن كُتّابه كل من: ابن عبد البر[٣]، والثعالبي[٤]، والقرطبي[٥]، وابن حديدة الأنصاري[٦].

٣ - أبو رَيْحَانة شمعون الأزدي:

ذكر أبو الحسين الرازي عن شيوخه الدمشقيين: أن أبا ريحانة شمعون الأزدي وولده كانا من كُتّاب الدمشقيين، وهو - أي أبي ريحانة - أول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجًا مقلوبًا[٧].

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٣٩-٥٤٠.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٦١، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٤.

(٣) انظر: ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٨٨.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٨.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ٨٨.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٣، ص ١٩٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٢٩٠.

٤ – أبو عبس، عبد الرحمن بن جبر الأنصاري:

صرح ابن قتيبة رحمه الله في «المعارف»: أن أبا عبس عبدالرحمن ابن جبر كان يكتب بالعربية قبل الإسلام[١]. ومن المحتمل أن يكون قد ساهم مع عبادة بن الصامت في تعليم أهل الصفة الكتابة، وخصوصًا أنه كان من كُتّاب النبيِّ ﷺ[٢].

٥ – أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي:

فقد جاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثًا عنه منِّي، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٣].

وفي قوله هذا إشعار بأنه كان يُتقنُ الكتابة، ويؤيد هذا الإشعار بيانه رضي الله عنه في رواية أخرى سبب عدم الكتابة وهو نهي الرسول ﷺ، وليس عدم معرفته الكتابة، حيث يقول: «ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه يكتب بيده ويعي بقلبه، وكنتُ أعي ولا أكتب، استأذن رسول الله ﷺ في الكتاب عنه فأذن له»[٤].

ويُؤيدهُ ـ أيضًا ـ ما أخرجه ابن وهب من طريق الحسن بن عمرو بن أمية، قال: «تحدث عند أبي هريرة بحديث، فأخذ بيدي إلى بيته، فأرانا كتبًا من حديث النبي ﷺ، وقال: هذا هو مكتوب عندي»[٥].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٢٦، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٤٥٠.

(٢) الباقلاني، الانتصار، ص ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٢٠٦، رقم ١١٣، وأخرج ـ نحوه ـ الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه، ج١٠، ص ٢٥٤، رقم ٣٨٥٠، وأخرج ـ نحوه ـ الدارمي في سننه، باب من رخص في كتابة العلم، ج١، ص ١٢٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج٩، ص ١٤٥، رقم ٩٢٠٣.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٢٠٧.

قال ابن عبد البر رحمه الله في معرض كلامه للجمع بين الروايتين: «ويمكن الجمع بأنه لم يَكتب في العهد النبوي، ثم كتب بعده»(١).

٦ - أبو سلمة، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي:

كان من كُتّاب النبي ﷺ، وقد ذكره في عداد كُتّابه ﷺ كل من: ابن مسكويه(٢)، وأبي محمد الدمياطي(٣)، وابن سيد الناس(٤)، والأنصاري(٥).

٧ - أبو موسى، عبد الله بن قيس الأشعري:

دل على اتقانه الكتابة كتابته لصلح أصبهان في سنة ٢١هـ، فقد أورد الطبري في «تاريخه» نص (صلح أصبهان)، وفي آخر كتاب الصلح «كتب وشهد عبدالله ابن قيس»(٦).

٨ - عُقْبة بن عامر بن قيس الجهني:

قال أبو سعيد بن يونس: «كان قارئًا، عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً، كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، قال: ورأيتُ مصحفه بمصر على غير تأليف عثمان، وفي آخره: كتبه عقبة بن عامر بيده»(٧).

وقد رجّحَ محمد مصطفى الأعْظمي(٨) أن يكون عقبة ضمن كُتّاب النبي ﷺ، مستنداً في هذا الترجيح على الخبر الذي ذكره ابن سعد رحمه الله في «طبقاته»

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٢٠٧.

(٢) انظر: ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١،ص ١٥٤، والمناوي، العجالة السنية، ص٢٤٦.

(٣) انظر: ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص ١١٥.

(٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ٤١٣.

(٥) ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص ١١٥.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٣٢.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٤٢٩. وقال الكندي في ترجمته: «وكان عقبة قارئًا فقيهاً مفرضاً شاعراً له الهجرة والصحبة والسابقة». انظر: الكندي، تاريخ ولاة مصر، ص٣٥.

(٨) كُتّاب النبي ﷺ، ص٩٣.

حول نص الإقطاع الذي أمر بكتابته الرسول ﷺ لعوسجة بن حرملة الجهني، وكُتب في آخره: «وكتب عقبة وشهد»(١).

٩ - أبو اليسر، كعب بن عمرو الأنصاري:

جاء في صحيح مسلم: أنه كانت له ضمامة من صحف يكتب فيها ما له من مال عند الآخرين(٢).

١٠ - كعب بن مالك الأنصاري:

يقول عن نفسه، عندما ساق قصة تخلفه عن غزوة تبوك المشهورة والمذكورة في الصحيحين: «... حتى إذا جاءني - أي رسول ملك غَسّان - دفع إليّ كتاباً من ملك غَسّان، وكنت كاتبًا...»(٣).

١١ - أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح.

وبعد، فقد ظهر لنا ماهية هذه الصفة، ومن هم أهلها، وكيف كانت مدرسة علمية متميزة، كان لها أثرها العلمي والفكري الرائد في أجيال المسلمين المتعاقبة، وكيف حفظت هذه المدرسة ثروة الأمة الإسلامية، ومصدر وجودها وعزها، من كتاب وسُنّة، وأحكام وحدود، وفقه وقضاء، ولغة وأدب، وأخلاق وسلوك، وكيف ساهمت في نشر وتعليم الكتابة العربية.

ولكن هل كانت هذه المدرسة هي المدرسة الوحيدة في تلكم المدة؟ أم كانت هناك مدارس أخرى؟.

المدارس الأخرى:

لقد كانت هناك مواضع أخرى تعدّ إلى حد كبير مركزًا دراسيًا ومَعْلَمًا تعليميًا أشبه ما يكون بالمدرسة، ومنها ما ذُكر في الخبر الذي أخرجه الإمام أحمد في

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٧١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، ج٤، ص٢٣٠١، رقم ٣٠٠٦.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، المغازي، ص ٦٥٦.

مسنده: «عن ثابت أنه قال: كُنَّا عند أنس بن مالك، فكتب كتابًا بين أهله، فقال: اشهدوا يا معشر القُرّاء، قال ثابت: فكأني كرهت ذلك، فقلتُ: يا أبا حمزة لو سميتهم بأسمائهم؟ قال: وما بأس ذلك إنْ أقل لكم قرّاء؟ أفلا أُحدِّثُكُم عن إخوانكم الذين كُنّا نسميهم على عهد رسول الله ﷺ القرّاء؟ فذكر أنهم كانوا سبعين، فكانوا إذا جنهم الليل انطلقوا إلى مَعْلَم لهم بالمدينة، [وفي رواية[1] «انتحوا ناحية من المدينة»] فيدرسون الليل حتى يصبحوا، فإذا أصبحوا فمن كانت له قوة اسْتَعْذَب من الماء، وأصاب من الحطب»[2] الخبر.

وكما قال ابن الأثير الجزري رحمه الله: «المَعْلَم» ما جُعل علامةً للطرق والحدود مثْل: أعلام الحرم، ومَعَالمه المضروبة عليه. وقيل «المَعْلَم»: الأثر[3].

فهذا إذن مركز دراسيٌّ، تعليميٌّ، مسائي آخر مُعلَّمٌ إما بسقيفة وإما ببناء مضروب عليه أو بإشارة، يجتمع فيه ثلةٌ مباركةٌ من أصحاب الرسول ﷺ للتدارس والتعلُّم.

وقد استخرج علي الخزاعي رحمه الله في «تخريج الدلالات السمعية» اتخاذ المدارس[4] مما ذكره الواقدي، وتبعه فيه ابن عبد البر رحمه الله[5]، من أنّ عبدالله ابن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري قَدِمَهَا [أي المدينة] بعد بدر بيسير، فَنَزلَ (دار القرّاء).

وقد أيّده في هذا الاستخراج، العلامة عبد الحي الكتاني رحمه الله[6]، وقد

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ج١١، ص١٨٧، رقم ١٣٣٩٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج١٠، ص ٤٤٤-٤٤٥، رقم ١٢٣٤٢.

(٣) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ٢٩٢، مادة «علم»، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٤١٩، مادة: «علم».

(٤) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٩٣.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ٩٩٧.

(٦) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص٥٦. وقد جمع العلامة الكتّاني بين روايتين مختلفتين ذكرهما ابن عبد البر حول هجرة عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه =

أوضح ابن سعد رحمه الله في «طبقاته» أين تقع (دار القرّاء) هذه فقال: «قدم [أي عبد الله ابن أم مكتوم] المدينة مهاجراً بعد بدر بيسير، فنزل (دار القرّاء)، وهي دار مخرمة بن نوفل»[1].

دار «رَمْلَة بنت الحارث»:

إنّ تكرار ذكر هذا الموضع في «السيرة النبوية» مرات عديدة، وفي مناسبات مختلفة، ولأغراض اجتماعية متباينة[2] يُخرج هذه الدار من صفة الخصوصية إلى صفة العمومية، ومن ما هو «شخصي» إلى ما هو «رسمي».

بعبارة أخرى، لم تكن هذه الدار تُسْتَغل في عدد من وظائف الدولة الإسلامية الفتيّة، إلا لكونها أشبه ما تكون بمعلم من معالم تلك الدولة، وليست داراً خاصة.

وقد كانت هذه الدار بمثابة (سجن)[3] للمذنبين في بعض الأوقات، وفي أوقات أخرى (دار لضيافة الوافدين)[4].

= وجعلهما رواية واحدة، فقال العلامة الكتاني ما نصه: «قَدِمَ المدينة مع مصعب بن عمير بعد بدر بيسير فنزل دار القراء» فوجه الخطأ ظاهر في هذا النص، حيث أن الثابت أنّ مصعب بن عمير رضي الله عنه قد بعثه النبي ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة النبوية، ليعلّم الناس، وينشر دعوة الإسلام، وقد أشار الباحث إلى ذلك في بعثات المعلمين في عهد الرسول ﷺ.

ونصُّ الروايتين اللتين ذكرهما ابن عبد البر هي كما يأتي: «واختلف في وقت هجرته إليها، فقيل: كان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: قدمها بعد بدر بيسير، فنزل دار القراء». انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ٩٩٧.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٢٠٥، وانظر: الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص ٤.

(٢) وقد أشار إلى هذا التكرار ابن حجر في «الإصابة» بقوله: «وتكرر ذكرها في السيرة». انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص ١٤٠.

(٣) انظر حول كون هذه الدار (سجناً) للمذنبين: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٦١، وج٧، ص ١٠١، فقد استمرت هذه الدار تؤدي هذه الوظيفة حتى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وانظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٧، ص ١١٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص١٤٠، وفي المصدرين الأخيرين ذكر حبس بني قريظة فيها.

(٤) انظر حول كون هذه الدار (داراً للضيافة): ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٩٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤.

وما يهم الباحث هنا هو أنّ معظم نزلاء هذه الدار هم من الوفود التي أقبلت للقاء رسول الله ﷺ، وإعلان الطاعة له، والإيمان برسالته، وتعلم أحكام الدين الجديد، من صلاة، وصيام، وفرائض الصدقات... إلخ، فلا يُستبعد أن تكون هذه الدار - مع كونها داراً للحبس أو للضيافة - مركزًا تعليميًا لنزلائها، ووعاءً تثقيفيًا وتربويًا لروادها، وخصوصًا أننا نرى هناك اقترانًا بين نزول هذه الدار وبين عملية التعليم في بعض المصادر، فنجد أنّ ابن سعد رحمه الله يروي في «طبقاته» أن وفد بني حنيفة نزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، وأجريت عليهم ضيافة... ثم يقول: «وكان رحال بن عُنْفُوة - أحد أعضاء هذا الوفد - يتعلم القرآن من أُبَيّ بن كعب»[1]. ونجده - أيضًا - يروي عن وفد «الرهاويين» فيقول: «... فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، فأتاهم رسول الله ﷺ، فتحدث عندهم طويلاً..»[2]، ثم يقول: «... فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض...» إلى غير تلك الإشارات التي سيأتي الباحث الآن على ذكر بعض منها في مبحث «تعليم الوفود».

تعليم «الوفود»:

لم يكن لمعظم قبائل الجزيرة العربية من بُدٍّ في أَنْ تعلن الطاعة لرسول الله ﷺ، وتُقبل على اعتناق الدين الذي جاء به بعد أن تحقق له النصر والتمكين، وبعد دخوله إلى مكة، موطنه الأول في العام الثامن للهجرة فاتحًا، منتصراً، معلنًا بذلك بداية عهد جديد، وتمكين أمة عظيمة، كان لها أكبر الأثر في تحديد معالم التاريخ. وخاصة أن تلك القبائل كانت تقدم رِجْلاً وتُؤخّر أخرى في اتِّباع هذا النبيّ، واعتناق دينه الجديد، وجعلت الفَيْصَل في ذلك نتيجة الحَسْم الأخيرة بينه وبين قومه.

وقد كانت هناك وفود عربية قد أقبلت للقاء الرسول ﷺ، وإعلان إسلامها قبل

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣١٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٤. ولن يكون حديث رسول الله ﷺ لهم، إلاّ تعليمًا وارشاداً وتوجيهًا وتذكيراً.

الفتح، مثل: وفود «أشجع»[١]، و«سعد بن بكر»[٢]، و«مزينة»[٣] حيث أقبلت في العام الخامس من الهجرة، ووفد «بني عبس»[٤]، ووفود «الأشعريين»[٥]، و«خشين»[٦]، و«دوس»[٧] حيث أقبلت في العام السابع من الهجرة. وهناك من الوفود من أقبلت في نفس عام الفتح، العام الثامن من الهجرة، مثل وفود: «ثعلبة»[٨] (مقدمه ﷺ من الجعرانة)، و«صداء»[٩] و«عبد القيس»[١٠] و«ثقيف»[١١] (بُعيد الفتح)، و«جرم»[١٢] (بُعَيْد الفتح)، و«سليم»[١٣] (قبيل الفتح).

ومن الطبيعي، أن تنشط الحركة التعليمية كلما أقبل وفد من هذه الوفود، خلال تلك الأعوام، وتزداد هذه الحركة نشاطًا كلما زاد عدد هذه الوفود وزاد عدد أعضائها.

فقد كانت هذه الوفود تمكث بعد إسلامها مدة من الزمن[١٤] تتعلم خلالها القرآن والفرائض والعبادة والسنن.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٠٦، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٩٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٩٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٩١، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٤٥.

(٤) ذكر الواقدي: أنّ رسول الله ﷺ بعثهم يرصدون عيرًا لقريش قدمت من الشام؛ فاستدلّ ابن كثير من هذا القول تقدم وفادتهم على الفتح. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٩٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٤٨، وابن كثير، البداية والنهاية،ج٥، ص ١٠٠.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٢٩، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ١٠٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٧٣.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٩٨، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٩٤.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٢٦.

(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣١٤-٣١٥، وابن كثير، البداية والنهاية،ج٥، ص ٥٠.

(١١) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ١٠٥.

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٦٦.

(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٠٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥،ص ٩٧.

(١٤) قد اختلفت المدة الزمنية لمكوث الوفود في المدينة من وفد لآخر حسب حال كل وفد وظروفه،=

فهذا وفد «الرهاويين»[(١)] كان قدومهم على النبي ﷺ سنة عشر، فأسلموا، وأجازهم الرسول ﷺ كما يُجيز الوفد، وتعلموا القرآن، والفرائض، ورجعوا إلى بلادهم.

والشيء نفسه حدث مع قوم الأقرع بن حابس، فقد «أسلموا، وأقاموا عند النبي ﷺ، يتعلمون القرآن، ويتفقهون في الدين، ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم»[(٢)].

وكذلك وفد «بهراء» من اليمن «أتوا النبي ﷺ، فأسلموا، وتعلموا الفرائض والسنن»[(٣)].

وتشير بعض المصادر إلى أن الرسول ﷺ قد أسند مهمة تعليم بعض الوفود إلى أحد أصحابه، وشاهد ذلك ما أخبر به ابن سعد رحمه الله في «طبقاته» بسنده إلى غير واحد من أهل العلم، قالوا: «قدم وفد غامد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان، وهم عشرة، فنزلوا ببقيع الغَرْقد، ثمّ لبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، وأقروا بالإسلام، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا فيه شرائع الإسلام، وأتوا أُبَيّ بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم رسول الله ﷺ، كما يجيز الوفد، وانصرفوا»[(٤)].

وفي بعض الأوقات كان ﷺ يجمع بين تعليمه هو بذاته الوفود، وبين إسناد هذه المهمة إلى أحدٍ من الصحابة، وهذا ما حدث مع وفد خولان، حيث «سألوا رسول الله ﷺ عن

= فقد مكثت بعض هذه الوفود عشرة أيام، مثل: وفدي «الأزد» و «عبد القيس»، ومكث وفد «بلي» ثلاثة أيام، ومكث وفد «ثقيف» سنة كاملة، ومعظم هذه الوفود لم تقطع المصادر بمدة زمنية محددة لمكوثها، بل أطلقت القول بأنها كانت تمكث «أيامًا» مثل وفود: حنيفة، وخولان، وبهراء، والرهاويين، وسلامان، وعذرة، وغامد. (انظر جدول الوفود: ملحق رقم٢).

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٤٤، والطبقة الرابعة، ج٢، ص٧٧٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٦، ص ١٦- ١٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ١٥٦- ١٥٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٣١.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٥.

أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها وأمر من يعلمهم القرآن والسنن»[١].

وقد كانت هذه الوفود ـ فيما يبدو ـ تخضع للتقييم المستمر لمستوى التحصيل العلمي، والحرص عليه من قبل الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ويظهر لنا ذلك بجلاء في قصة وفد ثقيف[٢]، حيث يروي لنا الطبري ـ رحمه الله ـ في أحداث السنة التاسعة أن وفد ثقيف «لما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أَمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سِنّاً، وذلك أنّه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنِّي قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن»[٣].

وفي «تاريخ المدينة» لابن شَبَّة أنّ «رسول الله ﷺ استعرضهم، فَفَضَلَهُم أحدُهم بسورة البقرة وسورة معها، فأمّره عليهم، وقال: إنك لأَحْدثهم، ولكني أمّرتك عليهم لما فضلتهم من القرآن»[٤]، ثم أوصاه وصايا أخرى.

وكأنِّي بالرسول ﷺ، ورفيقه رضي الله عنه، فضلاً عن التقييم، يُريدان أن يُرسِّخَا في عقل ووجدان كل داخلٍ في هذا الدين بأن العلم أساسٌ ثان من أسَاسَي التمايز فيه مع التقوى.

ومن الوفود التي مكثت تتعلم في المدينة مدة من الزمن وفد «بَليّ»، فقد

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٢٤.

(٢) كان أعضاء هذا الوفد، هم «عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وعثمان بن أبي العاص، وبشير بن عبد دُهمان أخو بني يَسَار، وأوس بن عوف أخو بني سالم، ونُمَير بن خَرَشة بن ربيعة أخو بلحارث، والحكم بن عمرو بن وهب ابن معتِّب، وشَرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتِّب». انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ١٨٠.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ١٨٠-١٨١. وفي ثناء أبي بكر رضي الله عنه على هذا الغلام إشارة إلى تعليمه إيّاه، ويؤكد ذلك ما ورد في «تاريخ المدينة» لابن شبّه، بأن عثمان بن أبي العاص، كان يختلف إلى رسول الله ﷺ مرَاراً حتى فَقهَ وعَلم، وكان إذا وجد النبي ﷺ نائماً عمد لأبي بكر رضي الله عنه. انظر: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٥٠٢.

(٤) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٥١٥.

«أسلم القوم وسألوا رسول الله ﷺ عن الضيافة، وعن أشياء من أمر دينهم، فأجابهم»[١]، وكذلك وفد «جرم» فقد «تعلموا القرآن وقضوا حوائجهم»[٢]. وبعض القبائل بعثت موفدين عنها، فقد «بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة فسأل النبي ﷺ وأغلظ له في المسأله، وسأله عن شرائع الإسلام»[٣].

ولما «صلى الظهر ﷺ في أحد الأيام من شهر شوال من العام العاشر للهجرة، جلس بين المنبر وبيته، فتقدم إليه وفد سلامان، وسألوه عن أمر الصلاة، وشرائع الأحكام، وعن الرقى...»[٤].

وسأله ﷺ وفد جيشان عن أشربة تكون باليمن، فَسمُّوا له البِتْع من العسل، والمِزْر[٥] من الشعير[٦]. وجلس إليه ﷺ وفد الصَّدِف وسألوه عن أوقات الصلاة[٧]، وسأله - أيضاً - وفد عذرة عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها[٨].

ولم تكن تلك الأسئلة والاستفسارات والإجابة عليها إلا جزءاً من العملية التعلمية الخاصة بوفود العرب، وإذا عُرِف أن عدد وفود العرب القادمة على رسول الله ﷺ قد بلغ قرابة «السبعين» وفداً[٩]، عُرِف من ذلك مدى ما كانت تمثله تلك الوفود من مظهر فعّال من مظاهر الحركة التعليمية خلال سنوات الوفادة المختلفة التي ذكرها الباحث آنفاً.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٩.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٢.

(٥) البِتْع: نَبيذ العسل وهو خمر أهل اليمن، وقد تُحرك التاء. والمِزْر: نبيذ يتخذ من الذُّرة. وقيل: من الشعير أو الحنطة. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٩٤، مادة: «بَتَع»، وج٤، ص٣٢٤، مادة: «مزر».

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ١٠٠.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٣١.

(٩) انظر: المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١ – ٣٥٩.

التعليم الفردي:

أما بالنسبة لسياسة التعليم الفردي، فكان ﷺ سيد الخلق وأعلمهم بأحوالهم، وكان يَعْلم ﷺ أن أَقْوى وسائل الاتصال والتأثير وسيلة الاتصال الشخصي أو الفردي.

فقد كان ﷺ حريصًا على تطبيق هذه السياسة التعليمية، وعلى أَنْ يَقُودَ عملية تطبيقها بنفسه وخاصةً في بداية دعوته.

ونرى حرصه ﷺ في ذلك واضحًا وجليًا في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه: «كنتُ يافعًا أرعى غنَمًا لعقبة بن أبي مُعَيْط بمكة فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر، وقد فَرَّا من المشركين، فقالا: يا غلام، هل عندك لبن تسقينا؟ قلتُ: إنِّي مُؤتَمَن ولست بساقيكما. فقالا: هل عندك من جَذْعة لم ينزّ عليها الفحل؟ قلتُ: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر، وأخذ النبيُّ ﷺ الضَّرْع فَدَعا، فحفل الضّرعُ، وأتاه أبو بكر بصخرة مُنْقَعِرة، فحلب فيها، ثم شربا وسقياني ثم قال للضَّرْع: «اقلص» فقلص. فَلَمَّا كان بَعْدُ، أتيتُ رسول الله ﷺ، فقلتُ: عَلِّمني من هذا القول الطيِّب، يعني القرآن. فقال: إنَّك غلام معلَّم، فأخذتُ من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد»(١).

واستمر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في تَلَقِّي العلم والقرآن من الرسول ﷺ، إلى أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى. ممثلاً بذلك نموذجًا حيًّا لسياسة التعليم الفردي التي قادها الرسول المصطفى ﷺ.

وهذا ما رواه شقيق بن سلمة، قال: «خَطَبَنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت منْ فِيِّ رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنِّي من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، السيرة النبوية، ص ١٤٢-١٤٣؛ وأخرج ـ نحوه ـ أحمد في مسنده، ج٤، ص ٢٤٩، رقم ٤٤١٢. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، ج٣، ص ٥٠٥، رقم ٣٥٩٩.

الحِلَقِ أسمع ما يقولون فما سمعتُ رادًا يقول غير ذلك»[١]. وفي رواية أخرى يرويها مسروق: «قال عبد الله [أي ابن مسعود] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والله الذي لا إله غَيرُه، ما أنزلتْ سورةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلمُ أينَ أُنزلتْ، ولا أُنزلتْ آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فِيمَ أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم منّي بكتاب الله تُبَلِّغهُ الإبلُ لَرَكبتُ إليه»[٢].

ومن النماذج الأخرى في هذا السياق ما رواه «الزُّبير بن بكار في أخبار المدينة عن عمر بن حنظلة أنّ مسجد بني زُرَيْق أول مسجد قُرِأ فيه القرآن، وأن رافع بن مالك لَـمّا لَقِيَ رسول الله ﷺ بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خَلَتْ، فقدم به رافعٌ المدينة ثم جمع قومه، فقرأ عليهم في موضعهْ [أي موضع مسجد بني زُرَيق]، قال: وعجب النبي ﷺ من اعتدال قبلته»[٣]، وحكى ابن إسحاق أنّ رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف[٤].

وما قضاه رسول الله ﷺ مع رافع بن مالك من وقت لتعليمه قرآناً نزل خلال عشر سنوات كاملة إلا دليل قوي على حرص الرسول ﷺ الشديد على تعليم كلِّ راغب في هذا الدين، محبٍّ له. وممن اهْتمَّ الرسول ﷺ بتعليمهم أُبَيّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أُبَيٌّ أَقْرَؤنا، وإنَّا لَنَدَعُ منْ لَحْن أُبَيٍّ، وأُبيٌّ يقول: أَخَذْتُهُ منْ فيِّ رسول الله ﷺ فلا أتْرُكه لشيء...»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القرّاء من أصحاب النبي ﷺ، ج٩، ص٤٦، رقم ٥٠٠٠.

(٢) المصدر السابق، ج٩، ص٤٧، رقم ٥٠٠٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣٧٠. وقد جاءت العبارة الأخيرة في كتاب «التراتيب الإدارية» للعلامة عبد الحي الكتّاني على النحو الآتي: «وعجب النبي ﷺ من اعتدال قَلبِه» جاعلاً الضمير عائداً على رافع بن مالك، وقد نقل الباحث ما أثبته ابن حجر منْ أنّ الكلام يتعلق بقبلة المسجد لا بقلب رافع بن مالك.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٣٧٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القُراء من أصحاب النبي ﷺ، ج٩، ص ٤٧.

واستمر الرسول ﷺ يقود عملية التعليم بنفسه ـ ولا سيما في العهد المكي ـ حتى إذا ما تمت الهجرة، واشتد ساعد الدعوة الإسلامية، واستوت على سوقها وكثر خريجو مدرسته من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتكاثرت عليه مشاغل الدولة الفتيّة في المدينة المنورة، دفع المهاجر إليه أو الراغب في التعليم إلى أحد صحابته رضوان الله عليهم، وهذا ما يُخبرنا به عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فيقول: «كان رسول الله ﷺ يُشْغَل، إذا قدم الرجل مهاجراً على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجلٍ منّا يُعلِّمه القرآن، فدفع إليّ رسول الله ﷺ رجلاً، وكان معي في البيت أُعشّيه عشاء أهل البيت، فكنتُ أقرئه القرآن...»[١].

وقد تأتي عملية تكليف معلم معين من الصحابة بناءً على طلب المتعلم، كما حدث مع أبي ثعلبة حين قال يحكي عن نفسه «لقيتُ رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله ادفعني إلى رجل حسن التعليم، فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم قال: دفعتك إلى رجل يُحسن تعليمك وأدبك»[٢].

ويلاحظ من هذا الخبر أنه لا يكفي للمعلم في ذلك العهد أن يكون مُلمّاً ومتمكنًا في العلم الذي يُعلِّمه فحسب، بل لابد من توافر عناصر نجاحه في الإفهام، وأسلوب التعليم، وإيصال المعلومة، وهذا يُفهم من قوله: «حسن التعليم».

وقد كان فيمن نزل إلى النبي ﷺ من الطائف وَرْدَان بن يزيد بن وَرْدَان، فيذكر أن النبي ﷺ أسلمه إلى أَبَان بن سعيد بن العاص؛ ليموّنه ويعلمه القرآن[٣].

وكذلك إبراهيم بن جابر كان عَبْداً لِخَرْشَةَ الثَّقفي، وقد نزل إلى النبي ﷺ من حِصْنِ الطائف في جملة من نزل من عبيدهم أيام حِصَارهم، فأعتقه، ودفعه إلى أُسَيْد بن حُضَيْر وأمره أن يمونه ويعلمه[٤].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٠، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج٢٥، ص ٤٦٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ٤٧٤.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ١٧١-١٧٢.

وقد كان رحّال بن عُنْفُوة من وفد بني حنيفة، يتعلم القرآن من أُبَيّ بن كعب[1]، كما مر معنا.

وهذا رِفَاعَة بن زيد الجذامي قدم على رسول الله ﷺ وافداً، فأسلم وأجازه النبي ﷺ، وأقام بالمدينة أياماً يتعلم القرآن[2].

ومما رُوي عن عبد الله بن سعيد بن العاص أنه كان يُعلِّم الحكمة بالمدينة[3]، وذلك في عهد الرسول ﷺ؛ لأنه استشهد رضي الله عنه في غزوة مؤتة[4]، ولم يكن ليُعلِّمَ إلا بموافقةٍ صريحة أو ضمنية من رسول الله ﷺ.

ولا يعني ذلك أن رسول الله ﷺ لم يستمر في عملية التعليم بنفسه، فكيف ذلك وقد جعل المولى عز وجل في كتابه العزيز - كما مر معنا - في عدد من المواضع[5] مهمة التعليم من مهام رسول الله ﷺ الأساسية، ويروى في حديث في إسناده ضعف قوله ﷺ: «...وإنما بُعثت معلماً»[6]. وشاهد ذلك الاستمرار ما رواه ابن سعد في «طبقاته» أنّ عبد الله بن عوف الأشج حينما قدم على رأس وفد عبد القيس، كان يُسائل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن، وكان قدوم هذا الوفد في أواخر حياته ﷺ في العام التاسع من الهجرة[7].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٣٥. وقد ذكره ابن حجر بالجيم المشددة «رجّال»، وقال: «وضبطه عبد الغني بالمهملة، قال الأمين: الأكثر على أنه بالجيم». انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٤٤٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٣٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص ٥٦-٥٧.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص ٢٦٣.

(٥) سورة البقرة: آية ١٢٩، و١٥١. وسورة آل عمران: آية ١٦٤. وسورة الجمعة: آية ٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج١، ص٨٣، رقم ٢٢٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣١٥، وانظر حول قصة هذا الوفد: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٥٠-٥٢.

السياسة التعليمية للخلفاء الراشدين:

الجانب النظري في السياسة التعليمية للخلفاء الراشدين:

لقد استمر الجانب النظري في السياسة التعليمية في عهد الخلفاء الراشدين كما كان على عهد الرسول ﷺ، وظَلَّت توجيهاتهم التعليمية في الحثِّ على التعلم تقرع آذان المسلمين وترسل إلى الأمصار. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يحث الناس على تعلم السُّنَّة، فيروى عنه أنه قال: «تعلموا السنة والفرائض»[1]، ويحث رضي الله عنه في مواضع أخرى على تعلم إعراب القرآن: «تعلموا إعراب القرآن، كما تعلمون حفظه»[2]، ويقول رضي الله عنه: «تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلموا النسب؛ فرب رحم مقطوعة قد وُصلت بمعرفة نسبها»[3].

وحول تعلم النسب والقرآن يقول في إحدى خطبه: «يا معشر المسلمين، تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، وتعلموا القرآن تُعرفوا به، واعملوا بما فيه تكونوا من أهله»[4].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل بالحث على التعلم إلى الأمصار، فهذا عثمان المهريُّ يقول: «أتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونحن بأذْرَبيجان يأمرنا بأشياء، ويذكر فيها: تعلموا العربيَّة، فإنها تثبِّت العقل، وتزيد في المروءة»[5]. ويُروى عن الشعبي أنه قال: «أنّ عمر كتب إلى أهل الأمصار، أو قال إلى أهل الشام: أنْ عَلِّموا أولادكم الفروسية والعوم، وروُّوهم الشعر»[6].

وبلغ من حرصه رضي الله عنه على الحث على التعلم، قوله: «لا يبيع في سوقنا هذا إلا من تفقه في الدين»[7].

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص ١١٦٢، رقم ٢٣٠٢.

(٢) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٩، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ٧٩٧-٧٩٨.

(٤) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٢٥٠.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٢٠٥.

(٦) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٢٥٤.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ج٢، ص٥٢٣، رقم٤٨٧، والكاندهلوي، حياة الصحابة، ج٤، ص١٠.

وتشير بعض المصادر إلى مدى التواصل الحميم بين السياستين النبوية والراشدية، وخير شاهد على ذلك خبر عبد الرحمن بن أبي أَبْزَى الخزاعي، ومفاده «أنّ نافع بن عبد الحارث لَقِيَ عُمَرَ بعُسفَان، وكان عُمر يستعملهُ على مكة. قال: من استعملتَ على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبْزَى. قال: ومن ابنُ أبْزَى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفْتَ عليهم مولى؟ قال: إنهُ قارئٌ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالمٌ بالفرائض. قال عُمر: أما إنّ نبيكُم ﷺ قدْ قال: إنّ الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»(١).

وإضافة إلى ما يُشير إليه هذا الحديث من التواصل المذكور آنفًا، فإنه يؤكد على حقيقة مهمة، أكد عليها القرآن الكريم في مواضع عدة، وذكرها الباحث في مواضع سابقة، من أن العلم في الإسلام أساسٌ ثان من أساسيْ التمايز فيه مع أساس التقوى.

وأخرج ابن عبد البر رحمه الله عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «تعلموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا» وفي رواية: «تعلموا من النجوم ما تهتدون بها، وتعلموا من الأنساب ما تتواصلون بها»(٢).

ولم ينس عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ توجيه الصحابة وعامة المسلمين إلى بعض العوائق التي تعترض طلاب العلم، فيقول: «ألا إنّ أصدق القيل قيل الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، ألا إنّ الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم»(٣).

وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذا الباب: «قد علمتُ متى صلاح الناس ومتى فسادهم: إذا جاء الفقه من قِبَل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قِبَل الكبير

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، ج١، ص٥٥٩، رقم ٢٦٩، وأخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين، ج٢، ص ٤٤٣، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص٢٦٧، رقم ٢٣٢، وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، ج١، ص٧٩، رقم ٢١٨، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص١٧٣.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص ٧٩١، رقم ١٤٧٤.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٦١٥، رقم ١٠٥٤.

تابعه الصغير فاهتديا»[١].

وكان لكبار الصحابة في عصر الخلفاء الراشدين آراؤهم وتوجيهاتهم التعليمية المتميزة التي أسهموا من خلالها في إثْراء الجانب النظري، وإرساء القواعد التنظيرية للسياسة التعليمية في ذلك العهد، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «لا يزال الناس مستمسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من الصغار فعند ذلك هلكوا»[٢].

وأخرج ابن عبد البر رحمه الله في «جامع بيان العلم»، عن معاوية رضي الله عنه قال: «إنَّ أغرى الضلالة لَرَجلٌ يقرأ القرآن فلا يفقه فيه، فيعلِّمه للصبي والعبد والمرأة والأمة، فيجادلون به أهل العلم»[٣].

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنّه لما حضرته الوفاة، قال: يا بني، إني أنهاكم عن ثلاث فاحتفظوا بها: لا تقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من ثقة...»[٤].

وأخرج ابن سعد رحمه الله أنّ أبا المهلب قال: «سمعتُ أبا موسى على مِنْبَرِه، وهو يقول: من عَلَّمه الله عِلْمًا فَلْيُعَلّمْه، ولا يقولنّ ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين»[٥].

ويُثني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على مجالس العلم والحكمة، فيقول: «نِعْمَ المجلس مَجْلسٌ تُنشرُ فيه الحكمة، وتُرجى فيه الرحمة»[٦].

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٦١٥-٦١٦، رقم ١٠٥٥-١٠٥٦.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع البحرين في زوائد المعجمين، كتاب العلم، باب طلب كل علم من أهله، ج١، ص ٢٠٩-٢١٠، رقم ٢٢٠.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص ١٢٠٣، رقم ٢٣٦٥.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب أخذ الحديث من الثقات، ج١، ص١٤٠. وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وفي إسناده ابن لهيعة، ويحتمل في هذا ضعفه».

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ١٠٩-١١٠.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٢٢٤، رقم ٢٤٤.

وأخرج ابن عبد البر رحمه الله ـ أيضًا ـ في «جامع بيان العلم» عن أبي جُحَيْفة قال: «كان يُقال: جالس الكبراء، وخالل العلماء، وخالط الحكماء»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم»(١)، زاد أبو نعيم في «الحلية»: «ومجلسه»(٢).

الجانب العملي في السياسة التعليمية للخلفاء الراشدين:

لم تكن سياسة الخلفاء الراشدين التعليمية في جانبها العملي لتختلف عن سياسة الرسول ﷺ، وهم أوائل خريجي مدرسته، إلا أن حركة الجهاد الإسلامي قد تواصلت بعد وفاة الرسول ﷺ، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية اتِّساعًا كبيرًا، حتى وصلت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مدينة طرابلس ـ من مدن الشمال الأفريقي ـ غربًا، ومدن بَلْخ ومَرْو وهراة ـ من بلاد فارس ـ شرقًا، واستمرت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في الاتِّسَاع حتى وصلت إلى سواحل البحر الأسود شمالاً، وإلى بَلْخ وكَابُل وبلاد السند شرقًا، وإلى مدينة القيروان غربًا. كل هذا الاتساع، إضافة إلى دخول الشعوب والعرقيات المختلفة في دين الله أفواجاً، جعل مهمة التعليم ونشره مهمةً أصعب، وتحتاج إلى جهد أكبر، فعمد الخلفاء الراشدون بمعاونة كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إلى عدد من الأمور، كان من أهمها:

بَعثات المعلمين من الصحابة رضوان الله عليهم:

والحال ـ كما رأينا آنفاً ـ من اتساع رقعة الدولة الإسلامية اتساعًا كبيرًا في زمن قياسي، فكان لابد من الاهتمام ببعثات المعلمين ومضاعفتها، وكانت الخطوة الأولى لمواجهة هذا العائق الجغرافي، هو إِسْنَاد مهمة التعليم إلى أمراء الأمصار التي أصبحت تحت الحكم الإسلامي وإلى قادة الجيوش الفاتحة، وهذا ما يُسْفِرُهُ لنا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للربيع بن زياد الحارثي، وكان قد وفد إليه: «إني لم أستعمل

(١) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٥٠٨، رقم ٨١٤.

(٢) أبو نعليم، حلية الأولياء، ج١، ص ٢١١.

عليكم عُمّالي ليضربوا أبشاركم، وليشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم»(١).

ويؤكد ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إحدى خطبه في أواخر أيام حياته، فقد قال في خطبته: «اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، فإني بعثتهم يعلمون الناس دينهم وسنة نبيهم»(٢).

بل كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبعث مع الجيوش قرّاءً ومعلمين يُلزمهم قُوّاد تلك الجيوش، فقد روى الطبري رحمه الله في أحداث السنة الرابعة عشر في يوم أرماث - وهو يومٌ من أيام قتال المسلمين مع الفرس - أنّه «لما صلى سعدٌ الظهر أَمَرَ الغلام الذي كان ألزمه عمر إياه - وكان من القرّاء - أنْ يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد، فقُرئت في كل كتيبة، فهشّت قلوب الناس وعيونهم، وعرفوا السَّكينة مع قراءتها»، وكان سعد قد أمر الناس أن يقرؤوا على الناس سورة الجهاد، وكانوا يتعلمونها(٣).

ومن أبرز الأمراء المعلمين الذين أسند إليهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مهمتي الإمارة والتعليم أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أخرج ابن عساكر عن الحسن أنه قال: «بعث عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - وهو بالشام - فقدم، فلما قدم عليه قال له: إنّي إنما بعثتُ إليك لخير، لتُؤْثر حاجتي على حاجتك، قال: أمّا حاجتك فالجهاد في سبيل الله، وأمّا حاجتي فأبعثك إلى البصرة، فتُعلمهم كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وتُجاهد بهم عدوهم، وتَقْسِم بينهم فَيْئَهم»(٤).

وكما أكد لنا رسول الله ﷺ في بَعَثاته التعليمية بأن منزلة العلم والتعليم لا تقل بحال من الأحوال عن منزلة الجهاد في سبيل الله، يعود هنا وفي هذا الموقف

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨١، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص١٨٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص ٣٠٨-٣٠٩، رقم ٣٤١.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤١٠.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص ٦٧.

أحد تلاميذ مدرسته النجباء، وخليفته الثاني فيما بعد، ليؤكد استيعابه لتلك الرسالة وفهمه لذلك المضمون، ويوازي في نص تكليفه لعبد الله أبي موسى الأشعري بين منزلة العلم والتعليم ومنزلة الجهاد في سبيل الله.

ولم تُبهر أضواء الإمارة عين أبي موسى الأشعري فتشغله عن مهمة التعليم، ولم يأخذ بَلُبِّه كرسي الرئاسة فينسيه أمانة التدريس، بل قال لأهل البصرة حين قدومه إليها: «إنّ أمير المؤمنين عمر بَعَثني إليكم أعلّمكم كتاب ربكم وسنّة نبيكم، وأنظف لكم طرقكم»(١).

ثم يبين لنا عمر رضي الله عنه بأنّ دوره لم ينته بمجرد بَعْث الأمير المُعلِّم، بل لابد من الاطمئنان على نجاح العملية التعليمية، ممثلةً في نجاح القائمين عليها من الأمراء المعلمين ومتابعة هذا النجاح، حيث يسأل رضي الله عنه أنس بن مالك وكان قد بعثه إليه أبو موسى الأشعري، قائلاً: «كيف تركت الأشعري؟ فقال له: تركته يعلم الناس القرآن». ثم يردف لنا عمر رضي الله عنه هذا الدرس في العملية التعليمية بدَرْس آخر في فهم طبيعة النفوس البشرية، فيقول: «أمَا إنّهُ كبير، ولا تُسْمِعْها إياه»(٢).

ولقناعة عمر رضي الله عنه القوية بأهمية التعليم، ولقناعته الأقوى بهذا الأمير المُعلِّم، يكتب في وصيته: «لا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقرُّوا الأشعري أربع سنين»(٣).

ولم يكتف عمر رضي الله عنه في تعليم أهل البصرة بالأمير المُعلِّم، بل بَعَثَ صحابيًا آخر كي يُعلِّم في البصرة، وهذا ما يرويه أبو الأسود الدُّؤلي في قوله: «قدمت البصرة وبها عِمران بن الحُصين أبو النُّجَيْد رضي الله عنه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعثه يُفَقِّه أهل البصرة»(٤).

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص ٦٩.

(٢) المصدر السابق، ج٣٢، ص ٦٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٨٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١٠.

وقد بلغ الأثر العلمي الذي تركه هذا الصحابي الجليل حداً جعل الحسن يَحْلف ويقول: «ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عِمران بن الحُصين»[1]، وجعل ابن سيرين يقول: «أفضل من نزل البصرة من الصحابة عِمْران، وأبو بكرة»[2].

بل بلغ عدد من أرسلهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليعلموا ويفقهوا أهل البصرة، عشرة معلمين، منهم ـ سوى مَن ذكر الباحث ـ عبد الله بن المغفَّل المُزَني[3].

وكما حظيت الحركة التعليمية في البصرة باهتمام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حظيت ـ أيضًا ـ منافستها الكوفة بذلك الاهتمام، فقد بعث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أميرها، معلماً مُعَيَّنًا من قِبَله، فقد أخرج ابن سعد ـ رحمه الله ـ عن حارثة أنّه قال: «قُرِأ علينا كتاب عمر: إنِّي قد بعثتُ إليكم عمارَ بن ياسر أميرًا وعبدالله بن مسعود معلمًا ووزيرًا، وإنَّهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، من أصحاب بدر، وقد جعلتُ عبد الله بن مسعود على بيت مالكم، فتعلَّموا منهما، واقتدوا بهما»[4]. ويُلاحظ هنا في عبارة عمر الأخيرة، أنه برغم تعيينه لمعلم برفقة الأمير، إلا أنه ما زال يؤكد على دور الأمير الأساسي في التعليم والتوجيه، ويُشْركه مع المعلم المبعوث ويقول: «فتعلموا منهما، واقتدوا بهما».

ثم يبين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عظمة المهمة التي بَعث بها عبد الله بن مسعود على وجه الخصوص ـ دون غيره ـ رغم حاجته له في المدينة، ومكانته عنده، فيتابع القول: «وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي» وفي رواية تذكر كتابه إلى أهل الكوفة: «يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به إنْ أتاني شيء

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٠٨.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٥٨٥.

(٣) انظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤٥، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٩٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٦-٧، والمسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٦٩، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٢١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٠١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص ٥٣-٥٤.

من هاهنا وهاهنا، قد بعثتُ إليكم بعبد الله وخرْتُ لكم وآثرتكم به على نفسي »[١]، وفي رواية ثالثة: « كُنَيْفٌ ملئ علماً، آثرتُ به أهل القادسية »[٢].

وبعث في تلك البعثة ـ أيضًا ـ حذيفة بن اليمان على المدائن، وعثمان بن حنيف على السواد، ورزقهم جميعهم كل يوم شاة، فجعل شطرها وبطنها لعمار بن ياسر والشطر الباقي بين الآخرين[٣]. وفي هذا إشارة إلى أنَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد فرض أرزاقًا معلومة للقائمين على الأمارة والتعليم.

ولم يخب حَدْسُ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٤] في مدينة الكوفة ومعلمها ولا في مدينة البصرة ومعلمها، فكلا المدينتين كانتا ـ فيما بعد ـ مسرحاً للأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي، وكلا المُعَلِّمَيْن كانا مدرستين علميتين قُرآنيتين لُغَويتين أدبيتين مستقلتين بذاتهما، وهذا ما يُشير إليه الخبر الثمين الذي رواه مسروق، فقال: « كان عبدالله[٥] وحذيفة[٦] وأبو موسى[٧] في منزل أبي موسى، فقال حذيفة: أمّا أنت يا عبدالله بن قيس فبُعثتَ إلى أهل البصرة أميراً ومعلماً، وأخذوا من أدبك ومن لغتك ومن قراءتك، وأما أنت يا عبد الله بن مسعود فبُعثت إلى أهل الكوفة مُعلِّماً، فأخذوا من أدبك ومن لغتك ومن قراءتك، فقال عبد الله: أما أني إذا لم أضلهم، وما من كتاب الله آية إلا أعلم حيث نزلت وفيم نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تُبلّغنيه الإبل لرحلت إليه »[٨].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٧.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص ٩. والكُنَيْف: تصغير « كَنَف » وهو الوعاء، والتصغير هنا تصغير تعظيم. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ٢٠٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٨.

(٤) وكيف يخيب حَدْسُه وقد ثبت عنه في الصحيح قوله: « وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر ». انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٥٣٠٦.

(٥) أي: ابن مسعود.

(٦) أي: ابن اليمان.

(٧) أي: عبد الله بن قيس الأشعري.

(٨) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص١٩١، رقم ٤٩.

ويشير أيضًا إلى أهمية مدرسة الكوفة التي أسَّسَها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما رُوي عن إبراهيم التيمي أنه قال: «كان فينا ستون شيخًا من أصحاب عبد الله»[(١)] [أي ابن مسعود]، وما رُوي - أيضًا - عن إبراهيم قوله: «كان أصحاب عبد الله الذين يقرؤون ويُفْتون ستة: عَلْقمة[(٢)]، والأسود[(٣)]، ومسروق[(٤)]، وعبيدة[(٥)]، والحارث بن قيس[(٦)]، وعمرو بن شرحبيل[(٧)]»[(٨)].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٠.

(٢) فقيه الكوفة وعالمها ومُقرئها، الإمام، الحافظ، المجوّد، المجتهد، الكبير، أبو شبل، علقمة بن قيس ابن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل، النخعي، الكوفي، الفقيه، عمُّ الأسود بن يزيد وأخيه عبدالرحمن وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي، وُلد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين، وكان يُشبَّه بابن مسعود في هَدْيه ودَلّه وسَمته، مات علقمة في خلافة يزيد سنة إحدى وستين. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) الأسود بن يزيد بن قيس، الإمام، القدوة، أبو عمرو النخعي، الكوفي، كان الأسود مخضرمًا، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم، والثقة، والسن، يُضرب بعبادتهما المثل، نقل العلماء في وفاته أقوالاً، أرجحها سنة خمس وسبعين. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٢٩.

(٤) مَسْرُوق بن الأجدَع، الإمام، القدوة، العَلَم، أبو عائشة الوادعي الهمداني، الكوفي، عدادهُ في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، مات سنة اثنتين وستين. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٣٠.

(٥) عبيدة بن عمرو السلماني، الفقيه المُراديّ، الكوفي، أحدُ الأعلام، أسلم عبيدة في عام فتح مكة بأرض اليمن، ولا صحبة له، وأخذ عن علي وابن مسعود.. وغيرهما، وبرع في الفقه، وكان ثبتًا في الحديث، أصح أقوال وفاته سنة اثنتين وسبعين. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٢٨.

(٦) الحارث بن قيس الجعفي، الكوفي، العابد، الفقيه، قديمُ الوفاة، صحب عليًّا، وابن مسعود، وقلّما روى، وكان كبير القدر ذا عبادة وتألّه. يُذكر مع علقمة والأسود، توفي زمن معاوية، وصلى عليه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص١٣١.

(٧) عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة، الهمداني، الكوفي، حدّث عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وغيرهم. كان إمام مسجد بني وادعة، من العبّاد الأولياء، مات في ولاية عبيد الله بن زياد. انظر: أحمد الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص١٣٦.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٠.

وفي مجال المقارنة بين مدينتي الكوفة والبصرة يخبرنا ابن سعد عن سفيان بن عيينة، قال: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد أهل البصرة أو أهل الكوفة؟ قال: كان عمر يبدأ بأهل الكوفة وبها بيوتات العرب كلها، وليست بالبصرة.

ويكفي دلالة على أهمية تلكما المدرستين العلميتين اللتين خطط لهما عمر رضي الله عنه، وقام عليهما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري وعبد الله بن مسعود، أنّ القُرّاء عبر تاريخنا الإسلامي إذا تباحثوا في القراءات قالوا: قال الكوفيون، وقال البصريون. وأهل اللغة، إذا تكلموا في اللغة، قالوا: قال الكوفيون، وقال البصريون. وأهل الأدب كذلك، وحسبك بذلك أثرًا وفعلاً.

فتلك الصفوة من العلماء والعباد والأخيار الذين تتلمذوا في مدرستي ابن مسعود وأبي موسى ومن معهم من معلمي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، كانوا النواة الأولى للحركة العلمية والفكرية التي ازدهرت ـ فيما بعد ـ في البلاد الإسلامية.

وهناك بَعْثة تعليمية أخرى، لم تكن أقل أثرًا أو أدنى منزلة من بعثتي البصرة والكوفة، بل كان لها عظيم الأثر في بلاد الشام وأهلها، فقد رُوي عن محمد بن كعب القرظي أنَّه قال: «جَمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسةٌ من الأنصار: معاذ ابن جبل، وعبادة بن الصامت، وأُبَيّ بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء. فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إنّ أهل الشام قد كثروا وربلوا[1] وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم. فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يُعلّمونَهم، فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إنّ إخوانكم من أهل الشأم قد استعانوني بمن يُعلِّمُهم القرآن ويُفقِّههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إنْ أجبتم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثةٌ منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير لأبي أيوب، وأمّا هذا فسقيم

---

(١) رَبَلَ القوم كَثرُوُا أو كَثُرَ أولادهم وأموالهم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٢٦٤، مادة: «ربل».

لأُبَيّ بن كعب، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: أبدأوا بحمْصَ فإنكم ستجدون النّاسَ على وجوه مختلفة، منهم من يلقن فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفةً من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحدٌ، وليخرج واحدٌ إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمصَ فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأمّا معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعدُ إلى فلسطين، فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات»[١].

ولا يخفى على أيّ قارئ لخبر هذه البَعثة، مدى توافر عنصر التخطيط من لدن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعثات المعلمين.

التعليم الفردي:

ذكرت المصادر عدداً من الأخبار التي تشير إلى ممارسات التعليم الفردي في تلك الفترة، بل إنّ بعض تلك الممارسات كان يتولى القيام بها الخلفاء الراشدون أنفسهم في بعض الأوقات، فلقد روى صعصعة بن صوحان: أن أعرابيًا جاء إلى علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تقرأ هذا الحرف: لا يأكله إلا الخاطون، كل والله يخطو، فتبسم عليٌّ، وقال ﴿**لا يَأْكُلُهُ إلاَّ الْخَاطِئُونَ**﴾[٢] قال: صدقت يا أمير المؤمنين! ما كان الله ليسلم عبده[٣].

وكان الخليفة إذا كثرت عليه مشاغل تصريف أمور الدولة، أسند مهمة التعليم إلى أحد الصحابة، مُتأسيًا في ذلك بالرسول المصطفى ﷺ، فعن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فقال لي: إنك إذن تُشغلني عن النظر في

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٥٦-٣٥٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٧، ص ١٣٧، وج٢٦، ص١٩٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، الخلفاء الراشدين، ص٤٢٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٥٠٧.

(٢) سورة الحاقة، آية ٣٧.

(٣) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ج٤، ص ١٢.

أمور الناس فامْض إلى زيد بن ثابت، فإنه أفرغ لهذا الأمر، فاقرأ عليه، فإن قراءتي وقراءته واحدة ليس بيني وبينه فيها خلاف(١).

وقال سالم بن عبد الله: كُنّا مع ابن عمر رضي الله عنهما يوم مات زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقلتُ: مات عالم الناس اليوم، فقال ابن عمر: يرحمه الله اليوم! فقد كان عالم الناس في خلافة عمر وحبرها، فرّقهم عمر في البلدان، ونهاهم أن يفتوا برأيهم، وجلس زيد بن ثابت بالمدينة يُفتي أهل المدينة وغيرهم من الطرّاء - يعني القُدّام(٢).

ومما ساعد على ازدهار حركة التلقين والتعليم الفردي أنّ عمر رضي الله عنه طَبّقَ نظام التخصص في سياسته التعليمية، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس بالجابية، وقال: يا أيها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن، فليأت أُبَيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه، فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له واليًا وقاسمًا(٣).

ونجد أن مرحلة الطلب عند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تُمثّل نموذجًا بارزًا، ومثلاً حيًّا لحركة التعليم الفردي في تلك الفترة، فقد أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما قُبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار هَلُمَّ فَلْنَسْأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، قال: فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم؟ قال: فتركتُ ذلك وأقبلتُ أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإنْ

(١) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ج٥، ص١٨٤. وانظر حول تَعَلُّم أبي عبد الرحمن السلمي على يَد عثمان وعلي رضي الله عنهما: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٦٧.

(٢) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ج٤، ص ١٣-١٤.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع البحرين في زوائد المعجمين، كتاب العلم، باب طلب كل علم من أهله، ج١، ص ٢٠٩، رقم ٢١٩.

كان لَيَبْلُغني الحديثُ عن الرجل فآتي بابه، وهو قائلٌ، فأتوسَّدُ ردائي على بابه تَسْفِي الريح عليّ الترابَ فيخرج فيراني، فيقول لي: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني!»[1].

ومن الملاحظ هنا ـ أيضًا ـ الأثر الذي أحدثته حركة التعليم الفردي ـ الذي ظهر فيما بعد ـ في أن جعلت علماء الصحابة ومنهم ابن عباس رواد الحركة التعليمية والثقافية، ويتضح ذلك من قول ابن عباس رضي الله عنهما: «فعاش ذلك الرجل الأنصاري، وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني».

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما تؤكد المعنى الأول ـ معنى التعلم الفردي ـ: «ما حدثني أحدٌ قط حديثًا فاستفهمته، فلقد كنت آتي باب أُبَيّ ابن كعب وهو نائم فأقيلُ على بابه، ولو علم بمكاني لأحب أن يُوقظُ لي لمكاني من رسول الله ﷺ، ولكني أكره أن أُملّه»[2].

ولم يكن تعلمه رضي الله عنه قاصرًا على علم الحديث فقط، بل تعداه إلى علوم أخرى، فهو يقول: «كنتُ ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك»[3]. وروي ـ أيضًا ـ عن أبي العالية رُفَيع بن مهران قوله: «قرأتُ القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرار»[4].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٦٧-٣٦٨، وأخرج الدارمي نحوه، باب الرحلة في طلب العلم، واحتمال العناء فيه، ج١، ص ١٤١، وانظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٢٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٧١.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٠٨.

التعليم الجماعي:

لقد كان التعليم الجماعي أكثر ما يكون في صورة مجالس العلم وحلقاته التي بدأها الرسول الكريم ﷺ وأسسها، وقد انتشرت هذه المجالس وازدهرت في عهد الخلفاء الراشدين انتشاراً وازدهاراً كبيرين؛ وذلك لعدة أسباب، كل سبب جاء نتيجة حَتْمية للسبب الذي قبله. ويُلخصها الباحث في النقاط الآتية:

- توسع رقعة الدولة الإسلامية.
- دخول الناس من عجم وعرب في دين الله أفواجاً.
- إرسال الأمراء المعلمين والمعلمين إلى المدائن والأمصار.
- بناء المساجد في المدائن والأمصار.
- تنظيم الأمراء والمعلمين لتلك المجالس والحلقات العلمية.

ولعل مما يُظهر كثرة الإقبال على مجالس القرآن الكريم وطلب العلم، ما ذكره ابن حجر - رحمه الله - في ترجمة بشر بن ربيعة أنَّ دِعْبلاً في «طبقات الشعراء» قال: «وكان سعد بن أبي وقاص حين اجتبى الخراج فضلَتْ فضلةٌ، فَكَاتَبَ عمر فأمره أن يُفرِّقها في قرّاء القرآن ففعل، فلما كان العام الماضي، كتب إلى عمر: إنهم كانوا سبعة فصاروا سبعين، فكتب إليه فرّقها في أهل البلاء والنكاية في العدو..»[1].

وينقل لنا جُنْدب بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه صورةً حية لواقع تلك المجالس والحلقات وكثرتها في مدينة الرسول ﷺ، في عهد عمر أو عهد عثمان رضي الله عنهما[2]،

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٤٦٨.

(٢) سبب هذا التخيير، الاختلاف الكبير والمشهور بين علماء السلف في تاريخ وفاة أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه، حيث ظهر من نهاية هذه القصة أنّ وفاته كانت بُعَيْد هذه الحادثة، والاختلاف كان بين عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما. ومن المصادر التي ذكرت هذا الاختلاف: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٥٠٢، وفيه رجّح ابن سعد رحمه الله أن وفاة أُبَيّ في سنة ثلاثين مستنداً في ذلك إلى خبر أمْر عثمان لأُبَيّ بجمع القرآن، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٧١، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص ٦٩،=

حيث يقول: «أتيتُ المدينة ابتغاء العلم، فدخلتُ مسجد رسول الله ﷺ، فإذا الناس فيه حلق يتحدثون، فجعلتُ أمضي الحُلَق حتى أتيتُ حلْقةً فيها رجلٌ شاحبٌ عليه ثوبان، كأنما قدم من سفر، قال: فسمعته يقول: هلك أصحاب العُقْدة ورب الكعبة ! ولا آسى عليهم - أحسبه قال مرارًا - قال: فجلستُ إليه، فتحدث بما قُضي له ثم قام، قال: فسألتُ عنه بعدما قام، قلتُ من هذا؟ قالوا: هذا سيد المسلمين أُبَيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

وقد يظن ظان، أن تلك المجالس كانت على قدر من الارتجالية والبعد عن التنظيم، بَيْد أنّ عدد من المصادر تذكر لنا توافر عددٍ من عناصر العملية التعليمية المنظمة لتلك الحلقات والمجالس في ذلك العهد.

فمن حيث التنظيم الشكلي لهذه المجالس، فقد استمرت على شكلها الذي كانت عليه في عهد الرسول ﷺ، وهو شكل الحلقات، حيث كان رسول الله ﷺ يجلس في حَلْقة من أصحابه يعلمهم(٢)، إلا أنّ خبرًا آخر يبرز لنا شكلاً آخر من أشكال تنظيم تلك المجالس، وهو الخبر الذي رواه ابن عساكر عن غنيم بن قيس، أنه قال: «كُنا عند أبي موسى في مسجد البصرة، قال: فَصَفَّنا صَفَّين بين يديه - أو قال: صُفُوفًا - يُعلِّمنا القرآن»(٣). وربّما كان هذا التنظيم الشكلي خاص بتعليم القرآن الكريم.

= وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ١٨١-١٨٢، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١،ص ١٨٢، وفيه قول ابن حجر: «وفي موته اختلاف كثير جدًا»، وقد أرّخ الزِّرِكْلي لوفاته عام (٢١هـ)، ثم عاد فذكر في ثنايا ترجمته أمر عثمان له بجمع القرآن، ولم يُشر - رحمه الله - إلى هذا الاختلاف. الأعلام، ج١، ص٨٢.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٥٠١-٥٠٢.

(٢) الحَلْقة: كل شيء مستدير خالي الوسط. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص١٥٧. وقال ابن الأثير الجزري: وهي جماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيره، والتحلُّقُ تَفَعُّلٌ منها، وهو أن يتعمدوا ذلك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٤٢٦، مادة: حلق. ولقد كان نظام الحلقات التعليمية معمولاً به في عهد الرسول ﷺ. انظر: الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس...، ج١، ص ١٥٦، رقم ٦٦.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص ٦٨.

أما من حيث العنصر الزماني، فقد كانت لتلك المجالس أوقات محددة ومعلومة، فقد رُوي عن أبي وائل قوله: «كان عبد الله يُذَكِّرُ الناسَ في كل خميسٍ..»[١]، وعبد الله هو: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]. وكان أبو سعيد سعد بن مالك الخدري يُعلِّمُ القرآن خمس آيات بالغداة وخمسًا بالعشيّ، ويُخبر أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات[٣].

وقد استثمر الصحابة المُعلِّمون رضوان الله عليهم مواسم الخير والطاعات والقرب من الله في نشر العلم، ففي شهر رمضان كان ابن عباس يَغْشى الناسَ، وهو أمير البصرة، فما ينقضي الشهر حتى يُفقههم[٤]، وكذلك يفعل في موسم الحج، فقد نظرت عائشة أم المؤمنين إلى ابن عباس ومعه الحلَق ليالي الحج، وهو يُسْأَل عن المناسك فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك[٥].

وعن الحسن: «أول من عرّف[٦] بالبصرة، عبد الله بن عباس. قال: وكان مِثَجّة[٧]، كثير العلم، قال: فقرأ سورة البقرة، يفسرها آيةً آية»[٨].

ونجد أنّ التقييم بواسطة الامتحان أو الاختبار وتعيين المفتشين كان من عناصر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة، ج١، ص١٦٣، رقم ٧٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ١٦٤.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص ٣٩١.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٢٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٦٩، والكاندهلوي، حياة الصحابة، ج٤، ص٩١.

(٦) المُعَرَّف: موضع التعريف، والتعريف: الوقوف بعرفات يوم عرفة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ٢٤٢، مادة: عرف، والمراد هنا هو الاجتماع يوم عرفة وعشيتها للدعاء والاستغفار، مشاركة من أهل الأمصار للحجاج في الدعاء.

(٧) مثجَّة: أي كان يصبُّ الكلام صبًا، شَبَّه فصاحته وغزارة منطقه بالماء المَثْجُوج، والمِثَجُّ ـ بالكسر ـ من أبنية المبالغة. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص ٢٠٧.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج١، ص ١٥٨، وج٢، ص ٣٦٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٧٠٤.

العملية التعليمية في ذلك الوقت، فنجد أنّ عمر رضي الله عنه قد بعث في خلافته رجلاً يقال له أبو سفيان، يَسْتَقرئُ أهل البَوادي، فمن لم يَقْرأ ضربه(١).. وهذا ما يُعرف في العصر الحديث بالمفتش أو الموجه.

وكان عمر رضي الله عنه يحرص على تقييم المستوى العلمي، لولاته، والوقوف بنفسه على ذلك، وقد حَدَثَ ذلك مع زياد بن عبيد، حينما قدم على عمر رضي الله عنه ـ قادمًا من البصرة ـ بناءً على طلبه، فسأله فيما سأله عن الفرائض والسنة والقرآن، فوجده فقيهًا فردّهُ، وأَمَرَ أُمراء البصرة أن يسيروا برأيه(٢).

ومن سمات هذه المجالس أو الحلقات العلمية، تنوع الاهتمامات والتخصصات العلمية، فهذا مجلس ابن عباس رضي الله عنه يقول عنه عمرو بن دينار «ما رأيت مجلسًا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس: الحلال والحرام، وتفسير القرآن، والعربية، والشعر، والطعام»(٣).

وأخرج أبو نعيم ـ رحمه الله ـ عن أبي صالح قال: «لقد رأيتُ من ابن عباس رضي الله عنهما مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرًا! لقد رأيتُ الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أنْ يجيء ولا أنْ يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءًا! قال: فتوضأ وجلس وقال: أخرج وقُلْ لهم من كان يُريد أنْ يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه، فليدخل. قال: فخرجتُ فآذنتهم، فدخلوا، حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: أخرج فقلْ: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٩٨.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ١٦٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٧٠٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٢٨، والزِّركلي، الأعلام، ج٤، ص ٩٥.

والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: أخرج فقلْ: «من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: أخرج فقُلْ: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله. قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً؛ فما رأيت مثل هذا لأحدٍ من الناس»(١).

«وعلى الرغم مما قد تبدو عليه هذه القصة، لأول وهلة، من تكرار في بعض عباراتها، وفي أحداثها، وهو تكرار قد يدفع القارئ العجل إلى المَلَل، إلاّ أننا نرى أنَّ في ذلك التكرار نفسه قيمة خاصة؛ إذ أنه الإلحاح على بعض الفواصل المهمة في الحياة العلمية اليومية عند ابن عباس رضي الله عنهما»(٢)، وكان هذا دأبه وديدنه رضي الله عنه في إفراد وقت لكل علم من العلوم، بل ويفرد أياماً لكل علم في روايات أخرى، فقد أخرج ابن سعد ـ رحمه الله ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: «... ولقد كان [أي ابن عباس رضي الله عنهما] يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، ما رأيتُ عالماً قط جَلَسَ إليه إلاّ خضع له، وما رأيتُ سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً»(٣).

(١) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج١، ص ٣٢٠-٣٢١، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٧٠٤-٧٠٥.

(٢) فهد العرابي الحارثي، قال ابن عباس.. حدثتنا عائشة، ص٧٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٦٨، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص ٢٩٣، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٧٠٣-٧٠٤.

ومع أنَّ هاتين الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وغيرها من الروايات[١] ـ تكشف مدى اهتمام الحركة العلمية في ذلك العهد بالتنوع في التخصصات العلمية المختلفة، إلاَّ أنها في نفس الوقت تبرز لنا تميز «السلوك التنظيمي الذي تَصْطَبِغُ به الحياة اليومية العلمية عند ابن عباس»[٢] التي هي جُزْءٌ من الحياة العلمية في ذلك العهد. و «ترغمنا على أن نَسْتَعير لذلك النظام ما يلائم من أنواع الأَدَاءات الثقافية في زماننا الحاضر هذا، إنها شيء شبيه بالمحاضرات العامة أو الندوات، وكل محاضرة أو ندوة في علم خاص...»[٣].

وقد يفهم من قول أبي صالح في الرواية التي أخرجها أبو نعيم حول مجلس ابن عباس: «فما رأيت هذا لأحد من الناس»، أنه لم يكن الاهتمام بتنوع التخصصات العلمية وتعليمها إلا عند ابن عباس رضي الله عنهما فقط، بَيْد أنَّ عدداً من الصحابة رضوان الله عليهم نبغوا في عدد من التخصصات العلمية، مثل: زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وعائشة أم المؤمنين.. إلاَّ أن طريقة التنظيم في مجالسهم العلمية ربما لم تكن بالطريقة التي كان عليها ابن عباس رضي الله عنه في مجلسه، أو ربما كانت كذلك ولكن لم تُكتب لها الشهرة، كما اشتهر مجلس ابن عباس رضي الله عنهما.

الرِّحْلَة في طلب العلم:

لما كان رسول الله ﷺ في المدينة يُبَلِّغُ دعوة ربه وشريعة الإسلام، كان هو مصدر التَّلَقي والتعليم، بل كان هو مصدر عناصر الحس الثقافي والعلمي بأكملها بالنسبة للصحابة رضوان الله عليهم، فلم تكن للصحابة حاجة للارتحال في طلب العلم، إلاَّ ما كان من قبائل العرب خارج المدينة من الارْتحال لاعتناق الإسلام ولقيا الرسول الكريم ﷺ، وطلب العلم على يديه.

---

(١) حول هذه الروايات انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٦٧، وج١، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) فهد العرابي الحارثي، قال ابن عباس.. حدثتنا عائشة، ص٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص٧١.

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، تفرق أصحابه البررة في البلاد، وانتشروا في الأمصار، بتوجيه من الخلفاء الراشدين أو بموافقة منهم نزولاً عند رغبة الصحابي في الانتقال، ومع كل واحد منهم علم حمله عن النبي ﷺ، وكان تفرقهم وانتشارهم إما للتعليم أو للولاية أو لهما معًا ـ كما مَرَّ معنا ـ أو للجهاد والدعوة، واستقروا رضي الله عنهم في تلكم الأمصار.

فانتشر بانتشارهم العلم، وتفرق بتفرقهم الحديث، الأمر الذي أدى إلى بروز مظهر تعليمي مهم، وهو «الرحلة في طلب العلم» الذي يُعدُّ مظهرًا من مظاهر الحركة التعليمية في ذلك العهد ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ وفي العهود التي تَلَتْه، حتى غدا سمةً لازمةً لكل من أراد العلم، وسعى إليه. وقد أُلفت فيه الأسفار[١]، ونُثرت في ضرورته الأقوال، ونُظمت في فوائده الأشعار.

رحلات الصحابة في طلب العلم:

ولأهمية هذا المظهر، وأثره الواضح في الحياة العلمية، فقد شَغَلَتْ أخباره حيزًا واضحًا في المصادر الحديثية، وفي مقدمة هذه الأخبار أخبار رحلات الصحابة بعضهم إلى بعض، فمن ذلك، ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده الصحيح، عن عبد الله بن بريدة أنّ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فَضَالة بن عبيد وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: أَمَا إني لم آتك زائرًا، ولكن سمعت أنا وأنتَ حديثًا من رسول الله ﷺ، حديثًا رجوتُ أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو. قال: كذا وكذا، وساق الحديث[٢].

---

(١) أُلف في «الرحلة في طلب العلم» سفْران نفيسان، أحدهما لسلفي سابق والآخر لخَلَفي لاحق، وهما:

- الخطيب البغدادي، أبو أبكر أحمد بن علي بن ثابت: الرحلة في طلب الحديث، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٥هـ.
- أبو غدة، عبد الفتاح: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٣، ١٤١٨هـ.

(٢) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١٢٤-١٢٥، رقم ٣٩، وأخرجه الدارمي في سننه، باب الرحلة في طلب العلم، ج١، ص١٤٢.

وأخرج الخطيب البغدادي رحمه الله - أيضًا - بسنده الحسن أنّ ابن جريج قال: سمعتُ أبا سعد الأعمى يُحدِّث عطاء بن أبي رباح، قال: خرج أبو أيوب إلى عُقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ. فلما قدم أتى منزل مسلَمة بن مُخَلَّد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأُخبر به، فَعَجَّل، فخرج إليه، فَعَانقه، وقال: «ما جاء بك يا أبا أيوب؟»، قال: «حديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة، فابعث من يَدُلُّني على منزله، قال: فبعث معه من يَدُلُّه على منزل عقبة، فأُخبر عقبة به، فعجل فخرج إليه، فعانقه وقال: «ما جاء بك يا أبا أيوب؟»، فقال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ ستر مؤمنًا في الدنيا على خُربة[1] ستره الله يوم القيامة».

فقال له أبو أيوب: «صدقت»، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعًا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مَسْلَمَة بن مُخَلَّد إلاّ بعريش مصر.

وفي ذكر الراوي تفاصيل عودة أبي أيوب رضي الله عنه تأكيداً على أنّ الرحلة لم تكن إلا لطلب للعلم، وللعلم فقط[2].

ولجابر بن عبد الله رضي الله عنه رحلة فريدة في طلب حديث واحد، ذكرتها مصادر عدة، فقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: أن جابر بن عبد الله حدّثه، قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسْمَعْهُ منه، قال: فابتعت بعيراً، فشددتُ عليه رَحْلي، فَسرْتُ إليه شهرًا حتى أتيتُ الشام، فإذا هو عبد الله بن أُنَيْس الأنصاري. قال: فأرسلتُ إليه أنّ جابرًا على الباب. قال: فرجع إليّ الرسولُ فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت:

(١) الخُرَبَة: العيب والعورة. والمراد هنا: أي ستر سوءة أو معصية فعلها فلم يفضحه. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٧-١٨، مادة: خَرَبَ.

(٢) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ١١٨-١٢٠، رقم: ٣٤، وأخرجه أحمد - مختصراً - في مسنده، ج١٣، ص ٨٣، ٣٥٩، ٣٧٧، رقم: ١٦٥٤٩، ١٧٣٢٤، ١٧٣٨٥.

نعم. قال: فرجع الرسول إليه فخرج إليّ فاعتنقني واعتنقتُه، قال: قلتُ: حديث بلغني أنك سمعتَه من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعْه، فخشيتُ أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فذكر له الحديث(١).

وفي ذكر جابر بن عبد الله رضي الله عنه التفاصيل الدقيقة لرحلته نحو: «فَابْتَعْتُ بعيراً»، و«فَشَدَدت عليه رَحْلي»، و«فسرت إليه شهراً» قيمة خاصة تُسفر بجلاء عما تَكَبّده وتحمله رضي الله عنه من جهد، ومشقة، ونَصَب، وعَنت من أجل حديث رسول الله ﷺ والعلم النافع، ويبلغ ا لشوق المحرق، والحرص الفريد على تحصيل حديث رسول الله ﷺ مداهما عند جابر رضي الله عنه في قوله: «فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه».

وقد قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري» بعد أن أورد حديث جابر هذا، في رحلته هذه: «وفيه ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنة النبوية»(٢)، وقال الحاكم النيسابوري، تعليقًا على هذه الرحلة: «وجابر بن عبد الله، على كثرة حديثه وملازمته، رَحَلَ إلى من هو مثلُهُ أو دُونَهُ مسافةً بعيدةً في طلب حديث واحد»(٣).

ومن استمع إلى أقوال الصحابة في الحرص على الرحلة في طلب العلم، لا يستغرب ذلك الشوق المحرق، والتوقان الملهب، والحنين الأخّاذ، للرحلة في طلب العلم، فهذا الصحابي الجليل أبو الدرداء عويمر بن زيد رضي الله عنه يقول: «لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجل ببِرْك الغماد، لرحلت إليه»(٤)،

(١) أخرجه البخاري ـ معنونًا به فقط ـ في صحيحه، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم، ج٢، ص ٤٣٣، وأخرجه ـ أيضاً ـ في الأدب المفرد، باب المعانقة، ص٣٤٨ رقم ٩٧٠، وأخرج ـ نصه ـ الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص ١٠٩-١١١، رقم: ٣١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٤٢٧-٤٢٨، رقم ١٥٩٨٤.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) كتاب معرفة علوم الحديث، ص ٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٠٠، وبرك الغماد: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن، والبرْك حجارة مثل حجارة الحرَّة خشنةٌ يصعب المسلك عليها، وعرة.

وهذا مسروق يروي عن شيخه وأستاذه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: «ما أنزلتْ آيةٌ إلا وأنا أعلمُ فيما أُنْزلَتْ، ولو أَنِّي أعلمُ أنّ أحداً أعلم بكتاب الله منِّي تَبْلُغُه الإبل والمطايا لأتيتُه»(١).

رحلات كبار التابعين في طلب العلم:

ثم سرت هذه الروح العلمية في تلامذة الصحابة من كبار التابعين رضي الله عنهم أجمعين، واستقر الارتحال لطلب العلم والحديث في نفوسهم، وشغفت به قلوبهم، وولهت به عقولهم، سعيًا للسماع من الصحابة والتتلمذ على أيديهم، ومما ضاعف ذلك الشغف والوله عند كبار التابعين، أنهم حُرموا أجر وبركة ولذة التتلمذ على يدي الرسول ﷺ، ومُشامّته، والسماع منه، فلا أقل ولا أدنى من التتلمذ على أيدي صحابته الكرام وتلاميذه البررة، والسماع منهم، حتى كان علقمةُ بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، فيما يرويه عنهما الإمام أحمد ابن حنبل - وهما من أهل الكوفة - يَبْلُغُهما الحديث عن عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلا يُقنعهما حتى يخرجا إليه - إلى المدينة المنورة - فيسمعانه منه(٢).

ويصرح بذلك ويؤكده أبو العالية رفيع بن مهران رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي قال: «كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ - بالمدينة - بالبصرة، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم»(٣).

بل جعل الإمام الشعبي عامر بن شراحيل «السير في البلاد» سببًا رئيسًا من أسباب تحصيله العلم(٤).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص ٩٥، رقم ٢٦، وأخرج - نحوه - البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ج٩، ص٤٧، رقم ٥٠٠٢، وأخرج - نحوه - مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، ج٤، ص ١٩١٢-١٩١٣، رقم ٢٤٦٢.

(٢) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٢٣، والسخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ص ٣٢١.

(٣) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ٩٣، والخطيب البغدادي، كتاب الكفاية في علم الرواية ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٠٠.

ولم تكن أقوال كبار التابعين هذه أقوالاً باللسان، بل فارقوا الأوطان، وضربوا في البلدان، وسطروا بمداد عرق جباههم، وخَطُّوا بحثيث سيرهم أروع معاني التضحية والصبر والجلد في سبيل تحصيل العلم وطلب الحديث، فقد جاءت بذلك الأخبار والآثار، وتناقلتها الأجيال عبر القرون والأعصار، بل لقد أُثر عن عدد من كبار التابعين أنهم ارتحلوا في طلب حديث واحد فقط، تأسيًّا بمشايخهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذا كثير بن قيس يقول: «كنتُ جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجلٌ، فقال: يا أبا الدرداء، جئتك من المدينة، مدينة الرسول، لحديث بَلَغني أنك تُحدِّثه عن رسول الله ﷺ. قال: ولا جئت لحاجة؟ قال: لا. قال: ولا لتجارة؟ قال: لا. قال: ولا جئت إلا لهذا الحديث؟. قال: لا. قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك به طريقًا إلى الجنة...»[1] الحديث.

وروى يحيى بن زيد الباهلي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار ـ أحدُ بني نوفل ابن عبد مناف ـ أنه قال: «بلغني حديث عن عليّ، خفْت إن مات ألاّ أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت العراق، فسألته عن الحديث، فحدثني وأخذ عليَّ عَهْدًا ألا أخبر به أحدًا ولَوَددْتُ لو لم يفعل فأحدثكموه...»[2].

وقد حَجَّ أبو عثمان عبد الرحمن بن مَلٍّ النَّهْدي، لحديث بلغه أنه عند أبي هريرة، ولم يحج ذلك العام إلا للقاء أبي هريرة في هذا الحديث[3] وفي رواية ثانية

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص٧٧-٧٩، رقم ٤، وأخرج نحوه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب فضل العلم، ج١٠، ص ٥٧-٥٨، رقم ٣٦٣٨، وأخرج نحوه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ج٧، ص٤٢١، رقم ٢٦٨٢، وأخرج نحوه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج١، ص٨١، رقم ٢٢٣.

(٢) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص١٣٠، رقم ٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٤، رقم ٤٦.

يقول فيها: «...فقُضيَ أنِّي انطلقتُ حاجًا أو معتمرًا فلقيته...»(١)، وفي رواية ثالثة، لم تُسْفر عن شأن الرحلة ولكن أشارت إليها في قول أبي عثمان النهدي: «أتيتُ أبا هريرة، فقلت له: ... »(٢) الحديث، وفي رواية رابعة أكثر تفصيلاً، وهي لابن أبي حاتم عن أبي عثمان النهدي قال: «لم يكن أحدٌ أكثر مجالسة لأبي هريرة منِّي، فقدم قَبْلي حاجًا، قال: وقدمت بعده، فإذا أهل البصرة يؤثرون عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إنَّ الله يُضاعف الحسنة ألف ألف حسنة»، فقلت: ويحكم، والله ما كان أحدٌ أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فما سمعتُ هذا الحديث، قال: فتحملتُ أريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجًا، فانطلقتُ إلى الحج أن ألقاهُ في هذا الحديث، فلقيته لهذا...»(٣) الحديث.

ورُوي عن ربيعة بن يزيد، قال: سمعتُ ابن الدَّيلمي [عبد الله بن فيروز] يقول: بلغني حديثٌ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، فركبتُ إليه إلى الطائف أسأله عنه، وكان ابن الدَّيلمي بفلسطين، قال: فدخلت عليه وهو في حديقة له...(٤) الحديث. وفي رواية أخرى لربيعة بن يزيد أيضًا ـ لم تُصرِّح برحلة ابن الدَّيلمي إلى عبدالله بن عمرو بن العاص، ولكنها أشارت إليها، ونَصُّها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله الديلمي، قال: «دخلتُ على عبد الله بن عمرو، وهو في حائط له بالطائف، يقال له الوهط...»(٥) الحديث. وفي رواية ثالثة لكنها لعروة بن رويم، عن ابن الديلمي الذي كان يسكن بيت المقدس أنه ركب في طلب عبد الله بن عمرو بن العاص إلى المدينة فسأل عنه، فقالوا: قد سار

(١) أخرجها أحمد في مسنده،، ج٩، ص ٥٥٧-٥٥٨، رقم ١٠٧٠٧.

(٢) أخرجها أحمد في مسنده، ج٨، ص ٦٦-٦٧، رقم ٧٩٣٢، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٢٩٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٢٩٩، ٤٩٨.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص ١٣٤-١٣٦، رقم ٤٧.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص ١٩٨-١٩٩، رقم ٦٦٤٤.

إلى مكة فاتبعه، فوجده في زرعه الذي يُسمى الوهط. قال ابن الديلمي فدخلتُ عليه، فقلتُ: «يا عبد الله، ما هذا الحديث الذي بلغنا عنك؟...»[١] الحديث.

ويلاحظ اختلاف المقصد في الرواية الثالثة عن سابقتها، فالثالثة تذكر «مكة» مكان اللقاء، والروايتان السابقتان تذكران «الطائف»، ولعل الجمع بينهما يكون بأن «الوَهْط» قرية من قرى الطائف على ثلاثة أميال من وجّ[٢]، أي أنها بين مكة والطائف وهي إلى الطائف أقرب.

ونجد أن التابعي الجليل سعيد بن المسيب يُعلنها صراحة، ويؤكدها حقيقة لا يحتمل معهما شك أو تأويل، فيقول: «كنتُ لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»[٣]، وقال مالك بن أنس أحد رواة هذا الأثر: «وكان سعيد بن المسيب يختلف إلى أبي هريرة بالشجرة - وهو ذو الحليفة -»، بل يبلغ الحرصُ مداه، وتبلغ الدقة غايتها، ويبلغ السبر غوره، والبحث كنهه في رجل من كبار التابعين رَحَل في حرف، وهذا ما حكاه ابن عبد البر «أن مسروقًا رحل في حرف»[٤]، وفسرها العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله - قائلاً: «أي من أجل كلمة»[٥].

ومنهم من ارتحل في ثلاثة أحاديث ذُكرت له، فقال: «لَعَلّي ألقى رجلاً لقي النبي ﷺ، أو من أصحاب النبي ﷺ»[٦].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص ١٣٧، رقم ٤٨.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٨٦.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص ١٢٧-١٢٩، رقم ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص١٢١-١٢٢.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٣٩٦، رقم ٥٧١.

(٥) عبد الفتاح أبو غدة، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، ص ٤٩.

(٦) الرامَهُرمُزِي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص ٢٢٤. والقائل هو الإمام الشعبي رحمه الله تعالى.

ولم تكن الرحلة قاصرة على طلب الحديث، بل كانت تُضرب أكباد إبل كبار التابعين لعلم الفقه وبقية العلوم الأخرى، ومن ذلك ما جاء عن سعد بن إسحاق عن الحسن، قال: «رحلتُ إلى كعب بن عجرة من البصرة إلى الكوفة، فقلتُ: «ما كان فداؤك حين أصابك الأذى؟»، قال: «شاة»[١]. وفي تفسير آية ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ**﴾[٢] روايات لهذا الخبر ذكرها ابن كثير بأسانيد مختلفة، عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرواية أخرجها ابن مردويه عن الحسن لم تذكر أمر هذه الرحلة، ونصها: «قال سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة: عن أبان بن صالح، عن الحسن البصري، أنَّه سمع كعب بن عجرة يقول: فذبحت شاة»[٣].

وأخرج الخطيب البغدادي - رحمه الله - بسنده عن زِرِّ بن حُبيش، قال: أتيتُ[٤] صفوان بن عسَّال المُراديّ، فقال: ما جاء بك؟ قلت: ابتغاء العلم[٥]. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خرج من بيته ابتغاء العلم وضعت الملائكة أجنحتها له رضًا بما يصنع»[٦]. والحديث له بقية رواه على تمامه الإمام أحمد في «مسنده»[٧] والإمام الحميدي في «مسنده»[٨]، وهذا تمامه كما في «مسند الحميدي»، وهو شاهدنا في هذا الباب (أي باب: الرحلة في طلب علم الفقه): قلتُ [أي: زِرُّ بن حُبيش] حَاكَ في نفسي مسح على الخفين بعد الغائط

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث، ص ١٤٣، رقم ٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٢٣٢.

(٤) وفي رواية: «غدوتُ». أخرجها الدَّارمي في سننه، باب فضل العلم والعالم، ج١، ص١٠١.

(٥) وفي رواية: «أنْبُطُ العلم». أخرجها ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج١،ص ٨٢، رقم ٢٢٦.

(٦) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص ٨٣، رقم ٧.

(٧) أحمد بن حنبل، المسند، ج١٤، ص ٦٩، رقم ١٨٠١٣.

(٨) الحميدي، المسند، ج٢، ص ٣٨٨-٣٨٩، رقم ٨٨١.

والبول، وكنتَ امرءاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتيتُك أسْألكَ هل سمعتَ من رسول الله ﷺ في ذلك شيئًا؟، فقال: نعم، كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كُنَّا سَفْرًا أو مسافرين أن لا ننزع خِفَافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلاَّ من جنابة، لكن من غائط وبول ونوم...»[1] الحديث.

تعليم الكتابة في عهد الرسول ﷺ:

لقد نُسبت للرسول ﷺ ولبعض من صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم، مجموعة من الأحاديث والآثار التي تتعلق بموضوع الخط والكتابة، منها ما يتعلق بتجويدها وتحسينها بصفة عامة، ومنها ما يتعلق بتجويد وتحسين ألفاظ معينة كألفاظ البسملة بمجموعها أو مفرداتها، ومنها ما يتعلق بالحث على تعليمها.

وقد حكم على هذه الأحاديث والآثار علماء الحديث وأهل الاختصاص بالوضع أو الضَّعْف، فلا يصحُّ الاستشهاد بها ولا الركون إليها أو الاعتماد عليها[2].

بَيْد أننا نجد في أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة في هذا الموضوع ما فيه غُنية

---

(١) يُلاحظ أنّ نص الحديث، لم يُشِرْ إلى الرحلة صراحةً، بل نصَّت الروايات ـ كما مَرَّ معنا ـ على أفعال تُفيد الخروج لطلب العلم، ولا تقطع جزمًا بحدوث الرحلة، مثل: «أتيتُ» و«غدوتُ». وقد ذكر الباحث هذا الحديث في باب الرحلة في طلب العلم لذكر الخطيب البغدادي له في هذا الباب، ولأن هناك نصًا في «طبقات ابن سعد» يَجزم برحلة زرٍّ بن حُبيش هذه، حيث يقول زرُّ: «وفدتُ في خلافة عثمان، وإنما حملني على الوفادة لُقي أُبَيّ بن كعب، وأصحاب رسول الله ﷺ، فلقيتُ صفوان بن عَسَّال المُرادي» انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٢٧. وبما أن مصادر تراجم الصحابة أجمعت على أنَّ صفوان المرادي نزل الكوفة، واستقر بها، فربما كانت رحلة «زرّ» هذه قبل نزول «صفوان» الكوفة، رضي الله عنهما. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٧٢٤، وابن الأثير الجزري، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٣٥٣، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٥٤٩.

(٢) انظر حول نقد هذه الأحاديث والآثار وتفنيدها والحكم عليها: محمد طلحه بلال، تتمّةٌ في نقد الآثار المرفوعة عن الخط والكتابة، وهي ذيل لكتاب «حكمة الإشراق إلى كُتاب الآفاق» لمحمد مرتضى الزبيدي، ص ١١٣–١٣٧.

للمحتاج وبُغْيةٌ للمرتاد، فقد صح عن الرسول ﷺ أنه أمر بكتابة القرآن وأذن لبعض صحابته رضوان الله عليهم بكتابة حديثه[1]، وفي هذا الأمر وذلكم الإذن حثٌّ مباشر على تعلم الكتابة ونشرها بين أصحابه.

وقد أمر ﷺ صحابته أمرًا صريحًا واضحًا على كتابة العلم وتقييده، فقد رُويَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَيِّدُوا العلم بالكتاب»[2]، ورُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه: «قيدوا العلم، قلتُ: وما تقييده؟ قال: الكتاب»[3].

قال المناوي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «العلم يُعقل ثم يُحفظ والنسيان كامنٌ في القلب، فلِخَوف ذَهاب العلم قُيِّد بالكتابة»[4]، وقد ترجم الرسول ﷺ هذا الحث إلى مجموعة تحركات عملية لتعليم ونشر الكتابة بين الناس، يذكرها الباحث في الفقرة القادمة بإذن الله.

إجراءات رسول الله ﷺ لتعليم الكتابة:

لقد دلَّ منطوق النصوص الحديثية والتاريخية على أنَّ الرسول ﷺ اتّخذ عدداً من الإجراءات والسياسات لتعليم الكتابة ونشرها بين الصحابة رضوان الله عليهم

(١) سيأتي الباحث على التفصيل فيها في عامل كتابة القرآن، ومجال كتابة الحديث الشريف وتدوينه.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٣٠٦، رقم ٣٩٥، وقال محقق الكتاب: «إسناده ضعيف والحديث حسن»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ج٤٣، ص ٥٢٣، رقم ٩٣٨٣.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ج١،ص ٣١٧- ٣١٩، رقم ٤١٢، ٤١٣، وقال محقق الكتاب: «إسناده ضعيف والحديث حسن»، وأخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم، باب ذكر ما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «قيدوا العلم بالكتابة»، ص٦٨-٦٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ج١، ص ١٠٦، الرامهرمزي، المحدِّث الفاصل، ص ٣٦٤، رقم ٣١٥، وص٣٦٥، رقم ٣١٨؛ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص١٥٢.

(٤) المناوي، فيض القدير، ج٤، ص ٥٣٠-٥٣١.

وبين أبنائهم، وقد حرص على ذلك من بداية دعوته ﷺ في العهد المدني، ففي السنة الثانية للهجرة «كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر، لم يكن لهم فِداء فجعل رسول الله ﷺ فداءَهم أن يُعلِّموا أولاد الأنصار الكتابةَ، قال الراوي: فجاء يومًا غلامٌ يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال ضربني معلمي، قال: الخبيث! يطلب بذَحْلِ[1] بدر، والله لا تأتيه أبدًا»[2]. ولعل هذه العملية التعليمية للكتابة تعدّ النواة الأولى لنشأة «الكتاتيب» في الحضارة الإسلامية، بل يَعُدُّها الباحث نقلةً كميةً ونوعيةً في تعليم الكتابة وانتشارها في المدينة في ذلك الوقت، وذلك للأمور الآتية:

١- كثرة عدد الأسرى الذين لم يكن لهم فداء، وكانوا يُتْقنون الكتابة، وذلك يُلاحظ من قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الإمام أحمد السابقة: «كان نَاسٌ من الأسرى يوم بدر»، وإذا علمنا من روايات أخرى لهذه القصة بأنّ عدد أسرى المشركين قد بلغ السبعين[3]، فلن يكون عدد هؤلاء الكُتّاب الأسرى بأقل من عشرة معلمين، إن لم يَفُقْ هذا العدد.

٢- إنَّ عين هذه الروايات تُحدد عدد الطلاب من المسلمين بعشرة طلاب لكل مُعلِّم، فمعنى هذا أن مجموع عدد الطلاب «١٠٠» طالب، طبقًا للعدد المفترض للمعلمين الكُتّاب، وقد يكونون أكثر من ذلك «ذلك لأن القصة أثارت انتباه

(١) الذَّحْلُ: الوَتْرُ وطلب المكافأة بجناية جُنيَت عليه من قَتْلٍ أو جرح ونحو ذلك. والذَّحْلُ: العداوة أيضًا. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ١٥٥، مادة: ذَحَلَ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص ٢٠، رقم ٢٢١٦، وقال محقق المسند: إسناده صحيح. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البيوع، باب الأجر على تعليم القرآن وغير ذلك، ج٤، ص ٩٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الإجارة، باب أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به، ج٦، ص ١٢٤، وكتاب قسم الفيء والغنيمة، باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال، ج٦، ص ٣٢٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص١١٠. وقد ذكر ابن كثير في أسرى بدر ما نصه: «والمشهور أنَّ الأسرى يوم بدر كانوا سبعين.. وقال الواقدي: وهم سبعون في الأصل، مجتمع عليه لا شك فيه». انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص ٣٢٣.

الرواة وكان لها أثر في المجتمع، ولا يكون لها هذا الأثر إلا إذا كان عدد الكاتبين الذين عجزوا عن فداء أنفسهم كبيراً»(١).

٣- التسمية الصريحة في الرواية الصحيحة من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأماكن التعليم هذه بـ«الكُتَّاب»، وذلك فيما رواه هو وفيما رواه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول: «قرأتُ من فيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإنّ زيد بن ثابت له ذُؤَابة في الكُتّاب»(٢)، وإذا علمنا أن «زيد بن ثابت كان ممن عُلِّم يوم بدر» مع أبناء المسلمين في هذه المجموعات التعليمية، عقب غزوة بدر، حسب ما رواه الإمام الشعبي رضي الله عنه(٣)، فإن ـ الباحث ـ يستطيع القول بأن تلك التسمية من قبل عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه كان مقصودها هذه المجموعات التعليمية التي أنشأها الرسول ﷺ.

فهذه النقاط الثلاث تثبت ما ذهب إليه الباحث حول ما تمثله هذه العملية التعليمية المبكرة للكتابة، والتي تمت بُعيد غزوة بدر بتوجيه من الرسول الكريم ﷺ، فكانت بحق «أساس الطفرة التعليمية في المجتمع المدني في صدر الإسلام، وكانت طفرة لها ما بعدها في ميدان العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية»(٤).

ومن الإجراءات النبوية نحو تعليم الكتابة، أنَّهُ ﷺ أمر عبدالله بن سعيد بن العاص أن يُعلِّم الكتابة بالمدينة، وكان رضي الله عنه يكتب في الجاهلية، وكان كاتبًا محسنًا(٥)، وإنْ صَحَّ استشهاده في يوم بدر، فمعنى ذلك أن الأمر النبوي الكريم له بتعليم الكتابة في المدينة هو أول إجراء نبوي على الإطلاق نحو تعليم الكتابة

(١) محمد شرّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج١، ص ١٩٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص ٥٥١، رقم ٣٦٩٧، وج٤، ص ٥٨، رقم ٣٨٤٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص ١٣٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص ١١٠.

(٤) محمود خطّاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص ٢٤٨.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ٩٢٠، وابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٢٦٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص٥٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٨٩.

ونشرها بين الصحابة، حيث إنَّ بدراً كانت في السنة الثانية من الهجرة[١].

ولم تَمْض أربع سنوات[٢] على هجرته ﷺ حتى شَعَرَ بأنّ الحاجة في إدارة الدولة الفتية ماسَّة في تكليف أحد الصحابة بتعلّم كتابة الأمم الأخرى ولغتها، وخصوصاً، أمة اليهود، لتواجدها القوي والمؤثر في المدينة في ذلك الوقت، فقد رُوي عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه «أنّ النبي ﷺ أمره أن يتعلَّمَ كتابَ اليهود، حتى كَتَبْتُ للنبي ﷺ كُتُبَهُ وأقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ إذا كتبوا إليه»[٣]، والمراد بالكتاب «الخط»[٤].

وفي رواية قال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله ﷺ: «تُحْسن السريانية، إنها تأتيني كتب؟» قال: قلتُ: لا. قال: «فَتَعَلّمْهَا»، فتعلمتُها في سبعة عشر يوماً»[٥]. وفي رواية «هل تستطيع أن تَعْلَم كتاب العبرانية؟ أو قال: السريانية»[٦].

---

(١) لقد حرص الباحث على معرفة زمن هذا الأمر من خلال معرفة زمن استشهاد هذا الصحابي الكاتب المُعَلِّم رضي الله عنه، ليتحدد بذلك مكان حَلْقَة هذا الأمر ضمن سلسلة الإجراءات التي اتخذها الرسول الكريم ﷺ تجاه تعليم الكتابة، لكن الباحث وجد تبايناً كبيراً في روايات زمن استشهاده، فرواية تذكر استشهاده في يوم بدر، وأخرى تذكر استشهاده في يوم مؤتة، وثالثة تقول باستشهاده في يوم اليمامة، ولذلك عجز ا لباحث عن الجزم بزمن هذا الأمر النبوي الكريم.

(٢) حول تحديد زمن هذا الأمر النبوي، انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٨٨، وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٦٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص ٢٠٦، وابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٤٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، وهل يجوز تُرْجمانٌ واحد، ج١٣، ص ١٨٥، رقم ٧١٩٥، وأخرجه الترمذي في سننه باختلاف وزيادة يسيرين، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعليم السريانية، ج٧، ص ٤٦٠-٤٦١، رقم ٢٧١٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك باختلاف وزيادة يسيرين أيضاً، كتاب الإيمان، ج١، ص١٤٧، رقم ٢٥٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص ١٨٦، والعيني، عمده القاري، ج٢٤، ص٢٦٧ وفيه قوله: «كتاب اليهود: أي كتابتهم يعني: خطهم».

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص ٣٠، رقم ٢١٤٧٩، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ١٥٨، رقم ٥.

(٦) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ١٥٦، رقم ٢.

وقد جمع ابن حجر - رحمه الله - بين رواية البخاري المذكورة آنفاً، وهي رواية «تعلم كتاب اليهود»، وبين روايتي تعلم العبرانية أو السريانية الأخيرتين «بأن من لازم تعلم كتابة اليهودية تعلم لسانهم، ولسانهم السريانية، لكن المعروف أنّ لسانهم العبرانية، فيحتمل أنّ زيداً تعلم اللسانين لاحتياجه إلى ذلك»(١).

ويؤيد هذا القول ابن حديدة الأنصاري رحمه الله إذْ قال: «وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتبٌ بالسريانية، فأمر زيداً، فتعلمها، وأمره أن يتعلم كتاب يهود»(٢).

بل إننا نجد أن عملية تعليم الكتابة في عهد الرسول ﷺ لم تكن قاصرة على الرجال من الصحابة، بل شملت أيضًا نساءهم، فالرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه يخاطب الشِّفَاء ليلى بنت عبد الله، حال وجودها مع حفصة رضي الله عنهما في الحديث ذي الإسناد الصحيح بقوله: «ألا تعلمين هذه [أي حفصة] رُقْيَةَ النَّمْلَة كما علمتيها الكتابة»(٣)، ففي الحديث إشارة إلى أنه من عادة الشِّفاء ليلى بنت عبد الله رضي الله عنها تعليم نساء الصحابة الكتابة. وقال العظيم آبادي في «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: «والحديث فيه دليل على جواز

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص ١٨٧.

(٢) ابن حديدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص ٩٤، وللاطلاع على هذا الخبر في مصادر أخرى: انظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص ١١٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٤٩١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٠٢-٣٠٤، ٣١٣، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٢٠٢، وعبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص ٤٢٦، رقم ٢٦٩٧٤، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب الرقى، ج١٠، ص ٢٩٧-٢٩٨، رقم ٣٨٨٣، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ج٤، ص ٦٣، رقم ٦٨٨٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص ٢٠٢؛ وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب إباحة الرقية بكتاب الله عز وجل وبما يعرف من ذكر الله، ج٩، ص ٣٤٩.

تعليم النساء الكتابة»[١]، ثم تابع القول بما نصه: «وقال الشيخ ابن تيمية في المنتقى تحت حديث الشفاء: وهو دليل على جواز تعليم النساء الكتابة. وقال الخطابي: فيه دلالة على أن تعلم النساء غير مكروه. وفي «زاد المعاد»: وفي الحديث دليل على جواز تعليم النساء الكتابة، وقد استدل بعضهم على عدم جواز الكتابة للنساء بروايات ضعيفة واهية». ثم قال العلامة العظيم آبادي بعد ذكر تفنيده لبعض هذه الروايات: «فهذه الروايات كلها ضعيفة جداً بل باطلة، لا يصح الاحتجاج بها بحال والله أعلم»[٢].

وقد وقع بين يدي الباحث نَصَّان ثمينان يُلقيان الضوء على مستوى الاهتمام بتعليم الكتابة في العهد النبوي، وأول هذين النَّصَّين ما رواه مُصْعَب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يُعلِّمُنَا هؤلاء الكلمات كما تُعلَّمُ الكتابة: اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر»[٣].

وثانيهما مُسْنَدٌ إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فيما يرويه عنه عمرو بن ميمون الأوديّ قال: «كان سعدٌ يُعلِّمُ بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعلِّمُ المُعلِّمُ الغلمان

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٢) لقد فصّل العلامة العظيم آبادي القول في هذه المسألة، وفَنّد الأحاديث التي نَهَت عن تعليم النساء الكتابة في كتابه «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان» وقد طُبع الكتاب بتحقيق وصي الله محمد عباس، سنة ١٤٠٨هـ، بمطبعة سفير بالرياض، وقد علّق على هذه المسألة من المعاصرين الأستاذ محمد طلحة بلال في تتمة تحقيقه لكتاب «حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق» للمحدث اللغوي محمد مرتضى الزبيدي. ص ١٣٣-١٣٧، وانتهى إلى ما انتهى إليه العلامة العظيم آبادي من جواز تعليم الكتابة للنسوان، وممن أطنب في ذكر المجوزين والمانعين في هذه المسألة، العلامة عبد الحي الكتاني رحمه الله في كتابه «نظام الحكومة النبوية المسمَّى التراتيب الإدارية» ج١، ص ٥٠-٥٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوُّذ من فتنة الدُّنيا، ج١١، ص١٩٢، رقم ٦٣٩٠.

الكتابة، ويقول: إنّ رسول الله ﷺ كان يتعوذُ منهنّ دُبُرَ الصلاة...»[1]، ثم ذكر نحو الكلمات السابقة. ولعل مما يُثمِّنُ هذين النصَّين الأمران الآتيان:

الأمر الأول: أنهما وردا في أصح كتاب بعد القرآن الكريم.

والأمر الثاني: أنهما يُفْصِحَان عن منهجية تعليم الكتابة في ذلك الوقت، وانتظامها، وثباتها، وانتشارها، وشهرتها، وتعيين القائمين عليها، على عكس ما يعتقد البعض، وذلك يتضح من قول الراويين: «كما يُعلِّم المعلمُ الغلمان الكتابة» و«كَمَا تُعلَّم الكتابة».

ومما يبرهن على وجود تلك المنهجية في تعليم الكتابة، ومصداقية انتشارها وذيوعها، ورود عدد من الآثار التي تذكر أماكن تعليم الكتابة (الكُتّاب) في ذلك الوقت، فبالإضافة إلى ما ذكره ابن مسعود من تعليم زيد بن ثابت في (الكُتَّاب)، ذُكر أيضًا أن أم سلمة بعثت إلى مُعلم الكُتَّاب: «ابْعَثْ إليّ غلماناً ينفشون صوفًا ولا تبعث إليَّ حُرًّا»[2]. بل لم يكن انتشار (الكُتّاب) قاصراً على (المدينة) بل كان منتشراً في مدن أخرى مثل مدينة (الطائف) مما جعل ميمونة بنت كَرْدَم الثقفيَّة تُشَبِّه دِرَّةَ رسول الله ﷺ التي كان يحملها في حجة الوداع بدرّة الكُتَّاب، وذلك حينما خرجت مع أبيها في حجة رسول الله ﷺ، ثم سمعت الأعراب والناس يقولون ـ بعد أنْ رأت رسول الله ﷺ ـ: الطَّبْطَبيَّة، الطَّبْطَبيَّة»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما يُتعوَّذ من الجبن، ج٦، ص٣٥-٣٦، رقم ٢٨٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديّات، باب من استعان عبداً أو صبيًا، ج١٢، ص ٢٥٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب مايؤمر به من وفاء النذر، ج٩، ص١١٠-١١١، رقم ٣٣٠٤، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٣٠٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص ٣٢٩. والطَّبْطَبِيَّة: قال الأزهري: هي حكاية السِّياط. وقيل: حكاية وقع الأقدام عند السعي، يُريدُ أقبل الناس إليه يسعون ولأقدامهم طَبْطَبة: أي صوت، ويحتمل أن يكون أراد بها الدِّرَّة نفسها، فَسَمَّاها طَبْطَبيَّة، لأنها إذا ضُرب بها حَكَتْ صوت طب طبْ، وهي=

ولولا انتشار (الكتاتيب) في الطائف وكثرة المعلمين الذين يحملون مثل تلك الدِّرَّة واشتهارهم، لَـمَا شبَّهت ميمونة دِرَّة رسول الله ﷺ بدرَّة الكُتّاب.

وقال العظيم آبادي في معرض شرحه لهذا الحديث: «الكُتَّاب، بضمِّ الكاف وتشديد التاء، جمع الكاتب، وموضع التعليم، كذا في كتب اللغة»[1].

وعلاوة على ما يظهره هذا الخبر من انتشار الكُتَّاب، فإنه يظهر بأن حمل الدِّرّة أو السوط كان سمة من سمات معلم الكُتّاب في ذلك الزمن.

ويعاضد وجود الكتاتيب في الطائف ما رُوي عن المدائني أنه قال: «أسلم زياد [ابن أبي سفيان] بالطائف وهو ابن خمس سنين في كُتَّاب جُبَيْر بن حَيّة الثَّقَفي، فحفظ له زياد ذلك [فيما بعد] وولاه أصبهان»[2]. وإذا كانت ولادة زياد بن أبي سفيان - على قول الزِّرِكْلي - في السنة الأولى من الهجرة[3]، فمعنى ذلك أن كُتَّاب جُبيْر هذا كان قائماً في العهد النبوي، ويقوم بدوره في تخريج الكُتّاب، بل كان قائماً منذ الجاهلية.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن بعض الأخبار التاريخية تفيد بوجود الكُتَّاب في العصر الجاهلي في مكة، فقد روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أسلم وهو ابن أربع عشرة، وكانت له ذؤابة يختلف إلى الكتَّاب[4]، وذكر الأزرقي[5]، والفاكهي[6] رحمهما الله عند تعريفهما بجبل أبي يزيد بمكة: أنَّ هناك زقاق يُدعى زقاق مهر، ومهر مُعلِّم كُتّاب كان يعلم الكتاب هنالك.

= منصوبة على التحذير، كقولك، الأسدَ، الأسدَ، أي احذروا الطَّبْطَبية. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ١١١-١١٢، مادة: طبطب.

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج٩، ص ١١١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٠٤.

(٣) الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٥٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص ٢٦.

(٥) الأزرقي، تاريخ مكة، ج٢، ص ٢٩٦.

(٦) الفاكهي، أخبار مكة، ج٤، ص ٢١١.

أهمية الكتابة وتعلمها في عهد الخلفاء الراشدين:

استقر في نفوس الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين عظمة قدر الخط وخطره وظهور أثر نفعه؛ ولذلك نجد أنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل ما كان يُعظِّم أمر الحافظ للقرآن، العالم بالسنن، المتقن لأحكام الإسلام، نراهُ هنا يخصُّ أمر معرفة الكتابة واتقانها بالمقام العالي والمرتبة السامية، فقد قَدِمَ عليه عمرو بن العاص من مصر، وقد اسْتَخْلَفَ على جندها زكرياء بن الجهم العَبْدريّ، وعلى خراجها مجاهد بن جبر مولى بني نَوْفل بن عبد مناف، فسأله عمر: من استخلفت؟ فذكر له: مجاهد بن جبر، فقال له عمر: مولى ابنة غَزْوان؟ قال: نعم، إنه كاتب، فقال عمر: إنّ القلم ليرفع بصاحبه[1]. بل نراه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجعل معرفة الكتابة واتقانها من مؤهلات الولاية، وذلك في قوله لأبي بكر حول أنس بن مالك: «ابْعَثْه، فإنه لبيب كاتب»، فقد أراد أبو بكر لما استُخْلف أن يبعثَ إلى أنس ليوجِّهه إلى البحرين على السعاية[2]. كما حثَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تعليم الصبيان الكتابة إذْ قال: «علموا صبيانكم الكتابة والسباحة»[3].

ولم يكتف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمجرد الثناء على متقن الكتابة، بل تجاوز ذلك إلى الحث والأمر بتقييد العلم وكتابته وتدوينه[4] هُوَ ومجموعة من صحابة رسول الله ﷺ منهم: أنس بن مالك[5]، وأبو أمامة صُديّ بن عجلان الباهلي[6]،

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٧٨.

(٣) انظر ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، ج٩، ص ١٩، رقم ١٦١٩٨، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، ج٢، ص ١٧٤.

(٤) انظر ما أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج١،ص ١٢٧، وما أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، ج١، ص ١٨٨، رقم ٣٦٠، والرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص٣٧٧.

(٥) انظر ما أخرجه الدارمي في سننه، ج١، ص ١٢٧، وما أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، ج١، ص ١٨٨، رقم ٣٦١ ، وما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص١٥٢. وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح».

(٦) انظر ما أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج١، ص ١٢٧.

وعبدالله بن عمر[١]، وعبد الله بن عباس[٢]، رضي الله عنهم أجمعين. بل نجد أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يُوصي بنيه وبني أخيه، فيقول: «يا بني، وبني أخي، إنّكُم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أنْ يرويه ـ أو قال: يحفظه ـ فليكتبه، وليضعه في بيته»[٣] وفي رواية: «فمن لم يحفظ منكم، فليكتب»[٤]. فكان لهذا الاهتمام المتميز بالكتابة أكبر الأثر في ظهور كتابات المسائل العلمية، وبواكير حركة التصنيف والتدوين.

وقد تجاوب مع هذا الأمر وتفاعل مع ذلكم الحث والاهتمام كبار التابعين ممن تعلموا على أيدي الخلفاء الراشدين، وبقية إخوانهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فنجد أنّ عَلَمًا مخضرمًا فاضلاً، وعالـمًا بارزًا، مثل أبو العالية[٥] يقول لجاره مهاجر أبو خالد مولى ثقيف: «سَلْني واكتُبْ عنِّي قبل أنْ تَلْتَمس العلم عن غيري فلا تجده»[٦]، ونرى نافعًا مولى ابن عمر يُمْلي عِلْمَه، ويُكتب بين يَدَيْه[٧].

وقد كان عمر رضي الله عنه من شدة حرصه على إتقان الكتابة يُعاقب من لم يتمسك بقواعد المراسلة الكتابية، ومن يَلْحن في الكتابة من كُتّاب ولاته على الأمصار

---

(١) انظر ما أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج ١، ص١٢٨.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج١، ص ١٧٠.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج١، ص ١٣٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص ٢٥٩، والرازي، علل الحديث، ج٢، ص ٤٣٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص ٢٥٩.

(٥) هو رُفيع بن مهران، الإمام، المقرئ، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من عمر وعلي وأُبَيّ، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وغيرهم رضوان الله عليهم، وقرأ القرآن على عمر ثلاث مرات، توفي سنة ٩٠هـ. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٤٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٠٧.

(٦) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص ٢٢١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص١٧٨، والرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص ٣٦٠.

(٧) أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج١، ص ١٢٩.

المختلفة، وذلك ما فعله مع كاتب أبي موسى الأشعري، حينما كتب إلى عمر بن الخطاب: «من أبو موسى» فكتب إليه عمر: «إذا أتاك كتابي، فاضرب كاتبك سوطًا، واعزله عن عملك»(١)، وأمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بضرب كاتب لعمرو بن العاص؛ لأنه كتب «بم الله» باءً وميمًا وحذف السين، فقيل: في أيِّ شيء ضُرب؟ فقيل: في سين، فضربت مثلاً(٢).

ومما يشير إشارة واضحة إلى اهتمام الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة بالخط والكتابة، وجود عدد من النصوص تحوي في ثناياها توجيهات خطية وكتابية، فقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل قبيح الخط: «أطل جَلْفَةَ(٣) قَلَمِكَ واسْمِنْها، وحرّف قَطَّتَكَ وأيْمنْهَا، واعْدِلْ أقْسَامَكَ، وأقِمْ ألِفَكَ ولامك»(٤). وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الخط علامة، فكلما كان أبْيَن كان أحسن»(٥).

وروى ابن عساكر عن محمد بن عبيد بن أوس الغَسَّاني، عن أبيه، وكان الأخير كاتب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كتبتُ بين يدي معاوية كتابًا، فقال لي: يا عُبَيْد ارقش كتابك إليَّ(٦). ورُوي عن سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «شر الكتابة المشق، وأجود الخط أبْيَنُه»(٧)، وفي رواية أخرى: «شر الكتابة المشق، وشر القراءة الهذرمة»(٨). فهذه النصوص تشير إلى اهتمام متميز بالكتابة ودقائقها وأنواعها وأسرارها.

---

(١) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص ٢٤.

(٣) الجَلْف: القَشْر، والجُلْفَة: ما جَلَفْتَ منه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٠، مادة: «جلف». والقَطُّ، سيأتي التعريف به في أداة الكتابة «القلم».

(٤) الصايغ، تحفة أولي الألباب، ص ٣٤.

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١٢٩.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص ١٦٩.

(٧) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١٢٩-١٣٠، والسيوطي، تدريب الراوي، ج٢، ص ٧٠.

(٨) الصولي، أدب الكتاب، ص ٤٩.

تعليم الكتابة ونشوء الكتاتيب في العهد الراشدي:

نظرًا للمقام السامي الذي احتلته الكتابة العربية في نفوس الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة، كما مر معنا، ونظرًا للحاجة الماسّة والملحة لتعليمها وانتشارها، جاءت عملية تنظيم هذا النوع من العملية التعليمية، وبرغم أن الرسول ﷺ قام بعددٍ من الإجراءات لتعليم الكتابة، ذكرها الباحث فيما سبق، إلاّ أن الدَّوْلة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ترامت أطرافها، وكثرت ولاياتها وولاتها ودواوينها، وازداد عدد رعاياها، وتكاثرت احتياجاتها الكتابية في المجالات الإدارية والسياسية والعسكرية والعلمية والثقافية بل حتى على مستوى المعاملات والأحوال الشخصية بين الناس، كل ذلك جعل العملية التنظيمية لتعليم الكتابة العربية في هذا العهد، تأخذ أبعادًا أكثر دقة، وأشكالاً أكثر تنظيمًا وتخطيطًا، وهذا ما دفع الأستاذ الشيخ المختار الكنتي رحمه الله إلى القول: «بأن الصحابة كانوا قبل ولاية عمر، إنما يُقرئ الرجل ابنته وأخاه الصغير ويأخذ الكبير عن الكبير مفاهمةً لسيلان أذهانهم، فلما كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم، وأهل البوادي، وكثر الولدان، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب، ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم»(١).

ويؤيد ذلك ما رواه ابن عساكر رحمه الله بسنده عن الوضين بن عطاء أنّه قال: «ثلاثة معلمين كانوا بالمدينة يعلمون الصبيان، وكان عمر بن الخطاب يرزق كل واحد منهم خمسة عشر درهمًا كل شهر»(٢)، ويؤيده ـ أيضًا ـ نظم الأعرابي الذي أَسْلَمه عمر رضي الله عنه للكُتَّاب ليتعلم فيه، والذي يقول فيه:

أتيتُ مهاجرين فعلموني ... ثلاثة أسطر متتابعات

كتاب الله في رقٍّ صحيح ... وآيات القرآن مفصلات

وخطوا لي أبا جاد وقالوا: ... تعلم سَعْفَصًا وقُرَيِّشَات(٣)

---

(١) عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص ٣٥، وانظر ما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الإجارة، باب أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به، ج٦، ص ١٢٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٢٤، ومحمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص ٧١.

وهذا لا يعني أنَّ كل معلمي الكُتَّاب كانوا يتقاضون أجرًا على تعليمهم الصبيان، فقد كان بعضهم يكره أن يأخذ أجرةً على ذلك فقد روى ابن سيرين: «كانوا يكرهون أن يأخذوا الأجر على تعليم الكتاب» فقال أحدهم: «كيف كانوا يصنعون». قال: يحتسبون في ذلك الخير»(١).

وقد رَافَقَ هذا التعليم الرسمي للكتابة العربية من قبل الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، تعليمًا يمكن أن نُسمِّيه تعليمًا أهليًا للكتابة مِنْ قِبَل أحد كبار الصحابة، وهو سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث أقدَمَ إلى المدينة رجلاً نصرانيًا اسمه جفينة من أهل الحيرة ظئرًا(٢) له للصلح الذي بينه وبينهم، وليُعَلِّم بالمدينة الكتابة(٣)، وفي رواية ليعلم ولده والناس الكتاب والحساب(٤).

ومن الشواهد على انتشار تَعلُّم الكتابة وكثرة الكتاتيب في العهد الراشدي ما رواه أبو العالية(٥) عن نفسه قائلاً: «تعلمتُ الكتاب(٦) والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا رُئي المداد في ثوبي قط»(٧). وفي رواية لابن سعد رحمه الله: «كنتُ مملوكًا أخدم أهلي، فتعلمت القرآن ظاهرًا والكتابة العربية»(٨).

---

(١) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، رقم ٦٠٤.

(٢) يُقَال ظَأَرني فلان على أمر كذا وأظْأَرني وظاءَرَني على فاعلني أي: عطفني. قال أبو عبيد: من أمثالهم في الإعطاء من الخوف قولهم: «الطَّعْن يَظْأَرُ» أي يَعْطف على الصُّلْح. يقول: إذا خَافَك أن تَطْعَنَه فَتَقْتُلَه عَطَفَه ذلك عليك فجادَ بماله للخوف حينئذ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥١٥، مادة: «ظئر».

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٥، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٣٦٧، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٨٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص ٦١، ٦٤، والذهبي، تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدون، ص ٢٩٧.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٧٨، وابن سحنون، آداب المعلمين، ص ٨٣.

(٥) رُفَيع بن مهران، تقدمت ترجمته.

(٦) في «سير أعلام النبلاء للذهبي»، ج٤، ص ٢١٠: «الكتابة».

(٧) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص ٢١٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص١٧٤.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١١٣.

وقول عثمان بن عبيد الله: «رأيتُ أبا أُسيد(١) وأبا هريرة وأبا قتادة(٢) وابن عمر يمرُّون بنا ونحن في الكُتَّاب، فنجد منهم ريح العبير (وهو الخَلُوق)، ويُصفّرون لحاهم»(٣).

وقد كان قَبِيصَةُ بن ذُؤَيْب(٤) مُعَلِّمَ كُتّاب(٥)، وقد روى ابن قتيبة رحمه الله في كتابه «المعارف»(٦) أنّ عطاء بن أبي رباح نشأ بمكة، وعُلِّم الكِتَاب بها، ثم أصبح

(١) قال الذهبي، رحمه الله: «مات أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه سنة أربعين، وهو قول ابن سعد وخليفة، وقال المدائني: توفي سنة ستين، وهذا بعيد، وأشذُّ منه قول أبي القاسم بن مندة: سنة خمس وستين، وقال أبو حفص الفلاّس: مات سنة ثلاثين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٣٨.

(٢) هو الحارث بن ربعي رضي الله عنه، توفي سنة ٤٠هـ، وقد حقق الشيخ شعيب الأرناؤوط - حفظه الله - سنة وفاته بأنها سنة ٤٠هـ، وأثبت أنّ هذا هو القول الصحيح، وأنّ من قال: توفي سنة أربع وخمسين فليس بصحيح. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٥٣.
وفي كلا التاريخين لوفاة هذين الصحابيين دلالة على أنّ خبر الكُتّاب المذكور، حدث في العهد الراشدي، وأنه كان قائماً في ذلك العهد.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٥٥٨، وج٤، ص ١٨٠، ص ٣٣٥، والذهبي، تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدون، ص ٦٥٦-٦٥٧.

(٤) من كبار التابعين، الإمام الكبير، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير، مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذُؤَيْب بن حَلْحَلة صاحب بدن النبي ﷺ في آخر أيام النبي ﷺ، فأتي بقَبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ﷺ ولم يع هو ذلك. روى عن أبي بكر - إن صح - وعن عمر وأبي الدرداء وبلال وعبد الرحمن بن عوف وتميم الداري وعبادة بن الصامت، وعدةً. توفي سنة ست وثمانين وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان وثمانين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٤٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٨٢.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٣٩١. وقال الذهبي بعد ذكره لهذا الخبر: «يعني في مبدإ أمره». انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٨٣. وفي هذا القول إشارة إلى ممارسته هذه المهنة في العهد الراشدي.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٤٤. وكان تعلمه هذا في العهد الراشدي، حيث ولد رحمه الله تعالى في أوائل خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٧٩، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٤، ص ٣٣٥.

مُعَلِّمَ كُتَّاب في مقتبل عمره(١).

وقد روي أن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف(٢) كان يأخذ بيد الصبي من الكُتّاب فيذهب به إلى البيت، فيُملي عليه الحديث ويكتب له(٣).

وقد بلغ من انتشار الكتاتيب في العهد الراشدي حدًّا جعل من أحد المعاصرين لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مَعْرِض روايته لحادثة وقعت مع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يُشبّه، فيقول: «فلما جاز الرجل، قال علي: يا معشر المسلمين، خذوه. قال: فأخذوه، فحُمِلَ على ظهر رجل كما يُحْمَل صبيان الكُتّاب»(٤). ففي هذا التشبيه كشفٌ لكثرة واشتهار الكتاتيب، حتى غدا خروج الصبيان لها سمتًا ومظهرًا مميزًا.

وهناك عدد من الكتاتيب المنسوبة إلى معلميها، مذكورة في مصادر تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة، مثل كُتّاب أبي عثمان(٥)، وكُتّاب أبي عمر المُعلِّم(٦)، وكُتّاب عروة(٧)، وعروة رجل من أهل اليمن كان يُعلِّم، وكُتّاب ابن زَيّان(٨)،

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٨١. وقد وُلِدَ عطاء في أول خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويقول عن نفسه: «أدركتُ مئتين من أصحاب الرسول ﷺ». انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٨١-٨٧.

(٢) رَوَى عن أبيه، وعثمان بن عفان، وطلحة، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وأسامة بن زيد، وحسَّان بن ثابت، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة، والمغيرة بن شعبة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر... وخلق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص ٣٥١-٣٥٢.

(٣) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج٢، ص ٩٥، رقم ١٦٧٤.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٦٤.

(٥) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢٧٩.

(٦) الأزرقي، تاريخ مكة، ج٢،ص ٢٤٢.

(٧) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة المنورة، ج٢،ص ٥٧، ١٣٠، ٢٤٥، ٢٥٣، والعبَّاسي، عمدة الأخبار، ص ١٤١.

(٨) ابن شَبَّة، تاريخ ا لمدينة المنورة، ج١، ص ٢٤٩.

وكُتّاب ابن الخصيب[١]، وكُتّاب النَّصْر[٢]. ولم يكن انتشار الكتاتيب قاصرًا على مدينتي مكة والمدينة، بل انتشرت في مدن الأقاليم التي أصبحت تحت الحكم الإسلامي في العهد الراشدي، فهذا جُبَير بن حيَّة رضي الله عنه[٣]، كان معلم كُتّاب في الطائف، ثم استقر كاتبًا في الديوان في العراق[٤].

وفي مدينة حمص يقول أدهم بن الصحابي مُحْرز بن أَسيد الباهلي عن نفسه: «إنِّي لأول مولود ولد بحمص[٥]، وأول مولود فرض له، وبيدي كتف وأنا اختلف إلى الكُتّاب»[٦]. وفي هذا القول إشارة إلى أنّ إقامة الكتاتيب لتعليم الصبيان الكتابة والقرآن والحساب من أوائل أعمال الفاتحين المسلمين، والعُمّال العاملين للخلفاء الراشدين في ولايات الدولة الإسلامية. وأما في مدينة القيروان[٧] فيقول غياث بن أبي حبيب[٨] الحبراني: «كان سفيان بن وهب صاحب النبي ﷺ يمرُّ بنا ونحن غِلْمَة في الكُتَّاب، فُيسلِّم علينا وهو معتمٌّ بعمامة قد أرخاها خلفه»[٩]، أما في مدينة دمشق فيخبرنا ابن عساكر بسنده «أن الضَّحَّاك بن قيس[١٠] كان على

(١) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص ٢٥١.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٢.

(٣) هو جُبير بن حية بن مسعود الثقفي، ابن عم المغيرة بن شعبة وابن أخي عروة بن مسعود، ثبت في صحيح البخاري أنه شهد الفتوح في عهد عمر، وليست صحبته عندي [أي عند ابن حجر العسقلاني] بمندفعة، فمن يشهد الفتوح في عهد عمر لابد أن يكون إذ ذاك رجلاً، فأقل أحواله أن يكون له رؤية. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٥٧٠ .

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٥٧٠.

(٥) فُتحت حمص في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص ٤٦٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٢١٩.

(٧) فُتحت القيروان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٨) في «أسد الغابة» لابن الأثير الجزري، ج٢، ص ٥٠٢: «ابن أبي شبيب».

(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(١٠) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، عداده في صغار الصحابة، له أحاديث، شهد=

دمشق فجاءه المؤذن فَسَلَّم عليه، وقال المؤذن: إني لأحبك في الله عز وجل، فقال له الضحاك: ولكنِّي أبغضك لله، قال: ولم تبغضني أصلحك الله؟ فقال: لأنك تتزاهى بتأذينك، وتأخذ أجراً على تعليمك»(١) وكان معلم كُتّاب. وأخيراً مدينة البصرة، فقد روي عن عبدالله بن إسحاق النحوي، قوله: «كان الجَحّافُ(٢) معي في الكُتّاب»(٣) وكان مولد الجحاف بالبصرة.

وفي قصة نَصْر بن الحجَّاج بن عِلاط السُّلَمي(٤) إشارة إلى وجود الكتاتيب وانتشارها في مدينة البصرة في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٥).

والجدير بالذكر أن عناصر التنظيم والتخطيط لإنشاء هذه الكتاتيب لتعليم الكتابة والقرآن كانت ظاهرة في الشواهد التاريخية، فبالإضافة إلى ما ذكره الباحث من تعيين المعلمين، ورصد نفقاتهم، وتحديد أماكن الكتاتيب، نجد أنَّ تحديد أيام التعليم كان جزءاً من تنظيم العملية التعليمية في هذه الكتاتيب «فقد كانوا

= فتح دمشق، وسكنها، وكان على عسكر دمشق يوم صفين، وليَ إمرة دمشق عام ٥٣هـ، وقتل بمرج راهط في نصف ذي الحجة سنة أربع وستين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٩٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٤١-٢٤٥.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص ٢٩٠.

(٢) هو الجَحّاف بن حكيم السلمي، فاتك، ثائر، شاعر، كان معاصراً لعبد الملك بن مروان، توفي نحو ٩٠هـ. انظر: الزِّركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١١٣.
وبما أنّ ولادة عبد الملك بن مروان في أوائل خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فمن المرجح أن ولادة الجحاف كانت في ذلك العهد، وبالتالي كان دخوله الكُتَّاب في العهد الراشدي.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص ٢٣٩.

(٤) هو نصر بن الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة السلمي ثم الفهري، شاعر من أهل المدينة، كان جميلاً، أبوه من الصحابة حيث قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر فأسلم، وسكن المدينة واختط بها داراً ومسجداً وكانت لنصر بن الحجاج قصة مشهورة مع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد كان في عهد خلافته رجلاً، ومن هذا استدل ابن حجر العسقلاني على أن ولادته كانت في عهد النبي ﷺ.
انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٢٩، وج٦، ص ٣٨٢، والزركلي، الأعلام، ج٨، ص ٢٢.

(٥) انظر القصة: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ١٢٨.

يسرمدون القراءة في الأسبوع كله، فلما فتح عمر الشام ورجع قافلاً للمدينة تلقاه أهلها ومعهم الصبيان، وكان اليوم الذي لاقوه فيه يوم الأربعاء، فظلوا معه عشية الأربعاء ويوم الخميس وصدر يوم الجمعة، فجُعل ذلك لصبيان المكاتب، وأوجب لهم سُنَّةً للاستراحة»[1].

بل إننا نجد تحديداً لبدء اليوم الدراسي في هذه الكتاتيب، فقد روى ابن عساكر رحمه الله بسنده إلى معن بن عيسى أنه قال: «سمعت أن أول بيت قاله عبدالرحمن بن حسّان[2] أن معلم الكتَّاب استبطأه فقال له: أين كُنْتَ؟ وأمر به أن يُضرب، فبكى وقال:

الله يعلم أنّي كنتُ مشتغلاً ... في دار حمران أصطادُ العياسيب[3]

ففي خبر استبطاء المعلم عبد الرحمنَ إشارةٌ إلى تحديد موعد لبدء اليوم الدراسي، وفي خبر آخر لطُوَيْسٍ المدني[4] إشارة إلى تعيين مَرْحلةٍ عُمْرية للدخول إلى الكُتَّاب في ذلك العهد[5].

ولم تتوقف مسيرة انتشار الكتاتيب، بل ظلّت آخذةً في الازدياد، حتى إننا لنجد أن المصادر التاريخية قد حفلت بالكثير من الشواهد على ذلك الاستمرار في الذيوع والانتشار[6] في أواخر الربع الثاني والربع الثالث من القرن الهجري الأول،

(١) عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة ا لنبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٩٤.

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، المدني، الشاعر، ابن الشاعر، وأمه هي سيرين خالة إبراهيم ابن النبي ﷺ قيل: ولد في حياة النبي ﷺ، وعاش نيفًا وتسعين، وكان عُمر رضي الله عنه كثيراً ما يستنشده. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٧٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٦٤-٦٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٢٩٤.

(٤) هو أبو عبد الله المنعم عيسى بن عبد الله، قيل: أنه ولد يوم وفاة النبي ﷺ، ومات سنة اثنتين وتسعين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٣٦٤.

(٥) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص ١٥٢.

(٦) انظر حول هذه الشواهد: أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة ، ج١، ص ٤٢٩، وفيه: «كان عطاء [ابن أبي رباح ٢٧هـ-١١٥هـ] يعلم الكتاب في زمن معاوية». وحول تعليم عطاء بن أبي رباح=

أي في أواخر وبُعَيْد الفترة المدروسة[1].

أثر العامل التعليمي على وجه العموم، وتعليم الكتابة على وجه الخصوص:

كان لهذا العامل تأثيرٌ كبيرٌ على ناحيتين مهمتين أسهمتا بشكل قوي ومباشر في تطوير صناعة الكتابة والكِتَاب في النصف الأول من القرن الهجري الأول، وهاتان الناحيتان هما: الخط، والتدوين العلمي.

أما الخط، فقد مر معنا توجيه عمر رضي الله عنه في الخط: «شرُّ الكتابة المَشْق، وأَجود الخط أَبْينه»، وفي قول عمر رضي الله عنه هذا دلالة على أنّ هذا النوع من الخط كان معروفًا ومنتشراً في عهده؛ لذلك ذَمَّهُ.. وقد عرَّف صلاح الدين المنجد «المَشْق»[2] بأنّه: الخط السريع الممتد الحروف الذي لا تتضح حروفه. مؤكداً بقول عمر رضي الله عنه في مقابلة المشق: «وأجود

= الكتابة، انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص ٣٧٤، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٤٦٨. وانظر أيضاً حول تلك الشواهد: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٤١. وفيه: «كان سعيد بن المسيب إذا مرَّ بالمكتب قال للصبيان: هؤلاء الناس بعدنا»، وفي هذا القول ما فيه من اهتمام بتعليم الكتابة وعلو مكانتها في نفوس كبار التابعين، وما كان ذلك كذلك لولا وجود هذا الاهتمام وعلو تلكم المكانة في نفوس كبار الصحابة رضوان الله عليهم، والرسول ﷺ من قبلهم أجمعين. وانظر أيضاً: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص١٣٤، ٣٠٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص ١٢٦-١٢٧. وفيه: «أنّ صفوان ابن سليم كان يعلم الكتاب في المدينة في زمن معاوية». وانظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص ٢٧٦، وج٤٩، ص ٢٠٤، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٤١٤. وفيه: «أن عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان (٢٨هـ - ٦٧هـ) كان في عهد ولايته (٥٣هـ-٦٥هـ) كُتَّابًا للصبيان يُشرف عليه معلمٌ يدعى سعيد بن شداد اليربوعي.

(١) حدد الباحث هذه الفترة بناء على تتبعه لتراجم أعلام هذه الشواهد التاريخية وسني وفياتهم، وذلك من خلال مصادر التراجم المشهورة.

(٢) المشق: السرعة في الطعن والضرب والأكل والكتابة. انظر: الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٥٥٥، مادة: «مشق». وقلم مشّاق: سريع الجري في القرطاس. ومَشَقَ الخطَّ يمشقه مشقًا: مده. وقيل: أسرع فيه. والمشق: السرعة في الطعن والضرب والأكل والكتابة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٤٤-٣٤٥، مادة: «مشق». والمشق في الكتابة: مدُّ حروفها. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٤٤٥، مادة: «مشق».

الخط أبينه»، ومما يؤكد صفة السرعة لخط المشق كراهة ابن سيرين: «أن يُكتب القرآن مشقًا؛ لأنّ في ذلك تعجرفًا وخرقًا»(١)، والعجرفة: هي السرعة(٢).

وفي قول عمر رضي الله عنه - أيضًا - دلالة على تعدد الخطوط في عهده وتنوعها وانتشارها، لنجد أنه ظهر في مكة الخط الذي سمّاه محمد بن إسحاق النديم بالخط المكي، وفي المدينة ظهر الخط الذي سماه بالخط المدني(٣). وبلغ تأثير العامل التعليمي للكتابة في ذلك العهد حدًّا جعل من أحد الباحثين المعاصرين يعتقد أن هذين الخطين هما في الأصل خطٌّ واحدٌ، ويعزو التمييز بينهما إلى كون الخط المدني أكثر إتقانًا من الخط المكي، ويعلل ذلك بكثرة الكُتَّاب وكثرة الكتابة(٤)، ولعل المُتَمعِّن فيما أورده الباحث - آنفًا - حول تعليم الكتابة وانتشارها، وكثرة الكتاتيب والاهتمام بها، خصوصًا في العهد الراشدي، يظهر له بجلاء وجاهة وقوة هذا التعليل. وقد وصف محمد بن إسحاق النديم هذين الخطين بقوله: «فأمّا المكي والمدني ففي ألفَاتِهِ تعويج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير»(٥).

ثم اختطت مدينة البصرة سنة ١٤هـ، حيث أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُتْبة ابن غَزْوان ومن معه من المسلمين أن ينزلوا فيها، فنزلها في ربيع الأول سنة أربع عشرة(٦)، فظهر فيها الخط البصري، ثم دخلت سنة سبع عشرة، وفي المحرم منها أمر سعد بن أبي وقاص باختطاط الكوفة(٧)، وقد نقل العرب القادمون من المدينة

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص٧٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) النديم، الفهرست، ص ٨.

(٤) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٢٤.

(٥) النديم، الفهرست، ص ٨.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٥٢.

(٧) المصدر السابق، ج٧، ص ٨٠-٨١.

خطهم الذي عرفوه إلى هذه المدينة الجديدة، فما لبث أن تطور وأُدخل عليه التحسين، وصار يُسَمَّى بالخط الكوفي[1].

ويكمن تأثير العامل التعليمي في العلوم المختلفة على وجه العموم، وفي الكتابة على وجه الخصوص، على هذين الخطين اللذين ظهرا في العصر الراشدي، كَوْن أنّ مدينتي الكوفة والبصرة حوتا علماء كثيرين من الصحابة وكبار التابعين من القرّاء والمحدّثين والنحويين والكُتّاب والكثير من الحلقات العلمية والكتاتيب، وانتشارها في كلا المدينتين، كما مر معنا، فكان ذلك كله سببًا في فرض الخطَّين البصري والكوفي، والثاني بشكل أخص[2].

هذا بالنسبة للخط، أما التدوين العلمي فقد جاء العامل التعليمي وتعليم الكتابة بثمرة مرجوة وسريعة، فأنتج العديد من أوائل المدونات العلمية في عدد من العلوم والمعارف. وفي تعدد هذا الإنتاج في تلك المدة الزمنية المبكرة ازدهارٌ حتمي لحركة صناعة الكتابة والكتاب، ومستلزماتها. وقبل أن يخوض الباحث في ذكر بعض من مدونات العلوم المختلفة في تلك المدة، يستعرض بعض الشواهد على التدوين العلمي بصفة عامة، دون تخصيص لعلم من العلوم، فقد حفلت المصادر التاريخية بالنصوص التي تؤكد انتشار التدوين بين علماء الصحابة وكبار التابعين في ذلك العهد، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وقال: «أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب؛ فأحبّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يُبقيَّن أحد عنده كتاب إلا أتاني به، فأرى رأيي فيه...»[3]، وقد سئل الصحابي أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن كتاب العلم، فقال: «لا بأس بذلك»[4].

---

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٧٨.

(٢) انظر حَوْل هذا المعنى: المصدر السابق، ص ٧٨-٧٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٥٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤١٢.

وقد كانت عند موسى بن طلحة[١] إما كتاب معاذ بن جبل رضي الله عنه أو نسخة منه، فقد روَى عبد الرزاق بسنده عن موسى بن طلحة: «عندي كتاب معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ ...»[٢]، وروى أبو يوسف[٣] عن موسى بن طلحة: «... وعندنا كتاب كتبه النبي ﷺ لمعاذ، أو قال: نسخة، أو جدت نسخة»، وكانت ـ أيضًا ـ لدى ابن عائذ كتب معاذ بن جبل[٤].

ورُوي عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، فقال بشير بن كعب [تابعي جليل]: «مكتوب في الحكمة؛ إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة»، فقال له عمران: «أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتحدثني عن صحيفتك؟» وفي رواية: «وتحدثني عن صحفك؟»[٥]. ففي هذا الحديث إشارة إلى وجود مدونات علمية لدى بشير بن كعب. وهذا سعيد بن نمران الهَمْداني[٦] قد كتب عن علي رضي الله عنه[٧]، وكان لعمرو بن العاص مدونات علمية استفاد منها أحد القُصَّاص بمدينة الرَّقَّة[٨]، وقد قال موسى بن عقبة: «وَضَعَ عندنا كريب [مولى ابن عباس، ت ٩٨هـ] حمل بعير، أو عدل بعير من

---

(١) هو ابن الصحابي طلحة بن عبيد الله القرشي، ولد في عهد الرسول ﷺ، وروى عن أبيه، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص ٥٥٠.

(٢) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب الزكاة، باب الخضد، ج٤، ص ١١٩.

(٣) ابن إبراهيم، أبو يوسف يعقوب، الخراج، ص ٥٩.

(٤) الرامهرمزي، المحدِّث الفاصل، ص ٤٩٨، رقم ٦١٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مَنْ رضي بالله رباً..، ج١، ص٦٤، رقم ٦١.

(٦) له إدراك، شهد اليرموك، سمع من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٢١٢.

(٨) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ١٣٠. والرَّقَّة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة؛ لأنها من جانب الفرات الشرقي. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٥٩.

كتب ابن عباس، قال: فكان عليٌّ بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا، قال: فينسخها فيبعث إليه بإحداهما»[1]، وعلاوة على ما يدل عليه هذا الخبر من كثرة الإنتاج العلمي المخطوط لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فإن فيه إشارة إلى حتمية وجود نظام بدائي للتصنيف، وإلا لَمَا استطاع كريب مولى ابن عباس أن يُخرج بغية علي بن عبد الله بن عباس بهذه البساطة، وسط هذا الركام من الرسائل والمدونات العلمية.

ونجد أنّ الصحابي الجليل سَمُرة بن جُنْدب رضي الله عنه[2] كتب رسالة إلى بنيه، قال عنها ابن سيرين: «فيها علم كثير»[3]. وكان زياد بن جارية[4] إذا خلا بأصحابه قال: «أخرجوا مخبآتكم»[5]، وفي «عقيدة السلف» لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني: أنّ صَبِيغ التميمي[6] الذي كان يسأل عن المتشابه في أيام عمر لما قدم

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٩٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص١٢٣، وفي رواية أخرى لابن عساكر عن كريب، قال: عندنا حمل من كتب ابن عباس. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص ٢٨٩.

(٢) هو سَمُرة بن جُنْدب بن هلال الفَزَاري رضي الله عنه، من صغار الصحابة، ورُوي عنه قوله: «كنت غلامًا على عهد الرسول ﷺ، فكنتُ أحفظ عنه» سكن البصرة، وكان زيادًا يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، مات سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وقيل: في أول الستين. انظر: ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٢، ص٥٥٤.

(٣) ابن الأثير الجزري، أُسدُ الغابة، ج٢، ص ٥٥٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٥٠.

(٤) هو زياد بن جارية التميمي الدمشقي، مختلف في صحبته، توفي زمن الوليد بن عبد الملك، ٨٦هـ- ٩٦ هـ. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص ٣٣٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٥٣٨-٥٣٩.

(٥) أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، ج١، ص ٣٥٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٣٥-١٣٦، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٢١٤.

(٦) هو صَبيغ بن عسل الحنظلي، له إدراك وقصته مع عمر مشهورة. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٣٧٠-٣٧١.

المدينة كانت عنده كتب[١]. وقد سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مجلسه عبارة من عدي بن حاتم الطائي بعد حوار دار بينهما حول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فالتفت معاوية بعد أن سمعها إلى حبيب بن مسلمة[٢]، وقال له: «اجعلها في كتابك فإنها حكمة»[٣]، وفي هذا القول إشارة إلى وجود كتاب مصنف لحبيب ابن مسلمة، كان يدون فيه الفوائد والحكم. وقد كتب العلم عن معاوية - أيضًا - زيد بن عبدالله بن أبي مُلَيْكة القرشي البصري، وذلك زمن وفوده على معاوية[٤]. وهذه أم الدرداء[٥] تروي عن زوجها أبي الدرداء عويمر بن زيد رضي الله عنه أنه أُشغل في كتاب في يوم دجو[٦] الناس في صلاة العشاء[٧]. وفي هذا الخبر إيماءة إلى أنّ أبا الدرداء عويمر ابن زيد كان صاحب كتب، وحدث أن أمرت أم الدرداء رضي الله عنها رَجُلاً أنْ يكتب دعاءً رَوَتْهُ له، فقالت له بعد أن ذكرت له

---

(١) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المُسمّى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٥٩.

(٢) هو حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي الفهري، له صحبةٌ ورواية يسيرة، وقد جاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك أميرًا، وسكن دمشق، وكان مقدم ميسرة معاوية نوبة صفين، وولي أرمينية لمعاوية، فمات بها سنة اثنتين وأربعين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ٩٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ١١٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٤٤٨.

(٥) هي خيرة بنت أبي حَدْرَد، كانت من فُضليات النساء وعقلائهن وذات الرأي فيهن مع العبادة والنسك، توفيت قبل زوجها أبي الدرداء وذلك بالشام في خلافة عثمان رضي الله عنه، وكانت حفظت عن النبي ﷺ وعن زوجها. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص ١٢٣، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٧، ص ١٠٠.

(٦) الدُّجى: سواد الليل مع غَيْم، وأن لا ترى نجمًا ولا قمرًا. وقيل: دَجا الليل بمعنى هَدَأَ أو سكن، ويقال: «دَجَا الإسلام» أي قَوِيَ وأَلْبَسَ كلَّ شيء، من دَجَا الليل إذا تمَّت ظُلْمته وأَلْبَس كل شيء. والدُّجوُّ: الظلمة. وليلة داجية: مدجية. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٢٥٠.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٧، ص ٢٦.

الدعاء: «اكتُبْه» فَكَتبه[١].

ورُويَ عن شريح بن عبيد الله: أنه قَرأَ كتابًا لكعب [كعب الأحبار] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيه خبر حادثة من الحوادث المستقبلية[٢]. كما تُنْسَب لعبد الله بن سلام بعض الآثار المخطوطة، وإن كان لا يمكن الجزم بأنها له ولكن علو كعبه في المأثور اليهودي والمأثور الإسلامي يُشير بنسبتها إليه. وكذلك نجد أنّ كعب بن مالك كان صاحب كتب عرفها المسلمين الأوائل. وروي عن التابعي الكبير الحسن البصري أنه مات وترك كتبًا فيها علم[٣]، سيشير الباحث إلى بعض منها بعد قليل.

التدوين العلمي المتخصص:

إن المُتَمَعِّنَ في تاريخ التراث الإسلامي العربي في عصوره المبكرة - أي في صدر الإسلام - لا يتردد لحظة في الإقرار بأن النواة الأولى لتلك المصنفات العلمية المبكرة كانت تكمن في تلك المكاتبات والمراسلات العلمية والسياسية والإدارية والعسكرية التي تتم بين أعلام ذلك العهد، وقد كان أطراف هذه المكاتبات والمراسلات هم الخلفاء الراشدون وولاة الأمصار من كبار الصحابة وكبار التابعين، وقبل هؤلاء جميعهم وعلى رأسهم معلم البشرية الأول سيدنا محمد ﷺ، فمن مجموع مكاتباته ﷺ بكافة أشكالها، وأهدافها، ومضامينها، ومن مجموع مكاتبات من بعده من الخلفاء وولاة الأمصار من الصحابة والتابعين بدأت في التشكل معالم صورة التدوين العلمي في ذلك العهد، وخصوصًا أن تلك المكاتبات والمراسلات تحمل في طياتها أحاديث النبي ﷺ وآثار الصحابة وفتاواهم وتشريعاتهم التي استمدوها من القرآن الكريم والسنة النبوية، واجتهاداتهم في أمور الحياة، فكانت هذه المضامين بمثابة جزيئات صغيرة تتجانس فيما بينها ومن ثمّ تترابط لتكوِّن فيما بعد فروع العلم الشرعي والسياسي والتاريخي.

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص ١٧٨.

(٢) انظر الخبر: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص ٢٨٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٥٨٤.

وتشير أخبار كثيرة إلى أنه «كان من المألوف عند الصحابة في هذا الجيل أن يتبادلوا الرسائل مع بعضهم البعض في القضايا الفقهية»[1]، فهذا ابن عباس يقول: «دخلتُ على عمر بن الخطاب يومًا فسألني عن مسألة كَتَبَ إليه بها يَعْلَى ابن أمية من اليمن وأجْبتُه فيها، فقال عمر: أشهد أنك تنطق عن بيت النبوة»[2]، ويَعْلَى هذا هو أول من أرّخ الكتب وهو باليمن[3]، ولولا كثرة مكاتباته مع رجل الدولة الأول في المدينة على نمط المثال المذكور وغيره لما احتاج إلى ذلك. ويُروى عن سَمُرة بن جُنْدَب أنه قال: «سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ، فأنكر ذلك عمرانُ بن حُصَيْن، وقال: حفظنا سكتة، فكتبنا إلى أُبَيّ بن كعب بالمدينة، فكتبَ أُبَيّ أن حفظ سَمُرة، قال سعيد: فقلنا لقتادة: ما هاتان السكتتان؟ قال: إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة»[4]، وقد كتب نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس يسأله عن سهم ذي القربى وعن قتل الولدان[5]. ويروي عبد الله بن هرمز قائلاً: «كنتُ كاتب عبد الله بن عباس إلى نجدة، وكتب إليه يسأله عن النساء هل كُنّ يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ، وهل كان يضرب لهن بسهم، وهل كان للعبد في المغنم سهم، ومتى كان يضرب للصبي، ويسأله عن سهم ذي القربى، فكتب إليه إن النساء كن يحضرن الحرب مع رسول الله ﷺ، فيرضخ لهن ولا يضرب لهن بسهم، وأنه لا سهم للعبد في المغنم، وأنه كان لا يضرب بسهم حتى يحتلم..»[6].

---

(١) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٣، ص ٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٦٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٠٠.

(٤) ابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج٢، ص ٥٥٥، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب من جاء في السكتتين في الصلاة، ج٢، ص ٧٣-٧٤، رقم ٢٥١.

(٥) ابن أبي حاتم الرازي، علل الحديث، ج١، ص ٣٠٧.

(٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٤، ص ٤٢٣، رقم ٢٥٥٠.

وروي أنه كان لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر! فإياك أن تكتب إليَّ؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذِّبون بالقدر»(١).

وروي أن رجلاً كتب إلى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما يسأله عن العلم، فكتب إليه ابن عمر: إنك كتبت تسألني عن العلم، والعلم أكثر من أنْ أكتب به إليك. ولكن إن استطعت أن تلقى الله وأنت خفيف الظهر من دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لجماعتهم؛ فافعل(٢).

وروى عامر بن سعد قال: كتبتُ إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أخبرني بشيء سمعتهُ من رسول الله ﷺ فكتبت: سمعتُ رسول الله ﷺ ...» ثم ذكر الحديث(٣).

وروي أنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كتبتْ بحديث الرسول ﷺ في مناقب عثمان، وأرسلته إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٤)، وقد كان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن ذلك(٥).

وفيما يأتي سيستعرض الباحث الأدبيات العلمية المخطوطة لكبار الصحابة وكبار التابعين في ذلك العهد، وذلك حسب التخصصات العلمية المختلفة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٥، ص ١٥٩، رقم ٥٦٣٩، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص ١٦٩، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٢، ص ٨١.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١٣، ص ٤٥٦، رقم ٧٤٦٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٧، ص ٣٦٩، رقم ٢٤٤٤٧. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ١١٠٨.

الحديث النبوي الشريف:

إن كتابة الحديث النبوي الشريف وتقييده من المجالات الحيوية التي كان بعض الصحابة وكبار التابعين يمارسونها في النصف الأول من القرن الأول الهجري[1]، وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه أَذِنَ بكتابة حديثه، فقد رَوَى أبو سلمة بن عبدالرحمن ابن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ خَطَبَ فَذَكَر القصَّة في الحديث، قال أبو شاه: اكتبوا لي يا رسول الله فقال له رسول الله: اكتُبوا لأبي شاه»[2]، ولهذا الحديث قصة أخرجها البخاري[3] ومسلم[4] في صحيحيهما.

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لقول البخاري رحمه الله «باب كتابة العلم»: «قوله (باب كتابة العلم) طريقة البخاري في الأحكام التي يقع فيها الاختلاف أن

---

(١) ظهر في العصر الحديث عدد من الدراسات التي اهتمت بقضية تدوين الحديث النبوي في صدر الإسلام، من هذه الدراسات: محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ، ٧١٢ ص، وامتياز أحمد، دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٠هـ، ٦٢٩ ص، والصويّان، صحائف الصحابة، د.ن، ط١، ١٤١٠هـ، ٢٧٦ ص، وبكر عبد الله أبو زيد، معرفة النُّسخ والصحف الحديثية، الرياض: دار الراية، ط١، ١٤١٢هـ، ٢٩٩ ص، ومحمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠٠هـ، ٦٥٣ ص.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جَاءَ في الرُّخْصة فيه، ج٧، ص ٤٠٣، رقم ٢٦٦٧، وأخرج ـ نحوه ـ أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١٠، ص ٦٤، رقم ٣٦٤٦، وانظر: الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص ٢٤٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ١٧١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٢٠٥، رقم ١١٢، وكتاب اللقطة، باب إذا وَجَد تَمْرةً في الطريق، ج٥، ص ٨٧، رقم ٢٤٣٤، وكتاب الدِّيات، باب من قُتلَ له قتيلٌ فهو بخير النَّظَرَيْن، ج١٢، ص ٢٠٥، رقم ٦٨٨٠. وأبو شاه ـ بهاءٍ منوّنة ـ: فارس من الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٢٠٦، وج١٢، ص ٢٠٨.

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها...، ج٩، ص ١٣٢-١٣٣، رقم ٣٢٩٢.

لا يجزم فيها بشيء بل يوردها على الاحتمال، وهذه الترجمة من ذلك؛ لأنَّ السلف اختلفوا في ذلك [أي في كتابة العلم] عملاً وتركًا، وإنْ كان الأمر استقر والإجماع انْعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم»[1].

ثم قال - فيما بعد - في شرحه لقول الرسول ﷺ: «اكْتُبُوا لأبي شاه»: «قلتُ: وبهذا تظهر مطابقة هذا الحديث للترجمة»[2].

وقال النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث: «قوله ﷺ اكتبوا لأبي شاه، هذا تصريحٌ بجواز كتابة العلم غير القرآن»[3]، وتبعه في ذلك المباركفوري رحمه الله في «تحفة الأحوذي»[4].

وقد أذن ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في كتابة حديثه، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال: «كان عند رسول الله ﷺ ناسٌ من أصحابه وأَنَا منهم وأنا أصغر القوم، فقال النبي ﷺ: من كذب عليَّ متعمداً فَلْيتَبَوأ مقعده من النار. فَلّمَا خرج القوم قلتُ: كيف تحدثون عن رسول الله ﷺ وقد سمعتم ما قال، وأنتم تنهمكون في الحديث عن رسول الله ﷺ؟ فضحكوا! فقالوا: يا ابن أخينا، إنَّ كل ما سمعنا منه عندنا في كتاب»[5].

وروى أحد التابعين أنَّ شداد بن أوْس صاحب رسول الله ﷺ قال لهم فيما قاله: «... وإنْ زودتكم من زادي أفنيتموه، ولكن أُزودكم حديثًا كان رسول

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٦.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٩، ص ١٣٣.

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ٧، ص ٤٠٤.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ١٥١-١٥٢. وقال: «رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك الحديث»، وأخرج الرامهرمزي نحوه في المحدث الفاصل، ص ٣٧٨، رقم ٣٦١.

الله ﷺ يعلمناه في السفر والحضر»، قال الراوي: «فَأَمْلَى علينا فكتبناه»(١) ثم ذكر الحديث.

وقال صاحب «التراتيب الإدارية»: «رَوَى ابن عدي والبيهقي في المدخل عن أبي الخطاب معروف الخياط، قال: رأيتُ واثلة بن الأسقع [صاحب رسول الله ﷺ] يُملي على الناس الأحاديث وهم يكتبونها عنه»(٢).

وقد ذكرت المصادر عدداً من أسماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ممن مارسوا كتابة الحديث النبوي الشريف، يذكر الباحث منهم ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ:

١- أنس بن مالك رضي الله عنه وابنه:

عن هبيرة بن عبد الرحمن قال: كان أنس بن مالك إذا حَدَّث وكثر عليه الناس جاء بكتب فألْقَاها، ثم قال: هذه أحاديث سمعتها من رسول الله ﷺ، وكتبتها عن رسول الله ﷺ، وعرضتها عليه(٣). وقد صَحَّ عنه رضي الله عنه أنه أوصى ابنه بكتابة حديث من أحاديث الرسول ﷺ قائلاً ـ بعد أن سمع الحديث ـ: فأَعْجَبَني هذا الحديث. فقلتُ لابني: اكْتُبْهُ، فَكَتَبَهُ(٤).

٢- جابر بن عبد الله بن حَرَام السَّلَمي الأنصاري رضي الله عنه:

كانت له صحيفة يكتب فيها حديث رسول الله ﷺ، فقد رَوَى ابن سعد رحمه الله: «كانوا يَرَوْن أنَّ مجاهداً يُحدِّثُ عن صحيفة جابر»(٥)، وقال عقيل بن

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص ٤١٣.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المُسمّى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٧٧.

(٣) الرزّاز الواسطي، تاريخ واسط، ص ٦٣، ٦٤.

(٤) انظر نص الحديث فيما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ج١، ص ٦١-٦٢، رقم ٥٤، وانظر قول أنس رضي الله عنه فيما أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٣، ص ٧٦، رقم ١٥٠٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٤٦٧.

معقل بن منبه اليماني[1] (تابعي): «سمعتُ وَهْب بن مُنَبّه، يقرأُ صحيفة جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما...»[2]، ثم ذكر الحديث. وروي عن عاصم قال: عرضنا على الشعبي صحيفة جابر ـ أو صحيفة فيها حديث جابر ـ، فقال: ما من شيء إلا سمعته من جابر[3].

٣- سَعْد بن عُبَادة بن دُلَيْم الخزرجي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

رُوِيَ عن إسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عبادة عن أبيه، أنهم وجدوا في كتب ـ أو في كتاب ـ سعد بن عبادة: أنَّ رسول الله ﷺ قَضى باليمين مع الشاهد[4].

٤- أبو سعيد سَعْد بن مالك الخُدْريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كُنَّا نَكْتُبُ غير التَّشهد والقرآن»[5].

٥- سَمُرَةُ بن جُنْدب بن هلال الفَزَاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال يحيى بن سعيد القَطَّان [من كبار التابعين][6] في أحاديث سمُرة التي يرويها الحسن عنه: سمعنا أنها من كتاب[7].

٦- أبو هُرَيرة عبد الرحمن بن صخر الدَّوْسيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روى الحسن بن عمرو بن أميّة، قال: «تُحدِّث عند أبي هريرة بحديث، فأخذ بيدي إلى بيته فأرَانا كُتبًا من حديث النبي ﷺ، وقال: هذا هو مكتوب عندي»[8].

---

(١) انظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ١٥٦.

(٢) الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص ٣٨٦.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص ٣٦٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص ٣١٢، رقم ٢٢٣٥٩، وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١٠، ص٦٤، رقم ٣٦٤٥.

(٦) انظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص ١٣٥ - ١٣٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١٥٧؛ وانظر: المَديني، علل الحديث ومعرفة الرجال، ص٦٣.

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٢٠٧، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٤٣١.

٧- عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

رُوي عن وهب بن مُنَبِّه عن أخيه [هَمَّام بن مُنَبِّه] قال: «سمعتُ أبا هُرَيرة يقول: ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله ابن عمرو؛ فإنه كان يكتب ولا أكتُبُ»(١).

وقد يُعارض هذا الأثر رواية الحسن بن عمرو بن أمية في البند السابق حول كتابة أبي هريرة للحديث، إلا أن ابن عبد البر رحمه الله قال: «حديث همَّام أصح، ويمكن الجمع بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي، ثم كتب بعده»(٢)، قال ابن حجر رحمه الله معلقًا على هذا الكلام: «قلتُ: وأقوى من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث عنده أن يكون بخطِّه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب، فتَعيّن أن المكتوب عنده بغير خطه»(٣). وعلى كل حال فهذا الأثر «يستفاد منه... أنَّ النبي ﷺ أذن في كتابة الحديث»(٤).

وقد روى أبو قبيل: «كُنَّا عند عبد الله بن عمرو فقال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ نكتب ما يقول»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٢٠٦، رقم ١١٣، وأخرج نحوه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب الرخصة في كتابة العلم، ج٧، ص ٤٢٩، رقم ٢٨٠٥، وأخرج نحوه أحمد في مسنده، ج٩، ص ١٤٥، رقم ٩٢٠٣. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرج نحوه الدارمي في سننه، باب من رخَّص في كتابة العلم، ج١، ص١٢٥، وأخرج نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص٢٥١، وأخرج نحوه عبد الرزاق في مصنفه، باب كتابة العلم، ج١١، ص ٢٥٩، رقم ٢٠٤٨٩، وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص ٢٦١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٦٦، وج٧، ص ٣٥٤.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٨.

(٥) أبو زَرْعة، تاريخ أبي زَرْعة، ج ١، ص ٥٥٥.

وفي رواية أخرى لأبي قبيل، قال: سمعتُ عبد الله بن عمرو قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذْ سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفْتح أولاً قسطنطينية أو روميّة؟ فقال النبي ﷺ: لا بل مدينة هرقل أولاً[١].

وقد ذكرت المصادر الحديثية استئذان عبد الله بن عمرو بن العاص الرسولَ ﷺ في كتابة حديثه، فقد رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله: «كنتُ أكتُبُ كلَّ شيء أسْمعُهُ من رسول الله ﷺ؛ أريدُ حفظهُ، فَنَهَتْني قُرَيْشٌ، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ في الغضب والرِّضا! فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خَرَجَ منِّي إلاَّ حَقٌّ»[٢].

وفي رواية: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: «يارسول الله: أكْتُبُ ماأسمع منك؟ قال: نعم، قُلْتُ: في الرِّضا والسَّخَط؟، قال: نعم، فإنه لاينبغي لي أنْ أقول في ذلك إلا حقاً»[٣]. وكانت نتيجة هذه الموافقة النبوية الكريمة مع الحرص العَمْرَوي على تقييد حديث رسول الله ﷺ، أن ظهرت إلى الوجود في ذلك العهد مدونته الشهيرة المسماة: بـ «الصحيفة الصادقة»؛ إذ قال عنها رضي الله عنه: «هذه الصادقة، فيها ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، ليس بيني وبينه فيها أحدٌ»[٤].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص ٦٨-٦٩، رقم ٦٥١٠، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرج نحوه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١٠، ص ٦٢-٦٣، رقم ٣٦٤٣، وأخرج نحوه الدارمي في سننه، باب من رخَّص في كتابة العلم، ج١، ص١٢٥-١٢٦، وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، ج١، ص ١٨٦، رقم ٣٥٧، وص١٨٧، رقم ٣٥٨، ٣٥٩، وانظر: الرزّاز الواسطي، تاريخ واسط، ص ١٧٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص ٢٤٥، ٢٥٨-٢٦٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص ٤٠٠-٤٠١، رقم ٦٩٣٠، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرج نحوهما: ج٦، ص ٤٥١، رقم ٧٠٢٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٧٣، وج٧، ص ٤٩٤-٤٩٥. وانظر خبر هذه=

ومن التابعين:

١- بَشير بن نَهيك السَّدُوسي:

قال: «أَتَيْتُ أبا هُرَيرة بكتابي الذي كتبتُه فقرأْتُه عليه، فَقُلْتُ: هذا سمعته، قال: نعم»(١).

٢- خلاَس بن عمرو الهَجَري:

روى عن عليٍّ، وعَمَّار بن ياسر، رضي الله عنهما، وكان قديمًا كثير الحديث، كانت له صحيفة يُحدِّث عنها(٢).

٣- أبُو الزُّعَيْزِعَة سالم:

روى أبو الزُّعيزعة ـ كاتِب مروان بن الحكم ـ: أن مروان بن الحكم دعا أبا هريرة فأقعده خلف السرير، فجعل يسأله، وجعلت أكتبه، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص، ولا قَدَّم ولا أَخَّر (٣).

وفي رواية لابن سعد ـ رحمه الله ـ عن الشَّعبي أنَّ مروان أجلس لزيد بن ثابت رَجُلاً وراءَ السِّتْر، ثُمَّ دعاه فجلس يسأله ويكتبون، فنظر إليهم زيد فقال: يا مَرْوان عُذْرًا! إنما أقول برأيي(٤).

= الصحيفة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٢٦٢، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١٠، ص ٢٨١، وفيما أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج١، ص ١٢٧، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٨، ص ٣١٧.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢٢٣، وأخرجه الدارمي في سننه، باب من رخّص في كتابة العلم، ج١، ص ١٢٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص ٨٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٣٥٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص ٨٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٣٥٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٦١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٢٩.

٤- أبو سَبْرة:

عن عبد الله بن بُرَيْدة، قال: شَكَّ عُبَيْد الله بن زياد في الحوض، فقال له أبو سَبْرَة، رَجُلٌ من صَحَابة عُبيد الله بن زياد: فإنَّ أباك حين انطلق وافداً إلى معاوية انْطَلَقْتُ معه، فلقيت عبد الله بن عمرو، فحدثني من فيه إلى فيَّ حديثًا سمعه من رسول الله ﷺ، فأملاه عَلَيَّ وكَتَبْتُه[١]. ثم أحضر له الكتاب وقرأ عليه حديث صفة حوض النبي ﷺ.

٥- شفي بن ماتع الأصبحي[٢]:

أرسل عن النبي ﷺ، وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة.. قال صاحب «التراتيب الإدارية»: «قال أبو سعيد بن يونس في «تاريخ مصر» عن حياة ابن شريح قال: دَخَلْتُ على حسين بن شفي[٣] وهو يقول: فعل الله بفلان! فقلتُ: ما له؟ قال: عمد إلى كتابين كان شفي سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص، أحدهما قَضَى رسول الله ﷺ في كذا وقال رسول الله ﷺ كذا، والآخر ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة.. فأخذهما، فَرَمى بهما بين الخولة والرباب. يعني بالخولة والرباب: مركبين كبيرين من سفن الجسر، كانا يكونان عند رئيس الجسر مما يلي الفسطاط»[٤].

٦- عبد الرحمن بن سَلَمة الجُمَحي:

رُويَ عنه قَوْلَهُ: «سَمِعْتُ عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث عن النبي ﷺ حديثًا، فَكَتَبْتُه فَلَمَّا حفظتُه محوته...» ثم ذكر نص الحديث[٥].

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص ٣٥٠، رقم ٦٨٧٢، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وج٦، ص ٧٤ - ٧٨، رقم ٦٥١٤، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك، كتاب الإيمان، ج١، ص ١٤٧-١٤٨، رقم ٢٥٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص ٤١-٤٢.

(٢) انظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٥٠٧.

(٣) انظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٥٨٥-٥٨٦.

(٤) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المُسمّى التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص ٣٦٥.

٧- عطاء بن يسار الهلالي :

عن عمر بن إسحاق بن يسار، قال: «قرأتُ كتاباً لعطاء بن يَسَار مع عطاء بن يسار، قال: سألتُ ميمونة زوج النبي ﷺ عن المسح، فقالت: قُلتُ: يا رسول الله، كل ساعة يمسح الإنسان على الخفين، ولا يخلعهما؟ قال: نعم»(١).

٨- كثير بن مُرَّة الحضرمي :

كان قد أدرك بحمص سبعين بَدْرِيًّا من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يُسَمّى الجند المقدّم، فكتب إليه مروان أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ، من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة فإنّه عندنا(٢).

الأحاديث والآثار التي نهت عن كتابة حديث رسول الله ﷺ :

عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخُدْري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَكْتُبُوا عَنِّي، ومن كَتَبَ عنِّي غيرَ القرآن فَلْيَمْحُهُ، وحَدِّثوا عني ولا حَرجَ، ومن كَذَبَ عَلَيَّ - قال هَمَّام [أحد الرواة في السند]: أَحْسبُهُ قال: مُتَعَمِّداً - فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّار»(٣).

وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه - أيضًا - قال: «استأذنَّا النبي ﷺ في الكتابة، فَلَمْ يأْذَنْ لنا»(٤).

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الطهارة، باب الرخصة في المسح على الخفين وما فيه واختلاف الروايات، ج١، ص ١٩٩، رقم ٢٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٤٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص ٥٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبّت في الحديث، وحكم كتابة العلم، ج١٨، ص ٣٢٩ رقم ٧٤٣٥، وأخرج - نحوه مختصراً - أحمد في مسنده، ج١٠، ص٤١، ٦٩، ١٢٤-١٢٥، الأرقام ١١٠٢٧، ١١١٠١، ١١٢٨٣، وآخر نحوه مختصراً الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص ١١٩، وآخر نحوه مختصراً الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ١٥١، وأخرج نحوه مختصراً أبو يعلى في مسنده، ج٢، ص ٤٦٦، رقم ١٢٨٨، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب في كراهية كتاب العلم، ج٧، ص ٤٢٧، رقم ٢٨٠٢، وأخرج نحوه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص ١١٩.

قال المباركفوري رحمه الله «في الكتابة: أي في كتابة أحاديثه»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قعودًا نكتب ما نسمع من النبي ﷺ، فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون؟ فَقُلْنا: ما نسمع منك. فقال: أكتاب مع كتاب الله؟ فَقُلْنا: ما نسمع منك. فقال: أكتبوا كتاب الله، امحضوا كتاب الله، أكتاب غير كتاب الله؟ امحضوا كتاب الله أو خلصوه. قال: فَجَمَعنا ما كَتَبْنا في صعيد واحد، ثم أَحْرَقْنَاه بالنَّار. قُلْنَا: أيْ رسول الله، أنتحدث عنك؟ قال: نعم، تَحَدَّثُوا عنِّي ولا حرج، ومن كَذَبَ عَلَيَّ متعمدًا فلْيتَبَوَّأ مقعده من النار. قال: فَقُلْنَا: أيْ رسول الله، أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: نعم، تَحَدَّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج؛ فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه(٢).

وروي أنَّ زَيْدَ بن ثابت رضي الله عنه دَخَلَ على معاوية فسأله عن حديث، فأمر إنسانًا يَكْتُبُه، فقال زَيدٌ: «إنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَنَا أن لا نكتُبَ شيئًا من حديثه فَمَحَاه»(٣).

أمَّا بالنسبة لآثار الصحابة في هذا الصدد، فقد روى الزهري عن عروة: أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أراد أنْ يكتب السنن، فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرًا، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له، فقال: إنِّي كنتُ أُريدُ أن أكتب السنن وإنِّي ذكرتُ قومًا كانوا قبلكم كتبوا كُتبًا، فأَكبُّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنِّي والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًا(٤).

---

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٢٤٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص ٤٣-٤٤، رقم ١١٠٣٤، وقال محقق المسند: «إسناده حسن، والحديث في الصحاح»، وأخرج نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ١٥٠-١٥١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص ٢٩، رقم ٢١٤٧١، وقال محقق المسند: «إسناده حسن»، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١٠، ص ٦٣، رقم ٣٦٤٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب كتابة العلم، ج١١، ص ٢٥٧-٢٥٨، رقم ٢٠٤٨٤، والخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٤٩، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص٢١٧.

وعن أبي نضرة قال: قُلْنَا لأبي سعيد [أي: الخُدري] إنك تُحدِّثنا بأحاديث معجبة، وإنَّا نخاف أنْ نزيد أو نَنْقُص، فلو كتبناها؟ قال: لن تكتبوه، ولن تجعلوه قرآناً، ولكن احفظوا عَنَّا كما حفظنا. ثم قال مرة أخرى: خذوا عنَّا كما أخذْنا عن رسول الله ﷺ(١). ورُوي عن أبي بردة أنه كان يكتب حديث أبيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال له أبوه: «لعلك تكتب حديثي؟ قال: قلت: نَعَمْ، قال: فأتني بكل شيء كتبتَه، قال: فأتيتُه به فَمَحَاه، ثُمَّ قال: احفظ كما حفظتُ»(٢).

ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّ أبا هريرة لا يكتم ولا يكتُب(٣)، وعن حميد بن هلال العدوي البصري، قال: كُنَّا نختلف نحن ورجال إلى عمران ابن حصين، فقال: أراك تكتب حديثي؟ قال: قلتُ: أجل، قال: فأتني به، قال: فأتيتُه به، فمحاه، وقال: احفظ كما حفظت(٤).

وقد تكلم في الجمع بين الإذن في كتابة الحديث وبين النهي عنه كثير من علماء السلف، منهم: الخطابي(٥)، والنووي(٦)، والذهبي(٧)، وابن القيم(٨)، وابن حجر(٩)، وغيرهم. وتبعهم من المتأخرين: المبَاركفوري(١٠)، والعظيم آبادي(١١). ويستطيع الباحث أن يجمل أقوال العلماء الأجلاء في النقاط الآتية:

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص ٦٥١، رقم ٦٣٩٣، وأخرج نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب في مدارسة العلم ومذاكرته، ج١، ص١٦١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص ٣٩٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٤.

(٤) أبو زَرْعة، تاريخ أبي زَرْعة، ج١، ص ٥٥٥.

(٥) انظر: عون المعبود، ج١٠، ص ٦٣.

(٦) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٨، ص ٣٢٩.

(٧) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٨٠-٨١.

(٨) انظر: عون المعبود، ج١٠، ص ٦٠.

(٩) فتح الباري، ج١، ص ٢٠٨.

(١٠) تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٤٠٥.

(١١) عون المعبود، ج١٠، ص ٦٤.

١- أنَّ النهي كان في حق من يُوثَق في حفظه ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب، وتُحْمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يُوثَق في حفظه.

٢- أنَّ النهي عن كتابة الحديث متقدم والإذن بكتابته متأخر، فتكون أحاديث النهي منسوخة بأحاديث الإذن والأمر.

٣- أنَّ النهي عن كتابة الحديث خاص بوقت نزول القرآن؛ خشية التباسه بغيره. فلما عُلِمَ القرآن وتَمَيَّز وأُفرد بالضبط والحفظ، وأُمنت عليه مفسدة الالتباس والاختلاط أُذن في الكتابة.

٤- أنَّ النهي إنما كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة؛ لئلا يختلط فيشتبه على القارئ. وقد أجمع كل من تكلم في الجمع بين النهي والإذن على أن الانعقاد قد تم على الإذن بكتابة الأحاديث، وأن ذلك تَمَّ في عهد الرسول ﷺ، ومن ثَمَّ في عهد خلفائه الراشدين.

التاريخ والأنساب والأمثال:

كان للنظام القبلي المتشدد السائد عند العرب في الجاهلية أثره القوي في الاهتمام بتاريخ القبيلة، ومفاخرها، ورجالاتها، وأنسابهم، وأخبارهم، وأمثالهم، وأشعارهم.. حتى غدا هذا الاهتمام جزء من تركيبة العربي الاجتماعية التي لا غنى له عنها في محيط القبائل العربية التي يعيش بينها، وقد استمر هذا الاهتمام في صدر الإسلام، وتاريخه كله، مُقنَّناً بالتوجيهات الربانية المذكورة في القرآن، ومحاطاً بسياج التهذيبات النبوية المنثورة في الدواوين الحديثية التي لا مجال لذكرها في هذا الموضع؛ لذلك فلا غرابة في أنْ يكون التاريخ والأنساب والأمثال من أوائل أدبيات العرب المخطوطة.

فقد ذُكر بأن من آثار عَبِيد أو (عُبَيْد) بن شَرِيّة أو (شَرْيَة)[1]: «كتاب في

(١) هو عَبيد أو عُبيد بن شرية الجُرْهمي، وقيل: عُمير بن شبرمُة، عاش في الجاهلية والإسلام، ويقال: أنه عُمِّر طويلاً حتى بلغ ما يقارب الثلاثمئة سنة! فأدرك نهاية حكم معاوية، وله أخبار معه،=

أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها»[1]، وله أيضا كتاب «الأمثال»[2]. «ويبدو أنّ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (ت ٦٠هـ) أول من اهتم بتدوين تاريخ الجاهلية، إذ دَعَى الجرهمي [عبيد بن شرية المذكور] سميره، وأمر أهل ديوانه وكُتّابه أنْ يوقعوه ويدونوه في الكتب»[3]، وفي رواية للرّشَاطيّ عن الهمداني «أنَّ معاوية كان مستشرفًا لأخبار حمير، فقال له عمرو بن العاص: أين أنتَ من عُبيد ابن شريّة فإنه أعْلَم مَنْ بقي بأخبارهم وأنسابهم، فكتب إليه يأخذ منه الأخبار، فألّفها كتابًا، وقد زِيد فيه ونقص، فلا يُؤخذ منه نسختان مستويتان»[4]، ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره المسعودي رحمه الله أن من أخبار معاوية رضي الله عنه أنه إذا نُودي بالعشاء الآخرة «يخرج فيُصَلِّي، ثم يؤذن للخاصّة، وخاصّة الخاصّة، والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدراً من ليلتهم، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وسير ملوك الأمم

= وكان راوية الأعشى، وروى قصائد لطرفة، قال ابن الأثير الجزري: «ليس هناك ما يدل على أنّ له صحبة». انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٥٣٦، وسبط ابن العجمي، تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم، ص ٧٩–٨٠، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٣٢، وناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢٤٠.

(١) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٣٣.

(٢) النديم، الفهرست، ص ١٣٢.

(٣) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، ج١، ص١٤١.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٨٩. ويظهر أنَّ المسعودي ـ رحمه الله ـ قد استعان بهذا الكتاب في كلامه عن اليمن وملوكها، إذْ قال: «وأمّا عبيد بن شرية الجرهمي حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها، فإنه ذكر أنَّ أول ملوك اليمن...» ثم طفق يذكر ملوك اليمن حسب ما ذكره عبيد بن شَريّة، وبعد أن انتهى منهم ختم كلامه بقوله: «وإنما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شَريَّة في ترتيب ملوكهم وتباين تواريخ سنيهم؛ لنأتي على جميع ما قيل في ذلك من التنازع، والله ولي التوفيق». انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٨٥ – ٨٧.

وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة... ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وُكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسَمْعه كل ليلة جُمَلٌ من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات، ثم يخرج فيصلي الصبح...»[1].

ويُنسب لصُحَار بن العبّاس (أو عيّاش) بن شراحيل العَبْدي[2] كتاب في النسب[3]، وله كتابٌ في الأمثال[4]. وينسب - أيضًا - للنخَّار بن أوس[5] كتاب في الأنساب[6]، ولأبي كلاب وَرْقَاء بن الأَشْعر (لسان الحُمَّرَة)[7] النسّابة كتابٌ

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٤٠-٤١.

(٢) هو صُحَار بن العباس. ويُقال: بتحتانية وشين معجمة. ويقال: عابس. ويقال: ابن صخر بن شراحيل بن منقذ بن عمرو بن مُرَّة العبدي.. له صحبة، وكان يكنى أبا عبد الرحمن بابنه، ولصُحار أخبارٌ حِسَان، وكان بليغًا مفوهًا، ولقد سُئل ما هذه البلاغة فيكم؟ فقال: شيءٌ يختلج في صدورنا فنقذفه كما يَقذف البحر بزبده، وكان ممن طلب بدم عثمان ﷺ. روى عن النبي ﷺ حديثين أو ثلاثة، وهو أحد النسَّابين والخطباء في أيام معاوية ﷺ، وله مع دَغْفَل النسَّابة محاورات. انظر: النديم، الفهرست، ص١٣٢، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٧٣٥-٧٣٦، وابن الأثير الجزري، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٧-٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج٣، ص ٣٢٨-٣٣١.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٢٠٩، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص٣٤.

(٤) النديم، الفهرست، ص ١٣٢.

(٥) هو النّخَّار بن أوس بن أُبَيْر بن عمرو بن عبد الحارث بن رباح بن لأي بن عبد مناف بن الحارث ابن سعد بن هذيم، له إدراك، وكان علامة بالأنساب حتى قال ابن الكلبي: كان أنسب العرب. كان معاصراً لجميل بثينة وله أخبار معه ذكرها الأصفهاني في كتاب «الأغاني» توفي سنة ٦٠هـ. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص١٤٥-١٤٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٣٨٩، والزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٥١٤، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٨، ص١٤، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٣٦-٣٧.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٢٠٩.

(٧) هو ورقاء بن الأشعر (لسان الحمرة) وكنيته: أبو كلاب، كان أنسب العرب وأعظمهم بصراً، وكان خطيبًا، حكيمًا، ولد في الجاهلية، وأدرك ظهور الإسلام، إلا أنّ الباحث لم يظفر بترجمة=

في الأنساب(١).

ولعبد الله بن عمرو اليَشْكري(٢) النَّسَّابة، كتابٌ في الأنساب استفاد منه ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» حيث قال في ترجمة «أُصَيْل ابن سفيان الهذلي» ما نصُّه: «وفي كتاب اليَشْكريِّ النسَّابة لما ذكر خفاجة بن غفار، قال: وهُمْ رَهْط أُصَيل بن سفيان...»(٣).

وهناك أكثر من كتاب لـ (دَغْفَل)(٤) النسّابة في الأخبار والأنساب، وبرغم أنّ

= له في مصادر تراجم الصحابة المشهورة، فالأرجح أنه لم ير النبي ﷺ. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٥٣٥، والنديم، الفهرست، ص ١٣٢، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص٣٧.

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص ٢٠٩. وقد ذكر سزكين أن كتابَي النَّخَّار وورْقاء هما في الأمثال. انظر: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٣٧، وقد عَزَا هذا القول إلى الجاحظ في كتابه الحيوان، ولكن الذي ذكره الجاحظ أنَّ هذين الكتابين هما في الأنساب.

(٢) هو عبد الله بن عمرو، من بني يَشْكُر، قيل: اسمه (الأعرس) فسَمّاه رسول الله ﷺ (عبدالله)، وقيل لأبيه: (الكوّاء) لأنه كوى في الجاهلية، كان ناسبًا، عالماً كبيراً، فيه يقول مسكين الدارمي:

هَلُم إلى بني الكوّاء تقضوا ... بحكمهم بأنساب الرجال

وقد شارك مع علي رضي الله عنه في وقعة صفين، ثم أنكر التحكيم فكان على رأس الخوارج، ثم دخل في جملة علي رضي الله عنه وجماعته إِثْر محاولات عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لإرجاعهم، توفي على الأرجح سنة ٨٠هـ. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٣٥، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٢٧-١٢٨، والنديم، الفهرست، ص١٣٣، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٥١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٤٥، وج٤، ص١٧١.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٤٤.

(٤) هو دَغْفَل بن حنظلة بن زيد الشيباني الذُّهلي، النسَّابة، أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا، فقد قال الترمذي في «الشمائل» لا نعرف له سماعًا، وكان في زمنه رجلاً، ولم ير أحمد بن حنبل أنّ له صحبة، وصفه الجاحظ بأنه «علاَّمة» وكانت معارفه الواسعة في الأنساب مضرب المثل، فقيل في المثل: «أنسب من دَغْفَل». وفد على معاوية في أيام خلافته فسأله في العربية، وفي أنساب العرب، وفي النجوم.. فأعجبه علمه فعهد إليه بتعليم ابنه يزيد، ففعل. غرق يوم دولاب بفارس في وقعة مع الأزارقة سنة ٦٥هـ. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٣٤، والنديم، الفهرست، ص١٣١، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص ٢٠٠- ٢٠٢، وسبط ابن العجمي، تذكرة=

محمد بن إسحاق النديم قال في ترجمته ما نصُّه: « .. ولا مصنف له »[١]، إلاّ أنّ الآثار التي ذكرها فؤاد سزكين والمنسوبة لـ (دَغْفَل) النسَّابة جعلته يرفض التسليم والإذعان لهذا النفي، ودفعه ذلك إلى القول بأنه: « لابد أن نتبين مراده من هذه العبارة، فربما كان يعني أنه لم يعرف له مصنفًا، أو أنّه يعني بكلمة مصنف كتاباً ذا ترتيب منهجي »[٢] وتأويل سزكين الأول أولى وأقرب إلى الصواب في نظر الباحث؛ لأن معظم المصنفات التي ذكرها النديم في كتابه « الفهرست » التي تُنسب إلى النصف الأول من القرن الهجري الأول، لا يوجد من القرائن والدلائل ما يجعلنا نجزم بأنها ذات ترتيب منهجي.

ويوثق ما ذهب إليه الدكتور فؤاد سزكين ما ذكره ـ من قبل ـ الدكتور ناصر الدين الأسد في معرض حديثه عن تدوين الشعر الجاهلي، حيث قال: ومما يتصل بهذا أيضًا أنّ دَغْفَلاً النسَّابة ـ وهو جاهلي أدرك الإسلام ـ كان يكتب الأنساب ويدونها في الصحف، ويبدو لنا ذلك واضحًا من قول الفرزدق[٣]:

أوصى عشيَّةً حين فَارَقَ رَهْطَه ... عند الشهادة والصحيفة دَغْفَلُ

إنّ ابن ضبّةَ كان خيراً والداً ... وأتمُّ في حَسَبِ الكرام وأفْضَلُ[٤]

وقد دُوِّنت أنساب العرب تدوينًا رسميًا في العهد الراشدي، حيث كان: جبير بن مطعم بن عَدي، وعقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل بن أهيب من نُسّاب العرب، وقد أمرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يدونوا جدولاً لأنساب العرب في ذلك الوقت[٥].

= الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم، ص٦١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣٢٤-٣٢٦، والزِّركْلي، الأعلام، ج٢، ص٣٤٠.

(١) النديم، الفهرست، ص ١٣١.

(٢) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٤٠-٤١.

(٣) مجيد طراد، ديوان الفرزدق، ج٢، ص٢١٢.

(٤) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص١٦٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٩٥.

وكان عبيد الله بن أبي رافع (ت ٨٠هـ تقريبًا) كاتبًا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[١]، وألف كتابًا في الحرب بين علي ومعاوية رضوان الله عليهم أجمعين[٢]، وتوجد بعض الاقتباسات من كتابه في «المعجم الكبير» للطبراني[٣].

وقال محمد بن إسحاق النديم[٤] رحمه الله: «قرأتُ بخط أبي الحسن بن الكوفي: أول من ألّف في المثالب كتابًا زيادُ بن أبيه، فإنه لَـمَّا ظفر عليه وعلى نسبه عمل ذلك، ودفعه إلى ولده وقال: استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم»[٥].

والجدير بالذكر في هذا الباب من التدوين أنّ صاحب «التراتيب الإدارية» ـ رحمه الله ـ خَلَطَ بين أبي مخْنَف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخْنَف بن سليم الكوفي[٦] صاحب التصانيف والتواريخ، وبين جَدِّه الصحابي مخْنَف بن سليم الكوفي[٧] صاحب الإمام علي رضي الله عنه، ونسب هذه الصحبة لأبي مخْنَف الحفيد،

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ١٠.

(٢) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ١٥٦.

(٤) النديم، الفهرست، ص ١٣١.

(٥) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمَّى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٦٤، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٣٥.

(٦) صاحب تصانيف وتواريخ، ذكرها النديم في «الفهرست»، وهو أحد المتأخرين من مؤرخي العصر الأموي، عدّه الذهبي من الطبقة السابعة روى عن: جابر الجعفي، ومجالد بن سعيد، وصَقْعَب ابن زهير، وطائفة من المجهولين. قال الذهبي: توفي سنة سبع وخمسين ومئة، وهو من بابة [أي: مساو] سيف بن عمر التميمي [ت ٢٠٠هـ] صاحب الردة، وعبد الله بن عياش المنتوف، وعوانة بن الحكم [ت ١٤٧هـ]. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٣٠١ – ٣٠٢، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ١٢٧–١٢٨.

(٧) هو مخْنَف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر الأزدي الغامدي، له صحبة، وهو من الأزد بالكوفة والبصرة، ومن ولده: أبو مخْنَف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخْنَف بن سليم صاحب السير والأخبار، وقد استعمل مخْنَف بن سليم هذا عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه على مدينة أصفهان، وشهد معه صفين، وكانت معه راية الأزد. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص ١٢٢–١٢٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٤٥–٤٦.

فقال ما نصه: «وذكر ابن النديم[1] كتبًا في مواضع مختلفة ألفها أبو مخْنَف الأزدي من أصحاب علي»[2].

وللحسن البصري (٢١هـ - ١١٠هـ) رسالة بعنوان: «فضائل مكة والسكن فيها» قام بتحقيقها الدكتور سامي مكي العاني، ونشرتها دار الثقافة للطباعة[3].

السيرة والمغازي:

إنّ من أقدم من ألّف كتبًا في المغازي أَبَان بن عثمان بن عفان[4]، فقد روى يحيى بن المغيرة بن عبدالرحمن عن أبيه: أنه لم يكن عنده خط مكتوب من الحديث إلا مغازي النبي ﷺ، أخذها من أبَان بن عثمان، فكان كثيراً ما تُقرأ عليه، وأمرنا بتعلمها[5].

ولسَهْل بن أبي حَثْمة الأنصاري رضي الله عنه[6] مدونات عن حياة الرسول ﷺ ومغازيه،

---

(١) النديم، الفهرست، ص١٣٦. والنديم أسند صحبة الإمام علي إلى الجد مِخْنَف بن سليم، ولم ينسبها إلى الحفيد أبو مخْنَف لوط بن يحيى صاحب التصانيف والتواريخ.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمَّى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٦٤.

(٣) انظر: قُرّة العينين في فضائل الحرمين، وتحتوي على رسالتين أولاهما الرسالة المذكورة أعلاه.

(٤) هو أبان بن عثمان بن عفان، الإمام، الفقيه، الأمير، من فقهاء المدينة ومن كبار التابعين، كان مع عائشة رضي الله عنها وهو في السادسة عشرة من عمره في وقعة الجمل سنة ٣٦هـ، ولم يكن له دور سياسي يذكر، وتتفاوت الروايات حول وفاته بين ٩٦هـ - ١٠٥هـ وهي فترة ولاية يزيد بن عبد الملك. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ١٢٧-١٢٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٥١-٣٥٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٠، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص٦٩-٧٠.

(٦) هو سهل بن أبي حَثْمة بن ساعدة بن عامر الأنصاري الأوسي، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عبدالله، وعبيد الله، وقيل: عامر، وأمُّه الربيع بنت سالم بن عدي بن مجدعة، ولد سنة ثلاث من الهجرة، وقُبض النبيُّ ﷺ وهو ابن ثماني سنين، ولكنه حفظ عنه، وحديثه في صلاة الخوف صحيح ومشهور، توفي أول أيام معاوية. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج٢، ص ٢٤٦، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٥٧٠-٥٧١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٦٣-١٦٤.

ويتضح ذلك من بعض القطع التي وصلت إلينا أن حفيده محمد بن يحيى بن سهل كان يملك نسخة مما دونه جده سهل بن أبي حَثْمَة، ولما كان محمد ابن يحيى بن سهل هذا لم يحصل على إجازة بروايتها كان يقول: «وجدتُ في كتابي آبائي»[١].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأتي أبا رافع [مولى رسول الله ﷺ] فيقول ما صنع النبي ﷺ يَوْمَ كذا؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقول[٢].

وفي آخر «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية» للحافظ الزَّيْلَعي رحمه الله أنّ الواقدي أسند عن عكرمة، قال: وجدتُ هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فإذا فيه.. وأتى بنص كتاب المصطفى عليه الصلاة والسلام للمنذر ابن ساوي، وجواب المصطفى عليه الصلاة والسلام له[٣]. قال صاحب «التراتيب الإدارية»: «فيؤخذ منه أنه كان لابن عباس الكتب إما من تصنيفه أو من جمعه، فيفيد على كل حال ما قبله، ويفيد أيضًا على الأقل أنهم كانوا يعددون النسخ من مكاتيبه ويَدَّخرونها، وهو عين التدوين»[٤]، وقد عدّ محمد الأعظمي نسخ هذه الرسالة من رسائل المصطفى ﷺ محاولة من ابن عباس رضي الله عنهما من محاولات أخرى لجمع رسائل النبي ﷺ وفي وقت مبكر جدًا[٥]، حيث يبدو أن عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه[٦] جمع مكاتيب رسول الله ﷺ في شكل كتاب،

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٣٢، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٦٦-٦٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٢٥، والكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٤٧.

(٣) الزَّيْلَعي، نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، ج٤، ص ٤٢٠.

(٤) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٥٣.

(٥) محمد الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص١٣٩.

(٦) هو عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، أمه من بني ساعدة، ويكنى بأبي الضحاك، وأول مشاهده الخندق، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران، توفي بالمدينة بعد الخمسين الهجرية. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٣٠٢-٣٠٣.

وروى عنه ابنه هذا الكتاب، وطبع الكتاب مع كتاب ابن طولون «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ»[١].

وروى الطبري - رحمه الله - بسنده عن يزيد بن أبي حبيب المصري[٢] أنه وجد كتاباً فيه تسمية من بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الخائبين [كذا][٣]، وبالنظر إلى تاريخ ولادة يزيد هذا فمن المرجَّح أن يكون هذا الكتاب من مدونات النصف الأول من القرن الأول الهجري.

التفسير:

في «بلوغ أقصى المرام» للعلامة الطرنباطي: «لما علم مهرة الصحابة والتابعين أن ليس كل أحد يقدر يفهم معاني القرآن، اشتغلوا بتفسيره ودونوا التفاسير نصحاً لمن بعدهم، ودونوا الأحاديث النبوية؛ لأن ذلك وسيلة إلى معرفة ما وقع به التكليف، وهو وسيلة إلى امتثال المقصود»[٤].

وقد كتب أبو العالية رُفَيْع بن مهْران وروى عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه نسخة كبيرة في التفسير، رواها أبو جعفر الرّازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه[٥].

---

(١) تحت عنوان: «وهذه عدّة كتب منه ﷺ وُجدت منقولة مجموعة من وضع أبي جعفر الديبلي».
ذكر ابن طولون بسنده عن عتيق بن يعقوب: «حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه، عن جده، عن عمرو بن حزم، أن هذه عطايا أقْطعها رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم...». انظر: ابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٣-١٥٤، ثم ذكر هذه الكتب التي بلغت (٢٤) كتاباً.

(٢) تابعي، ثقة، فقيه (نحو ٤٨هـ - نحو ١٢٨هـ). انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص١٩٦، وتقريب التهذيب، ص ١٠٧٣.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ١٢٨.

(٤) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٥٣.

(٥) انظر: الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص٢٦٤، ومحمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص ٩٣، ومحمد الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص ١٠٠، وبكر أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص ١٣٩.

ومن نسخ التفسير «نسخة مجاهد بن جبر[1] في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما» فإن مجاهداً كَتَبَهُ عن ابن عباس وعن مجاهد كتبه تلاميذه، فنُسب إلى بعضهم وحقيقته لكاتبه الأول مجاهد رحمه الله، فقد قال ابن أبي ملكية: رأيتُ مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: أكتب، حتى سأله عن التفسير كله، وهذا الكتاب في التفسير ذكره عدد من العلماء الأجلاّء[2].

وكان زيد بن أسلم[3] ثقة من أهل الفقه والعلم، وكان عالـمًا بتفسير القرآن له كتاب فيه تفسير القرآن[4].

وكان لأبي حمزة ثابت بن أبي صفيَّة دينار الثُّمَالي[5] كتاب تفسير، وكان

(١) هو الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكّي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، وكان السائب شريك النبي ﷺ، رجّح الزِّركلي ولادته في عام ٢١هـ، وكانت وفاته في عام ١٠٤هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٤٤٩-٤٥٧، والزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٧٨.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ج١، ص٩٠، والنديم، الفهرست، ص ٥٣، ومحمد بن صالح العثيمين، شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، ص ١٣٨-١٣٩، ومحمد الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص ١٦٤، وج٢، ص ٣٨٣.

(٣) هو زيد بن أسلم العدوي، أبو أسامة، ويُقال: أبو عبد الله المدني، الفقيه مولى عمر، روى عن أبيه، وابن عمر، وأبي هريرة، وعائشة، وجابر، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٢٣٦. وأبوه أَسْلَم العدوي القرشي مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من سبي اليمن، أدرك زمن النبي ﷺ، وسمع أبا بكر، وعمر، وعثمان، وأبا عبيدة بن الجرّاح، ومعاذ بن جبل، وعبد الله، وحفصة ـ ولدي عمر بن الخطاب ـ، وأبا هريرة، ومعاوية، وكعب الأحبار وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١١هـ فأقام للناس الحج وابتاع فيها أسلم هذا. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٨، ص ٣٣٦ -٣٥٠، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٢٨٢.

(٥) انظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٨٧.

أبو حمزة هذا من أصحاب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١]، وكان للحسن البصري كتاب تفسير[٢]، وكان له ـ أيضًا ـ كتاب في عدد آي القرآن[٣]، وكتابٌ في نزول القرآن[٤]، وكان لعكرمة عن ابن عباس كتابٌ في نزول القرآن[٥]. ويشير الباحث هنا إلى تعدد إنتاج الحسن البصري العلمي المخطوط في علوم مختلفة، كما مَرَّ معنا، وهذا ما يؤكده خبر حرقه لكتبه المدونة[٦].

النحـــو:

فقد روى يحيى بن يعمُر الليثي: أنّ أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة، فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحرَّ! (رَفَعَت أشد) فقال لها: شهرُ ناجرٍ[يريد: شهر صفر. الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء]. فقالت: يا أبت إنَّما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: يا أمير المؤمنين، ذَهَبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إنْ تطاول عليها زمان أنّ تضمحل، فقال له: ومما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، وأملَّ عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى.. ثم رسم أصول النحو كلها، فَنقَلها النحويون وفرّعوها[٧].

---

(١) النديم، الفهرست، ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣، ٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٥٩.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص ٣٤٧، وانظر أيضاً حول تدوين أبو الأسود الدؤلي للنحو: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص ٤٦٨٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٧٨، وج٣، ص ١٤٩، ١٥٣، والزبيدي، حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق، ص ٦١، والكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٥٨، ٢٧٢–٢٧٣.

الطــب:

لَـمّا ترجم ابن أبي أُصيبعة رحمه الله في «طبقات الأطبّاء» للحارث بن كَلَدة الثقفي الطائفي[١]، قال فيه: وللحارث بن كلدة من الكتب كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان، وقيل: إن الحارث سافر إلى فارس وتعلم الطب وحذق فيه، واشتهر أمره ونَال بالطب مالاً وأدرك الإسلام[٢]. قال صاحب «التراتيب الإدارية»: «فعلى إسلامه وصحبته ينتج أنّ صحابيًا ألّف في الطب»[٣].

الترجمة:

قال المقدسي رحمه الله: حدثنا نعيم بن حماد حدثنا محمد بن يزيد عن أبي جلدة عن أبي العالية، قال: لما فُتحت «تُسْتر» وجدنا في بيت مال الهرمزان مصحفًا عند رأس ميت على سرير، يقال: هو دانيال فيما يُحْسَب، قال: فحملناه إلى عمر، فأنا أول العرب قَرَأْته، فأُرْسل إلى كعب فنسخه بالعربية، فيه ما هو كائن يعني من الفتن إلى يوم القيامة[٤].

الشِّعْـر:

لقد «كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوانَ علمهم ومُنْتَهَى حكمهم، به

---

(١) هو الحارثُ بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن نميرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، طبيب العرب، كان قد تعلم الطب بناحية فارس واليمن، وتَمرَّن هنالك وعرف الدواء، وهو مولى أبي بكرة من فوق، مُختلَف في صحبته، له خبر مع سعد بن أبي وقاص في علاجه. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٦٣٣-٦٣٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٨٧-٦٨٨، وابن جُلجُل الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، ص٥٤.

(٢) ابن أبي أُصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص ١١٨، وانظر: الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج٣، ص ٣٤٤، وعبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ج٦، ص١١٥.

(٣) الكتاني، نظام الحكومة النبوية الـمُسمّى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٦٠.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٢، ص ١٦٥.

يأخذون، وإليه يصيرون»[١]، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما قولته المشهورة: «الشعر ديوان العرب»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان الشعر علم قَوْم لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه»[٢]. ورغم أنَّ العرب كان اعتمادهم في حفظ ثروتهم الشعرية على الحفظ والرواية، إلا أننا نجد أن المصادر التاريخية والأدبية قد ذكرت عدداً من الشواهد التي تقطع بكتابة الشعر في الجاهلية، وذلك من خلال الرسائل والمكاتبات الشخصية، نذكر بعض أمثلة هذه الرسائل الشعرية هنا، ونأتي على ذكر بعضها الآخر في مواضع لاحقة من هذه الرسالة، ومن هذه الأمثِلة: أن عَمرو ابن كُلْثوم دعا كاتبًا من العرب وأمره بكتابة شيء من شعره إلى النعمان بن المنذر[٣]، و«هذا شأن من لا يعرف الكتابة من الشعراء، فما ظنُّكَ بمن كان هو نفسه كاتبًا»[٤] مثل من سيأتي ذكرهم بعد قليل.

ومنها: ما كتبه عَدي بن زيد من سجنه إلى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى[٥]، وما كتبه ـ أيضًا ـ من رسائل شعرية إلى النعمان بن المنذر يستعطفه فيها ويعتذر إليه[٦]. ومنها: ما كتبه عبد المطلب بن عبد مناف إلى أخواله يصف لهم ـ شعراً ـ حال نوفل في قصة حدثت لهما[٧]، وهناك صحيفة البيتين اللذين كتبهما ذو رعين واستودعهما عمرو بن تُبَّان ووضعهما عنده[٨]، ومنها ـ أيضاً ـ القصة التي

---

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٦٠-٦١.

(٤) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ١١٤.

(٥) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٧٥، والأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٠٩، وابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٣٧٥.

(٦) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٣٩.

(٧) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٧٧-٧٨، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٠٢-٥٠٣.

(٨) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٣١.

كتبها عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي وأرسلها إلى قومه[1]. ومنها الأبيات التي كتبها عباس بن مرداس إلى قيس بن نُشْبة [2]. إلى غير هذه الأمثلة والشواهد التي تؤكد على ممارسة الجاهليين لكتابة شعرهم في رسائلهم ومكاتباتهم الخاصة، بل وصل الأمر إلى مرحلة التدوين، فقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مُدح به هو وأهل بيته[3].

وقد تكررت مثل هذه الرسائل والمكاتبات الشعرية في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة، فقد كتب الحارث بن عبدُ كلال - بعد إسلامه - إلى الرسول ﷺ شعراً يقول فيه:

دينُـكَ ديـنُ الحـقِّ فيـه طَهَارَةٌ ... وأنْتَ بما فيه منَ الحَقِّ آمرُ[4]

ويروى أن أَصْيَد بن سلمة السلمي لما عَلم أبوه بإسلامه كتب إلى ابنه رسالة شعرية يقول فيها:

مَنْ راكبٌ نَحْوَ المدينـة سَالمًا ... حَتَّـى يُبَلِّغَ مـا أَقُـولُ الأَصْيَدا

أتركْتَ ديْنَ أبيك والشُّمّ العُلا ... أَوْدَوْا وتَابَعْتَ الغَدَاةَ مُحَمَّدَا

فاستأذن أَصْيَد النبيَّ ﷺ في جوابه، فأذن له فكتب إليه أبياتًا منها، قوله:

إنَّ الـذي سَمَكَ السَّمَـاءَ بقُدْرَة ... حتـى عَـلا في مُلْكه وتَـوَحَّدَا

بَعَـثَ الَّذي مـا مثْلُهُ فيما مَضَى ... يَدْعُـو لـرَحْمته النَّبيَّ مُحَمَّدا

فلما قرأ كتاب ولده أقبل إلى النبي ﷺ، فأسلم [5].

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتب مُرَّة بن صابر إلى خالد بن الوليد أبياتًا يَبْرَأُ فيها من فعل مسيلمة الكذاب منها قوله:

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٠٥، والأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ١٣٨.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٣٨١.

(٣) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٢٥.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٧٨.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٣.

يا ابْنَ الوليـد بـن المغيرة إنَّـني أبْرَا إليكَ مـنَ الجَحُود الكَـافر
أعنـي مُسَيْلمـة الكَذُوبَ فإنَّهُ والله أشْأمُ صُحْبَةً مـن ناشر(١)

وكتب صُهبان بن شمر بن عمرُو الحنفي اليماميّ إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في زمن الرِّدَّة كتابًا، وقال فيه:

إنـي بَريءٌ إلى الصِّدِّيـق مُعْتَذرٌ ممَّا مُسَيْلَمةُ الكذَّاب يَنْتَحلُ(٢)

وممن كتب إلى أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الرِّدة شعرًا امرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكنديّ، إذْ قال:

ألا أبْلـغ أبَـا بَـكْر رسـولاً وبَلِّـغْها جَـميـعَ المُسْلمينَا
فَلَيْـسَ مُجَـاوراً بيتـي بُيُوتًا بمـا قـالَ النَّبيُّ مُكَـذِّبينا(٣)

وقد بعث طليحة بن خويلد الأسدي برسالة شعرية إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعتذر فيها إليه - بعد فعله في الرِّدة - ويراجع الإسلام، ومما قال فيها:

فهل يقبلُ الصدّيقُ أنِّي مراجعٌ ومُعْط بما أحدثت من حَدث يدي
وأنِّي مـنْ بعـد الضَّلالة شاهدٌ شهادَةَ حـقٍّ لسْـتُ فيها بمُلْحد(٤)

وفي عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَعَثَ السيد الشاعر بُقَيلة الأكبر الأشجعي إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برسالة شعرية من غَزَاة له حول قصة مشهورة وقعت في المدينة(٥) يقول فيها:

ألا أبــلغ أبـا حَفْص رسُـولاً فـدىً لَكَ مـنْ أخي ثقـة إزَاري
قَلائصُنَا هَـــدَاكَ اللـهُ إنَّـا شُغـلْنا عَنْكُم زَمَـن الحصَار(٦)

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص ٣٦٤.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٣.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٢٩.

(٥) انظر خبر هذه القصة: البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري، ص ٢١٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٣٥-٦٣٦، وفيه قول ابن حجر: «والقصة مشهورة وقد رُويت لغيره فالله أعلم».

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٤٥٠.

ويروى أن سبب مقاسمة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العُمَّال أن خالد بن الصعق كتب شعراً وبعث به إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء في مطلعه:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً ... فَأَنْتَ وليُّ الله في المال والأمر

إلى أن قال:

فقاسْمهُمُ، نَفْسي فداؤُك، إنَّهم ... سَيَرْضَوْن إن قَاسَمْتَهم منْك بالشَّطْر

فقاسَمَهم عمر نصفَ أموالهم(١).

ويقال أنَّ قائلها هو الزبير بن الخرِّيت أبو المُخْتار النُّمَيْريّ(٢).

ولما هَجَا الحطيئةُ جرول بن أوس الزبرقانَ بن بدر حبسه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكتب الحطيئة إلى عمر من الحبس يقول:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخ ... زُغْب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر

ألْقيْتَ كاسبَهم في قَعْر مُظلمة ... فاغْفر عليك سلام الله يا عمر

إلى آخر الأبيات، فأمر بإطلاقه وأخذ عليه ألاّ يهجو مسلماً(٣).

وروى عَدي بن حاتم الطائي أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب شعراً بخطه وبعث به إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤)، وفي أمر صفين كانت هناك عدداً من الرسائل والمكاتبات الشعرية، كان أطرافها: عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبدالله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، رضي الله عنهم أجمعين(٥).

ولَمَّا تقلد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة قَلّد زياد بن أبيه بلاد فارس، فضبطها وحمى

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٣) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٦، ص ١٦٧.

(٤) انظر نص القصيدة: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص ٣٦٨.

(٥) انظر في ذلك: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٧٥-٧٦، ٨٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج٦، ص ٤٨٢-٤٨٣.

قلاعها، وأباد الأعداء بناحيتها.. واتصل الخبر بمعاوية فكتب إليه كتاباً، وكتب في آخر قصيدة جاء في مطلعها:

لله در زياد أيّما رجل ... لو كان يَعْلمُ ما يأْتي وما يَذَرُ[١]

ورُويَ أن معاوية كتب لعمرو بن العاص شعراً بعد محاولة الاغتيال التي نجا منها معاوية وعمرو، وقُتل فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، فقال معاوية في مطلع قصيدته التي بعث بها إلى عمرو:

وقَتْلٌ وأسبابُ المنايا كثيرة ... مَنيَّةُ شيخ من لؤيٍّ بن غالب[٢]

وفي إحدى الغزوات التي غزاها أبو العيال بن أبي عتبة الهذلي[٣] مع يزيد بن معاوية، كتب إلى معاوية رضي الله عنه شعراً يصف فيه هول ما أصابهم وما لقوه في تلك الغزاة، وجاء في مطلع القصيدة:

من أبي العيال أخي هُذَيْل فاعلموا ... قولي ولا تتجمجموا ما أرسلُ

أَبْلغ معاوية بن صخْر آيةً ... يهوي إليه بها البَريدُ الأعْجَلُ

إلى آخر أبيات القصيدة.. ولما قرأها معاوية وقُرئَت على الناس، بكى الناسُ، وبكى معاوية بكاءً شديداً جَزَعًا لما كَتب به[٤].

وقد تعددت المكاتبات والرسائل الشعرية في عهد معاوية رضي الله عنه، منها: ما كان من أبي دهبل إلى عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان[٥]، وما كان من معاوية رضي الله عنه إلى الوليد بن عقبة[٦]، وما كان من فضالة بن عبيد رضي الله عنه إلى

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ١٧٥.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ١٥٩.

(٣) انظر ترجمته: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٢٥١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص ١٦٢ - ١٦٤. وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص٢٥٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٢٥١.

(٥) انظر الأبيات وقصتها: الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص ١٣٩-١٤٠.

(٦) انظر الأبيات وقصتها: الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ١٦٧.

معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١)، وما كان من عقيبة الأسدي إلى معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢)، ومن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى زياد بن أبي سفيان(٣).

فهذه الشواهد التاريخية تقطع بأن الشعر كان يدون وتحفظ مدوناته على هيئة المراسلات والمكاتبات الشعرية الشخصية، بل قد وصل الأمر في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أبعد من ذلك، فقد وصل إلى جمع الشعر وتدوينه، ويكشف هذا الجمع والتدوين للشعر في ذلك العهد خبران تاريخيان أدبيان ذكرتهما المصادر:

أولهما: ما روي من أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتب إلى المغيرة بن شعبة وهو عامله على الكوفة: أن أدع مَن قِبَلكَ من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر في الجاهلية والإسلام، ثم اكتب بذلك إليَّ(٤).

وثانيهما: ما رواه خالد بن محمد ابن الصحابي ثابت بن قيس بن شمَّاس قال: نَهَى عمر بن الخطاب الناسَ أنْ يُنشدوا شيئًا من مُنَاقضة الأنصار ومُشْركي قُرَيْش، وقال: «في ذلك شَتْمُ الحيِّ بالـمَيت، وتجديدُ الضغائن، وقد هَدَم الله أمْرَ الجاهلية بما جاء من الإسلام...». ثم ذكر قصة إنشاد عَبْدُ الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمي وضَرارُ ابن الخطاب الفهري حسانَ بن ثابت ما قالاه في الجاهلية، ومن ثَمَّ انتصار عمر لحسان بن ثابت منهما، ثم ختم ذكر هذه القصة، بقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنِّي قد نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئًا دَفْعًا للتضاغن عنكم، وبَثَّ القبيح فيما بينكم، فأمَّا إذ أبَوْا فاكتبوه واحتفظوا به» فَدَوَّنوا ذلك عندهم. قال خَلاَّد بن محمد: «فأدركته والله، وإنَّ الأنصار لتجُدِّده عندها إذا حانت بلاَه»(٥).

---

(١) انظر البيتين وقصتهما: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٢) انظر الأبيات وقصتها: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص ٥٠.

(٣) انظر الأبيات وقصتها: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ١٩٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٥٩٣. وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٠، ص ١٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٤٩، وج٥، ص ٥٠٠، والأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص ٣٥٨.

(٥) انظر القصة بأكملها: الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ١٤٦-١٤٨.

الجغرافيا:

كان لتوالي الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي أثره الكبير في إشعال جذوة الاهتمام بعلم الجغرافيا عند المسلمين، وهو العلم الذي عُرِف فيما بعد عند المسلمين باسم التقويم أو تقويم البلدان(١)؛ ذلك «أن الخلفاء في صدر الإسلام أمروا أمراء جيوشهم وعمالهم أنْ يرسم كل منهم خطط البلاد التي افتتحها واستولى عليها»(٢)، وأنْ يصفوا لهم تلك البلاد.

ودعت شؤون الإدارة والأحكام ـ بعد الفتح الإسلامي بوقت وجيز ـ إلى تكليف العُمَّال والموظفين بإعداد التقارير الجغرافية عن الأمصار والأقاليم التي فتحها المسلمون(٣).

ويشهد لهذا ما جاء في أخبار الفتوحات الإسلامية، فنجد أن عتبة بن غزوان لما نزل الخُرَيبة في سنة ١٤هـ «كتب إلى عمر، ووصف له منزله»(٤).

وفي سبب تَحوُّل من تَحوَّل من المسلمين من المدائن إلى الكوفة واختطاطهم لها، أن حذيفة كتب إلى عمر أنَّ العرب قد أُترفت بطونها وحَفَّت أعضادُها وتَغَيَّرت ألوانها، وحذيفة يومئذ مع سعد بن أبي وقاص، فكتب عمر إلى سعد: أنبئني ما الذي غيَّر ألوان العرب ولحومهم؟ فكتب إليه: إنَّ العرب خَدَّدهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجْلة. فكتب إليه: إنَّ العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائداً وحذيفة ـ وكانا رائدي الجيش ـ فَلْيَرْتادا منزلاً بَرِّيًّا بحريًّا، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر. ولم يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا أسنده إلى رجل، فبعث سعدٌ حذيفة وسلمان، فخرج سلمان حتى أتى الأنبار

---

(١) محمد السيد الوكيل، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ص ٧١.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المُسَمَّى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٢.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٣٩.

فسار في غربيّ الفرات لا يرضى شيئًا، حتى أتى الكوفة.. وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئًا حتى أَتَى الكوفة، والكوفة على حَصْباء، فأَتَيَا عليها، وفيها ديرات ثلاثة: دير حُرْقة، ودير أم عمرو، ودير سِلْسلة.. وخصَاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة، فنزلا فَصَلَّيا ودَعَوا الله، وكَتَبا إلى سعد بالخبر(١). ثم لَـمَّا نزل سعدٌ الكوفة كَتَب إلى عمر - واصفًا -: «إنِّي قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات بَرِّيًّا بحريًّا، ينبت الحليَّ والنَّصيّ(٢)...»(٣).

ولما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية كتب إلى عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني فَتَحتُ مدينةً لا أصف ما فيها، غير أنِّي أصبتُ فيها أربعة آلاف بنية(٤) بأربعة آلاف حَمَّام، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربع مئة ملهى للملوك... وقيل: إنه وجد فيها اثني عشر ألف بَقَّال يبيعون البَقْل الأخضر(٥).

وجاء في كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة: إنَّ البحر الشآمي حُفر لمبعث رسول الله ﷺ حفيرًا، فصب في بحر العرب، فَسَدَّه الروم والقِبْط، إن أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر، حفرتُ له نهرًا وبنيت له قَنَاطر. فكتب إليه عمر: أن افعل وعَجِّل بذلك(٦).

ومن أوضح الشواهد والأمثلة على اهتمام المسلمين بالكتابات الجغرافية في عهد

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٧٧-٤٧٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ٢٢٢.

(٢) الحَلِيُّ: نبات بعينه، وهو من خير مراتع أهل البادية للنَّعَم والخيل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص١٩٦، مادة: «حلا». والنَّصيُّ: نبتٌ معروف يقال له نَصيٌّ مادام رَطبًا، فإذا ابْيَضَّ فهو الطَّريفة، فإذا ضَخُمَ ويَبِس فهو الحَلِيُّ.. وهو نبتٌ أبيضٌ ناعمٌ من أفضل المرعى. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٣٢٩، مادة: «نَصَا».

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٧٩.

(٤) قال المحقق: «كذا في الأصل، وفي ل وحسن المحاضرة: مِيَة. وفي رواية: متنة، وهو المكان المرتفع. انظر: القاموس المحيط».

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١٦٦.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٠٩.

الفتوح الإسلامية، أنه لما استقر عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن صف لي مصر. فكتب إليه: «مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر وعرضها عشر، يكتنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يَخُطُّ وَسَطَها نيل مبارك الغَدْوَات، ميمون الرَّوْحَات، تَجْري بالزيادة والنقصان، كجري الشمس والقمر له أوان، تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا عج عجيجه، وتعظمت أمواجه، لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلاَّ في خفاف القوارب، وصغار المراكب، فإذا تكامل في زيادة نكص على عقبه كأول ما باد في شدته، وطمى في حدته، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه، يبذرون الحب، ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا أشرق وأشرف، سقاه من فوقه الندى، وغذاه من تحته الثرى، فعند ذلك يدر حلابه، ويغني ذبابه، فبينما هي - يا أمير المؤمنين - درة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، وإذا هي زبرجدة خضراء، فتعالى الله الفعَّال لما يشاء، الذي يصلح هذه البلاد وينميها، ويُقرُّ قاطنها فيها أن لا يقبل قول خسيسها في رئيسها، وأن لا يستادي خراج ثمرة إلا في أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها، فإذا تقرر الحال مع العمال في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال، والله تعالى يوفق في المبتدا والمآل».

فلما ورد هذا الكتاب على عمر بن الخطاب قال: لله درك يا ابن العاص، لقد وصفت لي خَبَرًا كأنِّي أُشاهده [١].

وبصرف النظر عن دعوات التشكيك في صحة نسبة هذا الكتاب لفظًا أو معنى إلى عمرو بن العاص [٢]، فإن فيه - مع ما تقدم - إشارة إلى اهتمام الصحابة في فجر الإسلام بتدوين الوصف الجغرافي، وكتابة التقارير الجغرافية عن البلاد التي فَتَحُوها للخلفاء الراشدين، التي بدورها شَكَّلت نواة علم الجغرافيا فيما بعد.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٣٢-٣٣.

(٢) انظر هذه الدعوات: محمد السيد الوكيل، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ص ٧٣-٧٦، ومحمد حسين هيكل، الفاروق عمر، ج٢، ص ١٦٥.

الفصل الثاني:
عامل كتابة القرآن الكريم

كان هذا العامل من أقوى العوامل تأثيراً على صناعة الكتابة والكتاب في ذلك الوقت، إن لم يكن أقواها على الإطلاق، وذلك من ناحيتين اثنتين:

الناحية المعنوية: فلم يكن العرب قبل الإسلام أهل كتاب، فَلَمَّا نزل عليهم القرآن أصبح هذا الكتاب دستورهم الذي يحتكمون إليه، وكلام ربهم الذي يتعبدون بقراءته. وبعبارة أخرى: أصبح هذا الكتاب منهج حياة، وتعاليمه نظام حُكم، وتلاوته شعيرة دينية، وحفظه ـ ومن ثمّ تدوينه للحفاظ عليه ـ فريضة إسلامية.

أما الناحية المادية: فالقرآن يُعد أول كتاب مخطوط تتكامل فيه العناصر المادية في تاريخ الحضارة الإسلامية، فكانت مراحل جمعه وتدوينه بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت حركة صناعة الكتابة والكِتَاب، حتى إنه «لم تكد مصاحف عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ على سبيل المثال ـ تصل إلى الأمصار حتى تَلَقَّفَها النُّسّاخ فأجادوا نقلها، وتنافسوا في كتابتها، وتفننوا في خطها»(١).

ولكي نتعرف على أثر هذا العامل لابد من أن يلقي الباحث الضوء على مراحل جمع القرآن وكتابته.

كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ:

مع أنّ الرسول ﷺ لم يعرف الكتابة ولم يمارسها، حيث ذكر ذلك المولى عز وجل في قوله: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾(٢). «فهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة

(١) عبد العزيز الدالي، الخطاطة: الكتابة العربية، ص ٧١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده، بل كان له كُتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم»[1].

ومع أن طريقة التلقي المُثْلى بين الصحابة كانت المشافهة والحفظ[2]، ومع أنّ الكتابة لم تكن منتشرة في الجاهلية نسبةً إلى ما كانت عليه بعد البعثة النبوية، مع كلٍّ هذا إلا أنّ النبي ﷺ كان يعرف عظم نفع الكتابة والتقييد في حفظ الملفوظ، وكان يقدر قيمة أثرها، فكان ﷺ حريصًا حرصًا شديدًا على تسجيل ما ينزل عليه من القرآن «فكتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقًا في الرقاع والأكتاف والعسيب»[3].

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئًا سوى القرآن، من كتب شيئًا سوى القرآن فليمحه»[4]، وفي رواية[5]: «من كتب عني سوى القرآن فليمحه».

بل ويروي لنا عين الراوي، الذي روى لنا أمر الرسول ﷺ بكتابة القرآن، حال الصحابة في تنفيذ هذا الأمر فيقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كُنّا نَكْتُبُ غير التشهد والقرآن»[6]، وقد أعلمنا الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾[7]، فكان القرآن مكتوبًا في الصحف لكن كانت مفرقة[8].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص ٣٥٧.

(٢) انظر في هذا المعنى: الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٣٦ – ٤٣.

(٣) الكردي، تاريخ القرآن، ص ٢٢ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص ٤١، رقم ١١٠٢٧.

(٥) ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٦٤.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١٠، ص ٦٤، رقم ٣٦٤٥.

(٧) سورة البينة، الآية ٢.

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٣.

وقد بلغ عدد مَن كتب له ﷺ قرابة الستين[١]، وكان بعضهم مختصًّا بكتابة الوحي مثل: زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي كان يقول: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ فكتبته»[٢]، وقيل: عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد تكرر أمر الرسول ﷺ له بعد أن يوحى إليه: «اكتب عثمان»[٣]، وكذلك علي بن أبي طالب، وأُبَيّ بن كعب، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وحنظلة ابن الربيع، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم رضوان الله عليهم[٤].

ولعل مما يُشير إلى حرص الرسول ﷺ الأكيد على كتابة القرآن الكريم، أنّ الكتابة بدأت في فترة جدٌّ مبكرة من دعوته ﷺ وفور نزول القرآن الكريم، فلم يبلغ عدد من أسلم من الصحابة الأربعين إلا وسورة (طه) مكتوبة في صحيفة في بيت فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها، أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان خَبَّاب بن الأرت رضي الله عنه يُقْرئها وزوجها سعيد بن زيد رضي الله عنه القرآن، وهي ذات الصحيفة التي كانت سببًا في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٥] «ولم تكن الصحيفة التي سجلت سورة (طه) إلا واحدة من صحف كثيرة، كانت متداولة بين أيدي الذين

---

(١) انظر: محمد مصطفى الأعظمي، كُتّاب النبي ﷺ.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٢٩.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص ٩٨–١٠٠.

(٤) انظر حول كُتّاب النبي ﷺ: البلاذري، أنساب الاشراف، ج٢،ص ٦٩٤–٦٩٥، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٣–٢٤٥، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢١٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص ٣٢٤ – ٣٥٠، وابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج١، ص ١١٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٣٥٣ – ٣٦٨، وابن كثير، الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ، ص ٢٢٨–٢٢٩، والزَّبيدي، حكمة الإشراق إلى كُتّاب الآفاق، ص٦٩–٧١.

(٥) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٠، ص ٢٨٧–٢٨٨، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص ٨٩، وابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١، ص ٦٠٢–٦٠٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ١٣٢–١٣٣، والذهبي، تاريخ الإسلام، السيرة النبوية، ص١٧٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠.

أسلموا من أهل مكة، سَجَّلَتْ سوراً أخرى من القرآن»[1].. فقد كان عدد من دور الصحابة الذين أسلموا - كما مر - مثابة مراكز لتعليم القرآن الكريم وأحكام الدين الجديد، بل إنّ رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي الأنصاري العقبيّ البدري، أحد النقباء الستة، هاجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ وأقام معه بمكة، فلما نزلت سورة (طه) كتبها ثم أقبل بها إلى المدينة فقرأها على بني زريق[2]، ومن المحتمل أنهم تعاقبوا على نسخها.

وإذا كانت ظروف الدعوة في مكة قد أسهمت في حجب كثير من أخبار كتابة القرآن في ذلك الزمن، فإن الأمر في المدينة قد اختلف كثيراً، فقد جاءت الروايات تبين ذلك وتؤكده، فعن سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلتُ حتى جلستُ إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره «أن رسول الله ﷺ أمْلَى عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملها عليَّ. قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجَاهَدْتُ، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذُه على فخذي، فثقُلتْ عليَّ حتى خفْتُ أنْ تُرضَّ فخذي ثم سُرّيَ عنه، فأنزل الله ﴿**غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾[3].

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح أن زيد بن ثابت قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذْ قال: «طوبى للشام» قيل: ولم

(١) محمد حسين هيكل، الصدِّيق أبو بكر، ص ٣٣٠.

(٢) ابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج٢، ص ٢٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، ج٨، ص ٢٥٩، رقم ٤٥٩٢، وفي كتاب الجهاد، باب قول الله عز وجل (لا يستوي القاعدون..) ج٦، ص ٤٥، رقم ٢٨٣٢، وأخرج نحوه أحمد في مسنده، ج١٦، ص٣٦، رقم ٢١٤٩٣، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، ج٨، ص ٣٣٠، رقم ٣٠٣٣، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل المجاهدين على القاعدين، ج٦، ص ٩، رقم ٣٠٩٩، ٣١٠٠.

ذلك يا رسول الله؟ قال: «إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه»(١). قال البيهقي في كتاب «الدلائل» بعد أن ذكر هذا الحديث بسنده: «وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ، ثم كانت مثبتة في الصدور مكتوبة في الرقاع واللِّخاف والعُسُب، فجمعها منها في صحف بإشارة أبي بكر وعمر، ثم نسخ ما جمعه في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان على ما رسم المصطفى ﷺ»(٢). وقال الحاكم في «المستدرك» بعد أن روى هذا الحديث: «وفيه البيان الواضح أنّ جمع القرآن لم يكن مرةً واحدةً، فقد جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ، ثم جمع بحضرة الصديق، والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان في خلافة عثمان»(٣).

وأخرج الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن ابن عباس قال: قلتُ لعثمان ابن عفان: ما حملكم على أنْ عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، ففرقتم بينهما ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد. قال: وكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: «ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا...»(٤). «فثبت أنّ القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ﷺ؛ وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النَّسْخَ كان يَردُّ على بعضه، فلو جمعه ثم رفعت

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص ٣٨، رقم ٢١٤٩٩.

(٢) أبو شامة، المرشد الوجيز، ص ٤٤-٤٥.

(٣) الزركشي، البرهان، ج١، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، ج٢، ص٣٦٠، رقم ٣٢٧٢، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٨، ص ٤٠٥-٤٠٧، رقم ٣٠٨٦.

تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النَّسْخِ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين»(١). فمن هذه الروايات وغيرها نستخلص أن الرسول ﷺ قد «سنَّ جمع القرآن وكتابته، وأمر بذلك وأملاه على كتبته، وأنه ﷺ لم يمت حتى حَفِظَ جميعه جماعة من الصحابة، وحفظ الباقون منه جميعه متفرقًا، أو عرفوه وعلموا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك اليوم من ليس من الحفاظ لجميع القرآن»(٢).

بل إننا نجد أن الرسول ﷺ كان يأمر بكتابة ما نزل عليه من القرآن ويبعث به إلى بعض الأمصار لقراءته عليهم، فعن سماك بن حنش عن علي قال: «لما نزلتْ عشر آيات من براءة على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر، فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي: «أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم...»(٣). وحتى على مستوى المراسلات الشخصية، فقد كان بعض الصحابة يدون الآيات القرآنية ويرسلها وعظًا وتذكيرًا أو دعوةً وتبليغًا، وخير شاهد على ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هشام بن العاص بن وائل بعد هجرة الأول وانحباس الثاني(٤).

ولقد كان لهذا العامل ـ أي كتابة القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ ـ أثره الكبير في انتشار المصاحف ومزاولة نسخها، وسَيُجلّي الباحث الآن حجم هذا الانتشار.

---

(١) الزركشي، البرهان، ج١، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف: دراسة لغوية وتاريخية، ص ٩٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج٢، ص ١٣٥، رقم ١٢٩٦. وقال المحقق: «إسناده حسن»، وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص ٣٤٨.

(٤) انظر القصة: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٧، ص ٢٤٢-٢٤٣، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ٩٢-٩٣.

انتشار المصاحف في عهد الرسول ﷺ:

لعل مما ساعد على تزايد كتابة المصاحف وانتشارها ومن ثمَّ ساعد على تزايد تأثير هذا العامل على صناعة الكتابة والكِتاب، إخبار الرسول الكريم ﷺ بدوام الحسنات لمورِّث المصحف وواقفه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً عَلَّمهُ ونشرهُ، وولداً صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثهُ[١]، أو مسجداً بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[٢]، فلا غرو - بعد ذلك - أن يتنافس ا لصحابة رضوان الله عليهم ومن معهم من كبار التابعين في ذلك الزمن في كتابة المصاحف ونسخها وتحسين كل ما من شأنه الحفاظ عليها والاعتناء بها وتوريثها لمن بعدهم من ذريتهم الباقين، وقد ورد في عدد من الآثار «بأن النظر في المصاحف من خلق الأولين»[٣]، «وكانوا يعدون - أي الصحابة - القراءة في المصحف من العبادة»[٤].

ولقد دلَّت أحاديث الرسول ﷺ على كثرة كتابة المصاحف في عهده ﷺ، وانتشارها حتى غدت في منازل الصحابة وبين أهليهم وذراريهم، فعن عبد الله بن عمرو: أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ بابن له، فقال: يا رسول الله، إنّ ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت بالليل؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما تنقمُ أنّ ابنك يظلّ ذاكرًا ويبيت سالماً؟»[٥].

---

(١) قال محقق «سنن ابن ماجه» الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله: «ورّثَه: أي تَرَكه إرثًا».

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب ثواب مُعلِّم الناس الخير، ج١، ص ٨٨، رقم ٢٤٢. قال العلامة الألباني: «إسناده حسن». انظر: الألباني، صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، كتاب العلم، الترغيب في العلم وطلبه، ج١، ص ١٠٨، رقم ٧٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٩٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥، ص٤١-٤٢، والفَرَياني، كتاب فضائل القرآن، ص ٢٢٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص ٤٣٦.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص ١٨٠، رقم ٦٦١٤. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

ولم يغد رسول الله ﷺ إلى حجته، حجة الإسلام والبلاغ والوداع في السنة العاشرة من الهجرة، حتى كانت المصاحف في كل بيت وبين يدي ساكنيه (أهله، وخدمه، وذويه) . وهذا ما صرح به أحد الأعراب ممن كانوا معه في حجته ﷺ، بعد أن قام ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال: « يا أيها الناس خذوا من العلم قبْل أن يُقبض العلم، وقبل أن يرفع العلم »، فقال الأعرابي للرسول ﷺ متسائلاً: يا نبي الله، كيف يرفع العلم منّا وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلّمنا ما فيها وعلّمناها نساءنا وذرارينا وخَدَمَنا؟ قال: فرفع النبي ﷺ رأسه، وقد عَلَتْ وجهه حمرة من الغضب قال: فقال: أي ثكلتك أمك! هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم، ألا وإن ذهاب العلم أن يذهب حَمَلَتُه » ثلاث مرات(١) .

ولولا انتشار المصاحف وازدهار عملية كتابتها ونسخها والمحافظة عليها بين الصحابة وعوائلهم، لما صرّح النبي ﷺ بكثير من الأحكام الفقهية والآداب المرعية المتعلقة بها، فقد نهى ﷺ أن يُسافَر بالمصحف إلى أرض العدو(٢)، وفي رواية « بالمصاحف »(٣)، وفي روايات أخرى « بالقرآن »(٤) . قال البخاري رحمه الله معلقًا على هذا الحديث: « وقد سافر النبي ﷺ وأصحابه في أرض العدو وهم يَعْلَمون القرآن »(٥)،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص ٢٦٠-٢٦١، رقم ٢٢١٩١ . وقال محقق المسند: « إسناده حسن » . وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب العلم، باب ذهاب العلم، ج١، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٥، ص ٧٦، رقم ٥٤٦٥ . وقال محقق المسند: « إسناده صحيح » .

(٣) أخرجها ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب السفر بالمصاحف إلى أرض الكفر، ج٢، ص ٥٧٤، رقم ٦٩٤ . وقال محقق الكتاب: « إسناده صحيح » .

(٤) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ج٦، ص ١٣٣، رقم ٢٩٩٠، وأحمد في مسنده، ج٥، ص ١١، رقم ٥٢٩٣ . وقال محقق المسند: « إسنادها صحيح » . وأخرجها أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في المصحف أن يُسافر به إلى أرض العدو، ج٧، ص ٢١٥، رقم ٢٦٠٧ .

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ١٣٣ .

فقال ابن حجر رحمه الله: «أشار البخاري بذلك إلى أنّ المراد بالنَّهْي عن السفر بالقرآن، السفر بالمصحف خَشْيَة أن يناله العدو، لا السفر بالقرآن نفسه»، «فإنّه لم يقل أحد إن من يُحْسن القرآن لا يغزو العدو في دارهم»[1]، وقال العلامة العظيم آبادي: «أن يُسافر بالقرآن: أي بالمصحف»[2]. وفي نهي آخر قال عثمان بن أبي العاص: «كان فيما عهد إليَّ رسول الله ﷺ: «لا تمس المصحف وأنت غير طاهر»[3]، «فلولا أن ما كان نَزَلَ من القرآن يُجمع في المصاحف ونحوها ويتداوله الناس بالنسخ والمِلْك، ما صح ورود النهي المذكور»[4].

ونخلص من جميع ما سبق إلى أن الرسول ﷺ حث على كتابة القرآن الكريم، وأمر صحابته بكتابته، وكان لهذا الأمر أكبر الأثر في انتشار كتابة المصاحف ونسخها، ومن ثم ازدهار صناعة الكتابة والكِتاب، ولكنه «قُبض ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء»[5]، فقد جمعه خليفته الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فما قصة هذا الجمع؟.

كتابة القرآن وجمعه في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كانت وفاة الرسول ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة[6]، فكان أن أسندت خلافته ﷺ في أمته إلى رفيقه في الهجرة، وصاحبه، ووزيره أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي تلك الآونة اشتعلت فتنة الردة في عدة مناطق من شبه الجزيرة العربية، من قبل طليحة الأسدي، وبني سليم، وبني تميم، وغيرهم. وانطلقت معها

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ١٣٣.

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود، ج٧، ص ٢١٥.

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب لا يمس المصحف من ليس على وضوء، ج٢، ص ٥٨٦، رقم ٧٣٨.

(٤) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٨٥.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٢.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢٣٢.

إدعاءات النبوة الكاذبة من الأسود العنسي، ومسيلمة الكذَّاب، وسَجَاح بنت الحارث[١]، حتى قالت عائشة رضي الله عنها تصف تلك الفتن: «توفي رسول الله ﷺ، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لَهَاضَها، إشْرَأبَّ النفاق بالمدينة، وارتدت قبائل العرب...»[٢].

وأمام هذا البحر المتلاطم من الفتن وقف الصديق رضي الله عنه موقفًا شديداً حازمًا لإخماد نيران هذه الفتن والقضاء عليها، وقال قولته المشهورة: «لو منعوني عقالاً مما أعطوا رسول الله لقاتلتهم»[٣]، وكان له - بعون الله - ما أراد، فجيَّش الجيوش لقتال المرتدين، وكان في طليعة هذه الجيوش كبار الصحابة الذين تسابقوا لنيل الشهادة في سبيل الله، فتساقطوا الواحد تلو الآخر، حتى قُتل يوم اليمامة من المهاجرين والأنصار مئة وأربعون رجلاً، وكان جميع القتلى أربع مئة وخمسين رجلاً[٤]، وفي رواية[٥]: شهداء اليمامة خمسمئة، فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن، وقيل: سبعمئة، وقيل: أكثر[٦]. قال ابن حجر رحمه الله: «إن كثيراً ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن المراد أن مجموعهم جمعه لا أن كل فرد جمعه»[٧].

وكان هذا العدد من القتلى أهم عامل نبَّه عمر بن الخطاب إلى ضرورة الالتفات إلى كتابة القرآن وجمعه في مكان واحد، تحسبًا لمواقع ومعارك أخرى يسقط في

---

(١) انظر حول هذه الفتن: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢٤٧ - ٣٠٧، والذهبي، تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدين، ص ١٤-٤١، والعَصْفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥١-٦١.

(٢) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥١.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٧، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ٤١.

(٥) العصفري: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥٨.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٢.

(٧) المصدر السابق، ج٩، ص ١٢.

ميدانها المزيد من حفظة القرآن الكريم.

ولعل أشهر روايات جمع القرآن الكريم وكتابته في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هي رواية محمد بن شهاب الزُّهري، عن عبيد بن السَّبَّاق الثقفي (من كبار التابعين بالمدينة)، عن زيد بن ثابت (ت٤٥هـ) رضي الله عنه أنه قال: «أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مَقْتَلَ أهل اليمامة، فإذا عُمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنِّي أخشى إن استحرّ القتل بالقرّاء بالـمَوَاطِنِ، فيذهبُ كثيرٌ من القرآن، وإنِّي أرى أن تأمُر بجمع القرآن. قلتُ لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فَتَتَبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال، حتى وجدتُ آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحدٍ غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياتَهُ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه»(١).

ونلاحظ هنا أن هذه الرواية قد أشارت إلى جملة من القضايا أولها: أنها أظهرت الدافع وراء هذا الجمع وهذه الكتابة، وثانيها: أنها كشفت عن أنّ هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٩، ص ١٠، رقم ٤٩٨٦، وكتاب الأحكام، باب يُستحبُّ للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، ج١٣، ص ١٨٣، رقم ٧١٩١، وكتاب التفسير، سورة براءة، باب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ج٨، ص ٣٤٤، رقم ٤٦٧٩، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص١٩٧، رقم ٧٦، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة التوبة، ج٨، ص ٤٣٣ - ٤٣٧، رقم ٣١٠٣، وأخرجه الرزّاز الواسطي، تاريخ واسط، ص٢٥٠-٢٥١، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف ج١، ص١٦٩-١٧٠، وأخرجه ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٠٧.

الأمر يُفعَل لأول مرة فلم يفعله الرسول ﷺ، حيث مر معنا أن الرسول ﷺ أمر بكتابة القرآن، وجمع بعضه في عهده ﷺ، ولكنه قُبض ولم يجمع كاملاً في مكان واحد. ولم يَسبق إليه أحدٌ من الصحابة، ويتضح هذا من علة تردد أبي بكر وزيد في الموافقة على هذا الجمع، ولعل هذه القضية تنفي ما نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه «أنه جمع القرآن في مصحف»[١] في أثناء بيعة أبي بكر الصديق، وينفي هذه النسبة - أيضًا - ابن أبي داود عبد الله بن سليمان السجستاني رحمه الله، فقد قال بعد أن ذكر الرواية: «لم يذكر المصحف أحد إلا الأشعث، وهو لَيِّن الحديث.. وإنما رووا: حتى أجمع القرآن. يعني: أتم حفظه؛ فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»[٢]. وقال ابن كثير رحمه الله: «في سند هذه الرواية انقطاع»[٣]. وقال ابن حجر رحمه الله بعد ذكر هذه الرواية: «فإسنادها ضعيف لانقطاعه، وعلى تقدير بأن يكون محفوظًا، فمراده بجمعِه: حفظه في صدره»[٤]. وينفي هذه النسبة علي نفسه رضي الله عنه فيما أخرجه ابن أبي داود السجستاني عن عبد خير، قال: سمعت عليًّا يقول: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين»[٥]، كما تنفي هذه القضية - أيضًا - نسبة الجمع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد رُويَ أنه «أمر بجمع القرآن، فكان

---

(١) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ١٨٠، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٣٥، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٣٨.

(٢) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ١٨١.

(٣) ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٨٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٣.

(٥) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ١٦٥، رقم ١٤، ١٥، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٥٩-٦٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٠، ص ٣٧٩-٣٨١، والداني، المقنع، ص٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ١١٥. وقال الذهبي «إسناده حسن»، وابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٢. وقال ابن حجر: «إسناده حسن».

أول من جمعه في المصحف»[١].

قال ابن حجر: «هذا منقطع، إنْ كان محفوظًا، حُمل على أنَّ المراد بقوله: فكان أول من جمعه، أي: أشار بما فعله من جمع القرآن»[٢].

أما ثالثة هذه القضايا التي كشفتها هذه الرواية فهي: مؤهلات وصفات القائم بكتابة القرآن وجمعه «فذكرت له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شابًا[٣] فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أدعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له. وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة»[٤].

وآخر هذه القضايا ما كشفته الرواية من مصير مصحف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاته، وأنه كان عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حياته، ثم أوصى به إلى ابنته حفصة رضي الله عنها، ثم أوصت به عند وفاتها إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[٥]، ثم أرسل مروان بن الحكم بُعيد دفن حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عبد الله بن عمر: أنْ أرسلْ إليَّ بذلك المصحف فأرسله إليه، ويقال أنه محاه أو أحرقه[٦].

والجدير بالذكر، أن عملاً كبيراً كهذا العمل لا يستطيع زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمفرده القيام به دون مساعدة من إخوانه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وهذا ما أظهرته لنا رواية عروة بن الزبير التي قال فيها: «لما استحرّ القتل بالقرّاء يومئذ فَرِقَ أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت اقعدا

(١) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ١٨١، رقم ٣٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٣.

(٣) كان عُمْر زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين كتب مصحف أبو بكر نحو اثنتين وعشرين سنة. انظر: الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحُكمه، ص ٣١.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٣.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص ٨٦.

(٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، باب ما جاء في المصحف، ج٧، ص ١٥٦. وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح». وانظر: تاريخ أبي زرعة، ج١، ص ٤٩٣، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ٦٠.

على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»[١]، وأيضًا ما رواه أبو العالية رُفَيع بن مهْران قال: أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أُبَيّ بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿**ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ**﴾، فظنوا أنّ هذا آخر ما أنزل من القرآن، فقال أُبَيّ: إنّ رسول الله ﷺ قد أقرأني بعدهن آيتين ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ الآية»[٢].

وفي رواية شاذة لليعقوبي رحمه الله في «تاريخه»: أنّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أجْلَسَ خمسة وعشرين رجلاً من قريش، وخمسين رجلاً من الأنصار، وقال: اكتبوا القرآن واعرضوا على سعيد بن العاص، فإنه رجل فصيح»[٣].

ويجدر بالباحث أن يختم بالقول إن: «الفرق بين المكتوب في العهد النبوي وما كتب في عهد أبي بكر، أنّ القرآن كان مكتوبًا في العهد النبوي، مفرّقًا في الصحف والألواح والعُسُب والكرانيف والقصب.. وأدوات أخرى، ولم تكن مجموعة سوره في خيط واحد، وأما الذي تمّ في أيام أبي بكر، فهو كتابة القرآن في صحف كل سورة أو سور في صحيفة مرتبة آياته على ما حفظوه عن رسول الله ﷺ، فكانت مهمة زيد بن ثابت أن يكتب ما كان مكتوبًا في العهد النبوي في صحف، كل سورة في صحيفة مرتبة فيها الآيات ترتيبًا توقيفيًا»[٤].

أثر جمع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في انتشار المصاحف وكتابتها في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد سَنَّ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جمعه للقرآن سنة حسنة، مَهّدَت الطريق لانتشار كتابة المصاحف بين الصحابة في عهده والعهود اللاحقة، ولأن خلافة الصديق لم تدم طويلاً، فهي لم تتجاوز السنتين إلا بثلاثة أشهر وعشرة أيام تقريبًا،

(١) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ١٦٨-١٦٩، رقم ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ١٧٧-١٧٨، رقم ٢٩.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٥.

(٤) محمد شُرَّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج٢، ص ٢٤١.

كان انتشارها والانشغال بكتابتها والاعتناء بها في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد أخذ حيزاً أكبر واهتماماً أكثر نتيجة لـمَا سنّه أبو بكر، ولـمَا شرعه رسول الله ﷺ من قبل، بالإضافة إلى ما كان عليه عهد عمر ـ وذكرناه آنفاً ـ من توسع في الفتوحات وزيادة في رقعة الدولة الإسلامية، ودخول الناس في دين الله أفواجًا وحاجتهم إلى معرفة تعاليم دينهم الجديد، فكان أنْ ظهرت المصاحف من إملاء كبار الصحابة رضوان الله عليهم، فعن قيس بن مروان أنه أتى عمر فقال: «جئتُ يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلاً يُملي المصاحف عن ظهر قلب، فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شُعْبتَي الرَّحْل. فقال: ومن هو ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يُطْفَأ ويُسَرَّى عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها...»[١]. بل كان أهل الأمصار الأخرى يَرْحَلُون ـ في بعض الأحايين ـ إلى المدينة لكتابة مصاحف لهم من إملاء قرّاء الصحابة رضوان الله عليهم، فعن عطية بن قيس، قال: انطلق ركب من أهل الشام إلى المدينة يكتبون مصحفاً لهم، فانطلقوا معهم بطعامهم أو إدام، فكانوا يُطعمون الذين يكتبون لهم. وقال: وكان أُبَيّ بن كعب يَمُرّ عليهم يقرأ القرآن [وفي رواية: «وكان أُبَيّ يختلف إليهم يُمِلُّ عليهم»[٢]]، قال: فقال له عمر: يا أُبَيّ بن كعب: كيف وجدتَ طعام الشامي؟ قال: لا وشك إذا ما نشبت في أمر القوس[٣]، ما صبتُ لهم طعامًا ولا إداماً»[٤].

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص ٢٣٨، رقم ١٧٥. قال المحقق: «إسناده صحيح». وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٤٦، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني ـ باختلاف يسير ـ في كتاب المصاحف، باب كتابة المصاحف مطلقًا، ج١، ص ٤٦٧-٤٦٨، رقم ٤٥٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص ٩٧-٩٨.

(٢) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٧١٠.

(٣) كذا وردت هذه العبارة في المصدر المذكور، ولعل المقصود الإشارة بالقوس الذي أهداها أحد أهل الصُّفَّة إلى عبادة بن الصامت جزاء تعليمه القرآن والكتابة، فقال له الرسول ﷺ: «إنْ كنتَ تحبُّ أن تُطوق طوقًا من نار فاقبلها».

(٤) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب أخذ الأجرة على عرض المصاحف، ج١، ص ٥١٢، رقم ٥٢١. قال المحقق: «إسناد رجاله ثقات».

ونجد أن راوي القصة السابقة عطية بن قيس[١] «كان النّاس يصلحون مصاحفهم على قراءته، وهم جلوس على درج الكنيسة من مسجد دمشق قبل أن تُهْدم»[٢]. وربما كتب الناس مصاحفهم في أمصارهم ثم حرصوا على عرضها على قراء الصحابة في المدينة، فعن أبي إدريس الخولاني، أنّ أبا الدرداء (عويمر بن زيد) ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق، ومعهم المصحف الذي جاء به أهل دمشق ليعرضوه على أُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعَليّ وأهل المدينة...»[٣].

وقد صدرت عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعض الأحكام الفقهية والآداب المرعية بشأن المصاحف؛ مما يدلل على كثرة النسخ وكثرة تداولها بين الصحابة: فقد نهى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يسافر بالمصحف عند أرض العدو[٤]. وعن ابن عباس قال: «نهانا أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن نؤم الناس في المصحف»[٥]. ووجد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذات مرة مع رجل مصحفًا قد كتبه بقلم دقيق، فكره ذلك وضربه، وقال: عَظِّمُوا كتاب الله، وكان عمر إذا رأى مصحفًا عظيمًا سُرَّ به[٦]. وفي تنوع الخطوط وأحجامها، وفي اختلاف المصاحف - أيضًا - وأحجامها، إشارةٌ قوية إلى تطور صناعة الكتابة

---

(١) هو عطية بن قيس الكلابي، ويقال: الكلاعي، أبو يحيى الحمصي، ويقال: الدمشقي، روى عن: أُبَيّ بن كعب، ومعاوية، والنعمان بن بشير، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وغيرهم رضوان الله عليهم. وقد كان معروفًا وله أحاديث، كان مولده في حياة رسول الله ﷺ في سنة (٧) وغزا في خلافة معاوية، وتوفي سنة عشرة ومئة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٦٠، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ١٤٠.

(٢) أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، ج١، ص ٣٤٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٤٧٣، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ١٤٠.

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني، في كتاب المصاحف، باب عرض المصاحف إذا كتبت، ج١، ص ٥٠٩، رقم ٥١٦.

(٤) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري، ص ٢٧٤.

(٥) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب هل يؤم القرآن في المصحف، ج٢، ص ٥٩٧، رقم ٧٧٢.

(٦) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٤، ص ١٥٨، وأبو عبيد الهروي، فضائل القرآن، ص٣٩٨.

والكتاب، وتمكن القائمين عليها في ذلك العهد، ولقد كشفت لنا المصادر(١) أنّ أحدهم قد تخصص في كتابة المصاحف للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو نافع بن ظُرَيْب(٢)، وقيل: ابن طريف(٣).

ومما سبق «نرى أن المصاحف التي كتبها الصحابة وعامة المسلمين، قد ازدادت في خلافة عمر رضي الله عنه وربّما كانت تتضمن بعض آثار رَخْصَة الأحرف السبعة التي يَسَّرَ الله بها على الأمة في قراءة القرآن، مما أظهر الحاجة إلى مصحف يكون إمامًا للمسلمين في كافة الأمصار، خاصةً بعد أن يبرز الاختلاف في القراءة، وهو ما تَمّ في خلافة عثمان»(٤).

توحيد المصاحف وجمعها في عهد عثمان رضي الله عنه:

رأينا كيف انتشرت المصاحف في عهد عمر رضي الله عنه، وكيف تزامن هذا الانتشار مع التطور الذي حصل في عهده رضي الله عنه، وذكرناه مراراً، فكان نتيجة ذلك أن تفشى الاختلاف في القراءات بين الناس في الأمصار الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه، فكان لابد من (مصحف إمام) للمسلمين. وأشهر الروايات التي ذكرت لنا تفاصيل قصة هذا الجمع هي رواية ابن شهاب الزُّهري، عن أنس بن مالك (ت٩٠هـ) رضي الله عنه، وقد ذكرتها عدة مصادر(٥)، يذكر الباحث منها نص رواية البخاري، حيث قال: حدثنا موسى،

---

(١) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٧١١، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص ١٤٩٠، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص ٢٨٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٣٢١.

(٢) هو نافع بن ظُرَيْب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ا لقرشي النَّوْفلي، أمه صفية بنت عبدالله بن بجاد الكنانية، أسلم يوم الفتح، وصحب النبي ﷺ، قال أبو عمرو: لا أعلم له رؤية. قال هشام الكلبي، وقال العدوي: كان يكتب المصاحف لعمر. انظر: المصادر في الحاشية السابقة.

(٣) ورد هذا الاسم في «تاريخ المدينة» لابن شَبَّة فقط، وورد الاسم الأول في باقي المصادر التي ذكرها الباحث، ويبدو أن الاسم الأول أقرب إلى الصواب؛ لأن معظم المصادر ذكرته.

(٤) غانم قدوري الحمد، رسم المصحف: دراسة لغوية وتاريخيه، ص ١٠٦.

(٥) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٩، ص ١١، رقم=

حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، أنّ أنس بن مالك حدثه: «أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذْرَبيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرَّهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قُريش؛ فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخُوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصُّحف إلى حفصة، وأرسل إلى كُلِّ أفق بمصحف مما نسخوا، وأَمَر بما سواهُ من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يُحرق».

وهذه الرواية لقصة جمع القرآن في عهد عثمان تُظهر لنا جملة من الأمور:

أولها: الدافع الذي كان وراء هذا الجمع، وهو فَزَعُ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من الاختلاف الذي رآه وسمعه في قراءة القرآن بين المسلمين، وقد وردت حول هذا الاختلاف روايات عديدة، في تعددها بيانٌ لظهور هذا الاختلاف واستشرائه وخطورة آثاره، منها ما هو مسندٌ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ومنها ما هو مُسندٌ لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

فمما أُسند لحذيفة ما رواه أبو الشعثاء المحاربي قال: قال حذيفة: «يقول أهل الكوفة قراءة عبدالله، يقول أهل البصرة قراءة أبي موسى، والله لئن قدمتُ على

= ٤٩٨٧، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص ٩٩١-٩٩٢، وأخرجها الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٨، ص ٤٣٧-٤٤٠، رقم ٣١٠٤، والنديم، الفهرست، ص ٣٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٠٧-٣٠٨، وج٣٩، ص ٢٤١، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ٤٧٦، والقلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١، ص ٩٦-٩٧.

أمير المؤمنين لأمرته أن يُغْرقها . . »[١]. وما رواه زيد بن ثابت: «أنّ حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم من غزوة غزاها بفرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، ويأتون بما لم يسمع أهل الشام. ويقرأ أهل الشام بقراءة أُبَيّ بن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق؛ فيكفرهم أهل العراق!»[٢].

ومما أُسند لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما رواه مصعب بن سعد، قال: «جلس عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنما عهدكم بنبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ ثلاث عشرة سنة، لم أنتم تختلفون في القراءة؟ يقول أحدكم لصاحبه ما تُتمُّ قراءتك . . »[٣]. وفي رواية لسويد بن غفلة، قال: سمعتُ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: « . . جمعنا [أي عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] فقال: ما تقولون في القراءة؟ يَلْقى الرجلُ الرجلَ فيقول قراءتي خيرٌ من قراءتك، ويَلْقى الرجلُ الرجلَ فيقول قراءتي أفضل من قراءتك، وهذا شبيه بالكفر، قال: فقلنا الرأي رأيك يا أمير المؤمنين . . »[٤]، وأخرج ابن أبي داود السجستاني رحمه الله من طريق أبي قلابة، قال: «لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يُعَلِمُ قراءة الرجل والمعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب [راوي هذا الأثر عن أبي قلابة]: إلا أعلمه إلا قال: حتى كَفَر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشدُّ لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إمام»[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ١٨٩، رقم ٤٦.

(٢) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص ٩٩٣.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص ٩٩٤.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص ٩٩٦.

(٥) كتاب المصاحف، ج١، ص٢١١-٢١٢، رقم٧٤، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٧٠، وابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٨.

فالظاهر من هذه الروايات أنّ كلا الصحابيين الجليلين حذيفة بن اليمان وعثمان ابن عفان رضي الله عنهما سمعا من اختلاف المسلمين في القراءة ما أفزعهما، وأثار قلقهما على حال المسلمين مع القرآن، «فكأن عثمان لما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقق عنده ما ظنه من ذلك»(١).

والأمر الثاني الذي أظهرته هذه الرواية: القائمين على هذا الجمع، فالذي ذكرته هذه الرواية أنّ عثمان: «أمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف»(٢). ولكن هناك رواية تفيد أن عثمان رضي الله عنه «جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار»(٣)، وهذه الأسماء - إضافة إلى التي ذُكرت - ظهرت من خلال روايات أخرى، فذُكر: «كثير ابن أفلح»(٤)، و«مالك بن أبي عامر»(٥) جد مالك بن أنس، و«أُبَيّ بن كعب»(٦)، و«أنس بن مالك»(٧)، و«عبد الله بن عباس»(٨). قال ابن حجر

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٨.

(٢) وهناك مصادر أخرى ذكرت هذه الأسماء، منها: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب، ج٩، ص ٨-٩، رقم ٤٩٨٤، وكتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش، ج٦، ص ٥٣٧، رقم ٣٥٠٦، وتاريخ أبي زرعة، ج١، ص٥٩٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص ١٧٩، وج ٣٤، ص ٢٧٥. وانظر - أيضاً - حول تكليف عثمان رضي الله عنه لسعيد بن العاص وزيد بن ثابت: ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ٢١٣-٢١٤، وحول تكليفه رضي الله عنه لعبد الرحمن بن الحارث، وانظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥، ص ٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ج١، ص٢٢١-٢٢٢، رقم٨٩، ٩٠، ٩١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ١١٩.

(٤) انظر: ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ٢٢١، رقم ٨٩.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٢١٢، رقم ٧٥.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص٢٢١-٢٢٢، رقم ٩٠، ٩١، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص١٠٠٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ١١٩.

(٧) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٩.

(٨) المصدر السابق.

رحمه الله: «فهؤلاء تسعة عرفنا تسميتهم من الاثني عشر»[١]، وعثر الباحث على تمام الاثني عشر من رواية أبي محمد القرشي، أنّ عثمان بن عفان قال: بعد أنْ ذكر حال اختلاف المسلمين في القراءة وخوفه من ذلك: «ثم دعوتُ نفراً من كُتّاب أهل المدينة وذوي عقولهم منهم: نافع بن طريف[٢]، وعبد الله بن الوليد الخزاعي، وعبد الرحمن بن أبي لبابة..»[٣].

أما الأمر الثالث: فهو زمن هذا الجمع على الوجه التقريبي حيث صرح ابن حجر رحمه الله في شرحه للرواية بأنه في «أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أنّ أرمينية فتحت فيه، وذلك في أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة من قبل عثمان»[٤].

والأمر الرابع الذي أظهرته الرواية: هو إِحراق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمصاحف الأخرى التي كانت موجودة قبل جمعه للمصحف الإمام، وقد أكدت الروايات على إِجماع الصحابة رضي الله عنهم على هذا الفعل. فعن مصعب بن سعد، قال: «أدركتُ الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك. وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد»[٥]. وعن سويد بن غفلة، قال: قال عليٌّ حين حرّق عثمان المصاحف: «لَوْ لَمْ يصنعْه هو لصنعته»[٦]. والسبب في إِحراقها هو قطع جذور إِختلاف الناس في القراءة، فقد يكون بعضهم كتب شيئًا من القرآن على غير وجه صحيح

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٩.

(٢) ترجمته أكثر مصادر تراجم الصحابة على أنَّ اسمه: «نافع بن ظُرَيب»، وسبقت ترجمته قريباً.

(٣) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص ٩٩٧-٩٩٨.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ١٧.

(٥) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، ج١، ص ١٨٧، رقم ٤١.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦-١٨٧، رقم ٤٠.

لما نشأ فيهم من الخلاف الذي كان سببًا في قيام عثمان بجمع القرآن وحمل الناس عليه، فبإحراق تلك الصحف تتوحد قراءاتهم على حرف واحد حسب ما جاء في مصحف عثمان(١).

ورغم أن هذه الرواية لم تشر إلى عدد المصاحف التي نسخها رضي الله عنه، إلا أنّ المصادر القرآنية قد أماطت اللثام عن هذه النسخ، فقال الدّاني رحمه الله: «إن أكثر العلماء على أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كلٍّ ناحية من النواحي بواحدة منهنّ: فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة. وقد قيل: إنه جعله سبع نسخ، ووجه من ذلك أيضًا: نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين. والأول أصح، وعليه الأئمة»(٢).

ويذكر السيوطي رحمه الله: «أنها كانت خمسة»(٣)، «وصوب ابن عاشر أنها ستة: المكي، والشامي، والبصري، والكوفي، والمدني العام، والمدني الخاص به الذي حبسه لنفسه»(٤). ورجح الزَّرقاني رحمه الله بأن عددها ستة قائلاً: «وهو أولى الأقوال بالقبول»(٥). وقد روي أن عثمان رضي الله عنه بعث مع كل مصحف إمامًا قارئًا، فأمر زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة ابن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السُّلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري(٦).

---

(١) محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص ٣٦.

(٢) الداني، المقنع، ص ٩، وحاتم صالح الضامن، تحقيق كتاب: «كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار»، تأليف: محمد بن محمود السمرقندي، مجلة المورد، مج ١٥، ع٤، ١٩٨٦م، ص٤٢٧.

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص ٦.

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٦.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٦-٣٩٧.

والظاهر من النصوص أن «هناك إجماعًا على أربعة مصاحف، وهي مصاحف: المدينة، والشام، والكوفة، والبصرة. وخلافات على مصاحف اليمن والبحرين ومكة ومصر»(١).

والجدير بالذكر أن مصحف البصرة دُفع إلى زيد بن جلبة، فظلّ متوارثًا في عَقبه إلى القرن السادس الهجري(٢)، ومصحف الكوفة «وضع عند رجل من مراد، فبقي حتى كتب حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) مصحفه عليه»(٣)، أما مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان في حِجره حين قُتل فكان عند ولده خالد بن عثمان «ثم صار في أيدي ولده، وقد دَرَجوا»(٤)، وقد أشارت عدة مصادر(٥) إلى هذا المصحف الخاص بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويبدو أنّ المصحف الخاص بالمدينة كان له مكان مُخصّص في المسجد النبوي، فقد روي عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت٧٤هـ): «أنه كان يأتي إلى سُبحة الضحى فيعمد إلى الأسطوانة، دون المصحف، فيصلي قريبًا منها»(٦)، وذكر ابن شَبَّة بسنده: «أن أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان، ثم وضعه في المسجد، فأمر به يقرأ كل غداة»(٧).

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٤٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٢، ص ٣٤٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٣٤١-٣٤٢.

(٣) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٠١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٧٣-٧٤، وابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج١، ص ١٥٥-١٥٦، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص ٢٤٨٨، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٦٧١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص ٢٣٩، وابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ٢٣١، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ٤٥٧، وابن كثير، فضائل القرآن، ص ٩٠-٩١.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في توطين المكان في المسجد يُصلى فيه، ج١، ص ٤٥٩، رقم ١٤٣٠.

(٧) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ٧.

أما مصحف دمشق فقد دلَّ على وجوده في القرن الثامن الهجري رؤية الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ ووصفه له[1]، وقد نقل وصف ابن كثير هذا المؤرخ القَرْماني رحمه الله نقلاً حرفياً[2]، ونقله الحرفي للوصف يدل على عدم رؤية القَرْماني للمصحف، ولم يشر في وصفه هذا نسبته إلى ابن كثير، حتى يظنُّ الظَّان أنَّه قد رآه.

ولم تُشر الرواية إلى مواصفات هذه المصاحف ولكن بعض المصادر أشارت إلى هذه المواصفات، فبالنسبة للخطِّ المسطور في هذه المصاحف فيَعتقد صلاح الدين المنجد أن المصاحف العثمانية كتبت بالخط المدني الذي يشبه في حالته تلك آخر مراحل تطور الخط النبطي اليابس[3]، مؤكداً بذلك خطأ ما ذكره القلقشندي رحمه الله من «أنها كُتبت بقلم جليل مبسوط»[4]. أما بالنسبة لأحجامها فقد كانت عظيمة الحجم، وهذا ما يظهر من الرواية التاريخية التي تقول بأن مصحف دمشق الأعظم في وقعة (صِفِّين) قد رُبط على خمسة رماح يحملها خمسة رجال[5]، ويظهر هذا ـ أيضاً ـ من وصف ابن كثير ـ رحمه الله ـ لهذا المصحف[6]. أما بالنسبة لبقية المواصفات فقد اتفق على اشتمالها على القرآن كله مئة وأربع عشرة سورة، أولها الفاتحة وآخرها الناس[7]، مرتبة ترتيبًا توقيفيًا، حيث رُوي عن ابن الزبير أنه قال: «قلتُ لعثمان بن عفان: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا**﴾ قد نسختها الآية الأخرى، فَلِمَ تكتبها أو تدعها[8]؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئاً

(١) ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٨٩.

(٢) القَرْماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج٢، ص ١٦٧.

(٣) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٤٣.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ١٤٥.

(٥) الدِّيْنَوَري، الأخبار الطوال، ص ١٨٩.

(٦) ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٨٩.

(٧) الزَّرْكشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص ٢٥١.

(٨) قال ابن حجر: «كأنه قال لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة أو قال: لم تدعها أي تتركها مكتوبة، وهو شكٌّ من الراوي، أيُّ اللفظين قال». انظر: فتح الباري، ج٨، ص ١٩٤.

منه مكانه»[١].

قال ابن حجر رحمه الله: «وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآية توقيفي، وكأن عبد الله بن الزبير ظنَّ أن الذي يُنْسَخ حكمه لا يُكتب، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقف»[٢]، وكتبت هذه المصاحف على الرَّقّ[٣]، وكانت عارية من النقط والتشكيل والتحلية، ولا توجد علامات على رأس الآيات[٤]، ولم يكن فيها تعشير[٥]، ولا أسماء السور[٦]، ولم تكن هذه المصاحف مذهبة[٧]، فقد كره الصحابة وبعض التابعين كل ذلك.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا - إلى - بما تعملون خبير)، ج٨، ص ١٩٣، رقم ٤٥٣٠، وأخرج نحوه - أيضًا - في كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا)، ج٨، ص ٢٠١، رقم ٤٥٣٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص ١٩٤.

(٣) ابن كثير، فضائل القرآن، ص٨٩، والقَرْماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج٢، ص١٦٧.

(٤) انظر في ذلك: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب كتابةِ العواشر في المصاحف، ج١، ص ٤٧٢، رقم ٤٢٢، وما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف، ج٤، ص ٣٢٢-٣٢٣، رقم ٧٩٤٤، وما أخرجه أبو عُبَيْد الهروي في فضائل القرآن، باب نَقْط المصحف وما فيه من الرخصة والكراهة، ص٣٩٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص١٥٧.

(٥) انظر في ذلك: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب ما يكره أن يُصنع في المصاحف، ج٤، ص ٣٢٢، رقم ٧٩٤٢، وما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب كتابة العواشر في المصاحف، ج١، ص ٤٧١، رقم ٤٢٩، وما أخرجه أبو عُبَيْد الهروي في فضائل القرآن، باب تعشير المصاحف وفواتح السور والآي، ص ٣٩٣-٣٩٥. وعواشر القرآن: الآي التي يتم بها العَشْرُ. والعاشرة: حَلْقةُ التعشير من عواشر المصحف، وهي لفظة مولدة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٥٧١، مادة: «عشر».

(٦) انظر في ذلك: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب كتابة الفواتح والعدد في المصاحف، ج١، ص ٤٧٠، رقم ٤١٧.

(٧) انظر في ذلك: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب كتابة المصاحف بالذهب، وباب تحلية المصاحف بالذهب، ج١، ص٤٩٥- ٤٩٩، رقم ٤٧٣-٤٨٧، وما أخرجه أبو عُبَيْد الهروي في فضائل القرآن، باب تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة، ص٣٩٦.

وقبل أن يطوي الباحث صفحة جمع القرآن في عهد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يشير إلى الفرق بين جمع أبي بكر للقرآن وبين جمع عثمان رضي الله عنهما. قال ابن التين، وغيره(١): «الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سُوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لَمّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرأوا بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد، مُرتبًا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش؛ محتجًا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم، رفعًا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أنّ الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة»(٢).

ويختم الباحث بما قيل حول المصاحف العثمانية الموجودة اليوم، فقد خلص صلاح الدين المنجد ـ بعد دراسة علمية ـ إلى القول: «أن هذه المصاحف الأربعة رغم نسبتها إلى عثمان ليست بخط واحد، ولا قياس ولا عصر واحد، ويُرجح أنها نُقلت عن أصل عثماني قديم، أي عن أحد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار؛ لذلك أطلق عليها مصاحف عثمانية، ثم توسعوا فجعل بعضها بخط عثمان»(٣).

أثر جمع عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في انتشار المصاحف وكتابتها في عهد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«لقد كانت المصاحف العثمانية أشبه بماء نزل من السماء فأصاب أرضًا خصبة صالحة ولكنها ظامئة متعطشة، فما كاد يصل إليها الماء حتى اهتزت وربت وأنبتت

(١) مثل: الحارث بن أسد المحاسبي، ومحمد بن الطيب الباقلاني، وأحمد بن الحسين البيهقي. انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٧١-١٧٢، والزَّرْكشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٣٥.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص ١٧١.

(٣) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٥. وقد ذهب إلى هذا الرأي ـ أيضًا ـ الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص ٣٩٧-٣٩٨.

من كل زوج بهيج. كذلك المصاحف الشريفة [العثمانية] ما كاد عثمان يرسلها إلى الآفاق الإسلامية حتى أقبلت عليها الأمة من كل صوب وحدب، وحتى اجتمعت عليها الكلمة في الشرق والغرب، وحتى نسخت على غرارها آلاف مؤلفة من المصاحف المقدسة في كل جيل وقبيل»(١)، ولم يمض على جمع عثمان للمصاحف ثلاثة عشر عامًا(٢) إلا وفي جيش معاوية وحده في الشام وحدها في وقعة صفِّين ما يقارب من خمسمئة مصحف(٣)، فكيف بمصاحف بقية الذين لم يشاركوا في هذه الوقعة، وكيف بمصاحف أهالي بقية الأمصار، وفي رواية للدِّيْنَوَري لم يرد تحديد عدد هذه المصاحف بل كان في نصِّها ما يفيد الكثرة، حيث قال: «ثم ربطوا سائر المصاحف، جميع ما كان معهم»(٤).

ولقد كان من ثمرات هذا الجمع أن وُجِدت مراكز ثابتة في الأمصار الإسلامية لكتابة ونسخ وصناعة المصاحف وفق المصحف الإمام، يقوم عليها كُتّاب متخصصون، وهي أشبه ما تكون بمراكز الورّاقين التي ازدهرت - فيما بعد - في تاريخ الحضارة الإسلامية، إن لم تكن هي نواتها الأولى، فعن أبي حُكَيْمة العبدي قال: «كنتُ أكتبُ المصاحف بالكوفة، فيمر علينا عليّ رضي الله عنه فيقوم فينظر فيعجبه خطنا ويقول: هكذا نوروا ما نوّر الله»(٥). وفي قوله: «فيمر علينا» إشارة إلى

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص ٣٩٨.

(٢) كان جمع عثمان رضي الله عنه للمصاحف طبقا لما رجَّحَه ابن حجر في أواخر العام الرابع والعشرين وأوائل العام الخامس والعشرين، وكانت وقعة صفِّين في العام السابع والثلاثين من الهجرة.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٤٣٢. وانظر في أمر رفع المصاحف في وقعة صفِّين المصادر الآتية: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٨٨، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٢، وج١، ص ١٣٦ (الطبقة الرابعة)، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ١٠٣٢، والطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ١٠١، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٤١، والقرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج١، ص ٣٠٧.

(٤) الدِّيْنَوَري، الأخبار الطِّوال، ص ١٨٩.

(٥) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب أخذ الأجرة على كتابة المصاحف، ج١، ص ٤٥٥، رقم ٣٦٤.

الاستمرارية والتكرار، وفيه تعيين مكان لهذه المهنة، وفي قوله: «علينا» بصيغة الجمع إشارة إلى كثرة الكتاب والنساخ القائمين على هذه الصنعة.

وكما دلت أحكام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتوجيهاته في التعامل مع القرآن الكريم في شكله المادي على كثرة المصاحف في عهده، فكذلك الحال مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد وردت عنه آثار حول المصاحف، منها: «أنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغاراً»[١]، أو «أن تكتب في الشيء الصغير»[٢].

وقد نسبت في عصرنا الحاضر عدة مصاحف إلى الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن صلاح الدين المنجد نفى نسبتها إليه - بعد دراسة علمية - قائلاً: «على أن جميع ما استعرضناه من هذه المصاحف لا يصح عندنا نسبته إلى الإمام علي، فهي مصاحف نُسبت إليه لأسباب دينية أو سياسية، ولم يكتبها هو بخطه»[٣] مردفًا قوله هذا بالتعليلات العلمية الوافية لهذه النتيجة.

أثر مراحل جمع القرآن الكريم في انتشار المصاحف وكتابتها في العهد الراشدي:

لقد اشتملت المصادر الحديثية والتاريخية على كثير من الآثار التي تُظهر كثرة المصاحف وانتشارها بين عامة المسلمين، ومن هذه الآثار: ما رواه الغَرِيف بن الدَّيْلَميِّ، قال: «أَتَيْنَا واثلة ابن الأسْقَع فقلنا له: حدثنا حديثًا ليس فيه زيادة ولا نقصان. فغضب، وقال: إنّ أحدكم ليقرأ ومُصحفه مُعَلَّقٌ في بيته، فيزيدُ وينقص. قلنا: إنما أردنا حديثًا سمعتهُ من رسول الله ﷺ..»[٤]. قال العلامة العظيم آبادي:

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف، ج٤، ص٣٢٣، رقم ٧٩٤٥، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص ١٥٨.

(٢) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب تصغير المصاحف، ج١، ص ٤٦٦-٤٦٧، رقم ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩.

(٣) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٧١ - ٧٦.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العتق، باب في ثواب العتق، ج١٠، ص ٤٠٤-٤٠٥، رقم ٣٩٥٩.

« قوله [ومصحفه معلق في بيته] جملة حالية تفيد أنه يقدر على مراجعته إليه عند وقوع التردد عليه »[١]. وعن أبي أمامة الباهلي، قال: « اقرؤا القرآن، ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلبًا وعَّاءً للقرآن »[٢]، وفي قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أثناء جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمصاحف: « يا أهل العراق، أو يا أهل الكوفة غلّوا المصاحف التي عندكم، واكتموها.. »[٣]، وفي رواية: « من استطاع منكم أن يَغُلَّ مصحفه فَلْيَغُلّه.. »[٤] إشارة إلى كثرة المصاحف الشخصية في تلك البلاد.

ومما يشير إلى انتشار المصاحف - أيضًا - ما كان لأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن من مصاحف خاصة بهن، فقد قال يوسف بن ماهك إنِّي عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقيٌّ فقال: أيُّ الكَفَن خيرٌ؟ قالت: وَيْحَكَ وما يضرُّك؟ قال: يا أم المؤمنين، أريني مُصحفَكِ، قالت: لِمَ؟ قال: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القرآنَ عليه، فإنه يُقرأ غير مُؤلف.. »، وفي آخر الأثر « قال: فأخرجت له المصحف، فأملتْ عليه آي السور »[٥].

وقد علق الإمام البخاري - رحمه الله - حين شرع في « كتاب الأذان » في صحيحه، باب إمامة العبد والمولى، قائلاً: « وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان في المصحف »[٦].

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ٤٠٥.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل مَن قرأ القرآن، ج٢، ص ٤٣٢.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١، ص ٦٣، رقم ٦٣.

(٤) أخرجها أحمد في مسنده، ج٤، ص ٨٨، رقم ٣٩٢٩. وانظر - أيضاً -: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٤٤، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ٣٨٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج٩، ص ٣٨-٣٩، رقم ٤٩٩٣.

(٦) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص ١٨٤. وانظر: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب وقد رخص في الإمامة في المصحف، ج٢، ص ٦٠٢، رقم ٧٩٢. وقال المحقق: « إسناده صحيح ».

وفي رواية أخرى: «وكانت هي تقرأ في المصحف وهي تصلي»[1]، وروي عنها أنها كانت تأمر أحد مواليها في كتابة المصاحف لها، فقد روي عن أبي يُونُس[2] مولى عائشة أنه قال: «أَمَرَتني عائشةُ أن أكتبَ لَهَا مُصْحَفًا، وقالت: إذا بلغْتَ هذه الآية فآذنِّي[3]: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** ﴾»[4].

وروي عن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنها أمرت عبد الله بن رافع[5] مولاها بكتابة مصحف لها[6]. وقد أخبر عمرو بن رافع - أو ابن نافع - العدوي مولى عمر ابن الخطاب أنه كتب مصحفًا لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما[7].

---

(١) أخرجها عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب الإمام يقرأ في المصحف، ج١، ص٤٢٠، رقم ٣٩٣٠.

(٢) هو أبو يونس مولى عائشة، روى عن عائشة، وروى عن زيد بن أسلم، وأبو طوالة الأنصاري، وغيرهم رضوان الله عليهم. ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية، وذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص ٤٦١.

(٣) قولها: «فآذنِّي» بمد الهمزة، وكسر الذال المعجمة، وتشديد النون، أي: أعْلمني. انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص ٢٧٦، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج٢، ص ٦٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، ج ٥، ص ١٣١–١٣٢، رقم ١٤٢٦، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة البقرة، ج٨، ص ٢٧٦–٢٧٧، رقم ٢٩٨٢، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب وقت العصر، ج٢، ص ٦٣، رقم ٤٠٦، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ٣٤٩، رقم ٢٣٣، وج١، ص ٣٤٨، رقم ٢٣١.

(٥) هو عبد الله بن رافع المخزومي، أبو رافع المدني مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، روى عن أم سلمة رضي الله عنها، وعن أبي هريرة، وعن حجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري، وغيرهم رضوان الله عليهم. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص ١٢٩.

(٦) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ٣٥٩، رقم ٢٤٨. قال المحقق: «إسناده صحيح»، وذكر هذا الأثر في الأرقام ٢٤٩، ٢٥٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٩٩، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ٣٥٥، رقم ٢٤٣. قال المحقق: «إسناده حسن لغيره»، وانظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ٣٢٣.

ولقد ذكرت المصادر مصاحف كانت لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، منهم: عبد الله بن عمر(١)، وعبد الله بن خباب (٢)، وعكرمة بن أبي جهل(٣)، وعبدالله بن مسعود(٤)، وفضالة بن عبيد بن نافذ(٥)، وعبد الله بن عمرو بن العاص(٦)، وعقبة بن عامر الجهني(٧)، وأُبَيّ بن كعب(٨).

وبلغ من حرص كبار التابعين وعامة المسلمين في ذلك الزمن على توفر عنصر الدقة والإتقان في كتابتهم للمصاحف أنهم كانوا يعرضون مصاحفهم على مصاحف الصحابة رضوان الله عليهم، فعن أبي نضرة المنذر بن مالك العبدي، قال: أتينا عمرو بن العاص [وفي رواية(٩): عثمان بن أبي العاص] ليعرضَ مصحفه على مصحفنا يوم الجمعة، فلما حضرت الجمعة أمر لنا بماء، فاغتسلنا ثم تطيبنا ورحنا(١٠). وعن أبي الأحوص قال: كان نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ - أو

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ١٧٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص٣٥، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٦٤٠.

(٢) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٢، ص ٢٣٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج١، ص ٣٣٠، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن، ج٢، ص ٤٤٠، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ١٥٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص ٥٨، ٦٧-٦٨.

(٤) انظر: أحمد بن حنبل، المسند، ج١٥، ص ٤٤١، رقم ٢١٠٨٥. قال المحقق: «إسناده صحيح».

(٥) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص ٣٠٢.

(٦) المصدر السابق، ج٣١، ص ٢٦٩، وابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص٣٤٧، رقم ٢٢٩.

(٧) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٤٢٩. وفيه قول أبو سعيد بن يونس: رأيت مصحفه [أي عقبة بن عامر] بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره: كتبه عقبة بن عامر بيده.

(٨) انظر: ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص ٢٢٠، رقم ٨٦. قال المحقق: «إسناده صحيح».

(٩) أخرجها أحمد في مسنده، ج١٣، ص ٥٤٢، رقم ١٧٨٢٧. قال المحقق: «إسناده حسن».

(١٠) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب عرض المصاحف إذا كتبت، ج١، ص ٥١٠-٥١١، رقم ٥١٧.

قال: عدةٌ من أصحاب النبي ﷺ - في دار أبي موسى يعرضون مصحفًا..»[1]، وفي رواية: «وهم ينظرون في مصحف»[2].

وكذلك نجد أن المصادر أشارت في عدة مواضع إلى مصاحف كبار التابعين: فهذا عبد الرحمن بن أبي ليلى[3]، كان إذا صلى الصبح قرأ المصحف حتى تطلع الشمس[4]. بل لقد أسس هذا التابعي الجليل أول مكتبة (دار) قرآنية تحوي عددًا من المصاحف، يجتمع فيها عدد من المستفيدين القرّاء[5]. وهذا أحدهم يطلب من الربيع بن خُثَيم[6] قائلاً: «أوصي لي بمصحفك»[7]. وثالث وهو زيد ابن صُوحان[8] يوصي بأن يدفن معه مصحفه[9]. ورابع وهو حنش بن عبد الله

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٤٣.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص ٨٢.

(٣) هو الإمام العلاّمة، الحافظ، أبو عيسى الأنصاري الكوفي، الفقيه، من أبناء الأنصار، ولد في خلافة الصديق أو قبل ذلك، وحدّث عن عمر، وعلي، وأبي ذر، وابن مسعود، وغيرهم رضوان الله عليهم، قُتل في وقعة الجماجم، سنة اثنتين وثمانين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص ١٤٤-١٤٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٦٢.

(٤) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن، ج٢، ص ٤٤٠، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١١١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١١٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٢٦٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص ٩٢.

(٦) هو الربيع بن خُثَيم بن عائذ، الإمام، القدوة، العابد، أبو يزيد الكوفي، أدرك زمن النبي ﷺ، وأرسل عنه، توفي قبل خمس وستين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص ١٤٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٦٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٨٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٦٤٠.

(٨) هو زيد بن صُوحان بن حجر العبد الكوفي، كان من العلماء العبّاد، ذكروه في كتب معرفة الصحابة، ولا صحبة له، لكنه أسلم في حياة النبي ﷺ، وسمع من عمر وعلي وسلمان رضي الله عنهم، قُتل يوم الجمل. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص ٣٦٣-٣٦٤، وأحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ص ١٢٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٢٥.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٢٥-١٢٦.

ابن عمرو[١] «كان إذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح، وقرَّب المصحف وإناء فيه ماء، فكان إذا وجد نعاسًا استنشر الماء، وإذا تعايا في آية نظر في المصحف»[٢].

وهذا الأعمش يقول: «أخرج إلينا إبراهيم[٣] مصحف علقمة[٤]، فإذا الألف والياء فيه سواء»[٥]. وكان عُبيد بن عمير[٦] يقرأ في مصحفه[٧] ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾. وللأحنف بن قيس[٨] مصحف خاص به «قلّ ما خلا إلا دعا به»[٩]. وحديث عبد الله بن مسعود عن المتوشمات والمتنمصات

(١) هو حنش بن عبد الله بن عمرو النسائي الصنعاني، حدّث عن فضالة بن عبيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وغيرهم رضوان الله عليهم، كان مع علي رضي الله عنه، توفي سنة مئة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٤٩٢-٤٩٣.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٥، ص ٣١٠.

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (ت ٩٦هـ).

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، صاحب ابن مسعود، فقيه الكوفة وعالمها ومُقرئها، من كبار التابعين، ولد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين. حدث عن عمر وعثمان وعلي وسلمان وغيرهم رضوان الله عليهم، مات في خلافة يزيد سنة إحدى وستين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٢٩، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٥٣، وسبط ابن العجمي، تذكرةُ الطالب المعلم بمن قيل إنهُ مخضرم، ص٨١.

(٥) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص ٣٩٨، رقم ٣٤٢.

(٦) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، الجندعي، المكي، الواعظ، المفسِّر، ولد في حياة الرسول ﷺ، وحدّث عن أبيه، وعمر بن الخطاب، وعلي، وغيرهم رضوان الله عليهم، وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، توفي سنة أربع وسبعين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٣٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ١٥٦.

(٧) خبر مصحفه أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الكري، ج٥، ص ١٢١-١٢٢، رقم ١٧٣١.

(٨) اسمه: الضحاك بن قيس بن معاوية، وهو غير الضحاك بن قيس الصحابي، أدرك عصر النبي ﷺ ولم يره، وروى عن عمر وعثمان وعلي، وغيرهم رضوان الله عليهم، قيل: مات سنة سبع وستين، وقيل: في سنة تسع وستين. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص ٢٩٨-٣٥٦.

(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص ٣٢٥، ٣٤٥.

والمتفلجاتَ يُظهر أن للمرأة السائلة مصحف خاص بها[1].

والكثرة الكاثرة من الأحكام الفقهية المتعلقة بالمصاحف، الصادرة عن عدد من الصحابة من أمثال: سعد بن أبي وقاص[2]، وعائشة أم المؤمنين[3]، وابن عباس[4]، وغيرهم كثير رضوان الله عليهم أجمعين[5].. تدل دلالة واضحة على تكاثرها بين عامة المسلمين في ذلك الوقت. ومثلها الأحكام المتعلقة ببيع المصاحف وشرائها، الصادرة عن الصحابة[6] ـ أيضًا ـ رضوان الله عليهم أجمعين، من أمثال: عمر بن الخطاب[7]، وعبدالله بن مسعود[8]، وجابر بن عبدالله[9]، وعبدالله بن عباس[10]،

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٤، ص ٢٢٣، رقم ٤٣٤٣.

(٢) انظر: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب هل يمس المصحف من يَمَسّ ذكره، ج ٢، ص ٥٨٤، رقم ٧٣٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، باب المصحف يوضع على المِقْرَمَة (محبس الفراش)، ج٢، ص ٥٩٦، رقم ٧٦٨.

(٤) انظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الحيض، باب مسّ المصحف والدراهم التي فيها القرآن، ج١، ص ٣٤٢، رقم ١٣٣١.

(٥) انظر: المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب الإمام يقرأ في المصحف، ج١، ص ٤١٩، رقم ٣٩٢٧.

(٦) انظر في ذلك: المصدر السابق، كتاب البيوع، باب الأجر على تعليم الغلمان وقسمة الأموال، ج٨، ص ١١٥، رقم ١٤٥٣٤، وما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج١، ص ٥٤٠-٥٤١، رقم ٥٥٤، ٥٥٥. قال المحقق: «إسناد الثاني صحيح». وانظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص ١٤٧.

(٧) انظر: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج١، ص ٥٢٠، رقم ٥٣٨.

(٨) انظر: ابن سحنون، آداب المعلمين، ص ٨٢.

(٩) انظر: ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب من قد رخّص في شراء المصاحف دون بيعها، ج٢، ص ٥٦٠، رقم ٦٣٧، وص ٥٣٩-٥٤٠، رقم ٥٥٢، وما أخرجه أبو عبيد الهروي في فضائل القرآن، باب بيع المصاحف، ص ٣٨٩.

(١٠) انظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص ١١٢، رقم ١٤٥٢١، وما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب من قد رخّص في شراء المصاحف دون بيعها، ج٢، ص ٥٦٠، رقم ٦٣٦، وما أخرجه أبو عبيد الهروي في فضائل القرآن، باب بيع المصاحف، ص ٣٨٩.

وعبد الله بن عمر[١]، وعبدالله بن يزيد بن زيد الخطمي[٢]. وكذلك عن كبار التابعين، من أمثال: علقمة بن قيس النخعي (ت٦١هـ)[٣]، وشريح بن الحارث القاضي (ت٧٨)[٤]، ومسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)[٥]، ورُفَيْع بن مِهْران الرياحي (ت٩٠هـ)[٦].

بل إننا نجد أن تجارة نسخ المصاحف وبيعها كانت ملموسة إلى حد كبير في أواخر ذلك العهد، وهذا ما يستشفه الباحث من قول سالم بن عبد الله بن عمر:

(١) انظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص ١١٢-١١٣، رقم ١٤٥٢٥، وما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج١، ص ٥٢٢، رقم ٥٤٩. قال المحقق: «إسناده صحيح». وانظر: ما أخرجه أبو عبيد الهروي في فضائل القرآن، باب بيع المصاحف، ص ٣٨٩.

(٢) انظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص ١١١، رقم ١٤٥١٩.

(٣) سبقت ترجمته. وانظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٢٨، ص ١١٢، رقم ١٤٥٢٣.

(٤) هو شريح بن الحارث بن قيس ا لكنْدي، قاضي الكوفة، يقال: له صحبة. ولم يصح، بل هو ممن أسلم في حياة النبي ﷺ، وانتقل من اليمن زمن الصّديق، توفي سنة ثمان وسبعين، وقيل: سنة ثمانين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٣٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ١٠٠.

(٥) هو مسروق بن الأجدع بن مالك، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي، عداده في كبار التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، وقد رثاه بعد موته، مات سنة اثنتين وستين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص ١٣٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٦٣، وسبط ابن العجمي، تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم، ص ٩٦. وانظر مقالة مسروق وشريح في ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص ١١١، رقم ١٤٥١٩، ١٤٥٢٠، وما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج٢، ص ٥٤٣، رقم ٥٦٣.

(٦) سبقت ترجمته. وانظر مقالته في ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج٢، ص ٥٥٠، رقم ٥٩٧. قال المحقق: «إسناده صحيح».

«كان ابن عمر [بن الخطاب] إذا أتى على الذي يبيع المصاحف قال: بئست التجارة»(١). وقد كانت هناك تجمعات للصحابة أو لكبار التابعين خاصة بنسخ المصاحف، وكما اشتهرت أماكن خاصة في مدينة الكوفة بنسخ المصاحف وصناعتها في عهد علي رضي الله عنه، كما مر، فكذلك اشتهر الحِجْر(٢) في الحرم المكي الشريف كمركز لنسخ المصاحف، فعن ابن جريج قال: قال عطاء [بن أبي رباح ٢٧هـ-١١٤هـ]: «لم يكن مَن مضى يبيعون المصاحف، إنما حدث ذلك الآن، إنما كانوا يحتسبون [وفي رواية: «يجلسون»] لمصاحفهم في الحِجْر، فيقول أحدهم للرجل إذا كان كاتبًا وهو يطوف: إذا فرغت يا فلان، تعال فاكتب لي، فيكتب الصحف [وفي رواية: «المصحف»] وما كان من ذلك حتى يفرغ من مصحفه»(٣)، ولم تحلّ سنة أربع وخمسين إلا وأصحاب المصاحف(٤) لهم مَعْلَم مشهور في موضع بالمدينة يُدعى «البَلاط»(٥).

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص ١١٤، رقم ١٤٥٢٩، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج٢، ص ٥١٨، رقم ٥٣٢. قال المحقق: «إسناده حسن لغيره».

(٢) كذلك (المنبر).

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب الاحتساب، ج٢، ص ٥٥٤-٥٥٥، رقم ٦٠٩. قال المحقق: «إسناده حسن».

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٤٤٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٥، ص ٣٥٥، ٣٥٩.

(٥) البَلاط: موضع بالمدينة مبلَّطٌ بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ وبين سوق المدينة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٧. وقد ذُكر (موضع البلاط) غير ما مرة في دواوين الحديث الشريف وكتب التاريخ.

- فقد أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط، ج١٢، ص ١٢٨، رقم ٦٨١٩: أن الرسول ﷺ رجم يهوداً زناة في موضع البلاط هذا. قال ابن حجر: «والمراد بالبلاط هنا موضع معروف عند باب المسجد النبوي كان مفروشاً بالبلاط». انظر: فتح الباري، ج١٢، ص ١٢٨.

=

وقد اشتهر من كُتَّاب المصاحف في ذلك العهد - إضافة إلى مَن ذكرهم الباحث -: مسلم بن كبيس أو كُبيْس، ويكنى أبا حسنة، فقد روى عنه صفوان بن عمرو أنه كان يكتب المصاحف للناس متطوعًا لا يشترط على ذلك أجرًا، فإذا فرغ فإن أُعطي شيئاً أخذه وإلا لم يسأل أحداً شيئًا[١]. وناجية الطفاوي له ذكر في الصحابة، وكان يكتب المصاحف[٢]. وممن اشتهر بكتابة المصاحف في أواخر المدة المدروسة أو بعيدها عبدالرحمن بن هُرْمُز الأعرج المدني، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، حدّث عن أبي هريرة رضي الله عنه (ت٥٩هـ) وكان من أصحابه، وعن عبد الله بن مالك ابن بُحَيْنة رضي الله عنه (ت٥٥هـ-٦٠هـ)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (ت٧٤هـ)، وغيرهم من الصحابة[٣]، قال عنه الذهبي - رحمه الله -: «الإمام الحافظ، الحجة، المقرئ»[٤]، وجعله ابن سعد - رحمه الله - في الطبقة الثانية من

= - وأخرج البخاري - أيضاً - في صحيحه، كتاب المظالم، باب من عَقَل بعيرهُ على البلاط، أو باب المسجد، ج٥، ص ١١٧، رقم ٢٤٧٠، وفي كتاب الجهاد، باب من ضرب دابة غيره في الغزو، ج٦، ص ٦٥، رقم ٢٨٦١ أنّ جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « ... وعقلتُ الجملَ في ناحية البلاط».

- وأخرج أحمد في مسنده، ج١، ص ٣٣٤، رقم ٤٠٠، بإسناد صحيح، قول حمران: «توضأ عثمان على البلاط». قال المحقق العلامة أحمد محمد شاكر: «البلاط، بفتح الباء، موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله ﷺ وبين سوق المدينة».

- وقد تكرر ذكر هذا الموضع في «تاريخ المدينة» لابن شَبَّة عند وصفه لدور بعض الصحابة رضوان الله عليهم، ج ١، ص ٢٣١، ٢٥١، ٢٥٢، وذكر هذا الموضع في «عيون الأخبار» لابن قتيبة، ج ١، ص ٣١٢، وج ٤، ص ٢١.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٥٢ . وقد ذكره في الطبقة الثانية من التابعين في بلاد الشام، وجُلُّهم عاش معظم حياته أو جزءًا كبيرًا منها في عهد الخلفاء الراشدين.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٣١٧، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص ١٥٢٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص ٢٣ - ٣٣.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٦٩.

تابعي الموالي(١)، وكان يكتب المصاحف(٢). وكذلك يزيد الفارسي البصري كان يكتب المصاحف في زمن ابن عباس(٣)، وقد رَوَى عنه، وكان كاتب عبيد الله بن زياد (ت٦٧هـ)(٤). وكذلك عبد الله بن فطيمة(٥)، قال عنه ابن أبي داود السجستاني ـ رحمه الله ـ: «هذا أحد كُتّاب المصاحف»(٦). وكان رجل يُدعى ابن مصبح يكتب المصاحف في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يُر أحدٌ بالمدينة يُنكر عليه(٧). وكذلك خالد بن أبي الهيَّاج صاحب علي رضي الله عنه، كتب مصحفاً رآه محمد بن إسحاق النديم في إحدى الخزائن(٨).

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٨٣.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص ٣١، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٦٩.

(٣) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٦١٠، وأحمد بن حنبل، المسند، ج٣، ص ٤٣٥-٤٣٦، رقم ٣٤١٠، وبدران، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ج١، ص ٣١٩.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص ٢٢٩.

(٥) روى عن يحيى بن يعمر البصري (توفي قبل التسعين).

(٦) ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج ١، ص ٢٣٣، رقم ١٠٨.

(٧) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص ١٢٧-١٢٨.

(٨) النديم، الفهرست، ص ٦٤.

الفصل الثالث:
العامل التشريعي والمالي

لا رَيْب في أنَّ الاجتماع الإنساني ضروري، وهو ما يُعبر عنه الحكماء بقولهم: «الإنسان مدنيٌّ بالطبع»(١)، أي لابد له من الاجتماع مع بني جنسه، وهذا العيش المشترك لابد أن تنشأ معه معاملات وعلاقات فيما بين الأفراد وما ينتج عن ذلك من منازعات، وهذا وغيره يحتاج إلى تشريعات تنظم هذه العلاقات وتحلّ هذه المنازعات، فلم يخل مجتمع من المجتمعات في الماضي والحاضر من مثل هذه التشريعات. وقبل هذا فقد فُطِرَ الإنسان على عبادة خالقه كما قال المصطفى ﷺ: «كلُّ مولود يولدُ على الفطرة فأبواهُ يهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه..» الحديث(٢)، ويحتاج في هذه العبادة إلى تشريعات منظمة لطبيعة علاقته بخالقه جلَّ وعلا، ومن هنا نجد أن الإنسان لا يستطيع العيش دون تشريعات تنظم له علاقته بخالقه، وعلاقته ببني جنسه من المخلوقين.

ولهذا أرسل الله الرسل، وأرسل معهم التشريعات السماوية لتنظم حياة البشرية، «وختم هذه الشرائع السماوية بالشريعة الإسلامية التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ وبلغها للناس، وجاءت أحكامها وقواعدها شاملة لجميع نواحي الحياة ومنظمة لجميع العلاقات، سواء كانت هذه العلاقات بين الفرد وربِّه، أم بين الفرد والفرد، أم بين الفرد والجماعة، أم بين الجماعة والجماعة؟ فهي بحق دين ودولة»(٣).

ويكمن تأثير عامل التشريع الإسلامي على صناعة الكتابة والكتاب في صدر الإسلام، في أمرين اثنين.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٣، ص ٢٤٥-٢٤٦، رقم ١٣٨٥.

(٣) عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص ٥.

الأمر الأول: أن بعض الأحكام التشريعية في الإسلام لها ارتباط وثيق بالكتابة الخطية، فلا تتم هذه الأحكام في غالب الأحيان إلا بوجود الكتابة الخطية، ومن أمثلة هذه الأحكام: أحكام المداينات والمعاملات المالية، والمكاتبة (العتق)، والأوقاف، والوصية.

أما الأمر الثاني: فهو أن جميع التشريعات الإسلامية كانت تحتاج في حفظها وتعريف الناس بها ونشرها بينهم إلى التدوين، فكان من جراء تلك الحاجة نشوء تدوينات ومكاتبات فقهية أدت ـ فيما بعد ـ إلى ظهور علم الفقه المدون.

وسيتناول ـ الباحث ـ كلا الأمرين بشيء من التفصيل لارتباطهما بموضوع الدراسة.

الأمر الأول: الأحكام التشريعية، ذات الصلة الوثيقة بالكتابة الخطية:

أ - المداينات والمعاملات المالية:

تأتي الأحكام الشرعية المتعلقة بالمداينات والمعاملات المالية في مقدمة الأحكام ذات الصلة الوثيقة بالكتابة، حيث ترد تلك الصلة واضحة جلية في قول المَولى عز وجل في أطول آية في كتابه العزيز: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢٨٢.

فقوله تعالى ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾: «يعني الدَّيْن والأَجَل. ويقال: أَمْرٌ بالكتابة، ولكن المراد الكتابة والإشهاد؛ لأنّ الكتابة بغير شهود لا تكون حُجَّة. ويقال: أُمِرْنا بالكتابة لكيلا ننسى، وفيه إشارة ظاهرة إلى أنَّه يكتبه بجميع صفته المبيِّنة له، المُعْرِبة عنهُ، للاختلاف المتوهم بين المتعاملين، المُعَرِّفة للحاكم ما يحكم به عند ارتفاعها إليه، والله أعلم»(١)، «وظاهر الأمر الوجوب، وقد قاله بعض أهل العلم، منهم الطبري(٢)، وأهل الظاهر، وقال الجمهور: هو أمرُ ندب يُحْفَظ به المال، وتُزال به الرِّيبة، وفي ذلك حثٌّ على الاعتراف به، فإن الكتاب خليفة اللسان، واللسان خليفة القلب»(٣)، ونتيجة لهذا الفرض على بعض الأقوال، أو الندب على رأي الجمهور، فقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم أشد الحرص على كتابة مداييناتهم ومعاملاتهم المالية تنفيذاً لهذا الحكم الشرعي، والتزاماً بأوامر الله عز وجل، حتى «كان أحدهم يجيء إلى الكاتب، فيقول: اكتُب لي! فيقول: إنِّي مشغول، أو: لي حاجة، فانطلق إلى غيري! فيَلْزَمه ويقول: إنك قد أُمِرْتَ أن تكتب لي! فلا يدعه ويُضارُّه بذلك وهو يجد غيره. ويأتي الرجل فيقول: انطلق معي فاشهد لي! فيقول: انطلق إلى غيري فإنِّي مشغول، أو: لي حاجة! فيلزمه ويقول: قد أُمِرتَ أن تتبعني! فيضارّه بذلك وهو يجد غيره» فكان ذلك سبباً في نزول قوله عز وجل: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾»(٤). وقد بلغ من أهمية هذا

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عز وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل، وأمر الله فرضٌ لازمٌ، إلا أن يقوم حجة بأنه إرشاد وندب، ولا دلالة تدل على أنّ أمره جلَّ ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك، وأنَّ تقدمه إلى الكاتب أنْ لا يأبى كتابة ذلك، ندبٌ وإرشاد. فذلك فرضٌ عليهم لا يسعهم تضييعه، ومن ضيّعه منهم كان حرجاً بتضييعه». انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج٦، ص ٥٣.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٢، ص ٧٢٣.

(٤) الطبري، تفسير الطبري، ج٦، ص ٨٩-٩٠.

الأمر أنّ المولى عز وجل أكد على الإلتزام به حتى في الأمر الصغير، فقال: ﴿**وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ**﴾، «فهذا النهي إنما جاء لتردد المداينة عندهم، فخيف عليهم أن يملوا الكتب، يقول أحدهم: هذا قليل لا أحتاج إلى كتبه، فأكد تعالى التخصيص في القليل أو الكثير»(١)، ومصدر هذا التردد - أي تردد المداينة - يرجع إلى كون مجتمع أهل الحجاز مجتمعًا تجاريًا، و النشاط التجاري تتخلله الكثير من المداينات والمعاملات المالية.

وقد لخَّصَ أبو حيان الأندلسي رحمه الله تفسير آية الدَّيْن هذه، فقال: «.. وفيها من التأكيد في حفظ الأموال في المعاملات ما لا يخفى: من الأمر بالكتابة للمتداينين، ومن الأمر للكاتب بالكتابة بالعدل، ومن النهي عن الامتناع من الكتابة، وقد أمره ثانيًا بالكتابة، ومن الأمر لمن عليه الحق بالإملال إنْ أمكن..، ومن النهي عن الملل في كتابة الدين وإن كان حقيرًا، ومن الثناء على الضبط بالكتابة ومن النهي للكاتب والشاهد عن ضرار من يشهد له ويكتب ومن الإذكار بنعمة التعلم»(٢)، ويشير الباحث إلى أن فيها قوة تأثير العامل التشريعي من خلال هذا الحكم على صناعة الكتابة في ذلك العهد.

وقد كان أول الملتزمين بهذا الحكم التشريعي في المعاملات المالية رسول الله ﷺ، فقد «اشترى العدَّاء بن خالد بن هوذة منه ﷺ غلامًا، وكتب عليه عهدة هي عند أهل الحديث محفوظة»(٣)، وهي عند الباحث أصلٌ في العلاقة بين العامل التشريعي وصناعة الكتابة، وقد روى نص هذه الوثيقة عبد المجيد بن وهب، فقال: «قال لي العَدَّاءُ بن خالد بن هوذة: ألا أُقْرِئُكَ كتابًا كتبه لي رسول الله ﷺ؟ قال: قلتُ: بلى، فأخرج لي كتابًا: هذا ما اشترى العدّاء بن خالد بن هوذة من محمد

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٤٠١.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧٤٩. وانظر في تفسير هذه الآية: البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص ٢٦٧-٢٧٠، والفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٧، ص ١١٤-١٢٨.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ١٢٣٧.

رسول الله ﷺ اشترى منه عبداً أو أمةً. لا داءَ(١) ولا غائلة(٢)، ولا خبثة(٣) بيعَ المسلم المسلم»(٤). ونتيجة لهذه العلاقة بين هذا الحكم وبين الكتابة الخطية، فقد خصص رسول الله ﷺ رجالاً من أصحابه للقيام بكتابة مداينات الناس ومعاملاتهم المالية، وقد اشتهر منهم: المغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير، والعلاء ابن عقبة، وعبد الله بن الأرقم رضوان الله عليهم أجمعين(٥). وهناك الكثير من الشواهد على انتشار الكتابة بين أفراد الرعيل الأول لهذا الغرض، فقد طلب وفدُ ثقيف ومنهم عثمان بن أبي العاص الثقفي من رسول الله ﷺ أن يكتب لهم كتاباً على ما في أيديهم مما يسلمون عليه من مال وركاز وغير ذلك، ففعل، وأسلموا(٦).

وفي تخصيص الرسول ﷺ (كاتب) المعاملات الربوية باللعن والطرد من رحمة الله، إشارة إلى اشتهار كتابة المعاملات المالية، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لا تصلح سَفْقَتَان في سَفْقَة، وأنَّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله آكل الربا

(١) لا دَاءَ: المراد به الباطن سواء ظهر منه شيء أم لا كوجع الكبد والسعال، وقال ابن المنير: «لا داء» أي يكتمه البائع، وإلاَّ فلو كان بالعبد داء وبينَه البائع كان من بيع المسلم للمسلم، ومُحصِّله أنه لم يرد بقوله: «لا داء» نفي الداء مطلقاً، بل نفي داء مخصوص وهو ما لم يطلع عليه. انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص ٤٠٧.

(٢) لا غائلة: قيل: المراد بها الإباق. وقال ابن بطال: هو من قولهم «اغتالني فلان» إذا احتال بحيلة سلب بها مالي. انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص ٤٠٧.

(٣) لا خُبثة ـ بكسر الخاء المعجمة وبضمها وسكون الموحدة وبعدها مثلثة ـ قيل: المراد الأخلاق الخبيثة كالإباق. وقال صاحب العين: هي الدِّنيَّة. وقيل: المراد الحرام، كما عبر عن الحلال بالطيب. انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص ٤٠٧.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في كتابة الشروط، ج٤، ص٤٠٧، رقم ١٢٣٤، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب شراء الرقيق، ج٢، ص ٧٥٦، رقم ٢٢٥١. وانظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) الجهْشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٨٠، وج٤، ص ٤٤٧.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص ٤٦٧.

ومُوكله، وشاهده، وكاتبه»[١]. وقد عُرف عن سعيد بن العاص بن أبي أُحيحة سعيد بن العاص، أنه كثيراً ما يأتيه سائل ولم يكن عنده ما يعطيه، يكتب له مسطوراً بالمبلغ الذي يريد إلى يوم ميسرته[٢]. وَوُجد في كُتب الزبير بن العوام بعد وفاته كُتُبٌ خاصة بالمداينات والمعاملات المالية بينه وبين الناس[٣]. وكانت أسماء بنت مخرمة، أم أبي جهل، تبيع العطور اليمنية في زمن عمر بن الخطاب، وتطلب ممن يشتري منها أن يكتب بذلك كتابًا يُعرفُ به حقها[٤]. وفي قصة الذي سأل عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن حكم الإسلام في عملية مالية معينة دليل على انتشار كتاب المعاملات بين عامة الناس[٥]. وتُظْهر قصة سعد بن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع ابنه قيس اعتماد الناس في ذلك الزمن على المكاتبات في صرف المستحقات المالية[٦].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٤، ص ١٠، ١٤، ٤٣، ٦٩، ١٣٩، ٢١٩، ٢٥٥، الأرقام٣٧٢٥، ٣٧٣٧، ٣٨٠٩، ٣٨٨١، ٤٠٩٠، ٤٣٢٧، ٤٤٢٨، وج١١، ص ٣٩٧، رقم ١٤١٩٧. وقال المحقق: «إسناده صحيح». وأخرج بنحوه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، ج ٣، ص ١٢١٧- ١٢١٨، رقم ١٠٥. وقد أشار البخاري في صحيحه في كتاب البيوع إلى هذا الحديث بقوله في أحد عناوين أبواب صحيحة: «باب آكل الربا وشاهده وكاتبه». قال ابن حجر في تعليقه على عنوان هذا الباب: «ولعل البخاري أشار إلى ما ورد في الكاتب والشاهد صريحاً»، ثم ذكر حديث مسلم وأحمد وغيرهما المذكور أعلاه. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٤، ص ٣١٣-٣١٤.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ٤٥٩، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص ٥٠، والأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ٣٩-٤٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٤٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٩١.

(٣) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٧، ص ٢٧٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٦٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٥) أخرجها مالك في الموطأ، كتاب البيوع، باب ما لا يجوز من السَّلَف، ج٢، ص ٦٨١-٦٨٢، رقم ٩٢.

(٦) انظر القصة: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص ٤١٦.

وكان لنشأة بيت المال في عهد الخلفاء الراشدين أثره في انتشار المدونات المالية بحقوق الأفراد والخلفاء والولاة، وهذا ما كان يقوم به قائما بيت المال في ذلك العهد: عبد الله بن الأرقم[١]، وعبد الله بن مسعود[٢]. وقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين أنهم كانوا يكتبون أموال ولاتهم وعمالهم، وكانوا يحاسبونهم في الأمور المالية، فقد روي: «أن معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم من اليمن بعد وفاة النبي ﷺ على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: ارفع حسابك. فقال: أحسابان، حسابٌ من الله وحسابٌ منكم؟ والله لا ألي لكم عملاً أبداً»[٣]. وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا بعث عاملاً له على مدينة كَتَبَ ما له[٤]. وقد كتب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ابن عباس رضي الله عنهما يأمره برفع حسابه إليه[٥]. وأمر زياد ابن عبيد الله مولاه سُليماً أن يحاسب أحد ولاته «فدعا سليم بالسرج والكتاب»[٦]. وكان أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري يرفع حسابه إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع زياد بن أبي سفيان[٧].

ومن هذه المعاملات المالية، كتابة الغنائم وعزل الخمس في الغزوات والمعارك، فقد رُوي أن معيقيب بن أبي فاطمة حليف بني أسد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يكتب مغانم رسول الله ﷺ[٨]، وفي زمن عمر، جعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جيش معركة القادسية عبد الرحمن ابن ربيعة الباهلي على قسمة الفيء، والكاتب زياد بن أبيه[٩]، وكان على حساب

(١) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ١٧٣.

(٢) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص ٥٦-٥٧.

(٣) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢٦٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٨٢، ٣٠٧، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري، ص ١٩٣، ٢٧٠-٢٧١، ٢٥٧-٢٥٨، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص ١١٠.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص ١٤١.

(٧) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٥٠.

(٨) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٢.

(٩) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٠١.

جيش وقعة «نهاوند»، وفي يوم جلولاء كان الحساب مع زياد بن أبيه - أيضاً - وكان هو الذي يكتب للناس ويدونهم[1]، وقد عُرف أمرُ كتابة المداينات في شعر الرعيل الأول، فهذا أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي وقيل: الدِّيلي يصف كيف كان وفاؤه للوعد، فيقول:

فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارم   دينًا أقرَّ به وأحضر كاتبًا[2]

وفي هذا التشبيه دلالة على اشتهار اقتران الدين بالكتابة في ذلك العهد.. ومما تجدر الإشارة إليه أن كتابة المداينات كان أمراً معمولاً به في الجاهلية، فقد جاء في كتاب رسول الله ﷺ إلى ثقيف: «وما كان لثقيف من دينٍ في صُحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنّه لهم»[3].

ب - المكاتبة (العتق):

ومن الأحكام التشريعية التي ارتبطت بالكتابة الخطية، عقود المكاتبة أو العتق، ورغم أن النصَّ القرآني لم يذكر أمر الكتابة الخطية في الحكم التشريعي للمكاتبة، إلا أن ذلك ظهر بوضوح في أقوال المفسرين والمحدثين واللغويين، وكذلك في الشواهد التاريخية، ونرى أمر المكاتبة في القرآن العظيم في قوله عز وجل: **﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾**[4] الآية.

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «الكتاب والمكاتبة سواء مفاعلة مما لا تكون إلا بين اثنين؛ لأنها معاقدة بين السيد وعبده. يقال: كاتب يكاتب كتابًا ومكاتبة، كما يقال: قاتل قتالاً ومقاتلةً. فالكتاب في الآية مصدر كالقتال

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٩، ص ١٦٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص ٣٥٩.

(٣) ابن زنجويه، الأموال، ج ٢، ص ٤٥٣، رقم ٧٣٥، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٢٨٥.

(٤) سورة النور، آية رقم ٣٣.

والجلاد والدفاع. وقيل: الكتابُ هاهنا هو الكتاب المعروف الذي يكتب فيه الشيء، وذلك أنهم كانوا إذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى أنفسهم بذلك كتاباً. فالمعنى: يطلبون العتق الذي يكْتَب به الكتاب فيُدْفع إليهم»(١). وقال ابن العربي: «..ولذلك سمِّيت كتابة؛ لأنها تكتب ويشهد عليها، فقد استوسق [اجتمع] الاسم والأثر وعضده المعنى»(٢). واتفق المحدثون(٣) على أنّ «المكاتب بالفتح مَن تقع له الكتابة وبالكسر من تقع منه، وكاف الكتابة تُكسر وتفتح كعين العتاقة. قال الراغب: اشتقاقها من كتب، بمعنى: أوجب، ومنه قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾، و﴿**إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾.. أو بمعنى: جمع وضم، ومنه كتبتُ الخط، وعلى الأول تكون مأخوذة من معنى الالتزام، وعلى الثاني تكون مأخوذة من الخط؛ لوجوده عند عقدها غالباً».

وقال أهل اللغة: «الكتابة أن يُكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجَّماً، فإذا أداه صار حراً، قال وسميت كتابةً بمصدر كَتَبَ؛ لأنه يَكتبُ على نفسه لمولاه ثمنه، ويَكتبُ مولاه له عليه العتق»(٤).

ومن الأقوال السابقة نلاحظ أن ارتباط الكتابة الخطية بالحكم التشريعي المتعلق بالمكاتبة واضح وجلي في أقوال العلماء من المفسرين والمحدثين وأهل اللغة، ويصدِّق هذا الارتباط ما تُسفر عنه الشواهد الحديثية والتاريخية، فمن ذلك: عقد عتق الرسول ﷺ لأبي رافع أسلم، ونصُّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من محمد رسول الله لفتاه أسْلَم إنِّي أُعتقك لله عتقًا مبتولاً، الله أعتقك وله المنُّ عليَّ

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص ٢٤٧.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص ١٨٤، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ٣٣٩، ومحمد آبادي، التعليق المغني على الدارقطني، ج٤، ص ١٢١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٧٠٠، مادة «كَتَبَ»، والزَّبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٣٥٤، مادة: «كَتَبَ».

وعليكَ، فأنتَ حُرٌّ لا سبيل لأحد عليك، إلا سبيل الإسلام وعصمة الإيمان.. شهد بذلك أبو بكر، وشهد عثمان، وشهد علي، وكتب معاوية بن أبي سفيان»(١)، قال الكتاني: «وهذا عقد في عتق نبويٍّ بنَصِّه، من الذخائر المكنونة والكنوز الثمينة»(٢). ومن القصص المشهورة قصة مكاتبة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)، فعن أبي كثير بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلمان الفارسي، عن أبيه، عن جدِّه: «أنّ النبي ﷺ أملى الكتاب على عليّ بن أبي طالب: هذا ما فَادَى محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ فدى سلمان الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودي ثم القرظي بغرس ثلاثمئة نخلة وأربعين أوقية ذهب، فقد برئ محمد بن عبد الله رسول الله لثمن سلمان الفارسي، وولاؤه لمحمد بن عبد الله رسول الله وأهل بيته وليس لأحد على سلمان سبيل.. شهد على ذلك: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي ابن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وبلال مولى أبي بكر، وعبد الرحمن بن عوف.. وكَتَبَ علي بن أبي طالب يوم الاثنين في جمادى الأولى من سنة مهاجر محمد بن عبد الله رسول الله»(٤). وأيضاً أعتق رسول الله ﷺ ضُمَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيما ذكره ابن أبي ذئب، قال: أقْرأني حسين كتاباً فيه: «من محمد رسول الله لأبي ضُمَيْرة وأهل بيته أنَّ رسول الله ﷺ أعتقهم»(٥). وقال غلامٌ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدعى أبو أمية: «كاتبني عمر بن الخطاب

(١) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٤.

(٣) انظر حول روايات هذه القصة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٨٤–١٨٥، وج٤، ص٧٩، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٦٣٢، وأخرجها النيسابوري في المستدرك، كتاب المكاتب، ج٢، ص ٢٣٧، رقم ٢٨٦٢. وانظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص ١١٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص ٣٥٧.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ٤٠٣–٤٠٤.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٤٠٢.

على أواق قد سمّاها ونجمها عليَّ نجومًا[١]، فلما فرغ من الكتاب أرسل إلى حفصة فاستقرض منها مائتي درهم ثم أعطانيها..»[٢]. وهذا أبو سعيد كيسان المقبري كان مملوكًا لرجل من بني جُندع فكاتب على أربعين ألفًا وشاة لكل أضحى. قال: فتهيأ المالُ، فجئتُ به إليه فأبى أن يأخذه إلا على النُّجوم، فجئتُ عمر بن الخطاب فَذَكرتُ ذلك له فقال: يا يرْفَأ، خذ المالَ فضعه في بيت المال ثم ائتنا العشية نكتُب عتقك[٣]. وكاتب عبدٌ مولاه على أربعة آلاف أو خمسة، فقال: خُذها جميعًا وخلِّني، فأبى سيده إلاّ أن يأخذ كل سنة نجمًا، رجاءَ أن يرثهُ، فأتى عثمان بن عفان فذكر ذلك له، فدعاه عثمان فعرض عليه أن يقبلها من العبد، فأبى، فقال للعبد: ائتني بما عليك، فأتاه به، فجعله في بيت المال، وكَتَبَ له عتقًا، وقال للمولى: ائتني كل سنة فُخذ نجمًا، فلما رأى ذلك أخذ ماله كله، وكَتَبَ عتقه[٤].

وفي قصة عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عبيده نصوص صريحة على ملازمة الكتابة الخطية لعقد المكاتبة (العتق)[٥]. وهذا أبو العالية رُفيع بن مهران أعتق غلاماً له فكتب: «هذا ما أعتق رجل من المسلمين، أعتق غلاماً شاباً سائبةً لوجه

---

(١) نجومًا: أي وظائف، جمع نجم، وهو الوظيفة، يقال: نجم المالُ نجومًا: أي وظفه وظائف في كل شهر كذا. ونجم الدِّية وغيرها: إذا أدَّاها نجومًا، والنجم: الأصل، وكل وظيفة من شيء. انظر: النَّسْفي، طُلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ص ١١٦، والزبيدي، تاج العروس، ج١٧، ص٦٧٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١١٧–١١٨.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص ٨٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٤٨٨.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المكاتب، باب المكاتب يكاتب عبده، وعرض المكاتب، ج٨، ص ٤٠٤–٤٠٥، رقم ١٥٧١٤.

(٥) انظر حول هذه القصة: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المكاتب، باب عجز المكاتب وغير ذلك، ج٨، ص ٤٠٧–٤٠٨، رقم ١٥٧٢٣، ١٥٧٢٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص ١٣٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢١٧.

الله، فليس لأحد عليه سبيلٌ إلا السبيل المعروف»(١). ويُذكر أيضًا في هذا الصدد مكاتبة أنس بن مالك رضي الله عنه سيرين والد الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى(٢).

وهناك شواهد أخرى لم تحمل قرائن صريحة تدل على وجود الكتابة الخطية، إلا أنّ التعريفات التي صدَّر بها الباحث هذا الموضوع، وكذلك تثنيته بذكر الشواهد الحديثية والتاريخية ذات القرائن السّافرة، تزيد من غلبة الظنِّ باقتران الكتابة الخطية في هذه الشواهد، أضف إلى ذلك صعوبة الاعتماد على الذاكرة في مسائل مالية تمتد إلى أشهر وسنوات، ومن هذه الشواهد المشهورة: ما روي عن مكاتبة بريرة وقصتها مع أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها(٣)، وكذلك ما روي عن مكاتبة جُوَيْرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية وزواجها من الرسول ﷺ(٤)، ومنها مكاتبة حويطب بن عبد العزى رضي الله عنه لصُبيح مولاه، وهو الذي نزلت فيه آية المكاتبة(٥)، ومكاتبة أبي المؤمل رضي الله عنه، وقد قيل إنه أوَّل من كوتب في الإسلام(٦)، ومكاتبة أبي لبابة مولى رسول الله ﷺ(٧)، ومكاتبة عُمر رضي الله عنه

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١١٣-١١٤.

(٢) انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص ٢١٩.

(٣) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، ج٢، ص ١١٤١-١١٤٢، رقم ١٥٠٤، وأخرجها أبو داود في سننه، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا نسخت المكاتبة، ج١٠، ص ٣٥٠، رقم ٣٩٢٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص ٢٠٥، رقم ٢٦٢٤٣. وقال المحقق: «إسناده صحيح». وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا نسخت المكاتبة، ج١٠، ص٣٥١، رقم ٣٩٢٦، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٨، ص٣٧٣، رقم ٤٩٦٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص ٢١٩-٢٢٠، وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٨١، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٢٦٣.

(٥) الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ص ٢٧١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٣٢٨.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٣٢٤.

(٧) المصدر السابق، ج٧، ص ٢٩٠.

مولاه أبا أمية العدوي[١]، ومكاتبة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأحد عبيده[٢]، ومكاتبة عبيد الله بن حميد لحاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، ومكاتبة أم سلمة زوج النبي ﷺ لمولاها نصاح بن سَرْجس[٤]، ومكاتبة ابن النَّبَّاح في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥]، ومكاتبة زينب بنت قيس بن مخرمة القرشية المطلبية عبد الرحمن السدِّي[٦].. والشواهد في ذلك كثيرة، وفي هذه الشواهد وغيرها دلالة واضحة على شيوع تلك العملية ذات الاقتران بالكتابة الخطية في الرعيل الأول من أهل صدر الإسلام، وبالتالي وضوح تأثير حكم تشريعي على صناعة الكتابة والكتاب.

جـ - الوقف:

الوقفُ: الحَبْس لغةً، ووقفُ الضيعة هو حبسها عن تملك الواقف وغير الواقف، واستغلالها للصرف إلى ما سُمِّي من المصارف[٧]. والأصل فيه قول الرسول ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله، إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٨].

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٢٥.

(٢) الواسطي، تاريخ واسط، ص ١٨٤.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢٩٧.

(٥) المصدر السابق، ج٦، ص ٢٣٣.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص ١٦٢.

(٧) النسفي، طُلبة الطلبة: في الاصطلاحات الفقهية، ص ١٩٣، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ٣٥٩، مادة: «وقف»، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٥٦٣.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج١١، ص ٨٧، رقم ٤١٩٩، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الوقف، ج٤، ص ٥٢٣، رقم ١٣٧٦، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، ج٨، ص ٦٩، رقم ٢٨٧٧، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت، ج٦، ص ٢٥١، رقم ٣٦٥١.

قال العلماء(١): والصدقة الجارية هي الوقف. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه»(٢)، فكان لعظيم ثواب الوقف وديمومة أجره الأثر الكبير في انتشاره بين المسلمين، حتى غدا من أهم روافد النهضة الحضارية الإسلامية في جميع جوانبها على وجه العموم، «ومثَّل بؤرة النهضة العلمية والفكرية»(٣) على وجه الخصوص.

وكما هي عادة الرسول الكريم ﷺ أن يكون نموذجًا حيًّا لجميع أقواله وتوجيهاته، فقد رُوي أنَّه ﷺ حَبَسَ سبْع حوائط أوصى له بها مُخيريق(٤) لما قُتل يوم أحد بأن يضعها حيث أراد الله تعالى، فحبسها، وهي من أموال بني النضير، وذلك لاثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة(٥)، «وهو أول حبس في الإسلام، وقال: الزهري: كانت سبع حوائط، وأسماؤها: الأعواف أو الأعراف، والصَّافية، والدَّلال، والميثبْ، وبُرْقة، وحُسْنَى، ومشربة أمِّ إبراهيم؛ وإنما سميت مشربة أم إبراهيم لأنها كانت تسكنها»(٦).

(١) مثل: النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١١، ص ٨٨، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص ٥٢٣، والسيوطي، سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، ج٢٦، ص٢٥١، والسِّنْدي، سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، ج٦، ص ٢٥١، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج٨، ص ٦٩.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١١، ص ٨٨.

(٣) «حيث وُجد أنَّ المكتبة العربية نالت نصيبًا وافرًا من جهد الواقفين، حيث تسابق الآلاف منهم في جمع الكتب ومن ثمَّ وقفوها في دور مستقلَّة تمثل مكتبات عامة». انظر: يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافي، ص ٩.

(٤) هو مُخَيْريق النَّضَري الإسرائيلي، من بني النَّضير، ذكر الواقدي أنَّه أسلم، واستشهد بأحد، ويقال: أنه من بني قينقاع أو من بني القطيون، كان عالمًا، وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٤٦.

(٥) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٥٦١.

(٦) السهيلي، الروض الأنف، ج ٦، ص ٤٧. وانظر حول صدقات الرسول ﷺ: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ١٧٣ – ١٧٥، والعباسي، عمدة الأخبار، ص ٣٧٦، ٤٣٩–٤٤٠.

وقد شكل الامتداد الزمني للوقف - إذْ يصل إلى عشرات بل مئات السنين - ارتباطًا وثيقاً بالكتابة الخطيَّة لصون الأماكن الموقوفة واستمرار نفعها على المصارف الموقوفة لها، والأصل في هذا الارتباط ما روته الدواوين الحديثية والمصادر التاريخية عن أوقاف كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين(١)، حتى أفرد الإمام البخاري - رحمه الله - في «صحيحه» بابًا في كتاب الوصايا بعنوان (الوقف كيف يُكتب؟)، وفي هذا الباب ذكر - رحمه الله - وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فروى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أصابَ عمر بخيبر أرضًا، فأتى النبي ﷺ، فقال: أصبتُ أرضًا لم أُصبْ مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئتَ حبَّستَ أصلها وتصدقت بها، فتصدق عُمر: أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقُربى، والرِّقاب، وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقًا غير مُتموِّل(٢) فيه»(٣). وزاد الترمذي(٤) رحمه الله: قال ابن عون: فحدَّثني رجلٌ أنه قرأها في قطعة أديم أحمر غير متأثِّل (مالاً)(٥)، واسم هذا المال الذي أوقفه عمر رضي الله عنه (ثَمْغ)، وكان ذلك

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) غير متموِّل فيه: أي غير متخذ منها مالاً: أي ملكًا. والمراد: أنه لا يمتلك شيئاً من رقابها. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص ٤٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٥، ص ٣٩٩، رقم ٢٧٧٢، وأخرجه - أيضاً - في كتاب الشروط: باب الشروط في الوقف، ج٥، ص ٣٥٤-٣٥٥، رقم ٢٧٣٧، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوقف، ج٣، ص ١٢٥٥، رقم ١٦٣٢، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الأحباس، باب كيف يكتب الحبس، ج٦، ص ٢٣٠، رقم ٣٥٩٧، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصدقات، باب من وقف، ج٢، ص ٨٠١، رقم ٢٣٩٦، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الرجل يوقف الوقف، ج٨، ص ٦٥، رقم ٢٨٧٥.

(٤) سنن الترمذي، كتب الأحكام، باب ما جاء في الوقف، ج٤،ص ٥٢٣، رقم ١٣٧٥، وأخرج نحو هذه الزيادة الدّارقطني في سننه، باب كيف يُكْتب الحبس، ج٤، ص ١٨٨-١٨٩.

(٥) غير مُتأثِّل: أي غير جامع أو مجمع لنفسه فيه رأس مال. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١١، ص ٨٩، والمباكفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص ٥٢٢.

في السنة السادسة من الهجرة(١). وفي رواية لأبي داود(٢) رحمه الله نصّان لوقف عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أولهما: عن يحيى بن سعيد عن صدقة عمر بن الخطاب، قال: نَسَخَهَا لي عبدالحميد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب عبد الله عمر في (ثَمْغ)، فقَصَّ من خبره نحو حديث نافع [في الرواية السابقة] قال: غَيْرَ متأثل مالاً، فما عَفَا عنهُ من ثمره فهو للسائل والمحروم. قال: وساق القصة، قال: وإن شاء وليُّ ثَمْغ اشترى من ثمره رقيقًا لعمله، وكتب معيقيب، وشهد عبد الله بن الأرقم.

أما النصُّ الثاني فهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أَوْصَى به عبد الله عُمَرُ أمير المؤمنين، إن حَدَثَ به حدثٌ أنَّ ثمغًا، وصرْمة بن الأكوع(٣)، والعبد الذي فيه، والمئة سهم الذين بخيبر، ورقيقه الذي فيه، والمئة التي أطعمه محمدٌ ﷺ بالوادي.. تليه حفصةُ ما عاشت ثمَّ يليه ذو الرَّأي من أهلها أن لا يباع ولا يشترى، ينفقه حيثُ رأى من السائل والمحروم وذي القربى، ولا حرج على من وليه إن أكل أو آكل أو اشترى رقيقًا منه»(٤).

وللجمع بين هاتين الروايتين(٥) فقد ذكر الخزاعي - رحمه الله - أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٩١.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الرجل يوقف الوقف، ج٨، ص ٦٦-٦٨، رقم ٢٨٧٦.

(٣) ثمغاً وصرمَة بن الأكوع: قيل هما مالان معروفان بالمدينة كانا لعمر بن الخطاب فوقهما. وقيل: المراد في حديث عمر بالصرمة القطعة الخفيفة من النخل ومن الإبل. انظر: العظيم آبادي، عون المعبود، ج٨، ص ٦٧.

(٤) انظر أيضاً حول نص وقفية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابين، باب وصية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج١٠، ص ٣٧٦-٣٧٧، رقم ١٩٤١٦.

(٥) يأتي هذا الجمع للفروق الموجودة بين الروايتين، فالرواية الأولى تروي وقوع الوقف في عهد النبي ﷺ، بينما الرواية الثانية تروي وقوعه في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيث يظهر ذلك من كتابة معيقيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لنص الوقف وقد كان كاتبه زمن خلافته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد وصفه في نص الوقف بأنه أمير المؤمنين، =

أوقف هذه الأرض في عهد النبي ﷺ ثم «أضاف إليها رضي الله عنه مواضع في خلافته أوقفها منها وقدَّم على النظر في جميعها حفصة بنت أمير المؤمنين رضي الله عنهما، وكتب لها بذلك»[(1)]، بينما يرى ابن حجر ـ رحمه الله ـ أنّه «يُحتمل أن يكون وقفه [أي هذا المال] في زمن النبي ﷺ باللفظ وتولى هو النظر عليه إلى أنْ حضرته الوصية فكتب حينئذ الكتاب، ويحتمل أن يكون أخَّر وقفيته ولم يقع منه قبل ذلك إلا استشارته في كيفيته، وقد روى الطحاوي وابن عبد البر من طريق مالك عن ابن شهاب، قال: «قال عمر: لولا أنّي ذكرتُ صدقتي لرسول الله ﷺ لرددتها»، فهذا يُشعر بالاحتمال الثاني، وأنَّه لم ينجز الوقف إلا عند وصيته»[(2)].

وقد أوقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضياعًا له في سبيل الله[(3)]، كان في نصٍّ أحد هذه الأوقاف: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما تصدَّق به عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين، تصدَّق بالضَّيعتين المعروفتين بعين أبي نَيْزَر[(4)] والبُغَيْبِغة[(5)] على

= أما الفرق الثاني فيكمن في زيادة الأماكن الموقوفة في الرواية الثانية نحو «صرمة بن الأكوع والعبد الذي فيه..»، كذلك حددت الرواية الثانية الناظر في هذا الوقف ولم تحدده الرواية الأولى.

(1) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٥٦٦.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص ٤٠٢.

(3) حول هذه الأوقاف، ونصوص بعضها، انظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابين، وصية علي بن أبي طالب، ج١٠، ص ٣٧٤، رقم ١٩٤١٤، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ٢١٩-٢٢٨، وابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج١، ص ٤١٢-٤١٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٧٥، والعباسي، عمدة الأخبار، ص ٣٤٢.

(4) عَيْنُ أبي نَيْزَر: نيزر بفتح النون، وياء مثناة من تحت، وزاي مفتوحة، هي عين لعلي بن أبي طالب منسوبة لأبي نيزر، وهو مولى لعلي بن أبي طالب، كان من أبناء النجاشي ملك الحبشة، فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله ﷺ، وكان معه في بيوته، فلما توفي رسول الله ﷺ صار مع فاطمة وولدها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٥- ١٧٦. وانظر حول هذه العين: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٣٤٣، والعباسي، عمدة الأخبار، ص ٣٧٨.

(5) بُغَيْبِغة: بالضم ثم الفتح، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة وغينٌ أخرى، وهو ضربٌ من الهدير، وهي البئر القريبة الرِّشاء. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٦٩.

فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقي الله بهما وجهه حرَّ النار يوم القيامة، لا تُباعا ولا تورثا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين، فهما طلق لهما ليس لأحد غيرهما»[1].

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية والحديثية بعضاً من النصوص الوقفية لعدد من صحابة رسول الله ﷺ، مؤكدةً بذلك العلاقة الوثيقة بين الوقف كحكم تشريعي وبين الكتابة الخطية كصناعة، فعن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم ابن أبي الأرقم قال: ـ فذكر قصة إسلام أبيه الأرقم بن أبي الأرقم وعمر بن الخطاب ـ ثم قال: «... ودُعيت دار الأرقم دار الإسلام، وتصدّق بها الأرقم على ولده، فقرأتُ نسخة صدقة الأرقم بداره: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قضى الأرقم في رَبْعه[2] ما حاز الصفا أنها مُحرمة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص»[3]. وقد كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه في وقفه لبُستانه الذي يدعى «الوَهْط»: «... وجعلها صدقةً لا تباع ولا توهب ولا تُورث، وهي إلى الأكبر من ولدي، المتَّبع فيها عهدي وأمري، فإن لم يَقُمْ بعهدي وأمري، فليس لي بوليّ حتى يرثه الله قائماً على أصوله»[4]. ويذكر عن حكيم بن حزام رضي الله عنه: «أنه حبس داره لا تباع ولا توهب ولا تورث»[5].

وقد جعل الزبير بن العوام رضي الله عنه دوره صدقةً على بنيه لا تباع ولا تورث، وأنّ

---

(١) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٥٦٧، والحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٦.

(٢) الرَّبْعُ: هنا بمعنى المنزلُ ودارُ الإقامة، والدار بعينها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص١٠٢، مادة: «ربَعَ».

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٤٢-٢٤٣، والحموي، ج١، ص ٦٢، مادتي: «خَزَل»، و«الدَّأل».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابين، باب وصية عمرو بن العاص، ج١٠، ص٣٧٧، رقم ١٩٤١٨، والفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢٠٥.

(٥) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ٢٣١.

للمَرْدُودة من بناته أن تسكن غير مُضرة ولا مُضارٌّ بها فإن هي استغنت بزوج فلا حق لها[١]. وقد ذكر ابن شَبَّة رحمه الله في «تاريخ المدينة» نص وقف سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد كتبه مُسلم بن أبي عبد الله، وشهد عليه عثمان بن حنيف، وعبد الرحمن بن عامر، وهشيم، وعبيد الله بن هاشم[٢]. وتصدّق حُميد بن زهير بداره الملاصقة بالمسجد الحرام، فكتب: «تصدقتُ بداري التي تفيء على الكعبة، وتفيء الكعبة عليها»[٣].

د- الوصية:

هي الاسم من أوصى يُوصي إيصَاءً، يقال «أوصى لفلان بكذا» أي جعل له ذلك من ماله[٤]؛ وسميت وصية لأنه وصل ما كان في حياته بما بعده[٥]، وقد ذكر المولى عز وجل الوصية في كتابه العزيز في قوله: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾[٦]، وبرغم الاختلاف في درجة الحكم المتعلق بالوصية، إلا أننا نجد الاتفاق على صلتها بالكتابة الخطية ظاهرٌ في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما حقُّ امرئ مسلم له شيءٌ يريد أن يوصي فيه، يبيتُ ليلتين، إلا ووصيتهُ مكتوبة عنده»[٧]، وفي رواية: «لا يبيتُ أحدٌ ثلاث ليال إلا

(١) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الوصايا، باب الوقف، ج٢، ص ٤٢٧. وانظر حول أوقاف الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ٢٢٩-٢٣١.

(٢) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٣٠٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ١١١.

(٤) النَّسْفي، طُلْبة الطَّلَبَة: في الاصطلاحات الفقهية، ص ٣٠٥.

(٥) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١١، ص ٧٧.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٨٠.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب وصية الرجل مكتوبة عنده، ج٣، ص ١٢٤٩، رقم ١٦٢٧، وأخرجه البغوي في تفسيره، ج١، ص ١٤٧.

ووصيته مكتوبة»[١]. قال الراوي عبد الله بن عمر رضي الله عنه: فما بتُّ من ليلة بعد إلا ووصيتي موضوعة. وفي هذا الحديث حثٌّ على كتابة الوصية، حتى قال الشافعي - رحمه الله -: «معنى الحديث: ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده»[٢]. وقد صحَّ عن الرسول ﷺ لما اشتد به وجعُه أنَّه قال: «ائتوني أكتبُ لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا»[٣]، وفي رواية: «هلمَّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده»[٤].

وظاهرٌ ذلك الاتفاق أيضًا في وصية ابنته فاطمة رضي الله عنها، حيث قال القاسم بن فضل: «قال لنا محمد بن علي: كتب إليَّ عمر بن عبد العزيز أن أنسخَ إليه وصية فاطمة، فكان في وصيتها السِّتْر الذي يزعم الناس أنها أحدثته، وأنَّ رسول الله ﷺ دخل عليها فلما رآه رجع»[٥]. وكذلك في وصية أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد حدّث ابن عساكر - رحمه الله - بسنده: أن أحدهم قَرَأَ وصية عائشة إلى عبد الله بن الزبير[٦]. وظاهرٌ ذلك الاتفاق أيضًا فيما أُثر عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم من كتابتهم لوصاياهم، ففي وصية عمر رضي الله عنه: «أن يعتق كل عربي في مال الله»[٧]، وقال الشعبي رحمه الله: «كتب عُمرُ في وصيته: لا يَقرّ لي عامل أكثر من سنة، وأَقِرُّوا الأشعري أربع سنين»[٨]، ووجد

---

(١) أخرجها أحمد في مسنده، ج٤، ص ٢٧٢، ٣١٢، ٥١٦، الأرقام ٤٤٦٩، ٤٥٧٨، ٥١١٨، وج٥، ص ٣٠٦، رقم ٥٩٣٠.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١١، ص ٧٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج٢، ص ٤٥٥، رقم ١٩٣٥.

(٤) أخرجها أحمد في مسنده، ج٣، ص ٣٠٩، رقم ٢٩٩٢، وص ٣٤٩، رقم ٣١١١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص ٢١٩، رقم ٢٦٣٠١.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص ١٦٩.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المكاتب، باب الشَّرْط على المكاتب، ج٨، ص ٣٨١، رقم ١٥٦١٣.

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٨٢.

مكتوبًا في وصية عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، عثمان ابن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله ليبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها نحيا وعليها نموت، وعليها نُبعث إن شاء الله»(١)، ومما كتب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيته: «إنَّ وصيتي إلى أكبر ولدي غير طاعن عليه في بطن ولا فرج»(٢)، وكتب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصيته، وأوصى فيها إلى الزبير بن العوام(٣)، وذكر البلاذري رحمه الله بسنده وصية منسوبة إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي فيها بني أمية(٤)، ولما حضرت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة دعا كاتبًا، وقال له: اكتب، فكتب وصيته(٥)، كذلك لما حضرت أبا بكرة نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة قال: اكتبوا وصيتي: فكتب الكاتب: «هذا ما أوصى به نُفيع الحبشي مولى رسول الله ﷺ، وهو يشهد أن الله ربه وأنَّ محمد ﷺ نبيه، وأن الإسلام دينه، وأن الكعبة قبلته، وأنهُ يرجو من الله ما يرجوه المعترفون بتوحيده، المقرون بربوبيته، الموقنون بوعده ووعيده، الخائفون لعذابه، المشفقون من عقابه، المؤملون لرحمته، إنه أرحم الراحمين»(٦).

وأخرج ابن سعد ـ رحمه الله ـ عن أبي عون، قال: رأيت المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين خرج إلى مكة في وجهه الذي قُتل فيه كتب وصيته ودفعها مختومة إلى رجال من بني زهرة وأشهدهم أن ما فيها حق، وأمرهم أن يشهدوا على ما فيها

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص ٤٠١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٥، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٢٦٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٥٨-١٥٩، ومحمد آبادي، التعليق المغني على الدراقطني، ج٤، ص ١٥٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص ١٩١، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٦٣٨.

(٦) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٦، ص ١٨٤.

وهي مختومة، فقبضوها على ذلك، فلما قتل المسور دفعوا الكتاب إلى عبدالرحمن بن المسور، وكانت الوصية إليه، فأنفذ ما فيها[1].

وقد ظهرت تلك الصِّلة بين الوصية والكتابة الخطية في نهج كبار التابعين أيضاً، فهذا الربيع بن خُثيم تذكر المصادر نصَّ وصيته، وفيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الربيع بن خُثيم وأشهد الله عليه، وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً، فإني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وإني آمر نفسي ومن أطاعني أن نعبد الله في العابدين، ونحمده في الحامدين، وأن نتصح لجماعة المسلمين»[2].

وقد دَلَّ على شدة اهتمام الصحابة بكتابة وصاياهم وانتشار هذه السُّنَّة بينهم، ما روته المصادر الحديثية[3] عن أنس بن مالك رضي الله عنه حيث روى النموذج العام - إن صحَّ التعبير - الذي استخدمه الصحابة رضوان الله عليهم في كتابتهم لوصاياهم.

فكلُّ هذه النصوص التاريخية تؤكد مدى قوة ارتباط الوصية، كحكم تشريعي، بالكتابة الخطية مما كان له أثر يذكر في تفعيل حركة الكتابة في ذلك العهد.

هـ - أموال الصدقات (الزكاة):

كانت كتابة أموال الصدقات من أهم الجوانب التشريعية التي ساهمت في تنشيط حركة الكتابة الخطية في ذلك العهد، وبتعدد أموال الصدقات وتكاثر

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج٢، ص ١٥٦.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص ١٩٢-١٩٣، وأخرجها عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الوصايا، باب كيف تكتب الوصية، ج٩، ص ٥٤، رقم ١٦٣٢٠، وأخرجها الدارمي في سننه، كتاب الوصايا، باب ما يُستحب بالوصية من التشهد والكلام، ج٢، ص ٤٠٥.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الوصايا، باب ما يستحب بالوصية من التشهد والكلام، ج٢، ص ٤٠٤، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الوصايا باب كيف تُكتب الوصية، ج٩، ص٥٣، رقم ١٦٣١٩، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الوصايا، باب ما يكتب في الوصية، ج٤، ص ٢١٠، وأخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الوصايا، ج٤، ص ١٥٤.

أعداد المسلمين تشتد الحاجة الماسَّة إلى كتابتها وتدوينها وحفظها، لضمان حقوق المسلمين ومعرفة ما لهم وما عليهم. ولهذا الغرض خُصِّصَ اثنان من صحابة رسول الله ﷺ لكتابة أموال الصدقات (الزكاة) في عهده، وهما: جُهيم بن الصَّلت بن مخرمة المطلبي، والزبير بن العوام رضي الله عنهما(١).

وكان الأول قد تعلم الخط في الجاهلية، فجاء الإسلام وهو يكتب(٢)، فكان من كُتَّاب الرسول ﷺ(٣)، وكانا إذا غابا كتب أموال الصدقة حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه(٤).

وقد اكتسبت كتابة أموال الصدقات (الزكاة) في عهد الخلفاء الراشدين أبعاداً أخرى من حيث الدِّقة والتنظيم، وهذا ما يفهم من رواية أبي بكر العيسي حيث قال: «دخلتُ حَيْر(٥) الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، قال: فجلس عثمان في الظلِّ يكتب، وقام عليٌّ على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر في الشمس قائم في يوم حار شديد الحر، عليه بُردان أسودان مُتزراً بواحد وقد لفَّ رأسهُ آخر، يَعُدُّ إبل الصدقة، يكتُبُ ألوانها وأسنانها، فقال عليٌّ لعثمان - وسمعته يقول: نعتَ بنتَ شعيب في كتاب الله ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾(٦)، ثم أشار عليٌّ بيده إلى عمر، فقال: هذا القويُّ الأمين»(٧).

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٢٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٦٢٦.

(٣) محمد مصطفى الأعظمي، كُتّاب النبي ﷺ، ص ٥١.

(٤) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٥٥٠، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٥، والكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، ج١، ص ٣٩٨.

(٥) الحَيْرُ - بالفتح -: شبهُ الحظيرة أو الحِمى. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٢٢٦، مادة: «حير».

(٦) سورة القصص، الآية ٢٦.

(٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٦٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص ٢٧٤، وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٥١.

ويفهم من هذه الرواية أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقوم بدور كاتب الصدقات في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

والجدير بالذكر، أن الرسول ﷺ قد استعمل عدداً كبيراً من صحابته الكرام على الصدقات، ولا شك أن في استعمالهم تفعيل لحركة الكتابة الخطية، فقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ في «طبقاته»: «لما رأى رسول الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع من مهاجره بَعَثَ المُصَدِّقين[1] يصدقون العرب، فبعث عُيينة بن حصن إلى بني تميم يصدقهم، وبعث بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار يصدقهم، ويقال: كعب ابن مالك، وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة، وبعثَ رافع بن مكيث[2] إلى جهينة، وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة، وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي[3] إلى بني كلاب، وبعثَ بُسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، وبعث ابن اللُّتْبيَّة الأزدي[4] إلى بني ذُبيان، وبعث رجلاً من سعد هذيم على صدقاتهم، وأمر رسول الله ﷺ مصدقيه أن يأخذوا العفو منهم ويتوقّوا كرائم أموالهم»[5]، وبعث أيضاً ﷺ مالك بن نويرة على صدقة بني يربوع[6]، واستعمل عكرمة بن أبي جهل عام الحج على هوازن يصدقها[7]، وغاضرة بن سمرة التميمي على بعض الصدقات[8]، وعوف بن مالك النضري[9] وعبد الرحمن بن عوف

---

(١) المُصدِّق هنا بمعنى: الذي يأخذ صدقات الغنم. انظر: الرَّازي، مختار الصحاح، ص ٣٤٤.

(٢) انظر حول استعماله: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص ١٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٣٧٠.

(٣) انظر حول استعماله: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٥٩٠.

(٤) انظر حول استعماله: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٨٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٠.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٥٣٣.

(٧) المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص ٦٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٤٤٣.

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٢٤١.

(٩) المصدر السابق، ج٥، ص ٢٤٠.

على صدقات كلب[١]، وعبيد بن حذيفة العدوي على بعض الصدقات[٢]، وعدي بن حاتم على الحليفين: طيء وأسد[٣]، وحاجب بن زرارة الدارمي التميمي على صدقات بني تميم[٤]، وحامية بن سبيع الأسدي على صدقات قومه[٥]، وعبد الله بن حكيم الضبيِّ على صدقات قومه[٦]، وعُطارد ابن حاجب بن زرارة التميمي على صدقات بني تميم[٧]، وقرة بن هبيرة على صدقات قومه[٨].

ثم استنّ الخلفاء الراشدون بهدي النبي ﷺ في استعمال الأكْفَاء على الصدقات، فقد استعمل عمر رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه على بعض الصدقات[٩]، واستعمل عقبة بن أهبان بن عمرو بن الأكوع على صدقات كلْب[١٠]، واستعمل سفيان بن عبدالله بن أبي ربيعة الثقفي على صدقات الطائف[١١]، ثم استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه النُّعمان بن بشير على صدقات سعد هذيم، وهم: بَليٌّ، وسلامان، وعذرة، وضبةُ بن الحارث، ووائل: بنو زيد[١٢].

وقبل أن يختم الباحث الحديث عن أموال الصدقات، يذكر أهم الصدقات - على وجه التخصيص - التي أشارت المصادر إلى اقترانها بالكتابة الخطية:

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٥، ص ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق، ج٣٨، ص ١٧٣ – ١٧٥.

(٣) المصدر السابق، ج٤٠، ص ٧٨.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٥٦.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٧.

(٦) المصدر السابق، ج٤، ص ٥٥.

(٧) المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٩.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٦١٧.

(٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٠، ص ٢٠١.

(١٠) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٥٠.

(١١) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٤.

(١٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص ١٣٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص ٢٢٠.

١ - خَرْصُ النَّخل والكَرْم:

خَرَصَ النَّخْلَة والكرمة يخرصها خرصًا: إذا حَزَرَ ما عليها من الرُّطب تَمْرًا ومن العنب زبيبًا. والأصل فيه: التَّظَنِّي فيما لا تستيقنه، لأن الحَزر إنما هو تقديرٌ بظن[١]، وقد جاء في الكتاب العزيز: ﴿**إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾[٢]، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «فإن الخرص هو الحَزْر، ومنه خرص النخل: وهو حزْرُ ما عليها من التمر»[٣]، ولأن الرسول ﷺ أمر بخرص العنب والتمر[٤] فقد ظهرت الحاجة ماسَّة لكتابة الخرص في عهده ﷺ، فكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يكتب خرص ثمار الحجاز[٥]، ومن هنا جاء تفعيل هذه الصدقة لحركة الكتابة الخطية في ذلك العهد، والناظر في عدد مَن ذكرت المصادر تكليف الرسول ﷺ لهم بخرص الثمار يستنتج تأثير هذه العملية في الكتابة الخطية، فمن هؤلاء: أبو الهيثم بن التَّيِّهان رضي الله عنه[٦]، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه[٧]. قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ عن الثاني: «كان يكتب للنبي ﷺ»[٨]، ثم أردف قائلاً: «وبعث بعد فتح خيبر فخرص عليهم»[٩]، وفي الربط بين الخبرين

---

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ٢٢، وابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٢١، مادة: «خرص»، والنَّسفي، طُلبة الطَّلَبة، ص ٢٧٣، والكتّاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ٣٩٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١١٦، وسورة يونس، الآية ٦٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ١٤٧.

(٤) انظر: ما أخرجه الدارقطني في سننه، باب قدر الصدقة فيما أخرجت الأرض وخرص الثمار، ج٢، ص ١٣٤، رقم ٢٤.

(٥) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٤.

(٦) انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٧٠.

(٧) انظر: الجُمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٢٢٤، أبو يوسف، الخراج، ص ٥٤، ٩٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص ٨٣.

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٧٣.

(٩) المصدر السابق.

إشارة - على الأقل - إلى استحسان أن يكون الخارص كاتبًا وحاسبًا، ويظهر ذلك بشكل آكد في ترجمة جَبَّار بن صخر الأنصاري ثم السَّلمي الذي كان رسول الله ﷺ يبعثه إلى أهل خيبر فيخرص عليهم، وذلك بعد وفاة عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم أجمعين، وقد ذكره ابن حجر بقوله: «كان خارص أهل المدينة وحاسبهم»[١]. وقد استعمل الرسول ﷺ على الخرص أيضًا الصلت بن معد يكرب الكندي[٢]، وأبا حثمة الأوسيّ الأنصاري[٣]، وكان ﷺ يبعث فروة بن عمرو بن وذفة خارصًا بالمدينة[٤].

٢ - العُشُور:

جمع «عُشْر» وهو زكاة ما سقته السماء، وعُشر أموال أهل الذمة في التجارات. يقال: عشرت ماله أعشره عُشرًا فأنا عاشرٌ، وعشرته فأنا معشر وعَشَّار إذا أخذت عُشره[٥].

وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان السائب بن يزيد عاملاً مع عبدالله بن عتبة بن مسعود على سوق المدينة، فكانا يأخذان من النَّبط[٦] العشر[٧]. وقد كان

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٥٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص ٣٦٠.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٤، وج٧، ص ٧٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٥٩٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٢٧٨، وابن الأثير الجزري، أسدُ الغابة، ج٤، ص ٣٤١. وفي المصدرين الأخيرين: «فَروَة بن عمرو بن ودْقة».

(٥) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ٢٣٨-٢٣٩، مادة: «عَشَرَ»، وابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٥٧٠، مادة: «عَشَرَ».

(٦) النبط: جيل ينزلون سواد العراق، والنسب إليهم نَبَطي، وسُمُّوا نَبَطًا لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٤١١، مادة: «نبط»، والرازي، مختار الصحاح، ص ٦٠٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج٢، ص ٢٢٨.

عمر رضي الله عنه يأخذ من القطْنيَّة[١] (بالتخفيف أو التشديد) العشور[٢]؛ ولذلك احتاج عمر رضي الله عنه إلى كاتب متخصص لهذا النوع من أنواع الصدقات، فعين لذلك زياد بن حُدَير الأسدي فكان يقوم بكتابة العشور[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه في كتابة أموال الصدقات أن مَنْ يؤدي الصدقة يُكْتَبُ له كتاباً يُثبتُ تمام هذا الأداء، ويكشف عن هذا الأمر القصة التي أوردها ابنَ عساكر في «تاريخه»[٤].

وخلاصة القول، أن كتابة أموال الصدقات (الزكاة) بلغت من الأهمية والتأثير على صناعة الكتابة والكتاب في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين مبلغًا كبيرًا، حتى عُدَّ ما ذكره الباحث من ملامح لتلك الكتابة بمثابة دواوين للإنشاء وضعت في ذلك الزمن شبيهة بالتي كانت في العهود الزمنية اللاحقة، إلا إنها ليست مثلها فيما يختص بمتعلقات كتابة الإنشاء[٥].

الأمر الثاني: المكاتبات التشريعية:

لم يكن نشوء تدوين علم الفقه بمعزل عن الكيفية التي نَشَأَ بها التدوين العلمي في فروع العلوم الإسلامية المختلفة، التي ذكر الباحث آنفًا طرفًا منها، فمثلُ بدايات تدوين علم الفقه كَمثل بدايات العلوم الأخرى، إلا أن هذه البدايات المتمثلة في المكاتبات التشريعية كانت من الكثرة والوفرة ما جعلها متميزة عن بقية العلوم، فقد حفلت المصادر الحديثية والتاريخية بمثل هذه المكاتبات المألوف

(١) القطنية: قال شمر: هي ما سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر. وقال غيره: هي الحبوب التي تطبخ مثل العدس والفول والحمص وما يقتات به، سمّاها الشافعي كلها قطنية فيما روى عن الربيع، وهو قول مالك، وفي حديث عمر أنه كان يأخذ من القطنية العشر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٣٤٥، مادة: «قطن».

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٢٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص١١٧.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٥٢٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٦، ص ١٥٤.

(٥) انظر حول هذا المعنى: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ١٢٦.

تداولها بين الرعيل الأول، فمن مكاتبات تشريعية شاملة ومتنوعة إلى مكاتبات تتعلق بالعبادات، وثالثة بالفرائض والمواريث، ورابعة بالدِّيات والحدود، وخامسة بالأحوال الشخصية، وسادسة بالمعاملات المالية... إلى آخر هذه الأنواع.

وللتدليل على ذلك، ولكي تتضح الملامح الرئيسة لصورة علم الفقه المدون، يستعرض الباحث أمثلة من هذه المكاتبات التشريعية:

أ - المكاتبات التشريعية العامة:

فمن أشهر هذه المكاتبات العامة، الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لعمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه حين بعثه على وفد بني الحارث بن كعب إلى نجران في العام العاشر من الهجرة[١]، وقد ذكره الطبري بتمامه[٢]، وابن عساكر[٣]، والذهبي[٤]، وابن كثير[٥] رحمهم الله جميعًا، ووُجد متفرقًا في كتب السنن، وبعض كتب التاريخ[٦].. وفي هذا الكتاب الفرائض، والسنن، والزكاة، والدِّيات، وبعض الأحكام المتعلقة بالعبادات.. وقد قال عنه الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «... فهذا الكتاب متداول بين أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا يعتمدون عليه ويرجعون في مهمات هذا الباب إليه»[٧]، كما قال يعقوب بن سفيان -

---

(١) ذكره الطبري في أحداث السنة العاشرة، وذكره ابن كثير في أحداث السنة التاسعة.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ١٩٥-١٩٦.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص ٤٧٧ - ٤٨٣.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٦٩٢ - ٦٩٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٨٠- ٨٢.

(٦) انظر: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب الصدقات، ج٤، ص ٤-٥، رقم ٦٧٩٣، وكتاب الحيض، باب مسّ المصحف والدراهم التي فيها القرآن، ج١، ص ٣٤١-٣٤٢، رقم ١٣٢٨، وما أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الدِّيات والحدود وغيره، ج٣، ص ٢٠٩، وكتاب الطهارة باب في نهي المحدث عن مسِّ القرآن، ج١، ص ١٢١، والفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٠٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٥١٢.

(٧) الوزير اليماني، الروض الباسم في الذبِّ عن سُنَّة أبي القاسم، ج١، ص ٣٤.

رحمه الله ـ: «لا أعلم في جميع الكتب كتابًا أصح من كتاب عمرو بن حزم، كان الصحابة والتابعون يرجعون إليه ويَدَعون آراءهم، وصحَّ عن ابن المسيب أن عمر ترك رأيه ورجع إليه»[1]، وقال أبو عمر بن عبد البر: «وهو كتاب مشهور عند أَهْل السِّير، معروف عند أهل العلم معرفة يُستغنى بها في شهرتها عن الإسناد»[2].

وفي إيماءة إلى أثر هذا الكتاب في صناعة الكتابة والكتاب في ذلك العهد، يذكرها الباجي فيجعله «أصلاً في كتابة العلم وتحصينه في الكتب»[3]. وهناك إيماءة أخرى يذكرها محمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني ـ رحمه الله ـ إِثْرَ كلام الحافظين ابن سفيان وابن كثير السابق ـ فيقول: «ظاهر كلام الحافظين يعقوب بن سفيان وابن كثير دعوى إجماع الصدر الأول على قبول حديث عمرو ابن حزم، وذلك يقتضي دعوى الإجماع على جواز العمل بالوِجادة»[4]، «وقد اشتهر باسم (كتاب)، وباسم (نسخة)، وباسم (صحيفة)، وفي كلٍّ يقال: كتاب آل عمرو ابن حزم»[5]. ويذكر الباحث جزءاً من نصٍّ هذا الكتاب فيما رواه الإمام النسائي ـ رحمه الله ـ في «سننه»[6]، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا فيه الفرائض والسُّنن

(1) الوزير اليماني، الروض الباسم في الذبِّ عن سُنَّة أبي القاسم، ج1، ص 34.

(2) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج1، ص 169.

(3) المصدر السابق، ج1، ص 169.

(4) انظر: الوزير اليماني، الروض الباسم في الذبِّ عن سُنَّة أبي القاسم، ج1، ص 35. والوجادة: بكسر الواو، مصدر مُولّدٌ لوجَدَ يَجدُ، غير مسموع عن العرب، اصطلح المحدثون على إطلاقه على ما أخذ من العلم من صحيفة، من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة. انظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث: علومه ومصطلحه، ص253، وانظر السخاوي، فتح المغيث، ج2، ص 151.

(5) بكر أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص 214، وابن كثير، تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، ص230– 234.

(6) كتاب القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له، ج8، ص 57– 58، رقم 4853، وانظر الأرقام: 4854، 4855، 4856، 4857.

والدِّيات، وبعث مع عمروِ بن حزم، فقرئت على أهل اليمن هذه نسختها: «من محمد النبي ﷺ إلى شرحبيل بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال، قَيْل ذي رعين ومعافر وهمذان، أما بعد: وكان في كتابه: أن من اعتبط مؤمنًا قتلاً عن بَيِّنة فإنه قودٌ، إلا أن يرضى أولياء المقتول، وأن في النفس الدِّية مئة من الإبل، وفي الأنف إذا أوعب جدعه الدِّية، وفي اللسان الدِّية، وفي الشفتين الدِّية، وفي البيضتين الدِّية، وفي الذكر الدِّية، وفي الصلب الدِّية، وفي العينين الدِّية، وفي الرِّجل الواحدة نصف الدِّية، وفي المأمومة ثلث الدية، وفي الجائفة ثلث الدية، وفي المنقلة خمس عشرة من الإبل، وفي كل أصبع من أصابع اليد والرِّجل عشرٌ من الإبل، وفي السِّن خمسٌ من الإبل، وفي الموضحة خمسٌ من الإبل، وأن الرَّجل يُقتل بالمرأة، وعلى أهل الذهب ألف دينار»(١).

كذلك من الكتابات التشريعية العامة المشهورة في ذلك العهد صحيفة على بن أبي طالب رضي الله عنه، وما فيها من: الجراحات، وأسنان الإبل، وحُرْمة المدينة، وعلاقة المسلمين ببعضهم البعض. وقد رواها الإمام البخاري - رحمه الله - في مواضع عدة من «صحيحه»(٢) باختلاف وزيادات يسيرة، ورواها كذلك الإمام مسلم في

(١) قوله: «من اعتبط مؤمنًا» بالعين المهملة، أي: قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله، «فإنه قَوَدٌ» أي: فإن القاتل يُقتل به ويُقاد، «وفي الأنف إذا أوعب جدعه» أي: قطع جميعه، «الدِّيَة» أي: الكاملة في الآدمي كله، «وفي البيضتين» أي: الخصيتين، «وفي المأمومَة» أي: في الشجة التي تصل إلى أمِّ الدِّماغ وهي جلدة فوق الدماغ، «وفي الجائفة» أي: الطعنة التي تبلغ جوف الرأس أو جوف البطن، «وفي المُنَقِّلَة» هي: شجة يخرج منها صغار العظم وينقل عن أماكنها، وقيل: هي التي تنقل العظم أي تكسره. انظر: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ج٨، ص٥٨. والقَيْل: الملك من ملوك حمير يَتَقَيَّل من قَبْله من ملوكهم (يُشبهه)، وجمعه أقْيَال وقُول، وقيل: الملوك من غير تخصيص. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٥٨٠، مادة: «قيل».

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، ج٤، ص ٨١، رقم ١٨٧٠، وكتاب الفرائض، باب إثم من تَبَرأَ من مواليه، ج١٢، ص ٤١، رقم ٦٧٥٥، وكتاب الجزية والموادعة، باب ذمةُ المسلمينَ وجوارُهم واحدةٌ يسعى بها أدناهم، ج٦، ص ٢٧٣، رقم ٣١٧٢،=

«صحيحه»(١)، وللجمع بين هذه الاختلافات والزيادات فإن «الصحيفة المذكورة كانت مشتملة على مجموع ما ذُكر، فنقل كل راوٍ بعضها»(٢)، وهناك روايات أخرى ذكرها ابن حجر في «فتحه»(٣).

ومن المكاتبات التشريعية العامة المشهورة، الكتب المتعلقة بشرائع الإسلام على وجه العموم التي كان الرسول ﷺ يكتبها للوفود، مثل وفد غامد(٤)، ووفد خَثْعَم(٥).

كذلك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد، فعن أبي عثمان النهدي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن فرقد: «سلامٌ عليكَ، أما بعد: فارتدوا واتزروا وألقوا السَّراويلات، وانتعلوا وألقوا الخفاف، وارموا الأعراض واقطعوا الرُّكُبَ، وانزوا على الخيل نزواً، وعليكم بالجرمية والمَعَدِّيَّة وإياكم والتنطع وزي العجم، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا ما كان هكذا - ثلاث أصابع - أو هكذا - أربع أصابع -»(٦).

= وكتاب الجزية والموادعة - أيضًا -، باب إثم من عاهدَ ثم غَدَر، ج٦، ص ٢٧٩، رقم ٣١٧٩، وكتاب الجهاد، باب فكاك الأسير، ج٦، ص ١٦٧، رقم ٣٠٤٧، وكتاب الديات، باب العاقلة، ج١٢، ص ٢٤٦، رقم ٦٩٠٣، وكتاب الديات - أيضًا - باب لا يقتلُ المسلم بالكافر، ج١٢، ص٢٩٠.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، ج٢، ص ٩٩٤-٩٩٨، رقم ١٣٧٠. وفي تعدد مواضع الصحيفة في كتب الحديث، وفي تفرع عناوين أبوابها دليلٌ على شموليتها وتنوعها.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص ٨٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٥.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٤٥.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٨.

(٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١، ص ١٨٩-١٩٠، رقم ٢١٣. والجَرْم: الحَرّ. وأرض جَرْمٌ: بلاد حارة. وقيل: دفيئة. وجَرْم: بطنان بطنٌ في قُضاعة وهو جَرْم بن زَبَّان، والآخر في طيء. وقيل: جَرْم قبيلة من اليمن، وبنو جارم قومٌ من العرب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٩٥، مادة: «جرم». والمَعَدِّيَّة: يُقال تَمَعْدَدَ الغلام، إذا شَبَّ وغَلُظَ، وفي حديث عمر: «تَمَعْدَدُوا واخْشَوْشِنُوا»، أراد: تَشَبَّهوا بعَيش مَعَدٍّ بن عدنان، وكانوا أهل غلظ وقَشَف، أي=

وأخيراً ـ وليس آخراً ـ كتاب ابن عباس رضي الله عنه الذي أجاب فيه على أسئلة نجدة ابن عامر الحروري الحنفي الفقهية المتنوعة[1].

ب - المكاتبات التشريعية المتعلقة بالعبادات:

لقد توزعت المكاتبات التشريعية المتعلقة بالعبادات على فرائض الإسلام، من صلاة وزكاة وصيام وحج، فمن مكاتبات الصلاة: ما كتبه عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: «أن اقرأ في المغرب بقصار المفصَّل، وفي العشاء بوسط المفصَّل، وفي الفجر بطوال المفصَّل»[2].

وأيضاً ما كتبه عمر رضي الله عنه إلى الأمصار في السنة الرابعة عشرة يأمر المسلمين بالقيام في المساجد في شهر رمضان[3]. وقد كان عمر بن عبيد الله بن معمر أميراً على فارس، فكتب إلى ابن عمر رضي الله عنه: «إنّا قد استقررنا، فلا نخاف غَدْراً، وقد أتى علينا سبع سنين، وولد لنا الأولاد، فما حكم صلاتنا؟ فكتب إليه: إن صلاتكم ركعتان»[4]، وفي رواية: «فكتب إليه ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من أهله صلى ركعتين حتى يرجع إليهم»[5].

أما فيما يتعلق بفريضة الزكاة (الصدقات)، فمن أشهر مكاتباتها الذي يُعدُّ

= كونوا مثلهم ودعُوا التَّنَعُّم وزيّ العَجَم. ومن حديثه الآخر: «عليكم باللِّبْسَة المَعَدِّيَّة» أي: خشونة اللباس. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ٣٤١-٣٤٢، مادة: «معد».

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب المرأة والعبد (أي: يعطيان) من الغنيمة، ج٧، ص٣١٧، رقم ٢٧٢٤، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٤، ص ٤٢٣، رقم ٢٥٥٠. وانظر: ابن قدامة، الخراج، ص ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب وقد رخّص أن يقال سورة قصيرة، ج١، ص ٥٠٦، رقم ٥٠٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ١٧٩.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٤٦.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٥، ص ٢٨٧.

أصلاً في تدوينه علم الفقه والأحكام التشريعية ما ذكرته المصادر الحديثية(١) حول كتابة الرسول ﷺ لكتاب صدقات (زكاة) السَّائمة، فعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ قد كتب الصدقة ولم يخرجها إلى عماله حتى توفي، قال: فأخرجها أبو بكر من بعده، فعمل بها حتى توفي، ثم أخرجها عمر من بعده، فعمل بها، قال: فلقد هلك عمر يوم هلك وأن ذلك لمقرون بوصيته، فقال: كان فيها: «في الإبل في كل خمس شاة، حتى تنتهي إلى أربع وعشرين، فإذا بلغت إلى خمس وعشرين ففيها بنتُ مَخَاض، إلى خمس وثلاثين، فإن لم تكن ابنة مخاض فابن لبون، فإذا زادت على خمس وثلاثين ففيها ابنة لبون، إلى خمس وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقة، إلى ستين، فإذا زادت ففيها جَذَعَة، إلى خمسة وسبعين، فإذا زادت ففيها ابنتا لبون إلى تسعين فإذا زادت ففيها حقتان، إلى عشرين ومئة، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين حقَّة، وفي كل أربعين ابنة لبون، وفي الغنم في أربعين شاة إلى عشرين ومئة، فإذا زادت ففيها شاتان إلى مئتين، فإذا زادت فيها ثلاث إلى ثلاثمئة، فإذا زادت بعد فليس فيها شيء حتى تبلغ أربعمئة، فإذا كثرت الغنم ففي كل مئة شاةٌ. وكذلك لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق، مخافة الصدقة، وما كان من خليطين منهما يتراجعان بالسوية، لا تؤخذ هرمةٌ، ولا ذات عيب من الغنم»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الإبل والغنم، ج٣، ص ٢١٧-٢٢٠، رقم ٦٢١، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة، ج٤، ص٣٢٣، رقم ١٥٦٥، وأخرج ـ نحوه ـ ابن ماجه في سننه، كتاب الزكاة، باب صدقة الإبل، ج١، ص٥٧٣-٥٧٤، رقم ١٧٩٨، وأخرج ـ أيضًا ـ جزءً منه في باب صدقة الغنم، ج١، ص ٥٧٧، رقم ١٨٠٥، وأخرج الدارمي ـ نحوه ـ في سننه، كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل، ج١، ص ٣٨٢، وأخرج ـ نحوه ـ أبو يوسف في كتاب الخراج، باب ما يعمل به في الصدقات، ص ٨٢-٨٣، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٩، ص ٣٥٩-٣٦١، رقم ٥٤٧٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٤، ص ٣٣٩-٣٤٠، رقم ٤٦٣٤. وانظر حول شروح الألفاظ الغريبة: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٣، ص ٢١٨ - ٢٢٠، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج٤، ص٣١٨-٣٢٢.

وقد عُرف ﷺ بكتابته لفرائض الصدقة للوفود التي تفد عليه بإسلامها حين «كتب ﷺ كتاباً فيه فرائض الصدقات» لوفد باهلة[١]، ولوفد مراد[٢]، وكتب لوفد ثُمالة والحدَّان «كتاباً بما فَرَضَ عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شماس»[٣]، وكتب ﷺ الصدقة والفرائض في المواشي لوفد أسلم، وكتب الصحيفة ـ أيضاً ـ ثابت بن قيس بن شماس[٤]، وبعث ﷺ بكتاب لوائل ابن حجر الحضري في فرائض الصدقة[٥]، وكان ﷺ يبعث مع المصدقين والعمال كتباً فيها فرائض الصدقات، فقد أخبر سويد بن غفلة قائلاً: «أتانا مُصدق النبي ﷺ فأخذتُ بيده وقرأت في عهده: «لا يجمع بين مفترق [متفرق] ولا يفرقُ بين مجتمع خشية الصدقة، ولم يذكر راضع لبن»[٦]. وفي رواية: «قعدتُ إليه، فقلتُ: إيش في كتابك؟»[٧]. ولما قدم فروة بن المُسيك على رسول الله ﷺ أقام عنده ما أقام، ثم استعمله رسول الله ﷺ على مراد وزبيد ومذحج[٨]، وكتب معه كتاباً إلى الأبناء[٩] باليمن فيه فرائض الصدقة[١٠].

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٠٧.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٤.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٤.

(٥) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، ج٤ ص ٣٣٨-٣٣٩، رقم ١٥٧٧، ونحوه رقم ١٥٧٦، وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزكاة، باب ما يأخذ المصدِّق من الإبل، ج١، ص ٥٧٦، رقم ١٨٠١، وأخرجه الدراقطني في سننه، كتاب الزكاة، باب تفسير الخليطين وما جاء في الزكاة على الخليطين، ج٢، ص ١٠٤، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٦٨، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص ٥٩٩.

(٧) أخرجها الدارمي في سننه، كتاب الزكاة، باب تفسير الخليطين وما جاء في الزكاة على الخليطين، ج٢، ص ١٠٤.

(٨) هي قبائل تقطن في جنوب الجزيرة العربية.

(٩) وهم بقايا الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن ثم أسلموا.

(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٧٣٧.

وقد بعث ﷺ حذيفة بن اليمان الأزدي من أهل دَبَاء مصدِّقًا على أزد دباء، فيما بين عمان والبحرين، وكانوا قد أسلموا وقدم وفدهم على رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وكتب له ﷺ فرائض الصدقات، فكان يأخذ صدقات أموالهم ويردها على فقرائهم(١). واستعمل ﷺ زياد بن لبيد الأنصاري الخزرجي على حضرموت، وقال له: «سرْ مع هؤلاء القوم - يعني: وفد كنده - فقد استعملتك عليهم»، فسار زياد معهم عاملاً لرسول الله ﷺ على حضرموت على صدقاتها: الثمار والخف والماشية والكراع والعشور، فكتب له كتابًا فكان لا يعدُوه إلى غيره ولا يقصر دونه(٢). وبعث ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، حين أرسله إلى اليمن، كتابًا قال عنه موسى بن طلحة: «عندي كتاب معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ، أمرهُ أن يأخذ من الحنطة، والشعير، والزبيب، والتمر»(٣). ولَمَّا صدر الناسُ من الحج سنة تسع بعث رسول الله ﷺ أبان بن سعيد بن العاص إلى البحرين عاملاً عليهم، وكتب معه إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام...، وكتب لهم صدقات الإبل، والبقر، والغنم، على فرضها وسنتها كتابًا منشوراً مختومًا في أسفله(٤).

وقد كتب الرسول ﷺ إلى أهل اليمن: «إن على المؤمنين صدقة العقار؛ عُشر

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١٠١، وابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ٣٧. وورد اسم هذا الموضع، بفتح أوله، والقصر: «دَبَا». انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٣٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٦٧٤، وبدران، تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٣، ص ٧٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب الخضد، ج٤، ص ١١٩، رقم ٧١٨٦، وأخرجه أبو يوسف في كتاب الخراج، ص ٥٩. وانظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٢١٢ - ٢١٧.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦، ص ١٣٠-١٣١، وبدران، تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢، ص ١٣١.

ما سقى العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العُشر»(١)، وكتب لهم ﷺ أيضاً: «أن يؤخذ من أهل العسل العشور»(٢)، وكتب ﷺ إلى ملك بن كفلانس والمصعبيين: «فيما سقت السماء والأنهار العشر، وفيما سقى بالمسنا نصف العشر»(٣).

واقتفى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه نهج الرسول ﷺ في كتابة فرائض الصدقات، فكتب لأنس بن مالك لما وجهه إلى البحرين ما أمر الله ورسوله ﷺ، ويبدو أنه كان نسخةً من كتاب رسول الله ﷺ في الصدقات(٤)، فقد قال أنس رضي الله عنه: أنّ أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لَمَّا وجَّهَه إلى البحرين «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين» الحديث(٥).

(١) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الزكاة، باب في قدْر الصدقة فيما أخرجت الأرض وخرص الثمار، ج٢، ص ١٣٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب صدقة العسل، ج٤، ص ٦٣، رقم ٦٩٧٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب ما تسقي الزكاة، ج٤، ص ١٣٦، رقم ٧٢٤٠. والمسنا من السواني جمع سَانية وهي النَّاقة التي يُسْتَسْقَى عليها. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ٤١٤، مادة «سنا».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب العَرْض في الزكاة، ج٣، ص ٣١٢، رقم ١٤٤٨، وباب لا يجمع بين متفرِّق ولا يُفرق بين مجتمع، ج٣، ص ٣١٤، رقم ١٤٥٠، وباب ما كان من خليطين..، ج٣، ص ٣١٥، رقم ١٤٥١، وباب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض وليست عنده، ج٣، ص ٣١٦، رقم ١٤٥٣، وأخرج ابن ماجه ـ نحوه ـ في سننه، كتاب الزكاة، باب إذا أخذ المصدق سناً دون سن أو فوق سن، ج١، ص ٥٧٥، رقم ١٨٠٠، وأخرج ـ نحوه ـ أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة، ج٢٤، ص ٣١٧ - ٣٢٢، رقم ١٥٦٤، وأخرجه الخطيب البغدادي في كتاب تقييد العلم، ص ٨٧. وانظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٢٠٣.

(٥) أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ في صحيحه، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، ج٣، ص ٣١٧، رقم ١٤٥٤.

واستمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابة فرائض الصدقات، فقد رُوي أن عبد الله بن الزبير أراد أن يستعمل أنس بن مالك على البصرة، فأرسل إلى مولاه أنس بن سيرين، فاستعمله على الأُبُلَّة(١)، قال: فقال أنس بن سيرين: أتريد أنْ تجعلني عاشراً؟ قال: فقال له: أما ترضى بكتاب عمر بن الخطاب؟ قال: فأخرجه فإذا فيه أن يأخذ من تجار المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، ومن تجار أهل الذمة من كل عشرين درهماً درهماً، ومن تجار أهل الحرب من كلِّ عشرة دراهم درهماً(٢). وقد روي أن عمر بن الخطاب كان يكتب إلى عمَّاله بفرائض الصدقات(٣).

وفيما يتعلق بفريضة الصوم، فقد كتب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم حين وجَّهه إلى نجران: «أن أخِّر الفطر، وذكِّر الناس، وعَجِّل الأضحى»(٤). وعن شقيق قال: جاءنا كتاب عمر ونحن بخانقين(٥) فإذا في كتابه: «إن الأهلَّة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال نهاراً فلا تفطروا حتى يشهد شاهدان»(٦).

(١) الأُبُلَّةُ: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها، بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٧٦ – ٧٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢٠٧، وأخرج عبد الرزاق – نحوه – في مصنفه، كتاب الزكاة، باب صدقة العين، ج٤، ص ٨٨، رقم ٧٠٧٢.

(٣) انظر في ذلك: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب ما يُعدُّ وكيف تؤخذ الصدقة، ج٤، ص ١٥، رقم ٦٨١٧، وج٤، ص ١٦–١٧، رقم ٦٨٢٢، وباب كم الكنز؟ ولمن الزكاة؟ ج٤، ص ١١٠، رقم ٧١٥٦، وباب صدقة العسل، ج٤، ص ٦٢، رقم ٦٩٦٩، وما أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الزكاة، باب ما جاء في صدقة البقرة، ج١، ص ٢٦٠، وأبو يوسف، الخراج، ص٦٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب صلاة العيدين، باب خروج من مضى والخطبة، وفي يده عصا، ج٣، ص ٢٨٦، رقم ٥٦٥١.

(٥) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد. قال البشاري: وخانقين أيضاً بلدة بالكوفة، والله أعلم. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٤١.

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الصيام، باب الشهادة على رؤية الهلال، ج٢، ص ١٦٨.

أما بالنسبة للمناسك، فقد ورد أن عمر كتب إلى الأمصار: «ليكن آخر عهدكم بالبيت، وليكن آخر عهدكم من البيت الحِجْر»(١).

جـ - المكاتبات التشريعية المتعلقة بالفرائض والمواريث والقضاء:

رُوي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب إلى الضحاك بن سفيان أن يورث إمرأة أشيم الضبابي من ديته(٢).

ورُوي عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف: أن رجلاً رَمَى رجلاً بسهم فقتله، وليس له وارثٌ إلا خالٌ، فَكَتَبَ في ذلك أبو عبيدة بن الجراح إلى عُمَر، فكتب أن النبي ﷺ قال: «الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخالُ وارث من لا وارث له»(٣). ورُوي أن الأحوص بن عبد أمية (ذكره ابن حجر في الصحابة) هلك في الشام حين دخلت امرأة في الدم من الحيضة الثالثة، فكتب معاوية إلى زيد بن ثابت، فقال: «لا ميراث لامرأته»(٤). ويذكر في هذا الصدد أن عمر رضي الله عنه دوَّن مسألة فرضية في شأن الجَدِّ ثم تراجع عنها ومحاها(٥). وهناك رسالة طويلة ومشهورة في القضاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهي تحمل في طياتها توجيهات وتعليمات كريمة حول القضاء وآدابه وإجراءاته،

(١) الفاكهي، أخبار مكة، ج١، ص ٩٧.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الفرائض، ج٤، ص ٧٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٠٩-٢٤١، وج٢، ص ٤٦٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص ٢٤٦، رقم ١٨٩، وقال المحقق: «إسناده صحيح»، وأخرجه الترمذي رحسَّنه في سننه، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الخال، ج٦، ص ٢٣١-٢٣٢، رقم ٢١٠٣، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفرائض، باب ذوي الأرحام، ج٢، ص ٩١٤، رقم ٢٧٣٧، وأخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الفرائض، ج٤، ص ٨٤-٨٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٨، ص ٣٢٧.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٨٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٤٠، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٣٤٥-٣٤٧.

ومع أن هناك من المعاصرين من شكَّك في صحة نسبة هذه الرسالة إلى عمر رضي الله عنه، سنداً (من وجهة النظر الحديثية) ومتنًا[1]، إلا أن عدداً من المصادر[2] المعروفة ذكرتها.

ومما يُلحق بهذا النوع من المكاتبات كتابة الأقضية في ذلك العهد، فقد كتب أبان بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وهو باليمن كتابًا يحوي قضاء قضى به بين اثنين وبعث بهذا القضاء إلى عمر رضي الله عنه فأمضاه[3]. كذلك ما رواه محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: تزوج رَبَابُ[4] بن حذيفة بن سعيد بن سهم أمَّ وائل بنت مَعْمر الجُمَحيَّة، فولدت له ثلاثةً، فتوفيت أمهم، فورثها بنوها رباعًا وولاءَ مواليها. فخرج بهم عمرو بن العاص إلى الشام، فماتوا في طاعون عمواس، فورثهم عمرو، وكان عصبتهم، فلما رجع عمرو بن العاص، جاء بنو مَعْمر يخاصمونه - في ولاء أختهم - إلى عمر. فقال عمر: أقضي بينكم بما سمعتُ من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «ما أحرز الولدُ والوالدُ فهو لعصبته من كان» قال [وهذا هو الشاهد]: فقضى لنا به، وكتب لنا به كتابًا فيه شهادةُ عبد الرحمن بن عوف وزيد بن ثابت وآخر[5].

ويرى الباحث أن كتابة هذه القضايا والإشهاد عليها يُعدُّ أصلاً في نشأة دواوين القضاء التي ازدهرت فيما بعد.

---

(١) انظر: الدراسة التفصيلية التي تمت حول هذه الرسالة: محمد محمد حسن شُرَّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ص٦٥ - ٨٦.

(٢) أخرجها الدراقطني في سننه، ج٤، ص ٢٠٦-٢٠٧، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٣٠٢-٣٠٤، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٧٧٥-٧٧٦، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ١٣٣-١٣٤، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٧٩-٨٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص ٧٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ١٧٠.

(٤) في بعض المصادر: «رياب» أو «رئاب».

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفرائض، باب ميراث الولاء، ج٢، ص ٩١٣، رقم ٢٧٣٢. وانظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ٢٥٧-٢٥٨، والفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢٥٧، ٣٤٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٤٦٦-٤٦٧.

د - المكاتبات التشريعية المتعلقة بالدِّيات والحدود:

لقد كتب رسول الله ﷺ المعاقل (الديات)[١] في السنة الثانية من الهجرة، وعلقها بسيفه، حيث كتب على كلِّ بطن عقولهم[٢]، وكتب ﷺ بين المهاجرين والأنصار: «أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين»[٣]، وفي كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه الرسول ﷺ: «إن الرجل يُقتل بالمرأة»[٤]، وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه - أيضاً - مكاتبات تشريعية حول الدِّيَات والحدود، فعن الشعبي: أنَّ عمر رضي الله عنه كتب الدِّيَة على أهل الأمصار عشرة آلاف، وعلى أهل الإبل مئة بعير[٥]، ووجد «أن في كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: دية المسلم مئة من الإبل..»[٦].

(١) الدِّيَة: بَدَلُ النَّفْس. وجمعها: الدِّيَات، وقد ودَيْتُ المقتولَ: أي أديتُ ديتَهُ. انظر: النَّسفي، طُلْبة الطَّلَبَة: في الاصطلاحات الفقهية، ص ٢٩٥.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥١، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص ١١٣، رقم ٣٤٤٣، وقال المحقق: «إسناده صحيح». وانظر حول كتاب العقول (الدِّيات): ما أخرجه أحمد في مسنده، ج١١، ص ٥١٤، رقم ١٤٦٢١، ١٤٦٢٢، وما أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الحدود والديات وغيره، ج٣، ص ٩٥، وما أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٤، ص ١٦٠، رقم ٢٢٢٨، وما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب العقول، باب شبه العمد، ج٩، ص ٢٧٩، رقم ١٧٢٠١، وص ٢٨٣، رقم ١٧٢١٦، وباب كيف أمر الدِّية، ص ٢٩٦، رقم ١٧٢٧٢، وباب المأمومة، ص ٣١٦، رقم ١٧٣٦١، وباب منقِّلة الجسد، ص ٣١٨، رقم ١٧٣٦٧، وباب العين، ص ٣٢٦، رقم ١٧٤٠٨، وص ٣٢٨، رقم ١٧٤١٧، وباب الأنف، ص٣٣٨، رقم ١٧٤٥٧، وص ٣٣٩، رقم ١٧٤٦٤، وباب الأسنان، ص ٣٤٤، رقم ١٧٤٨٨، وباب اليد والرجل، ص ٣٨٠، رقم ١٧٦٧٩، وص ٣٨١، رقم ١٧٦٨٢، وباب الأصابع، ص ٣٨٣، رقم ١٧٦٩٤، ١٧٦٩٥، وص ٣٨٥، رقم ١٧٧٠٦، وباب عقوبة القاتل، ص٤٠٩، رقم ١٧٨١٢.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الدِّيات، باب القود بين الرجال والنساء، ج٢، ص ١٨٩-١٩٠.

(٥) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٧٥٧.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب العقول، باب أسنان دية الخطأ، ج٩، ص ٢٨٧، رقم ١٧٢٣٣. وانظر حول كتابات عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتعلقة بالدِّيَات والحدود: ما أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الدِّيَات والحدود، ج٣، ص ٢٠٢-٢٠٣، وما أخرجه عبد الرزاق=

هـ - المكاتبات التشريعية المتعلقة بغير المسلمين:

روى عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله في «مصنفه»: «كان في كتاب النبي ﷺ إلى أهل اليمن: ومن كره الإسلام من يهودي ونصراني فإنه لا يحوَّلُ عن دينه، وعليه الجزية على كل حالم، ذكرًا أو أنثى، حر وعبد، دينار أو من قيمة المعافر، أو عرضه»(١)، وكتب رسول الله ﷺ إلى مجوس هجر يدعوهم إلى الإسلام، فمن أسلم قُبلَ منه الحق، ومن أبى كتب عليه الجزية، وأن لا تؤكل لهم ذبيحة، وألاَّ تُنْكح لهم امرأة»(٢)، وكتب ﷺ للعلاء بن الحضرمي لما وجهه إلى البحرين: «سُنُّوا بالمجوس سُنَّة أهل الكتاب»(٣) وفي كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى شيءٌ من هذه الأحكام(٤)، وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابٌ مشهور في التعامل مع المجوس، وجهه إلى الأهواز، وكان قد كتبه قبل موته بسنة (أي: في سنة اثنتين وعشرين)(٥)، يروي نصه بُجالة بن عبدة أو عبد، فيقول: «كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عمِّ الأحنف(٦)، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: «فرِّقوا بين كلِّ ذي محرم من المجوس»(٧).

= في مصنفه، كتاب العقول، باب النفر يقتلون الرجل، ج٩، ص ٤٧٦، رقم ١٨٠٧٦، وباب كيف أمر الدِّيَة، ص ٢٩٦، رقم ١٧٢٧٢، وباب جائفة الأنف، ص ٣٤٠، رقم ١٧٤٧٠، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٧٣١، وج٣، ص ٨٤٧، وأبو يوسف، الخراج، ص ١٨٦.

(١) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، كتاب أهل الكتاب، باب الجزية، ج٦، ص ٩٠، رقم ١٠١٠٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابين، باب هل يقاتل أهل الشرك حتى يؤمنوا من غير أهل الكتاب؟ وتؤخذ منهم الجزية؟، ج١٠، ص ٣٢٦، رقم ١٩٢٥٦. وانظر مثل هذه المكاتبات: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب قود المسلم بالذميّ، ج١٠، ص ٩٨، رقم ١٨٥٠٢، وباب أخذ الجزية من المجوس، ج٦، ص٦٩-٧٠، رقم ١٠٠٢٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٨٨.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص ١٧٠.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ٢٦٠.

(٦) هو جزْء بن معاوية بن حصن بن عبادة التميمي السعدي، عمّ الأحنف بن قيس، وهو معدود في الصحابة، وكان عامل عمر على الأهواز. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ٢٦٠.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمّة=

وهناك الكثير من المكاتبات التشريعية المتعلقة بالمعاملات المالية[1] والأحوال الشخصية[2]، وما يتعلق بالحلال والحرام من المأكل والمشرب[3].

تدوين علم الفقه:

لقد أسهمت تلك المكاتبات التشريعية المتعلقة بشؤون الدين والحياة من عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصية.. إلخ في ظهور المصنفات الفقهية، ومن أوائل هذه المصنفات في تلك الآونة كتاب زيد بن ثابت رضي الله عنه (ت٤٥هـ) في الفرائض حيث قال جعفر بن بُرْقان: «سمعتُ الزهري يقول: لو أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيتُ أنها ستذهب من الناس»[4]، وفي هذا القول إشارة إلى أنه أول من صنف كتابًا في علم الفرائض ـ كما روى عنه ابنه ـ خارجة بن زيد بن ثابت، وهو من مرويات ابن خير الإشبيلي، قال ابن خير: «كتاب الفرائض لزيد بن

= والحرب، ج٦، ص ٢٥٧، رقم ٣١٥٦، وانظر أيضاً حول نص هذا الكتاب: ما أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب زكاة الفطر، باب في جزية المجوس، وما روي في أحكامهم، ج٢، ص ١٥٤- ١٥٥، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١٣٠.

(١) انظر حول هذا النوع من المكاتبات التشريعية: ما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص ١٩٠، رقم ١١٥١٩، وما أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٢، ص ١٥ - ١٧، رقم ٦٤٤، وابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٤١١، وج٦، ص ٤٣٢.

(٢) انظر حول هذا النوع من المكاتبات التشريعية: ما أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب النكاح، باب المهر، ج٣، ص ٢٦٧، وكتاب الفرائض، ج٤، ص ٩٥، وما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المواهب، باب الهبات، ج٩، ص ١٠٦، رقم ١٦٥٢٤، وكتاب الصدقة، باب ما ينال الرجل من مال ابنه وما يجبر عليه من النفقة، ج٩، ص ١٢٩، رقم ١٦٦٢٢، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٣٩٠.

(٣) انظر حول هذا النوع من المكاتبات التشريعية: البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص١٨٤، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٥١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٢٣٦، وج٢، ص ٣٥٧، وج٦، ص ٥٥٥.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥، ص ٤٤٨، وج ١٩، ص ٣٢٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٣٦.

ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حدثني به أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر رحمه الله، عن أبي علي الغسّاني عن... عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[١]، وقد روى عنه قبيصة الفرائض[٢]، ولا تزال مقدمة هذا الكتاب محفوظة في «المعجم الكبير» للطبراني[٣].

وقد أخرج البيهقي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال: أخذ أبو الزناد هذه الرسالة من خارجة بن زيد بن ثابت ومن كبراء آل زيد بن ثابت: «بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زيد بن ثابت، فذكر الرسالة بطولها وفيها...»[٤]، ثم ذكر شأن الجد والأخوة وما يتعلق بهم في الميراث.

وفي علم الفرائض أُلّفت أيضاً «الفريضة الأكْدريّة»[٥] نسبة إلى كاتبها الأكدر ابن حُمام بن عامر اللّخمي[٦]، وفي سبب تسميتها بهذا الاسم خَبَرَان:

أولهما: أن الأعمش سُئل لم سُميت «الفريضة الأكْدريّة»؟، قال: طرحها عبد الملك ابن مروان على رجلٍ يُقال له الأكْدر كان ينظر في الفرائض. فأخطأ فيها.

ثانيها: قول وكيع: «وكُنّا نسمع قبل ذلك أن قول زيد بن ثابت تَكَدَّر فيها».

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ معلقاً على الخبر الأول ـ: «قلت: إن كان قول الأعمش محفوظاً فلعل عبد الملك طرحها على الأكْدر قديماً، وعبد الملك يطلب العلم في المدينة، وإلا فالأكْدر هذا ـ كما تقدم ـ قُتِلَ قبل أن يلي عبد الملك الخلافة»[٧].

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي، ج١، ص ٣٣٠.

(٢) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ٢، ص ٦٦، رقم ١٥٦٥.

(٣) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج ١، ص ١٠٩.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص ٢٤٧.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٥٣.

(٦) له إدراك، وكان علوياً، وكان ذا فضل وفقه في الدين، وجالس الصحابة، وروى عنهم، وكان ممن سار إلى عثمان، له أخبار مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قتل زمن حصار مروان بن الحكم لأهل مصر. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٥٤.

وقد ألف الشعبي كتاباً في الفرائض، فقد روى أبو الحصين: «لم يوجد للشعبي كتاباً بعد موته إلا الفرائض والجراحات»[١].

وكان لجابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه (ت٧٨هـ) منسكًا صغيرًا في الحج أخرجه مسلم[٢]، وقد عدّ محمد مصطفى الأعظمي أبا عبدالله رضي الله عنه من المؤلّفين الأوائل[٣]، وقد طُبع هذا المنسك مفردًا بعنوان «حجة النبي ﷺ كما رواها جابر رضي الله عنه»، جمعها مفردةً بطرقها ورواياتها العلامة الألباني[٤].

وهناك كتب أخرى ألفها عروة بن الزبير بن العوام[٥]، فقد روى معمر عن هشام ابن عروة (بن الزبير بن العوام)، قال: «أحرق أبي يوم الحرَّة[٦] كتب فقه كانت له، قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحبَّ إليَّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[٧]، ويبدو أن تأليفه في كتبه هذه كان منهجيًا مرتبًا على الأبواب الفقهية، وذلك يتضح من طريق تدريسه لأولاده «...قال هشام: كان أبي يدعوني، وعبد الله بن عروة وعثمان وإسماعيل إخوتي، ويقول: لا تغشوني مع الناس إذا خلوتُ فاسألوني وكان يحدثنا، ويأخذ في الطلاق، ثم الخلع، ثم الحج، ثم الهدي...ثم كذا»[٨].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٥، ص ٣٦٣.

(٢) انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٤٣.

(٣) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص١٠٤.

(٤) انظر: بكر عبد الله أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص١١١، ومحمد ناصر الدين الألباني، حجة النبي ﷺ، كما رواها عنه جابر رضي الله عنه، ص١٦٤.

(٥) ٢٢هـ - ٩٣ هـ.

(٦) كان يوم الحرَّة في سنة ٦٣هـ. انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٣٥٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٧٩، وأخرج هذا الخبر عبد الرزاق في مصنفه، باب قول: تعس الشيطان وتحريق الكتب، ج١١، ص ٤٢٥، رقم ٢٠٩٠٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٠، ص ٢٥٨، وفؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٢، ص ٧٠-٧١.

(٨) البَسَوي، المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ٥٥١.

ونجد أن نفس هذا التأليف المنهجي المرتب على الأبواب الفقهية كان عند أبي العالية رُفيع بن مهران الرياحي، فقد أخبر أبو خَلْدة، قال: «قلتُ لأبي العالية: أعطني بعض كتبك، قال: ما كتبتُ شيئًا، ولو كنتُ كتبتُ شيئاً لأعطيتك وأكرمتك، إنما كتبتُ ثلاثة أشياء: تحية الصلاة، وأبواب الطلاق، ومناسك الحج»(١)، وفي رواية لابن عساكر - رحمه الله - عن خالد بن دينار أبو خلدة، وهو المذكور آنفًا(٢)، قال: «قلت لأبي العالية: أعطني كتابك، قال: ما كتبتُ إلا باب الصلاة، وباب الجنة»(٣).

وفي القضاء، فقد كان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كتابًا طويلاً في القضاء، حيث قال ابن أبي مُليكة: «كتبتُ إلى ابن عباس رضي الله عنهما أسأله أن يكتب لي كتابًا ويُخفي عنِّي...، قال: فدعا بقضاء عليٍّ رضي الله عنه فجعل يكتبُ منهُ أشياء»(٤).

وقبل أن يختم الباحث هذا الفصل يجدر به أن يذكر ما قاله العلامة ابن المنير حول تدوين الفقه في العهد الراشدي، فقد استنبط - رحمه الله - استنباطًا فريدًا من إحدى روايات حديث(٥) صحيفة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه المشهور، يؤكد فيه وجود مثل هذه المصنفات أو المدونات الفقهية في ذلك العهد، ونصُّ حديث علي رضي الله عنه، بعد أن سألهُ أبو جحيفة: «هل عندكم كتاب؟» فقال عليٌّ رضي الله عنه: «لا، إلا

---

(١) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ٣، ص ٤٤١، رقم ٥٨٧٥.

(٢) هو خالد بن دينار التميمي السعدي، أبو خَلْدة البصري الخياط، روى عن: أنس، والحسن، وابن سيرين، وأبي العالية، وغيرهم. مات سنة ١٥٢هـ. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٥٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص ١٧٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، ج١، ص ٣٩-٤٠، رقم ٢٢.

(٥) هذه الرواية، أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٢٠٤، رقم ١١١.

كتاب الله، أو فهمٌ أُعطيه رجلٌ مسلم، أو ما في هذه الصحيفة»، قال ابن المنيِّر معلقًا ومستنبطًا: «فيه دليل على أنهُ كان عنده أشياء مكتوبة من الفقه المُستنبط من كتاب الله، وهي المراد بقوله: «[أو فهمٌ أعطيه رجلٌ مسلم] لأنه ذكره بالرفع، فلو كان الاستثناء من غير الجنس لكان منصوبًا»[1]، وبنحو هذا الكلام تكلم البدر الدماميني في «المصباح»[2].

ومن هذا الفصل يتضح لنا أثر العامل التشريعي في الكتابة الخطية في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، سواء أكان ذلك الأثر ظاهرًا في الحاجة الشديدة للكتابة الخطية في التطبيق العملي لبعض الأحكام التشريعية، أم من خلال حفظ تلك الأحكام وتفريعاتها عن طريق الكتابة والتدوين.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٢٠٤.

(٢) انظر: الكتاني، نظام الحكومة المسمّى التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢٥٨.

الفصل الرابع:
العامل الحضاري

لا تستطيع أمةٌ من الأمم أن تعيش بمعزل عن حضارات الأمم الأخرى، بل لابدَّ لها من أنْ تتأثر بها سلْبًا أو إيجابًا في كثير من شُؤون حياتها الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية.. ويتأكد هذا التفاعل ويجد طريقه إلى البروز والظهور في الأمم الغابرة ذات النشاط التجاري المتميز؛ وذلك لاعتماد هذا النشاط على الاحتكاك المقصود المباشر وغير المباشر بالآخر، عن طريق الرحلات التجارية والأسواق العامَّة، وهذا السبب هو الذي جعل حاضرة مكة وبعض حواضر القبائل العربية مجتمعات حضارية «فلقد كان مجتمع مكة قبل الإسلام أقربَ إلى الحضارة منه إلى البداوة؛ لأنه كان مجتمعًا تجاريًا يُضطر التُّجَّار فيه إلى كثرة الأسْفَار والاختلاط بالأمم الأخرى، فَيَقْتَبسُون من سفرهم واختلاطهم ثقافةً، وعلمًا، وحضارةً، ومَدَنيّةً»(١).

ولولا شيوع النشاط التجاري وذيوعه في مجتمع مكة، وأهميته بالنسبة لأهلها، لما امْتَنَّ الله جلَّ في علاه على قُريش بحفظه لها في رحلتيها التجاريتين المشهورتين؛ رحلة الشتاء والصيف، فقال سبحانه: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾(٢)، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «قيل المراد بذلك ما كانوا يألفُونه من الرِّحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم..»(٣).

وسواء أكان معنى كلمة «الإيلاف» من الأُلفَة والاعتياد(٤)، أم منْ وَصْل الشَّيء

---

(١) محمود شيت خَطَّاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص ٢٤٧.

(٢) سورة قريش، الآيتان ١-٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٥٥٣.

(٤) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص ٦٠٦.

بعضه ببعضٍ، أم من التَّهْيئة والتَّجهيز؟ فإن جميع المعاني التي ذُكرت في شرح هذه الكلمة[١] تؤكد على مدى الارتباط الوثيق والعلاقة الحميمة بين قبيلة قريش ورحلتي الشِّتَاء والصَّيف[٢].

ويُصوِّرُ حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣] أدق تصوير ظهور أهمية هاتين الرحلتين بصفة خاصَّة، وطبيعة النشاط التجاري في إقليم الحجاز بصفة عامة في معرض حديثه عن نشاطه التجاري فيقول: «كنتُ أعالجُ البَزَّ[٤] والبُرَّ[٥] في الجاهلية، وكنتُ رجلاً تاجرًا أخرجُ إلى اليمن وإلى الشام في الرِّحلتين، فكنتُ أربحُ أرباحًا كثيرة، فإذا ربحتُ عُدتُ على فقراء قومي ونحنُ لا نعبُدُ شيئًا، أريدُ بذلك ثراءَ الأموال والمحبة في العشيرة، وكنتُ أحضر الأسواق، وكانت لنا ثلاثة أسواق: سوق عكاظ[٦] يقوم صبيح ليلة هلال ذي القعدة عشرين يومًا ويحضرها العرب، وبها ابتعتُ زيد بن حارثة لعمتي خديجة بنت خويلد، وهو يومئذ غلام فأخذتهُ

---

(١) انظر حول هذه المعاني: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ١٠، مادة: «ألف».

(٢) وانظر حول رحلات بعض أعيان العرب في الجاهلية: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٥-٧٦، والأزرقي، تاريخ مكة، ج٢، ص ١١١، وابن قتيبة، المعارف، ص ١٩١، والأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ٢٢٩-٢٣١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص ٣٣٣.

(٣) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو خالد القرشيُّ، الأسدي، أسلم يوم الفتح وحَسُنَ إسلامه، وغزا حنينًا والطائف، وكان من أشراف قريش، وعُقلائها، ونبلائها. وكانت خديجة عمته، وكان الزبير ابن عمِّه. عاش ستين سنة في الجاهلية، وبضعٍ وأربعين سنة في الإسلام، مات سنة أربع وخمسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص٨٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٤-٥١.

(٤) البَزُّ: الثياب، وقيل: ضربٌ من الثياب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٣٣١، مادة «بَزَزَ».

(٥) البُرُّ: الحنْطة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٥٥، مادة: «برر».

(٦) سوق عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كلِّ سنة، وهو نخلٌ في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٤٢.

بستمئة درهم، فلما تزوج رسولُ الله ﷺ خديجة سألها زيداً فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ، وبها ابتعتُ حُلّة ذي يزن فَكَسَوْتُها رسول الله ﷺ، فما رأيتُ أحداً قط أجمل ولا أحسن من رسول الله ﷺ في تلك الحُلَّة...

قال: وكان سوق مجَنَّة(١) يقوم عشرة أيام، حتى إذا رأينا هلال ذي الحجة أنصرفنا إلى سوق ذي المَجَاز(٢)، فنقوم ثمانية أيام..»(٣).

فمن مفردات هذا الوصف الدقيق يتأكد لدى كلِّ ذي فَهْم ثاقب، وعقل لازب سَرَيان روح النشاط التجاري في قبيلة قريش خاصة والقبائل العربية بصفة عامة.

والأسواق الثلاثة التي ذكرها حكيم رضي الله عنه إنَّما يعني بها الأسواق المحلية الكبرى، وإلاّ فهناك أسواق أخرى يحرص رجالات العرب على حضورها والمتاجرة فيها، مثل: سوق حُبَاشة(٤) الذي تاجر فيه أبو سفيان رضي الله عنه - قبل إسلامه - في عام الحديبية(٥). وسوق الحيرة في شمال الجزيرة، وهو سوق سنوي يجتمع إليه الناس، وقد تاجر فيه الحكم بن العاص رضي الله عنه في الجاهلية(٦). وسوق ثالث، يُدعى: سوق بُصْرى(٧)،

(١) مجَنَّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، ومكانه بمَرِّ الظهران قرب جبل يقال له: الأصغر، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٨-٥٩.

(٢) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج١، ص ٢٢٥-٢٢٨. وانظر حول البيع والشراء في موسم الحج في سوق ذي المَجَاز: ما أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الكري، ج٥، ص ١٢١-١٢٢، رقم ١٧٣١.

(٤) حُبَاشة: أصل الحباشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة، و«حبشتُ له حباشة» أي: جمعتُ له شيئاً. وحُبَاشة: سوق من أسواق العرب في الجاهلية يُعقد بتهامة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢١٠-٢١١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج١، ص ١٠٦.

(٦) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ٣٦٩.

(٧) بُصرى: في موضعين: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، والأخرى: من قرى بغداد قرب عُكْبَرَاء. والمقصود هنا - والله أعلم - بُصرى الشام؛ لأن خبر هذا السوق جاء=

تَاجرَ فيه طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بُعَيد بعثة النبي ﷺ[١].

ولم تَتَعَطَّلْ بعض هذه الأسواق التجاريَّة بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم[٢]، ولم تتوقف كذلك الرحلات التجارية من قبل المشركين والمسلمين على حدٍّ سواء، وشاهد ذلك ما كان سببًا في حدوث غزوة بدر الكبرى، وهو أنَّ «رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مُقْبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال قريش، وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون.. فندب ﷺ المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لَعَلَّ الله يُنْفلْكُموها»[٣].

وعلى الجانب الإسلامي، فقد كانت رحلات أصحاب النبي ﷺ مستمرة، فقد كان طَلْحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنهما بالشَّام يوم غزوة بدر، فَضَرَبَ لهما رسول الله ﷺ بسهميهما وأَجْرَيهما[٤]. وقد كان سبب سرية زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التي بعثها الرسول ﷺ في سنة ست من الهجرة هو خروج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لَقيهُ أناسٌ من فَزَارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم[٥]، فلما عاد إلى النبي ما كان منه ﷺ إلا أن بعثه في سرية إليهم. وفي ترجمة سويبط بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ذكر ابن قتيبة - رحمه الله - رحلة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تجارة له إلى «بُصْرى» في عهد الرسول ﷺ، ومعه سُوَيْط بن سعد ونُعَيْمان رضي الله عنهما[٦].

= قبيل بعثة النبي ﷺ، وهي مشهورة عند العرب قديمًا وحديثًا، وذكرها كثير في أشعارهم. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٤١.

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢١٥.

(٢) وشاهد ذلك فيما أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الكري، ج٥، ص ١٢١-١٢٢، رقم ١٧٣١.

(٣) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٣٥.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٥٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٩٠.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٢٨.

وعلى الجانب الأممي (نسبة إلى الأمم)، فقد كان من المألوف في عهد الرسول ﷺ أنْ يأتي أنباط الشَّام إلى المدينة لمزاولة البيع والشراء مع أهلها، وهذا ظاهرٌ في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه (أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك)، قال في معرض روايته لقصة تخلفه وتوبة المولى عز وجل عليه: « ... إذا نَبَطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قَدمَ بطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يَدُلني على كعب بن مالك ؟... »[1].

بل رُويَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل السوق في عهد خلافته، فلم يَرَ - في الغالب - إلا النَّبَط[2].

وتَكْشف « اللطائم »[3] مدى أهمية النشاط التجاري في تقوية أواصر التواصل الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم، فقد كان كسرى[4] والنعمان بن المنذر[5]

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص ١٩٩-٢٠٤، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٣٦٨، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٦٥٦، وتفاصيل هذه القصة أخرجها البخاري - أيضاً - في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك...، ج٨، ص ١١٣-١١٤، رقم ٤٤١٨.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٠. ومما يدل على كثرة قدوم تجار الأمم الأخرى إلى مكة في الجاهلية، أن أهل مكة « كانوا يُعشِّرون من دخلها من تُجار الروم، كما كانت الروم تُعشِّر من دخل منهم بلادها ». وفي هذا الاتفاق الضمني لهذا التنظيم المالي مع الأمم الأخرى مظهر حضاري يضاف إلى المظاهر الأخرى. انظر: الأزرقي، تاريخ مكة، ج١، ص ١٦٠.

(٣) اللطائم: جمع « لطيمة »، وهي الجمال تحمل العطرَ والبَزَّ (الثياب) غير الميرة (الطعام)، وقيل: كُلُّ سوق يُجْلَب إليها غيرُ ما يؤكل من حُرِّ الطيب، والمتاع غير الميرة، والميرة ما يُؤْكل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٥٤٣، مادة: « لطم ».

(٤) انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٢، ص ١٠٧.

(٥) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٦٢، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٢٦. والنعمان بن المنذر هو النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، ملك الحيرة إرْثًا عن أبيه، وكانت تابعة للفرس توفي نحو ١٥ ق. هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص ٤٣.

يبعثون إلى أسواق العرب بهذه اللطائم، فتُباع ويشترى لهم بثمنها الأُدْم[1]، والحرير، والوكَاء[2]، والحذاء، والبرود من العَصْب[3]، والوشي[4]، والـمُسَيَّر[5]، والعَدَنيّ، وغيرها من المنتجات.

وتَظهر لنا العلاقة بين النشاط التجاري والتفاعل الحضاري، وكون الأول سببًا للثاني، فيما ذكره ابن الأعرابي حول كلمة «إيلاف» حيث قال: «أصحاب الإيلاف (أي من قريش) أربعة أخوة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف، وكانوا يُؤَلِّفون الجوارَ، يُتبعون بعضه بعضاً، يجيرون قريشًا بميرهم، وكانوا يُسمَّون: المجيرين. فأمّا هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حمير. قال: فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الأخوة فلا يُتعرَّض لهم»[6].

وتَظهر لنا هذه العلاقة ـ أيضًا ـ فيما يُذكر في مصادر الأدب والتاريخ الجاهلي وعصر صدر الإسلام من المنتجات والصناعات المختلفة المنسوبة لبلادها، مثل:

---

(١) الأُدْم: جمع أديم، وهو: الجلد ما كان، وقيل: الأحمر، وقيل: هو المدبوغ... . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٩-١٠، مادة «أدم». وانظر للاستزادة: مبحث «الجلد وأنواعه» من هذه الرسالة.

(٢) الوكَاء: كلُّ سير أو خيط يُشدُّ به السِّقاء أو الوعاء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٤٠٥، مادة: «وكى».

(٣) العَصْبُ: ضَرْب من بُرود اليمن؛ سُمِّي عَصْبًا لأن غَزْلَهُ يُعْصَب (أي يدرج)، ثم يصبغ، ثم يحاك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٦٠٤، مادة: «عصب».

(٤) الوشيّ: نوع من الثياب معروف، وهو يكون من كل لون. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ٣٩٢، مادة: «وشى».

(٥) ثوبٌ مُسيَّر: أي مخطط وموشى. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٣٩٠، مادة: «سير».

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص ١٠.

القميص القوهي(١)، والعود المندلي(٢)، والأثواب والبرود اليمانية(٣)، والعطور اليمانية(٤)، والبرد العدني(٥)، والقبطية(٦)، وغيرها من المنتجات.

وتُسْفر لنا بعض الأحداث التاريخية في ذلك العهد عن حدوث نقلة حضارية للمسلمين في العصر النبوي والراشدي، نتيجة الاتصال بالأمم الأخرى والاستئناس إلى التفاعل معها والاقتباس منها، وهذا ما تبينه الروايات التي تخبر باقتباس المسلمين لبعض المنتجات والصناعات الحضارية، فقد رُوي عن تميم الداري رضي الله عنه أنه قال للنبي لما شَقَّ عليه ﷺ القيام في خطبة الجمعة: «ألا أعمل لك منبراً كما رأيتُ يُصنع بالشَّام؟»، فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذه(٧). وذكرت المصادر(٨)

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٥٧، وانظر ما جاء في كتاب الأغاني من شعر عبد بني الحسحاس (ت٤٠هـ) وكان أسود اللون:

وما ضَرَّ أثوابي سوادي وإنني   لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقهُ

كُسيتُ قميصًا ذا سواد وتحته   قميصٌ من القوهيّ بيضٌ بنائقه

انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٣٠٦، والقوهي: نسبة إلى قوهستان، والموضع المشهور بهذا الاسم هو سلسلة الجبال الممتدة بين هراة ونيسابور. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤١٦.

(٢) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص ٣٩. والمندلي: المنسوب إلى «مندل» وهي بلد بالهند. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٩.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٨٢، وج٣، ص ٥٨.

(٤) المصدر السابق، ج٨، ص ٣٠٠.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤١.

(٦) في حديث أسامة «كساني رسول الله ﷺ قُبطيَّة» وهي: الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء، وكأنه منسوب إلى القبط، وهم أهل مصر. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ٦-٧. وقد ذُكرت في الأحاديث والآثار غير ما مرة.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٥٠، وابن النجار، الدُّرَّة الثمينة، ص ١٢٩، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٧٩، والعبّاسي، عمدة الأخبار، ص ١٣٣، وابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص ٣٩٨.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٢٨، ٢٨١، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ١٠٨، وابن قتيبة، المعارف، ص ٥٥٥، وابن رُسْته، الأَعْلاق النفيسة، ص١٩٣.

أنّ أول من أشار بالنَّعش نعش المرأة أسماء بنت عميس رضي الله عنها، حين جاءت من أرض الحبشة[1] حيث رأت النصارى يصنعونه هناك، كما أنها هي التي أشارت بعلاج الرسول في مرض وفاته بطبٍّ أصابته في أرض الحبشة[2].

يظهر ذلك التفاعل والاقتباس أيضًا ـ قبيل البعثة النبوية ومواكبًا لها ـ في «وجود المصطلحات الأرامية والفارسية والنبطية في لغة زراعة يثرب، حيث كانوا يَسْتَعينون بالرقيق المُسْتَوْرد في الجاهلية من العراق وبلاد الشام في زراعة الأرض، ومن أمثلة هذه الألفاظ «الخِربِز» وهو البطيخ، وفي حديث لأنس رضي الله عنه جاء فيه: «رأيتُ رسول الله ﷺ يجمع بين الرُّطب والخربز[3]. قالوا: هو البطيخ بالفارسية»[4]. وعلى أكتاف الرقيق نشطت الزراعة، فقد ذكر ياقوت الحموي أنَّ يثرب «في حَرّة سَبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه، ونخيلهم وزروعهم تُسْقَى من الآبار عليها العبيد»[5].

وفي قصة مَسير رسول الله ﷺ إلى الطائف ودعوته أهلها ما يشير إلى ذلك، حيث لَقيَ ﷺ من ثقيف ما لقي حين أغرو به سفهاءهم وعبيدهم، يَسُبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس فلجأ إلى حائط لِعُتْبَة وشَيْبَة ابني ربيعة بن

---

(١) كانت هناك روابط سياسية وتجارية وودية تربط الحبشة بالحجاز في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، انظر للاطلاع عليها والاستزادة منها: غيثان علي جريس، تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٨، رجب ١٤١٣هـ، ص ٤١٢-٤٢٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في فاكهة رسول الله ﷺ، ج١٠، ص ٤٥٣، رقم ١٩٨.

(٤) الخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٣٧، ومحمد محمود محمدين، الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ج٢، ص٣٢٠، ومصطفى أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها، في الشعر الجاهلي، ص١٢٢-١٢٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٨٢.

عبد شمس[١]، وهما فيه، فعمد ﷺ إلى ظلِّ حُبْلة[٢] من عنَب، فلما رآهُ ابنا ربيعة: عُتْبة وشَيْبَة، وما لقي تَحرَّكتْ له رَحمُهُما، فَدَعَوا غلامًا لهما نصرانيًا يُقال له «عَدّاس»[٣]... وكَانَ مَا كَان منْهُ مع رسول الله ﷺ، فربما يكون «عَدَّاس» مزارعًا استعان به وَلَدَا ربيعة[٤].

ولم يكن استِقدام الرقيق من الأمم الأخرى قاصراً على مهنة الزراعة فقط، بل قد تعدَّاها إلى بقية المهن والحرف والصناعات الأخرى، وهذا ما كان مع أبي لؤلؤة المجوسي[٥]، فقد كتب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وهو على الكوفة إلى عمر رضي الله عنه يَذْكُرُ غلامًا صَنعًا عنده، ويستأذنه أنْ يُدْخلَهُ المدينة، ويقول: أنّ عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، أنَّه حَدّاد، نقَّاش، نَجّار[٦]. وقول المغيرة هذا يدلُّ دلالة واضحة على الاتّساع الكبير ـ عند الصحابة ـ لدائرة الاقتباسات الحضارية من الأمم الأخرى،

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدراً مع المشركين، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه. وأخوه: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس: من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام وقتل على الوثنية في غزوة بدر. انظر: الزِّركلي، الأعلام ج٤، ص ٢٠٠، وج٣، ص ١٨١.

(٢) حُبْلة: كذا في تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون، وفي اللسان الحَبلة والحبلة: الكرم، وقيل: الأصل من أصول الكرم، وقيل: القضيب من شجر الأعناب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١٣٨، مادة: «حَبَلَ».

(٣) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٩٧-٩٨، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٥٤، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص ٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٣٨٥-٣٨٦. و«عدّاس» هو: من أهل نينوى: قرية من قرى الموصل، كان نصرانيًا.

(٤) محمد محمود محمدين، الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ج٢، ص ٣٢٠.

(٥) قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٤٥، والمسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٥٢.

لتشمل كل ما ينفع الناس شريطة ألاَّ تتعارض مع أحكام الإسلام. وفي رواية البخاري[١] ـ رحمه الله ـ لقصة صُنْع منبر رسول الله ﷺ: أنَّ صانعَهُ كان غلامًا لامرأةٍ من الأنصار، اسْمُه ـ على الأرجح ـ «ميمون»[٢]، وتذكر بعض المصادر أنه غلام رومي[٣].

ولم يكن لهؤلاء الحِرفيِّين أن يصلُوا إلى الحجاز في معظم الأحوال إلا عن طريق تجارة الرقيق، التي تتم في العادة من خلال الرحلات التجارية، ومن ثمَّ أصبح هؤلاء المُسْتقدمون منفذاً من المنافذ التي عَبَرَت من خلالها مؤثرات أممهم الحضارية للحجاز والجزيرة العربية.

ولم يكتف عرب الحجاز باستقدام الرقيق للاستفادة من حرفهم وصناعاتهم، بل كانوا يبعثون أناساً منهم إلى الأمم الأخرى لتعلم بعض الصناعات، ومنها الصناعات العسكرية، وذلك ظاهرٌ فيما ذكره ابن سعد ـ رحمه الله ـ حول وفد ثقيف حيث قال: «لم يحضر عروة بن مسعود[٤] ولا غيلان بن سلمة[٥] حصار الطائف [أي

---

(١) في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الاستعانة بالنجار والصناع في أعواد المنبر والمسجد، ج٢، ص٥٤٣، رقم ٤٤٨، وكتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر..، ج٢، ص ٣٩٧، رقم ٩١٧، وكتاب البيوع، ج٤، ص ٣١٩، رقم ٢٠٩٤، ٢٠٩٥.

(٢) رجّح ذلك ابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص ٣٩٩.

(٣) وقع عند الترمذي وابن خزيمة وصححاه من طريق عكرمة بن عمار عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس: «كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة فيُسْند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب، فجاء إليه رومي، فقال: ألا أصنع لك منبراً» الحديث. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٢، ص٣٩٩.

(٤) هو عُرْوة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، أبو مسعود، صحابي مشهور، كان كبيراً في قومه بالطائف، ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال له: إنهم قاتلوك. فقال: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم، فأذن لهُ. فرجع فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماهم أحدهم بسهم فقتله، وكان استشهاده في العام التاسع من الهجرة. انظر: ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٤، ص ٣٠، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٢٧.

(٥) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، وهو أحد وجوه ثقيف=

حصار رسول الله ﷺ للطائف]، كانا بجُرَش[1] يتعلمان صَنْعة العرّادات[2] والمنجنيق[3] والدّبابات[4]، فَقَدما وقد انصرفَ الرسولﷺ عن الطائف...»[5]، وكما هو معروف أنّ الفرس كانوا في تلك الآونة يحكمون اليمن، وبذلك تكون حضارة الفرس العسكرية قد نُقلت - في بعض جوانبها - إلى الحجاز عن طريق البعثات والرحلات العربية، ولا شك في أنَّ المسلمين قد استفادوا من علْم غيلان ابن سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد عَوْدَته ودُخُوله في الإسلام[6].

وما استعراض الباحث لمثل هذه الشواهد والقرائن إلا ليؤكد على أمر يَخْلُصُ منه إلى ثان، فالأمر الأول هو: شيوع الاقتباسات الحضارية من الأمم الأخرى في كثير من المجالات الحياتية لدى عرب الحجاز، سواء أكانت تلك الاقتباسات في الجاهلية أم في صدر الإسلام، وذلك عن طريق النشاط التجاري المتغلغل - كما رأينا - في

= ومقدَّميهم، وهو ممن وفد على كسرى، وأعجب كسرى بكلامه، كان شاعراً محسناً، توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(١) جُرَش: بالضم ثم الفتح، وشين معجمة: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وقيل: إنَّ جُرَش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، وينسب إليها الأَدم والنوق، فيقال: أَدَم جُرَشي، وناقة جرشية، وفتحت جُرَش في حياة النبي ﷺ في سنة عشر للهجرة صلحًا على الفيء، وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦. قال الباحث: وهذه غير جَرَش التي في بلاد الشام.

(٢) العرَّادات: جمع عَرَّادة وهي: شبه المنجنيق صغيرة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٨٨، مادة: عَرَدَ.

(٣) المنجنيق: بكسر الميم وفتحها، مُعرب، وهي: آلةٌ لرمي الحجارة. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص ٤٣٧، والخفاجي، شفاء الغليل، ص ٢٧٥.

(٤) الدَّبابات: جمع دَبَّابة، وهي: آلة تتخذُ من جلود وخشب تتخذ للحروب، يدخل فيها الرجال ثم تدفع في أصل الحصين، فينقبون وهم في جوفها، سُميتْ بذلك لأنها تدفع فَتدب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٣٧١، مادة: «دَبَبَ».

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣١٢.

(٦) لم يذكر الباحث عروة بن مسعود؛ لأنه قُتل بعد إسلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مباشرة.

حياتهم الاقتصادية[١].. وهذا بدوره يقودنا إلى الأمر الثاني وهو: بما أنَّ الكتابة وصناعتها «ظاهرة إنسانية ومَعْلَمٌ من مَعَالم الحضارة العالمية التي حَاوَلَها الإنسان من بين محاولاته للتعبير عن مُراده»[٢]، فمثلها مثل باقي المظاهر الحضارية والصِّناعات الإنسانية التي تقتبسها الأمم من بعضها البعض وتتناقلها فيما بينها.

ولكنّ السُّؤال الذي يفرض نفسه الآن: أين ظهر تأثير العامل الحضاري في صناعة الكتابة في ذلك العهد؟.

تأثير العامل الحضاري على صناعة الكتابة والكتاب في الجاهلية والعهد النبوي والعهد الراشدي:

يَكْمُنُ تأثير العامل الحضاري في صناعة الكتابة والكتاب في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين في ثلاثة أمور:

أولاً: في نشأة الخط العربي ومراحل تطوره.

ثانيًا: في العلاقة بين العرب والفرس.

ثالثًا: في العلاقة بين عرب الحجاز وأهل الكتاب.

---

(١) قد يقول قائل: أن مثل هذا الأمر من الأمور المعروفة بداهةً ومن المسلمات والأمور الثابتة التي لا تحتاج إلى دلائل أو براهين، والباحث بدوره يُحيل هذا القائل إلى ما قاله العلامة ابن خلدون رحمه الله عن الصحابة وأهل فجر الإسلام في معرض حديثه عن رسم المصحف العثماني: بأنهم أهل بداوة وتوحش وبعد عن الصنائع، حيث قال ما نصه: «... فكان الخطُّ العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والاتقان والإجادة ولا إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع...». انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٤١٩.

ويُحيله ـ أيضاً ـ إلى ما قاله أحد الباحثين المعاصرين عن أحد الدوافع التي كانت وراء دراسته للعلاقة بين العرب والفرس، حيث قال ما نصه: «... كما نرى بعض الواهمين المتسرعين الذي لا يتوقفون ولا يتثبتون، يزعمون أن عرب الجاهلية عاشوا بمعزل عن العالم الخارجي، وأنهم لم يؤثروا فيه ولم يتأثروا به، ولم يختلطوا بغيرهم من الأمم المجاورة...». انظر: محمد مصطفى أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ص ٧.

(٢) عبد العزيز الدالي، الخطاطة، الكتابة العربية، ص ١٥ (بتصرف).

أولاً: في نشأة الخط العربي وتطوره:

يَظْهَرُ تأثير العامل الحضاري في جميع الآراء القديمة المذكورة في المصادر العربية حول نشأة الخط العربي، باستثناء الرأي القديم الذي عرف بنظرية «التوقيف»[1]،

---

(١) هذا الرأي «مثله الأقدم ومنظّره الفاعل» ـ كما وصفه ياسين الأيوبي ـ هو أحمد بن فارس، أحد أئمة اللغة والأدب حيث قال ما نصه: «... والذي نقول فيه: أن الخط توقيف، وذلك لظاهر قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ١-٥]، وقال جل ثناؤه: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم: ١]، وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب، فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فشيء لا تعلمُ صحته إلا من خبر صحيح». انظر: الصاحبي، ص١٠-١١. وانظر: ياسين الأيوبي، نشأة الكتابة العربية، وتطور تدوين حروفها، الموقف الأدبي، ع ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، شباط وآذار ومارس ١٩٩٢م، ص٢٣.

ومن الروايات التاريخية القديمة لهذا الرأي، ما روي عن كعب الأحبار أنه قال: «أول من كتب العبري، والسرياني، وسائر الكتب آدم ﷺ، قبل موته بثلاث مئة سنة، كتبها في طين ثم طبخه، فلما أغرق الله عز وجل الأرض أيام نوح بقي ذلك فأصاب كل منهم كتابهم، وبقي الكتاب العربي إلى أن خَصَّ الله به إسماعيل فأصابها وتعلمها». انظر حول هذه الرواية: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ١٣٩، والصولي، أدب الكُتّاب، ص ١٧، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص ١، والنديم، الفهرست، ص ٦، وابن فارس، الصاحبي، ص١٠، والماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٦٧-٦٨، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٢٤٢، والزبيدي، حكمة الإشراق، ص٢٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٩.

ومن هذه الروايات التاريخية، ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل على لفظه ومنطقه، فعلمه موصولاً حتى فرق بينه ولده».

ومنها ما قيل: أن أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام. انظر حول هذا الرأي: ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٥٢، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ١٣٩، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص١، والطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٠٦، وفيه أن إدريس عليه السلام: «أول من خط بعد آدم، وجاهد في سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها». وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٩.

ومن أشهر هذه الآراء وأَصَحِّهَا سَنَدًا[1] التي يتجلّى فيها أثر العامل الحضاري والاتصال بالأمم الأخرى، ما ذكره ابن سعد بسنده في «الطبقات»[2]، وابن أبي شيبة بسنده في «مصنفه»[3]، والفاكهي بسنده في «أخبار مكة»[4]، وأبو بكر ابن أبي داود السِّجِسْتاني بسنده في «المصاحف»[5]، والصُّولي في «أدب الكُتّاب»[6]، والدَّانيّ بسنده في «المقنع»[7]، وابن كثير في «فضائل القرآن»[8]، والقسْطلاني في «لطائف الإشارات»[9] من رواية مجالد[10] بن سعيد بن عمير الكوفي (ت١٤٤هـ)، عن عامر بن شراحيل الشعبي (ت بعد ١٠٠هـ)، قال: «سألنا المهاجرين: منْ أين تَعَلَّمتُم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة، فسألنا أهل

(١) انظر: شجرة رجال أسانيد المذكورين أعلاه وحكم ابن حجر والذهبي رحمهما الله في كتابيهما: «تقريب التهذيب» و«الكاشف» على من ذكروهم من رجال هذه الأسانيد ملحق رقم ٣. وبعرض هذه الأسانيد على أحد المتخصصين قال: «هذا الأثر عن الشعبي رُوي بأسانيد متعددة يقوي بعضها بعضاً، فهو أثر حسن إن شاء الله».

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج١، ص ٧٢-٧٣.

(٣) ابن أبي شيبة، المُصنَّف في الأحاديث والآثار، ج ١٤، ص ٩٠، رقم ١٧٦٧٤، وفيه ذكر ابن أبي شيبة بسنده عن الشعبي أنه قال: أول العرب كتب - يعني بالعربية - حرب بن أمية بن عبد شمس، قيل: ممن تعلم ذلك، قال: من أهل الحيرة، قال: ممن تعلم أهل الحيرة؟ قال: من أهل الأنبار.

(٤) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢١٤. وزاد على هذا النص بقوله: «... وقال غيره: فسألنا أهل الأنبار: من أين تعلمتم؟ قالوا: نزل علينا رجلان من طيء يُقال لأحدهما: مرامر بن مَرْوة، وللآخر: عامر بن سدرة، فأخذنا ذلك منهما».

(٥) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج١، ص ١٦٣.

(٦) الصولي، أدب الكُتّاب، ص ١٨.

(٧) الداني، المقنع، ص ٩.

(٨) ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٩٠.

(٩) القسطلاني، لطائف الإشارات، ج١، ص ٢٨١.

(١٠) ورد اسم «مجاهد» بدلاً عن «مجالد» في الكتب المطبوعة المحققة وغير المحققة لكتاب «فضائل القرآن» لابن كثير. انظر: ابن كثير، فضائل القرآن، ط٢، بيروت: دار الأندلس، د.ت، ص ٢٦، وابن كثير، فضائل القرآن، تحقيق: أبو أسحاق الحويني الأثري، ص ٩٠.

الحيرة: من أين تعلمتم؟ قالوا: من أهل الأنبار»[1]. وذكر ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ في كتاب «المعارف» نحو هذه الرواية برواية وهْب بن مُنَبِّه عن الأصمعي[2].

وفي رواية أخرى تؤكد على أنَّ المهاجرين تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، أخرجها الفاكهي ـ رحمه الله ـ قائلاً: «حدثنا بذلك ابن كاسب[3]. قال: حدثنا ابن فُليح[4] عن موسى بن عُقبة[5]، عن ابن شهاب[6]: وأول من أدخل الكتاب العربي بمكة: عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء به من الحيرة»[7].

ومعلوم أنَّ (الحيرة) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يُقال له [فيما بعد] النَّجف، وكانت مسْكن ملوك العرب في الجاهلية[8]، وكانت تعدُّ

---

(١) ورَوَى علي بن محمد المدائني عن الصحابي الجليل سَمُرَة بن جندب قوله: «نظرتُ في كتاب العربية فإذا هو قد مَرَّ بالأنبار قبل أن يمر بالحيرة». انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٧٢، مادة: «مَرَرَ»، والزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٤٧٨، مادة: «مَرَرَ».

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٥٢، والزبيدي، حكمة الاشراق، ص ٢٨، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠، والزجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٥، ص١٦٩، وابن رُسْتَه، الأَعْلاق النفيسة، ص١٩١-١٩٢.

(٣) لم يذكره ابن حجر والذهبي رحمهما الله. انظر: تقريب التهذيب، باب من نُسب إلى أبيه أو جدِّه.. ، والكاشف، فصل في الأبناء.

(٤) هو محمد بن فليح بن سليمان الأسلمي. قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «صدوق يهم». التقريب، ص ٨٨٩، وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «ليّنه ابن معين». الكاشف، ج ٢، ص ٢١١.

(٥) هو موسى بن عقبة بن أبي عيّاش الأسدي. قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «ثقة فقيه إمام في المغازي.. لم يصح أن ابن معين ليَّنه». التقريب، ص ٩٨٣. وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «ثقة مُفْتٍ». الكاشف، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري. قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته». وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «أحد الأعلام». الكاشف، ج ٢، ص ٢١٩.

(٧) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢١٤. قال محقق الكتاب: «إسناده حسن إلى الزهري، وابن فليح، هو: محمد».

(٨) الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٢٨.

منفذاً لاتصال العرب بحضارة الفرس وبالحضارات الأخرى. وأما (الأنبار) فهي مدينة على الفرات في غربي بغداد، وكانت الفرس تُسَمِّيها فيروزسابور وهم أوَّل من عَمَروها[١]، وهي كسابقتها من حيث اتصال العرب الحضاري بها.

ومن الروايات التي تذكر أنّ (الأنبار) مصدر معرفة عرب الحجاز الكتابة ما أخرجه ابن أبي داود السجستاني ـ رحمه الله ـ بسنده عن هشام بن محمد بن السائب قال: «أكيدر دومَة[٢]، هو الأكيدر بن عبد الملك الكندي وأخوه بشر بن عبد الله الذي عَلّمه أهل الأنبار خطنا هذا، فخرج بشر إلى مكة، فتزوج الصَّهْباء بنت حرب بن أمية فولدت له جاريتين. وقال غير علي بن حرب: إن بشراً لما تزوج الصَّهْباء بنت حرب عَلّم هذا الخط سفيان بن حرب، وقال: أنّ عمر بن الخطاب ومن بمكة من قريش تعلموا الكتاب من حرب بن أمية». ثم قال ابن أبي داود السجستاني: «وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب»[٣].

أما مصدر تعلم أهل الأنبار الخط، فتشير الرواية التي ذكرها ابن قُتيبة باختصار في «المعارف»[٤]، والبلاذري في «فتوح البلدان»[٥]، والفاكهي باختصار في «أخبار مكة»[٦]، وابن أبي داود السجستاني باختصار في «المصاحف»[٧]،

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٥٧. والأنبار هذه غير الأنبار التي قُرب مدينة بَلْخ ناحية جَورَجان.

(٢) دُومة: هي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ، ودُومة من القريات، والقريات: دُومة وسكاكة وذو القارة. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٨٧.

(٣) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج١، ص ١٦٣-١٦٤. وانظر حول هذه الرواية ـ أيضاً ـ: ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٥٣، وابن كثير، فضائل القرآن، ص ٩٠، والزبيدي، حكمة الإشراق، ص٢٨-٢٩. وفيه أن حرب بن أمية تعلم من بشر بن عبد الملك، ثم تعلم سفيان بن حرب من أبيه.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٥٢.

(٥) البلاذي، فتوح البلدان، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٦) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص ٢١٤.

(٧) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج١، ص ١٦٣-١٦٤.

والصُّولي باختصار في «أدب الكُتّاب»[١]، والماوردي باختصار في «أدب الدنيا والدين»[٢]، وابن خلكان في «وفيات الأعيان»[٣]، والصَّايغ في «تحفة أولي الألباب»[٤]، والزَّبيدي في «حكمة الإشراق»[٥] إلى أنّه «اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقَّة[٦]، وهم مُرامِرُ بن مرة - وفي رواية لعلي بن المدائني: ابن مَرْوة[٧] - وأسلم بن سدرة، وعامر بن جَدَرَة، فوضعوا الخط، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السِّرْيانية، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ثم تعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار.

ومن هذه الروايات - إن صحت - يتضح تأثير العامل الحضاري والاتصال بالأمم الأخرى على انتقال الكتابة إلى الحجاز، بل إنَّنا نجد أن أصل الرأي الحديث[٨]

---

(١) الصولي، أدب الكُتّاب، ص ١٨.

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٦٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٣٠.

(٤) الصايغ، تحفة أولي الألباب، ص ٣٠.

(٥) الزَّبيدي، حكمة الإشراق، ص ٢٨.

(٦) بَقَّة: بالفتح، وتشديد القاف، واحدة البَقّ: اسم موضع قريب من الحيرة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٣.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٧٢، مادة «مَرَرَ»، والزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص٤٧٨، مادة «مَرَرَ».

(٨) تَوَصَّلَ إلى هذا الرأي حول أصل الخط العربي المستشرقون في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك أنهم قا موا برحلات علمية إلى الأنحاء الشمالية للبلاد العربية فعثروا على نقوش وكتابات تحمل اسم جماعة تعرف بالنبط، كانت تسكن في مَدْيَن وما يجاورها من الأنحاء الشمالية للبلاد العربية، وبعد أن قرأوا هذه النقوش ودَرَسُوها تبين لهم بالمقارنة أنها هي الأصل الذي تفرع منه الخط العربي الإسلامي. انظر: خليل يحيى نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، م٣، ج١، مايو ١٩٣٥م، ص ٦.

ومن أوائل من اقتفى أثر المستشرقين من العرب في تبني هذا الرأي - إن لم يكن أولهم على الإطلاق - خليل يحيى نامي في دراسته المذكورة آنفًا، التي نشرها قبل أكثر من ستين عامًا معتمداً فيها على دراسة النقوش والشواهد الأثرية المكتشفة، ثم اقتفى أثره معظم من تطرق إلى نشأة الخط العربي وتاريخه من الباحثين العرب، يذكرهم الباحث في ملاحق الرسالة، حسب=

الذي يرفض آراء الإخباريين في المصادر العربية رفضًا قاطعًا، ويرفض كذلك أقوال القائلين بالرأي التوقيفي[1]، ويعتبر أن الكتابة العربية مشتقة من الكتابة النبطية بعد محاكاة الأخيرة للكتابة الأرامية، معتمداً على دراسة النقوش والشواهد الأثرية ومقارنتها ببعضها البعض[2].. أصل هذا الرأي يقوم على عامل التأثير الحضاري

= التسلسل الزمني لنشر دراساتهم، مشيراً إلى أرقام الصفحات التي تحمل معنى هذا الاقتفاء. انظر: الملحق رقم (٤).

(١) إن المدقق في آراء نشأة الخط العربي يجد عدم وجود تعارض بين القائلين من القدامى ـ وعلى رأسهم ابن فارس ـ بالرأي التوقيفي في أصل الخط بشكل عام، وبين القائلين من المُحْدَثين ـ وعلى رأسهم المستشرقين ـ بالرأي الحديث في نشأة الخط العربي. ويتضح ذلك من النقاط الآتية:

* أن القائلين بالرأي التوقيفي، لم يقولوا بأن الخط العربي الذي كُتِبَ به في الجاهلية وصدر الإسلام هو الخط الذي وُقِّف عليه آدم عليه السلام أو أحداً من الأنبياء، بل المقصود هو أصل الخط الأول في فجر البشرية أيًّا كان جنس هذا الخط.

* أن المحدثين من الباحثين العرب ومن سبقهم من المستشرقين ممن درسوا نشأة الخط العربي، قالوا: بأن ظهور الخط العربي ونشأته بصورته شبه المستقلة كانت في القرن الخامس الميلادي (١٠٠ سنة قبل الهجرة).

* أن رأي المحدثين من الباحثين العرب ومن سبقهم من المستشرقين يقوم على نظرية الاشتقاق، فالخط العربي اشتق من الخط النبطي، فقد كان الخط الذي استخدم في عهد الرسولﷺ يشبه آخر مراحل تطور الخط النبطي اليابس، والخط النبطي اشتق بدوره من الخط الآرامي،.. وهكذا.

إذن فما المانع في أن يكون أصل الخط في فجر البشرية يقوم على الرأي التوقيفي، ومراحل تطور الخط وتعدده وتشعبه عبر الحقب الزمنية الطويلة يقوم على الرأي الاشتقاقي.

والجدير بالذكر، أن الباحث هنا لا يسعى لإثبات صحة الرأي التوقيفي من عدمه؛ لأنه ليس مجال موضوعه، ولا يملك مقوماته، وإنما يقرر أن الرأي الاشتقاقي لنشأة الخط العربي لا يعدّ رداً على القائلين بالرأي التوقيفي، والله تعالى أعلم.

(٢) هذه النقوش عبارة عن نقوش كُتبت قبل الميلاد مثل نقوش حوران، ونقوش نبطية مؤرخة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، ونقوش نبطية متأخرة كتبت في القرنين الثالث والرابع الميلادي، ونقوش عربية قديمة، مثل: نقش زبد وهو مؤرخ في سنة ٥١١م، ونقش حران وهو مؤرخ في سنة ٥٦٨م، ونقش القاهرة وهو مؤرخ في سنة ٣١هـ أي في سنة ٦٥٢م.

والنقش الأخير اكتشفه مدير متحف الفن العربي بالقاهرة الأستاذ حسن محمد الهواري، وكتب=

والتواصل المستمر والدائم مع الأمم الأخرى، ويظهر ذلك في مرحلتين من مراحل نشأة الخط العربي.

المرحلة الأولى: وهي التي أغارت فيها قبائل النبط العربية على البلاد الأرامية فتحضرت بحضارتهم، واستعملت اللغة والكتابة الأرامية في النقوش وسائر الشؤون العمرانية، ولكنها ظَلَّت تتكلم وتستعمل اللغة العربية في شؤونها وأحاديثها اليومية(١)، ثم ما لبثت أن ابتعدت الكتابة النبطية رويداً رويداً عن الأصل الأرامي في أثناء المحاكاة والتقليد، حتى تميزت عنه وتحررت من نيره وصارت تُعرف باسم الكتابة النبطية(٢).

أما المرحلة الثانية: فقد كان للأنباط العرب حَاضِرَتَان هما: سَلْع أو البتراء في الشمال، والحِجْر أو مدائن صالح في الجنوب، وكانت هذه المنطقة يومئذ عامرة بالأشجار والمياه، وفي القرن الرابع قبل الميلاد كانوا يُهَيمنون على طرق التجارة بين جنوب الجزيرة العربية حتى البحر الأبيض وبين الشام ومصر، ومن أهم هذه الطرق: طريق صنعاء - مكة - يثرب - العلا - الحِجْر (أي: مدائن صالح) - سَلْع، ومن سَلْع كانت البضائع توزَّع إلى مصر أو اليونان أو إيطاليا أو الشام، وكانت البضائع خاضعة لرسوم مالية تدفع للحكومة النبطية.. وقد ظلت هذه الطرق التجارية بين

= مقالة أوضح فيها مقاس هذا النقش، ونصه (ص ٣٢٢) ومميزاته، من حيث مادته، وطريقة نقشه، وشكل حروفه، وهجائه، وصيغته (ص٣٣٠، ٣٣١)، وقام بمقارنته مع النقوش المكتشفة في القرن الأول الهجري (ص ٣٢٤ - ٣٢٩)، وللاطلاع على تلك المفردات وتفاصيلها، انظر:
Hawary, Hassan Mohamed el-, The most Ancient Islamic Mounment Known, Dated A.H.31 (A.D.652) From the time of the third Calif Uthman, JRAS. (1930): 321 -333.

(١) خليل يحيى نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، م٣، ج١، مايو ١٩٣٥م، ص٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥ (بتصرف).

مكة ويثرب والشام تسْلُكها القوافل حتى بعد ظهور الإسلام، وظلت أيضًا الطريق التي تتبعها قوافل الحجاج بين الشام ومكة[1] «فكان من الطبيعي أن يأخذ عرب الحجاز الخط النبطي ويطوروه؛ ذلك لأن الأنباط كانوا أكثر حضارة من عرب الحجاز فأثروا في هؤلاء، واقتبس عرب الحجاز خطهم من أولئك، نظرًا للاتصال المباشر بهم في أثناء رحلاتهم الدائمة المتواصلة إلى الشام، فقد كانوا يمرون دائمًا على ديارهم، ولم يكن للشام طريق أخرى توصلهم إليها، فهذا الاتصال الحضاري الدائم بين عرب الحجاز وعرب الأنباط كان أكبر مساعد على أخذ عرب الحجاز خطهم من الأنباط»[2].

ولذلك يُعتقَد «أن الخط الذي كتبت به المصاحف ورسائل النبي ﷺ يشبه آخر مراحل تطور الخط النبطي اليابس»[3]؛ ذلك لأن «الخصائص التي امتازت بها الكتابة النبطية المتطورة قد انتقلت إلى الخط العربي في مكة والمدينة وبالتالي إلى رسم المصاحف»[4].

ويُستدَل على ذلك من خلال «النصوص الموثوق بها التي وصلت إلينا عن رسم القرآن ـ أي رسم المصاحف المُرسلة إلى الأمصار ـ»[5].

---

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص١٣ (بتصرف).

(٢) المصدر السابق، ص ١٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣. وانظر حول هذا الرأي: غانم قدوري الحمد، رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص ٦٨–٧٥.

(٤) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص٤٣.

(٥) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص٤٣. وخير دليل على ذلك تلك النتائج التي ظهرت من جَرّاء الموازنة التي تمت بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، فقد قام الباحث الدكتور غانم قدوري الحمد بدراسة خصائص رسم المصحف الإملائية، وخصائص النقوش العربية القديمة المكتشفة حديثًا التي=

ويصلُ تأثير العامل الحضاري والاتصال بالأم الأخرى مداه في تطور الخط العربي وتميزه واستقلاليته، وتَحَرُّره من الخط النبطي، مما حَدَا بالأستاذ خليل يحيى نامي أنْ يظن «أن الكتابة العربية قد وُلِدَتْ وترعرعت في هذه البلاد التجارية [أي بلاد الحجاز]، ومنها انتقلت إلى البلاد العربية الأخرى وانتشرت فيها، وفُرِضت على أهلها كما فُرِضت عليهم اللهجة الحجازية وتغلبت على لهجاتهم العربية الأخرى»(١)، وما كان ذلك إلا بسبب قوة تأثير العامل الحضاري من خلال

= يرجع تاريخها إلى العصر الجاهلي، مثل: نقش النَّمارة، ونقش جبل أَسيس، ونقش حَرّان، وكذلك النقوش التي يرجع تاريخها إلى عصر صدر الإسلام، مثل: نقش ا لقاهرة المؤرخ بسنة (٣١هـ)، ونقش الطائف المؤرخ بسنة (٥٨هـ)، ونقش حفنة الأبيض المؤرخ بسنة (٦٤هـ).. ثم عمل موازنة بين خصائص رسم المصحف وخصائص تلك النقوش، وتوصل إلى ظواهر إملائية مشتركة بين الاثنين، أظهر من خلالها على أن «الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد كتبوا القرآن في المصحف بالكتابة العربية المستخدمة وقت نزول القرآن». وعلى: «أن ما تميز به رسم المصحف من ظواهر إملائية لا يتطابق فيها المرسوم مع المنطوق كانت من مميزات الكتابة العربية قبل أن يدون بها القرآن». وكذلك أن «الرسم العثماني، بما فيه من تنوع الأمثلة الكتابية وكثرتها يُقدِّم نموذجًا حقيقيًا لما كانت عليه الكتابة العربية في النصف الأول من القرن الهجري الأول، حين كان الناس في تلك الأيام لا يلاحظون فرقًا بين رسم المصحف وكتابتهم في الأغراض الأخرى».

«وخلاصة ما يمكن قوله عن العلاقة بين رسم المصحف والإملاء الذي كَتَبَ به الناس منذ قرون كثيرة، ولا يزالون يكتبون به إلى وقتنا، هو أن الرسم العثماني كان يمثل مرحلة من مراحل الكتابة العربية، حمل خصائص تلك المرحلة، وهو يمثلها خير تمثيل». انظر: غانم قدوري الحمد، موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، المورد، ١٥، ع٣، خريف ١٩٨٦م، ص٢٧-٤٤.

وهذه الموازنة بمثابة ردٍّ شافٍ، وكافٍ، ووافٍ على ما افتراه العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى رحمةً واسعة على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من جهلهم بالخط والكتابة.

(١) خليل يحيى نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، م٣، ج١، مايو ١٩٣٥م، ص ١٠٤.

الرحلات التجارية، والأسواق الأدبية والدينية، والسيادة الروحية والأدبية لإقليم الحجاز على أنحاء الجزيرة العربية.

ويظهر تأثير العامل الحضاري ـ أيضًا ـ في مرحلة أخرى من مراحل تطور الخط العربي بعد ظهور الإسلام، فقد ذهب صلاح الدين المنجد إلى «أن الخط الذي ظهر في الكوفة [أي الخط الكوفي] هو وليد الصَّنعة، والفن المقتبسين عن حضارة سابقة»(١)، فقد «كانت الكوفة تَبْعُدُ بُعداً غير كبير عن الحيرة، وقد كان فيها تقاليد قديمة للخط السِّرْياني وعناية كبيرة به، وهو خط تعملُ الصنعة والهندسة في إظهار حروفه عملاً كبيراً، وقد كان من العناصر التي نزلت الكوفة بعد تمصيرها النصارى السريان ـ مع الفرس ويهود نجران ـ الذين كانوا يسكنون الديارات القائمة في أطراف الحيرة(٢)، فلا شك في أن كُتَّاب الكوفة رأوا تقاليد الخط السرياني في تحسينه وهندسته، وطبقوها على الخط الحجازي البدائي»(٣).

ويستمر تأثير العامل الحضاري حتى في تحسين نطق القارئ للخط العربي «فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الإعجام مقتبسٌ عن اللغة السريانية، فالسريانية كانت منتشرة في الحيرة والكوفة، وكان لخطها تقاليد بقيت بعد الإسلام، وفي السريانية نقاط توضع فوق الحروف إذا كان حرفًا قاسيًا أو تحت الحرف إذا كان حرفًا لينًا، فمن المحتمل أن يكون نصر بن عاصم أو يحيى بن يعمر قلَّدا هذه النقاط السريانية، وأدخلا على الحروف العربية نقاطًا تميزها»(٤).

ويرى الباحث أن الاحتمال الأكبر هو أن الاقتباس ـ إن صح ـ قد تمَّ في زمن سابق لزمن

---

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص٧٨.

(٢) حسن الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، الفيصل، س٥، ع٥٦، صفر ١٤٠٢هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١م، ص ٤٣.

(٣) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص٧٨.

(٤) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص١٢٨.

نصر بن عاصم (ت٨٩هـ)، ويحيى بن يعمر (ت١٢٩هـ)؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ إن الدكتور صلاح الدين المنجد نفسه ـ وهو ناقل هذا الرأي ـ نفى نسبة اختراع مُطلق النَّقْط إلى نصر بن عاصم(١) أو يحيى بن يعمر(٢)، وحصر الأولية لهما في تنقيط المصاحف(٣) فقط مستدلاً بالوثائق المادية من برديات(٤)، ونقوش حجرية(٥)،

(١) نصر بن عاصم الليثي: من أوائل واضعي (النحو) كان فقيهًا، عالمًا بالعربية، من فقهاء التابعين، وله (كتاب) في العربية، قيل: إنه أول من نَقَّط المصاحف.. وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العَدْواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء، مات بالبصرة سنة ٨٩هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٤.

(٢) يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أبو سليمان: قيل: إنه أول من نَقَّط المصاحف.. وكان مولده بالأهواز، وسكن البصرة، وكان من علماء التابعين عارفًا بالحديث والفقه ولغات العرب، وهو من كُتاب الرسائل الديوانية، أدرك بعض الصحابة، وأخذ اللغة عن أبيه، والنحو عن أبي الأسود الدؤلي، وكان فصيحًا، ولي القضاء، ومات بالبصرة سنة ١٢٩هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٧٧.

(٣) قال أبو بكر عبد الله بن سليمان السجستاني في كتاب المصاحف بسنده عن هارون بن موسى، قال: «أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر»، وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح». انظر: ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج١، ص ٤٧٧.

(٤) مثل البردية المؤرخة سنة ٢٢هـ، أي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيها نقط على بعض الحروف مثل: النون، والشين، والزاي، والذّال، والخاء. وانظر نص الوثيقة في: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص ٣٧، وعبدالعزيز الدالي، البرديات العربية، ص ٦١. وقد أشار إلى هذه البردية الدكتور قاسم السامرائي في كتابه: مقدمة في الوثائق الإسلامية، ص١٨-١٩.

مع العلم بأن هناك بردية من البرديات المبكرة مؤرخة بسنة (٤٠هـ)، لم يظهر على حروفها أي نقط، وهذا ما قرره أحد الباحثين الغربيين في دراسته القديمة:

Desay. Silvester, New Eacts Concerning The History of Writing Amongest - The Arabs of The Hedjaz, Asiatic Journal and Monthly Register, VOL . XXiV (1827): p. 181 .

(٥) مثل الكتابة التي وجدت بالقرب من الطائف في الحجاز على سد بناه معاوية رضي الله عنه الخليفة سنة ٥٨هـ. انظر: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر=

وبالروايات التاريخية(١) التي تقطع بظهور النقط في وقت مبكر جداً من صدر الإسلام؛ وعليه فالاقتباس كان في وقت هذا الظهور.

٢ ـ وجود الشواهد التي تؤكد علاقة أهل الكتاب من النصارى القاطنين في إقليم الحجاز، وأقاليم الجزيرة العربية، بالكتابة العربية منذ البعثة النبوية، وسيأتي الباحث على ذكرها لاحقًا.

٣ ـ إن الرَّقْش كان مذكوراً في الشِّعر الجاهلي، وقد سُمِّي الشاعر الجاهلي عمرو ابن سعد بن مالك، المُرَقِّش الأكبرُ لقوله:

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كَمَا ... رَقَّشَ في ظهر الأديم قَلَمْ(٢)

قال الزَّبيدي ـ رحمه الله ـ: والرَّقْشُ والتَّرْقيشُ: الكتابة والتَّنْقيط، وبه سُمِّي المُرَقِّش(٣).. ويعاضدُ ذلك قول طَرَفَةُ بن العبد:

أشجاك الرَّبْعُ أمْ قِدَمُه ... أم رَمادٌ دارسٌ حُمَمُه

كَسُطور الرَّقِّ رَقَّشَهُ ... بالضُّحى مُرَقِّش يشمُه(٤)

= الأموي، ص١٠١، وانظر صورة هذه الكتابة في:
G.C. Miles, Early Islamic inscriptions near Ta 'if in the Hidjaz , Jnes, Vii (1948) pp. 236 - 242 .

(١) من هذه الروايات: ما روي عن عبيد بن أوس الغَسَّاني، كاتب معاوية بن أبي سفيان وحاجبه، أنه قال: «كتبت بين يدي معاوية كتاباً، فقال لي: يا عبيد ارقش كتابك إليّ، كتبتُ بين يدي رسول الله ﷺ كتاباً رقشته، قال: قلتُ: ما رَقْشَته يا أمير المؤمنين؟ قال: أعط كل حرف ما ينوبه من النقط». انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص ١٦٩، والخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، والسيوطي، تدريب الراوي، ص ٧١، والسخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، ص ١٦٥.
وانظر حول الرَّقْش في العصر النبوي: محمد حميد الله، صنعة الكتابة في عهد الرسول والصحابة، تاريخ العرب والعالم، س ٦، ع٦١، تشرين الثاني ١٩٨٣م / صفر ١٤٠٤هـ، ص٣٢. وذات المقال نشر في: المنهل، ص ١٣٩-١٤٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص ١٣٦.

(٣) الزَّبيدي، تاج العروس، ج٩، ص ١٢٣.

(٤) الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ص ٨١.

وَرَقَّش هنا بمعنى: زَخْرَفَ وحَسَّن[١]، ويؤكد معنى التنقيط الأعلم الشَّنْتَمَري، فيقول: «ومعنى رقَّشَه: زَيَّنَهُ وحَسَّنَهُ بالنَّقط»[٢].

وهذه الأسباب الثلاثة تجعل الباحث يضع الاحتمال الأكبر لزمن الاقتباس - إن صح - هو بزوغ شمس الإسلام إن لم يكن قبل ذلك.

ومن جميع ما سبق، نرى أنّ العامل الحضاري والاتصال بالأمم الأخرى قد رافق تأثيره مراحل نشأة الخط العربي منذ بداياته الأولى، إلى مراحل تطوره في العصر النبوي والعصر الراشدي.

ثانيًا: في العلاقة بين العرب والفرس:

كانت للعرب علاقات قديمة ومباشرة بالفرس ترجع إلى ما قبل الميلاد، وظهرت هذه العلاقة بوضوح في عهد الدولة السَّاسَانية التي أسسها أرْدَشير بن بابك، وتوالت عوامل الاتصال بين الطرفين حتى ظهور الإسلام، وكان حجر الزاوية في استمرار تلك العلاقة هو القبائل العربية التي هاجرت إلى سواد العراق[٣] [منطقة ريف العراق الخصيب] والمناطق المتاخمة لدولة الفرس، حيث لم يكن لهذه القبائل العربية من خيار حين جفاف الأرض والضَّرع وندرة الماء والزرع إلا الهجرة إلى تلك المناطق، حيث تميزت بادية العراق بخصوبة تربتها، وصحة هوائها، وغزارة مياهها، وكثرة خيراتها[٤]، ومن هذه القبائل العربية المهاجرة: إياد، وبكر، وطيء، وتميم،

---

(١) ندى عبد الرحمن الشايع، معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر، ص١١٧. وهناك من الباحثين المعاصرين من يرى احتمال ظهور نقط الإعجام قبل ظهور الإسلام، وهذا ما ذهب إليه: يوسف دنون، الخط العربي بعد ظهور الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري، عالم الكتب، مج ٣، ع٣، محرم ١٤٠٣هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٢م، ص ٣٥٦.

(٢) الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ص ٨٢.

(٣) سُمِّي العراق سوادًا بلون السَّعْف الذي في النخل ومائه. انظر: الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٢٤٦.

(٤) انظر في ذلك: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٦٣.

وتغلب، وعبد القيس، بالإضافة إلى القبائل اليمنية التي هاجرت إلى تلك المناطق في أوائل القرن الثالث الميلادي، إثر انهيار سَدِّ مأرب وانتشار الجفاف في جنوب الجزيرة العربية[1].

وكان للعرب اتصال بالفرس - أيضًا - من خلال سيطرة الفرس على اليمن في حوالي (٢٥ ق.هـ = ٥٩٧م)، وكان ذلك في زمن كسرى أبرويز وأيام النعمان بن المنذر عامله على الحيرة[2]، وقد بعث الله رسوله ﷺ بالإسلام وعلى اليمن عُمال الفرس، إلى أن تسلمها المسلمون من أيدي (باذان) آخر ولاة الأكاسرة عليها[3].

وقد بلغت بلاد فارس منزلة حضارية رفيعة في كثير من مناحي الحياة المادية، ويشير الباحث هنا إلى ما بلغته منزلة الكتابة وصناعتها، كجانب من جوانب تلك الحضارة، فقد اهتم الفرس بالكتابة وحرصوا على تعليمها ونشرها بين الناس، وهذا ظاهر فيما حكاه سلمان الفارسي رضي الله عنه عن نشأته في بلاد فارس، وكيف أن أهله كانوا يحرصون على إرساله إلى «كُتّاب الفارسية» لتعلم الكتابة[4]، وظاهرٌ ذلك - أيضًا - عندما طَلَبَ بهرام جور بن يزدرجرد [أحد ملوك فارس، وقد تربى في صغره

(١) مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ص٢٣، ٥١ (بتصرف).

(٢) كانت اليمن خاضعة لحكم الحميريين وذلك قبل احتلال الأحباش لها، فلما استولى عليها الأحباش عاملوا أهلها معاملة سيئة جعلتهم ينفرون منهم، وتولدت في نفوسهم الرغبة في التخلص من استبدادهم، وحصل لهم ما أرادوا في زمن زعيم وطني من حمير يقال له: سيف ابن ذي يزن، الذي استعان بالفرس لطرد الأحباش ومن ثم ملّكوه عليهم. انظر: مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ص ٤٠ - ٤٥ (بتصرف).

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٦٩. وفيه: خبر كسرى وبعثة النبي ﷺ، وإسلام (باذان) هذا.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٨١، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه كتاب المكاتب، باب المكاتب على الرقيق، ج٨، ص ٤١٨-٤١٩، رقم ١٥٧٦٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ٣٨٣-٣٨٤، ٣٩٠.

في بلاد النعمان بن المنذر] من النعمان بن المنذر من أن يعلمه الكتابة والرمي، وهو لم يتجاوز بعد السنة الخامسة من عمره[١]. وظاهر ذلك ـ أيضًا ـ فيما كانوا يقومون به من تعيين المعلمين لتعليم الناس الكتابة[٢].

والنَّاظر في المصادر التاريخية يرى كيف أن الفُرس هم أول من رتَّب الناس، وصنَّف طبقات الكُتّاب وبَيَّن منازلهم[٣]، فكان ما عُرِفَ برئيس كُتَّاب الرسائل[٤]، وكاتب الرسائل، وكاتب الجندَ[٥]، وكاتب السِّر[٦]، وكاتب الخراج[٧].. وكان لهؤلاء الكُتّاب مجلسًا يلتقون فيه مع الأكاسرة[٨]، وكان لهم أيضاً دواوين يعملون فيها ويقومون عليها[٩]، مثل: ديوان الجند (المقاتلة)[١٠]، وديوان الخراج (دار الحساب)[١١]، وديوان النفقات.. فكان كُلُّ ما يرد إلى ديوان الخراج، وكل ما ينفق ويخرج في جيش، أو غيره، ففي ديوان النفقات[١٢].

وقد رَوَى محمد بن واضح قائلاً: «رأيت بأصبهان كتبًا قديمة للأكاسرة إلى عُمَّالهم في الخراج والعمارة، صدورها إذا كان الكتاب إلى جماعة: «خُلِّدْتُم»، وإذا كان إلى واحد: «خُلِّدت».. ثم يذكر بعد ذلك ما يريد»[١٣].

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٠٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٦.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص١٠٩.

(٤) الدِّيَنَوري، الأخبار الطوال، ص ١٠٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٦) المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٥٠.

(٨) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص ١٥٩.

(٩) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٩٨.

(١٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٥١.

(١١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٧١، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٥١.

(١٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٣.

(١٣) المصدر السابق، ص ٢.

وقد بلغ من اهتمام الفرس بصناعة الكتابة أنهم جعلوا لهم طريقة خاصة ورسمًا جاريًا في تعيين أرباب هذه الصناعة من الكُتّاب، وتحديد مراتبهم وإقرار ترقياتهم، فقد روى هذه الطريقة الجهشياري رحمه الله، فقال: «وكان الرسم جاريًا في أيام الفرس أن يجتمع أحداث الكُتّاب، ومن نشأ منهم بباب الملك متعرِّضين للأعمال، فيأمر الملك رؤساء كُتّابه بامتحانهم، والتفتيش عن عقولهم، فمن رُضي منهم عُرض عليه اسمه، وأُمر بملازمة الباب ليُسْتعان به، ثم أمر الملك بضمهم إلى العمال، وتصريفهم في الأعمال وتنقلهم على قدر آثارهم وكفاياتهم من حال إلى حال، حتى ينتهي بكل واحد منهم إلى ما يستحقه من المنزلة...».

إلى أن قال يصف علو مقام الكُتّاب عند الفرس وأسباب ذلك: «... وكانت الملوك تقدِّم الكُتّاب، وتعرف فضل صناعة الكتابة، وتُحظي أهلها، لما يجمعونه من فضل الرأي إلى الصناعة، وتقول: هم نظام الأمور، وكمال الملك، وبهاء السلطان، وهم الألسنة الناطقة عن الملوك، وخُزّان أموالهم، وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم»(١).

ويصل الأمر بملوك فارس في اهتمامهم بالكُتّاب أنهم كانوا «إذا أنفذوا جيشًا أنفذوا معه وجهًا من وجوه كُتّابهم، وأمروا صاحب الجيش ألا يحل ولا يرتحل إلا برأيه، يبتغون بذلك فضل رأي الكاتب وحزمه...»(٢).. وفي كثرة نصائح وتوجيهات الأكاسرة والحكماء إلى الكُتّاب أكبر دليل على اهتمام الفرس بالكتابة وصناعتها وأربابها(٣).

ويُذكر أن ملوك فارس كانوا يأمرون بتدوين علوم الطب والدين والنجوم

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٣-٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤.

(٣) انظر حول هذه النصائح والتوجيهات: الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٨-١٠، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٢، ص ١٢٦، وج٤، ص ٢٣٧، وج٦، ص ٩٧.

والحكمة في الكتب[١]، ويثبتون بعضها في دواوينهم ويتوارثونها[٢]، حتى قيل: أن الإسكندر حمل كتبًا وعلومًا كانت لأهل فارس، من علوم ونجوم وحكمة، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية[٣].

فلا مراء، وحال صناعة الكتابة كما رأينا عند أمة الفرس، من أن القبائل العربية ـ المذكورة آنفًا وغيرها ـ ذات الصلة القوية بالفرس قد عبرت من خلالها إلى الحواضر العربية في شبه الجزيرة العربية، وعلى رأسها حاضرة الحجاز[٤]، كثير من الاقتباسات الحضارية المتعلقة بصناعة الكتابة.

ومن أقوى الأدلة على ذلك وجود عدد من أرباب صناعة الكتابة من عرب الحيرة ممن خالطوا الفرس في مجال هذه الصناعة، وتَسَنَّمُوا الذّروة في هذا المجال، فكانوا كُتّاباً للأكاسرة والأساورة ولملوك العرب على الحيرة، وقد اشتهرت الحيرة[٥] بكثرة المعلمين فكانوا يعلمون الأطفال القراءة والكتابة، وأحيانًا يذهبون إلى بيوت الأطفال يعلمونهم إن شاء أهلهم، أو يعلمونهم في الكتاتيب، ومن الكتاتيب ما كانت تعلِّم بالعربية، ومنها ما كانت تعلم بالفارسية، ويظهر ذلك جليًّا في أخبار وسير من ذكرنا خبر حالهم آنفًا.

ومن هؤلاء جد عَديّ بن زَيْد بن حَمّاد بن زيد بن أيوب العبادي التميمي[٦]،

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٥٣، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص ١٥٦.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٧٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٨.

(٤) لسيادتها الروحية والأدبية والتجارية على أنحاء الجزيرة العربية.

(٥) كانت الحيرة بمثابة المعين الذي امتزجت فيه القومية العربية بالقوميات الأخرى، وكانت ملتقى التيارات الثقافية المختلفة كالثقافة الفارسية والعربية وغيرهما، التي وصلت عن طريق القوافل التجارية والأسواق والهجرات والوفود الجماعية والفردية والحروب وغيرها. انظر: مصطفى فتحى أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ص ١٩٥-١٩٦ (بتصرف).

(٦) أول من نزل الحيرة من بني أيوب العبادي التميمي، وهو أيوب نفسه؛ بسبب دَمٍ أصابه، وكان منزله اليمامة. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٤٦-١٤٧. وعدي بن زيد هذا كان=

فكان حماد هذا ممن تعلم الكتابة في بيته، فقد تعلم في دار أبيه زيد بن أيوب فكان أول من كتب من بني أيوب، فخرج مِنْ أَكْتَب الناس وكان كاتبًا للنعمان الأكبر، ثم ولد لحمَّاد ولد أسماه زيد، فحذق زيد كتابة العربية في عهد أبيه حَمَّاد، فلما حضرت حماداً الوفاة، أوصى بابنه زيد إلى الدهقان(١) وكان من المرازبة(٢) ـ وكان صديقًا لحَمَّاد ـ فأخذه الدهقان إليه، فكان عنده مع ولده، وكان زيد قد حذق الكتابة العربية قبل أن يأخذه الدهقان، فعلمه لما أخذه الفارسية فلقنها وكان لبيبًا فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة، فمكث يتولَّى ذلك لكسرى زمانًا، ثم كان على الحيرة بإشارة من المرزبان لأهل الحيرة، فنكح زيد بن حمَّاد امرأةً، فولدت له عديًّا، فلما تحرك عديٌّ بن زيد بن حماد وأيفعَ طَرَحهُ أبوه في الكُتّاب حتى إذا حذق أرسلهُ المرزبان مع ابنه « شاهان مرد » إلى كتاب الفارسية، فكان

= شاعراً، من دهاة الجاهليين، وكان قروياً من أهل الحيرة، نشأ في أسرة شغفت بالمعرفة، واتخذت من الكتابة وسيلة لارتقاء سُلم المجد، ودخول قصور الأكاسرة والمناذرة من أوسع الأبواب. قال الجاحظ وغيره: وكان عدي نصرانيًا ديَّانًا وترجماناً وصاحب كتب، رجح الزركلي وفاته نحو ٣٥ ق.هـ. انظر: الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص ١٩٧، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج١، ص١٥١، و الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ٨٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص ١٠٤، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٢٠. وانظر للاستزادة عن حياته وثقافته: محمد علي الهاشمي، عدي بن زيد العبادي: الشاعر المبتكر، ص ٢٩–٣١.

(١) الدهقان: بفتح الدال وكسرها، فارسي معرب (دُهْ خَان) أي رئيس القرية، ومُقدَّم أهل الزراعة من العجم، ويطلق على التاجر.. وجمع بينهما الحموي، فقال: هو بالفارسية التاجر صاحب الضياع، وهناك اسم لموضع يدعى « دهقان » ذُكِرَ في شعر الأعشى. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ١٦٣، مادة: « دهقن »، والحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٩٢، والخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٥٠.

(٢) المَرَازبة: جمع « مَرْزُبَان » بضم الزاي، فارسي معرب، وهو: الفارس الشجاع، حافظ الحدود (أي الثغور)، وهو مُقدَّم على القوم، دون الملك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٤١٧، مادة: « رَزَبَ »، والخفاجي، شفاء الغليل، ص ٢٧٤.

يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنُّشَّاب[1]، فخرج من الأساورة الرَّماة، وتعلم لعب العجم الخيل بالصوالجة وغيرها[2].

ثم ذهب عدي بن زيد بن حمَّاد بن زيد بن أيوب العبادي التميمي إلى بلاد فارس، وتولى ديوان المراسلة، وكان من تراجمة كسرى أبرويز، فكان أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى[3]، وتولى هذا المنصب ابنه زيد بن عدي بن زيد بن حَمَّاد من بعده[4].

فهؤلاء ثلاثة من بني أيوب العبادي التميمي، نزلوا الحيرة، وحذقوا الكلام والكتابة بالعربية والفارسية، وخدموا في صناعة الكتابة في بلاط فارس والحيرة، وبلغوا في هذا المجال مبلغًا عظيمًا. وفي رواية للطبري[5] يضيف فيها ثلاثة إخوة لعدي بن زيد بن حَمَّاد بن زيد بن أيوب العبادي التميمي، خَدَمُوا معه في صناعة الكتابة في بلاط فارس، وهم: عمّار، وعَمْرو، وأخٌ ثالثٌ من أمِّهم يدعى عدي بن حنظلة من طيء.. وبذلك يزداد عدد من خدموا هذه الصناعة من بني أيوب العبادي التميمي، ليصبح خمسة كُتّاب مضافًا إليهم أخوهم من أمهم.

ولم تكن المنافذ التي عبرت من خلالها مؤثرات صناعة الكتابة الحضارية من بلاد فارس إلى إقليم الحجاز، وبقية الأقاليم العربية، محصورةً في كُتّاب أسرة بني

(١) النُّشَّاب: النَّبْل، واحدته نُشَّابة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٧٥٧، مادة: «نشب».

(٢) وردت أخبار بني أيوب التميمي العبادي مع الكتابة بتفاصيلها في المصدرين الآتيين: الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ٩٢-٩٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص١١٢-١١٣.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٤٧، وابن قتيبة، المعارف، ص ٦٤٩، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٦، ص ١٠٩، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص ٢٠٤، والأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص ٩٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص١١٣.

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٦، ص ١١٠، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٣، ص٢٠٥، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٧٦.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٧٣.

أيوب العبادي، بل تذكر لنا المصادر أنَّ لقيط بن يعمر الإيادي(١) ـ وقبيلة إياد من القبائل التي اشتهرت بمعرفة القراءة والكتابة، وسيأتي ذكرها ـ كان يعمل كاتبًا في ديوان كسرى(٢)، وتذكر الروايات أنه بعث مَرَّةً إلى قومه صحيفةً يُحذِّرُهم فيها غزو كسرى(٣)، حيث كان يكتب بالعربية والفارسية، فمما كتبه فيها:

سلامٌ في الصحيفة من لقيط ... إلى مَنْ بالجزيرة مِنْ إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم ... فلا يحبسكم سوق النَّقَاد(٤)

وفي خبر صحيفة المُتَلَمِّس(٥) المشهور، ومعرفته لما فيها على يد غلام عبادي من غلمان الحيرة خير شاهد على انتشار الكتاتيب في مدينة الحيرة، وانتشار الكتابة بين غلمانها، والعباديين منهم على وجه الخصوص(٦)، بل إن صحيفة

---

(١) لقيطُ بن يعمر بن خارجة الإيادي: شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان يُحْسن الفارسية، واتصل بكسرى «سابور» ذي الأكتاف، فكان من كُتّابه والمطلعين على أسرار دولته، ومن مقدمي تراجمته. واسمه في «الشعر والشعراء»: لقيط بن معمر. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٢٥–١٢٦، والزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٤٤.

(٢) ابن الشَّجري، مختارات من شعراء العرب، ص ٢.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٢٥، والأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٣٥٨–٣٥٩.

(٤) النقاد: صغار الغنم، الذكر والأنثى في ذلك سواء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٢٦، وفي ديوانه: «فلا يشغلكُمُ» بدلاً من «فلا يحبسكم». انظر: ديوان لقيط بن يعمر، ص ٣٦.

(٥) المتلمس: هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد، سُمي المتلمس لقوله:

فهذا أوانَ العَرْضُ حَيَّ ذُبابُه ... زنابيرُه والأزْرَقُ المتلمِّسُ

وهو من الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية، والمتلمسُ: المتطلبُ للشيء من هنا وهنا. انظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ١٥٥–١٥٦.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٤٩، والأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص ٢٢٩. ولعل السبب في انتشار الكتابة بين العباديين خاصة من أهل الحيرة، يرجع لكونهم أصحاب اتصال بحضارة الفرس وحضارة المناذرة، كما يرجع لكونهم أهل كتاب.. وذلك ما يوضحه الرأي الأرجح في سبب تسميتهم بالعباد والعباديين، فهذه التسمية مشتقة من «عبد»، وقد أطلقها مُتنصرة الحيرة الأولى على أنفسهم لأنهم كانوا يعبدون إلهاً، ليميزوا أنفسهم من الوثنيين، فهم عباد=

المتلمس قد لفتت الانتباه إلى الاهتمام بعملية من عمليات صناعة الكتابة، ألا وهي عملية الختم، فقد قال محمد بن موسى الكاتب: «زعموا أن الكُتُبَ لم تَزَل في قديم الدهر منشورة غير مختومة ولا مُعَنْوَنَة، فلما قرأ المتلمس صحيفته التي كَتَبَها له عَمْرو بن هند إلى عامله بالبحرين، واطلع على سرِّه فيها، ختمت الكتُب»(١).

ولقد كان بعض الشعراء الجاهليين الذين كانوا على علم بالقراءة والكتابة، ولهم اطلاع على الثقافات واللغات الأعجمية - وظهر ذلك واضحًا في أشعارهم - أفضل القنوات لانتقال بعض مظاهر الحضارة لدى الفرس في صناعة الكتابة، ولا سيما إذا عُلِمَ أن هؤلاء الشعراء كان لهم وجود في ساحة الحيرة الأدبية والثقافية واتصال بملوكها «وخير مثال على هؤلاء الشعراء لبيدُ بن ربيعة(٢)، فهو يشبه الأطلال وما بقي من رسمها بعد أن عُرِّيتْ مثل ما بقي من الكتابة في الأحجار، فيقول:

= الله.. أو أن الوثنيين أطلقوها على أولئك المُتنصّرة تمييزاً لهم من سائر الوثنيين، ثم غَبَر زمن طويل، ولما جاء المتأخرون ظنُّوا أنه عَلَم، فذهبوا في تعليله مذاهب شتى. انظر: محمد علي الهاشمي، عدي بن زيد العبادي: الشاعر المبتكر، ص ٢٥-٢٦.

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٤، ص ٢٣٠. قال الإمام الفقيه المحدث حمد بن محمد الخطابي: «لم يكن لباس الخاتم من عادة العرب، فلما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الملوك اتخذ الخاتم واتخذه من ذهب، ثم رجع عنه لما فيه من الزينة، ولما يخشى من الفتنة». انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص ٣٢٥، وفي صدر كلامه إشارة إلى ما ذهب إليه محمد بن موسى الكاتب. وفي حديث الصحابة للرسول ﷺ حينما عزم عليه الصلاة والسلام على مكاتبة الروم أو العجم: «إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن مختومًا» إشارة إلى أن الأصل عندهم عدم الختم، ولذلك اتخذ الرسول ﷺ بعدها خاتمًا من فضة ونقشه محمد رسول الله. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ج١٠، ص ٣٢٣، رقم ٥٨٧٢، وباب الخاتم في الخنصر، ج١٠، ص ٣٢٤، رقم ٥٨٧٥.

(٢) هو لَبيدُ بن ربيعة بن مالك العامري، ويُكنَّى بأبي عقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وقد أدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب، فأسلموا، ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيدٌ الكوفة، وأقام فيها إلى أن مات، ويقال أن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مئة وسبع وخمسين سنة. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٨٢-١٨٣.

فَمَدَافِـعُ [1] الرَّيَّـانِ [2] عُـرِّيَ رَسْمُها
خَلَقًا [3] كَمَا ضَمِنَ الوُحيَّ [4] سلامُها [5] » [6]

قال محمد بن القاسم الأنباري: « والمعنى: آثار هذه المنازل كأنها كتابٌ في حجارة » [7].

ثم يصفُ كيف أن « السيول كشفت عما شَخَصَ من آثار الديار حتى غَدت كأنها كُتُبٌ يُعاد على ظهورها وأوساطها الكتاب بعد أن دُرست » [8]، فيقول:

وجلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونها أقلامُها [9]

« ومثل هذا الوصف لا يصدر إلا عن شاعر له علمٌ بالكتابة، وربما كان يدون شعرهُ ويحفظه عنده، وصارت مدوَّناته مثل هذه الأطلال » [10].

ومن أمثلتهم - أيضًا - المُرقِّش الأكبر [11]، وسُمّي كذلك لقوله:

---

(١) المدافع: مجاري الماء. انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٥١٩.

(٢) الرَّيَّان: قال الأنباري: « واد بالحمى »، وقال الحموي: « ... وما عناه لبيد في هذا البيت اسم جبل في بلاد بني عامر. انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع، ص٥١٩، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٠-١١١.

(٣) عُرِّي رسمها خلقًا: أي ارتحل عنه فَعُرِّيَ بعد أن أَخْلَقَ لسكونهم إيّاه. انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٥١٩.

(٤) الوُحيّ: جمع وحي وهو: الكتاب. انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٥١٩.

(٥) السِّلام: الصخور، واحدتها سلمة. انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٥١٩.

(٦) مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ص ١٩٥، وانظر البيت في ديوان لبيد، ص ١٦٣.

(٧) الأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٥١٩.

(٨) المصدر السابق، ص ٥٢٦-٥٢٧ (بتصرف).

(٩) انظر البيت في: الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص ٣٦٠.

(١٠) مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ص ١٩٥.

(١١) هو عوف (أبو عمرو) بن سعد بن مالك من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان، كان يُحسن الكتابة، وشعره من الطبقة الأولى، ولد باليمن، ونشأ بالعراق، واتصل=

الـدارُ وحـشٌ والرُّسـومُ كما رَقَّشَ فـي ظهر الأديم قَلَمْ[١]

قال الزبيدي[٢] ـ رحمه الله ـ: والترقيش الكتابة والتنقيط وبه سُمِّي المُرقِّش وقد كان مُرقش يكتب، وكان أبوه دَفَعَهُ وأخاه حرملة إلى نصراني من أهل الحيرة، فعلمهما الخط[٣].

ومما يشير إلى انتشار الكتابة والقراءة، ومعرفة اللغات الأعجمية بين عرب الحيرة ومنطقة سواد العراق، هو أنه «ظهر من بينهم من ألف مباحث في الكتاب المقدَّس، وفي الموضوعات اللاهوتية والطبية، واللغوية، والتاريخية»[٤].

وكذلك وُجِدَ من ألف ودوّن في علم التاريخ والأنساب والأخبار، فقد رُوي عن الطبري ـ رحمه الله ـ قوله: «وقد حُدِّثْتُ عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال: إني كنتُ أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها مُلْكهم وأمورهم كلها»[٥].

وهذا الحال المتميز لصناعة الكتابة في منطقة الحيرة وسواد العراق يجعل الباحث يصل إلى نتيجة حتمية، ذكرها أحد الباحثين الغربيين في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وهي «أن استخدام الكتابة كان مبكرًا بين العرب الذين سكنوا ممالك الحيرة، وأن هذه الممالك ارتبطت بعلاقات وثيقة مع امبراطورية الأكاسرة، وكذلك الحال بالنسبة للعلاقات التي ربطت قبائل البدو الرُّحَّل في بلاد ما بين النهرين،

= مدة بالحارث أبي شَمَّر الغساني ونادمه، ومدحه، واتخذه الحارث كاتبًا له، مات نحو ٧٥ ق. هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٩٥.

(١) انظر البيت في: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٣٣، وفيه: أنه كتب أبياتًا لعشيقته على خشب الرَّحل، وكان يكتب بالحميرية. وانظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص ١٣٦.

(٢) الزَّبيدي، تاج العروس، ج٩، ص ١٢٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص ١٣٩.

(٤) عبدالوهاب عباس حكمت، الكتاب في العصر الجاهلي، الأقلام، مج ٥، ع٢، ١٩٦٨م، ص٦٣.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٣٦٩-٣٧٠.

وسكان الدول الواقعة في شمال ووسط الجزيرة العربية»(١) .. فكانت هذه الروابط القوية بمثابة ممرات حضارية ساخنة لصناعة الكتابة بين الفرس وبين سكان تلك الممالك وبقية أقاليم الجزيرة العربية، ومن بينها إقليم الحجاز في ضوء الشواهد المتعلقة بصناعة الكتابة المذكورة آنفاً.

وفي بدايات دعوة الرسول ﷺ في مكة كان في قريش من له صلة بثقافة الفرس وكتبهم، ومنهم النضر بن الحارث(٢) كان قد اطلع على كتب الفرس، وكان يحدث قريشًا بما قرأه وعرفه من كتب الفرس(٣)، وفي ذلك الزمن - أيضاً - كان في الطائف الحارث بن كَلَدَة الثقفي(٤)، طبيب العرب في عصره، فقد رَحَلَ إلى بلاد فارس

---

(١) Desay , Silvester, New Facts Concerning The History of writing Amongest The Arabs of The Hedjaz , Asiatic Journal and Monthly Register, VOL. XXIV (1827): 177.

(٢) النَّضْر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف، من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، له إطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في (الحيرة)، وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي ﷺ، استمر على عقيدته الجاهلية وآذى رسول الله كثيراً، وقُتل بُعيد غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة.. وقيل: امتنع عن الطعام والشراب فمات متأثراً بجراحه. انظر: الزِّركلي، الأعلام، ج٨، ص ٣٣ (بتصرف).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٩٤، وجاء في السيرة النبوية لابن هشام ما نصه: «... وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله، وحذَّر قومه ما أصاب مَن قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه، فهلم إليَّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟ وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: نزل فيه ثمان آيات من القرآن، قول الله عز وجل: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، وكل ما ذُكر فيه من الأساطير من القرآن. انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٦٩.

(٤) سبق التعريف به وبعلاقته العلمية بالفرس، وهو والد النَّضْر المذكور قبله.

رحلتين، فأَخَذَ الطِّب عن أهلها، وتعلم الضَّرب على العود بفارس واليمن(١)، وقد مر معنا إنتاجه العلمي. فهؤلاء ومن هم على شاكلتهم من عرب الحجاز لابد أنهم نقلوا شيئًا من حضارة الفرس في صناعة الكتابة، ولا سيما أنّ من ذكرناهم قد قرأوا وكتبوا ودونوا وألّفوا.

وقد استمرت منطقة سواد العراق وكذلك منطقة اليمن مَعْبَرًا لحضارة فارس في صناعة الكتابة للجزيرة العربية ولإقليم الحجاز، حتى بعد ظهور الإسلام وإلى زوال دولة الفرس في عهد عمر بن الخطاب، ويشهدُ لهذا الأخبار التي جاءت في المصادر التاريخية. فالرَّجُل الذي بَعَثَه «باذان» عامل كسرى على اليمن إلى الرسول ﷺ بأمر «كسرى» كان كاتبًا، حاسبًا، ويدعى «بابويه» الفارسي الكاتب(٢)، وقد أسلم «بابويه»(٣) و«باذان» والأبناء(٤) من فارس ممن كان منهم باليمن في آخر حياة الرسول ﷺ، فلا يُستبعد أنهم نقلوا ما عندهم من حضارة في صناعة الكتابة إلى إقليم الحجاز وإلى سائر الحواضر العربية بعد أن دخلت في الإسلام.

ولما فتح خالد بن الوليد رضي الله عنه عين التمر في سنة ١٢هـ «وجد في بِيعتها أربعين غلامًا يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق، فكسره عنهم، وقال: ما أنتم؟ قالوا: رُهُن، فقسمهم في أهل البلاد، منهم أبو زياد مولى ثقيف، ومنهم نُصير أبو موسى ابن نصير، ومنهم أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وسيرين أبو محمد بن سيرين، وحُريث، وعُلاثة، وحَمْران مولى عثمان، ومنهم عمير أبو قيس،

(١) الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٢، ص ١٥٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص ٢٨٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٤٦٣، ٤٦٤. وقيل: إن اسمه أبانوه وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٣٢.

(٣) ترجم له ابن حجر في الإصابة في قسم من أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به سواء أسلم في حياته أم بعده، والشاهد أنه أسلم.

(٤) اسم يطلق على من كان باليمن من أهل فارس.

ومنهم أخت النَّمر »[١]. فقد تعلم هؤلاء الكتابة السريانية، وربما تعلموا الكتابة العربية، ومما يرجح هذا الاحتمال كون حمران بن أبان ـ فيما بعد ـ أصبح مولى عثمان بن عفان وكاتبه[٢]، بل ذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى « أن هذه المجموعة من الصِّبية قد أسهمت إسهامًا كبيرًا في انتشار الكتابة بين أهل الجزيرة بعد أن قُسِّموا على الشجعان من القواد »[٣]، ومما يُلاحظ أن بعضًا من أبناء هؤلاء المذكورين قد أصبحوا ـ فيما بعد ـ من الكُتَّاب المبرِّزين مثل: زياد مولى ثقيف[٤]،

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٣٢٤، وانظر هذا الخبر في: البلاذري فتوح البلدان، ص٢٤٨، وابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٥، ص١٧٥، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٢، ص ٢١٩، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ١٠٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٧٤٤. وانظر حول هذا السبي: قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٥٦-٣٥٧، والحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٦. وفي هذا الأخير يرى ياقوت أن: « سيرين اسم أم محمد بن سيرين، وأنها هي التي سُبيت في عين التمر »، إلا أن ابن حبيب في المحبر (ص ٣٧٩ ـ ٤٨٠) وهو أقدم وأصح رواية في مثل هذا الشأن من ياقوت، يقول: « وكان من ذلك السبي سيرين، أبو محمد بن سيرين » كذا حررهُ الزركلي في الأعلام، ج٦، ص ١٥٤. ويرى الذهبي أن سيرين والد محمد بن سيرين من سبي جَرْجَرَايا. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٦٠٦. ويرجح الباحث الرأي الأول؛ ذلك لأن معظم المصادر القديمة والمتأخرة أجمعت على هذا الأمر. وجَرْجَرَايا: بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى، بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٣.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٥، ص ١٧٨.

(٣) Muhmmad Faris Jamil, Islamic Wiraqah ‘Stationery” During The Early Middle Ages, Ph.D. Thesis, University of Michingan, Ann Arbor (1985), 11.

(٤) كان زياد بن عبيد (ابن أبي سفيان فيما بعد) كاتبًا للمغيرة بن شعبة، ولأبي موسى الأشعري، ولعبد الله بن عامر بن كُرَيز، ولعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين، كتب لهم جميعهم وهم على البصرة. وانظر حول أخبار كتابته لهؤلاء: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٩٩، وابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة)، ج١، ص ١٧٦، وابن قتيبة، المعارف، ص٣٤٦، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ٤٥٠، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٦٢،=

ومحمد بن سيرين(١).

ويظهر هذا التأثير الحضاري في صناعة الكتابة في عصر صدر الإسلام بشكل آكد في خبر فتح خالد بن الوليد رضي الله عنه لمدينة الأنبار، سنة ١٢هـ، فبعد أن «اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون، وأمن أهل الأنبار وظهروا، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها(٢)، فسألهم: ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا، فقال: ممَّنْ تعلمتمُ الكتاب؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد، وأنشدوه قول الشاعر:

قَوْمي إيادٌ لو أنهُم أُمَمٌ ... أَوْ لو أقاموا فتهزلَ النَّعَمُ

قومٌ لهم باحةُ العراق إذا ... ساروا جميعًا والخطُّ والقلمُ»(٣)

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في بداية سياقه لهذا الخبر: « .. وتعلَّمَ الصحابة ممن بها من العرب الكتابة بالعربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد ...»(٤).

وكما استُقْدم أبو لؤلؤة المجوسي إلى المدينة في عهد عمر رضي الله عنه بناءً على توصية المغيرة بن شعبة بأنه حرَفيٌّ ماهر، فقد اسْتَقْدَم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رجلاً

= والدِّينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٨، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ١٦٢، ١٦٥، ١٦٩–١٧٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٥٢٨. وقد أشار ابن حجر ـ رحمه الله ـ إلى أن عُبيداً والد زياد كان في الرِّق، فأعتقه ابنه زياد بألف، فقال له عمر: نِعْمَ الألف. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٩١.

(١) كان محمد بن سيرين كاتبًا لأنس بن مالك رضي الله عنه. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٠٩.

(٢) وقد مرّ معنا أن الأنبار مدينة على الفرات في غربي بغداد، وأن أول من عَمَرها الفرس، ولهم بصمتهم الحضارية فيها، وهي كالحيرة من حيث اتصال العرب الحضاري بها.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٣٢٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٧٤٣.

نصرانيًا يدعى « جُفَيْنة » من مدينة الحيرة ليعلم بالمدينة الكتابة(١)، وفي رواية(٢) ليعلِّم ولده والناس الكتاب والحساب، فمن الطبيعي أن ينقل جُفَيْنة ما رآه من حضارة الفرس والحضارات الأخرى في هذه الصناعة إلى المدينة، حيث كانت مدينته ـ كما مر ـ ملتقى لعدد من الحضارات والثقافات.

وبعد أن سَقَطَت دولة الفرس في أيدي المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لابد وأن اطلع المسلمون على دواوين الفرس وأدواتهم وموادهم الكتابية، وكيف أنهم يصلون الأدم، ويكتبون الصكاك، ويُسَجِّلون السجلات.. وهذا ما عاينه سعد بن أبي وقاص لدى آبان جاذويه والي الرَّي من قبل يزدجرد بن شهريار ملك الفرس(٣).

وكان ثمرة هذا التواصل الحضاري مع حضارة الفرس في الجاهلية أو صدر الإسلام أن اقتبس العرب عادة الكتابة على المهارق من الفرس(٤)، ثم تبعهم في ذلك المسلمون، وتطورت كذلك صناعة الجلود التي يستخدمها العرب في الكتابة في استخدامات كثيرة جدًا في حياتهم اليومية « حيث انتشرت دباغة الجلود انتشارًا واسعًا جنوبي الجزيرة العربية، ولا سيما حينما بدأ الفرس يبنون المدابغ بعد عام ٥٧٠م »(٥).

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٥، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص ٣٦٧، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٨٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص ٦١-٦٤، والذهبي، تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدين، ص ٢٩٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٧٨.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٤٦، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٣٤.

(٤) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص١٢٩.

(٥) عبد العزيز الدَّالي، الخطاطة: الكتابة العربية، ص١٠٧، وعبد العزيز الدالي، البرديات العربية، ص ١٢.

وكان من أهم الاقتباسات الحضارية في تاريخ المسلمين في ذلك العهد هو ما كان في عهد عمر بن الخطاب ﵁ من اقتباس نظام الدواوين المعمول به عند الفرس، وكان ذلك في يوم بعث فيه عمر ﵁ بعثًا وعنده الهرمزان فقال لعمر: هذا البعث قد أعطيت أمواله، فإن تخلف رجلٌ وأخلَّ بمكانه فما يدري صاحبك، وأشار عليه بالديوان، وفَسَّره له وشرحه؛ فوضع عمر الدواوين[١].. وفي رواية أنه لما جاء عمر ﵁ مال كثير من البحرين، قال له أحد المسلمين: يا أمير المؤمنين، إنِّي رأيتُ هؤلاء الأعاجم يُدوِّنون ديوانًا؛ فوضع الديوان[٢].

وقد استمر أثر سواد العراق الحضاري في صناعة الكتابة والخط إلى منتصف القرن الأول، مما حَدَا بمعاوية بن أبي سفيان ﵁ أن يقول مخاطبًا صعصعة بن صُوحان بن حجر: «... وأنتم جيران الخط وَفَعَلَةُ فارس»[٣].. وكان صعصعة قد ولد قرب القطيف، وسكن الكوفة في صدر الإسلام، وتوفي سنة ٥٦ هـ[٤].

ثالثًا: في العلاقة بين عرب الجزيرة وأهْل الكتاب:

لم يكن عرب الحجاز أهل كتاب، بل كانوا عُبّاد أوثان.. وكان أهل الأرض - قبيل بعثة النبي ﷺ - صنفين: أهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم.. وكان أهل الكتاب أفضل الصِّنفين، وهم نوعان: مغضوب عليهم، وضالُّون.. فالصِّنْفُ الأول هم اليهود أهل الكذب والبهت، والصِّنْفُ الثاني هم النصارى أمة الضلال وعُبَّاد الصليب.. فأما اليهود فأكثر ما كانوا باليمن[٥] وخيبر والمدينة، وما حولها،

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص ٣٤٢. وسيأتي الحديث عن وضع الدواوين.

(٣) المصدر السابق، ج٢٤، ص ٩٦.

(٤) الزِّركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢٠٥ (بتصرف).

(٥) لذلك لما بعث الرسول ﷺ معاذًا إلى اليمن، قال له: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب...». أخرج خبر هذه البعثة، البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذًا إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج٨، ص ٦٤، رقم ٤٣٤٧، وابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص ٦، وابن القيم، هداية الحيارى، ص ٢٥.

وكانوا بأطراف الشام مُستذلين مع النصارى، وكان منهم بأرض فارس فرقة مُسْتَذَلَّة مع المجوس، وكان منهم بأرض العرب فرقة، وأعزّ ما كانوا بالمدينة وخيبر[1].. وأما النصارى فكانوا طبق الأرض[2]، فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى، وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد[3].

وهذا الوجود الفاعل لأهل الكتاب في الحجاز جَعَلَ عرب الحجاز - وهم عُبَّاد أوثان - يسنِّمونهم ذروة - ما يعرف في لغة العصر - المرجعية العلمية والدينية والفكرية، فكانت العلاقة العلمية جزءاً من العلاقات المشتركة بين الطرفين، إذْ كان عرب الحجاز يَعْلَمون من أهل الكتاب قصص الماضين والغابرين، وأهم من ذلك معرفة ما هو كائن وما سيكون، وفي بعض الأحيان يتطببون عندهم، ويلتمسون عندهم الشفاء من الأمراض العضوية والنفسية؛ من مسٍّ ووسوسة وغير ذلك[4].

ويشهد لهذا التَّسْنيم والتسليم ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾[5]، فقد جاء في التفاسير[6] في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ** ﴾: قال مجاهد: يعني اليهود. وقال ابن

---

(١) وأخبارهم مع الرسول ﷺ في هاتين المدينتين تقطع بذلك.

(٢) وقصة سلمان الفارسي رضي الله عنه خير شاهد على ذلك.

(٣) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى، ص ١٨-١٩، ٢٤ (بتصرف).

(٤) وهذا ما فعله أبو طالب عمّ الرسول ﷺ قُبيل بعثته، إذْ أخذه إلى رجل من أهل الكتاب، يتطبب في مكة فحدَّثه، وقال: «عالجه»، ثم كشف عن قدميه، وبين كتفيه، وبشَّره بنبوته. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ٢، ص ٣١٢.

(٥) سورة الفرقان، الآيتان ٤-٥.

(٦) البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص ٣٦١، والفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج٢٤، ص ٥٠-٥١، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص ٣-٤، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٢٦٦.

عباس: المراد بقوله ﴿ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾: أبو فُكَيْهة مَوْلَى بني الحضرمي، وعدَّاس، وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب. وقال الحسن: هو عبيد بن الخضر الكاهن. وقيل: جبر، ويسار[١]، وعدَّاس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ قال المفسرون: الأساطير ما سَطَّره المتقدمون كأحاديث رستم واسفنديار، جمع أسطار أو أسطورة (كأحدوثة)، انتسخها محمدٌ من أهل الكتاب (يعني: عامراً، ويساراً، وجبراً)، فهي تُملى عليه في أول النهار وآخره. ويقال: أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث، الذي كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو ما سطره الأولون[٢].. وهذا رأي ابن عباس[٣] رضي الله عنهما، وكما كان النضر ابن الحارث يخالط أهل فارس وينهل من ثقافتهم، كَمَا مَرّ، فقد كان كذلك يخالط أهل الكتاب.

وقد جاء في تفسير قول المولى عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٤] أي: يقول مشركو أهل مكة حينما يسمعون كلام الله من سيدنا محمد ﷺ: «درستَ وتعلمتَ من اليهود وأهل الكتاب»[٥]، ولولا بلوغ

---

(١) ذكرت بعض المصادر: أنه كان في مكة عبدان أحدهما يقال له «يسار»، والآخر يقال له «جبر»، وكانا صَيْقَليين (يشحذان السيوف ويجلوانها)، فكانا يقرآن كتابهما ويعملان عملهما، وكان رسول الله ﷺ يَمُرُّ بهما فيسمع قراءتهما.. فقالوا ـ أي كُفَّار قريش ـ: إنما يتعلم منهما؛ فنزلت ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، ولم يُذكر أنهما أسلما. انظر: الواسطي، تاريخ واسط، ص ٤٩-٥٠، ٩٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٥٦٢.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص ٣٦١.

(٣) انظر هذا الرأي: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٦٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٥.

(٥) الطبري، تفسير الطبري، ج١٢، ص ٢٦-٢٧، والبغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص ١٢٠، والفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج١٣، ص ١٤٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٥٨، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص ٦٠٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ١٤٢.

أهل الكتاب المنزلة العلمية في عقلية كُفار قريش لما زعموا هذا الزعم الباطل الذي أنكره المولى عز وجل عليهم.

ويشهد لتسليم قريش المرجعية العلمية لأهل الكتاب ما قالوه لكعب بن الأشرف(١)، وحُيي بن أخطب(٢) عند قُدُومهما إلى مكة حيث قالوا ما نصه: «أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمد...»(٣).

وكذلك قول عاصم بن عمر بن قتادة(٤) عن رجل من قومه قال: «إنَّ مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله إيانا وهداه، لَمَّا كُنَّا نسمعُ من يهود، كُنَّا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلْنَا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يُبْعث الآن نَتَّبعه فَنَقتلكم معه قتل عادٍ وإرم...»(٥).

(١) هو كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي، كانت أمه من (بني النضير) فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله، أدرك الإسلام، ولم يُسلم. وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم، فأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه في العام الثالث من الهجرة، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٢٥ (بتصرف).

(٢) هو حُيَيّ بن أخْطَب النضري: جاهلي من الأشدّاء العتاة، ومن كبار اليهود، كان يُنْعت بسيد الحاضر والبادي.. أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة في العام الخامس من الهجرة، ثم قتلوه. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٢٩٢ (بتصرف).

(٣) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٤٥٢.

(٤) هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد، روى عنه: أبيه، وجابر بن عبد الله، وجدته رميثة (ولها صحبة)، وأنس.. وكان راوية للعلم وله علم بالمغازي والسير، أمَرَهُ عمر بن عبدالعزيز أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي، ومناقب الصحابة، ففعل، وكان ثقة، كثير الحديث، عالماً، توفي سنة عشرين ومئة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص ٣٧-٣٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ٣٣٨، وابن القيم الجوزية، هداية الحيارى، ص ٣٣، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص ١٢٢.. وكثيراً ما كان يُبشِّر أهل الكتاب قريشاً والقبائل العربية بقرب ظهور نبي مرسل، ويذكرون لهم صفته، ومبعثه، وشيئاً من أخباره، بل وشيئاً من=

والجدير بالذكر في هذا الباب أن هناك عدداً من الجاهليين كانت تربطهم علاقات قوية بأهل الكتاب، وقد قرأوا كتبهم وبعضهم تنصَّر، منهم: سعيد بن زيد بن عمرو(١)، وأُميَّة بن الصَّلت(٢)، وفاطمة بنت مُرٍّ الخثعمية(٣)، ورئاب بن البراء(٤) وورقَة بن نوفل(٥)، وغيرهم. ونظراً لهذه المكانة العلمية التي تمتع بها أهل الكتاب، فقد كانت الكتابة والقراءة وسيلتهم لتلك المنزلة؛ ولأنهم أهل كتاب

= أخبار خليفتيه، للعلم الذي عندهم، حتى قال ابن الجوزي رحمه الله: «وما زالت الأنبياء قبل ظهور نبينا ﷺ، وعلماء الكتب، تعدُ به حتى كانوا يقولون: قد قرب زمانه، وفي هذا الزمان ظهر». انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ٣٣٦. وللاستشهاد على هذا الأمر، انظر الروايات حوله في المصادر الآتية: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٦٠، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٤٦، ٥٠٠، وج٣٠، ص ٣١، وج٤٠، ص١٠٠، وج٤٤، ص ٧، وج٤٦، ص ٢٦٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٢٩٣، ٣٤١-٣٤٣، ٢٧٨-٢٧٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص ٣٤٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص ١٢١-١٢٣.

(١) انظر خبره في: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٤٥.

(٢) انظر خبره في: ابن قتيبة، المعارف، ص٦٠، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٢، ص ١٤٤، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص ١٤٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٣٨٥.

(٣) انظر خبرها في: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٩٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص ٤٠٤، والمنتظم، ج٢، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٤) انظر خبره في: ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٢١.

(٥) انظر خبره في: الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٤٩٩، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص١٤٢، والأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١١٣، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص ٢٧١-٢٧٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص١٣٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٤٧٦.

وانظر خبر تَنَصُّر ورقة بن نوفل فيما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ج١، ص٢٢، رقم ٣، وكتاب التفسير، ج٨، ص ٧١٥، رقم ٤٩٥٣، وكتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ج ١٢، ص ٣٥١، رقم ٦٩٨٢، وفيما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١، ص ١٣٩-١٤٢، رقم ٢٥٢.

فقد تمرَّسوا على مزاولة الكتابة وصناعتها، والتماس أسرارها ودقائقها؛ لارتباط هذه الصناعة بكتبهم المقدَّسة.

وقد أكَّد القرآن الكريم حقيقة هذه الممارسة والمزاولة في معرض ذكره تحريفهم لكتبهم المُقدسة، فقال تعالى في مُحكم التنزيل: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[1]، قال أبو حيان الأندلسي ـ رحمه الله ـ: «﴿**بِأَيْدِيهِمْ**﴾ تأكيدٌ يرفع توهم المجاز؛ لأن قولك: «زيدُ يكتبُ»، ظاهره أنه يباشر الكتابة، ويحتمل أن ينسب إليه على طريقة المجاز، ويكون آمرًا بذلك، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كَتَبَ وإنما المعنى: أمر بالكتابة؛ لأن الله تعالى قد أخبر أنه النبي الأميّ، وهو الذي يكتب ولا يقرأ في كتاب...، ونظير هذا التأكيد ﴿**يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**﴾[2]، ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم**﴾[3].. فهذه كلها أتى بها لتأكيد ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولرفع المجاز الذي كان يحتمله»[4].

وتُسفر بعض الأحاديث عن تمكنهم في الكتابة وحذقهم لها ليس فقط بالعبرانية والسريانية، بل وبالعربية أيضاً، فقد جاء في حديث بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ذهاب زوجته خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل، ووصفها إياه أنه «كان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب»[5]،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٧٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٧. وفي سورة التوبة ﴿**ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ الآية ٣٠.

(٤) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١، ص ٤٤٧. وانظر حول تأكيد معنى الكتابة: الطبري، تفسير الطبري، ج٢، ص ٢٧٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، ج٨، ص ٧١٥، رقم ٤٩٥٣، وكتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ج١٢، ص ٣٥١، رقم ٦٩٨٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١، ص١٣٩-١٤٢، رقم ٢٥٢، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٢٧٢، والفاكهي، أخبار مكة، ج ٤، ص ٩٥.

وفي رواية: «... وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتبُ من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أنْ يكتب...»[1].

وقد جمع الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بين الروايتين، قائلاً: «والجميع صحيح؛ لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب العبراني، كما كان يكتب الكتاب العربي، لتمكنه من الكتابين واللسانين. قال الداودي: كتب من الإنجيل الذي هو بالعبرانية هذا الكتاب الذي هو بالعربي»[2].. وقال النووي ـ رحمه الله ـ: «وكلاهما صحيح، وحاصلهما أنه [أي ورقة] تمكن من معرفة دين النصارى بحيث إنه صار يتصرف في الإنجيل فيكتب في أي موضع شاء منه، بالعبرانية إن شاء، وبالعربية إن شاء، والله أعلم»[3]. ويعتقد الباحث أنَّ هذا حال مُعْظم من قرأ من العرب كُتُبَ أهل الكتاب، ومعظم من تنصّر أو تهوّد من العرب فصار من أهل الكتاب، لتمكّنهم من الكتابين واللسانين.

وقد أكد الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ على شدة ملازمة أهل الكتاب لكتابة كتبهم المقدسة، مُبينًا سبب ذلك من خلال شرحه لوصف خديجة ورقة حيث قال: «وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه؛ لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسراً كتيسُّر حفظ القرآن الذي خُصَّتْ به هذه الأمة، فلهذا جاء في صفتها: أناجيلها في صدورها»[4]، وهذا الكلام ينطبق على معظم الأحبار والرهبان.. وعليه ففيه إشارة إلى فعالية نشاط حركة صناعة الكتابة والكِتَاب في أوساطهم.

وظهور كتابة التوراة بالعربية جاء نتيجةً طبيعية لظهور التعبير عن العبرانية باللغة العربية، وقد أمر المولى عز وجل نبيه ورسوله محمد ﷺ بقوله جل في علاه: ﴿قُلْ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ج1، ص 22، رقم 3. وانظر: الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص 114.

(2) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص 25.

(3) النووي، المنهاج، ج2، ص 378.

(4) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص 25.

فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]، أي: «قل يا محمد: فأتوا يا معشر اليهود بالتوراة، فاقرأوها حتى يتبين كذبكم وقولكم الباطل على الله، إن كنتم محقين في دعواكم أن الله حرَّم[٢] ذلك»[٣].. ولشيوع ذلك التعبير ترجم البخاري في «صحيحه» في كتاب التوحيد لحديث رجم الرسول ﷺ الرجل والمرأة اليهوديين، بعد أن طلب من أكابرهم قراءة التوراة لمعرفة عقوبة الزنى عند اليهود، بقوله: «باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾»[٤]. قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «ووجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية، وقد أمر الله تعالى أن تُتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية، فقضية ذلك الإذن في التعبير عنها بالعربية»[٥].

ويرى الباحث أنه ربما كانت تلك النسخ من التوراة مكتوبة بالعربية[٦]؛ لوجود

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٣.

(٢) روي أن يعقوب عليه السلام مرض مرضًا شديداً، فنذر إن شفاه الله يحرمنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه، وكان أحبّ الطعام إليه لحم الإبل وألبانها، فلما شفاه الله حرم ذلك واقتدى به أولاده، دون أن يكون التحريم في وحي أو تنزيل. انظر: محمد علي الصابوني، مختصر تفسير الطبري، ج١، ص ١١٤، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١٣٧٧-١٣٧٨.

(٣) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير الطبري، ج ١، ص ١١٤، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١٣٧٧-١٣٧٨.

(٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ج١٣، ص ٥١٦، رقم ٧٥٤٣.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص ٥١٦.

(٦) تتبع الباحث الروايات المذكورة في صحيح البخاري، والرواية المذكورة في صحيح مسلم، وشروح الحافظ ابن حجر والإمام النووي رحمهما الله حول قصة رجم الرسول ﷺ للرجل والمرأة اليهوديين ـ فلم يجد في نصوص الحديث أو الشروح ما يلغي هذا الاحتمال. وقد أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ج٨، ص ١٢٨، رقم ٤٥٥٦، وكتاب الحدود، باب الرجم في البلاد، ج ١٢، ص١٢٨، رقم ٦٨١٩، وباب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورُفعوا إلى الإمام، ج١٢، ص ١٦٦، رقم ٦٨٤٠، وكتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها...، ج١٣، ص ٥١٦، رقم ٧٥٤٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى، الأرقام: ٤٤١٢ ـ ٤٤١٥.

الشواهد التي تؤكد كتابة التوراة والإنجيل بالعربية في ذلك الوقت، كما مر معنا حول ورقة بن نوفل.. ويؤيد ذلك شاهد آخر، وهو ما جاء في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع كتاب أصابه من أهل الكتاب، حيث روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن: عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ فغضب، فقال: «أَمُتَهَوِّكُون[1] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى عليه السلام حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»[2].. وفي رواية تُظهر جانب الكتابة بشكل أوضح، وهي لعبد الله ابن ثابت الأنصاري: «جاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، إِنِّي مررتُ بأخ لي من يهود فَكَتَبَ لي جوامع التوراة، قال: أفلا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ. فقال عبد الله: سَنَحَ[3] الله عقلك، ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً...»[4].

وهناك من الشواهد في الآيات القرآنية والمصادر التاريخية التي تُظْهر وجود صلة قوية بين أهل الكتاب وصناعة الكتابة والكتاب، سيتطرق إليها الباحث في ثنايا الحديث عن بوادر صناعة الكتابة والكتاب.

---

(١) التَّهَوُّك كالتَّهور، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّة، والـمُتَهَوِّك: الذي يقع في كُلِّ أمر. وقيل: هو التَّحَيُّر. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص ٢٨٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٨٥، رقم ١٥٠٩٤. وقال محقق المسند: «إسناده حسن»، وابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص ٣٣٤. وقال: «رجاله موثوقون، إلا أن في مجالد ضعفًا».

(٣) سَنَحَ بالرَّجُل وعَلَيه: أخرجه أو أصابه بشرّ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٤٩٢، مادة: «سَنَحَ».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابين، باب هل يسأل أهل الكتاب عن شيء؟، ج١٠، ص ٣١٣-٣١٤، رقم ١٩٢١٣، وأخرج -نحوه- الدَّارمي في سننه، المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ...، ج١، ص ١١٥-١١٦.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب (أي: ارتباط أهل الكتاب بصناعة الكتابة والكتاب) وجود مراكز تعليمية دينية لأهل الكتاب عُمُومًا، واليهود على وجه الخصوص في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، ويُطلقَ اليهود على واحدها «مِدْرَاس» وهو البيت الذي يَدْرُسُون فيه، وتطلق أيضًا على صاحب دراسة كُتُبهم[١]، وقد ذُكر هذا الموضع في الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة غير ما مَرَّة باسم «بيت المدراس»، وذلك في أحاديث ذهاب الرسول ﷺ وبعضًا من صحابته الكرام إلى اليهود لدعوتهم إلى الإسلام[٢]، وفي أحاديث أخر[٣].. وقد قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - معلقًا على هذا الموضع: «بكَسْر الميم وآخره مهملة مفعال من الدَّرس، والمراد هنا: كبير اليهود؛ ونُسبَ البيتُ إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم، أي: قراءتها»[٤]. وفُسِّر «بالبيت الذي تقرأ فيه التوراة»[٥]. وقال - أيضًا -: «وقد وقع في الرواية الماضية (أي في صحيح البخاري) في الجزية (أي كتاب الجزية والموادعة) باسم بيت المُدَارس، بتأخير الرّاء عن الألف بصيغة المُفاعل، وهو من يُدَرِّسُ الكتاب ويُعَلِّمُهُ غيره»[٦].

---

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ١١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ج٦، ص ٢٧٠، رقم ٣١٦٧، وفي كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره، ج١٢، ص٣١٧، رقم ٦٩٤٤، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)، ج١٣، ص ٣١٤، رقم ٧٣٤٨، وأخرجه أحمد في مسنده، ج٩، ص ٣٢٢، رقم ٩٧٨٧. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٣٧٣.

(٣) في بعض روايات حديث رجم الرسول ﷺ لليهود الزناة التي أخرجها أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين، ج١٢، ص ١٠٧-١٠٨، رقم ٤٤٣٩، ٤٤٤٠.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص ٣١٨.

(٥) المصدر السابق، ج ١٢، ص ٣١٨، وانظر - أيضًا -: ج٦، ص ٢٧١.

(٦) المصدر السابق، ج١٢، ص ٣١٨، وقد رجع الباحث إلى نصِّ الرواية هذه فوجد أن الكلمة في المكان الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله «بيت المدْراس»، كما هي في الروايات الأخرى، وليس كما قال الحافظ، والله أعلم.

وجاء في بعض روايات حديث رجم الرسول ﷺ لليهوديين[١] أنَّ القائم على هذه المراكز التعليمية الدينية يُدعى «مِدْراس»، وفُسِّر في نص الحديث من قِبَل الراوي بـ «الذي يُدَرِّسُها»، وقال ابن الأثير الجزري ـ رحمه الله ـ هو: «صاحب دراسة كتبهم»[٢]، وقد أوضحت المصادر التاريخية[٣] والأدبية أنَّ «المدراس» هذا هو مُقدَّمٌ عند اليهود وصاحب كتبهم وإمامهم وحَبْرهم؛ لذلك كان يلي بيتَ الدراسة للتوراة الذي يدعى «بيت المدْراس».

ومن هذه الروايات وشروحها حول «بيت المدْراس» يظهر بكل وضوح أن هذا المكان يُعدّ مركزًا تعليميًا دينيًا لأهل التوراة لدراسة كتبهم المقدسة المحرفة، يقوم عليه علماؤهم وأحبارهم، ومن الطبيعي أن تكون حركة الكتابة والكتاب فيه نشطة وفعَّالة، ولا سيما وقد علمنا أن ديدن أهل الكتاب كتابة كتبهم المقدسة لعدم تيسر الحفظ لهم، وللشواهد التي ذكرناها آنفاً، وبذلك يكون هذا المكان قد جمع بين كونه مركزًا تعليمياً دينيًا وداراً للنشر القديم في الوقت نفسه، ويُعاضد هذا ما حكاه النسَّابة هشام الكلبي ـ وذكرنا نَصَّهُ آنفًا ـ من أنّ بِيَع ودُور أهل الكتاب كانت تُحفظ في زواياها الكثير والكثير من المدونات والمخطوطات التاريخية.

ومما يؤكد اتصال أهل الكتاب بصناعة الكتابة والكتاب ما يلْحظُهُ المتأمل في أشعار الجاهليين والمخضرمين ـ والشعر ديوانهم ومرآة حياتهم وحضارتهم ـ من تكرر الربط بين الكتابة ومصطلحاتها من أدوات ومواد.. إلخ، وبين أهل الكتاب

---

(١) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ج٨، ص ٢٢٤، رقم ٤٥٥٦، وأخرجها الدارمي في سننه، كتاب الحدود، باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين، ج٢، ص ١٧٨.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ١١٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٦٥، ٣٥٧، والأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ١٧٣، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٦٩٦. وانظر للاستزادة حول شروح كلمة «المدْرَاس»: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٨٠، والزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص ٢٨٣–٢٨٤.

وكتبهم، ومن ذلك ما أنشده الشمّاخ بن ضِرار الثعلبي:

كما خَطَّ عِبْرانيه بيمينه بتيماء حبرٌ ثم عَرَّض أسطرا[1]

وما قاله عمرو بن أحمر:

أمْ لا تزال تُرَجِّي عيشة أُنفاً لم تُرْج قَبْل ولم تُكْتب بها زُبرُ[2]

وما قاله لبيد بن ربيعة:

فنعاف صارة فالقَنَان كأنها زُبر يرجّعها وليد يمان[3]

وما قاله الشاعر المخضرم الصحابي عبد الله بن الزِّبَعْرَى في يوم الخندق، وهو يومئذٍ على كفره:

حيِّ الديارَ محى معارفَ رسْمها طول البلَى وتراوح الأحقاب

فكأنَّما كتب اليهود رُسُومها إلا الكَنيف ومَعْقدَ الأطناب[4]

إلى غير ذلك من الأبيات التي سيأتي الباحث على ذكرها لاحقاً، ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاعر الأخير كان من الشعراء الكُتّاب في الجاهلية والإسلام، وسيأتي ذكره في فصل الكُتّاب.

فلا غرابة ـ والحال كما رأينا ـ من اقتباس أهل صدر الإسلام الأول بعض ظواهر صناعة الكتابة والكتاب من أهل الكتاب والاستفادة منها، ولا سيما إذا علمنا بوجود قنوات فاعلة مباشرة وغير مباشرة تقوم بتمرير مثل هذه الاقتباسات والمؤثرات الحضارية في هذه الصناعة، ومن أهم هذه القنوات ما يأتي:

أ- استمرار العلاقة العلمية بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وبين أهل الكتاب بعد البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم بشكل يختلف

---

(١) المفضَّل الضبِّي، ديوان المفضليات، ص ٧٤٣.

(٢) ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، ج٢، ص ٨٤٢.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة. والنعاف: رؤوس الأودية. صارة والقَنَان: جبلان لبني فقعس.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٥١٦.

تمامًا عما كانت عليه في الجاهلية، وبضوابط حَدَّدها الشَّارعُ الحكيم، حيث أصبح الإسلام خاتم الرسالات السَّماوية والناسخ لها والمهيمن عليها.. وشواهد هذا الاستمرار واضحةٌ وجليَّةٌ في أحاديث رسول الله ﷺ وآثار الصحابة رضي الله عنهم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرءُون التوراة بالعبرانية ويُفَسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام...» فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم[(١)]، وقولوا: ﴿آمَنَّا باللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ الآية»[(٢)]، وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عَلَيَّ متعمداً فَلْيَتَبَوأْ مقعده من النار»[(٣)]، وعن

(١) قوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» أي: «إذا ما يخبرونكم به محتملاً، لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعُنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله». انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص ١٧٠، وانظر للاستزادة في شرح الحديث: ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص ٣٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، ج٨، ص١٧٠، رقم ٤٤٨٥، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء..»، ج١٣، ص ٣٣٣، رقم ٧٣٦٢، وفي كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ج١٣، ص ٥١٦، رقم ٧٥٤٢، وأخرج -نحوه- أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، ج١٠، ص ٦٠-٦١، رقم ٣٦٤١ من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه، وأخرج -نحوه- أحمد في مسنده، ج١٣، ص ٣١٠ من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه -أيضًا-، رقم ١٧١٦٣، ١٧١٦٤، وأخرج -نحوه- عبد الرزاق في مصنفه، باب حديث أهل الكتاب، ج١١، ص ١٠٩-١١٠، رقم ٢٠٠٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٦، ص٤٩٦، رقم ٣٤٦١، وأخرج -نحوه- أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، ج١٠، ص ٧٧، رقم ٣٦٥٩، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، ج٧، ص ٤٠٥- ٤٠٦، رقم ٢٦٦٩، وأخرجه الدارمي في سننه، المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السُّنَن، ج١، ص ١٣٦، وأخرجه أحمد -بتمامه- في مسنده، ج٦،=

عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: «كان نبيُّ الله ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح، ما يقومُ إلا إلى عُظم[1] صلاة»[2].

ويظهر استمرار العلاقة العلمية ـ بتلك الضوابط ـ فيما نُقل عن بعض الصحابة ممن كانوا من أهل الكتاب أنهم حدثوا بما في كتب أهل الكتاب، منهم على سبيل المثال لا الحصر: عبد الله بن سلام رضي الله عنه[3]، ونظيره نُعيم الحبر، فقد كان الأخير نصرانيًا

= ص ٤١-٤٢، رقم ٦٤٨٦، وص ٣٧٣، رقم ٦٨٨٨، ومختصرًا في ج٩، ص ٣٣٩، رقم ١٠٠٨٦، وص ٤٩٦، رقم ١٠٤٧٧، ونحوه في ج١٠، ص ٤٣-٤٤، رقم ١١٠٣٤، وص ١٤٦، رقم ١٣٦٢. وحول شرح هذا الحديث، والتفصيل في الضوابط الشرعية لهذا التحديث وأقوال الأئمة الأعلام في ذلك، مثل: الإمام مالك، والشافعي، وابن حجر، رحمهم الله، انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ٤٩٨-٤٩٩، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ٧٧، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٤٠٦. ولم يذكرها الباحث خشية الإطالة، ولعدم ارتباطها بلبِّ الموضوع.

(١) عُظْم الصلاة: عظم كقفل أي: بضم العين وسكون الظاء: معظم الشيء. قال في «النهاية»: عُظْم الشيء أكبره، كأنه أراد لا يقوم إلا إلى الفريضة. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ٢٦٠، والعظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ٧٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، ج١٠، ص ٧٧، رقم ٣٦٦٠، وأخرج ـ نحوه ـ أحمد في مسنده، ج١٥، ص ٧٧، رقم ١٩٨٠٧، وص ٩٤، رقم ١٩٨٧٥.

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي ﷺ، كان اسمه الحصين، فغيره النبي ﷺ بعبد الله، ذكر هو ذلك في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده ج١٧، ص ١١٩، رقم ٢٣٦٧٢ وله إسلام قديم، بعد أن قدم النبي ﷺ المدينة، حيث قال فيما أخرجه أحمد في مسنده ج١٧، ص ١٢٠، رقم ٢٣٦٧٤: «فلما تَبَيَّنْتُ وجهه، عرفتُ أن وجهه (ﷺ) ليس بوجه كذاب»، واتفق على أن وفاته كانت في سنة ثلاث وأربعين. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ص١١٨ (بتصرف)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤١٣، وأحمد بن حنبل، المسند، ج١٧، ص ١١٩. وحول تحديثه عن أهل الكتاب يذكر الباحث على سبيل المثال ما أخرجه أحمد في مسنده بإسناد صحيح ج١٧، ص ١١٨، رقم ٢٣٦٧١ أنه رُويَ عنه قوله: «قلتُ ـ ورسول الله ﷺ جالس ـ إنا نجد في كتاب الله في يوم الجمعة ساعة» الحديث، وفيما أخرجه الترمذي في سننه بإسناد حسن غريب، في كتاب أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ ج١٠، ص ٦٩، رقم ٣٦٢٦ عن عبد الله بن سلام أنه قال: «مكتوبٌ في التوراة صفة محمد» الحديث.

ثم أسلم في عهد عمر رضي الله عنه، وعلى يديهما أسلم اثنان وأربعون حَبْرًا في بيت المقدس(١)، ومن أولئك الصحابة أيضاً سلمان الفارسي رضي الله عنه(٢).

ومن أشهر من حدّث عن كتب أهل الكتاب، وكثرت الروايات حول تحديثه ومحاورته الصحابة في ذلك كعب بن ماتع الحميري(٣)، وكثرة حديثه عن أهل الكتاب، جعلت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يحدث رهطًا من قريش - عندما ذكر

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٩٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٣٩٣.

(٢) انظر حول قراءته الكتب: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ١٦.

وحول تحديثه عن أهل الكتاب يذكر الباحث على سبيل المثال لا الحصر: ما أخرجه أحمد في مسنده بإسناد حسن، ج١٧، ص ٩٣-٩٤، رقم ٢٣٦٢٢، أنه روى عنه قوله: «قرأتُ في التوراة» الحديث، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده، ج٥، ص ٤٨٧-٤٨٨، رقم ١٨٤٦، وقال المباكفوري: «قوله (قرأت في التوراة) أي: قبل الإسلام». انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي ج٥، ص ٤٨٧، وأخرج قول سلمان رضي الله عنه هذا أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب غسل اليد قبل الطعام، ج١٠، ص ١٨٦-١٨٧، رقم ٣٧٥٧، وقال: «هو ضعيف»، وبمثل ما قال المباكفوري قال العظيم آبادي في شرحه لقول سلمان رضي الله عنه. انظر: العظيم آبادي، عون المعبود، ج١٠، ص ١٨٦.

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، العلامة، الحبرُ، كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الدِّيانة من نبلاء العلماء، حدّث عن عمر وصهيب وغير واحد، وكان يغزو مع الصحابة، توفي بحمص ذاهبًا للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد كان من أوعية العلم. انظر: أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، ج١، ص ١١٨ (بتصرف)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٨٩-٤٩٤.

وللاطلاع على أحاديث كعب الأحبار ومحاوراته مع الصحابة في ذلك، انظر: ما أخرجه أحمد في مسنده، ج٧، ص ٢٤٦-٢٤٧، رقم ٧٧٠٠، وج١٧، ص ١٢٣، رقم ٢٣٦٨١، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص ٩٢، ١٦٣، والفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص ٣٢، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٥٢، وابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص ٨٩.

كعب - فيقول: «إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا - مع ذلك - لنبلو عليه الكذب»[1]، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «فقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (يحدثون عن أهل الكتاب): القديم فيشمل التوراة والصحف، وقوله (عليه الكذب) أي: يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به، وهذا نحو قول ابن عباس في حقٍّ كعب المذكور: بدَّل مَنْ قبله فوقع في الكذب، والمراد بالمحدثين: أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يُحدِّث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها»[2].. وفي قول معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وشرح ابن حجر رحمه الله، إشارتان قويتان إلى كثرة من أسلم من أهل الكتاب ثم حدثوا عن كتبهم، وكذلك كثرة من نظر في كتبهم من الصحابة أو من كبار التابعين. فمن الفئة الأولى ذكر الباحث عدداً منهم، أما الفئة الثانية فمن الصحابة: عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد قرأ الكتب[3]، وقرأ بالسريانية[4]، وكان قد أصاب جملةً من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها[5]، وكان يروي عنها بعض المعلومات[6].. ومنهم الصحابي قيس بن نُشْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[7]، فقد كان يقرأ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» ج١٣، ص ٣٣٣، رقم ٧٣٦١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص ٣٣٤.

(٣) انظر حول قراءته للكتب: ما أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص ٤٧٠-٤٧١، رقم ٧٠٤٣، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٢٦٧، وما أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص ٥٠٦، رقم ٨٤٢١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣١، ص ٢٥٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٦٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٢٦٦، وج٧، ص ٤٩٥، وابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٧.

(٥) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٤٢٩.

(٦) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص ١٢٣.

(٧) هو قيس بن نُشْبَة: بضم النون وسكون المعجمة، بعدها موحدة السلمي، كان يتأله في الجاهلية، وينظر في الكتب، فلما سمع بالنبي ﷺ قدم عليه، وأسلم، وشهد أنه رسول الله ﷺ؛ فكان النبي ﷺ يسميه حبر بني سُلَيْم، وكان إذا افتقده يقول: يا بني سُلَيْم، أين حبرك؟. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٣٨١-٣٨٢ (بتصرف).

الكتب[١].. والصحابي عامر بن شَهْر[٢]، وقد استدل الباحث على قراءته للكتب مما رُوي عنه أنه قال: «كنتُ عند النجاشي، فقرأ ابنٌ له آيةً من الإنجيل فَضَحكْتُ. فقال: أتضحكُ من كلام الله تعالى»[٣]، وفي رواية «... فقرأ آيةً من الإنجيل فعرفتها أو فهمتها فضحكتُ...» الحديث[٤].

ومن كبار التابعين: تُبيع بن عامر الحميري، كان قد أسلم في عهد أبي بكر أو عمر[٥]، وقد كان عالماً، وقرأ الكتب، وسمع من كعب الأحبار علمًا كثيرًا، وهو ابن امرأته[٦].. ومنهم كُرْوَدُس بن العباس الثعلبي (ت٦٠هـ)، ويقال: ابن هانئ الثعلبي، ويقال: ابن عمرو الغطفاني، روى عن ابن مسعود، والمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين، وهو من المخضرمين، حيث استنتج ابن حجر من أحد آثاره القولية بأن «فيه ما يشعرُ بأنَّ له إدراكًا»[٧]، وكان يقرأ الكتب[٨].. ومنهم وهب الذِّماري، عَدَّه ابن سعد[٩] من الطبقة الأولى من طبقات المحدثين بعد من نزل اليمن من الصحابة رضوان الله عليهم،

---

(١) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٦٢٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٨٠.

(٢) هو عامر بن شَهْر، همداني، ناعطي، وقيل: إنه من بكيل، وكلاهما من همدان. يعدُّ في الكوفيين، كنيته أبو الكنود، ويقال: أبو شَهْر، روى عن الشعبي وقيل له: «ناعط»؛ لأنه نزل جبلاً يقال له ناعط، فسمي به وغلب عليه. انظر: العظيم آبادي، عون المعبود، ج١٣، ص٥٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القرآن، ج٣، ص ٥٢، رقم ٤٧٢٢، وأخرجه نحوه أبو يعلى في مسنده، ج ١٢، ص ٢٧٥-٢٧٧ رقم ٦٨٦٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٢٢٠، رقم ١٥٤٧٣.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٤١٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٥٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص ٢٨.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٤٧٧.

(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ٥٦٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٤٧٦، ومحمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ص ١٦٤.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٥٣٧.

وكان يسكن ذمار، مخلافًا من مخاليف اليمن، وكان قد قرأ الكتب.. ومنهم مرثد بن سُميّ الأوزاعي، من قراء أهل الشام وشهد اليرموك، وسكن حمص، وروى عن أبي الدرداء، وكان ممن أدرك علي بن أبي طالب، وكان قد قرأ الكتب(١).. ومنهم أبو الجلد الجوني، فقد قرأ التوراة(٢).. ومنهم يوسف بن الزبير المكي مولى عبد الله بن الزبير، ويقال: مولى الزبير، وكان رضيع عبد الملك ابن مروان، وكان يقرأ الكتب(٣).. ومنهم بشير بن كعب الحميري روى عن أبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي هريرة(٤)، وقيل: أنه شهد اليرموك، ونفى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله(٥)، وقيل: أنه مخضرم(٦)، وقيل: أنَّ أبا عبيدة بن الجراح استعمله على بعض الأمور(٧)، وقد استدل الباحث على قراءته للكتب من محاورته للصحابي الجليل عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث الذي أخرجه مسلم - رحمه الله - في «صحيحه»، حيث قال بشير بن كعب بعد أن سمع عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خيرٌ كُلُّهُ»، فقال بشير بن كعب: «إنا لنجدُ في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينةً ووقاراً لله، ومنه ضعفٌ» الحديث(٨).

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٤، ص ١٦٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢٢٢.

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٨، ص ٨٢، ويحتمل أن يكون هو «يوسف» الذي ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق في ترجمة عبد الملك بن مروان، ج٣٧، ص ١٢٧، والقرماني في أخبار الدول وآثار الأول، ج٢، ص ٢١.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٥٥.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٤٨٣-٤٨٤.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٣٥١، ومحمد بن الشيخ علي الأثيوبي، قُرَّة العين في تلخيص تراجم رجال الصحيحين، ص ٥٢. ولم يذكره سبط ابن العجمي في تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٣٥١.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها...، ج١، ص ٦٣، رقم ٣٧.

ب – قُرب أهل الكتاب المكاني من حواضر الحجاز، وهذا ما حدا بمحمد بن سلام الجمحي في تعليقه على قصة النابغة الذُّبياني[1] مع أهل المدينة[2] واكتشافهم لعيب في شعره، أن يعزو سبب اكتشافهم لهذا العيب هو أنهم من أهل القرى، وفي نظره أن «أهل القرى ألطفُ نظرًا من أهل البدو، وكانوا يكتبون؛ لجوارهم أهل الكتاب»[3]، وفي قول محمد بن سلام الجمحي رحمه الله، وهو من هو علمًا[4]

(١) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذُّبياني الغطفاني المُضَري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، وهو أحد الأشراف في الجاهلية، وكان حظيًّا عند النعمان بن المنذر، وتوفي نحو ١٨ قبل الهجرة . انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٥٤–٥٥.

(٢) نص هذه القصة كما ذكرها محمد بن سلام الجمحي في «طبقات فحول الشعراء»، كما يأتي:
«... وقوله (أي النابغة الذبياني):

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرد إسقاطهُ ... فتناولته واتَّقَتْنَا باليَدِ
بمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنَانَهُ ... عَنَمٌ يكاد من اللَّطافةِ يُعْقَدُ

فقدم المدينة، فعيب ذلك عليه، فلم يأبه لهم حتى أسمعوه إياه في غناء، فقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتِّلي، فلما قالت: «الغُدافُ الأسودُ» و«يُعقد» و«باليد»، علم وانتبه، فلم يعد فيه، وقال: قدمت الحجاز وفي شعري صنعةٌ، ورحلتُ عنها وأنا أشعر الناس»، انظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٦٧–٦٨.
وفي «الأغاني» ـ بعد أن سمع الجارية ـ «ففطن فغيره، وجعله عَنَمٌ على أغصانه لم يُعْقَد. والعَنَم: نبتٌ أحمر يُصْبَغُ به.
وكان يقول: «وردتُ يثرب وفي شعري بعض العاهة، فصدرت عنها وأنا أشعر الناس»، الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ١٣– ١٤.

(٣) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٦٨.

(٤) قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: «العلامة، أبو عبد الله الجمحي، كان عالمًا، أخباريًا، أديبًا، بارعًا». انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٦٥١. وذكر العلامة المعاصر الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله أنه «من أهل بيت لهم في العلم باع، فأبوه سلام بن عبيد الله ابن سلام الجمحي...، وأخوه عبد الرحمن بن سلام الجمحي أحد رواة الحديث، روى عن مسلم، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات». انظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٣٧ (مقدمة التحقيق).

وصدقًا[1] وزمانًا[2] إشارة قوية إلى وجود تأثير لأهل الكتاب على صناعة الكتابة قبيل الهجرة النبوية عند أهل الحواضر على وجه الخصوص.

جـ - إخبار المصادر بوجود عدد من الكُتَّاب النصارى الذين ساهموا في حركة صناعة الكتابة في ذلك العهد، منهم: حامل رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ، وهو من نصارى عرب تُجيب[3]، وقد كان حافظًا للحديث، عربي اللسان[4]، وكان كاتبًا[5].. وكاتب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[6].. وكاتب مصحف عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه[7].. وكاتب مصحف عبدالرحمن بن أبي ليلى[8].. وكاتب مصحف علقمة بن قيس[9].. والكاتب الحذق البصير الذي نُصح عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستخدامه في كتابة حوائجه وحوائج الدولة فرفض[10].

(١) سئل عنه وعن أخيه أحد أئمة الحديث في عصره، المحدِّث صالح بن محمد الأسدي الشهير بصالح جَزَرَة، فقال: «صدوقان، رأيت يحيى بن معين يختلف إليهما». الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٣٧ (مقدمة التحقيق)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٦٥٢.

(٢) فقد عاش أكثر من نصف حياته تقريبًا في أواخر القرن الثاني للهجرة، فهو قريب العهد بحال صدر الإسلام.

(٣) تُجيب: بضم التاء المثناة وفتحها، والضم أفصح، وهم بطن من كندة ينسبون إلى جدتهم العليا تُجيب بنت ثوبان بن سليم. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩، ٤٧٧، والزبيدي، تاج العروس، ج١، ص ٣١٩، مادة: «تجب».

(٤) جاء خبر هذا الكاتب في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٢٦١، رقم ١٥٥٩٢.

(٥) يظهر خبر اتقانه للكتابة في عين الحديث السابق.

(٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ١٠٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٩٤، والبغدادي، الكُتَّاب وصفة الدواة والقلم، ص ٦٨.

(٧) أخرج خبره ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب النصراني يكتب المصاحف، ج١، ص ٤٦١، رقم ٣٨٦.

(٨) أخرج خبره عبد الرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص١١٤، رقم ١٤٥٣.

(٩) انظر خبره: أبي عبيدة الهروي، فضائل القرآن، ص ٤٠١.

(١٠) انظر: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٦٩٤، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ١٠٣، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٦٦، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٥٢، والبغدادي، الكُتَّاب وصفة الدواة والقلم، ص ٦٩.

د- تعليم اليهود لأبناء يثرب الكتابة العربية قبل هجرة الرسول ﷺ، حيث «كان بعض اليهود قد علمَ كتاب العربية، وكانت تعلَمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون...»(١).. كما وجد بعد الهجرة النبوية من يتعلم في مدراس اليهود الموجودة آنذاك في المدينة، فقد مَرّ معنا أن الرسول ﷺ أمر زيداً بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتابة السريانية والعبرانية، والجديد هنا أنه تعلمها في مدراس باسلة، فعلمه كتابهم في خمس عشرة ليلة حتى كان يعلم ما حرَّفوا وبَدّلوا(٢).

ولا شك في أنَّ هذا الاحتكاك المباشر والمقصود في صميم الكتابة وصناعتها قد أثمر عن كثير من التعلم والاقتباس الحضاري لبعض مفردات هذه الصناعة، وذلك عن طريق التلقي والمشاهدة ومن ثَمَّ الممارسة.

رابعاً: متفرقات حضارية:

وقبل أن يختم الباحث هذا الفصل يجدر به أن يشير - إضافة إلى ما ذكر - إلى بعض المتفرقات التاريخية واللغوية الحضارية في صناعة الكتابة والكتاب، التي تجمعت له من خلال قراءاته في المصادر التراثية المختلفة، ولم تكن لتستحق أن تكون ذات وحدة موضوعية مستقلة، ولكنها في نفس الوقت تحملُ شيئًا من الدلالات التي تشير إلى ظهور تأثير العامل الحضاري والاتصال بالأمم الأخرى في صناعة الكتابة والكتاب في العهد النبوي والراشدي.

فمنها ما كان من قوة العلاقات السياسية والتجارية بين الحجاز وبين بلاد الحبشة في الجاهلية وصدر الإسلام، التي أسفرت بدورها عن اختيار الرسول ﷺ - بعد بعثته - الحبشة مقصد هجرة أصحابه رضوان الله عليهم في بداية دعوته عليه الصلاة والسلام(٣).

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٩.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ٣٠٥.

(٣) انظر حول هذه الهجرة: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٧٢، ٧٣، وانظر حول معنى هذا الاختيار وسببه: غيثان علي جريس، تطور العلاقات السياسية والتجارية بين=

وقد استقر بعضٌ من هؤلاء المهاجرين الكرام مُدَّةً من الزمن في بلاد الحبشة بلغت نحو سبع سنين[١]، منهم: جعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عُميس الخثعمية، وابنه عبد الله بن جعفر (وكان وُلِدَ بأرض الحبشة)، وخالد بن سعيد بن العاص، وآخرين بلغوا العشرات رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كان تفاعل هؤلاء الصحب الكرام الحضاري ظاهر ـ ولا شك ـ في اقتباسهم لبعض المظاهر الحضارية التي شاهدوها في أرض الحبشة، وقد مرَّ معنا اقتباس أسماء بنت عميس ـ وهي من المهاجرات إلى الحبشة كما ذكرنا آنفًا ـ النَّعْش من أرض الحبشة، وكذلك طِبّاً أصابته هناك عالجت به رسول الله ﷺ، ويُضاف إلى هذا ما ذكر من أن الرسول ﷺ قضى لجعفر بن أبي طالب في إحدى الأقضية، فقام جعفر فَحَجَّلَ حول النبي ﷺ، دار عليه، فقال النبي عليه السلام: ما هذا؟ قال: شيءٌ رأيتُ الحبشة يصنعونه بملوكهم[٢].

ولا شك في أن صناعة الكتابة والكتَاب كانت متميزة في أرض الحبشة لأنهم أهل كتاب، وأهل دولة وحضارة، ولذلك نرىٰ ورود بعض المصطلحات المتعلقة بهذه الصناعة في الأخبار الواردة عن هجرة الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة، من ذلك: ما رآه عامرُ بن شَهْر الهمداني رضي الله عنه من حمل أحد أبناء النجاشي لوحًا يقرأ فيه نصوصًا من الإنجيل[٣]، وكذلك المصاحف التي اختص بها

= الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٨ (رجب ١٤١٣هـ / يناير ١٩٩٣م) ص ٤١٣-٤١٤.

(١) كانت عودة هؤلاء في المحرم من السنة السابعة من الهجرة، يوم فتح خيبر. انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٢٣٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٣٥-٣٦.

(٣) المصدر السابق، ج٦، ص ٢٩، وص ٨٤٨. وانظر هذا الخبر ولكن دون ذكر مادة الكتابة (اللوح) فيما أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القرآن، ج٣، ص ٥٢، رقم ٤٧٢٢، وفيما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٢٢٠، رقم ١٥٤٧٣، وسبق ذكره (دون اللوح).

الأساقفة في تلك البلاد[١] .. وكان نتيجة تلك المشاهدة والمعاينة من قبل الصحابة لبعض مفردات تلك الصناعة، أنهم لما أرادوا تسمية القرآن لما جُمع، اقترح بعضهم تسميته بالمصحف؛ لأن الحبشة يسمونه كذلك[٢]، ونسب في بعض الروايات إلى سالم مولى حذيفة رضي الله عنه قوله: «إنِّي رأيتُ مثله في الحبشة يسمونه المصحف»[٣]، وقد ذكر عبد الستار الحلْوَجي أن العرب في فجر الإسلام قد أخذوا الطريقة البدائية في التجليد عن الأحباش، واقتبسوا من أقباط مصر ـ بعد الفتح الإسلامي ـ ما طوروا به فن التجليد لديهم[٤].

ومن هذه المتفرقات الحضارية، ما ذُكر من وجود مصنفات تاريخية عربية في بلاد الروم، فقد روى ابن عساكر ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالله بن مسعود الفزاري رضي الله عنه[٥]، قال: لما أوفدني معاوية بن أبي سفيان إلى ملك الروم، دخلتُ عليه، فوجدتُ عنده رجلاً على سرير دون الملك، فكلمني بالعربية، فقلت له: من أنت؟ فقال: جبلة بن الأيْهَم[٦]، فإذا انصرفتَ من عنده فأت إلى منزلي، فلما انصرفتُ أتيتهُ...» ثم وَصَفَ حاله، ثم قال: «ورأيتُ بين يديه كتابًا ينظر فيه،

(١) انظر خبر هذه المصاحف في: عبد السلام هارون، تهذيب سير ابن هشام، ص٧٦، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) أبو شامة، المرشد الوجيز، ص ٦٤، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص ١٤٩.

(٣) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص ٢٨١.

(٤) عبد الستار الحلْوَجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص ٢٤٧-٢٥٠.

(٥) هو عبد الله بن مَسْعدَة، ويقال: ابن مسعود بن حكمة الفَزَاري، له رؤية من رسول الله ﷺ، وقيل: إنه كان من سبي فَزَارة، وأن النبي ﷺ وَهَبَه لفاطمة ابنته، فأعتقته، سَكَنَ دمشق، فكان مع معاوية بصفِّين، وبعثه يزيد بن معاوية على جُند دمشق يوم الحرة، وبقي إلى أن بايع مروان بن الحكم بالخلافة بالجابية، يلقبه المؤرخون: بصاحب الجيوش؛ لأنه كان أميراً عليها في غزو الروم، وقد رجَّح الزركلي وفاته نحو سنة ٦٥هـ. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص٤٦-٥٠، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص ٣٨١، والزِّركْلي، الأعلام، ج٤، ص ١٣٧.

(٦) هو جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني، من آل جفنة: آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام، عاش=

فظننتُ أنه الإنجيل أو التوراة، فقلتُ: ما هذا الكتاب؟ فيه التوراة؟ قال: لا، قلتُ: الإنجيل؟ قال: لا، ولكن أخبار الأنبياء، فقلتُ له: أَنظر فيه؟ فقال: دونك، فإذا أوله: بسم الربِّ الشفيق المتحنن على خلقه...» ثم ذكر خبرًا طويلاً عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام[1].

وهناك مَلْحظٌ حضاريٌ آخر متعلق بسعة انتشار الكتابة العربية في فترة زمنية مبكرة من العهد النبوي، وهو «أنَّ رسول الله ﷺ كَتَبَ إلى ملوك الأرض في أيامه، ووجد في بلاط الملوك من يقرأ هذه الرسائل، وقد ثبتَ أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل، وكسرى، والنجاشي»[2]، ووجد في بلاط هؤلاء الملوك المترجمين الفصحاء، والكتاب الحذقين بالعربية[3]. بل إننا نجد أن العامل الحضاري كان وراء اتخاذ الرسول ﷺ الخاتم كعملية من عمليات صناعة الكتابة والكتاب، وذلك

= زمنًا في العصر الجاهلي، وقاتل المسلمين في دومة الجندل سنة ١٢هـ، وحضر وقعة اليرموك سنة ١٥هـ وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام وغيرهما، في جيش الروم، ثم أسلم، وارتد، وذكر خبر ردته البلاذري في «فتوح البلدان»، ودخل بلاد الروم مرتداً ولم يزل بالقسطنطينية عند هرقل ملك الروم إلى أن توفي، وقد جزم الزِّرِكْلي بأن وفاته في سنة ٢٠هـ. ومعنى هذا أن الخبر الذي أورده الباحث كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤١-١٤٢، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٢، ص ١١١-١١٢، وانظر أخبار جبلة في: الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ١٥٣-١٦٨ ولجبلة هذا ذكرٌ في خبر الوفد الذي بعثه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، وفيهم عبادة بن الصامت، وعمرو بن العاص، وعَدي بن كعب...، وغيرهم، حيث استقبلهم جبلة وأدخلهم على ملك الروم في دمشق. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص ١٥٥.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص ٤٧-٤٨.

(٢) محمد محمد حسن شراب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج١، ص ١٩٦.

(٣) انظر في ذلك: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ ج٨، ص ٢١٤، رقم ٤٥٥٣، وما أخرجه البخاري - أيضًا - في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد، ج١٣، ص ١٨٦، رقم ٧١٩٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص١٥٦، وابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص ١١٨، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٥٠٩.

ظاهر في قول أصحابه له لما أراد أن يكتب إلى رهط من الأعاجم، وفي رواية «الروم»[١]: «إنهم لا يقبلون كتابًا إلا عليه خاتم»[٢].

وأخيرًا، يظهر أَثَرُ التفاعل الحضاري والاقتباس من الأمم الأخرى في وجود عدد من المصطلحات الأجنبية والدخيلة في لغة صناعة الكتابة والكتَاب في العهد النبوي والعهد الراشدي، ومن أمثلة هذه المصطلحات: ديوان[٣]، وطُومار[٤]، وقرطاس[٥]، وسجلّ[٦]، وبطاقة[٧]، ومَجَلَّة[٨]، ومُهْرق[٩].. وسيأتي التفصيل حولها إنْ شاء الله في باب بوادر صناعة الكتابة والكتاب في ذلك العهد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، ج١٠، ص ٣٢٤، رقم ٥٨٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ج١٠، ص ٣٢٣، رقم ٥٨٧٢.

(٣) الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٤٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٠٤، والجواليقي، المُعرّب، ص ٤٤٤.

(٥) الخفاجي، شفاء الغليل، ص ٢٤٣، والجواليقي، المُعرّب، ص ٥٢٩.

(٦) الخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٧٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٨٢، والجواليقي، المُعرّب، ص ٧٨.

(٨) الخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٢٠، ٢٨٧.

(٩) المصدر السابق، ص ٢٧٢، والجواليقي، المُعرّب، ص ٥٦٩.

الفصل الخامس:

العامل السياسي والإداري

ظَهَرتْ مع قيام الدولة الإسْلامية في العهد النَّبوي والخلافة الراشدة ـ كضرورة من ضرورات تصريف أمورها ـ وثائق ورسائل سياسية وإدارية كثيرة جداً، ولا أَدَلّ على ذلك من ظهور مصنَّفات خاصة بتلك الوثائق والرسائل في القديم(١) والحديث(٢).

ولقد أسهمت تلك الوفرة في هذا النوع من أنواع المدونات والمخطوطات مساهمة رئيسة في تطور صناعة الكتابة والكِتَاب في ذلك العهد، فلقد كان ظهور تلك الرسائل والوثائق سبباً أوليّاً في نشأة دواوين الإنشاء والجند، كذلك ساهمت في إيجاد أشكال جديدة من أشكال المواد المستخدمة في الكتابة، مثل ما يسمى بـ(الدفتر) في تأسيس ديوان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأيضاً إيجاد بعض أنواع العمليات المتعلقة بصناعة الكتابة والكتاب مثل ظهور سُنِّيَّة إتخاذ (الخاتم) في عهد النبي ﷺ، ومن

(١) من هذه المصنفات القديمة: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لمحمد بن طولون الصالحي الدمشقي؛ تحفة الظرفاء في جمع ما في الكلاعي من الرسائل النبوية والصحابة والخلفاء لمحمد بن أحمد اليحمدي الفحْصي، المصباح المضئ في كتّاب النبي الأميّ ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي لمحمد بن علي بن أحمد بن حُدَيْدة الأنصاري، رسائل النبي ﷺ لعلي بن محمد المدائني، مكاتبات النبي للأشراف والملوك لعمارة بن زيد، من كتب له النبي كتاباً وأماناً لعلي ابن محمد المدائني. وانظر عن هذه المصنفات: صلاح الدين المنجد، معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، ص ١٦٤–١٦٥، وماهر حمادة، مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ، ص ٢٤٧–٢٤٨.

(٢) من هذه المصنفات الحديثة: علي بن حسين علي الأحمدي، مكاتيب الرسول، ٦٥٨ ص، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٧٥٧ ص، ومحمود شيت خطّاب، سفراء النبي ﷺ.

ثَمَّ تأسيس ديوان الخاتم في عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومثل ظهور عملية (النسخ)، إلى غير ذلك من الإشارات التاريخيَّة التي تُشير إلى مساهمة هذا النوع من المكاتبات مساهمة فَعّالة في تطور صناعة الكتابة والكتاب في العهد النبوي والخلافة الراشدة.

ولأهمية هذا النوع من المدونات في ذلك العهد فسيتطرق الباحث إلى أنواع مهمة منها.

أولاً: كتابة الإقطاع:

الإقطاع هو مصدر أقطع، ويقال: أقطعه أَرْضَ كذا يُقطعه إقطاعاً، واسْتَقْطعه إذا طَلَبَ منه أَنْ يُقْطِعَه، والقطيعة الطائفة من أرض الخراج[١]، وجمعها (قطائع) وفي «المشارق»: «الإقطاع: تسويغ الإمام من مال الله لمن يراه أهلاً لذلك»[٢]. وفي «طُلْبَةِ الطَّلَبَة»: «إعطاء السلطان أرضاً ونحوها للانتفاع»[٣]، وفي مَوْضعٍ آخر منه: «والإقطاع من السلطان رجلاً هو إعْطَاؤُهُ إيّاها وتَخْصيصُه بها»[٤]، وأصل الإقطاع هو ما أقطعه الرسول ﷺ لأصحابه وللوافدين عليه. وقد كان لكثرة هذه الإقطاعات أثرٌ ملحوظٌ في تنشيط حركة الكتابة في ذلك العهد، فقد كانت هذه الوفرة في هذا النوع من المدونات سبباً في تخصيص الرسول ﷺ كاتبَيْن من

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص ١١١، وفي تاج العروس: «أَقْطَعَهُ قطيعةً، أيْ طائفةً من أرض الخراج». انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص ٣٨٥، مادة: «قطع». وانظر للاستزادة حول التفصيل في أنواع الإقطاع وأصله وأحكامه وما ذكر فيه: قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢١٥، وأبو يوسف، الخراج، ص ٦٢، ومحمد محمد حسن شُرَّاب، تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: راهب عصره، وعابد أهل فلسطين، ص ١١٢، وفيه مبحث بعنوان: من أحكام الإقطاع في الإسلام.

(٢) الخزاعي، تخريج الدلالات السَّمْعيّة، ص ١٨١، وابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص٤٧، والكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ١٢٠.

(٣) النَّسْفي، طُلْبة الطَّلَبة في الإصطلاحات الفقهية، ص ٤١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

أصحابه لكتابة مثل هذا النوع من المدونات والوثائق وهما: أُبَيّ بن كعب، وزيد ابن ثابت.. فقد رُوي عنِ الواقدي قوله: «وكان أُبَيّ وزيد بن ثابت يكتبان كُتَبه إلى النَّاس وما يَقْطع، وغير ذلك»(١)، وقد كان الهدف من كتابة هذه القطائع هو: «أن تكون تَوْثِقَةً بيد المُقْطَع [له] دفعاً للنزاع عنه»(٢).

وقد ذكرت المصادر الحديثية والتاريخية نصوص وأخبار كثير من كتب الإقطاعات التي أمر الرسول الكريم ﷺ بكتابتها(٣)، ومن أشهر هذه الكتب كتاب إقطاع تميم بن أوس الدَّاري رضي الله عنه، فقد ذكره عدد غير قليل من العلماء في مصنفاتهم(٤)، ورآه

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص ٦٨، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ١٨١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص ٤٩.

(٣) انظر ما عَدَّدَهُ الصولي ـ رحمه الله ـ على وجه الإجمال من إقطاعات الرسول ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، أدب الكُتّاب، ص ٢١٩–٢٢٠.

(٤) روى نص هذا الإقطاع أبو عُبَيْد القاسم بن سَلاَّم، الأموال، ج ٣، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩، رقم ٦٨٠، ٦٨١، وذكر خبر كتابة هذا الإقطاع محمد بن سعد الزُّهري في ترجمة تميم الدَّاري، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٤٤، وأشار إليه ـ أيضاً ـ في «طبقاته» في خبر وفد الدَّاريّين، ج٧، ص ٤٠٨، وروى ابن سعد ـ أيضاً ـ نص هذا الإقطاع بسنده في «طَبَقَاته» في ترجمة تميم بن أوس الدّاري (الطبقة الرابعة): ج٢، ص ٧٢٠–٧٢١، وأخرج نَصَّ هذا الإقطاع حَميد بن زَنْجُويَه بسنده، كتاب الأموال، ج٢، ص ٦١٧، وذكر خبر كتابة هذا الإقطاع أبو بكر محمد بن يَحْيَى الصُّولي، أدب الكُتّاب، ص ٢١٩–٢٢٠، وأخرج نصَّ هذا الإقطاع بروايات متعددة علي بن الحسن بن عساكر بسنده، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص ٦٥–٦٩، وأثبت روايات هذا الإقطاع أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب، ج ١٨، ص١٠٥، وذكر روايات ابن عساكر لهذا الإقطاع أحمدُ بن علي القَلْقَشَندي، وَعَدَّه أَصْلاً في كتابة الإقطاعات، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٢٥ –١٢٩، وذكر هذا الإقطاع أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مشيراً إليه ومقرًّا به في عدة مواضع من مؤلفاته دون ذكر روايات نصوصه، فتح الباري، ج٥، ص٤٨، وفيه قوله: «.... وقد وقع منه ﷺ ذلك [أي: الإقطاع] في عِدَّة أراضٍ بعد فَتْحها وقبل فتحها، منها إقطاعه تميماً الدّاري بيت إبراهيم، فلما فُتحت في عهد عمر نجز ذلك لتميم، واستمر في أيدي ذريته من ابنته رقية، وبيدهم كتاب من النبي ﷺ بذلك، وقصته مشهورة،=

آخرون ووصفوه[1] «فهو مكتوب مشهور معروف في العصور السابقة تَكَلَّم عليه أهل الحديث والتاريخ والفقه وغيرهم»[2]. وينقل الباحث هنا نص هذا الإقطاع من أقدم هذه المصنفات وهو «كتاب الخراج» لأبي يوسُف، حيث قال رحمه الله: «قال: أخبرني شيخ من قريش عن الزُّهري أن مصر والشام افْتُتحتْ في زمن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، وأن أفريقية وخراسان وبعض السند افْتُتحتْ في زمن عثمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، قال:

= ذكرها ابن سعد، وأبو عُبَيْد في كتاب الأموال، وغيرهما». وقد تتبع الباحث تراجم العشرة الذين ذكرهم الواقدي في وفد الداريين (انظر أسماء الوفد مجتمعة برواية الواقدي في: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٣٥٩) فلم يعثر على إشارات الحافظ ابن حجر رحمه الله حول هذا الإقطاع إلا في ترجمة ثلاث منهم، وهذه التراجم الثلاث على النحو الآتي:

- ترجمة تميم بن أوس الدّاري، وفيها قول ابن حجر: «وكان النبي أقطعه بها (أي: فلسطين) قرية عَيْنون، رُويَ ذلك من طرق كثيرة». انظر: الإصابة، ج١، ص ٤٨٨.
- وترجمة الطَّيِّب بن عبد الله الدّاري، وفيها: «.. فأسلمنا [والضمير عائد على راوي القصة أبي هندٍ الدّاري ورفقائه] وسألناه أن يُعطينا أرضاً من أرض الشّام، فكتب لنا كتاباً». انظر: الإصابة، ج٣، ص ٤٤٤-٤٤٥.
- وترجمة أبو هند الدّاري، وفيها قول ابن حجر بعد أن ذكر خبر الكتاب: «والكتاب المذكور مشهورٌ بيَدِ ذُرِيَّة تميم، وقد كَتَبْتُ في شأنه جزءاً سميته البناء الجليل بحكم بلد الخليل». انظر: الإصابة، ج٧، ص ٣٦٤.

أمَّا بقية العشرة الذين لم يُذكر في تراجمهم خبر هذا الإقطاع فمواضع تراجمهم كالآتي:

- جَبَلَة بن مالك الدَّاري. انظر: الإصابة، ج١، ص ٥٦٧.
- عُروة بن مالك الدَّاري. انظر: الإصابة، ج٤، ص ٤٠٦، أو عبد الرحمن بن مالك. انظر: الإصابة، ج٤، ص ٢٩٩.
- الفاكه بن النعمان الدَّاري. انظر: الإصابة، ج٥، ص ٢٦٩.
- تميم بن أوس الدَّاري. انظر: الإصابة، ج٦، ص ٣٥٩-٣٦٠.
- هانئ بن حبيب الدَّاري. انظر: الإصابة، ج٦، ص ٤٥٠.
- يزيد بن قيس الدَّاري. انظر: الإصابة، ج ٦، ص ٥٢٦.
- قيس بن مالك الدَّاري. (لم يعثر الباحث على ترجمته).

(١) سيذكرهم الباحث ويستعرض وصفهم المادي لنص هذا الإقطاع المكتوب.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ١٤٣.

فقام تميم الدّاري - وهو تميم بن أوس رجلٌ من لخم - فقال: يا رسول الله، إنَّ لي جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يُقال لها (جيرون) وأخرى يُقال له (عَيْنُون)، فإن فتح الله عليك الشّام فَهَبْهَا لي. فقال: هُمَا لك. قال: فاكتب لي بذلك كتاباً، قال: فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدّاري، أنَّ له قرية (جيرون) و(بيت عَيْنون)[1].. قريتهما كلها وسهلهما وجبلهما وماؤهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما، ولعقبه من بعده لا يحاقّه فيهما أحد، ولا يلجهما عليهم أحد بظلم، فمن ظلم واحداً منهم شيئاً فإنَّ عليه لعنة الله». قال: فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كتب لهم كتاباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله ﷺ الذي اسْتُخلفَ في الأرض بعده، كتبه للدّاريّين أن لا يفسد عليهم سبدهم ولبدهم[2] من قرية (جيرون) و(عينون)، فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئاً، وليقم عمودي الناس عليهما، وليمنعهما من المفسدين»[3].

ومن هذه الإقطاعات، ما أقطعه رسول الله ﷺ لزيد بن مهلهل (زيد الخير) رضي الله عنه، حيث قطع له فَيْداً[4] وأرضين، وكتب بذلك كتاباً[5]، وكتب ذلك الكتاب في سنة ٩ هـ[6]، ومنها ما أخرجه البخاري - رحمه الله - في «صحيحه»

(١) انظر حول التفصيل في التعريف بالأماكن التي وردت في روايات نص الإقطاع: محمد محمد حسن شُرّاب، تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: راهبُ عَصْرِه وعابد أهل فلسطين، ص ١٦٣-١٧١.

(٢) السبد: القليل من الشعر، واللبد: الكثير.

(٣) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٤) فَيْد: بُلَيْدة في نصف طريق مكة من الكوفة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٢١، والطبقة الرابعة: ج٢، ص٦٣٨، والأصفهاني، الأغاني، ج١٧ ص٢٥٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٩، ص ٥١٨، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٦٨٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥١٤.

(٦) انظر حول تحديد العام: الذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٦٦٤.

عن أنس رضي الله عنه: «دعا النبي ﷺ الأنصارَ ليُقْطِعَ لهم بالبحرين [وفي رواية: «ليكتب لهم»](١)، فقالوا: يا رسول الله، إن فَعَلْتَ فاكْتُبْ لإخواننا قريش مثلها، فلم يكن ذلك عند النبي ﷺ فقال: إنكم سَتَرَوْنَ بَعْدي أثرةً، فاصبروا حتى تَلْقَوني»(٢)، ومنها ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في «مسنده» عن أبي ثَعْلَبة الخشني، قال: «أتيتُ النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، اكتب لي بأرض كذا وكذا بأرض الشام (لم يظهر عليها النبي ﷺ حينئذ)، فقال النبي ﷺ: «ألا تسمعون إلى ما يقول هذا؟» فقال أبو ثَعْلَبة: والذي نفسي بيده لتظهرن عليها، قال: فكتب له بها» الحديث(٣).

ومنها إقطاع النبي ﷺ لحريث بن حسان(٤)، ولحصين بن نَضْلَة الأسدي.. فقد كتب ﷺ للأخير: «إنه له مرْبداً وكنفاً لا يُحاقّه فيها أحد، وكتب المغيرة»(٥)، ولعوسجة بن حرملة الجهني من ذي المروة إلى ظَبْيَة إلى الجعلان إلى جبل القَبَليَّة(٦)،

(١) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب ما أَقْطَعَ النبي ﷺ مِنَ البحرين، ج٦، ص٢٦٨، رقم ٣١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب كتابة القطائع، ج٥، ص٤٨-٤٩، رقم ٢٣٧٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج١٣، ص٤٧٨، رقم ١٧٦٦٦، وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتاب الأموال، كتاب أحكام الأرضين...، باب الإقطاع، ج٣، ص٣٨٨ رقم ٦٧٩.

(٤) انظر خبر إقطاعه فيما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص١١.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٧٩. ومرْبد: الأصل في هذه الكلمة الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وبه سمي مرْبد البصرة، وإنما كان موضع سوق الإبل وكذلك كل ما كان من غير هذا الموضع أيضاً إذا حبست فيه الإبل. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٨٢، مادة: «ربد»، والحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٩٨، مادة: «ربد». وكَنَفَى: بفتح أوله وثانيه ثم فاء مفتوحة أيضاً، بوزن جَمَزَى.... موضع كانت فيه وقْعَة أُسر فيها حاجب بن زرارة، أسره الخمخام بن جَبَلَة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٤.

(٦) العباسي، عمدة الأخبار، ص٣٦٢-٣٦٣. وظَبْيَة: موضع قرب المدينة بديار جهينة.

ولثور بن عَزْرَة[١] بن عبدالله أبو العُكَيْر القشيري[٢]، ولبلال بن الحارث المزني، الذي كتب له رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى رسول الله ﷺ بلال بن الحارث، أعطاه معادن القَبَلِيَّة» الحديث، وقد كتب هذا الإقطاع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣]، وفي رواية لابن شَبَّة[٤] أنَّه أقطعه العقيق.

ومن هذه الإقطاعات ما كان لِسَلَمة بن مالك السَّلمي الذي كتب له ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أَقْطَعَ مُحَمَّدٌ رسُولُ الله سَلَمَةَ بن مالك..»[٥] الحديث، وكذلك ما كان لسعيد بن سفيان الرِّعْلي، ويقال: الرُّعَيْني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي أقطعه النبي ﷺ، وكتب له بذلك كتاباً كتبه خالد بن سعيد[٦]، وما كان ـ أيضاً ـ لأبي الجَوْن قَتَادة بن الأعور بن ساعدة، الذي كتب له رسول الله ﷺ كتاباً بالشَّبَكَة، مَوْضِعٌ بالدَّهْنَاء[٧]، وكتب رسول الله ﷺ كتاباً لوفد هَمْدان، وفيهم أبو ثور مالك بن نَمَط الهَمْداني الأَرْجي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأقطعهم فيه ما سألوه[٨].

وأعطى رسول الله ﷺ مُجَّاعة بن مُرَارة من بني سَلْمى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أرضاً باليمامة يُقالُ

---

(١) في الطبقات الكبرى لابن سعد: ثور بن عروة، ج١، ص ٣٠٣.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٢٩.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص٨.
والقَبَلِيَّة: بالتحريك، سراة فيما بين المدينة وينبع، ما سال منها إلى ينبع سُمِّيَ بالغَوْر، وَمَا سَال منها إلى أودية المدينة سُمِّيَ بالقَبَلِيَّة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٠٧.

(٤) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ١٤٩–١٥٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٢٨.

(٦) المصدر السابق، ج٣، ص٨٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٦٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٣٣٦–٣٣٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣١٥.

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٥٨، وانظر حول إقطاع هَمْدان: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٤١.

لها العوزة [وفي رواية: «الغُوْرة»][(١)]، فكتب له بذلك كتاباً جاء فيه: «من محمد رسول الله ﷺ لمُجَّاعة بن مرارة من بني سلمى، إنِّي أعطيتك العوزة، فمن خالفني فالنار [وفي رواية: «فمن حَاجَّه فليأتني»][(٢)]، وكتب يزيد»[(٣)].

وكتب رسول الله ﷺ لجميل بن رِدَام العذريّ: «هذا ما أعطى محمد رسول الله جميلَ بن رِدام العذري الرَّمْد[(٤)] لا يحاقّه فيه أحد، وكتب علي بن أبي طالب»[(٥)]، واقطع الرسول ﷺ لوائل بن حُجْر بن ربيعة الحضري القطائع، وكتب له عهداً[(٦)]، وأقطع ﷺ لرَزين بن أنس السُّلَمي وكتب بذلك كتاباً[(٧)]، وكتب ﷺ للحارث بن عَبْد شَمس الخَثْعَمِيّ كتابًا وأباحه وأصحابه من بلاد كذا وكذا[(٨)]. وكتب ﷺ لوَقَّاص وعبد الله ابني قُمَامة السُّلَميين: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أَعْطَى مُحَمدٌ النبيُّ ﷺ وقَّاص بن قُمَامَة وعبد الله بن قمامة السُّلَمِيَّيْن من بني

---

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص١٦٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٧١، وانظر حول هذا الموضع والاختلاف فيه ما حققه محمد مطيع الحافظ وروحية النحاس في الحاشية رقم (٤) من ترجمة هلال بن سراج بن مُجّاعة في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ج٢٧، ص ١٦٠.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص١٦٠.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص٩. وانظر: خبر هذا الإقطاع في ترجمة مُرَارة بن سلمى اليمامي من كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج٦، ص٢٧٩.

(٤) الرَّمْد: رمال بإقبال الشِّيحة، وهي رملة بين ذات العُشْر وبين الينسوعة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٦٨.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦٠٤.

(٦) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٢٥٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٤٦٦-٤٦٧.

(٧) أخرج خبر هذا الإقطاع الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٤٠٢.

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ٦٧٦.

حارثة..»[1] الحديث.

وفي عصر الخلافة الراشدة، أمر الخلفاء الكرام رضي الله عنهم بكتابة القطائع تأسياً بالنبي ﷺ، فكتب أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه إقطاعاً للأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن بدر[2] رضي الله عنهما[3]، وكتب عمر رضي الله عنه إقطاعاً لأبي عبد الله نافع بن الحارث بن كَلَدة، وقد أمر أبا موسى الأشعري بذلك[4]، وكذلك أقطع عمر رضي الله عنه سَنْدراً أرضاً ببلاد مصر، وقد أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه بذلك[5]، وسَنْدَر هذا كان غلاماً لزِنْباع الجُذَامي في عهد الرسول ﷺ، وقال ابن عبد الحكم معلقاً على إقطاع سَنْدَر: «ولم يبلغنا أنَّ عمر بن الخطاب أقطع أحداً من الناس شيئاً من أرض مصر إلا ابن سَنْدَر، فإنَّه أقطعه أرض مُنْيَةَ الأَصْبَغ[6]، فلم يزل له حتى مات...»[7]، وكتب عثمان ابن عفان رضي الله عنه إقطاعاً لعثمان بن أبي العاص[8]، وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٨٠.

(٢) في المصادر الأخرى: عُيَيْنَة بن حصن. انظر: الصولي، أدب الكتّاب، ص٢٢٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٩، ص ١٩٣ – ١٩٦، وج ٢٣، ص ٤٣٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٢٥٤، وج٤، ص ٦٤٠–٦٤١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدين، ص٢٨٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٧٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٣١٩–٣٢٠.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٤٢–٢٤٥، وفيه قصة هذا الإقطاع وسببه.

(٦) مُنْيَة الأصبغ: في شرقي مصر، منسوبة إلى الأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان أخي عمر بن عبدالعزيز بن مروان. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٨، حيث اشتراها الأصبغ بعد موت سَنْدَر، كما جاء في «فتوح مصر» لابن عبد الحكم.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢٤٣. ونقل هذا القول: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ١٠٦، في ترجمة عبد الله بن سَنْدر الجذامي، وذكر ابن حجر خبر هذا الإقطاع أيضاً في «الإصابة» في ترجمة كل من: مسروح بن سَنْدَر الخصي (ج٦، ص٧٢–٧٣) وسَنْدَر مولى زِنْباع الجُذامي (ج٣، ص١٦٠).

(٨) انظر: نصّ الإقطاع: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٤، مادة «شَطٌّ»، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٣٢–٥٣٣.

إقطاعاً لسويد بن غفلة الجعفي(١).

ورغم أَنَّ الأصل في الإقطاعات الكتابة والتدوين إلا أنّ الباحث عثر على أثر وحيد يُصَرِّح رَاوِيه بعدم وجود الكتابة في الإقطاع الذي نَالَهُ من رسول الله ﷺ، فقد روى ابن سعد بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «قطع لي رسول الله ﷺ أرضاً بالشام، يُقَال لها: «السَّليل»، فتوفي النبي ﷺ ولم يكتب لي بها كتاباً، وإنما قال لي: إذا فَتَحَ الله علينا الشام فهي لك»(٢)، وهذه حال -إنْ صَحَّتْ- فهي حال فردية، وأكثر الأحاديث الصحيحة والأخبار الكثيرة عن الرسول ﷺ وصحابته الكرام تُصرِّح باقتران الكتابة والتدوين بعملية الإقطاع، كما مر معنا، بل يرى الباحث أنّ في قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «ولم يكتب لي بها كتاباً» إشارة إلى أن الأصل في الإقطاع والغالب عليه الكتابة والتدوين.

وهناك نوع من الكتابات يمكن أن يُدْرج ضمن مكاتبات الإقطاع، ألا وهو كتابات الوِصاية والعَطَايا والهِبَات، ومن أمثلتها: ما وهبه سعد بن أبي وقاص لابنه قيس حين شكا الأخير فقده للمال في عهد الرسول ﷺ، فقال له أبوه: فلك أربع حوائط. قال [أي الراوي]: وكتب له بذلك كتاباً، قال: وأتى إلى أبي عبيدة فشهد فيه، وأتى عُمَرَ فأَبَى أنْ يَشْهَد. .(٣)، ومنها الهبة التي عزم علي بن أبي طالب على كتابتها لعقيل بن أبي طالب من ماله بينبع(٤)، وقد كان عبد الله بن الزبير إذا كتب لرجل بجائزة إلى أخيه مصعب بن الزبير بألف درهم، جعلها مصعب مئة ألف(٥). وأما بالنسبة إلى كتب الوصاية، فمن أمثلتها ما كتبه ﷺ لأبي ضُمَيْرة مولاه بعد أن أعتقه بالإيصاء به وبأهل بيته، فَظَلّ في يده ويَدِ وَلَدِه(٦)،

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٣٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ١٢٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٤١٤.

(٤) المصدر السابق، ج٤١، ص٢٣.

(٥) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص٣٢٥.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٨.

ومنها ما كتبته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى زياد بن أبي سفيان بالوصاية بـمُرَّة أبي عثمان من موالي أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

إذن، كل هذه الشواهد التاريخية حول الإقطاع والهبات والوصاية تؤكد ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أثر هذا النوع من المكاتبات في تنشيط حركة الكتابة وصناعتها في ذلك العهد؛ مما أسهم في نشأة وتأسيس الدواوين.

ثانيًا: كتابة العهود:

وهذا النوع، وهو النوع الثاني من أنواع المدوّنات السياسية والإدارية، ولا يقل أثراً عن سابقه في صناعة الكتابة.

وقد ذكر القلقشندي ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى العهد أنه «لفظٌ مشترك يقع في اللغة على ستة معان، أحدها: الأمان[٢]، والثاني: اليمين، والثالث: الحِفَاظ[٣]، والرابع: الذِّمَّة، والخامس: الزمان[٤]، والسادس: الوَصيَّة[٥]»[٦]، وقال الجَوْهري: «ومنه اشْتُقَّ العهد الذي يُكتب للولاة»[٧].

والمعاني ذات الارتباط بموضوع البحث هي: المعنيان الأول والرابع، وهما يدخلان ضمن مكاتبات الصلح، والمعنى السادس وقد تطرق إليه الباحث فيما سبق، ثم أخيراً العهد الذي يكتب للولاة، وبه سيبدأ الباحث هذا النوع من المكاتبات السياسية والإدارية في ذلك العهد.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٢٣.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣١٢.

(٣) انظر حول هذا المعنى: المصدر السابق، ج٣، ص٣١٢.

(٤) انظر حول هذا المعنى: المصدر السابق، ج٣، ص٣١٥.

(٥) انظر حول هذا المعنى: المصدر السابق، ج٣، ص٣١١. وهناك معنى سابع وهو الالتقاء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٣١٣.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٣٦٢-٣٦٣ (بتصرف).

(٧) الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٥١٥.

أ ـ كتابة العهود للعمال والولاة:

والأصل فيها ما كان يفعله الرسول ﷺ من كتابة العهود لعُمّاله، فقد كتب ﷺ لقيس بن مالك بن سعد الأرحبي عهده على قومه همدان(١)، وفيه: « ... أما بعد: فإني استعملتك على قومك.. »(٢)، وكتب ﷺ لزياد بن لبيد « كتاباً فكان لا يعدوه إلى غيره ولا يقعد دونه »، وكان قد قال له: « سِرْ مع هؤلاء القوم ـ يعني وفد كنده ـ فقد استعملتك عليهم »(٣)، وكتب ﷺ لوائل بن حُجرْ بن ربيعة عهداً، وقال: « هذا وائل سيد الأقيال »(٤).

وكتب ﷺ لرفاعة بن زيد(٥): « إني بَعَثْتُهُ إلى قَوْمِه عامةً، ومَنْ دَخَل فيهم.. »(٦)، وكتب ﷺ لذي الغصة قيس بن الحصين « كتاباً على قومه »(٧)، وأمّره عليهم(٨). وأمَّر عليه الصلاة والسلام عثمان بن أبي العاص على وفد ثقيف، وكتب له عهداً(٩)، وكتب ﷺ لقيس بن سَلَمَة كتاباً(١٠) نسخته:

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٤١، وفيه نص العهد.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٧٨. وانظر نص العهد: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص٦٧٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٤٦٦-٤٦٧. وانظر نصوص كتب رسول الله ﷺ لوائل بن حجر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٢٤٦-٢٥٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٣٥.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص١٣٥. وانظر نص العهد: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد ا لنبوي والخلافة الراشدة، ص٢٨٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص٧٦٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٥٣.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٥٢٨. وانظر نص العهد: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص١٧٢.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٠٨.

(١٠) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٣٢.

«كتاب من محمد رسول الله لقيس بن سَلَمَة بن شراحيل: إنِّي استعملتك على مُرَّان ومواليها...»(١)، وكتب عليه الصلاة والسلام لعُبَادة بن الأشيب العَنْزي، قال عُبادة: «خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، فكتب لي كتاباً: من مُحَمَّد نَبيٍّ الله إلى عُبَادَة بن أشْيب إنِّي أَمَّرْتُكَ على قوْمِكَ...»(٢)، والأمر نفسه حدث مع زياد بن الحارث الصدائى، الذي قال لرسول الله ﷺ: «اكتب لي كتاباً، أَمِّرْني على قومي، قال: ففعل، وكتب لي كتاباً»(٣)، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «أفلا أؤمرّك عليهم؟ قُلْتُ بَلَى، فكتب لي كتاباً بذلك...»(٤).

أما كتابة العهود بالخلافة فقد هَمَّ عليه الصلاة والسلام بكتابة عهد الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، ولم يفعل، فقد رُوِيَ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «قال لي رسول الله ﷺ في مَرَضِه «ادْعي لي أبا بَكْر وأخاكِ، حتى أَكْتُبَ كتاباً؛ فَإِنِّي أخافُ أنْ يَتَمنَّى مُتَمَنٍّ ويقول قائلٌ: أنا أولى ويَأْبى اللهُ والمؤمنونَ إلا أبا بكر..»(٥)، ولكنه ﷺ لم يفعل(٦). قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا الحديث:

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٢٥، و(الطبقة الرابعة)، ج٢، ص ٧٤٦. ولم يرد اسم المعهود إليه قيس بن سلمة بن شراحيل في فهرست الأسماء والأعلام الذي صنعه محمد حميد الله لكتابه «مجموعة الوثائق السياسية» مما يُشير إلى عدم إيراده لنص هذا العهد.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥٠٤. وانظر نص هذا العهد: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٣٢٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٧٤.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٥٣٣. وانظر روايات خبر هذا العهد: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج١٥، ص١٥٠-١٥١، رقم ٦١٣١، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٠، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٠٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٠، ص٢٦٧-٢٦٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٣٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١١١.

(٦) قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حول استخلاف=

« . . . وأما طلبه لأخيها مع أبي بكر، فالمراد أنّه يكتب الكتاب. . . »(١).

ونظراً لعدم كتابة الرسول ﷺ العهد لأبي بكر، فقد عَدَّ القلقشندي(٢) ـ رحمه الله ـ الأصل في كتابة عهود الخلفاء عن الخلفاء هو عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى ابن سعد ـ رحمه الله ـ أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن استشار عدداً من الصحابة « دعا عثمان بن عَفّان فقال: « اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويَصْدُقُ الكاذب، إني استَخْلَفْتُ عليكم بعد عمر بن الخطَّاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسولَه ودينَه ونفسي وإيَّاكم خيراً، فإن عَدَلَ فذلك ظنِّي به وعلمي فيه، وإنْ بَدّل فلكُلِّ امرئ ما اكْتَسَبَ من الإثم، والخير أردتُ ولا أعلم الغَيْبَ ﴿ **سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾، والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم أمر بالكتاب فختمه »(٣).

= أبيها رضي الله عنه: « وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنصٍ من النبي ﷺ على خلافته صريحاً، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له، وتقديمه لفضيلته، ولو كان هناك نص عليه، أو على غيره، لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولاً، ولَذَكَر حافظ النص ما معه، ولرجعوا إليه.. لكن تنازعوا أولاً، ولم يكن هناك نص، ثم اتفقوا على أبي بكر، واستقر الأمر ». انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٥، ص١٥٠-١٥١.

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٥، ص١٥١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٣٦٤، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص٣١٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٠٠. وانظر هذا العهد: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٦٦٨، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٦٨، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وولدهما، ص ٧١، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٦-١٣٧، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٠، ص٤١١، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١١٦-١١٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص٣٧٥، والقَرْماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج١، ص٢٨٢-٢٨٣، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٠٤-٤٠٥.

وقال الواقدي: «دعا أبو بكر عثمان خالياً فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن قحافة إلى المسلمين، أما بعد.. قال: ثُمَّ أُغميَ عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أما بعد، فإني استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلُكم خيراً منه. ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه، فكَبَّر أبو بكر، وقال: أراك خفْتَ أن يختلف الناس إن افْتُلتتْ نفسي في غشيتي! قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرَّها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع»[١].

أما بالنسبة لعهود العمال والولاة، فقد كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه عهوداً بالأمارة إلى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، منها ما كتبه إلى زياد بن لبيد البياضي بولاية كندة والصدف إضافة إلى ما كان يتولاه من حضرموت[٢]، ومنها ما رواه البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّهُ قال: «أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما اسْتُخْلِفَ بَعَثه إلى البحرين، وكتب لهُ هذا الكتاب، وختمه بخاتم النبي ﷺ...»[٣]، ومنها ـ أيضاً ـ عهود أمراء الجيوش التي خرجت لقتال المرتدين[٤].. إلى آخر تلك العهود.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ كما مَرَّ ـ كثرت الفتوحات الإسلامية، فكان لزاماً على خليفة المسلمين أن يستعمل العمال والولاة على الولايات الإسلامية

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٣٥٣. وانظر نحو هذه الرواية: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٠٠، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص٧١، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص ٦٦٥-٦٦٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص١٨٥، وج٤٤، ص٢٤٨-٢٥١، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٧٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص١٢٥-١٢٦، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١١٧، والقلقشندي، مآثر الإنافة، ج١، ص٤٨-٤٩.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٢٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فَرْض الخُمس، باب ما ذُكرَ من درع النبي ﷺ وعَصاه وسيفه وقدحه وخاتمه...، ج٦، ص٢١٢، رقم ٣١٠٦.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٥٨.

الجديدة، فلذلك كثر مثل هذا النوع من المكاتبات في عهده رضي الله عنه، حتى عرف عنه أنه: «إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار»(١) واشترط عليه شروطاً.

وقد بلغ عُمّال عمر رضي الله عنه خلال عهد خلافته العشرات(٢)، وهذا خلاف عهوده للأمراء وقوّاد الجيوش التي فتحت الأمصار.. والناظر في المصادر التاريخية يجد أن هناك شواهد كثيرة تدل على صنيع عمر رضي الله عنه، فمن أوائل عهوده رضي الله عنه أنّه لَمَّا استُخْلِف كتب إلى أبي عُبَيْدة: إني قد ولَّيْتُكَ وعزلتُ خالداً(٣)، وقَدم دمشق بكتاب عمر على أبي عبيدة بإِمْرَتِه على الشام وعزْل خالد عامرٌ بن مالك ابن أُهيب الزُّهري(٤)، ومنها أنه «لما قدم المغيرة بن شعبة الكوفة والياً عليها من قبل عمر بن الخطاب، كان معه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولايته أذربيجان»(٥).

وفيما رُوِيَ عن الشعبي ـ رحمه الله ـ أنه قال: «كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء ابن الحضرمي، وهو بالبحرين: أنْ سِرْ إلى عتبة بن غزوان، فقد ولَّيْتُك عمله...»(٦)، ثم أتبع رضي الله عنه هذا الأمر بنصائح وتوجيهات للمعهود له.

«ولَمَّا حضرت أبا عبيدة [بن الجراح] الوفاةُ ولي عِيَاضُ بن غَنْم الذي كان

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٦٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) انظر إلى تسمية عُمّال عمر رضي الله عنه: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٨٧-٨٨. وقد ذكر الطبري رحمه الله عُمّال عمر رضي الله عنه في السنة التي قتل فيها، فكانوا عشرة عمال. انظر: تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٨٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٩، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٢٣٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١٥٢.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٧٨.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٦٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٢٣٨.

يليه. قال عمر بن الخطاب: من اسْتَخلَفَ أبو عبيدة على عمله؟ قالوا: عِيَاضَ بن غَنْم. فأَقَرَّه، وكتب إليه: إني قد وليتك ما كان أبو عبيدة يلَيه، فاعمل بالذي يُحق الله عليك»(١). ثم «لَمّا مات عِيَاض بن غَنْم وَلَّى عُمَرُ بن الخطاب سَعيدَ بن عامر ابن حِذْيَم عَمَلَه، وكان على حمص وما يليها من الشام، وكتب إليه كتاباً يوصيه فيه بتقوى الله، والجدِّ في أمر الله، والقيام بالحق الذي يجب عليه، ويأمره بوضع الخَراج، والرِّفق بالرعيَّة.. فأجابه سعيد على نحو من كتابه»(٢).. وذكر الطبري - رحمه الله - أنَّ عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة أن يُؤَمِّر سَهْلَ بن عدي ابن مالك الخزرجي(٣)، وكان من قَبْل قد كتب كتاباً إلى أهل البصرة في تأمير أبي موسى الأشعري(٤)، بل إننا نجد أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يكتب عهوداً بتعيين موظفي الدولة الإسلامية في الأمصار الأخرى، ومثال ذلك: ما كتبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى عمرو بن العاص بأن يجعل كعب بن ضِنَّة على قضاء مصر(٥).

ومن عهود الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ما كتبه بالخلافة لعبدالرحمن ابن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إلا أن عبد الرحمن وافاه الأجل قبل موت عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد وردت قصة عهد عثمان هذا في عدد من المصادر(٦).. ومن أشهر عهوده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالإمارة: عهده إلى محمد بن أبي بكر الصديق بإمرته على مصر، حينما جاءه أهل مصر

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٧، ص٢٦٩. وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص٧٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٦٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٦٩.

(٤) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٩٣، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٢٤.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٥٣٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٤٥٩.

(٦) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص١٠٢٨، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٥، ص٢٩٢.

يشكونه ويتظلمون من عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح[1]، وكذلك عهوده إلى أمراء فارس وخراسان[2].

ومن عهود الخليفة الراشد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، عهده إلى قيس ابن سعد بن عبادة أميراً على مصر[3]، وعهده إلى مالك بن الحارث المعروف بالأشْتَر النَّخْعي[4].. ومما تجدر الإشارة إليه أن عُمَّال أمراء المؤمنين في ذلك الوقت كانوا يكتبون ويقيدون أسماء عمالهم والقائمين على شؤون أعمالهم، وهذا ما يظهر من القصة التي حدثت مع الصحابي فَضَالة بن عُبَيْد رضي الله عنه[5].

وما ذكره الباحث من الشواهد لا يَعْدُو كونها نماذجًا وأمثلة لهذه العهود، وإلاَّ فقد كانت كتابة عهود العمال والولاة منتشرة في ذلك العهد، وذلك لما تفرضه سياسة أمور الناس وإدارة شؤونهم في الولايات الداخلة في حظيرة الإسلام، الولاية تلو الأخرى.

ب ـ كتابة عهود الأمان:

كتب رسول الله ﷺ كُتُبَ أمانٍ كثيرة للأفراد والجماعات، وكانت كثير من قبائل الجزيرة العربية بعد فتح مكة تحرص على أن يكتب رسول الله ﷺ كتاب أمان لها ولِـمَا في حوزتها من أرضٍ ومتاعٍ ومال. ومن أشهر كتب الأمان التي أمر رسول الله ﷺ بكتابتها للأفراد: كتاب أمان لسراقة بن مالك الجُعْشمي رضي الله عنه

---

(١) انظر خبر هذا العهد: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص١٣٤-١٣٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٤١٦، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٤٥٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٧٩.

(٢) انظر أسماء هؤلاء الأمراء: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٦٠٥، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٣٢٧.

(٣) انظر نصه: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٦٣.

(٤) انظر نصه: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٤، ص٢٣-٢٤.

(٥) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٨، ص٣٠١.

أثناء هجرته ﷺ إلى المدينة(١)، وكذلك الأمان الذي كتبه ﷺ لعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه حين هرب يوم فتح مكة(٢)، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عِيَاض عن أبيه [عِيَاض بن عبد الله الثَّقَفي]، قال: شَهدتُ رسول الله ﷺ، وأتاه رجل من بَهْز بعسل، فقال: «احم لي بقيعي» قال: فحماه له، وكتب له كتاباً(٣)، وعن رَزِين بن أنس رضي الله عنه قال: لـمَّا ظَهَر الإسلام كانت لنا بئرٌ فخفْتُ أن يغلبنا عليها مَنْ حَوْلها، فأتيتُ النبي ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، إنَّ لنا بئْراً وقد خفْتُ أنْ يَغْلبَنا عَلَيْهَا مَنْ حَوْلها! فكتب لي كتاباً «من مُحمَّدٍ رسول الله، أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ لهم بِئْرَهُمْ إنْ كان صادقاً، ولهم دَارَهم إن كان صادقاً»(٤).

ورُوِي عن قيس بن النعمان أنَّه قال: «خَرَجتْ خَيلٌ لرسول الله ﷺ، فَسَمِعَ بها أُكَيْدِر(٥) دُومَة الجَنْدَل(٦)، فانطَلَق إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، بَلَغني

(١) انظر حول كتاب الأمان هذا وقصته: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٧، ص٢٣٨-٢٣٩، رقم ٣٩٠٦؛ وما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٣، ص٤٢٦، رقم ١٧٥٢١. وقال المحقق: «إسناده صحيح». انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص٤٨٦، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص١٣٤، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ص١٧٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٥٦، والذهبي ،تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص ٣٢٥-٣٢٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣٥.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٦١.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٦٢٨.

(٤) أخرجه أبو يَعْلى في مسنده، ج١٣، ص١٢٩-١٣٠، رقم ٧١٧٨، وأخرج -نحوه- ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ج١، ص٣٩٧.

(٥) هو أُكَيْدِر بن عبد الملك بن عبد الجن السَّكُوني الكِنْدي، صاحب دُومَة الجَنْدَل، أُتِيَ به إلى النبي ﷺ فأسلم، ويُقال: بقي على نصرانيته، وكتب له النبي ﷺ كتاباً، ويُقال: أسلم ثم ارتد إلى النصرانية. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص ١٩٨. وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الجمع بين هذه الأقوال: «فالذي يظهر أنَّ أُكيدر صَالَحَ على الجزية، كما قال ابن إسحاق، ويحتمل أن يكون أسلم بعد ذلك، كما قال الواقدي، ثم ارتد بعد النبي ﷺ مع من ارتد، كما قال البلاذري، ومات على ذلك، والله أعلم». انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٣٨.

(٦) دُومَة: بين الشام والحجاز، وهي لكلب، وملكها أُكَيْدِر بن عبد الملك السَّكُوني. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٣٨.

أنَّ خَيْلَكَ انْطَلَقَتْ، وإنِّي خِفْتُ على أَرْضِي ومالي، فاكتب لي كتاباً لا تعرض لشيء هو لي، فإنِّي مُقِرٌّ بالذي عَلَيَّ من الحق.. فكتب إليه رسول الله ﷺ»[1].

ومن كتب الأمان التي كَتَبَها ﷺ للأقوام والجماعات ما كتبه ﷺ إلى عَكٍّ ذي خَيْوان[2]، فقد قيل لعك: انطلقْ إلى رسول الله ﷺ فَخُذْ منه الأمان على قَوْمك ومالك.. وكانت له قَرْيَةٌ فيها رقيق ومال. فَقَدِمَ على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنَّ مالك بن مَرارة الرَّهاوي قَدِمَ علينا يَدْعونا إلى الإسلام، فأسْلَمْنا، ولي أرضٌ فيها رقيق ومال، فاكتُبْ لي كتاباً، فكتب له رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله لعَكٍّ ذي خَيْوان، إنْ كان صادقاً في أرضِهِ ورَقيقِهِ وماله فَلَهُ الأَمَان وذِمَّةُ مُحمَّدٍ رسول الله ﷺ»[3].

وكتب ﷺ كتاباً لعمرو بن مُرَّة وقومه هذه نسخته «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمانٍ من الله العزيز على لسان رسوله، بحقٍّ صادق وكتاب ناطق، مع عمرو بن مُرّة لجُهَيْنة بن زيد أنَّ لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع[4] الأودية وظهورها..»[5]، وقدم على رسول الله ﷺ عَلْقَمة بن عُلاثة وابنا هَوْذة بن رَبيعة ابن عمرو وأخوه، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً[6]، وكتب ﷺ كتاب أمانٍ لبني زُهَير بن أُقَيْش جاء في أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص١٩٨.

(٢) لم تذكر مصادر تراجم الصحابة شيئاً يُذكر عنه غير خبر هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١٢، ص٢٧٥-٢٧٧، رقم ٦٨٦٤، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيئ والإمارة، باب ما جاء في حكم أرض اليمن، ج٨، ص٢٠٧-٢٠٩، رقم ٣٠٢٥، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ج٨٤٨، وابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج٢، ص٢١٦، وأشار إليه: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣٤٤.

(٤) تلاع: جمع «تَلْعة» وهو ما ارتفع من الأرض وما انهبط وهو من الأضداد. انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٨٧.

(٥) انظر نص الكتاب: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص ٣٤٥.

(٦) انظر نص الكتاب: المصدر السابق، ج٤١، ص ١٤٣- ١٤٤.

محمد رسول الله ﷺ، لبني زُهَيْر بن أُقَيْش..»، إلى أنْ قال: «..فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله»[1]، ورُوِيَ عن أبي حُمَيْد السَّاعديّ أنَّه قال في معرض حديثه عن غزوة تبوك مع الرسول ﷺ: «... وأهْدَى ملك أَيْلة[2] للنبي ﷺ بَغْلَةً بيضاء، وكساه بُرْداً، وكتب [ﷺ] له ببحْرهم[3]..»[4]، وكتب ﷺ لعامر بن الأسود ولقومه كتاباً هذا نص صدره: «بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرحيمِ، هذا كِتَابٌ من مُحَمَّدٍ رسُولُ اللهِ لعامر بن الأسْود المُسْلِم، أنَّ لَهُ ولقومِهِ على ما أَسْلَمُوا عليه من بلادهمْ ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة..»[5].

وكتب ﷺ كتاب أمان للفُجَيْع بن عبد الله بن البكَّاء ومن معه[6]، ولمالك

---

(١) انظر نص الكتاب: الجُمَحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٦٣-١٦٤، والأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٢٧٥.

(٢) أَيْلة: بالفتح مدينة على ساحل بحر القُلْزم [الأحمر] مما يلي الشَّام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢، وملك أَيْلة هو يوحنا بن رؤبة.

(٣) ببَحْرِهم: أي ببلدهم، أو بأهل بحرهم؛ لأنهم كانوا سكاناً بساحل البحر، أي أنَّه أقره ﷺ بما التزموه من الجزية. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٣٤٦، وقيل «ببَحْرِهم» أي: بقَرْيَتِهم. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ٢٦٧. وهذا الكتاب هو كتاب أمان وصلح فُرِض فيه عليهم الجزية، وقد بلغت ثلاث مئة دينار. انظر: قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٧٠، والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٥٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص ١٥١-١٥٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب خَرْص التمر، ج٣، ص٢٤٣، رقم ١٤٨١، وكتاب الجزية والموادعة، باب إذا وادَعَ الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟، ج٦، ص٢٦٦، رقم ٣١٦١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٧، ص٤٩-٥٠، رقم ٢٣٤٥٩، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيئ والإمارة، باب في إحياء الموات، ج٨، ص٢٥٤-٢٥٥، رقم ٣٠٧٧، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص ٥٩٠-٥٩١، وانظر نص الكتاب: ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٣٤٦.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤٦٦.

(٦) انظر نص هذا الكتاب: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٠٤-٣٠٥، وفيما أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الإيمان، باب فيما كتب بالأمان لمن فَعَله، ج١، ص٣٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٢٧٠.

وقيس ابْنَي الخِشْخاش - أيضاً - أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم[١]، ولجُنادَة (غير منسوب) كتاب أمان ذكر نصه ابن الأثير الجزري[٢] وابن حجر[٣] رحمهما الله تعالى، ولوائل بن حُجْر كتاب أمان مع كتابين آخرين كتبها الرسول ﷺ له ولقومه[٤]، ولمالك بن الأحمر - أيضاً - حيث وفد إلى رسول الله ﷺ وسأله أنْ يكتب له كتاباً، ذكر نَصَّه الهيثمي[٥] وابن عساكر[٦] وابن حجر[٧]، وتحت عنوان « ذِكْرُ مَنْ كَتَبَ له رسول الله ﷺ أماناً، وكتب إليه من أهل مكة وهو مقيم بها ولم يَبْرحها » ذكر الفاكهي[٨] نص كتاب رسول الله ﷺ إلى بُديل وبِشْر[٩] وسَرَوات بني عمرو.

وكتب ﷺ - أيضاً - كتاب أمان لشيخ من بني تميم جاء ذكره في حديثٍ أخرجه الإمام أحمد في « مسنده »[١٠]، إلا أن نص الكتاب لم يُذْكر. وكتب ﷺ - أيضاً - لنساء قَيْلَة[١١] « أنْ لا يُظلمن حقاً، ولا يُكْرهن على منكح، وكلّ مؤمن مسلم

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٤١.

(٢) ابن الأثير الجزري، أُسْدُ الغابة، ج١، ص٥٦٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦١٠-٦١١.

(٤) انظر نصوص هذه الكتب: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٢٥٤-٢٥٧.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب منه فيما كتب بالأمان لمن فعله، ج١، ص٢٨.

(٦) انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٦، ص٤١١.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٢٣.

(٨) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص٩٨-٩٩.

(٩) في « الإصابة » لابن حجر، جاءت هذه الكلمة بالسين المهملة: « بُسْر »، وهو: بُسْر بن سفيان بن عمرو الخزاعي، قال الحافظ ابن حجر: « ضبطه ابنُ مَاكُولا وغيره: بضم الموحدة وسكون المهملة، وكذا رأيتُ عليه علامة الإهمال في الأصل المعتمد من كتاب الفاكهي ». انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٤٢٤-٤٢٥. إذن فإعجام السين حدث من تصحيف النُسَّاخ.

(١٠) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٨٤، رقم ١٤٠٤.

(١١) قَيْلَة: حصن من نواحي صنعاء على رأس جبل يقال له « كَنن ». انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٢٤.

لهنّ، أَحْسِنّ ولا تُسِئْن»(١).

وفي عهد الخلافة الراشدة، كتب أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب أمان مختلفة، فكتب لعيينة بن حصن (٢)، ومُجّاعه بن مرارة(٣)، وقُرَّة بن هبيرة(٤).

جـ- كتابة عهود الصلح:

إن من أشهر عهود الصلح التي كتبها الرسول ﷺ هو صلح الحديبية، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القَعْدة فأبى أهلُ مكة أن يَدَعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نُقِرُّ لَكَ بهذا، لو نَعْلَم أنَّك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعَليّ: امْحُ رسول الله، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يُحسِنُ يكتب - فَكَتَبَ: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاحَ إلا السيفَ في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحدٍ إن أراد أنْ يَتْبَعَه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يُقيم بها...» الحديث(٥).

والجدير بالذكر أن خبر صلح الحديبية قد جاء في عدد من المصادر

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٢٠، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص٣٠٣، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص٢٩١.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص٥٦٢، وابن قتيبة، المعارف، ص٣٠٤.

(٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٥٠.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص٦٢٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ج٧، ص٤٩٩، رقم ٤٢٥١، وأخرج نحوه - أيضاً - في كتاب الصلح، باب كيف يكتبُ «هذا ما صالَح فلانُ بن فلانٍ فلانَ بن فلانٍ» وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نَسبِه، ج٥، ص٣٠٣-٣٠٤، رقم ٢٦٩٩، وانظر ما أخرجه أيضاً في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد...، ج٥، ص٣٣١، رقم ٢٧٣٢.

التاريخية[١]، وكان قد كتبه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السنة السادسة من الهجرة.

ومن عهود صلحه ﷺ أنَّه وادع في غزوة الأبواء في صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مُهَاجَره مَخْشيّ بن عمرو الضمري، وكان سيد بني ضمرة، على أن لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدوّاً، وكتب بينه وبينهم كتاباً[٢].

وفي السنة العاشرة من الهجرة صالح رسول الله ﷺ أهْلَ نجران، وكتب لهم كتاباً، وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي ﷺ[٣].

وفي عام الوفود قاضَى «النبي ﷺ ثقيفاً على قضية[٤]»، و«كتب لهم كتابهم»[٥]، وكان كاتبه خالد بن سعيد بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقد كَتَبَ الرسول ﷺ في غزوة الخندق (الأحزاب) كتاب صلح مع يهود غَطَفَان «ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك» فاستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فلم يشيرا عليه بهذا الصلح، فأخذ ﷺ برأيهما، وتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب[٦].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩٧-٩٨، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠، وتاريخ الطبري، ج٢ ص ١٢٢-١٢٣، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٨٩-٩٠، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٢٦٩-٢٧٠، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٣٧٠-٣٧١، ٣٩٠-٣٩١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٨٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٥٧-٣٥٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ٣. وانظر نص الكتاب: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٥٨٤-٥٨٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣١٣.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٤، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٦٧٠. وانظر نص الصلح: ابن زنجويه، كتاب الأموال، ج٢، ص٤٥٣-٤٥٥، رقم ٧٣٥، ٧٣٦، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٢٨٣ ـ ٢٨٦.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٩٤، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٢٨٩. وانظر خبر هذا الصلح: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ص٥٥٤ ـ ٥٥٦.

ويندرج تحت هذا الباب، المعاهدة التي كتبها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس قالا: «كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلو مَعَاقلهم، وأن يَفْدُوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين»(١).

وقد رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: «قَدْ حَالَفَ النبيّ ﷺ بين قريش والأنصار في داري..»(٢)، وفي رواية: «بين المهاجرين والأنصار»(٣). وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «كَتَبَ النبي ﷺ على كُلِّ بَطْنٍ عُقُولَهُ، ثُمَّ كَتَبَ «أنَّهُ لا يَحِلُّ لِمُسْلم أنْ يَتَوَالَى مَوْلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بغير إذنه»، ثم أُخْبِرْتُ: أَنَّهُ لَعَنَ في صحيفته مَنْ فَعَل ذلك(٤).

وقد ذكر هذه الأحاديث الصحيحة الحافظ، المؤرخ، المحدث إسماعيل بن عمر ابن كثير - رحمه الله - في مقدمة فصلٍ عَقَدَه في كتابه الشهير «البداية والنهاية»(٥)

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص١١٣، رقم ٢٤٤٣. وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح»، وأخرج - نحوه - أبو يَعْلى في مسنده، ج٤، ص٣٦٦-٣٦٧، رقم ٢٨٨٤. وقال محقق الكتاب: «إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب قول الله عَزَّ وجل: ﴿**والذين عقَدَت أيمانُكم فآتوهم نصيبهم**﴾، ج٤، ص٤٧٢، رقم ٢٢٩٤، وكتاب الأدب، باب الإخاء والحلْف، ج١٠، ص٥٠١، رقم ٦٠٨٣، وكتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحَضَّ على اتفاق أهل العلم...، ج١٣، ص٣٠٥، رقم ٧٣٤٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين الصحابة رضي الله عنهم، ج١٦، ص٢٩٨-٢٩٩، رقم ٦٤١٠، ٦٤١١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص٤٦٩، رقم ١٢٤١١، وأخرج - نحوه - أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب في الحلف، ج٨، ص١١٤، رقم ٢٩٢٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص٣٥٥-٣٥٦، رقم ١٢٠٢٨، وج١١، ص٣٢٣، رقم ١٣٩٢٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، ج١٠، ص٣٨٨-٣٨٩، رقم ٣٧٦٩. والعُقُول: الدِّيَات واحدة عقل. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، ج١٠، ص ٣٨٩.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢٣٨.

بعنوان «فصل في عَقْده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فَكُتِبَ بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقررهم عليها، وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة» ثم ذكر ـ رحمه الله ـ نص الكتاب (الوثيقة) الذي يتضمن المعاهدة التي كتبها ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكذلك موادعته ﷺ اليهود في المدينة، مُصَرِّحاً ـ رحمه الله ـ بِنَقْلِهَا عن محمد بن إسحاق دون إسناد. وفي تمهيده ـ رحمه الله ـ لنص الكتاب (الوثيقة) الذي رواه دون إسناد بتلك الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً المتعلقة بكتابة المعاهدة بين المهاجرين والأنصار، إشارة إلى إخراجه إيَّاه (إيّاها) من دائرة الوضع والتزوير، لا سيما وأن بعض نصوص هذه الأحاديث[1] قد ورد في نَصِّ هذا الكتاب (الوثيقة)[2].

(١) ومن هذه الأحاديث ـ أيضاً ـ حديث صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) توصل إلى هذه النتيجة البَحَّاثة الدكتور أكرم ضياء العمري ـ حفظه الله ـ في دراسته لهذا الكتاب (الوثيقة) قائلاً: بعد أن أشار إلى أسانيد روايات هذا الكتاب (الوثيقة): «... وبذلك يتبين أن الحكم بوضع الوثيقة مجازفة، ولكن الوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، فابن إسحاق رواها دون إسناد مما يجعل روايته ضعيفة، وابن أبي خيثمة أوردها من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني وهو يروي الموضوعات، وأبو عُبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري وهو من صغار التابعين فلا يحتج بمراسيله..» ثم يصل ـ حفظه الله ـ إلى القاعدة التالية وهي: «إذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها في كتب الصحيح، فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية» معتمداً في وصوله إلى هذه القاعدة على ثلاث ركائز رئيسة:

أ- ورد نص الوثيقة من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة، وقد أشار إلى هذه الركيزة محقق كتاب «الأموال» لحُمَيْد بن زَنْجُوَيه الدكتور شاكر ذيب فَيَّاض في تخريجه لنص الوثيقة، قائلاً: «وإسناد حديث ابن زَنْجُوَيه ضعيف لإرساله، وفيه عبد الله بن صالح، وتقدم أنَّ فيه ضعفاً لكنَّ متابعة يَحْيى بن بكير تقوي روايته هنا، ويتقوى الحديث (أي نص الوثيقة) في الجملة بتعدد طرقه». انظر: ابن زنجويه، كتاب الأموال، ج٢، ص ٤٧٠.

ب- أن الزهري عَلَم كبير، ومن الرواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية.

ج- أن أهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكرت موادعة النبي ﷺ لليهود وكتابته بينه وبينهم=

وقد رجَّح أكرم ضياء العمري ـ حفظه الله ـ « أنَّ الوثيقة في الأصل وثيقتان ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول ﷺ لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم »، وترجَّح عنده ـ أيضاً ـ: « أنّ وثيقة موادعة اليهود كتبت قبل موقعة بدر الكبرى، أما الوثيقة بين المهاجرين والأنصار فَكُتِبَت بعد بدر »(١)، مستنتجاً ذلك من أقوال كبار المحدثين والمؤرخين حول هاتين الوثيقتين مثل: القاسم بن سلاَّم الهروي في كتابه « الأموال »(٢)، وأحمد بن يَحْيَى البلاذري في كتابه « أنساب الأشراف »(٣)، ومحمد بن جرير الطبري في كتابه « تاريخ الأمم والملوك »(٤).

= كتاباً. انظر: أكرم ضياء العمري، أول دستور أعلنه الإسلام، مجلة كلية الإمام الأعظم، ع١ (١٩٧٢م): ٣٩.

(١) أكرم ضياء العمري، أول دستور أعلنه الإسلام، مجلة كلية الإمام الأعظم، ع١ (١٩٧٢م): ٤٠-٤٢.

(٢) قال ابن سلاَّم: إن الوثيقة « كُتبت حَدَثَان مقدم رسول الله ﷺ المدينة قبل أنْ يظهر الإسلام ويَقْوى، وقبل أن يُؤْمَرَ بأخذ الجزية من أهل الكتاب ». انظر: ابن سلام، الأموال، ج٢، ص٢٩٧، رقم ٥١٨.

(٣) قال البلاذري في معرض حديثه عن « أسماء عظماء اليهود »: « وقالوا: وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها وكتب بينه وبينهم كتاباً، واشترط عليهم أنْ لا يمالئوا عدوّه، وأن ينصروه على من دهمه، وأن لا يقاتل عنهم كما يُقاتل عن أهل الذِّمة ». انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص١٣٤. ثم قال في مَبْدأ حديثه عن غزوة بني قَيْنُقَاع: « وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما قَدمَ المدينة، وادعته يهود كلها وكتب بينه وبينها كتاباً، فلما أصاب ﷺ أصحاب بدر وقدم المدينة سالماً غانماً موفوراً بَغَتْ وقَطَعت العهد ». انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص١٣٧.

(٤) قال الطبري في مَعْرِض تمهيده لغزوة بني قَيْنُقاع: « ثم أقام رسول الله ﷺ مُنْصَرَفه من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها، على أن لا يعينوا عليه أحداً وإنَّهُ إن دَهَمه بها عدو نصروه.. فلمَّا قَتَل رسول الله ﷺ مَنْ قتل ببدر من مشركي قريش، أظهروا له الحسد والبغي، وقالوا: لم يلق محمدٌ من يُحْسنُ القتال، ولو لَقيَنا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد.. وأظهروا نقض العهد ». انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٨. وقال في آخر أحداث السنة الثانية من الهجرة: « وقيل: إنه في هذه السنة كتب رسول الله، المَعاقل فكان معلقاً بسيفه ». انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص١٥.

والجدير بالذكر، أنَّ نص هذا الكتاب (الوثيقة) قد ذكره محمد بن إسحاق بن يسار[١] دون إسناد، وأبو عبيد قاسم بن سلاّم الهروي[٢] بسنده، وحُمَيْد بن مَخْلَد زَنْجُوَيه[٣] بسنده، وإسماعيل بن عمر بن كثير[٤] دون إسناد.

عهود الصلح والأمان في العهد الراشدي:

كثر هذا النوع من العهود في العهد الراشدي لكثرة الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة الإسلامية، ففي عهد أبي بكر الصديق عاهد خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة للهجرة أهل الحيرة، وصَدَّر كتابه بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عَديًا وعمراً ابنى عَديّ، وعمر بن عبد المسيح، وإياس بن قبيصة، وحيري بن أكّال (وقال عبيد الله جبريّ وهم نقباء أهل الحيرة)...»[٥]، وفي عهد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَالَحَ خالد بن الوليد أهل قريَّات السواد، التي يُقَال لها: بانقْيا وبارُوسْما وألّيْس، فصالحه أهلها وكان الذي صالحه عليها ابن صَلوبا وذلك في سنة اثنتي عشرة، فقبل منهم خالد الجزية، وكتب لهم كتاباً[٦]. وعاهد خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أهل البِهْقُبَاذ، وقد جاء في صدر كتاب العهد «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهَيش، وصَلُوبا بن نسطونا، لكم الذِّمَّة وعليكم الجزية، وأنتم ضامنون لمن

---

(١) انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص١٢٣ - ١٢٦.

(٢) ابن سلام، الأموال، ج٢، ص ٢٩٠ - ٢٩٤، رقم ٥١٧.

(٣) ابن زنجويه، كتاب الأموال، ج٢، ص٤٦٦ -٤٧٠، رقم ٧٥٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٣٩-٢٤٠، وانظر النص: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٥٧-٦٤.

(٥) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣١٧، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٣٧٩-٣٨٠.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٣٠٧، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٩٧-٩٨، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٣٨١-٣٨٢.

نُقِّبتُم عليه من أهل البِهْقُبَاذ الأسفل والأوسط..»[١].

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صالح أهل إيلياء (بيت المقدس) وكتب لهم كتاباً، جاء في صدره: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، وأعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم...»[٢] وكان ذلك في سنة ١٥هـ[٣]، وفي السنة نفسها فُتِحت بعلبك، وصالح أبو عبيدة أهلها وكتب لهم كتاباً «على أنصاف منازلهم وكنائسهم، ووضع الخراج»[٤]، وفي سنة ١٤هـ صالح خالد بن الوليد أهل دمشق وكتب لهم كتاباً[٥]، وفي سنة ١٦هـ

(١) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٠، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١٨٥، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٤٩، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٨٧ - ٤٨٩.

(٣) جاء في بعض المصادر أنَّ فتح إيلياء (بيت المقدس) كان في سنة ١٦هـ. انظر: العصفري، تاريخ خليفة ابن خياط، ص٧٣، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٧، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٦٢-١٦٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٣٩٣، وج٤٩، ص ٣٥٩-٣٦٠. وانظر نص الكتاب: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٨، ص١٣٥-١٣٦، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٨٥.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٠، وقدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٩١-٢٩٢، وبدران، تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ١، ص ١٤٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٣٣٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٣٧. وقال الحافظ الذهبي - رحمه الله - معلقاً على صلح خالد هذا: «وهذا غلط؛ لأن عمر عزل خالداً حين وُلِّي. قاله خليفة ابن خياط». انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢٣، وانظر: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٧ قال خليفة - رحمه الله -: «حدثنا عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: صالحهم أبو عبيدة على أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤوسهم، على أن لا يُمنعوا من أعيادهم، ولا يهدم شيء من كنائسهم، وصالح على ذلك أهل المدينة وأخذ سائر الأرض عنوة». انظر: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٧.

افتتحت حلب وصالح أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه أهلها، وكتب لهم كتاباً[1]، وفي سنة ١٨هـ صالح عِيَاض بن غَنْم رضي الله عنه أهل الجزيرة والرُّها وحَرَّان، وكتب لأهل الجزيرة كتاباً[2].

وفي عهد عمر رضي الله عنه أيضاً عاهد سراقة بن عمرو أهلَ الباب وكتب لهم كتاباً[3]، وصالَح النعمان بن مُقَرِّن أهل ماه بَهْراذان[4] وكتب لهم كتاباً[5]، وصالَح حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار[6] وكتب لهم كتاباً[7]، وصالَح أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري أهل إِصْبَهان وحواليها وكتب لهم كتاباً[8]، وفي سنة ٢٢ هـ صالَح نعيم بن مقرِّن أهل الري وكتب لهم كتاباً[9]، وكذلك أهل دُنْبَاود[10]،

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٤٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص١٥٧.

(٢) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٧٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٧، ص٢٧٨–٢٨٠.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٦١. وانظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٤٠–٥٤١.

(٤) ماه: في الفارسية اسم القمر، وكان في ممالك الفرس عدة مدن مضافة الأسماء إلى اسم القمر، وهي ناحية الراذانَين. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٩.

(٥) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٠، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٤٠–٤٤١.

(٦) ماه دينار: هو اسم كورة الدِّينَوَر. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٩.

(٧) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٥٣٠، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٤١.

(٨) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٢، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٤٢.

(٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٧، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٤٢.

(١٠) انظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٨، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٣٣٥. ودُنْبَاود: ذكرت في «معجم البلدان» للحموي كذا: «دُنْباوَنْد»، وقال: هو جبل من نواحي الريّ. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٧٥.

وفي هذه السنة صالَح سويد بن مُقَرِّن أهل قُومِسْ[١] وكتب لهم كتاباً[٢]، وكذلك أهل جرجان، وأهل طَبَرِسْتان[٣].. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ ذِكْرَ الباحث لكتب الصلح والمعاهدات هذه إنما هو على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فهناك الكثير من كتب المعاهدات التي كُتبت في العهد الراشدي.

ثالثًا: كتب أخرى:

ويندرج تحت العامل السياسي والإداري كتب الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في «صحيحه»، والإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ في «سننه»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنَّ نَبيَّ الله كَتَبَ إلى كِسْرى[٤]، وإلى قيصر[٥]، وإلى النجاشي، وإلى كل جَبَّار يَدْعوهُمْ إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي

(١) قُومِسَ: تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، وأكبر ما يكون في ولاية ملكها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ١٨٤. وانظر نص الكتاب: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٨، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٤٣.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) انظر حول كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وخبر رسول رسول الله: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٨، ص١٢٦، رقم ٤٤٢٤، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٨٩، والفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص٢٢٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٧، ص ٣٥٧، وابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٨١–٢٨٢، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٩٧، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٥٠٩–٥١٠.

(٥) انظر حول كتاب النبي ﷺ إلى قيصر وخبر رسول رسول الله: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ج١، ص٣٢، رقم ٧، وكتاب الاستئذان، باب كيف يُكتب إلى أهل الكتاب؟، ج١١، ص٤٧، رقم ٦٢٦٠، وما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج١٢ ص٣٢٢ ـ ٣٢٨، رقم ٤٥٨٣، وما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٣، ص١١٩–١٢٠، رقم ١٦٦٣٩، وج٣، ص٧٩ ـ ٨٢، رقم ٢٣٧٠، وما أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كيف يُكْتب إلى الذِّميّ، ج١٤،=

الذي صلى عليه ﷺ»[1]، وذكر الطبري[2] ـ رحمه الله ـ أنه كتب ﷺ إلى المقوقس (عظيم مصر)[3]، وإلى المنذر بن ساوى العبدي وهو على البحرين[4].

ويندرج تحت هذا العامل ـ أيضاً ـ المكاتبات والرسائل العسكرية التي كانت تتم بين القيادة في المدينة المنورة وبين قواد الجيوش الإسلامية، فهي من أكثر أنواع المكاتبات في ذلك العهد عموماً وفي العهد الراشدي خصوصاً، إن لم تكن أكثرها على الإطلاق، يشهد بذلك أخبار المعارك والفتوح في جميع المصادر التاريخية.

ذلك لأنَّ فريضة الجهاد ذروة سنام الإسلام ومن أوجب الواجبات التي يتحملها خليفة رسول الله ﷺ، وقد تضمَّنتْ هذه المكاتبات والرسائل في ثناياها: تعيين القواد،

= ص٣٧، رقم ٥١٢٧، وما أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في كيف يُكْتب إلى أهل الشرك، ج٧، ص٤٦٢، رقم ٢٧١٧، والأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٣٦٤-٣٦٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٧، ص٢٠٨-٢١٠، وج٢٣، ص٤٢٢-٤٣١، وابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٩٥-٩٦، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٢٧٥-٢٨١، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٥٠٢-٥٠٣.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب كتاب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ج١٢، ص٣٢٩، رقم ٤٥٨٥، والترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب في مكاتبة المشركين، ج٧، ص٤٦١-٤٦٢، رقم ٢٧١٦. وانظر: الذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص ٥٠١. قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ للجمع بين خبر كتابي رسول الله ﷺ إلى النجاشي المسلم الذي آوى أصحابه ﷺ، وبين نص هذا الحديث الذي أخرجه مسلم: «.. فَعَلَى هذا يحتمل أن يكون كتب إلى ملك آخر من ملوك الحبشة بعد أن كتب إلى ذلك». انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص ٢٨٩.

(٢) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص١٢٨.

(٣) انظر حول نص الرسالة وتفاصيل هذه البعثة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٤، وابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١١٥-١١٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج ٣، ص ٢٧٤-٢٧٥، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٥١١-٥١٢.

(٤) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص١٤٥، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٣٤٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٣٤٣.

وتحديد المسؤوليات العسكرية، واختيار المواقع، وترتيب الجيوش، وأخبار الفتوح، وطلبات المدد، والتوجيهات الإيمانية والعسكرية، إلى آخر هذه التوجيهات والمعلومات.

ومما يُعَدُّ من الكتابات الإدارية العامة في ذلك العهد عمليات الإحصاء الاجتماعية العامة، وكُتُب المظالم والمطالب والشكاوى.. إلخ، فقد حدث ذات مرة أنّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وقد تَعَشَّى الناس عنده: «أحصوا من يتعشى عندنا، فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل، وقال: أحصوا العيالات الذين لا يأتون، والمرضى والصبيان، فأحصوا فوجدوهم أربعين ألفاً»[١]، ثم مكث ليالي فَزادَ النَّاس «فَأَمَرَ بهم فأحصوا فوجدوا من يَتَعَشَّى عنده عشرة آلاف، والآخرين خمسين ألفاً»[٢]. ومن ذلك أيضاً أنَّه لما قَدِمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِمْصَ أمرهم أَنْ يكتبوا له فقراءهم، فرجع الكتاب فإذا فيه سعيد ابن عامل أمير المؤمنين عمر على حمص[٣].

ويُذكر في هذا المجال أنَّ الوفود التي كانت تَفِدُ على أمراء المؤمنين في ذلك العهد كانت تُكْتَب من قبل عُمَّالهم على الأمصار[٤]، فيروى أن الحُطيْئة جرول ابن أوس (شاعر مخضرم، ت نحو ٤٥هـ) أتى أبا موسى الأشعري (حين ولي العراق لعمر بن الخطاب) يسأله أن يكْتُبَه معه، فأخبره أن العدَّة قد تمَّت، فمدحه الحطيئة شعراً، فوصله أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥]. ويروى عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما حج ذات مرة كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم، وكتب فيهم اسم أبي دهبل الشاعر، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم سنية وأجازهم جوائز كثيرة وذلك بعد انقضاء أيام الحج[٦].. ويذكر هنا ما كان الناس يكتبونه

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٣٤٨.

(٢) المصدر السابق، ج٤٤، ص٣٤٨.

(٣) المصدر السابق، ج٢١، ص١٤٨.

(٤) انظر في ذلك: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٦٧، وج٤١، ص١٨٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ص ١٦٣-١٦٤.

(٦) المصدر السابق، ج ٧، ص ١٤١.

من حوائج ومظالم ثم يرفعونها إلى العمّال أو إلى أمير المؤمنين[١]، وقد كان عمر رضي الله عنه يُبْرِد بريداً إلى المدن، ثم ينادي مناديه في الناس: من أراد أنْ يكتب إلى المدينة فليكتب، فإن بريد المسلمين خارج؛ فَيَكْتُب الناس ما أرادوا [٢]، وقد قيل: أن «أول من اتخذ بيتاً تُرمى فيه قصص أهل الظلامات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه»[٣]؛ فإن صَحَّ هذا، فيُعَدُّ أصلاً في نشأة ديوان المظالم.

وفي ختام هذه الأنواع من المكاتبات السياسية والإدارية بدءاً بكتابة الإقطاع، ومروراً بكتب عهود الخلفاء والعمال والولاة وعهود الأمان والصلح، وانتهاءً بالرسائل السياسية والعسكرية والكتب الإحصائية والاجتماعية العامة - يظهر بجلاء ووضوح على وجه العموم مدى أهمية العامل السياسي والإداري في تفعيل حركة الكتابة وتنشيط صناعتها وتطوير مستلزماتها؛ حتى تكون ملبية للاحتياجات السياسية والإدارية في الدولة الإسلامية الفتية، ومُواكِبةً لتطور ونمو هذا الإحتياج الذي يزداد يوماً بعد يوم.. ويظهر بجلاء ووضوح - على وجه الخصوص - أثر هذا العامل في كونه السبب الأهم والعامل الأول في ظهور ديوان الإنشاء؛ لارتباط مضامين هذا العامل بهذا الديوان، ومن ثَمَّ تعددت أنواع الدواوين إلى دواوين الجند (العطاء)، والخراج، والخاتم، وغيرها لسياسة أمور الأقاليم الإسلامية، وإدارة شؤون مواردها وجيوشها، ولكن ما معنى الديوان؟ وكيف نشأت الدواوين؟ وهل وُجدت مثل هذه الدواوين في العهد النبوي؟ وما قصة ديوان عمر؟.

معنى «الدِّيوان»:

الدِّيوَان: مجتمع الصحف[٤]. قال الماوردي: «إن الديوان مَوْضوعٌ لحفظ ما

---

(١) انظر: الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص ١٨، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٦٦.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص١٣٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤٧١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٦٦، والزَّبيدي، تاج العروس، ج١٨، ص٢٠٧.

يتعلق بحقوق السَّلْطَنَة مِنَ الأعمال والأموال ومَنْ يقوم بها من الجيوش والعُمَّال»[١]. وقال ابن الأثير الجزري: «هو الدَّفتر الذي يُكْتَبُ فيه أسماء الجيش وأهل العطاء...»[٢]. وقد أطْلَقه الخفاجي على أربعة معانٍ فقال: «ويُطلق على الدفتر، وعلى مَحَلِّه، وعلى الكتاب، ويُخَصُّ في العُرْف بما يُكتب فيه الشِّعْر»[٣]. وأطْلَقَه الزَّبيدي على خمس معانٍ فقال: «.. فَمَعَانيه خمسة: الكَتَبَة، ومَحَلهم، والدَّفْتَر، وكل كتاب، ومجموع الشِّعْر»[٤].

وقد اخْتُلِفَ في أصله عربيٌّ أم أعجمي؟ وإن كان الأكثرون على أعجميته، وأنه من أصلٍ فارسي.. ولذلك قال النووي - رحمه الله -: «هو بكسر الدَّال على المشهور، وحُكِيَ بفتحها، وهو فارسي مُعَرَّب، وقيل: عربي»[٥]، فأورد القول بعربيته بصيغة التضعيف. ومدار رأي الأعجمية في أصل الديوان على مَعْمَر بن المُثَنَّى النحوي، المعروف بأبي عُبَيْدة، وعبد الملك بن قُرَيْب، الشهير بالأصمعيّ، وقد أورده عن الأول: ابن منظور، والزَّبيدي.. حيث قال أبو عُبَيْدة: «هو فارسي مُعَرَّب»[٦]. وأورده عن الثاني: أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي النحوي، وابن قتيبة، والجواليقي، وأحمد بن محمد الخفاجي.. حيث قال الأصمعي - حسب رواية أقدم المصادر المذكورة آنفاً -: «أمر كسرى الكُتّاب أنْ يجتمعوا في دار، ويَعْلَمُوا حساب السواد في ثلاثة أيام، وأَعْجَلهم فأخذوا فيه، واطّلَع عليهم فَرَأَى قوماً يدونون ويحسبون كأسرع ما يكون من الحساب، وينسخون كذلك؛ فعجب منهم ومن حركتهم! فقال: «أين ديوانه» أي: هؤلاء

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٩٩. وانظر: الزبيدي، تاج العروس، ج ١٨، ص ٢٠٧.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٥٠.

(٣) الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٤٤.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج١٨، ص٢٠٧.

(٥) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٧، ص٩١.

(٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ١٦٦، والزبيدي، تاج العروس، ج١٨، ص ٢٠٧.

مجانين، فسمي موضعهم «ديواناً» إلى هذا اليوم...»(١).

وممن أشار إلى أعجميته وأصله الفارسي: محمد بن يَحْيَى الصولي(٢)، والمبارك ابن محمد بن الأثير الجزري(٣)، وعلي بن محمد الخزاعي(٤).

وأما من قال بأصله العربي فمنهم: أبو جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس النحوي الذي قال: «المعروف في لغة العرب أنَّ معنى الديوان: الأصل الذي يُرجع إليه، ويُعْمل بما فيه، كما قال ابن عَبّاس: إذا سألتموني عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب، أي: أصله...»(٥)، وكذا أحمد بن محمد المرزوقي الذي قال: «هو عربي، من دَوَّنْتُ الكلمة إذا ضبطتها وقيدتها؛ لأنه موضع تضبط فيه أحوال النّاس وتُدون.. هذا هو الصواب وليس مُعَرَّباً..»(٦). وقد ذكر كلا الرأيين القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى»(٧).

وقد جاء ذكر (الديوان) في حديث رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة...»(٨) الحديث.

---

(١) انظر: البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص ٥٦، وابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص٣٠-٣١، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ١١٠-١١١، والجواليقي، المعَرَّب، ص ٣١٧، والخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٤٤.

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص١٩٦. حيث قال: «هو اسمٌ فارسيٌّ تكلمت به العرب».

(٣) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٥٠. حيث قال: «هو فارسيٌّ مُعَرَّب».

(٤) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢٤٨.

(٥) النحوي، صناعة الكتاب، ص ١٠٧. والأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البيهقي بسنده عن ابن عباس قال: «إذا قرأ أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فإنه ديوان العرب». انظر: البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب شهادة العشراء، ج١٠، ص١٢٤.

(٦) انظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٤٤.

(٧) انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٢٣-١٢٤.

(٨) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص١١٧، رقم ٢٥٩٠٩. وقال محقق المسند: «إسناده حسن؛ لأجل صدقة بن موسى، فيه كلام من قِبَل حفظه، وكذا قال الهيثمي ١٠ / ٣٤٨ إلا أنه عزى=

وقد فَسَّره أحد المعاصرين بمعنى (ديوان الحساب) : « ولقد شاع استخدام مصطلح (الديوان) في بلاد الإسلام منذ تأسيس عمر رضي الله عنه للديوان من أجل توزيع واردات الفيء، وأصبح في عهد الأمويين والعباسيين بشكل خاص يُشَكِّلُ اسْمًا يُطْلَقُ على مؤسسات تتولى وظائف الدولة المختلفة، وعلى رأسها الأمور العسكرية والشؤون المالية »(١)، ومازال هذا المصطلح يطلق على العديد من الهيئات والجهات الرسمية والحكومية في عدد من الدول الإسلامية إلى يومنا هذا.

نشأة الدواوين:

يَعتقد البعض(٢) أنّ العهد النبوي لم يَعرف دواوين الإنشاء والجند وغيرها، وقد يُعذر هؤلاء، بعض الشيء؛ لأن معظم المصادر(٣) صرَّحت بأن ديوان الجند (العطاء) أُسس في عهد عمر رضي الله عنه حيث ذكرت أَنَّ « أول مَنْ دَوَّن الدواوين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه »(٤)، وأنَّ ديوان الإنشاء بدأ ظهوره في عهد معاوية بن أبي

= تضعيفه للجمهور، ونقل توثيقه عن البعض، وصححه الحاكم ٤ / ٥٧٥، ووافقه الذهبي »، ولم يذكر هذا الحديث ابن الأثير الجزري في نهايته، ج٢ ، ص١٥٠، مادة: « ديوان ».

(١) مصطفى فايدة، تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان، ص٦٨.

(٢) من هؤلاء الأستاذ حميد مرعيد في بحثه الموسوم بـ« تعريب الدواوين » حيث قال ما نصه: « . . .ويلاحظ أيضاً أنَّ كلاً من: الرسول ﷺ، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب في سنوات حكمه الأولى، لم يقوموا بتكوين أيّ سجلاَّت لما يمكن أنْ نعتبره دخل الدولة ومصروفاتها. . »، ثم قال « . . ولهذا فإنهم لم يعيروا التفاتهم إلى الحسابات المدونة، ولا إلى فنٍّ تدوين هذه الحسابات وتفسيرها ». انظر: حميد مرعيد، تعريب الدواوين، ص ٧٧.

(٣) من هذه المصادر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨٢، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص٨٥٧، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص١٩٢، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٧٠، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٦، والعسكري، الأوائل، ص١١٣-١١٤، والماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٩٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص٨٩، وابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص١١٨، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤٨١، وفؤاد صالح السيد، معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين، ص١٢٤-١٢٥.

(٤) ولذلك روي عن الإمام الشافعي -رحمه الله- قوله: « قضى رسول الله ﷺ على العاقلة =

سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ذكر خليفة بن خياط في «تاريخه» أنه كان لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُتَّابٌ للرسائل وللديوان، وأنه أول من وضع ديوان الخاتم[1].. إلاّ أن المتأمل في عدد من الأحاديث النبوية والنصوص التاريخية وأقوال كبار المحدثين والمؤرخين، يجعل ذلك الاعتقاد غير مقبول على إطلاقه؛ لأن هذه الأحاديث والنصوص تشير إشارات واضحة إلى نشوء مثل هذه الدواوين في عهد النبي ﷺ، وبيان هذا الأمر يتضح من خلال النقاط الآتية:

أولاً: تَبَنِّي المصطفى ﷺ مسألة (التخصص) في تعيينه لكُتّابه ﷺ، وهذا ما يظهر فيما أورده الجهشياري حول (أسماء من ثبت على كتابة رسول الله ﷺ) حيث قال: «علي بنُ أبي طالب[2] وعثمان بن عفّان كانا يكتبان الوحي، فإن غَابَا كَتَبه أُبَيّ بن كَعْب وزيد بن ثابت[3]، وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يَدَيه في حوائجه، وكان المغيرة بن شُعْبة والحُصَيْن بن نُمَيْر يكتبان ما بين الناس[4]، وكان عبد الله بن الأرقم بن عَبْد يَغوث والعلاء بن عُقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دُور الأنصار بين الرّجال والنساء[5]،

= [الدِّيَات] ولا ديوان، حتى كان الديوان في زمان عمر رضي الله تعالى عنه». انظر: البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الدِّيَات، باب من في الديوان ومن ليس فيه من العاقلة سواء، ج٨، ص١٠٨.

(١) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٤١. وانظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٢٦٤، وصالح السيد، معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) روى أبو عمر يوسف بن عبد البر «كان الكاتب لعهوده ﷺ إذا عاهد وصلحه إذا صالح علي بن أبي طالب». انظر: الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ١٢٣.

(٣) وزاد صاحب «العقد الفريد»: «فإن لم يشهد واحد منهما، كتب غيرهما». انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٤.

(٤) وزاد صاحب «العقد الفريد»: «وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية إن لم يحضرا». انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٤.

(٥) وزاد صاحب «العقد الفريد»: «وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي ﷺ وآله، وكان حذيفة يكتب خرص ثمار الحجاز». انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٤.

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي[١]، ورُوِيَ أنَّ معيقيب بن أبي فاطمة حليف بني أسد كان يكتب مغانم رسول الله ﷺ، وكان حَنْظَلَة بن الرَّبيع بن المُرَقَّع بن صَيْفي، بن أخي أكْثَم بن صَيْفي الأُسَيْدي خليفة كُلِّ كاتب من كُتَّاب النبي إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم حنظلة الكاتب، وكان يضع عنده خَاتَمَهُ»[٢].

بل إننا نجد أَنَّ مرتبةً من مراتب الكُتَّاب اشتهرت في دواوين العهود اللاحقة للعهد الراشدي تُدعى (كاتب السِّر) كانت موجودة في عهده ﷺ متمثلة في الصحابي الجليل زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد أخرج السجستاني في كتاب «المصاحف» عن زيد ابن ثابت قال: «قال رسول الله ﷺ: إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تَعَلَّم كتاب العبرانية -أو قال: السريانية-؟ فقلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة»[٣]. وهذا ما حدا بالمقريزي رحمه الله إلى القول: «وكتابة السِّر رتبة قديمة لها أصلٌ في السُّنَّة»[٤].

فنلاحظ مما تَقَدَّم أَنّ في تنوع التخصصات الكتابية في عهده ﷺ، وتحديد القائمين عليها، ما يجعل وصف (ديوان الإنشاء النبوي) يصدق عليهم.

ثانياً: كثرة كُتَّابه ﷺ مَعْلم من المعالم التي تدل على وجود (ديوان الإنشاء)

(١) «كان زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يترجم للنبي ﷺ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن». انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٢، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢١٩. وقد مر معنا خبر قيامه بالترجمة من العبرانية أو السريانية إلى العربية للرسول ﷺ، وهو خبر ثابت صحيح.

(٢) انظر: الجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص ١٢-١٣. وقد ذكر ابن عبد ربه الأندلسي ما ذكره الجهشياري من أنَّ النبي ﷺ «كان يضع عنده (أي حنظلة) خاتمه». انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٤. بَيْد أنّه ذكر في موضع لاحق أنَّ «خازنه ﷺ على خاتَمِه معيقيب بن أبي فاطمة». انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص ٨.

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص١٥٦، رقم ٢.

(٤) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص ٢٢٦.

في عهده ﷺ، فقد أوصلهم - من قدامى المصنفين -: البلاذري - رحمه الله - إلى عشرة كُتّاب[1]، والجهشياري - رحمه الله - إلى ١٢ كاتبًا[2]، والباقلاني - رحمه الله - إلى ٤٠ كاتبًا (٢٣ من المهاجرين و١٧ من الأنصار)[3]، وابن عساكر - رحمه الله - إلى ٢٤ كاتباً[4]، وابن القيم - رحمه الله - إلى ١٧ كاتباً[5]، وابن كثير - رحمه الله - إلى ٢٤ كاتباً[6]، والعراقي - رحمه الله - إلى ٤٢ كاتباً[7].. وقد أوصلهم - من الباحثين المُحْدَثين -: محمد مصطفى الأعظمي إلى نحو (٦١) كاتبًا[8]، ومحمود شيت خطاب - رحمه الله - إلى ٣٨ كاتباً[9].

ثالثًا: إنّ الوفرة في الكتابات التشريعية والمالية والسياسية والإدارية والعسكرية - على نحو الأمثلة التي مرت - التي صدرت عن الرسول الكريم ﷺ عبر سني بعثته، تدل على حركة متميزة في الكتابة في ذلك العهد، وفي ذات الوقت فهي تمثل خير تمثيل ما يُسَمَّى بـ (الكتابة الديوانية الرسمية)[10] التي تمثل إمام الأمة؛ ذلك لأن

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص١٢.

(٣) الباقلاني، الانتصار، ص ٢٧٤.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٤-٣٥٠. وقد ذكر الكتاني - رحمه الله - في «التراتيب الإدارية»، ج١، ص ١١٥ أن ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» أوصلهم إلى ثلاثة وعشرين»، والصحيح أَنَّهُ أوصلهم إلى أربعة وعشرين، ولعل الكتاني - رحمه الله تعالى - لم يَعُدّ (سجِلّ) الكاتب لغرابة خبره وتفرده.

(٥) ابن القيم، زاد المعاد، ج١، ص١١٧.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٣-٣٦٨.

(٧) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للحافظ العراقي، ص٢٤٤. إذْ جاء في نظمه:

كُتّـابـه اثنـان وأربعـونا   زيد بن ثابت وكان حيّا

إلى آخر الأبيات التي ذكر فيها هؤلاء الكُتَّاب.

(٨) محمد الأعظمي، كُتَّاب النبي ﷺ، ص١١١.

(٩) محمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص٢٦٨.

(١٠) هذا المصطلح أطلقه الأستاذ محمد محمد حسن شُرّاب في كتابه «المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي»، ص٤٠٦.

«كل هذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء»[1]، وهذا ما حدا بالقلقشندي - رحمه الله - إلى القول: «اعلم أنَّ هذا الديوان (أيْ ديوان الإنشاء) أول ديوان وُضع في الإسلام؛ وذلك أن النبي ﷺ كان يُكَاتب أُمراءه، وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم، ويكاتبونه...»[2]، ثم ذكر - رحمه الله - نماذجَ لتلك المكاتبات التي سبق للباحث ذكرها والتوسع فيها.

وقد أحصى الباحث عدد الكتب النبوية التي ذكرها ابن سعد - رحمه الله - في «طبقاته» تحت عنوان (ذِكْر بعثة رسول الله ﷺ الرُّسُلَ بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وما كتب به رسول الله ﷺ لناسٍ من العرب وغيرهم)، فوجدها قد بلغت (١٠٧) كتب[3]. وذكر ابن سعد - أيضاً - تحت عنوان (ذِكْر وفادات العرب على رسول الله ﷺ) خبر قدوم (٧١) وفداً على رسول الله ﷺ، وقد أحصى الباحث عدد من كتب لهم من هذه الوفود فوجدها قد بَلَغَتْ (٢٦) كتاباً[4]، وقد بلغ عدد الوثائق السياسية التي جمعها محمد حميد الله نحو (٢٨١) وثيقة[5].

والجدير بالذكر، أنَّ الخطَّ البياني للمكتوبات الصادرة في عهده ﷺ المتعلقة بديوان الإنشاء أخذ في الارتفاع تدريجياً منذ هجرته ﷺ إلى المدينة، وقد بَلَغَ الذروة في السنوات الأخيرة من عمره عليه الصلاة والسلام، ومبدأ ذلك كان في أول أيام هجرته ﷺ إلى المدينة، ففي تلك الهجرة «ما يُحير العقول ويدهش الألباب من تاريخ الكتابة الديوانية، كتابة العهود والمواثيق: رجلان خائفان يطاردهما الأعداء، معهما راعي غنم (وهو عامر بن فهيرة)، ودليل لا يعرف إلا الطرق الصحراوية، ومع ذلك يحملان فيما يحملان أدوات الكتابة.. أيُّ سرٍّ، وأيَّة

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٢٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٥٨ - ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٩١ - ٣٥٦.

(٥) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٣٣٢.

حكمة هذه؟»(١). وقد يُقال: «إن الكاتب التقط أداة الكتابة (القلم وقطعة الأديم) من الأرض؟ وهذا غير مقبول؛ لأنهم كانوا في صحراء، لا أثر فيها لساكن، وقطعة الأدم التي تُلْتَقَطُ من الأرض إن وُجِدَتْ لا يمكن الكتابة عليها؛ لأن الأدم الذي يكتب عليه يُعالَج ليصبح صالحاً للكتابة عليه، وقطعة الأدم التي تكون ملقاة في الشمس الحارقة تكون قد يبست، فلا تحمل الكتابة، وإذا وُجدت قطعة الأدم هل يجدون القلم والدواة على قارعة الطريق ؟ قد يُقال: قد يكتبون بفحمة.. ولكن من أين تأتي الفحمة في الصحراء ؟»(٢) .. ولكن تنتفي كل هذه الاحتمالات إذا علمنا أن هذا الكتاب ظل محتفظاً بخصائصه المادية ومضمونه قرابة ثماني سنوات، إلى حين لَقِيَ سراقة بن مالك (صاحب هذا الأمان) رسول الله ﷺ في فتح مكة، مما يُشير إلى جودة العوامل التي عملت على تحريره وإخراجه.

ففي حمل الخائفَيْن الطريدَيْن أدوات الكتابة، ومَن كان في حالهما لا يحمل إلا زاد البطن، دلالة قوية على ثقة الرسول ﷺ المطلقة في نَصْر ربه وقيام دولته، وإشارة واضحة إلى إيمانه العميق بأهمية صناعة الكتابة في قيام هذه الدولة.

ويلاحظ هنا أنَّ استصحاب مستلزمات الكتابة في سفراته وغزواته أصبح دَيْدَنه ﷺ، ويؤكد ذلك أنَّ عدداً غير قليل من الكتابات الصادرة عنه كانت في أثناء سفراته.

رابعاً: فيما يتعلق بديوان الجند، فقد ثبت عنه ﷺ أنَّه كان يأمر بكتابة وتدوين المشاركين في الغزوات، فقد رُوي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنَّهُ قال: «قال النبي ﷺ: اكتبوا لي من تَلَفَّظَ بالإسلام مِنَ الناس، فكتبنا له ألفاً وخمس مئة رجل، فقلنا: نخافُ ونحن ألفٌ وخمس مئة؟ فلقد رأيتُنا ابتلينا، حتى إنَّ الرجلَ لَيُصلِّي وحدَه وهو خائف». وعن الأعمش: «فوجدناهم خمس مئة». وقال أبو معاوية:

(١) محمد محمد شُرَّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج١، ص٤٠٧.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٨.

«ما بين ست مئة وسبع مئة»(١)، وفي رواية أخرى للحديث: «أَحْصوا لي كَمْ يَلْفِظُ الإِسلام»(٢).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وفي الحديث مشروعية كتابة دواوين الجيوش، وقد يتعين ذلك عند الاحتياج إلى تمييز من يصلح للمقاتلة بمن لا يصلح»(٣)، وقد ترجم البخاري ـ رحمه الله ـ لهذا الحديث ـ والذي سيأتي ـ بقوله: «باب كِتَابةِ الإِمام النَاسَ»(٤)، فقال ابن المنيِّر ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذه الترجمة: «موضع الترجمة من الفقه: أنْ لا يُتخيل أنَّ كتابة الجيش وإحصاء عدده يكون ذريعة لارتفاع البركة، بل الكتابة المأمور بها لمصلحة دينية»(٥)، وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «أي: من المقاتلة أو غيرهم»(٦).

وقد رجَّحَ البخاري ـ رحمه الله ـ الرواية الأولى بلفظ «اكتبوا»(٧)؛ لـمَا روي عن ابن عَبّاس رضي الله عنهما قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي كُتِبْتُ [وفي رواية «أكْتُتِبْتُ»](٨) في غزوة كذا وكذا، وامرأتي حاجّة، قال: «ارْجِعْ فَحُجَّ مع امرأتِك»(٩)، حيثُ أَنَّهَا «مشعرة بأنَّهُ كان من عادتهم كتابة من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كتابة الإمام الناس، ج٦، ص١٧٧، رقم ٣٠٦٠.

(٢) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الاستسرار بالإيمان للخائف، ج٢، ص٣٥٦-٣٥٧، رقم ٣٧٥، وأخرجها ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ج٢، ص١٣٣٦-١٣٣٧، رقم ٤٠٢٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٧٩.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص١٧٧.

(٥) المصدر السابق، ج٦، ص١٧٩.

(٦) المصدر السابق، ج٦، ص١٧٨.

(٧) المصدر السابق، ج٦، ص ١٧٩.

(٨) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع مُحْرَم إلى حج وغيره، ج٢، ص٩٧٨، رقم ٤٢٤، بلفظ «أكْتُتِبْتُ».

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كتابة الإمام الناس، ج٦، ص١٧٨، رقم ٣٠٦١.

يَتعين للخروج في المغازي»(١)، ومعنى كُتِبْتُ أو أكْتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا أي: «كُتِبَ اسمي في جملة الغزاة»(٢).

وقد أكَّد على هذا المعنى (كتابة الجيوش في عهده ﷺ) الخزاعي - رحمه الله - الذي عنون لهذه الأحاديث بقوله: «الباب العاشر: في كتاب الجيش»، وتحته: «الفصل الأول: في أمره الناس عليه السلام بِكَتْبِ الناس، وثبوت العمل بذلك في عصره ﷺ»(٣)، وتبعه في ذلك عبد الحي الكتاني - رحمه الله - في «التراتيب الإدارية»(٤). وقد يستنتج بعضهم من الحديث الثاني أنَّ كتابة وتدوين الجيوش في عهده ﷺ كانت في أواخر عهده لوجود القرينة التي تدل على ذلك في هذا الحديث، وهي فريضة الحج حيث فُرِض - كما هو معلوم - في السنة التاسعة من الهجرة(٥)، بَيْد أنَّنا نجد أنَّ الحديث الأول ذكر أنَّ من تَلَفَّظَ بالإسلام كان عددهم (١٥٠٠) رجل حسب الرواية التي قَدَّمها البخاري، فضلاً عن تاليتيها، وأظهر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - رُجْحَان هذا التقديم على غيره(٦)، ففي هذا العدد القليل من الرجال إشارة إلى أن زمن كتابة الجيش هذا كان في وقت مبكر من العهد المدني، لا سيما إذا علمنا أنَّ عدد جيش المسلمين في آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ - غزوة تبوك - كان ٣٠٠٠٠ مقاتل(٧)، وأنَّه «توفى ﷺ عن ٢٤٠٠٠ من صحابته»(٨)، يضاف

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٧٩.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٤٨، وابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٩٨.

(٣) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢٣٩.

(٤) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص٢٢٠-٢٢١.

(٥) عبد الله آل بَسَّام، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ج ٢، ص٥، ووهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٣، ص٩.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٧٨.

(٧) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٤٨٧.

(٨) الزِرِكْلي، الأعلام، ج٦، ص٢١٩.

إلى ذلك ما اختاره الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ[1] في شرحه لهذا الحديث مِنْ أنَّ زمن هذه الكتابة كان عند خروجه إلى أحد[2]، وقد وقعت في السنة الثانية من الهجرة، وما جزم به ابن التين[3] من أنَّ تلك الكتابة كانت عند حفر الخندق، وقد كانت غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة.

وفي كلا الرأيين ـ وفيما سبق ـ إشارة إلى أنَّ كتابة الجيوش وتدوينها ظهر في السنوات الأولى من العهد المدني وقيام دولة الإسلام.

وقد يعتقد البعض أنَّ هناك تعارضاً بين الحديثين السابقين وبين ما ذكره الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه في ثنايا روايته لقصة تَخَلُّفِه عن غزوة تبوك[4]، حيث قال ما نصه: « .. والمسلمون مع رسول الله ﷺ (أي في غزوة تبوك) كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ.. »[5]، ويدفع هذا التعارض قول أحد رواة هذا الحديث وهو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري معلقاً تعليقاً مباشراً بُعَيْد ذلك النص: « يُريد الدِّيوان »، وفي رواية: « يريد بذلك الديوان »[6]، أيْ: ديوان العطاء (الجند) الذي أسسه عمر رضي الله عنه، فقد عاصر كعب رضي الله عنه كلا الزمنين[7]. قال

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٧٨.

(٢) خرج رسول الله ﷺ في هذه الغزوة في ألفٍ من أصحابه. انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص١٥٨، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٣٨٧.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٦، ص١٧٨.

(٤) حدثت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة.

(٥) أخرج هذه القصة البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ج٨، ص١١٣ –١١٦، رقم ٤٤١٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص١٩٧، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٣٦٦، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٦٥٣.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ج١٧، ص٩١، رقم ٦٩٤٧.

(٧) توفى كعب بن مالك رضي الله عنه في سنة ٥٠هـ، وقيل: سنة ٥١ هـ، وكان قد ذهب بصره في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٢٦، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٢٨.

الحافظ ابن حجر: «أراد (الزهري) بذلك الاحتراز عما وقع في حديث حذيفة أَنَّ النَّبي ﷺ قال: «اكتبوا لي من تَلَفَّظَ بالإسلام»، وقد ثبت أنّ أول من دَوّن الدواوين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

ويُشير إلى كتابة الجيوش وتدوينها في عهده ﷺ ما هو ظاهر في حديث ابن حَوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث روى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في «مسنده» عن ابن حَوالة، قال: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر من أسفاره فَنَزَل الناس منزلاً ونزل النبي ﷺ في ظِلِّ دَوْحةٍ [وفي رواية: «وهو تحت دومَةٍ وهو يكتب الناس»](٢)، فرآني وأنا مقبل من حاجة لي، وليس غيره وكاتبه، فقال: «أنكتبك يا ابن حَوَالة؟»، قلتُ: علام يا رسول الله؟ قال: فَلَها عني وأقبل على الكاتب. قال: ثم دنوتُ دون ذلك، قال: فقال: «أنكتبك يا ابن حَوالة؟» قلتُ: علام يا رسول الله؟ قال: فَلَهَا عني وأقبل على الكاتب. قال: ثم جئتُ فقمتُ عليهما، فإذا في صدر الكتاب: «أبو بكر وعمر»، فظننتُ أنهما لن يُكْتَبَا إلا في خير، فقال: «أنكتبك يا ابن حَوَالة؟» فقلت: نعم يا نبي الله...» الحديث(٣).

وفيما رواه ابن سعد ـ رحمه الله ـ في «طبقاته» تأكيد على وجود السجلات والمدونات المتعلقة بكتابة الجيوش والغنائم في العهد النبوي، حيث ذكرّ أنّ رسول الله ﷺ أمرَ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإحصاء النّاس في غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة، فقال ـ رحمه الله ـ: «وكان الذي وَلِيَ إحصاء الناس زيدَ بن ثابت،

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص١١٨.

(٢) انظر: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص١١٠٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٢٧٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج١٥، ص١٩٠-١٩١، رقم ٢٠٢٣٢. وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح»، وج١٣، ص٢٣٠، رقم ١٦٩٤١. وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح».. وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٢٧١-٢٧٣، وج٢٧، ص٤٣٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٤٥٣.

فأحصاهم ألفاً وأربع مئة، والخيل مئتي فرس»(١)، والأمر نفسه حدث في غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة، فقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «ثم أمر ﷺ زيدَ بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم..»(٢).

ومن هذين الخبرين يستطيع الباحث أن يضيف كاتباً آخر ممن تولّى كتابة الجيوش في عهده ﷺ مع حذيفة بن اليمان، وهو زيد بن ثابت رضي الله عنهما، مستدركاً بذلك على الخزاعي(٣)، والكتّاني(٤).

وفي خاتمة المطاف فيما يتعلق بكتابة الجيش في عهده ﷺ، يذكر الباحث ما يؤكد هذه الحقيقة من شعر العرب؛ ذلك لأنَّ الشِّعْر ـ كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما ـ ديوان العرب، فقد ذكرت المصادر(٥) أنَّ الصحابي ضَمْضَم بن الحارث ابن جُشْم السُّلَمي(٦) قال أبياتاً يوم حُنين منها:

إذْ لا أزالُ على رِحَالة(٧) نَهْدَةٍ ... جَـرْدَاءَ تُلْحـقُ بالنِّجـاد إزاري

يومـاً علـى أثـرِ النِّهَاب وتَارةً ... كُتِبَـتْ مُجَاهِـدةً مـع الأنصـارِ

ومما سبق يظهر لنا بوضوح من الأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة المروية عن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٠٧.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٥٣.

(٣) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢٤٠.

(٤) الكتّاني، نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب الإدارية، ج١، ص٢٢٤.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص٤٧١، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٦٣، وفيه لفظ «كانت» بدل «كُتِبَت»، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣٩٧، وانظر ذكر هذا الصحابي الشاعر في: صدقي البيك، الشعر والشعراء في سيرة ابن هشام، الحياة، ٢١ رجب (١٤١٩هـ) الموافق ١٠ نوفمبر (١٩٩٨م): ص ١٧.

(٦) ضُبِطَ لقَبُهُ في المصادر المذكورة هكذا (بالضم) ما عدا كتاب «الإصابة» لابن حجر فقد ورد فيه اللقب (بالفتح): السَّلمي.

(٧) قال محققو كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام: «الرحالة: هنا: السرج. ونَهْدَة: غليظة، يعني فرساً. وجرداء: قصيرة الشعر، والنِّجاد: حمائل السيف. والنِّهَاب: جمع نهب، وهو ما يُغنم ويُنهب». انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، القسم الثاني، ص١٤٧.

الرسول ﷺ وعن صحابته الكرام، ومن أقوال العلماء أنَّ كتابة المقاتلين في سِجِّلات خاصة بالجيش الإسلامي وتدوينهم هو أمر من الأمور المعروفة والمشهورة في عهده ﷺ، ومن التنظيمات الإداريّة والعسكرية التي سَنَّها عليه الصلاة والسلام حتى غدت أصلاً قامت عليه دواوين الجند في العهود اللاحقة.

خامسًا: فيما يتعلق بديوان العطاء، فقد ذكر الإمام أبو بكر بن مسعود الكاساني: «أنه لَـمَّا قُبض رسول الله ﷺ جاءوا (أي: المؤلفة قلوبهم) إلى أبي بكر رضي الله عنه واستبدلوا الخط منه لسهامهم، فَبَدَّلَ لهم الخط، ثم جاءوا إلى عمر رضي الله عنه وأخبروه بذلك، فأخذ الخط من أيديهم ومزقه، وقال إنَّ رسول الله ﷺ كان يُعطيكم ليؤلفكم على الإسلام، فأمَّا اليوم فقد أَعَزَّ الله دينه فإن ثَبَتُّم على الإسلام وإلا فليس بيننا وبينكم إلا السيف، فانصرفوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه بما صنع عمر رضي الله عنه وقالوا: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: إن شاء الله هو...»(١).

قال صاحب «التراتيب الإدارية» ـ مستنبطاً من كلام الكاساني ـ: «وهذا يَدُلُّ عَلى أنَّ النَّاس في زمنه عليه السلام كانوا يأخذون العطاء بالضبط والتقييد، فيدل ذلك على وقوع التدوين وجعل قوائم للمعطون [كذا]، وهذا هو الديوان بعينه، فتأمل ذلك»(٢).

ويرى الباحث أنَّ استنباط العلاّمة الكتَّاني ـ رحمه الله ـ لا يمكن قبوله على إطلاقه؛ ذلك لأنه لم ترد مسألة العطية وتقييدها في قصة المؤلفة قلوبهم هذه في المصادر الأخرى، وما جاء في المصادر هو: «أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أقطع الأقرع بن حابس وعيينة ابن حصن أرضاً، وكتب لهما بذلك إقطاعاً، فقال لهما عمر: إنما كان النبي ﷺ

---

(١) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٢، ص٤٥. وجاء في سنن أبي داود ـ رحمه الله ـ ما نصه: «قَدم على رسول الله ﷺ عُيَيْنَةُ بن حصْن والأقْرَعُ بن حابس فسألاه فأمَرَ لهُما بما سَألا، وأمر معاوية فكتب لهما بما سَألاً». انظر: عون المعبود، كتاب الزكاة، باب من يعطي من الصدقة وحَدّ الغنى، ج٥، ص٢٧، رقم١٦٢٦.

(٢) الكتَّاني، نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٢٨.

يتألفكما على الإسلام، فأما الآن فاجهدا جهدكما، وقطّع الكتاب»[1]، والإقطاع غير العطاء، وكتابته متعلقها ديوان الإنشاء ـ وقد مَرَّت معنا ـ بينما العطاء له ديوانه الخاص، أضف إلى ذلك أنَّ هذا الأثر الذي ذكره الكاساني ـ رحمه الله ـ هو الأثر الوحيد إن لم يكن الأوحد ـ فيما يعلم الباحث مما مرّ بين يديه من مصادر ـ الذي ذكر أمر الخط في عطاء رسول الله ﷺ للمؤلفة قلوبهم، وعليه لا يستطيع الباحث الظن ـ فَضْلاً عن الجزم ـ بأن ديوان العطاء كان قائماً في عهده ﷺ.

وبعد، فقد أسفرت النقاط الخمس المذكورة آنفاً بما لا يدع مجالاً للشك عن أنَّ حقيقة ديوان الإنشاء وكتابة الجيوش والغنائم وتدوينها وإحصائها كانت قائمة في عهده ﷺ، ممثّلةً أحد معالم دولة الإسلام الحضارية، بيْدَ أنَّ سؤالاً مهماً مازال قائماً وهو: كيف يمكن الجمع بين ما أسفرت عنه تلك النقاط الخمس من إشارات ودلائل على قيام حقيقة الدواوين في عهده ﷺ، وبين ما تظافرت عليه كثير من المصادر المعتمدة وأجمعت على أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من دَوَّنَ الدواوين؟.

يمكن الجمع بين الأمرين من خلال النقطتين التاليتين:

١ ـ إن جميع المصادر التي ذكرت هذه الأوليّة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قصدتْ بذلك ديوان العطاء الذي أسَّسه عمر رضي الله عنه، وبذلك يخرج من هذا التعارض كل ما ذكره الباحث حول ديوان الإنشاء ومتعلقاته.

٢ ـ «إنَّ الأخبار المتعلقة بتسجيل الملتحقين بالجيش (في عهد رسول الله ﷺ) في أثناء الاستعداد للغزو على وجه الخصوص تدل على وقوع تطورات مهمة جداً، إلا أن تنظيم دفاتر دائمة تحت اسم «الديوان» الذي يعني تحول الجيش إلى حالة وظيفية بقرار دفع الأعطيات في مقدار ثابت مرة واحدة في السنة، إن هذا التنظيم

(١) الصولي، أدب الكتّاب، ص٢٢٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص ١٩٣–١٩٦، وج٢٣، ص ٤٣٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٢٥٤.

هو من الأمور التي حدثت في ديوان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا شك أنها لم تُجْر في عهد النبي ﷺ»(١).

وحول هذا المعنى ذكر الخزاعي - رحمه الله - كلاماً نفيساً في دفع هذا التعارض، حيث قال ما نصه: « .. فإنهم [أي: المؤرخون] يعنون أَنَّهُ أول من دَوَّنَ الدواوين للعطاء، ورَتَّب النَّاس فيها وَقَدَّر الأعطيات؛ ولأنَّ كتابة الناس في عصر النبي ﷺ إنما كانت في وقت من الأوقات وتنتهي بانتهاء المناسبة، وذلك نحو كَتْبهم حين أمر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإحصاء الناس، ونحو كَتْب من تَعَيَّن منهم في بعث من البعوث كما أخبر ابن عباس رضي الله عنهما، وكذلك العطاء في عصره ﷺ لم يكن في وقت معين ولا مقدار معيّن.

فلما كانت خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكثر الناس، وجُبيت الأموال، وفُرضت الأعطيات، وتأكدت الحاجة إلى ضبطهم؛ وَضَعَ الديوان بعد مشاورته للصحابة رضي لله عنهم. وهذا كما قالوا في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه أول من جمع مُصْحَف القرآن، وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه جمعه في صحف، وبقيت تلك الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها إلى زمن عثمان رضي الله تعالى عنه، ذكر ذلك أبو محمد بن عطية وغيره، وكان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم قد جمعوه أيضاً قبل ذلك، ومن أشهرهم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٢).

وأشار القلقشندي إلى شيء من هذا حيث قال - بعد أنْ ذكر كُتّاب الرسول ﷺ وتخصصاتهم -: «فإن صح ذلك، فتكون هذه الدواوين أيضاً قد وُضِعَتْ في زمن الرسول ﷺ، إلا أنها ليست في الشهرة وتواتر الكتابة في زمانه ﷺ كما تقدَّم من متعلقات كتابة الإنشاء»(٣).

---

(١) مصطفى فايدة، تأسيس عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للديوان، ص١٠١.

(٢) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢٤٦.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٢٥-١٢٦.

إنشاء ديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لقد ذكرت المصادر التاريخية تاريخين يحددان نشأة ديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فرواية سيف بن عمر[1] تذكر أن تاريخ نشأة الديوان هو العام الخامس عشر من الهجرة[2]، ورواية محمد بن عمر[3] تذكر أن العام العشرين هو تاريخ نشأة هذا الديوان[4]. إلا أن أحد الباحثين المتخصصين المعاصرين قَرَّرَ أنَّ العام العشرين «يُعَدُّ تاريخاً صحيحاً لإنشاء الديوان»[5]، ثم عاد وأكَّدَ ذلك بعد أنْ ذكر الإشارات التاريخية التي قد تخالف في ظاهرها إقرار هذا التاريخ، فقال: «... وبالرغم من كل ذلك، فإن تاريخ تأسيس مؤسسة الديوان المركزية في المدينة، أو بعبارة أخرى: إنَّ تاريخ إنشاء الديوان فعلاً وتقسيم الفيء من خلال نظام جديد نقبل فيه رواية الواقدي، ونَعُدُّ سنة ٢٠ هـ تاريخاً أكثر صحة»[6].

ومن الروايات التي تذكر قصة نشأة الديوان والأسباب الدَّاعية إلى ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قَدِمَ على عمر من البحرين، فقال أبو هريرة: فلقيتُه في صلاته العشاء الآخرة فَسَلَّمتُ عليه، فسألني عن النّاس، ثم قال لي: ماذا جئتَ

(١) سَيْف بن عمر الأسدي التميمي: من أصحاب السير، كوفي الأصل، اشتهر وتوفى ببغداد، من كتبه: «الجمل»، و«الفتوح الكبير»، و«الردة». قال الحافظ ابن حجر فيه: «ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبّان القول فيه». انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص٤٢٨، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٣، ص١٥٠.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٥٢-٤٥٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص١٩٤.

(٣) محمد بن عمر بن واقد السهمي، الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة ونزل ببغداد وتوفى بها. قال الحافظ ابن حجر فيه: «متروك مع سعة علمه». انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص٨٨٢، والزِّرِكْلِي، الأعلام، ج٦، ص١٣١.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥١٦، وفيه قول الطبري: «وقد ذكرنا قول من خالفه».

(٥) مصطفى فايدة، تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان، ص٦٥.

(٦) المصدر السابق، ص٦٦.

به؟ قلتُ: جئتُ بخمس مئة ألف درهم. قال: هل تدري ما تقول؟ قلتُ: جئتُ بخمس مئة ألف درهم. قال: ماذا تقول؟ قال: قلتُ: مئة ألف، مئة ألف، مئة ألف، مئة ألف، مئة ألف، حتى عددتُ خمساً. قال: إنك ناعس فارجع إلى أهلك فَنَمْ، فإذا أصبحت فأتني، فقال أبو هريرة: فَغَدَوتُ إليه، فقال: ماذا جئتَ به؟ قلتُ: جئتُ بخمس مئة ألف درهم. قال عمر: أطيّبٌ؟ قلتُ: نعم، لا أعلم إلا ذلك. فقال للناس: إنّه قدم علينا مالٌ كثير، فإن شئتم أنْ نَعُدَّ لكم عدداً، وإنْ شئتم أن نكيله لكم كيلاً؟ فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إنّي قد رَأَيْتُ هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يُعطون الناس عليه، قال: فَدَوِّن الديوان...»(١).

ومنها ما رُوي عن جُبَيْر بن الحويرث بن نُقَيْد أنَّ عمر بن الخطّاب استشار المسلمين في تدوين الديوان، فقال له علي بن أبي طالب: تَقْسِمُ كل سنة ما اجتمع إليك من مالٍ ولا تُمْسِك منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يَسَعُ الناسَ، وإنْ لم يُحْصَوْا حتى تَعْرِفَ من أَخَذَ ممن لم يأخذ، خشيتُ أنْ يَنْتَشر الأمْرُ. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين، قد جئْتُ الشام فرَأَيْتُ ملوكها قد دَوَّنوا ديواناً وجَنَّدُوا جنوداً، فَدَوِّن ديواناً وَجَنِّد جنوداً. فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومَخْرَمَة بن نوفل وجُبَيْر بن مُطْعَم، وكانوا من نُسّاب قريش، فقال: «اكتبوا الناس على منازلهم»(٢).

وقد تميز ديوان عمر رضي الله عنه بمزايا ثلاث:

١ - توزيع واردات الفيء مرة واحدة في السنة.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٠٠، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٩-٤٤٠، والجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٦-١٧، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص١٩٥-١٩٦، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص١١٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٥، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٥-٤٣٦، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٧٠، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص ١١٤.. وانظر الروايات التي ذكرها العسكري في كتابه «الأوائل»، ص١١٣.

٢ ـ تحديد مقادير الأعطية في شكل ثابت.

٣ ـ تسجيل مستحقي الفيء في دفاتر الديوان[١].

ومن المعايير التي وضعها عمر لتحقيق الميزة الثالثة، أي ترتيب وتسجيل الناس، المعايير الآتية:

١ ـ بنو هاشم الأقرب فالأقرب، وقدّم منهم مَنْ له السابقة في الإسلام، وجمع معهم مَنْ كان يُعَدُّ من أسرة رسول الله ﷺ، وليس من النسب الهاشمي، مثل: أسامة بن زيد، وعمر بن أبي سلمة (ابن أم سلمة زوج النبي ﷺ).

٢ ـ زوجات النبي ﷺ، قَدَّمهن على أهل بدر.

٣ ـ الذين هاجروا قبل الفتح.

٤ ـ أهل بدر.

٥ ـ مَنْ هاجر إلى الحبشة، وشهد أُحُداً.

٦ ـ ثم الذين أسلموا بعد الفتح.

٧ ـ بدأ في الأنصار برهط سعد بن معاذ ثم الأقرب فالأقرب.

٨ ـ ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم.

٩ ـ ثم جعل من بقى من الناس باباً واحداً[٢].

وكان يفرض لكل مولود جديد[٣].

والجدير بالذكر، أنَّ عدداً من الكُتّاب قد تعاقبوا على ديوان المدينة خلال النصف الأول من القرن الأول الهجري منهم: الثلاثة الذين كتبوا الناس في عهد عمر رضي الله عنه، ثم تولى ديوان المدينة زيد بن ثابت رضي الله عنه[٤]، ثم عبد الملك بن مروان في عهد

---

(١) مصطفى فايدة، تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان، ص٧٠.

(٢) محمد محمد شرّاب، المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي، ج٢، ص٣٦.

(٣) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص٢٤٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٣٥٤–٣٥٥.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٥.

عثمان بن عفان رضي الله عنه[١] ثم حبيب بن عبد الملك بن مروان في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٢].

فروع الديوان في الأقاليم الأخرى ولغتها:

جاءت في المصادر التاريخية بعض الأخبار والروايات التي تُشير إلى تأسيس الدواوين ووجودها في عددٍ من الأقاليم الأخرى عدا الديوان الذي أسسهُ عمر رضي الله عنه في المدينة، وهذه الدواوين تنقسم إلى نوعين: دواوين العطاء (الجند)، ودواوين الخراج.

وَجَدَّ في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري نوع ثالث، هو: ديوان الرسائل والخاتم.

النوع الأول: دواوين العطاء (الجند):

وحال هذه الدواوين من حيث اللغة والهدف كحال ديوان المدينة المركزي، فقد كانت تُكتب باللغة العربية، وهدفها تدوين العطاء للمسلمين في الأقاليم المختلفة، وتسجيل الملتحقين بالجيوش الإسلامية فيها مع عائلاتهم، ويقوم عليها كُتَّاب مهرة من أبناء المسلمين. ومن فروع هذه الدواوين في الأقاليم:

١ ـ ديوان الكوفة:

جاء ذكر هذا الديوان في أخبار من تولاّه من الكُتّاب، فقد ذكرت المصادر أن أبا جَبِيرَة بن الضَّحَّاك بن خليفة الأنصاري الأشهلي قد وَلِيَه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣]،

(١) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص ٢١ . وروى البلاذري أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية يسأله تولية عبد الملك بن مروان ديوان المدينة، ففعل، فكان عليه إلى آخر أيام يزيد. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٦٦، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٦.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٧.

(٣) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٨٩، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص١٦، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٦.

ولعثمان بن عفان رضي الله عنه[1]. وأبو جَبيرَة هذا لا يُعْرَفُ اسمه، وهو أخو الصحابي ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاري، أبو زيد الأشهلي، الذي عُدَّ ممن بايع الرسول ﷺ تحت الشجرة، وقد ولد أبو جبيرة بعد الهجرة، روى عن النبي ﷺ، واخْتُلف في صحبته[2]، وهو كوفي روى عنه عامر بن شراحيل الشعبي وغيره، وقد ذكر ابن حجر - رحمه الله - في «تهذيب التهذيب» أنَّ له صحبة، ثم ذكر بعد ذلك الاختلاف في صحبته قال في «الإصابة» - بعد أن ذكر الاختلاف في صحبته ومن روى عنه -: «أخرج حديثه البخاري في «الأدب المفرد» وأصحاب السنن، وصححه الحاكم، وحَسَّنه التِّرْمذي.. ولفظه: فينا نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾»[3].

وقد جاء ذكر أبي جَبيرة هذا في «الطبقات الكبرى» على أنه تِرْبُ[4] التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي (١٩ هـ - ١٠٣ هـ)[5].. وفي هذا الخبر نظر؛ إذْ كيف يَتَسَنَّى له تَولِّي ديوان الكوفة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من مواليد عهده، أضف إلى ذلك أنَّه قد نُقِلَ عن بعض أعلام المُحَدِّثين صحبة أبي جَبيرة رضي الله عنه وروايته عن النبي ﷺ، وقد جَزَمَ ابن الأثير الجزري بأنه وُلِدَ بعد الهجرة.

(١) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢١، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٤٦. وفيه: «... وأبو جبترة على ديوان الكوفة» أي: في عهد عثمان.. وهذا تصحيف في اسمه والصحيح ما ثبت في مصادر تراجم الصحابة والمصادر الأخرى.

(٢) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «صحابي، وقيل: لا صحبة له». انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ص ١١٢٥.

(٣) مصادر هذه الترجمة: ابن مَنْده الأصبهاني، فتح الباب، ص١٩٩، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٦١٩، وابن الأثير الجزري، أُسْدُ الغابة، ج٦، ص٤٦، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ص٣١٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٥٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٧٥٣.

(٤) التِّرْبُ: اللِّدةُ والسِّنُّ. يقال: هذه تِرْبُ هذه، أي: لدتُها. وقيل: تِرْبُ الرَّجُل الذي ولد معه، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٣١، مادة: «ترب».

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٢٤٨.

وقد استغرقت ولاية أبي جَبيرة بن الضَّحَّاك الأنصاري على ديوان الكوفة مدةً لا تقل عن سبعة وثلاثين عاماً[١]، فقد نَصَّ ابن عبد ربه الأندلسي على أنَّ أبا جَبيرة «لم يَزَلْ على ديوان الكوفة إلى أنْ ولي عُبَيْد الله بن زياد، فعزله وولَّى مكانه حبيب ابن سعد القيسي»[٢]، وقد تَوَلَّى عبيد الله بن زياد (ت ٦٧ هـ) إمرة البصرة من قِبَل معاوية سنة (٥٥ هـ)، وبعدها جمع له يزيد بن معاوية بعد وفاة معاوية بين البصرة والكوفة[٣] وذلك سنة (٦٠هـ)[٤].

ومما يَلْفِتُ الانتباه ويثير التساؤلات، هو أنَّ ولايةً هذه مدتها في مدينة عُرف شأنها لمنصبٍ لا غِنَى لعامة الناس عنه لا تَحْظَى باهتمام المترجمين لصحابة رسول الله ﷺ، فلم تَذْكر خبر ولاية أبي جَبيرة لديوان الكوفة أيٌّ من مصادر التراجم المذكورة آنفاً، بَلْه أن يذكروا شيئاً من حال ولايته هذه، إضافة إلى أنَّ المصادر التاريخية - فيما يعلم الباحث - لم تذكر سوى خبر ولايته للديوان وما يُشْعِر بمدة هذه الولاية فقط.

ومما يجدر بالذكر - هنا - فيما يتعلق بديوان الكوفة أنَّ ابن سعد - رحمه الله - أورد في «طبقاته» خبراً يُشير إلى أن ديوان الكوفة لم يكن قائماً إلى عهد علي رضي الله عنه، فقد روى عن أم بكر بنت المِسْوَر [ابن مَخْرَمة] عن أبيها، قال: «قدمتُ على عليٍّ الكوفة وهو يعطي النّاس في بيت له بابان على غير كتاب، فقال: يا ابن مَخْرَمة:

هذا جَنايَ وخياره فيه   إذ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيْه

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن الناس يتراجعون عليك، قال: أَوَ قَدْ فعلوا؟ قلتُ: نعم. قال: فاكتبوهم، فكتبوا»[٥]. ويؤكد تلك الإشارة ما قاله محقق «الطبقات»

---

(١) إذا افترضنا أنه تولى الديوان في آخر سنة من سنوات خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد استشهد عمر في آخر سنة ٢٣ هـ.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٦٨٦.

(٤) الزِرِكْلي، الأعلام، ج٨، ص١٨٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة) ج٢، ص١٥٥.

معلقاً على قول الراوي: «على غير كتاب»: «أي بدون ديوان العطاء»، وهذا - إن صَحَّ -[1] فقد يُقْصد به عطاءٌ عارضٌ غير العطاء السنوي الثابت والدائم، وإلا فلا يُعقل أن تكون مدينة مثل الكوفة بدون ديوان العطاء (الجند) حتى عهد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مع ما كان عليه أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من حرص على إيصال العطاء لكل فرد في الدولة الإسلامية، إضافة إلى ورود خبر ديوان العطاء في الكوفة في العهد الراشدي في المصادر التاريخية التي سبق أن ذكر الباحث بعضاً منها.

٢- ديوان البصرة:

ذُكر أنّ المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو أول من وضع ديوان العطاء بالبصرة[2]، ورتب الناس فأعطاهم على الديوان، ثم صار رسْماً لهم بعد ذلك يحتذونه[3].. وقد تعاضد عدد من مصادر تراجم الصحابة[4]، والمصادر الأخرى[5]: على أنَّ من تَوَلَّى ديوان البصرة في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر الخزاعي والد طَلْحة الطَّلْحات[6]، ويذكر صاحب «العقد الفريد» أنَّ الخزاعي تولى ديوان البصرة لعثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً[7]. قال ابن عبد البر - رحمه الله - في ترجمة عبد الله بن خلف: «لا أعلم له صحبة، وفي ذلك نظر»[8]. وقد ذكر الطبري

(١) حَكَمَ محقق الكتاب على إسناد هذا الخبر بالضعف.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٩٥، والزِّركْلي، الأعلام، ج٧، ص٢٧٧، وفؤاد صالح السيد، معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين، ص١٢٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٨٩.

(٤) ابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج٣، ص٢٢٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٦٥-٦٦.

(٥) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٨٩، وابن قتيبة، المعارف، ص٤١٩، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٦.

(٦) طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي: أحد الأجواد المقدمين، كان أجود أهل البصرة في زمانه، ذهبت عينه بسمرقند، وكان يميل إلى بني أمية، توفي نحو ٦٥ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢٢٩.

(٧) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٥١.

(٨) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٨٩٥.

ـ رحمه الله ـ أنّ عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات قد كتب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].. فإن صح ذلك، فاحتمال صحبته يَقْوَى، والجزم بأن له إدراكاً يُصْبح الخيار الأول؛ لأن مَن كان يكتب لأبي بكر رضي الله عنه في خلافته لابد وأنْ يكون شاباً في عهد الرسول ﷺ.. ويُذكَر أنَّ ديوان البصرة في حوالي سنة ٥٥ هـ (أي: في أواخر النصف الأول وأوائل النصف الثاني من القرن الأول الهجري)، وهي السنة التي تولى فيها عُبيد الله بن زياد بن أبي سفيان إمارة البصرة من قبل معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه بَلَغَ ٤٠٠٠٠ نسمة[٢]، وبَلَغَ في نهاية إمارته في حوالي سنة ٦٤ هـ، وهي السنة التي مات فيها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ١٤٠٠٠٠ نسمة[٣].. وهذا ما يُسفِر عنه الخبر الذي رُوي عن شهرك أنه قال: «شهدتُ ابن زياد حين جاءه وفاة يزيد بن معاوية، قام خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «يا أهل البصرة، إن تنسبوني فجدودي مهاجري، ومولدي وداري فيكم، وقد وليتكم وما أحصي ديوان مقاتلتكم إلا أَربعين ألفاً، وقد أحصي اليوم أربعين ومئة ألف..».. ويبدو أن ديوان البصرة في ذلك الحين كان يُعَدُّ من أكبر دواوين الأقاليم الإسلامية قاطبة؛ وذلك لقول ابن زياد في ثنايا خطبته هذه: «.. وقد اختلف أهل الشام، فأنتم اليوم أكثر عدداً، وأعرضه فيئاً، وأغناه عن الناس، وأوسعه بلاداً..»[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٥٣٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ج٨، ص٤٦٣، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٤، ص١٩٣.

(٣) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥٧، والطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٦١، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٦٢٣، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٨، ص١٨٩ (ترجمة يزيد بن معاوية)، وقد سَهَى العلامة الزركلي ـ رحمه الله ـ وذكر في ترجمة عبيد الله بن زياد أنَّ وفاة يزيد بن معاوية كانت في سنة ٦٥ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ١٩٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص٤٥١-٤٥٢. وانظر الاختلاف في نص الخطبة: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٣٦٤. وقد أشار إلى هذه الخطبة دون ذكر نصها: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٦٠.

٣- ديوان مِصْر:

حول هذا الديوان جاءت الإشارة إليه فيما رُوي من «أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص: انظر من كان قِبَلك ممن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة، فأتمَّ له مئة دينار[١]، وأتمَّ لنفسك بإمارتك مئتي دينار، ولخارجة بن حذافة بشجاعته، ولقيس بن العاص بضيافته»[٢]، وقد نقل لنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عبد الحكم صورةً حملت في معالمها بعض التفاصيل الدقيقة عن حالة ديوان العطاء في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، أي في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقال: « ... كان معاوية بن أبي سفيان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلاً، فكان على المعافر رجل يقال له (الحسن)، يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: هل ولد الليلة فيكم مولود، وهل نزل بكم نازل؟ فيقال: ولد لفلان غلام، ولفلان جارية، فيقول: سموهم، فيكتب، ويقال: نزل بها رجل من أهل اليمن بعياله فيسمونه وعياله، فإذا فرغ من القبائل كُلِّها أتى الديوان، وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عُفير عن ابن لهيعة في زمان معاوية أربعين ألفاً، وكان منهم أربعة آلاف في مئتين مئتين. قال ابن عفير، في حديثه عن ابن لهيعة: قال: فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم، وأرزاقهم، ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور، وأرزاق الكتبة، وحُملان القمح إلى الحجاز، وبعث إلى معاوية بست مئة ألف دينار فضلاً..»[٣].

ويُلاحظ أن هذا النص يُسْفر عن مدى الدِّقة المُتَّبَعة في ذلك العهد في تدوين وتسجيل عامة الناس ومواليدهم، ومن نزل بهم من الأقاليم الأخرى واستقر به المطاف في بلاد مِصْر، ولا ريب في أن هذه المتابعة المستمرة تُمَثِّل حركة دائبة

(١) في «طبقات ابن سعد»: «مئتي دينار». انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٢٦.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص١٦١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٨٠.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٩٥، ٥٤٠.

للكتابة وصناعتها وإعداد مستلزماتها من مواد وأدوات ومعالجات، كما يُسْفر النص عن تحديد الرواتب والأرزاق للكُتّاب العاملين على الدواوين.

٤- ديوان حِمْص:

جاء ذكر هذا الديوان فيما رُوي عن الهيثم بن عدي أنَّه قال: «لما عُزل النعمان ابن بَشير [٢ هـ - ٦٤ هـ، من صبيان الصحابة][١] عن الكوفة وولاّه معاوية حمص، وفَدَ عليه أعشى همدان، فقال له: ما أقدمك أبا المصبِّح؟[٢] قال: جئتك لتصلني وتحفظ قرابتي وتَقْضي دَيْني، قال: فأطرق، ثم رفع رأسه، ثم قال: والله ما من شيء، ثم قال: هيه، كأنه ذكر شيئاً فقام فصَعَد المنبر، فقال: يا أهل حمص - وهم يومئذ في الديوان عشرون ألفاً - هذا ابنُ عمّ لكم من أهل العراق والشرف، قدم عليكم يَسْتَرفْدكُم بما تَرون فيه، قالوا: أصلح الله الأمير، احتكم له. فأبى عنهم، فقالوا له: فإنا قد حكمنا له على أنفسنا من كل رجل في العطاء بدينارين، نُعَجِّلُهما له من بيت المال، فعجَّل له أربعين ألف دينار فقبضها..»[٣].

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٣٦. وفيه أن وفاة النعمان بن بشير رضي الله عنه كانت في سنة ٦٥هـ، وأكثر المصادر على أن وفاته كانت في سنة ٦٤هـ. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص ١٤٧٨، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٣١١، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣ ص ٤١١، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٦٤٤.
ومن المصادر التي ذكرت أن وفاته كانت سنة ٦٥ هـ: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٣٧٤، وابن حجر، تهذيب التهذيب، وفي الأخير قوله: «قال خليفة بن خياط: وفي أول سنة خمس وستين خرج النعمان من حمص فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله..»، ولعل سبب هذا الاختلاف فيما يرى الباحث هو أن مقتل النعمان بن بشير رضي الله عنه كان بُعيْد وقعة مرج راهط، وقد كانت هذه الوقعة في آخر سنة ٦٤ هـ في ذي الحجة، وفي منتصفه على بعض الأقوال. ولذلك قال بعض من ذكر أن وفاته كانت في سنة ٦٤ هـ أنها كانت في آخرها.

(٢) هذه كنية أعشى همدان، واسمه: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمذاني، وهو شاعر، فارس، توفى في سنة ٨٣ هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٨٥، والزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٣١٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٤٨٠، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق=

وقد رُوي عن أدهم بن الصحابي مُحرِز بن أسيد الباهلي قوله: « ... وإني لأولُ مولود بحمص، وأول مَنْ فُرض له بها... »[١]، يعني: في ديوان العطاء.

٥- ديوان الشَّام:

جاءت الإشارة إليه فيما ذكره ابن سعد ـ رحمه الله ـ في «طبقاته» حيث قال: «لما دَوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام خرج بلال إلى الشام فأقام بها مجاهداً، فقال له عمر: إلى مَنْ تجعل ديوانك يا بلال؟ قال: مع أبي رُوَيْحة، لا أفارقه أبداً؛ للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بيني وبينه. فَضَمَّهُ إليه وضَمَّ ديوان الحبشة إلى خَثْعم؛ لمكان بلال منهم، فهو إلى خَثْعم إلى هذا اليوم بالشام»[٢]، أي: زمن ابن سعد صاحب «الطبقات». ولما ترجم ابن قُتَيْبة لأبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي (ت ١٠٤ هـ) قال: وكان ديوانه بالشام[٣].. وهو وإن كانت وفاته متأخرة كثيراً عن النصف الأول من القرن الأول الهجري، إلا أنه قد صَحَّ سماعه من الصحابي أبي زيد ثابت بن الضَّحَّاك بن خليفة الأشهلي الأوسي[٤] الذي مَرّ ذكره، وحيث أَنَّ وفاة هذا الصحابي كانت في سنة (٦٤هـ)، حسب ترجيح الحافظ ابن حجر رحمه الله[٥]، وقيل: سنة (٤٥هـ)، فمعنى ذلك أنه أدرك ذلك الزمن.

= لابن عساكر، ج٢٦، ص١٦٢، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٣١٢، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٦٤٤-٦٤٥.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص ٤٦٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٢١٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٣٤. وانظر: ابن قتيبة، المعارف، ص١٦٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص١٢٢.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٤٦. وذكر هذا الخبر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٨٣.

(٤) انظر خبر سماعه من ثابت بن الضحاك: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٦٨، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٣٨٨، وج٣، ص١٤٠.

(٥) قال ـ رحمه الله ـ في ترجمة ثابت بن الضحاك بن خليفة، بعد أن ذكر أن وفاة صاحب الترجمة كانت سنة (٦٤ هـ)، ما نصه: «قلت: وهذا عندي أشبه بالصواب من قول عمرو بن علي....» قال: «مات سنة (٤٥ هـ)». انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٨٨.

وبالنسبة إلى فلسطين فقد ذكر الجَهْشَياري - رحمه الله -: أن سُليمان المِشْجَعي من قضاعة كتب لمعاوية بن أبي سفيان على فلسطين(١). وأغلب الظن أنَّ المقصود بهذا: أنَّه كان على ديوان العطاء بفلسطين.

وخلاصة الأمر بالنسبة لدواوين العطاء (الجند) التي دونت خارج المدينة: أنها «كانت في: المدائن، والكوفة، والبصرة، ودمشق، وحِمْص، والأردن، وفلسطين، ومصر»(٢).. أمّا فيما يتعلق ببقية المناطق فيبدو أنها تَتْبَع في أُعْطِياتها إلى دواوين الأقاليم الإسلامية الثلاثة: العراق، والشام، ومصر، إضافة إلى ديوان المدينة المركزي. ويظهر ذلك للباحث من خلال ما جاء في بعض الروايات التاريخية، فقد جاء في ترجمة أبي عبد الله جرْول العبسي أنَّه قال: «شهِدتُ مع عُتبة بن غَزْوان فتح (اصْطَخْر)، فَكَتَبَ إلى صاحب الشَّام: أنْ عُدَّ أبا عبد الله في سبعين ديناراً، وعُدَّ عياله في عشرة عشرة»(٣). وذكر ابن الأثير - رحمه الله - أن أنطاكية كانت عظيمة الذكر عند المسلمين، فلما فُتِحَتْ كتب عمر إلى أبي عبيدة: أنْ رَتِّبْ بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعلهم بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء(٤). وذكر البلاذري أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتب إلى سعيد بن العاص وهو على الكوفة: أن يضرب كعب بن عَبْدة عشرين سوطاً، ويُحوِّل ديوانه إلى الريّ ففعل(٥). وقد ذكر ابن سعد والبلاذري: «أنّ ديوان حِمْير [وحِمْير من اليمن] كان على عهد عمر على حَدِّه» في المدينة(٦).

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢٦.

(٢) مصطفى فايدة، تأسيس عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للديوان، ج١، ص٨٥.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦٣٣-٦٣٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص ١٥٣-١٥٤.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٩٨، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٨-٤٣٩.

النوع الثاني: دواوين الخراج:

وحال هذه الدواوين من حيث اللغة والهدف تختلف تمام الاختلاف عن دواوين العطاء (الجند)، فهذه الدواوين تقوم بتحديد مقدار الجزية وجبايتها، وقد ظلَّت في أقاليمها الثلاثة: العراق، والشام، ومِصْر على حالها وبلغاتها، حيث كان يديرها في أثناء الفتوح الإسلامية الفرس في بلاد العراق (البصرة والكوفة)، والروم في بلاد الشام ومِصر بلغاتهم، وهذا «من أهم ما يمكن أن يُسَجَّل للعرب في فتوحاتهم، أنهم أبْقوا في البداية على معظم التنظيمات القديمة في البلدان المفتوحة؛ ذلك لأنهم أتوا لا ليخرّبوا بل ليبنوا، فقد كان من الحكمة أن يستعملوا الجهاز القائم فعلاً وبنجاح، وأن لا يستبدلوه بجهاز جديد بصورة مفاجئة»(١). وقد استدل العلامة الكتاني ـ رحمه الله ـ من ذلك السلوك الإداري على تسامح المسلمين مع غيرهم في صدر الإسلام، فقال: «وكان العرب لتسامحهم كانوا يتخذون كُتَّاباً لتدوين الدواوين بلغتهم، أو باللغة السائدة في البلاد التي يدونون أمورها»(٢).

ويحاول الباحث فيما يأتي إلقاء الضوء سريعاً على دواوين الخراج هذه وِفْق ما تجمع له من المصادر، فقد كانت المصادر شحيحة وضنينة بالمعلومات عن الدواوين بصفة عامة، إلا ما كان من ديوان المدينة المركزي، ودواوين الخراج بصفة خاصة في العهد الراشدي(٣).

قال أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ: «حدثنا المجالد بن سعيد عن عامر الشعبي قال: كتب عمر بن اخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أهل الكوفة

(١) حميد مرعيد، تعريب الدواوين، الأستاذ، م١، ع٣ (١٩٨٠ م): ص٨٠.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣) انظر حول الإشارة إلى ما يؤيد هذا المعنى الذي رآه الباحث: مصطفى فايدة، تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان، ج١، ص٨٣. وفيه يقول: «ولم نعثر في المصادر على أية معلومات تقريباً بخصوص التطورات التي حدثت في دواوين الخراج تلك، في أثناء زمن عمر أو ما تلاه من فترات، وظل هذا إلى أن أمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في عام ٨٠ هـ / ٧٠٠م بتحويل الدواوين إلى اللغة العربية، وعن هذه الواقعة جاءت المصادر بالمعلومات».

يبعثون إليه رجلاً من أخيرهم وأصلحهم، وإلى أهل البصرة كذلك، وإلى أهل الشام كذلك.. فبعث إليه أهل الكوفة عثمان ابن فَرْقَد[1]، وبعث إليه أهل الشام معن بن يزيد، وبعث إليه أهل البصرة الحجاج ابن علاط[2]، كلهم سلميون.. قال: فاستعمل كل واحد منهم على خراج أرضه»[3]، وبالرغم من الإضطراب الذي يعتقده الباحث في هذا الخبر، إلا أنه يشير إلى أنَّ خراج كل إقليم من الأقاليم الثلاثة المذكورة كان مستقلاً.

١- ديوان خراج العراق:

لقد كان مَبْدأ خراج العراق «أن ولّى عمر الخراج النعمان وسويداً ابني عمر بن

---

(١) يرى الباحث أن هذا الاسم قد حُرِّف، وأصله: عثمان بن حُنيفْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لأن ذلك يَظهر بوضوح تام من خلال ما سيأتي من الأخبار الصحيحة والثابتة، بالإضافة إلى أن مصادر تراجم الصحابة لم يُذكَر فيها مَن اسمه «عثمان بن فرقد»، ومن يتولى الخراج في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بناء على شهرته وتزكية الناس له لا بد وأن يكون له -على أقل تقدير- إدراكاً، أو أن أصل هذا الاسم عتبة ابن فرقد السلمي، إلا أن هذا الأخير لم تشر مصادر تراجم الصحابة إلى توليه الخراج على الأغلب، إلا ما ذكره ابن الأثير الجزري -بصيغة التضعيف- أنه تولى خراج الموصل. انظر ترجمة الأخير: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١٠٢٩، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٥٦١-٥٦٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) ذكر ابن حجر أنه روى من طريق مجاهد عن الشعبي قال: «كتب عمر إلى أهل الشام أن يبعثوا إليّ برجل من أشرافكم، فبعثوا إليه الحجاج بن علاط...». انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٣٠. والباحث يرى أن هذا هو الأقرب للصواب؛ لأن عدداً من مصادر التراجم وغيرها لم تذكر أي خبر عن نزول الحجاج بن علاط البصرة، بل على العكس جاء في بعض المصادر: «أنه سكن المدينة ثم تحول إلى الشام وسكن دمشق، وكانت له بها داراً عرفت بعد بدار الخالديين». انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١ ص٣٢٥-٣٢٦، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٦٩١-٦٩٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٢، ص١٠١-١١١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٩-٣٠.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص ١٢٢.

مُقَرِّن المزني[١]، سُوَيْداً على ما سَقى الفرات، والنعمان على ما سقت دجلة، ثم وَلِيَ عملها واستعفيا بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنَيْف»[٢] رضي الله عنهم أجمعين.

ومن مجموع ما ذكرته المصادر تظهر لنا بعض تفاصيل ولاية هذا الأخير «عثمان ابن حُنَيْف» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لخراج السواد، حيث ولاّه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سنة ٢١ هـ[٣]، ويقطع بهذه الولاية ما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» عن عمرو بن مَيْمون قال: «رأيتُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبل أنْ يصاب بأيام بالمدينة، ووقف على حُذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنَيْف. قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حَمَّلْتُما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حَمَّلناها أمراً هي له مُطيقه، ما فيها كبير فَضْل. قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: لا. فقال عمرُ: لئن سَلَّمني اللهُ، لأدعَنَّ أراملَ العراق لا يحتجن إلى رجلٍ بَعدي أبداً. قال: فما أتت عليه إلاَّ رابعة حتى أُصيب»[٤]. قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «الأرض المُشار إليها هي أرض السواد، وكان عمر بعثهما يضربان عليهما الخراج، وعلى أهلها الجزية..»[٥].

ولذلك قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «ذَكَرَ العلماء بالأثر والخبر: أَنَّ عمر بن

(١) قال ابن الأثير الجزري: «النعمان بن مقرن، وقيل: النعمان بن عمر بن مقرن» ثم ذكر نسبه. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج ٥، ص ٣٢٣.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٤٦٨.

(٣) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٨٤، والمسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٦٩. وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «بعث عمر عثمان بن حنيف على مساحة الأرض، يعني بعد أن فتحت الكوفة» ج٤، ص ٣٧٢. وقال ابن الأثير الجزري: «واستعمله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على مساحة سواد العراق فمسحه عامره وغامره، فسمحه وقسط خراجه». انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص١٥٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والإتفاق على عثمان بن عفان...، ج١، ص٥٩-٦٠.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٦٢.

الخطاب استشار الصحابة في رجل يوجه إلى العراق، فأجمعوا جميعاً على عثمان ابن حُنيف وقالوا: أن تَبعثه على أهم من ذلك فإن له بصراً وعقلاً ومعرفةً وتجربةً، فأسرع عمر إليه فولاه مساحة أرض العراق، فضرب عثمان على كل جريب من الأرض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً ـ فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة ألف ألف ونيف»[١].

وفي رواية ذكرها الذهبي ـ رحمه الله ـ رجالها ثقات[٢] ـ يذكر الباحث منها ما فيه زيادة على كلام ابن عبد البر السابق الذكر «أنَّ عمر وجَّه عثمان بن حُنيف على خراج السواد ورزقه كلَّ يوم ربع شاة وخمسة دراهم... وفرض على الموسر ثمانية وأربعين درهماً، وعلى من دون ذلك أربعةً وعشرين درهماً، وعلى من لم يجد شيئاً اثنى عشر درهماً، ورفع عنهم الرِّق بالخراج الذي وضعه في رقابهم، فحُمل من خراج سواد الكوفة إلى عمر في أول سنة ثمانون ألف ألف درهم، ثم حمل من قابل مئة وعشرون ألف ألفَ درهم، فلم يزل على ذلك»[٣].

٢- ديوان خراج البصرة:

فيما يتعلق بديوان خراج البصرة، لم تذكر المصادر ـ فيما يعلم الباحث ـ شيئاً عن وضع هذا الديوان في العهد الراشدي إلى عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا ما ذكر سابقاً، في مبدأ أمر الخراج من تعيين عمر الحجاج بن علاط السلمي أو غيره خراج البصرة، وفي عهد علي بن أبي طالب ولَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة ٣٦هـ[٤] زياد بن أبي سفيان خراج البصرة[٥]، وفي روايات: «الخراج وبيت المال»[٦]، وفي رواية: «الخراج

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١٠٣٣.

(٢) كذا حكم على السند محقق «السير»، وفي الحكم تفصيل فليرجع إليه.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٤) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٦٠.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص١١٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٢٩.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٦٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص ١٩٦، وج١٩، ص١٧١.

وبيت المال والديوان»[١]، وفي رواية: «الخراج والديوان»[٢]، وفي تَعَـدُّدِ هذه الروايات وكثرتها دلالة على اشتهار قدرته على إدارة الدواوين وسياسة شؤونها، وقد كان هذا التعيين من أهم الأحداث في تاريخ خراج البصرة ودواوينها، وكان له ما كان من أثرٍ قوي في تاريخ صناعة الكتابة في فجر الإسلام، وقد عدّه أحد المعاصرين الغربيين «أحد تعييناته [أي: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] الصائبة»[٣]، وما كان ذلك كذلك إلا لوجود أسباب فرضت وجود هذه الحقيقة، نذكر منها:

(١) العلاقة الوثيقة التي ربطت بين زياد بن أبي سفيان وبين الكتابة وصناعتها منذ صِغرِه، حيث كانت ولادته في مدينة الطائف في العام الأول من الهجرة[٤]، وقد اشتهرت الطائف بكثرة كتاتيبها وكُتّابها، كما مر معنا[٥]، ففي هذا الجو تَعلَّم زياد الكتابة في سنوات عمره الأولى في كُتَّاب جُبير بن حية الثقفي، ثم مارس أعمالاً كتابية متعددة إبان سنوات فتُوته وشبابه الأولى، فقد كان «يكتب الناس ويدونهم» في المعارك، ولذلك بُعث معه الحساب إلى عمر بن الخطاب بعد وقعة جلولاء في سنة ١٦ هـ[٦].

وكذلك بعدما فتح الله على المسلمين ما فتح على يد عُتبة بن غَزْوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن معه من يكتب ويحسب كتاب زياد وحسابه، فَولى عُتبة زياد بن أبي سفيان

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة، ج١، ص١٧٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٧٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٧٧، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٣، والأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٣٦١.

(٣) انظر: حميد مرعيد، تعريب الدواوين، الأستاذ، م١، ع٣ (١٩٨٠ م): ص ٨١.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٦٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٤، والزركلي، الأعلام، ج٣، ص٥٣.

(٥) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٠٤.

(٦) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٧١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص١٦٧.

قسمة الغنائم، وأمره فكتب كتاباً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح[١].

ثم تَقَلَّدَ ـ بعد ذلك ـ مناصب كتابية لولاة البصرة، فبعد أن بنى عتبة بن غزوان (ت١٧هـ) البصرة، وكان عليها إلى قُبَيْل وفاته[٢]، ولَّى عمر رضي الله عنه بعده المغيرة بن شعبة، فكان زياد كاتبه[٣]، وقد مَرّ معنا أن المغيرة بن شعبة أول من وضع ديوان العطاء (الجند) بالبصرة، فمن المُرجَّح أنْ يكون زياد بن أبي سفيان كان ساعده الأيمن، وعضده القوي في تأسيس هذا الديوان «ثم لم يزل في عُلوٍّ يُدَبِّر أمرَ كُلِّ عامل يكون على البصرة ويكتب له»[٤].

ومصداق ذلك ما رواه ابن عساكر: من أَنَّ زياد بن أبي سفيان «كتب لأبي موسى الأشعري[٥]، وكتب لعبد الله بن عامر بن كريز، وكتب للمغيرة بن شعبة[٦]، وكتب لعبد الله بن عَباس[٧]، كتب لهؤلاء كُلِّهم على البصرة»[٨] مضافاً إليهم كتابته لعتبة بن غزوان. فكل هذا الرصيد من الخبرة المتراكمة في الكتابة وصناعتها، وفي الحساب وحذقه، وما سبقهما من بناء تعليمي راسخ في الصِّغر، كان خير دافع وأهم عامل لأن يُوَلِّيَ علي رضي الله عنه زياد بن أبي سفيان الخراج وبيت المال في البصرة.

وقد ظهرت نتائج هذه الدراسة والخبرة بالكتابة ودقائقها جليةً وواضحة في

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٩٨.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٠١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٩٨.

(٤) المصدر السابق، ج٥، ص١٩٨.

(٥) وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٤.

(٦) وانظر: المصدر السابق، ج٣، ص٤٩٥.

(٧) وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٩٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٥.

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص ١٦٩–١٧٠. وانظر هذه الأسماء أيضاً: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

أخبار زياد مع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومع أهل ديوانه، ففي ذات مرة «كان عمر يُمْلي على كاتب بين يديه، فكتب الكاتب غير ما قال عمر، فقال له زياد: يا أمير المؤمنين، قد كتب غَير ما قلت، فنظر في الكتاب فكان كما قال زياد، فقال عمر: أَنَّى علمتَ هذا؟ قال: رأيتُ رَجع فيكَ فرأيتُ ما أحارتْ كَفُّه غير ما رجعت به شفتيك»[1]، وحدث أن «أمره عمر أن يكتب في بعض الأمر فكتب كتاباً بليغاً فقال: غَيِّرْه، فكتب في ذلك المعنى كتاباً آخر، فقال: غيره، فكتب كتاباً ثالثاً ورابعاً، فعجب عمر من سعة معرفته وتصرفه في بلاغته..»[2].

وظهرت نتائج دراسته وخبرته في أخباره مع أهل ديوانه، فقد «دخل يوماً ديوانه، فوجد فيه كِتَاباً، وفيه «ثلاثة دنان»، فقال: من كتب هذا؟ فقيل: هذا الفتى، فقال: أخرجوه من ديواننا لئلا يُفسده، وامح هذا واكتب: آدن»[3].

ونتيجة لخبرته بالكتابة وصناعتها فقد كان أول من وضع النسخ، وأفرد كُتاب الرسائل من العرب والموالي المتفصّحين[4].

(٢) مَلَكات ومواهب زياد بن أبي سفيان الفطرية، ومكتسباته العلمية التي أَهَّلَته لأن يكون في هذا المنصب، وجعلت لهذا التنصيب تلك الأهمية الكبرى، فقد كان زياد عاقلاً، داهيةً، حافظاً، فطناً، خطيباً، فصيحاً، بليغاً، تشهد بذلك أخباره مع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد استخلف أبو موسى الأشعري ـ حين خروجه للغزو بعد توليه البصرة ـ زياد بن أبي سفيان عليها، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى أبي موسى: بلغني أنك استخلفت على البصرة غلاماً حدث السِّنِّ، ليس له قِدمٌ ولا هجرة ولا

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص١٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٩٩.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص ٢٥. وقال المحقق: «كذا في الأصل، ولعله محرف عن (أَدُن) كأكُف، على أن كتب اللغة لم تذكر في جمع (دَنّ) غير دنان، وإذا صح ما روي عن زياد فيكون كأنه كره من الكاتب أن يستعمل جمع الكثرة في موضوع جمع القلة». وانظر الخبر مختصراً في: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢١٢.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٤.

تجربة، فإذا أتاك كتابي فأشخصه إليّ، فلما قرأ أبو موسى الكِتَاب بعث بزياد إليه، فَكَلَّمَه عمر فَردَّ عليه رد فَهِمٍ عَاقِلٍ، فقال له عمر: أتُخبر الناس بما أخبرتني؟ فقال: إذا أخبرتك أنت فالناس عليَّ أهون، فخرج عمر آخذاً بيده وهو يقول: هذا يرفع الله به خسيسة أهله، فقال زياد: أيها الناس أنْفَقْنا في عام كذا كذا وبقي كذا، وفي عام كذا كذا وبقي كذا، فتعجب الناس من حفظه وعقله، ثم أمر له عمر بألف درهم، فاستأذن على عمر في بعض الأيام فبعث إليه: انتظر أخرُج إليك، فغلبته عينه فنام وعليه خفان جديدان، فلما رآه عمر علاه بالدّرة، فلما انتبه، قال: إنَّما أخذتُه بدرهم واحد، فقال عمر: فلا بأس إذن وعجب من فطنته[1].

وقد جمع أوصافه الذهبي ـ رحمه الله ـ في «سيره»، فقال: «كان من نبلاء الرجال، رأياً، وعقلاً، وحَزْماً، ودهاءً، وفطْنةً، كان يضرب به المثل في النُّبل والسُّؤدد من أفراد الدهر»[2]، وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «... وكان يُضرب به المثل في حُسن السياسة، ووفور العقل، وحُسن الضبط لما يتولاه»[3].

وقد صنع وجود هذين الأمرين في الشخصية الزيادية من قرار علي رضي الله عنه قراراً تاريخياً أحدث نقلةً مميزة في تاريخ صناعة الكتابة، ممثلة في دواوين خراج إقليم العراق والمناطق الشرقية التابعة لها.

يضاف إلى هذين الأمرين ما تميز زياد بن أبي سفيان ـ فيما بعد ـ من قوة اتصاله الحضاري والإداري بالفرس، فقد تَوَلَّى ـ رحمه الله ـ إمرة فارس في سنة ٣٩ هـ[4] لعلي بن أبي طالب[5]، فاستفاد من حضارتهم في الشؤون الإدارية وترتيب الدواوين، فعند توليه فارس «سأل عن أمثل سيرة الفرس، فقيل له: سيرة أَنوشَرْوان

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٩٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٩٥.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥٢٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٤٣.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٩٩، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٥.

كسرى بن قُباد، كان يضع عن أهل فارس من خراج كُلّ عشر سنين خراج سنة، ففعل زيادٌ مثل ذلك حتى عمرت فارس عمارة لم يُعمر مثلها قط »(١).

وقد جزم أحد الدارسين الغربيين أن زياداً كان يتعلم الفارسية، وأن نجاحه في الحكم والإدارة « يعود إلى معرفته الفارسية أكثر من غيره من العرب »(٢). ورغم أنَّ الباحث لا يستطيع الجزم بهذا الأمر؛ لأن المصادر التي ترجمت لزياد بن أبي سفيان لم تذكر شيئاً من هذا.. إلا أنه لا يستبعد ذلك؛ لأنَّ اتصاله بالحضارة الفارسية كان ماثلاً للعيان، إضافةً إلى أن النظام الفارسي كان ساري المفعول في دواوين الخراج في الأقاليم الشرقية في ذلك العهد، وقد كان يقول: « ينبغي أن يكون كُتَّاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج »(٣)، ولذلك نجده يتخذ كاتباً فارسياً للعمل في ديوان الخراج في عهده يُدعى: « زاذان فَروخ »(٤)، وقيل: « زاذا نفروخ »(٥)، وقد كان هذا عبداً مملوكاً للربيع بن زياد والي خراسان من قبل زياد بن أبي سفيان، ثم أعتق الربيع فروخاً وكان كَاتبَه على مئة ألف فقال: ما أقبح أن آخذ لك ثمناً يا فروخ، وما أقبح أن تكون مكاتباً، أنت حر، ومالك لك(٦).

ويُعدّ زاذان فرّوخ هذا « شخصية بارزة في التنظيم الضرائبي العربي في القسم الشرقي من الإمبراطورية ولمدة ثلاثة أجيال، بعد أن نستطيع أنْ نتعرف على أعضاء من عائلته ظلوا في هذا الفرع من الخدمة الوظائفية الحكومية إلى العصر العباسي، ولكن لم يكن لأحد منهم ذلك النفوذ والسلطة التي كانت له »(٧)، وقد حظي

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٩٩.

(٢) انظر هذا الرأي: حميد مرعيد، تعريب الدواوين، الأستاذ، م١، ع٣ (١٩٨٠ م): ص ٨١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٤.

(٤) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٣٠. وانظر هذا الإسم بهذا الرسم: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص٢٨٢.

(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٦.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٣٠.

(٧) حميد مرعيد، تعريب الدواوين، الأستاذ، م١، ع٣ (١٩٨٠ م): ص ٨٣.

بمنزلة رفيعة عند الحجاج بن يوسف الثقفي[1] عند تَوَلِّي الأخير العراق عام ٧٥هـ، وهو ما لم يحظَ به في عهد سيطرة مصعب بن الزبير (من ٦٧ هـ إلى ٧١ هـ)، الذي عزله وعين كاتبًا فارسيًا آخر يُدْعَى « سارزاذ »[2]، وقد استعمل زيادِ بن أبي سفيان كاتباً آخر مع زاذان فروخ من مواليه يدعى مهران[3].

٣- ديوان خراج الشام:

ظلَّت دواوين خراج الشام على التنظيم الرومي السابق للفتح الإسلامي، كما مر، وممن كان له عظيم الأثر في إدارة ديوان خراج الشام وتطويره كاتب رومي كان نصرانياً ثم أسلم، ويدعى: سرجون بن منصور الرومي، ويقال له: سرحة، وتشير رواية ابن عساكر أنه أصبح كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان منذ أن تولى معاوية دمشق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى ما نصه: « ... وكان يقال: إن الكنيسة التي خارج باب الفراديس [بمدينة دمشق] بحذاء دار أم البنين، مُحْدَثة بُنيت بعد الفتح لسرحة كان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ثم أسلم على يديه، وبقيت الكنيسة »[4].

وقد تولى سرجون ديوان الخراج لمعاوية بن أبي سفيان[5]، ويزيد بن معاوية ابن أبي سفيان[6]، ومعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[7]، ومروان ابن الحكم[8]، وعبد الملك بن مروان[9]، ولذلك ذكره ابن عبد ربه الأندلسي فيمن نَبُلَ بالكتابة وكان قَبْل خاملاً فقال: « سرجون بن منصور الرومي: كتب

(١) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٦١٣.
(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٤٤.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٠٩.
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص١٦١.
(٥) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٤.
(٦) المصدر السابق، ص٣١.
(٧) المصدر السابق، ص٣٢.
(٨) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٦٤، والجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٣.
(٩) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٩، والجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٤٠.

لمعاوية، ويزيد ابنه، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان...»[1]، ثم غاب ذكره في عهد الأخير بعد أن أمر بتعريب الدواوين.

ويكمن أثر سرجون على ديوان الخراج في الشام في طول مدة عمله فيه وخبرته به، فقد مكث نحواً من خمسين سنة في هذا العمل، فقد بدأ عمله هذا في عهد إمارة معاوية بن أبي سفيان لدمشق سنة ١٨ هـ[2]، واستمر فيه إلى أن تركه في عهد عبد الملك بن مروان الذي كانت خلافته من ٦٥ هـ إلى ٨٦ هـ[3].

وهناك كاتب رومي نصراني آخر ساهم في تطوير صناعة الكتابة من خلال توليه خراج حمص في عهد معاوية بن أبي سفيان، وهو ابن أوثال النصراني[4].

٤- ديوان خراج مِصْر:

جاء في «فتوح مصر»: «لما صالح عمرو بن العاص أهل مِصْرَ واجتمعوا على عهد بينهم، واصطلحوا على أن يُفرض على جميع من بِمِصْر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران دينارانِ على كل نفس، شريفهم ووضيعهم، ومن بلغ الحلم منهم. إلى آخر العهد، وأحصوا عدد القبط يومئذٍ خاصةً من بلغ منهم الجزية، وفرض عليهم الدينارين، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أُحصي يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس، وكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة»[5]، وكان يشرف على خراج مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمر على ذلك إلى أن عزله عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الخراج

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٢.

(٢) الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٧، ص ٢٦١. وانظر ترجمة يزيد بن أبي سفيان (ت ١٨ هـ): الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٨، ص ١٨٤ حيث تولى معاوية إمرة دمشق بعد أخيه يزيد.

(٣) انظر: الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٤، ص١٦٥.

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٧.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٥٠.

وأقرّه على الصلاة والجند، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج(١).

وقد تولى خراج مصر بعد موت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وِرْدان من قِبَل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، ثم تولى بعد ذلك إمرة مصر مع الخراج والصلاة في عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عقبة بن عامر بن عبس الجهني الصحابي العالم الشاعر الكاتب المشهور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

وجِمَاع القول في باب فروع الدواوين في الأقاليم الأخرى ونعتها ما نصّ عليه المؤرخون والأدباء من أنّه «لم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان: أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم، وهذا الذي كان عُمر قد رَسَمَهُ، والآخر لوجوه الأموال بالفارسية كان بالشام مثل ذلك أحدهما بالرومية، والآخر بالعربية فجرى الأمر على ذلك إلى أيام عبد الملك بن مروان.

فلما قُلِّد الحجاج العراق، كان يَكْتُب له صالح بن عبد الرحمن ويُكَنَّى: أبا الوليد، وكان يَتَقَلّد ديوان الفارسية إذ ذاك زاذان فَرُّوخ [الذي مر ذكره]، فخلف عليه صالح بن عبد الرحمن فَخَفَّ على قَلْب الحجاج، وخُصّ به، فقال لزاذان فَرّوخ: إني قد خُففتُ على قلب الحجاج، ولست آمن ان أزيلك عن مَحَلِّكَ لِتَقْديمه إيَّاي، وأنت رئيسي، فقال زاذان فروخ: لا تفعل، فإنه أحوج إليّ مني إليه، قال: فكيف ذلك؟ قال: لا يجد من يكفيه الحساب، فقال صالح: إني لو شئت حولته بالعربية، قال: فحوّل منه سطراً فحول منه شيئاً كثيراً، فقال زاذان فروخ لأصحابه: التمسوا مكسباً غير هذا، وأمر الحجاج صالحاً بنقل الدواوين إلى العربية في سنة ثمان وسبعين(٤).

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الرابعة، ج٢، ص٤٥٠-٤٥١، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٩٩، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٣٢١.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٦، ص٢٦٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٢٩.

(٤) لم تذكر مصادر التاريخ في أحداث سنة ٧٨ هـ خبر تعريب الدواوين هذا. انظر: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، والطبري، تاريخ الطبري، وابن الجوزي، المنتظم، وابن كثير، البداية والنهاية.

وكان يتقلد ديوان الشام بالرومية لعبد الملك ولمن تقدمه سرجون بن منصور النصراني [الرومي الذي مرّ ذكره] فأمره عبد الملك يوماً بشيء فتثاقل عنه، وتوانى فيه، فعاد لطلبه وحثَّه فيه، فرأى منه تفريطاً وتقصيراً، فقال عبد الملك لأبي ثابت، سليمان ابن سعد الخُشني، وكان يتقلد له ديوان الرسائل: أما ترى إدلال سرجون علينا؟ وأحسبه قد رأى أن ضرورتنا إليه وإلى صناعته، أفما عندك حيلة؟ قال: لو شئت لحوَّلت الحساب إلى العربيّة، قال: فافعل.. فَحَوّله، فَرَدّ إليه عبد الملك جميع دواوين الشام»[١].

النوع الثالث: دواوين الرسائل والخاتم:

لقد أصبح لهذين الديوانين من الدواوين شخصيتهما الاعتبارية في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، حيث ذُكرا في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعامله زياد بن أبي سفيان فقد «أفرد كُتَّاب الرسائل من العرب والموالي المتفصحين»[٢]، وكان له كُتّاب على الرسائل مثل: عبد الرحمن بن أبي بكرة، وجبير بن حية الثقفي[٣].. وقد تعلم زياد في صغره في كُتّابه، ومرداس مولاه[٤]، وكتب لمعاوية رضي الله عنه على الرسائل عُبيد (ويقال: عبيد الله) بن أوس الغساني[٥]، ومولاه عبد الرحمن (ويقال: عبد الله) بن دراج[٦] وقيل: عبيد الله بن دراج[٧]،

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٣٨-٤٠. وانظر حول نقل الديوان من الفارسية والعربية مع مراعاة الاختلاف: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٦-١٩٨، والصولي، أدب الكُتَّاب، ص٢٠١، والعسكري، الأوائل، ص١٧٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص٣٢٠-٣٢١.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٣٤.

(٣) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٣٠، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٦.

(٤) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٦.

(٥) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٤١، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٤، والطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٥٣٤. وانظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص ١٦٩-١٧٠.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٣٤٠.

(٧) المصدر السابق، ج٣٧، ص٤٢٦.

وربما كتب له عُبيْد الله بن نصر بن الحجاج السلمي[١].. وكان معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أول من وضع ديوان الخاتم، وجعل عليه عبد الله بن عمرو الحميري[٢].

أهمية العامل السياسي والإداري في تاريخ الدواوين وصناعة الكتابة:

من الأهمية بمكان أن يقرر الباحث في ختام فصل العامل السياسي والإداري: مجالاته وآثاره.. أنه لم تكن لدواوين الإنشاء والرسائل والخاتم أن ترى النور في النصف الأول من القرن الأول الهجري لولا تأثير العامل السياسي والإداري؛ ذلك لأن مضامين هذا العامل من الكتابات السياسية والإدارية هي جوهر هذه الدواوين ومتعلقات أعمالها ومصدر قيامها وتطورها، ويَصْدُقُ هذا القول أيضاً على دواوين العطاء (الجند) والخراج؛ ذلك لأنها ما ظهرت في الأقاليم الإسلامية إلا لسياسة أمور البلاد والعباد وتنظيم معاملاتهم وإدارة شؤونهم وتوفير احتياجاتهم، وتولدت عن هذه الدواوين سلسلة من الآثار التي أحدثت نقلة حضارية متميزة في فجر الإسلام في ثلاثة محاور سيشير إليها الباحث في هذه الخاتمة، وبعبارة أدق: فقد كان أثر العامل السياسي والإداري أثراً متعدياً يتمثل في سلسلة من الحلقات المترابطة تمثل كل حلْقة فيها أثراً بِعينه.

والمحاور الثلاثة ـ حسب تحديد الباحث ـ جاءت فيما يأتي:

المحور الأول: الإحصاء الاجتماعي والإداري:

حيث تضمن ديوان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو أول إحصاء اجتماعي سكاني في تاريخ الإسلام بتلك المواصفات وذلك المستوى، وغيره من دواوين العطاء (الجند) في الأقاليم الإسلامية الأخرى تفصيلاً دقيقاً وشاملاً لأفراد المجتمع الإسلامي: قبائله وأقوامه، رجاله ونساؤه، كباره وصغاره، مواليده ومواليه، مرتباً ترتيباً مقنناً بحسب الأسبقية للإسلام والهجرة والنصرة، والمتمعن في تاريخ فجر الإسلام يرى ذلك

---

(١) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٦.

(٢) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٤١.

ماثلاً أمام عينيه، فقد رُوِيَ عن هشام الكعبي قوله: «رأيتُ عمر بن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديداً، فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه إمرأةٌ بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن، ثم يروح فينزل عسفان، فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى تُوُفِّيَ»[١]، رضي الله عنه وأرضاه، كما «كان ديوان حِمير على عهد عمر على حَدِه»[٢]، ويُرَى ذلك أيضاً في تراجم وأخبار رجالات العصر في حالهم مع الديوان ووضعهم فيه، فيُرْوَى عن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه «محا نفسه من الديوان حين قُتل عمر، ومحا عبد الله بن الزبير نفسه حين قُتل عثمان»[٣].

ويذكر عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رفض أن يُكتب اسمه في الديوان في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان عمر يقول: «اللَّهم إِني أشهدك على حكيم بن حزام أنِّي أدعوه إلى حقِّه من هذا المال فيأبى، وإِنِّي أبرأُ إلى الله منه»[٤]. ورُوِيَت أحوال رجال آخرين مع الديوان مثل: عَدِيّ بن حاتم الطائي[٥]، وجبلة بن أبي كرب بن قيس[٦]، والصَّلت بن حجر بن النعمان[٧]، وأبي سبرة[٨]، والحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب[٩]، والعباس بن عبد المطلب[١٠]، ومحمد بن عبد الله بن جَحش[١١]،

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٨، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٨، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٧٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٨، والبلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٨–٤٣٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب الديوان، ج١١، ص١٠٣، رقم ٢٠٠٤٣، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٠٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص١٨٦.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب الديوان، ج١١، ص١٠٢–١٠٣، رقم ٢٠٠٤١، ٢٠٠٤٢.

(٥) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص ٨٤.

(٦) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الرابعة، ج٢، ص٧٠٠.

(٧) المصدر السابق، ج٢، ص٧٠٦.

(٨) المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٨.

(٩) المصدر السابق، ج١، ص٣٩٣، وبدران، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٤، ص٢١٥.

(١٠) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٩.

(١١) المصدر السابق، ج٨، ص٢٨٩.

والنضر ابن الصحابي الشهيد أنس بن النضر[١]، وكعب ابن عدي التنوخي الذي قال: «كنتُ شريكاً لعمر بن الخطاب، فلما فرض الديوان فرض لي في بني عدي ابن كعب»[٢].. وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين، ولا يختلف حال دواوين العطاء (الجند) في الأقاليم الأخرى عن هذا الحال، ويستمر هذا الإحصاء من أجل العطاء والجند في التطور بهذه الدقة وذلك الشمول، حتى نلحظ ذلك بشكل جلي وواضح في ديوان عطاء مصر في عهد معاوية رضي الله عنه في تفاصيل قصته التي مرت معنا، محققاً بذلك أرقى درجات الإحصاء الاجتماعي والإداري في ذلك العهد.

المحور الثاني: في التدوين والتأليف:

لقد عُدَّ ذلك الإحصاء الاجتماعي الدقيق والشامل والمرتب «المادة الأولى لكتب تراجم الصحابة زعماء الإسلام وأبنائهم»[٣]، فهو «مادة كبرى وَضَعَها مَن سَبَقَ لمن سيلحق، فلو وُجد اليوم لكان أعظم مادة لرجال الإسلام، وقد ظفر ببقاياها من سبق فدونوا ما بأيدينا من ذلك»[٤]، فقد روى ابن سعد في «طبقاته» في ترجمة النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد الخزرجي أنَّ جده يُسمى قَوْقَل؛ فَسُمُّوا القواقلة، فقال: «وكذلك هم في الديوان يُدعون بني قَوقل»[٥].. وابن سعد ـ رحمه الله ـ عاش في المدة الزمنية ما بين (١٦٨ هـ إلى ٢٣٠ هـ).

وذكر أيضاً أنَّ ممن كان في ديوان بني جُمح بن عمرو كثير وزُييد وعبد الرحمن بنو الصلت، فلم يزل ديوانهم ودعوتهم معهم حتى كان زمن المهدي أمير المؤمنين، فأخرجهم من بني جمح وأدخلهم في حُلفاء العباس بن عبد المطلب[٦].

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص١٩.

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص٤٥٠.

(٣) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص٢٥٢.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص٥٤٨.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٣، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص٣٨.

وأخرج الإمامان أحمد - رحمه الله - في «مسنده»[1]، وابن عساكر - رحمه الله - في «تاريخه»[2] أنه رُوِيَ عن مسروق بن الأجدع - أحد كبار التابعين - قال: «لقيتُ عمر بن الخطاب فقال لي: من أنتَ؟ قلتُ: مسروق بن الأجدع، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأجدع شيطان».. ولكنك مسروق بن عبدالرحمن، قال عامر [ابن شراحيل الشعبي راوي الحديث]: فرأيته في الديوان مكتوباً «مسروق بن عبد الرحمن» فقلتُ: ما هذا؟ فقال: هكذا سَمّاني عمر».

المحور الثالث: في الكتابة وصناعتها:

ففي هذا المحور تشترك الدواوين بأنواعها الثلاثة: دواوين الإنشاء وملحقاتها، ودواوين العطاء (الجند)، والخراج.. ولا يبالغ الباحث إذا قال بأن هذه الدواوين كانت بمثابة محطة من المحطات الجوهرية الأولى - من حيث التطوير والتفعيل - في تاريخ صناعة الكتابة في الحضارة الإسلامية؛ فقد كانت هذه الدواوين:

١- مركزاً من مراكز النشر القديم، جنباً إلى جنب مع مراكز كتابة القرآن الكريم؛ ذلك لاحتوائها على جميع العمليات والمستلزمات المتعلقة بصناعة الكتابة. ومن خلال معرفة الحجم الهائل للمدونات في هذه الدواوين نستطيع أن نعرف مدى قوة حركة صناعة الكتابة فيها، فقد حوَت هذه الدواوين عشرات الألوف من الأسماء، والقبائل المدونة، والكثير من الإجراءات الحسابية المتعلقة بالخراج والعطاء، وصدرت منها المئات من الرسائل والوثائق السياسية والإدارية، فكان من جراء ذلك أن استحدثت مراكز النشر هذه أشكالاً وعمليات جديدة في صناعة الكتابة، مثل: الطومار، والدفتر، واتخاذ الخاتم، وديوان الخاتم، وديوان الزمام، وعملية النسخ.. بل إن الباحث يرى: أنَّ مقام الأَوّليَّة[3] - إنْ صَحَّ التعبير - في تاريخ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج١، ص٢٥٦، رقم ٢١١.

(٢) انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص٢٤٥.

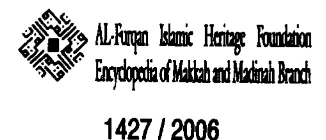
(٣) انظر حول هذه الأوائل: فؤاد صالح السيد، معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين، ص١٢٤- ١٢٨ باب المعاملات والدواوين.

BOOK MAKING AND WRITING IN THE HIJAZ:

ERA OF THE PROPHET AND THE RASHIDUN CALIPHATE

BY
MAGED A. BADAHDAH

Vol. One



1427 / 2006

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م) (٧)

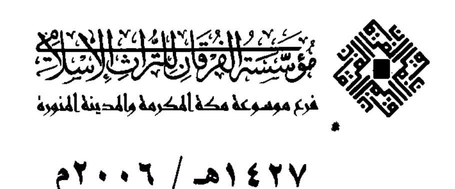
صناعة الكتاب والكتابة في الحجاز:

عصر النبوة والخلافة الراشدة

تأليف

ماجد بن عبود باحدح

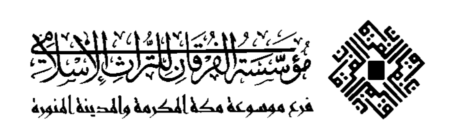
الجزء الثاني



١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

ح مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بادحدح، ماجد عبود سعيد
صناعة الكِتاب والكِتابة في الحجاز: عصر النبوة والخلافة الراشدة. ماجد عبود سعيد بادحدح .ـ الرياض، ١٤٢٦هـ.
٨١٥ ص؛ ١٧×٢٤ سم (مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ؛ ٧)
ردمك: ٨-١-٩٦١٨-٩٩٦٠ (مجموعة)
٤-٣-٩٦١٨-٩٩٦٠ (ج٢)
١ ـ الكتابة العربية ـ تاريخ ٢ ـ التاريخ الإسلامي ـ عصر صدر الإسلام
أ ـ العنوان
ديوي ٩٥٣,٠٢ ١٤٢٦/٥٨٤٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٨٤٣
ردمك: ٨-١-٩٦١٨-٩٩٦٠
٤-٥-٩٦١٨-٩٩٦٠ (ج٢)



١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م



بوادر صناعة الكتابة والكِتَّاب في النصف الأول من القرن الأول الهجري

الفصل الأول: أدوات الكتابة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

الفصل الثاني: مواد الكتابة

الفصل الثالث: أسماء المدوَّنات

الفصل الرابع: أوعية حفظ المدوَّنات

الفصل الخامس: الكَتَبَة



توطئـة

في ضوءِ تلكمُ العواملِ والمؤثراتِ ـ المذكورة آنفاً ـ وفي ضوء المجالاتِ الكتابيَّةِ التي أوجدتها تلك العواملُ والمؤثراتُ، لابُد وأَنَّ صناعةَ الكتابة والكِتَاب قد تأَثَّرت تأثُّراً إيجابياً، ولكي نعرف حجم هذا التأثر الإيجابي وحقيقته لابد للباحثِ من أنْ يستعرض مفرداتِ صناعةِ الكتابةِ والكِتَاب في النصفِ الأوَّلِ من القرنِ الأَوَّلِ الهجريِّ وعناصرَ وجودها: من أدواتٍ أَظْهَرَتْها، ومَوَادٍّ حَمَلَتْها، وأوعيةٍ حَفظَتْها، ومصطلحاتٍ أَطْلَقَتْها، ومعالجاتٍ ساهمت في إخراجها، وأَيْدٍ حَرَّرَتْها وشاركت في نَشْرِها.. مستعيناً ـ أي الباحث ـ في كُلِّ ذلك بالآية القرآنيَّةِ، والحديثِ النبويِّ، والأثرِ المرويِّ، والشاهدِ الشعريِّ والتاريخيِّ.

الفصل الأول:
أدوات الكتابة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

يَسْتَعرض الباحثُ في هذا الفصل أدواتِ الكتابة التي اسْتخدمت في الفترة المدروسة، مثل القلم والدواة ومدادِها، ومايتعلقُ بهذه الأدوات من معالجاتٍ، من قَطٍّ وبَرْيٍ ومَحْوٍ وتَتْرِيب.

القلم:

القَلَمُ: الذي يُكْتَب به، والجمع أقلام وقِلام.. قال ابن بَرّي: وجمع أقلام أقاليم. وأنشد ابن الأعرابي:

كَأَنَّني حين آتيها لتُخْبِرَني ... وما تُبَيّن لي شيئاً بتكليمِ
صحيفةٌ كُتِبَتْ سِرّاً إلى رَجُلٍ ... لم يَدْرِ ما خُطَّ فيها بالأقاليم[1]

وإنَّما سُمِّي قَلَماً لأنه قُلِّمَ أي قُطِّع، وكل عود أو قصبة قُطع منه، فالقطعة قلم، يقال للأنبوب: قلم، لأنها قُطعت من القصبة، يقال: أنبوب وأنبوبة، والجمع أنابيب. والأنبوب يُذكّر ويُؤنث. قال عبّاس بن مرداس[2]:

كلا فارسيكم قد أذقناه ضعنة ... فعالج أنبوباً من الخَطِّ يابساً

«وكل عود يقطع ويحز رأسه ويُعلَّم بعلامة، فهو قلم»[3]. ولا يقال «قلم» إلاّ إن كان مَبْرِيّاً، وإلاّ فهو أنبوبة[4] أو قَصَبَة[5].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٤٩٠، مادة: «قلم».

(٢) هو عباس بن مرداس السُّلمي، أسلم قبل فتح مكة بيسير، وكان من المؤلَّفة قلوبهم، وممن حَسُنَ إسلامه منهم، وكان شاعراً محسناً، وشجاعاً مشهوراً وتوفي نحو سنة ٨١ هـ. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص ٦٧-٦٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥١٢-٥١٣، والزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٦٧.

(٣) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة، ص٤٩. وانظر: ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص١٣.

(٤) الثعالبي، فقه اللغة، ص ٥٧، وأصل هذا الكلام لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ).. انظر: ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص١٣-١٤.

(٥) الزبيدي، حكمة الإشراق، ص٤٠. وانظر حول القلم: ابن درستويه، كتَاب الكُتّاب، ص١٥٣-١٥٤.

وجاءت جملة أسماء أُطلقت على القلم، وفي تعددها دلالة على شَرف المُسَمَّى، ومنها: المِزْبَر. قال ابن منظور رحمه الله: المِزْبر بالكسر: القلم[1]. وفي خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «أَنَّهُ دَعَا في مَرَضِه بِدَواة ومِزْبر فَكَتَبَ اسم الخَليفَة بَعْدَهُ»[2]. وقال أعرابي: إنِّي لا أعرف تَزْبِرَتي.. أي: كتابتي وخطي، وزَبَرْتُ الكِتَاب إذا أتقنتُ كتابته[3]. وأنشد الأصمعي: «قد قُضِي الأمر وجفَّ المِزْبرُ»[4].

ومنها: المِلْقاط بالكسر. قال شَمِرٌ: سمعتُ حِمْيَرِيّةً تقولُ لِكَلِمَةٍ أَعَدْتُها عليها: لقد لَقَطْتُها بالمِلْقَاط، أي: كَتَبْتُها بالقَلَم[5].

ومنها: المِدْبر من الدَّبْر، أي: الاكتتاب. قال ابن سِيدَه: دَبَرَ الكِتاب يَدْبُره دَبْراً: كَتَبَه؛ عن كُرَاع. قال: والمعروف ذَبَره، ولم يَقُلْ دَبَرَه إلاَّ هو[6].

ومنها: اليَراع وهو: القصب[7]. يقال: كَتَبَ الكَاتِبُ باليَرَاعَة. أي: القلم[8]. والقصب: كلٌّ نبات ذي أنابيب، واحدتها: قصبة[9].

واسم اليراع جاء من أنَّ «العرب كانوا يتخذون أقلامهم من لُبِّ الجريد الأخضر، ثم اتخذوه من القصب»[10]. فقد كانت «الأقلام المستعملة في كتابة رسائل

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣١٥، مادة: «زَبَرَ».

(2) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٢٩٣.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣١٥، مادة: «زَبَرَ».

(4) الزمخشري، الفائق، ج١، ص٥٢٢.

(5) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٤٠٢.

(6) المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٤-٣٨٥، مادة: «دَبَرَ».

(7) انظر مادة «يرع» عند: الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٣١٠، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص٤١٣، والزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص٥٥٥.

(8) الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص٥٥٥، مادة: «يرع»، وابن منظور، لسان العرب، ج١٧، ص٥٨٢، مادة: «قلم».

(9) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٧٤، مادة: «قصب».

(10) محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص ٩٨.

النبي ﷺ من أقلام القصب المُسَنَّنَة برؤوس دقيقة ناعمة....»[١]، وكانوا يُطْلِقون عليها اليراع.

ويشير إلى استخدام الأقلام القصبية وانتشارها في العهد الراشدي، ما رواه عُبَيْد الله بن سليمان العبدي، من أنَّ أبا حُكَيْمة[٢] العَبْدي ـ وهو أحد كُتَّاب المصاحف ـ حَدَّثه حول معالجته لقلمه، فقال: أنَّه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فيمرُّ بِه عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يكتب، فقال: أَجِلْ قَلَمكَ، فقططتُ منه ثم كَتَبْتُ وهو قائم، فقال: نَوِّره كما نوره الله عزَّ وجل[٣]. والقَطُّ القَطْعُ عامَّة، وقيل: قطع الشيء الصَّلب، ومنه قَطُّ القلم[٤]، وما يُقَطُّ إلاَّ القصب.

ويصرِّحُ بذلك عبد الله بن حنش الأودي فيقول: «رأيتهم يكتبون عند البراء بأطراف القصب على أكفهم»[٥]، و«طريقة الكتابة بهذه القصبة: بأن يُغْمس الرأس في الدَّواة، وبعده يكتب بما حَمَلَهُ من مداد»[٦].

وقد ظلَّ القصب أداة كبار الخطاطين حتى في عصرنا الحاضر[٧]؛ لأنها «سهلة الاستعمال، فهي طوع يد الكاتب يقطعها كما يشاء بحسب قياس حجم الكتابة،

---

(١) محمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص ٢٧٥.

(٢) جاء في «فتح الباب في الكنى والألقارب» لابن منده الأصبهاني ص ٢٧٣ ما نصه: «أبو حكيم العبدي الكوفي، حدَّث عن: علي بن أبي طالب، روى عنه: عبد الله بن سليمان العبدي».

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب أخذ الأجرة على كتابة المصاحف، ج١، ص٤٥٥، رقم٣٦٥، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص١٥٧-١٥٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٨٠، مادة: «قطط».

(٥) أخرجه الدَّارمي في سننه، باب من رخص في كتابه العلم، ج١، ص ١٢٨، والخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٠٥، وابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج١، ص٣١٥، رقم٤٠٧. وقال محقق الجامع: «إسناده حسن». وانظر: ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص ٢١٣، رقم٢٣١.

(٦) سهيل قاشا، الحبر وأدوات الكتابة في التراث العربي، التراث الشعبي، س٩، ع ٥ (١٩٧٨م): ص ١٣.

(٧) ولذلك قال البحاثة كوركيس عواد ما نصه: «...اتَّخذ خطاطو العرب في كتاباتهم أقلام القصب، التي ظل استعمالها عاماً بينهم إلى قبل نحو من أربعين سنة، فحلَّت محلها أقلام الريشة المعدنية...». انظر: الثقافة العربية الخطية، المعلم الجديد، ج١٠، ع١٠ (١٩٤٦م): ص ٩٥.

بخلاف الريشة المصنوعة في المعامل، وإن كانت قطة بريها صالحة إلاّ أنَّها يابسة في اليد، فلا تؤدي قواعد الخط على الوجه المرْضي »[1].

كما أنَّ من أسماء القلم: الـمِرْقم؛ لأن القلم آلة للرَّقم وهو الكتابة.

قال رُؤْبَة:

سأرْقُـم في الماء القَـراح إليكُـم   عليه بُعْدِكُمْ إنْ كان للماء راقمُ

والـمُرَقِّمُ (كَمُحَدِّث): الكاتب. قال الشاعر:

دار كَرَقم الكاتب الـمُرَقِّم[2]

ويروى بالنون: الـمُرَقِّن[3]. وذُكرَ الرَّقم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴾[4].. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعدأن ذكر أقوال المفسرين القائلين بأنَّ الرقيم هو الكتاب: « وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير »[5].

وقد ذُكر (القلم) في القرآن الكَريم أربع مرات[6]: مرتان بصيغة المفرد، ومرتان بصيغة الجمع.. فقد جاء ذكره في أول آيات القرآن نزولاً على رسول الله ﷺ حيثُ قال المولى عزَّ وجل: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾[7]، ثم أقسم المولى عزَّ وجل بالقلم فقال

(١) محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص٩٨.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٢٩٧، مادة: « رقم ».

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٤٨-٢٤٩، مادة: « رقم ».

(٤) سورة الكهف: الآية ٩.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٧٣.

(٦) ذكر البحّاثة الدكتور يحيى وهيب الجبوري ـ حفظه الله ـ أنّه: « ورد ذكر القلم في القرآن الكريم ثلاث مرّات، مرتين بصيغة المفرد، ومرة بصيغة الجمع ». انظر: يحيى الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٨٤.. والصحيح ما ذكره الباحث.

(٧) سورة العلق: الآية ١-٤.

عزَّ من قائل: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١)، وقد مضى الحديث عن هاتين الآيتين في أول هذه الرسالة.

وجاء ذكر القلم بصيغة الجمع في قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾(٢).. والأقلام هنا على رأي الأكثرين: الأقلام التي كانوا يكتبون بها الوحي [التوراة](٣). وقيل: قداحهم وسهامهم وأزلامهم. والأول هو ما ذهب إليه عبد الله بن عباس رضيّ الله عنهما، واختاره كبار المفسرين(٤).

قال الفخر الرازي رحمه الله: «قال القاضي: وقوع لفظ القلم على هذه الأشياء [أي: السهام، والأزلام] وإنْ كان صحيحاً نظراً إلى أصل الاشتقاق، إلاّ أنَّ العرف أوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به، فوجب حمل لفظ القلم عليه»(٥).

وقال القرطبي رحمه الله: «﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾ جمع قلم، من قَلَمه إذا قطعه، قيل: قداحهم وسهامهم، وقيل: أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، وهو أجود؛ لأنَّ الأزلام قد نَهَى الله عنها، فقال: ﴿ذلكم فسق﴾ إلاّ أنَّه يجوز أن يكونوا فعلوا ذلك على غير الجهة التي كانت عليها الجاهلية تفعلها»(٦).

وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: «والظاهر أنَّها الأقلام التي للكتابة، وقيل: كانوا يكتبون بها التوراة»(٧).

---

(١) سورة القلم: الآية ١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٧، ص٥٠.

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٦٩، ٧١، ٧٣.

(٥) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٧، ص٥٠.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج٤، ص٨٦.

(٧) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٣، ص١٥١.

وجاء ذكر القلم بصيغة الجمع في قول المولى عزَّ وجل: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(١).

« والمعنى: ولو أنَّ أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكُتبت بتلك الأقلام، وبذلك المراد كَلِمَات الله ما نفدَت، ونفذت الأقلام والمداد الذي في البحر وما يَمُدّه.... وفي هذا الكلام من المبالغة في تكثير الأقلام والمداد ما ينبغي أن يُتأمَّل، وذلك أنَّ الأشجار مشتمل كل واحدةٍ منها على الأغصان الكثيرة، وتلك الأغصان كل غصن منها يُقطع على قدر القلم، فيبلغ عدد الأقلام في التناهي إلاَّ ما لا يعلم به إلاَّ الله تعالى »(٢).

ويرى الباحث أنَّ في هذه الآية إشارة إلى أنَّ المادة المصنوعة منها الأقلام في فجر الجاهلية وفجر الإسلام كانت الأشجار والنباتات، مثل نبات القصب أو شجرة القلاّم؛ لِمَا نصَّ عليه القلقشندي(٣) - رحمه الله -. وذكر نحوه محمد حسن الطيِّبي - رحمه الله - من أن القلم: « مأخوذ من القُلاَّم، وهو شجر رخوٌ فلما ضارعه القلم في الضعفِ سمّي قَلَماً »(٤).

وقد جاء ذكر « القلاَّم » في شعر المخضرمين(٥). فقد قال لبيد بن ربيعة (جاهلي أدرك زمن معاوية بن أبي سفيان، ت ٤١ هـ) في معلقته الجاهلية:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السريّ وصَدَّعا ... مَسْجُورةً مُتجاوِراً قُلاَّمُها

مَحفوفةً وسْطَ اليَـراعِ يُظِلُّها ... منه مُصرَّع غابةٍ وقيامُها(٦)

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٨، ص٤٢١.. وانظر تفسير هذه الآية: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٥٦-١٥٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٨٦، والبغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٤٩٤-٤٩٥.

(٣) صبح الأعشى، ج٢، ص٤٧٩.

(٤) محمد حسن الطيِّبي، جامع محاسن كتابة الكُتَّاب، ص١٤.

(٥) انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٥٥٢.

(٦) العُرْض: الناحية، والسرِيّ: النهر، وصدَّعا معناه شقَّقا النبت الذي على الماء، ومسجورة: عين مَملؤة، ومحفوفة: يعني العين.. عنى أنها حفت بالقصب نابتاً فيها، والغابة الأجمة، وجمعها=

وقال الحُطَيْئة جرول بن أوس (جاهلي أدرك الإسلام، ت ٤٥ هـ):

مَنَعْنَ مَنَابتَ القُلاّم حتى   علا القُلاّم أفواه الرَّكيّ

قال القاضي الإمام أبو عبد الله حسين بن أحمد الزَّوْزَني: «القلاَّم: ضربٌ من النَّبت»(١)، وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: «نَبْتٌ ينبتُ على الأنهار، يقال: هو القاقُلَّى»(٢). وقال أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي: «والقُلاّم نبتٌ، وقيل: هو القَصَب»(٣).

أمّا بالنِّسبة إلى الأحاديث النبوية فلقد «تكرر ذكر القلم في الحديث»(٤)، ويُشْعِرُ ذلك عن انتشار الكتابة في عهده ﷺ، وانتشار صناعة أداتها الأولى وهي القلم، إلاّ أنّ الأحاديث التي ذكرت القلم تنقسم إلى نوعين: أحاديث ذكرت القلم في عالم الغيب، وأحاديث ذكرت القلم في عالم الشهود. والنوع الثاني يبيِّن ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في استعمالهم للقلم.

فمن النوع الأول ما رواه ابن عباس رضيّ الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوّلَ شيءٍ خَلَقَهُ اللّه القَلَم، وأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ كُلَّ شيءٍ»(٥). وفي رواية ابن

= غابٌ، أي يظلُّ العين ما سقط من هذا القصب وما لم يسقط. والمعنى: أن الحمار والأتان انتهيا من عدوهما إلى الموضع الذي فيه الماء؛ لشدة عطشهما، والأمن من الرماة لكثرة ما حول الماء من النبت. انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٥٥٢–٥٥٣، والتبريزي، شرح القصائد العشر، ص٢٢٥.

(١) الزَّوْزَني، شرح المعلقات السبع، ص٢٣٣.

(٢) انظر: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥٥٢. قال ابن منظور: القاقلى: نبتٌ (لسان العرب، ج١١، ص٥٦٣، مادة: قلل). وزاد الزبيدي: القاقلى، مقصورة مخففة: نباتٌ كنبات الأشنان، مالِحٌ وقد ترعاه الإبل ويدر البول واللّبن ويسهلُ الماءَ الأصفر، ويُدرُّ الفضلات كلها، ويفتح السدد ويحرك الباه بقوةٍ، وينفع من أوجاع الظهر والوركين مطلقاً. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١٥، ص٦٢٧، مادة: قلل.

(٣) التبريزي، شرح القصائد العشر، ص٢٢٥.

(٤) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٠٥.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب القدر، باب جف القلم بما هو كائن، ج٧، ص١٨٩. وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات»؛ وأخرجه أبو يعلى في مسنده ،ج٤، ص٢١٧، رقم ٢٣٢٩.

عباس[1] رضيّ اللّه عنهما ـ أيضاً ـ عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللّه القَلَمَ، قَالَ: لَهُ اكْتُبْ.. فَجَرَى بِمَا هوَ كَائِن إلى قِيامِ السَّاعَة». وروي عن الرسول ﷺ في قصة إسرائه أنّه قال: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيه صَرِيفَ الأَقْلاَم»[2].

والمراد بصريف الأقلام «بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية اللّه سبحانه وتعالى»[3]، ومن هذه الأحاديث حديث ابن عباس رضيّ الله عنهما المشهور «احْفَظِ اللّه يَحْفَظْكَ....» الذي ذكر فيه الوصايا العظيمة التي أوصاه بها رسول اللّه ﷺ، وجاء في آخره «....رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[4].

قال المباركفوري ـ رحمه اللّه ـ: «أي كُتبَ في اللّوح المحفوظ ما كُتِبَ من التقديرات، ولا يكتب بعد الفراغ منه شيءٌ آخر، فَعَبَّرَ عن سَبْق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة، تشبيهاً بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته»[5]. وفي هذا التشبيه إشعارٌ بوضوح مفهوم الكتابة وصناعتها وأدواتها في إدراك المُتَلقي، وهو في هذا الحديث عبداللّه بن عباس رضيّ اللّه عنهما.

(١) أخرجها الهيثمي في مجمع الزوائد ـ أيضاً ـ كتاب القدر، باب جف القلم بما هو كائن، ج٧، ص١٨٩، وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ ج١، ص٤٥٩، رقم٣٤٩، وكتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، ج٦، ص٣٧٤، رقم٣٣٤٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، ج٢، ص٣٩٢، رقم ٤١٤، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٤، ص٤١٢، رقم ٢٥٣٥. وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٢، ص٣٩٢، وابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٤٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة ج٧، ص٢٢٨، رقم٢٥١٦. وقال: «هذا حديث حسنٌ صحيح»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٤، ص٤٣٠، رقم٢٥٥٦. وقال المحقق: «إسناده صحيح»، وجاء في مسند أحمد: «قد جف القلم بما هو كائن» ج٣، ص٢٤٦، رقم٢٨٠٤.

(٥) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص٢٢٩.

وجاء في تعداده ﷺ علامات السَّاعة: «....وظُهُور القَلَم»[1]. قال العَلاَّمة أحمد محمد شاكر في حاشية مسند الإمام أحمد: «يريد الكتابة»[2].

أمّا الأحاديث التي ذكرت القلم في عالم الشهود، والتي تُبَيِّنُ ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام في حالهم مع القلم.. فقد رَوَى أبو سلمة بن عبدالرحمن عن الصحابي زَيد بن خالد الجُهَنيّ[3] رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لأَمَرْتُهم بالسِّواكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَة». قال أبو سلمة: فرأيتُ زيداً يجلسُ في المسجد، وإن السِّواك من أُذنِه مَوضِع القلمِ من أُذُنِ الكاتب، فكلما قام إلى الصلاة استاكَ[4]. وفي رواية قال أبو سلمة بن عبدالرحمن: «فكان زيد يروح إلى المسجد وسواكه على أذنه بموضع قلم الكاتب، ما تُقْام صلاة إلاّ استاك قبل أن يُصلي»[5].

وفي هذا التشبيه دلالة على انتشار الكتابة وكثرة استخدام الصحابة لأدواتها، ولذلك قال المحدث محمد عبد الحي الكتاني ـ رحمه الله ـ في تعليقه على هذا الحديث: «فلولا أنَّ الكُتَّاب في ذلك الزمن الطاهر كان شأنهم وضع أقلامهم فوق آذانهم ما شبَّه بهم، وفيه إحالتهم على معروفين بعلامة مميزة يتميزون بها»[6].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج٤، ص٦٦، رقم ٣٨٧٠. وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٦٥، حاشية الحديث رقم ٣٨٧٠.

(٣) قال العظيم آبادي عن زيد بن خالد الجهني: «من مشاهير الصحابة وفضلائهم». انظر: عون المعبود، ج١، ص٦٠. وقد كانت وفاته سنة ثمان وسبعين، وقيل: مات سنة خمسين، وقيل: توفي آخر أيام معاوية، وقيل: سنة اثنتين وسبعين. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٣٥٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٤٩٩.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب السواك، ج١، ص٦٠، رقم٤٧، وأخرج نحوه الترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء في السواك، ج١، ص٩٧-٩٨، رقم٢٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) أخرجها أحمد في مسنده، ج١٦، رقم٢١٥٨٠، ونحوها، ج١٣، ص٢٤٩-٢٥٠، رقم١٦٩٨٥.

(٦) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢.

وقد ورد في بعض الأحاديث أمر الرسول ﷺ لبعض كُتّابه بوضع أقلامهم على آذانهم، فقد رُوي عن زيد بن ثابت قوله: «دخلتُ على رسول اللّه ﷺ وبينَ يَدَيْه كَاتِبٌ فَسَمِعْتُهُ يقول: ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ للمُمْلِي...»(١).

قال المباركفوري - رحمه اللّه - نقلاً عن أحد الشُرَّاح في شرحه لهذا الحديث: «يريد وضع القلم على الأذن أسرع تذكراً فيما يريد الكاتب إنشاءه من العبارات؛ لأنه يقتضي التَّأني وعدم العجلة، وكون القلم في اليد يحمل على الكَتْب بأدنى تَفَكُّر فلا يُحسن عبارته، وفي وضعه على الأرض صورة الفراغ عن الكتابة فتقاعد النفس عن التأمل كذا قيل»(٢). وقال القاري: معناه أنَّ وضع القلم على الأذن أقرب تذكراً لموضعه، وأيسر محلاً لتناوله، بخلاف ما إذا وضعه في محلٍّ آخر رُبَّما يتعسر عليه حصوله بسرعة من غير مشقة.

وذكر ابن عساكر - رحمه الله - بسنده أن رسول اللّه ﷺ قال للكاتب: «ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ»(٣). وله روايات - أيضاً - تشيرُ إلى أنّ معاوية بن أبي سُفيان رضي الله عنه كان يضع قلمه على أُذُنه(٤).

«أمَّا في الشعر الجاهلي فقد جاء ذكر القلم كثيراً»(٥)، ومن ذلك قول الزِّبْرِقَان بن بدر:

هم يَهلِكون ويَبْقى بعدُ ما صَنَعُوا ... كَأَنّ آثَارَهَمُ خُطَّت بأقـلام(٦)

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان والآداب، ج٧، ص٤٩٦، رقم٢٨٥٧. وقد حكم عليه العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني بالوضع. (ضعيف سنن الترمذي، ص٣٢٤)، والبغدادي، الكُتّاب وصفة الدواة والقلم، ص ٦٨.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص٤٩٦-٤٩٧.

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٤٠٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٩، ص٦٩-٧٢، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٤، ص٤٠٤- ٤٠٥، وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٣-٤٤.

(٥) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٨٥.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص١٧٩. والزبرقان بن بدر تميمي، سعدي، صحابي، من رؤساء قومه، كان فصيحاً شاعراً، ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره، توفي في سنة ٤٥هـ. انظر: الزِّرِكْلي، الأعلام ،ج٣، ص٤١.

وقول عَدِي بن زيد:

مـــا تبين العـين مـــن آياتـهـا غـير نُؤْيٍ مثل خَطٍّ بالـقَلَم[1]

وقوله - أيضاً - يصف فرسه:

لـــهُ عنقٌ مثل جذع السَّحوق والأُذنُ مُصـعَنَّةٌ كـالـقلم[2]

وقول لبيد:

متَعوِّدٌ لَحن يُعيدُ بكَفِّه قَلَماً على عُسُبٍ ذَبَلْنَ وبَان[3]

وقول المرقش الأكبر الذي مرَّ ذكره:

الـدَّارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظَـهْـر الأديم قَلَم

وقول لبيد الذي مرَّ ذكره أيضاً:

وجلا السيولُ عن الطُّلُول كأنَّها زُبُرٌ تَجِدُّ متونَها أقلامها[4]

وقول أمية بن أبي الصَّلت يمدح بني إياد وقد مرَّ ذكره:

قومٌ لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقَطُّ والقَلَمُ

وقول الشّاعر:

فَأَصْبَحَتْ بعدَ خطٍّ بَهْجَتِهَا كأنَّ قَفْراً رُسومَها قَلَما

أراد: فأصبحت بعدَ بَهْجَتها قَفْراً، كَأَنَّ قَلَماً خَطَّ رُسومَهَا[5].

وقد ورد لفظ «القلم» في النثر الجاهلي في وصف ابنة عوف بن محلِّم الشيباني[6]،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٩٥، ومحمد علي الهاشمي، عدي بن زيد العبادي: الشاعر المبتكر، ص٢٠٨.

(٢) البكري الأونبي، سمط اللآلي، ج٢، ص٨٧٦، وانظر البيت: محمد علي الهاشمي، عدي بن زيد العبادي: الشاعر المبتكر، ص٢١٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٨٠، مادة: «لحن»، وديوان لبيد، ص١٣٨.

(٤) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٤٥٠، مادة: «زبر».

(٥) المصدر السابق، ج١٠، ص٢٣٨، مادة: «خطط».

(٦) هو عوف بن محلِّم بن ذهل بن شيبان، من أشراف العرب في الجاهلية، كان مطاعاً في قومه، قوياً في عصبيته، وكانت تُضْرب له قبة في عكاظ، توفي نحو ٤٥ قبل الهجرة. انظر: الزِّرِكْلي، الأَعْلام، ج٥، ص٩٦.

الذي يُقال فيه: «لا حرّ بوادي عوف»، فقد قالت الواصفة تصف ابنته بأن لها «حاجبان خُطًّا بقلم، أو سُوِّدا بحمم»(١).

وأمَّا في الشعر الإسلامي في فجر الإسلام، فقد أنشد زهير بن الصحابي حصين بن مُشْمِت في الإقطاع الذي أقطعه الرسول ﷺ لأبيه:

إنّ بلادي لم تكن أملاسا بهنَّ خطَّ القَلَمُ الأنقاسا

من النبي حيثُ أعطى الناسا(٢)

وقال عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة (٢٣ هـ - ٩٣ هـ)(٣) في الجمار:

كان يومُ الجمار مما قضى اللّه علينا وخُطَّ بالأقلام(٤)

والجدير بالذكر في ختام مبحث أداة «القلم»، أن أهل الجاهلية وفجر الإسلام قد يضطرون إلى استخدام أدوات حادة للكتابة في حالة انعدام الأقلام وفي الظروف الطارئة، كما حدث ذلك في قصة أبي الطَّمْحَان حَنْظَلة بن الشَّرْقي(٥) مع قَيْسَبَة ابن كلثوم السَّكُوني في الجاهلية، فقد كتبَ الأخير أبياتاً من الشعر يستنجد بها قومه على خَشَبة مُؤخِرة رَحل أبي الطَّمْحَان مستخدماً أداة السِّكين(٦).

وقد كتب رسول هرقل إلى رسول اللّه ﷺ الرجل التَّنوخي، بِسَهْمٍ كان في جُعْبَتِه

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٨، ص١١٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٧٩، وفي أسد الغابة لابن الأثير الجزري عجز البيت الثاني: «فَلَمْ يَدَعْ لبساً ولا التباسا». ج٢، ص ٣٧، وهذه الأبيات أخرجها الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص ٩.

(٣) انظر ترجمته: الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٥، ص ٥٢.

(٤) الفاكهي، أخبار مكة، ج٤، ص ٣٠٤.

(٥) هو أبو الطَّمْحَان القَيْنيّ حنظلة بن الشَّرْقِيّ، شاعر فارس، معمر، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي ﷺ، مات نحو ٣٠هـ. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢٧٤-٢٧٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ٦٠، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٢، ص ٢٨٦.. وفي وفيات الأعيان: «الطَّمَحَان» بفتح الميم.

(٦) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ٧.

على جلد سيفه، الخِصال التي أوصاه هرقل بكتابتها إذا سَمِعها من الرسول ﷺ، أو شاهدها فيه[١].

وهذه الحالات حالات طارئة، والثابت المشهور ممَّا أظهرته لنا الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأبيات الشعر الجاهلي، وشعر فجر الإسلام أنَّ القلم كان معروفاً عند العرب وكانت له «دلالات واضحة ومحددة في أذهانهم» ـ على حد تعبير الدكتور عبد الستار الحلوجي[٢] ـ منذ عصر النبوة وقبل عصر النبوة، إلاّ أنَّه في عصر النبوة وفجر الإسلام اكتسب أهمية أكبر، وَعَلت قيمته، وزادت الحاجة إليه، وانتشر بين الناس لتكريم القرآن الكريم له ولحاجة الدولة الإسلامية الفتيّة إليه.

ومن الأشياء ذات العلاقة المباشرة بالقلم: البَريُ، والقَطُّ، وقد مرَّ معنا قَطُّ أبي حكيمة العبدي لقلمه بتوجيهٍ من عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعنى ذلك أنهم كانوا يستخدمون «المِقطُّ» وهو ما يُقَطُّ عليه القلم، والمَقَطةُ عُظَيْمٌ يكون مع الورَّاقين يَقُطُّون عليه أطراف الأقلام[٣]. وربما استخدموا القطيع في بَرْيِ الأقلام في ذلك العهد؛ ذلك لأن القطيع: «هو القضيب الذي تُبْرى منه السِّهام»[٤]، فاحتمال استخدامه لبري الأقلام ليس ببعيد.

الدواة:

أول آلة الكاتب الدواة والقلم، ولذلك قيل: «للدواة ثلث الخط، وللقلم ثلث

---

(١) حديث الرجل التنوخي أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص ٢٦٠ – ٢٦٢، رقم ١٥٥٩٢. وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٢) انظر: المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص ٣٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٣٨٠، مادة: «قطط»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٣٨٣، مادة: «قطط»، وانظر حول البري والقط: ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص١٣– ١٦، والصولي، أدب الكتاب، ص ١٠٩–١١٠، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٨٥، ٤٩٢. وقال نضال عبد العالي أمين: «المقط: وهو الآلة التي تستخدم في نحت رأس القلم» (أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية، المورد، مج ١٥، ع٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص١٣٣).

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص ٣٨١، مادة: «قطع».

الخط، ولليد ثلث الخط»[١].

والدواة: ما يُكتب منه، وهي معروفة[٢]، وجَمْعُها: دَوَياتٌ ودَوًى مقصور، ودُوِيٌّ ودِوِيٌّ، مثل: قناة، وقَنَيات، وقِناً، وقُنيٌّ وقِنِيّ.. قال الشاعر:

لمن الدار كخط بالدوى　　　أنكر المعروف منها فَانْمَحَى[٣]

وقال:

دَع الأطلال يندُبْها السَّويُّ　　　ويَبْكِ على مغانيها الوَلِيُّ

وتَرْقُشْها السَّواري والسَّوافي　　　كما رَقَشَت مَهَارِقها الدَّوِيُّ[٤]

وقد عرف الجاهليون الدواة وذكروها في أشعارهم، من ذلك قول عبد الله بن عَنَمة[٥] ذاكراً المداد والدواة في وصفه للدَّار ودُرُوسها:

فَلَمْ يَبْق إلاّ دِمنَةٌ ومَنَازِلٌ　　　كَمَا رُدَّ في خَطِّ الدَّواة مِدَادُها[٦]

وقال أبو ذؤيب الهذلي[٧]:

عرفتُ الدِّيارَ كوحي الدوا　　　ة يزبرها الكاتبُ الحِمْيَرِي[٨]

---

(١) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفهما، ص ٤٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٢٧٩، مادة: «دوا».

(٣) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفهما، ص٤٨. وفي أدب الكتاب للصولي: «...وأنشد الفرّاء:

لمن الدارُ كخط بالدوى.. أقفر المعروف منها وانمحى» (ص ٩٥).

(٤) ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص ١٦.

(٥) شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية، وشهد القادسية في الإسلام توفي بعد سنة ١٥هـ. الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٤، ص ١١١.

(٦) الضَّبِّيّ، المفضليات، ص ٧٤٣.

(٧) هو خويلد بن خالد، شاعر جاهليٌّ إسلامي، عده ابن سلام من الطبقة الثالثة من طبقات فحول الشعراء. انظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ١٣١، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٤٧٢.

(٨) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفهما، ص ٥٢.

وفي «شرح القصائد السبع»:

عــــرفتُ الديار كــرقم الدوا ... ة يزبِرهـا الكاتبُ الحميري[1]

وفي «اللسان»:

عــرفتُ الديار كـخـطِّ الدُّويْـ ... ـيِّ حبَّره الكاتبُ الحميري[2]

وفي «التاج»:

عــــرفتُ الديار كـرقم الدوي ... حبَّره الكاتب الحميري[3]

وجاءت في شعر سلامة بن جندل في قوله يصف كاتباً يكتب كتاباً بدواة:

لِمَن طللٌ مثل الكتاب المنمَّقِ ... خلا عَهْده بين الصُّليب فَمُطْرِقِ

أكبَّ عليه كاتبٌ بدواته ... وحادِثُهُ في العَينِ جدَّةُ مُهْرَقِ[4]

بل لقد عُدَّت «الدواة» في الجاهلية رمزاً وإشارة يُمدح بها[5].

واستخدمها الأساقفة في أديرتهم في الجاهلية[6].

«واسم الدواة من الدواء؛ لأنها تُصلح أمر الكاتب»[7].

وذُكِرَت الدواة في شعر أهل صدر الإسلام، فهذا عَديّ بن الرّقاع (ت نحو ٩٥هـ) يقول في الظبية:

---

(١) الأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٥٢٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٢٧٩، مادة: «دوا».

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج١٩، ص ٤٢٠، مادة: «دوى».

(٤) ديوان سلامة بن جندل، ص ١٥٥-١٥٦. وفيه الصُّلَيْب ومُطرق: موضعان. حادثه أي: حادثُ ذلك الرسم كأنه جدَّة كتاب. وحادثه أي: جديده، كأنه تجدد في عينيه.

(٥) جاء ذلك في ثناء النابغة الذبياني المسجوع لعمرو بن الحارث في الجاهلية، حيث قال فيما قال مخاطباً إياه: «.. الذهب عطاؤك، والدواة رمزك..». انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص ١٥٧.

(٦) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص ٢٧٢ حول هذا انظر قصة عمر ابن الخطاب في الجاهلية مع أحد الأساقفة بدير يعرف بدير العدس.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج١٩، ص ٤٢٠، مادة: «دوى».

تُزجـي أَغـنّ كـأنّ إبرةَ رَوْقِـه		قلمٌ أصـابَ مـن الدواة مِـدَادَها[1]

وجاء في تفسير قول المولى عزَّ وجل في كتابه العزيز: ﴿**نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[2] أن النّون المقصود بها الدواة[3].

وقد تكرر ذكر الدواة في الأحاديث النبوية الشريفة، فقد ذُكرت الدواة في الحديث[4] الذي روى نزول الآية القرآنية: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[5] الآية.. فقد قال النبي ﷺ: «ادعوا فُلاناً» ـ وفي رواية: «زيداً» ـ فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف. وذُكرت ـ أيضاً ـ في الحديث الذي ذكر الكتَاب الذي أراد رسول اللّه ﷺ أن يكتبه لأمته في مَرَضه الذي مات فيه[6]، وجاء في نصِّ رواياته قوله ﷺ: «ائتُوني بالكتف والدواة...».

---

(1) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص ٧٠٧؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٤٤٥؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص ٢٠٦؛ ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٢، ص ٣٠٧. وقال العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله في شرح هذا البيت: «.. والضمير في «تُزجي» إلى ظبية ترتعي ومعها شادنها. تزجي: تسوق سوقًا رفيقًا. أغن: في صوته غُنَّة، وهي صوت فيه ترخيم يخرج من خياشيمه، وكذلك صوت صغار الظباء. وإبرة كل شيء مستدير مستطيل: طرفه المحدد. والروق: القرن. وقرون الظباء غُبْر الأوساط سود الأطراف».

(2) سورة القلم، آية: ١.

(3) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص١٠٠-١٠١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٠٠.

(4) هذا الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ج٨، ص٢٦٠، رقم٤٥٩٤، وكتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي ﷺ، ج٩، ص٢٢، رقم ٤٩٩٠، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٤، ص٢٠٩، رقم ١٨٤٦٤، وص٢٣٤، رقم١٨٥٥٥، وص٢٤١، رقم١٨٥٨٥. وقال محقق المسند: «أسانيدها صحيحة»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٣٠٦.

(5) سورة النساء: الآية ٩٥.

(6) هذا الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء=

وجاء ذكر الدواة في الصلح الذي همَّ الرسول ﷺ أنْ يعقده مع اليهود في المدينة، ولم يفعل حيث قيل في الاستعداد لكتابة هذه الصحيفة: «وأَحْضَرُوا الدواةَ والصحيفة...»[1].

وجاء ذكر الدواة في بعض الآثار المروية عن الصحابة وكبار التابعين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فقد رويَ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّهُ قال: «رأيتُ رؤيا وأنا أكتبُ سورة (ص)، قال: فلمّا بلغتُ السجدة رأيتُ الدواة والقلم وكل شيء بحضرتي انقلب ساجداً، قال: فقصصتها على رسول اللّه ﷺ فلم يزل يسجد بها»[2].

وهذا علي رضي الله عنه لـمّا أراد كتابة صدقته ووقفه قال: «عَلَيَّ بدواة وصحيفة»[3]. وهذا الحسن ابنه رضي اللّه عنهما لـمّا أراد الكتابة إلى معاوية بن أبي سفيان - رضي اللّه عنهما - «دعا بدواة ليكتب إليه»[4]. وفسَّر عبد اللّه بن عباس - رضي اللّه عنهما - القراءة الأخرى لقول المولى عزَّ وجل: ﴿**وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ**﴾[5] وهي «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كتاباً»، قال ابن عباس - رضي اللّه عنهما -: «يعني بالكتاب الكاتب، والصحيفة، والدواة، والقلم». وقال أبو العالية:

= يوصي فيه، ج٣، ص١٢٥٩، رقم١٦٣٧، وأخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص٤١٥-٤١٦، رقم ٣٣٣٦، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٤٢-٢٤٤، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢٢، ص٢٣٦، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص٥٩، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٢٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٠، ص٢٦٧، وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٨٥.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبقة الرابعة، ج٢، ص٥٥٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص٢٦٦، رقم١١٧٣٨، وص٢٤٥، رقم ١١٦٨٠. وقال محقق المسند: «إسنادهما صحيح».

(٣) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٥٦٨.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص١٦٦-١٦٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

«توجد الدواة ولا توجد الصحيفة»(١).

وهذا عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت تلازمه الدواة لكتابة علم ابن عباس(٢)، وهذا أبو أسامة زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، رُويَ عن ابنه عبد الله لَـمَّا أراد أن يكتب وصيته «أخذ قرطاساً ودواة»(٣)، ولما أراد مروان بن الحكم أن يكتب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: «دواةً وقرطاساً»(٤) ثم كتب إلى معاوية بما شاء، وروى الطبري ـ رحمه الله ـ في أحداث سنة ٤٣هـ أنه لما أراد المستورد بن عُلَّفة أن يكتب إلى أمير المؤمنين «دعا برَقٍّ ودواة» ثم أمر كاتبه عبد اللّه بن عقبة الغنوي بكتابة الرسالة(٥).

فكل هذه الشواهد والإشارات التاريخية تؤكد معرفة العرب في الجاهلية وفجر الإسلام للدواة، واستخدامهم لها في شؤونهم الكتابية.

ورغم أنّ الباحث لم يعثر فيما مرَّ بين يديه من المصادر الحديثية والتاريخية، على ماهية المادة التي تصنع منها الدواة في الجاهلية وفجر الإسلام، إلاّ أن بعض المعاصرين نصَّ على أنّ «الدُّوي في الجاهلية وصدر الإسلام كانت تصنع من الخشب أو المعدن (كالنحاس، والحديد)، أو من الفخار، وقد تصنع من الزجاج»(٦)، وقد تصنع من العاج.

والباحث لا يستبعد هذا الأمر، وخصوصاً أنّ هذه الخامات كانت تستخدم في صناعة عدد من المنتجات والمصنوعات الأخرى في تلك الفترة، ويشهد لذلك

(١) الطبري، تفسير الطبري، ج٦، ص٩٥.

(٢) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص١٠٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ج٢١، ص١٢٧.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٨٣.

(٦) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٩٣. وانظر: عبد العزيز الدالي، الخطاطة: الكتابة العربية، ص١١٩.

الكثير من الشواهد التاريخية(١).

ومن الأشياء ذات الصلة بالدواة: المداد.

المداد:

المداد في الأصل: كل شيء يُمَدُّ به، ثم كثر الاستعمال لما تُمد به الدواة، فَغَلَب كل شيء غيره، فإذا قيل: «مداد» لم يعرف شيء غيره(٢). «ويقال: هو المداد، وهي المداد، لأنه جمع مِدَادَة، وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلاّ الهاء فإنه يُذَكَّر

(١) منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء حول «النحاس» انظر: الصنعاني، المصنف، باب الوضوء في النحاس، ج١، ص ٥٨-٥٩، وفيه خبر وضوء عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين في أواني النحاس.

وبالنسبة إلى الفخار انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٧٣، وفيه ما رواه أبو رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ عن نفسه ـ قبل ظهور إسلامه رضي الله عنه ـ من أنّه كان يعمل الأقداح ينحتها في حُجْرة زمزم.

وبالنسبة إلى الزجاج انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٨٥، وفيه أنّ المقوقس ـ عظيم مصر ـ أهدى إلى رسول الله ﷺ قدح زجاج كان يشرب فيه، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠٠، وفيه ذكرٌ لقوارير العطور.

وبالنسبة إلى العاج انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٨٤، وفيه أنّه: «كان لرسول الله ﷺ مشط عاج يتمشط به»، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٤٧٨. وفيه أنَّ: «زيد بن السائب قال: رأيت أمّ سعد إمرأة زيد بن ثابت بن الضحاك [وابنه الصحابي الشهير سعد بن الربيع رضي الله عنه] أم خارجة بن زيد في يدها مسكتا عاج، وعليها خاتم من عاج»؛ الصنعاني، المصنف، كتاب الطهارة، باب عظام الفيل، ج١، ص٦٨، وفيه أن ابن سيرين «كان لا يرى بالتجارة بالعاج بأساً».

وبالنسبة إلى الخشب وغيره انظر: الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص٩٦. حيث قال: «... وقد ثبت أنّه ﷺ توضأ في المخضب، وهو ما يُغسل فيه الثياب من الخشب أو الحجارة، وفي القدح، وفي أواني الخشب والحجارة، وفي تور شبه الطست، إناء من صفر، وفي آنية النحاس، وفي قدح من زجاج. وقد ترجم لكل ذلك البخاري في كتاب الوضوء».

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ص١٠٠ (بتصرف).

ويُؤنّث، مثل: غمامة وغمام، وحمامة وحمام، وشجرة وشجر، وتمرة وتمر»[١].

وقد ذُكرَ المداد في القرآن الكريم في قول المولى عزَّ وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[٢].

قال المفسرون: «... والمداد: ما يمد به الدواة من الحبر، وما يمد به السِّراج من السَّليط»[٣].

وقد مرَّ آنفاً ذِكْر المداد في الشعر الجاهلي، وذُكر المداد في الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم ـ.

فقد روي عن الرسول ﷺ قوله: «يُؤْتَى بمدادِ طالبِ العِلْمِ، ودمِ الشَّهيد يوم القيامة، فيوضع أحدهما في كفة الميزان والأخرى في الكفة الأخرى، فلا يرجح أحدهما على الآخر».

وفي قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع آلاف القُرَّاء الذين فارقوه بعد أَنْ كاتب معاوية، وحَكَّم الحكمين ذِكرٌ للمداد؛ فلَمَّا بَلَغَهُ ما عَتَبَ عليه النّاس في ذلك، وفارقوه عليه، أمرَ مُؤَذِّناً فأذنَ أَنْ لا يَدْخُلَنَّ على أمير المؤمنين إلاَّ رجلٌ قد حملَ القرآن، «فَلمّا امتلأت الدَّار من قُرَّاء الناس، دعا بِمُصْحَفٍ إِمام عظيم، فوضعه عليٌّ بين يديه، فطفق يَصُكّه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس. فناداه الناس: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مدادٌ في وَرَق...»[٤]، وفي قصة إعراب أبي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي للمصحف إشارة قوية إلى تطور صناعة المداد وتنوعه

---

(١) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة، ص٤٩، وابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص١٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص٢٣٣، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢١، ص١٧٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص٤٥٢ - ٤٥٤، رقم ٦٥٦، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٣٦٧-٣٦٨، رقم ٤٧٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٧، ص١٠٢-١٠٣.

في نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري؛ ذلك أَنَّ أبا الأسود لما أراد إعراب القرآن قال لزياد بن عبيد: «ابعث إلي ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل بخيارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس، فقال: خُذْ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحتُ شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقط إلى جانب الحرف، فإذا كسرتُها فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئًا من هذه الحركات نقطة فانقط نقطتين، فابتدأ المصحف حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه»(١).

وسُمِّيَ المداد في فجر الإسلام: النِّقس، والحِبْر «والنَّقس بالكسر والفتح، والجمع أنقاس ونقوس، والكسر أفصح وأعرف»(٢).

وجاء ذكر النِّقس في شعر فجر الإسلام فيما أنشده زهير بن الصحابي حصين بن مُشمت في نص الاقطاع المكتوب الذي كتبه الرسول ﷺ لأبيه، وقد مَرَّ ذكره.

وجاء ذكره في شعر حميد بن ثور (شاعر مخضرم)(٣) يذكر خط ذي الحاجات:

لمن الديار بجانب الحُبسِ ... كَمَخَطِّ ذي الحاجاتِ بالنِّقْسِ(٤)

أما **الحبر**، فيقال له: «اللون، يقال: إن فلانًا لناصعُ الحبر، يراد به اللون الناصع الصَّافي من كل لون، قال ابن أحمر:

سَبَتْهُ بفاحمٍ جَعْدٍ ... وأَبْيضَ ناصعِ الحِبْرِ

يُريد: سوادَ شعرها وبياضَ لونها. وقال الأصمعي: إنما سُمِّي حبرًا لتأثيره،

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص١٩٢-١٩٣، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص١٥٥.

(٢) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة، ص٤٩.

(٣) عاش في الجاهلية، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام.

(٤) ديوان حميد بن ثور، ص٩٧. وفي حاشية الصفحة قول المحقق: «الحُبْس - بكسر أوله وقد يُضم، وسكون ثانيه - موضع في ديار غطفان. والمَخَط - بفتح الميم -: مصدر ميمي بمعنى الخط، وهو الكتب بالقلم. والنِّقس - بالكسر -: المداد الذي يكتب به».

يقال: على أسنانه حبرٌ، إذا كثرتْ صفرتها حتى تضرب إلى السواد: وقال أبو العباس: وأنا أحْسَبُ أنه سمِّي بذلك لأن الكتب تُحبر به، أي تحسن»[1].. ولذلك قال الصولي في «أدب الكُتَّاب»: «... وإنما سُمِّي الحِبْر حبْرًا لتحسينه الخط، من قولهم حَبَّرْتُ الشيء تحبيراً وحَبَّرْتُه حِبْرًا زَيَّنْتُهُ وحَسَّنْتُهُ»[2].

وقد نقل صاحب «الجاسوس على القاموس» عن الفراء في كعب الحبر؛ وهو كعب بن ماتع الحميري كان يهوديًا وأدرك زمن النبي ﷺ: «إنما قيل له كعب الحبر؛ لمكان هذا الحبر الذي يكتب به لأنه كان صاحب كتب»[3]، ويعاضد هذا قول الطبري - رحمه الله - في شرحه لقول شهْر بن حَوْشب في عكرمة مولى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: «إن مولى هذا كان حبر هذه الأمة»، قال أبو جعفر: «فإنه يعني بقوله حبر هذه الأمة عالمها، ومنه قيل لكعب الأحبار: كعب الأحبار، والأحبار جمع حبر، وإنما قيل للعالم حبرٌ نسبة له إلى الحبر الذي يُكْتَب به، يُراد بذلك وصفه بأنه صاحب كتب، وذلك أنها تكتب بالحبر، فكثر وصفهم إياه بذلك حتى قيل للمبرِّز في العلم: حبر»[4].. وعلاوة على ما في هذا الخبر من إشارة إلى انتشار استخدام الحبر في زمن الصحابة، فإنه يسفر عن وجود تأثير لأهل الكتاب في صناعة الكتاب والكتابة في الجاهلية وفجر الإسلام.

وقد كان «الحبر المستعمل في رسائل النبي ﷺ مكون من نبات العُلَّيْق الأسود[5]،

---

(١) ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص٢٠-٢١ (بتصرف).

(٢) الصولي، أدب الكُتّاب، ص١٠٢.

(٣) الشِّدْياق، الجاسوس على القاموس، ص٥٠١.

(٤) الطبري، تهذيب الآثار، ج١، ص١٨٥، وفي «الصحاح» للجوهري: «وإنما قيل كعبُ الحبْر لمكان هذا الحبر الذي يُكْتب به.. وذلك أنَّه كان صاحب كتب». انظر: الجوهري، الصحاح، ج٢، ص ٦٢٠. وانظر: ابن كمال باشا، التنبيه على غلط الجاهل والنّبيه، ص ٧٨.

(٥) لم يذكر هذا ابن منظور في لسانه، والزبيدي في تاجه، وجاء فيهما: - على فروق طفيفة بينهما - وانظر من التاج: «العُلَّيق كَقُبَّيط، وربما قالوا العُلَّيْقى مثل قُبَيْطى: نبتٌ يتعلق بالشجر، يقال له بالفارسية سَرَنْد، كما قال الجوهري، وقال أبو حنيفة: يُسمى دركة. قال: وهو من شجر الشوك لا=

أو من مادة الكاربون الناتجة من الدخان المتراكم في المطابخ التي تعمل بالخشب وفضلات الحيوانات المجففة، والذي يطلق عليه: «السُّخَام» حيث تجمع هذه المادة وتخلط في الماء بمادة لزجة من أجل جمعها وزيادة كثافتها وتماسكها»[١].

قال ابن منظور رحمه الله: «السُّخَام بالضم: سواد القدر، والسُّخَام: الفحم»[٢]، أما المادة اللزجة فهي الصمغ أو الغراء، وقد عرف الصَّمْغ في ذلك العهد، واستخدم في صناعة الكتابة والكِتَاب، ويظهر ذلك في الآثار المروية عن الصحابة، فقد وصف أبو زيد عمرو بن سلمة الجرمي رضي الله عنه قوة وسرعة حفظه للقرآن الكريم قبيل فتح مكة قائلاً: «فجعلت لا أسمع شيئًا من ذلك [أي: آيات القرآن الكريم] إلا حفظته، كأنما يُغْرَى في صدري بغراء»[٣].

وأخبر سهل مولى عتيبة أنه كان نصرانيًا من أهل مَرِيس، وأنه كان يتيمًا في حجر أمه وعمه، وأنه كان يقرأ الإنجيل. قال: فأخذت مصحفًا لعَمِّي فقرأته حتى مرَّت بي ورقة فأنْكَرتُ كتابتها حين مَرَّت بي ومَسَسَتُها بيدي، قال: فَنَظَرت فإذا فصول[٤] الورقة ملصق بغراء، قال: ففتقتها فوجدتُ منها نعت محمد ﷺ...» ثم ذكر وصفه ﷺ[٥].

وأغلب الظن أنهم كانوا يستخرجون الصَّمْغ من الأشجار؛ لأنه «شيء يَنْضَحُهُ

= يَعْظُم، وإذا نشب فيه الشيء لم يكد يتخلَّص، من كثرة شوكه، وشوكه حُجْنٌ شدادٌ، له ثمر شبيه الفِرْصَاد، وأكثر منابتها الغياض والأشُبُ. وقال غيره: مضغه يشدُّ اللِّثة، ويُبريءُ القُلاع، وضماده يُبريء بياضَ العين ونُتُوَّها والبواسير، وأصله يُفَتتُ الحصى في الكُلية» ج١٣، ص٣٤٨، مادة: علق. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٦٥، مادة: علق.

(١) محمود شيت خطّاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص٢٧٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٨٣، مادة: سخم. وانظر: الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٤٨، مادة: سخم، والزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٣٣٧، مادة: سخم.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٣٦، وج٧، ص ٨٩.

(٤) في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر «أصول الورقة»، ج٣، ص٣٩٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٦٣، وابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧.

الشجر ويسيل منها»(١)، ولذلك قيل: «حبرٌ مُصَمَّغ أيْ مُتَّخذ منه»(٢)، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في اليتيم إذا كان مجدوراً «كأنه صمغة»(٣)، يريد حين يَبْيَضُّ الجدريُّ على بدنه فيصير كالصَّمْغ، ومنه حديث الحجاج: لأقْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْغَة، أي: لأَسْتَأْصِلَنَّكَ، والصَّمْغ إذا قلعَ انقلع كله من الشجرة ولم يبق له أثرٌ، وربما أخذ معه بعض لحائها»(٤).

ومما يُظهر جودة الحبر المستخدم في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة، واتقان صناعته في ذلك العهد ما أشار إليه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في وصفه لأحد المصاحف العثمانية (نسبة للجمع الذي تم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه) التي بقيت إلى عهده رحمه الله حيث قال ما نصه: «... وقد رأيته [أي مصحف عثمان] كتاباً عزيزاً جليلاً عظيمًا ضخمًا بخطٍّ حَسَن مُبينٍ قَويٍّ بحبرٍ مُحْكَمٍ...»(٥).. ففي بقاء هذا الحبر في هذا المصحف هذه المدة الزمنية الطويلة التي قاربت السبعة قرون بهذه الدرجة من الوضوح والصفاء لأكبر دليل على تطور صناعة الحبر في العهد الراشدي، ولا يعتقد بأن إحكام صنعة هذا الحبر كونه مستخدمًا لكتابة المصحف الإمام فكان الإحكام على قدر المقام، بل إن هذا الإحكام كان ماثلاً في عدد من الوثائق المكتوبة في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة، حيث نجد أن عدداً من الوثائق قد قاومت عوامل الزمن وبقيت على درجة عالية من الوضوح تمكن القارئ من فهم نصوصها، لمدة بلغت عشرات وعشرات السنين بتفاوت زمني بينها، ومن أمثلة هذه الوثائق وصية السيدة فاطمة بنت نبينا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٤٤١، مادة: صمغ.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٣٢٣، مادة: صمغ، وابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٤٤١، مادة: صمغ.

(٣) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٥٣، مادة: صمغ.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص٥٣. مادة: صمغ.

(٥) ابن كثير، فضائل القرآن، ص٨٩.

محمد ﷺ التي أمر بِنَسْخِهَا الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز في أثناء مدة خلافته (٩٩هـ-١٠١هـ)[١]، ومنها وثيقة الأمان التي كتبها ﷺ لمالك بن الأحمر، فقد بقيت حتى كاد أن يتماح ما فيها فكانت عند أبي أيوب بن محرز حتى قرأها الوليد بن مسلم[٢]، ومنها وثيقة الأمان التي كتبها رسول الله ﷺ للصحابي رزين بن أنس السلمي، وبقيت يتوارثها الأبناء عن الآباء حتى كانت عند نائل بن مطرف بن عبد الرحمن بن رزين بن أنس السلمي[٣] فكان يقول: «فما قاضينا به إلى أحد من قضاة المدينة إلا قضوا لنا به»[٤]، ومنها وثيقة الأمان التي كتبها الرسول ﷺ لبني زهير بن أُقَيْش، وبقيت على حالها حتى استطاع قراءتها أبو العلاء يزيد بن عبدالله بن الشِّخِّير (ت ١١١هـ) أخو مُطرِّف بن عبدالله[٥]، وكما توارث أبناء رزين بن أنس السلمي رضي الله عنه كتاب أمانه، كذلك توارث أبناء بُدَيْل بن وَرْقَاء رضي الله عنه كتاب أمانه الذي أعطاه إياه الرسول ﷺ[٦]، وممن رآه واطلع عليه أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعي (٣٣هـ- ١٢٧هـ)[٧].

---

(١) خبر هذه الوصية أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص٢١٩، رقم ٢٦٣٠١. وحول مدة خلافة عمر بن عبد العزيز انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٥٠.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٦، ص٤١١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٢٣. وقد أخرج نص هذا الأمان الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب منه فيما كتب بالأمان لمن فعله، ج١، ص٢٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٨٤.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١٣، ص١٢٩-١٣٠، رقم ٧١٧٨، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص٣٩٧، رقم ٣٤١.

(٥) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٦٢-١٦٤، والأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٦) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص٩٨-٩٩.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٤٢٤. وتاريخ الولادة والوفاة هذا حسب ترجيح الزركلي، ج٥، ص٨١. وهناك روايات مختلفة قريبة من هذا التاريخ ذكرها الحافظ ابن حجر،=

وبقيت وثيقة أمان أعطاها رسول الله ﷺ لرجل من أهل البادية إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ)[١]. وقد مر آنفًا خبر وثيقة الأمان التي كتبها رسول الله ﷺ لسراقة بن مالك في أثناء هجرته.

وذكر أبو عمر ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ خبر الكتاب الذي كتبه ﷺ للوليد بن جابر بن ظالم الطائي البحتري فقال ما نصه: «وَفَد على النبي ﷺ، وكتب له كِتَاباً، فهو عندهم»[٢]، وفي قول أبي عمر «فهو عندهم» إشارة إلى وجود الكتاب في زمنه رحمه الله بين أيدي ذرية الوليد بن جابر، ويروى أن عمر بن عبدالعزيز في عهد خلافته (٩٩هـ - ١٠١هـ) نظر في كتاب إقطاع الرسول ﷺ لبلال بن الحارث المزني، وقَبَّله، ومسح به عينيه[٣].

إن بقاء هذه الآثار النبوية والصحابية المخطوطة وغيرها كل هذه الأحقاب الزمنية يدل دِلالةً واضحة على إحكام صناعة الكتابة والكِتَاب في العهد النبوي والراشدي بصفة عامة، وإحكام صناعة الحبر كمادة أساسية من مواد الكتابة بصفة خاصة.

المَحْو:

وهو من متعلقات الحبر.. قال ابن فارس رحمه الله: «الميم والحاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الذهاب بالشيء»[٤]، ولذلك قال الصولي رحمه الله: «والمحو في اللغة تعفيته الأثر حتى لا يرى»[٥]، وقيل: «المحو لكل شيء يذهب أثره»[٦].

= تهذيب التهذيب، ج٤، ص٣٤٠ - ٣٤٢. وعمرو بن عبد الله هذا من أعلام التابعين الثقات، كان شيخ الكوفة في عصره، وأدرك علياً ورآه يخطب.

(١) خبر هذه الوثيقة أخرجه أحمد في مسنده، ج٢، ص١٨٤، رقم١٤٠٤. وانظر حول وفاة الحجّاج: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٦٨.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢٦، ص٤٨٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١١، ص٣٢٦.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٣٠٢، مادة: محو.

(٥) الصولي، أدب الكتّاب، ص١٢٩.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٧١، مادة: محا.

وفي القرآن الكريم قول المولى عز وجل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

ويرى الباحث أن مما ساعد على الاهتمام بعملية المحو في صناعة الكتابة في ذلك العهد، إضافة إلى وجود الرغبة في الاستغلال الأمثل لامكانيات المواد المتاحة للكتابة، هو وجود رأيين يتبناهما فريقان من الصحابة وكبار التابعين نحو تقييد العلم وكتابته: رأي المؤيدين، ورأي المعارَضين لأسباب وعلل معينة ليس هنا مجال الحديث عنها؛ مما ساعد على نشوء رَأْيٍ وَسَطٍ بين الرأيين وهو الكتابة والتقييد للحفظ ثم المحو، وهذا ما نراه ماثلاً في حوار مسروق بن الأجدع (ت٦٢هـ) مع علقمة بن قيس النخعي (ت٦١هـ)، حيث قال الأول للثاني: «اكتب لي النظاير»، قال: «أمَّا علمت أنَّ الكتاب يُكْره؟»، قال: «إنما انظر فيه ثم امحوه»[2].. وهذا ما يعرف بعملية التطريس أو التطليس مأخوذتين من الطرس[3] والطلس[4]، وكلا العمليتين هدفهما المحو.

ولذلك «كان النخعي [علقمة بن قيس (ت ٦١هـ)] يأتي عبيدة [ابن عمرو السلماني (ت٧٢هـ)] في المسائل، فيقول عبيدة: طَرِّسْها يا إبراهيم طَرِّسْها.. أي: امحها، يعني الصحيفة»[5] فكانت تلكما العمليتان عاملاً هاماً في إحكام عملية

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٥٨-٥٩، وابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص٢١٦، رقم ٢٤٢، وفيه قول عَلْقمة معلقاً على هذه الطريقة في الحفظ: «لا بأس».

(٣) الطِّرْس: الصحيفة، ويقال هي التي مُحيت ثم كُتبت، أي هو الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد عليه الكتابة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ١٢١، مادة: «طرس».

(٤) الطِّلْس: لغة في الطِّرس إلا أنه كتاب مُحيَ ولم يُنْعَم مَحْوُه فيصير طلْساً. فإذا مَحَوْت الكتاب لتفسر خطه قلتَ: طَلَسْتُ، فإذا أنْعمتَ محوه. قلت: طَرَسْتُ.. والاسم: الطُّلْسة، وإنما أخذ من الطيلساء وهي لون الليل. انظر: ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص٢٥، وابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٢٤، مادة: «طَلَسَ».

(٥) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١١٩، مادة: «طرس».

المحو في صناعة الكِتَابة والكِتَاب وتنوع طرقها في ذلك العهد، ومن هذه الطرق:

الغسل (أو المحو بالماء): وهي أكثر الطرق انتشاراً في ذلك العهد، فيما يعتقده الباحث؛ وذلك لأمرين اثنين: أولهما إمكانية استخدامها مع المادة الأكثر انتشاراً في الكتابة في ذلك الوقت وهي مادة الأديم[١]، وثانيهما سهولة هذه الطريقة. ويؤكد انتشار هذه الطريقة ما جاء في الحديث القدسي[٢] من قول المولى عز وجل في وصف القرآن الكريم مخاطبًا سيدنا محمد ﷺ: «... وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسله الماء...» الحديث، قال النووي: «فمعناه: مَحْفُوظٌ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مرّ الأزمان»[٣]. وقال الوشتاني الأُبّي والسنُوسي الحَسَني: «كناية عن كونه محفوظًا في الصدر لا يتطرق إليه الذهاب...»[٤]. قال الباحث: وفي هذه الكناية إشارة إلى اشتهار هذه الطريقة في المحو في الجاهلية وفجر الإسلام، وإلا لما كَنَّى المولى عز وجل بها. ويعاضد هذا مجموعة من الأخبار والآثار.

فمن ذلك ما قام به سفهاء وجهلاء بنو حارثة بن عمرو بن قريط من غسل كتاب النبي ﷺ الذي دعاهم فيه إلى الإسلام؛ لمحوه والاستفادة منه لرقع دلوهم عنوانًا لعصيانه ﷺ[٥]، حتى أنكرت فعلتهم هذه أم حبيب بنت عامر فأنشدت:

إِذَا مَـا أَتَتْـهـم آيةٌ من مـحـمَّـدٍ مَحَوْهَا بماء البئر فهو عصير[٦]

ومن ذلك أن طريقة الغسل بالماء هذه كانت مستخدمة من قبل تلاميذ كتاتيب عهد الخلفاء الراشدين الأربعة، فعن سعيد بن هارون عن أنس بن مالك، قال: «إذا

(١) سيأتي الحديث عنها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج١٧، ص ١٩٥، رقم ٧١٣٦.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٧، ص١٩٥.

(٤) إكمال إكمال المُعَلِّم، ج٩، ص٣٠٩.

(٥) انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٧٣.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص٣٨٤.

مَحَتْ صِبْيَةُ الكُتَّاب ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١) من ألواحهم بأرجلهم نبذ المعلِّم إسلامه خلف ظهره، ثم لم يُبالِ حين يلقى الله على ما يلقاه عليه. قيل لأنسٍ: كيف كان المؤدبون على عهد الأئمَّة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم -؟ قال أنس: كان المؤدِّب له إجَّانةٌ. وكل صبيٍّ يأتي كُلَّ يوم بنوبته ماءً طاهرًا، فيصبُّونه فيها، فيمحون به ألواحهم. قال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فيها فينشف. قلتُ [أي: سعيد بن هارون] أفترى أن يُلعَط(٢)؟ قال: لا بأس به، ولا يُمْسَح بالرِّجل، ويمسح بالمنْديل وما أشبهه. قلت: فما ترى فيما يكتب الصبيان في الكتاب من المسائل؟ قال: أما ما كان من ذكر الله فلا يمحوه برجله، ولا بأس أن يُمْحَى غير ذلك مما ليس من القرآن»(٣).

ولعل هذا الخبر يسوق لنا طريقة أخرى من طرق المحو وهي اللَّطْعُ باللسان، ولذلك قيل في الخط «الطعه أي: امحه»(٤) والأصل فيه اللحس باللسان.

وَحَدَثَ أن ضَرَبَ عمر بن الخطاب رجلاً قام بنسخ كتاب دانيال، ثم قال له: «انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض...»(٥) وهنا تظهر مادة أخرى كانت تستخدم في عملية المحو وهي الصوف، والحميم هنا: الماء الحار(٦).

ورُوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضًا - أنه نادى فقال: «يا يَرفا، هَلُمَّ ذلك الكِتَاب، لكِتَابٍ كتبه في شأن العمة، فنسأل عنها ونستخبر فيها، فأتاه به يرفا.

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٠، وسورة الحاقّة: الآية ٤٣.

(٢) قال محقق كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون: «كذا في الأصل، ولعله: يلطع» أي: يلحس.

(٣) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٨٦- ٨٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣١٩، مادة: لطع.

(٥) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٥١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٦٧.

(٦) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، ص ٥٨٤، وابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٥٣، مادة: حمم.

فدعا بِتَوْرٍ أو قدح فيه ماءٌ، فمحا ذلك الكتاب فيه...»[1] ومحا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً ما كتبه في كتف بشأن الجد[2]، ورُوِيَ عنه - أيضًا - أنه بصق في كتاب إقطاع ومحاه، وكان هذا الكتاب قد كتبه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأقرع بن حابس وعيينة ابن حصن [3]. وهناك طريقة للمحو باستخدام الماء ذكرها اليعقوبي في «تاريخه» في قصة جمع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمصاحف، ولم يجدها الباحث في المصادر الأخرى حيث قال: «وجمع عثمان القرآن وألفه... وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت، ثم سَلَقَها بالماء الحار والخل...»[4].

وذُكرت عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدة روايات تتعلق بهذا الموضوع، فعن حصين بن عبد الرحمن، عن مرة قال: بينما نحن عند عبد الله إذا جاء ابن مُرَّة بكتاب، فقال: «وجدتُه بالشام، فأعجبني فجئتُك به» قال: فنظر فيه عبد الله، ثم قال: «إنما هلك من كان قبلكم باتِّباعِهم الكتب، وتَرْكِهم كتابهم» قال: ثم دعا بطست فيه ماء، فماثه ثم محاه[5]، وفي رواية: «مرسه فيه»[6].. والمَثُّ: المسح[7]، وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه، قال: أصبتُ أنا وعلقمة صحيفة، فانطلقنا بها إلى عبد الله، فجلسنا بالباب، وقد زالت الشمس أو كادت تزول، فاستيقظ، فأرسل الجارية... فدخلنا... قلنا: «هذه الصحيفة فيها حديث

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الفرائض، باب ما جاء في العَمَّة، ج٢، ص٥١٦، رقم٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٤٠-٣٤١، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وولدهما، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٣) الصولي، أدب الكتّاب، ص٢٢٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص١٩٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٦٤٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٠.

(٥) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٥٣.

(٦) أخرجه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص١٢٤.

(٧) انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث الأثر، ج٤، ص٢٩٤، مادة: مثث، وابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٨٩، مادة: مثث.

عجيب، فقال: هاتها يا جارية! هاتي الطست، اسكبي فيها الماء، فجعل يمحوها بيده...»[١].. وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه - أيضًا - قال: جاء رجل من أهل الشام إلى عبد الله بن مسعود ومعه صحيفة فيها كلام من كلام أبي الدرداء وقصص من قصصه، فقال: «يا أبا عبد الرحمن، ألا تنظر ما في هذه الصحيفة من كلام أخيك أبي الدرداء؟» فأخذ الصحيفة، فجعل يقرأ فيها وينظر إليها، حتى أتى منزله، فقال: «يا جارية، ائتيني بالإجانة مملوءة ماء» فجاءت بها، فجعل يُدلِّكها ويقول: ﴿**الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٢] والدّلْك: المَرْسُ والعرْك[٣].

وروى مجالد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نسمع الشيْء، فنكتبه، ففطن لنا عبد الله، فدعا أمَّ ولده، ودعا بالكتاب وبإجانة من ماء فغسله»[٤].

وذُكر عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما رواه عنه ابنه أبي بردة، قال: كتبتُ عن أبي كتاباً فقال: لولا أن فيه كتاب الله لأحرقته، ثم دعا بمركن أو بإجانة فغسلها ثم قال: عِ عَنِّي ما سمعت مني، ولا تكتب عني؛ فإني لم أكتب عن رسول الله ﷺ كتاباً كدتَ أن تُهلك أباك[٥]. وفي رواية «فدعا بكتبي فمحاها بالماء»[٦].

والجدير بالذكر أن هذه الروايات تُشعر - علاوة على ما ذُكر - بنشاط حركة التدوين العلمي بين الصحابة وكبار التابعين في ذلك العهد.

(١) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٥٣-٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥٤. والآية رقم: ١، ٢ من سورة يوسف.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٤٢٦، مادة: دلك.

(٤) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٣٩.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص١٥١، وابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص ٢١٤، رقم ٢٣٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص٧٣، وفيه روايات مقررة لهذا الخبر.

ومن طرق المحو طريقة **الحك**:

ومن شواهد هذه الطريقة ما روي من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَرَّ بغلام وهو يقرأ في المصحف ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ «وهو أبٌ لهم» فقال: يا غلام، حُكَّهَا...[1].

ورُوي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان «يحك المعوذتين من مصاحفه»[2]، وكان يَحكُّ التعْشير من المصحف أيضاً[3]. ورُوي في حادثة مَقْتَل عثمان بن عفان رضي الله عنه ما نصه: «دخل التَّجيبي فأشعره [أي: أشعر عثمان] مشقصاً فانتضح الدم على قوله: ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ** ﴾، قال الراوي: «فإنها في المصحف ما حُكَّت»[4].

وهناك طريقة أخرى ثالثة وهي **الحرق**:

كما جاء في أكثر الروايات في قصة جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للمصحف، ولذلك قال محمد طاهر الكردي: «أكثر الروايات على الإحراق، وبعضها على المحو، فيمكن الجمع بينهما بأن نقول كان الإحراق فيما كتب على نحو الجلود والعظام، وكان المحو فيما كُتب على نحو الألواح والحجارة، والمحو قد يكون بالغسل وقد يكون بالطمس»[5].

ومن المعالجات ذات الصلة بالحبر في صناعة الكتابة والكِتَاب: **التَّتريب**:

وهو إلقاء التراب أو نثره على الكتاب[6]. قال القلقشندي رحمه الله: «لا نزاع

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٥، ص٤٤١، رقم ٢١٠٨٧، وأخرج نحوه - أيضاً - ج١٥، ص٤٤١-٤٤٢، رقم ٢١٠٨٨. وقال المحقق: «إسنادهما صحيح»، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص٢٢١.

(٣) أبو عبيد الهروي، فضائل القرآن، ص ٣٩٤.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص ٦٧١.

(٥) محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسْمه وحُكمه، ص٣٧.

(٦) ابن قتيبة، رسالة في الخط والقلم، ص٢٦، وابن درستويه، كِتَاب الكُتَّاب، ص١٥٦.. وفي النهاية في غريب الحديث والأثر: «يُقال أتربتُ الشيء إذا جعلت عليه التراب». انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص١٨٥، مادة: ترب. وانظر: الصولي، أدب الكُتَّاب، ص١٢٩.

في أن تتريب الكتاب بعد الفراغ منه بإلقاء الرَّمل ونحوه عليه مطلوب»[١]. ثم ذكر أن هناك مَعْنَيين لهذا الفعل: الأول التبرك طلبًا لنُجْح القصد، والثاني التجفيف لما كتبه بطرح التراب عليه كي لا ينمحي بما يصيبه قبل الجفاف.. وللمعنى الثاني قال أحد المعاصرين: «كان الحبر القديم بطيء الجفاف، لذلك كان الكاتب يستعمل رملاً خاصًا دقيق الذرَّات ناعم الملمس، لتجفيف الحبر بعد إنجاز الكتابة»[٢].. ومَالَ القلقشندي إلى المعنى الأول؛ إذْ قال: «وهذا المعنى [أي الثاني] أضعف من الأول».

وقد جاء ذكر عملية «التتريب» في الحديث، فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كتب أحدكم كتابًا فَلْيُتَرِبْهُ، فإنه أنجحُ للحاجة»[٣] قال الترمذي: هذا حديث منكر لا نعرفه عن أبي الزبير إلا من هذا الوجه، وحمزة هو ابن عمرو النصيبي، وهو ضعيف الحديث. قال المباركفوري - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث، بعد أن ذكر مَقْصَدَيْ التبرك والتجفيف اللذين ذكرهما القلقشندي آنفًا: «قلتُ: قول من قال إن المراد بتتريب الكتاب ذر التراب عليه للتجفيف هو المعتمد»[٤]، وهو يخالف بذلك رأي القلقشندي السابق.

وعن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: «تَرِّبوا صُحُفَكم أنجحُ لها. إن التُّرابَ مبارك»[٥]. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كتب أحدكم إلى

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٢٦٠.

(٢) محمود شيت خطّاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص٢٧٥.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإستئذان والآداب، باب ما جاء في تتريب الكِتَاب، ج٧، ص٤٥٧-٤٥٨، رقم ٢٧١٣. وقد ضعَّفهُ العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ص ٣٢٤.

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب تتريب الكِتَاب، ج٢، ص١٢٤٠، رقم ٣٧٧٤، وقد ضَعَّفَه العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ص ٣٠٥.

إنسان فليبدأ بنفسه، وإذا كتب فَلْيُترِّب كتابه فهو أنجح »[1]، وأخرج ابن عساكر بسنده روايات متعددة لهذا الحديث.. قال ﷺ: « تربوا الكتاب، وسجُّوه من أسفله؛ فإنه أنجح للحاجة »[2]، وفي رواية: « إذا كتبت كتابًا فَتَرِّبه، فإنه أنجحُ للحاجة »[3]، وفي رواية: « تَرِّبْوا الكتاب فإن التراب مبارك »[4]، وفي رواية: « إذا كتب أحدكم كتابًا فلْيُتَرِّبه؛ فإن التراب مبارك، وهو أنجح لحاجته »[5].

وجاء في كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » للحافظ ابن حجر رحمه الله: « أن النبي ﷺ بعث إلى أهل القريتين بكتابين يدعوهم إلى الإسلام، فَتَرَّبَ أحد الكتابين ولم يُتَرِّب الآخر، فأسلم أهل القرية التي تَرَّب كتابهم »[6].

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب في كتابة الكتب وختمها، ج٨، ص٩٨–٩٩. وقال: « رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك ».

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٨، ص١١، والبغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص ٦٩. وأصل الكلمة: سجا، من السكون والتغطية. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٧١، مادة: سجا.

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٨، ص١٢٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص٣١٠.

(٥) المصدر السابق، ج٤٥، ص٣١١.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٦٨.. ولقد أسهب العلاّمة الشيخ عبد الحي الكتاني - رحمه الله - في الجزء الأول من كتابه « التراتيب الإدارية » في ذكر طرق ورود حديث « التتريب »، وفي الكلام على أسانيده، وفي أقوال الأئمة فيه، ويذكر الباحث من كلامه نبذاً ملخصةً له، فقد صدَّر كلامه بقوله: « فاعلم أن حديث الأمر بالتتريب ورد بألفاظ متعددة، أخرجه أئمة كبار من طرق عدة من الصحابة ». وبعد أن فصَّل في ذكر هذه الطرق، والحكم على أسانيدها قال ما نصه: « ... فمجموع من جاء الحديث عنه من الصحابة: جابر، وأبو هريرة، وأبو الدرداء، وابن عباس، ويزيد والد الحجاج، ومجموع من خَرَّجه من أئمة الحديث: الترمذي، وابن ماجه، والطبراني في معجمه الأوسط، وابن عَدِي في الكامل، وابن عساكر في تاريخه، والدَّيْلمي، وابن منيع في مسنده، وأبو نعيم في المعرفة، والحسن بن سفيان في مسنده، وابن قانع في معجم الصحابة. وحاصل أقوال الأئمة فيه أن أحمد والترمذي قالا فيه: إنه منكر، والمنكر عندهم من أقسام الضعيف، بل أحمد يطلق المنكر على الحديث الفرد » ص١٣١. =

ومن الأشياء ذات الصلة بالدواة بعد المداد: **إلاقة الدواة:**

وهي من المعالجات المهمة الخاصة بصناعة الكتابة والكِتَاب منذ فجر الإسلام «ويقال للصُّوفة والقُطْنَة التي تكون في الدواة: لِيقة، وتجمع ألياقًا، وإنما سُمِّيت ليقة لأنها تحبس ما جُعِل فيها من السواد وتمسكهُ، مأخوذ من قولهم: «فلانٌ ما تليقُ كفه درهماً» أي: ما تحبسه فتمسكه. وكَفٌّ ما يليق بها درهم أي: ما تحبس ولا تستمسك»[1] و«لقتُ الدواة فهي مليقة ومُلاقة: إذا جمعت مدادها في كرسفها [قطنتها]»[2].

وجاء في الخبر عن عطاء قال: كنتُ عند ابن عباس فأتاه رجل فقال: يا ابن عباس، ما تقول فيّ؟ قال: وما عسى أن أقول فيك؟ فقال: إني عامل بقلم، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُؤتى بصاحب القلم يوم القيامة في تابوت من نار مقفل

= ثم ذكر من قال بوضعه وردَّ عليه، وقُبيل أن يختم رده قال ما نصه: «فظهر من هذا أنَّ الحديث ضعيف من جميع طرقه، وأنَّ القول بوضعه باطل» ص١٣٢. ثم ختم ردَّه بقوله: «...وكأنَّ من قال بالوضع فيه أراد من بعض طرقه لا من جميعها، وكثيراً ما يقع للمحدثين ذلك، ومن تأمل نصوصهم وجدها صريحة في ذلك، وأنت إذا علمتَ تعدد طرقه وكثرة من خرَّجه من الحفاظ، وكنت على بالٍ من القاعدة الحديثية، وهي أن الطرق إذا تعددت دلَّت على أن للحديث أصلاً ثابتاً، وهي قاعدة مؤسسة في المصطلح والأصول والفقه منعت القول بوضعه. وفي التَّعقبات على الموضوعات ما نصه: المنكر والمتروك إذا تعددت طرقهُ ارتقى إلى درجة الضعيف والغريب، بل ربما يرتقي إلى الحسن، وهذا هو الذي يدل عليه جزم شروح الجامع الصغير كالمناوي والعزيزي، بندب تتريب الكتاب عند كلامهم على هذا الحديث؛ لأنَّ الندب من الأحكام الشرعية التي لا تؤخذ، ولا يستدل لها إلاّ بالصحيح أو الحسن، فهو على هذا حسن عندهما لمجموع طرقه، وإن كان ضعيفاً بالنظر إلى بعض الطرق، فكأن ما ذكر من تعدد طرقه هو مستند الحافظ البغوي في ذكره هذا الحديث من الحسان في كتابه من المصابيح» ص١٣٢-١٣٣.

(١) ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص ١٧.

(٢) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص ٤٩ (بتصرف)، وانظر: الصولي، أدب الكُتَّاب، ص ٩٦-٩٧.

عليه بأقفال من نار، فإن كان أجراه في طاعة الله ورضوانه فُكَّ عنه التابوت، وإن كان أجراه في معصيته الله هَوَى به التابوت سبعين خريفًا، حتى باري القلم، ولايق الدواة»[1] فهذا الحديث - إن صح - يشير إلى أمرين مهمين:

الأول: ظهور الوراقين ومهنة الوراقة منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري، وإن لم تُعْرف بهذه التسمية، ويُؤخذ ذلك من قوله: «إني عامل بقلم».

الثاني: ظهور المعالجات والتخصصات المتعلقة بصناعة الكتابة والكِتَاب وأربابها منذ عهد الرسول ﷺ.

وتَظهر هذه المعالجات - ومنها إلاقة الدواة - بشكل أَوْضح في وصية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكاتبه عبد الله بن أبي رافع، حيث يرويها بنفسه فيقول: «كنتُ بين يدي علي بن أبي طالب، فقال: يا عبد الله، أَلِقْ دَوَاتَك، وأطل شَبَاة قلمك، وفَرِّج بين السطور، وقَرْمط بين الحروف»[2] وشباة كلِّ شَيءٍ: حدُّ طَرَفه[3]، ولذا قيل: «الشباة: طَرَفُ السَّيف وحَدّه»[4]، والقرمطة: المقاربة بين الشيئين[5].

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب في من كَتَبَ بقلمه خيراً أو غيره، ج ١، ص ١٣٦. وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه أبو أيوب الجيزي عن إسماعيل بن عياش، والظاهر أن آفة هذا الحديث الجيزي؛ لأن الطبراني قال في الأوسط تفرد به الجيزي».

(٢) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص ٢٣.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١٦، مادة: «شبا».

(٤) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص ٤٤٢، مادة: «شبا».

(٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٠، مادة: «قرمط».

الفصل الثاني:

مواد الكتابة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

يستعرض الباحث في هذا الفصل المواد التي حملت الإنتاج المدون في ذلك العهد، مثل: الجلد وأنواعه، والكتف واللوح، والقتب، والعسيب، والبردي، وغيرها، ثم يختم الفصل - بمعالجات أخرى ذات صلة وثيقة بصناعة الكتابة والكتاب مثل التجليد، والتذهيب.

الجلد وأنواعه:

لقد كان للجلد أهمية فريدة ومميزة بين المنتجات الاستهلاكية والسلع التجارية في الجاهلية وفجر الإسلام جعلته متصدراً مصاف هذه السلع، ويستطيع القارئ للمصادر التاريخية والأدبية أن يلحظ هذا الأمر بكل وضوح، فقد ذكرت لنا هذه المصادر كثيراً من المنتجات المستخدمة للحياة المعيشية اليومية مصنوعة من الجلد مثل: رحالُ المسافر(١) وأحزمتها التي تدعى الوضين(٢)، وكذلك مضاجع النوم(٣)،

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٨٨. وفيه: «ما روى عن عمرو بن سعيد بن العاص أنه قال: صدرتُ مع ابن عمر يوم الصَّدر، فمرت بنا رفقةٌ يمانية رحالهم الأدم وخطهم إبلهم الجُرُر، فقال عبدالله: من أحب أن ينظر إلى رفقة وردت الحج العام برسول الله ﷺ وأصحابه إذ قدموا في حجة الوداع فلينظر إلى هذه الرفقة».

(٢) الوضين: حزام عريض من جلد مسوج بعض على بعض يُشد به الرحل على البعير (ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٥٠، مادة: «وضَنَ»). وقد ذكره الشاهر الجاهلي عائذُ بن محصن الملقب بالمثقب العبيدي في البيت الذي أنشده على لسان ناقته:

تقول إذا درأتُ لها وضيني   أهـذا دِينُـه أبـداً وديني؟

انظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٧٣.

(٣) ذكر ابن سعد بسنده أن «ضجاع النبي ﷺ كان أدم محشواً ليفًا» (الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٦٤-٤٦٥).

وأوعية شرب الماء[1] وحياضه[2]، وقربه وانقطاعه[3] وأوعية حفظه لاستعماله في قضاء الحاجة[4]، ومناطق السيوف[5]، وغيرها.. وكانت القباب والخيام من أهم المنتجات استخداماً لمادة الجلد؛ ولذلك ذكرها المولى عز وجل في كتابه العزيز مبيناً بذكرها تمام نعَمهُ على عبيده فقال جل في علاه: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾[6]. قال البغوي رحمه الله: «﴿**وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا**﴾، يعني: الخيام والقباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم»[7]، وهذا النوع من البيوت يمكن تحويله من مكان إلى مكان، وتعملهُ العرب من الأدم

---

(١) ذكر أبو يعلى بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشربوا إلا في إناء» فصنعوا جلود الإبل، وجعلوا لها أعناقًا من جلود الغنم (مسند أبي يعلى، ج٥، ص١١٥، رقم ٢٧٣٠). وعند أحمد في مسنده: «لا تشربوا إلا في إكاء» أي: وكاء (ج٣، ص١٧٢، رقم ٢٦٠٧) والوكاء: كل سير أو ضبط يُشدُّ به فمُ السقاء (ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٤٠٥، مادة: «وكى»).

(٢) كان خيط هاشم بن عبد مناف في الجاهلية قدر لي سقاية ورفادة الحجاج، فكان يأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم، ثم يستقي فيها الماء من البئار التي بمكة فيشربه الحاج. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٣، ٧٨.

(٣) حول استخدام أنطاع الأدم انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٣٣.

(٤) كالإداوة مثلاً فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام مَعَنَا إداوة من ماء، يعني يستنجى به (كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالماء، ج١، ص٢٥٠، رقم ١٥٠) والإداوة: بكسر الهمزة إناء صغير من جلد، وقيل: إنما تكون إداوة إذا كانت من جلدين قوبل أحدهما بالآخر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٢٥، مادة: «أدا»، وابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٢٥١.

(٥) جاء فيما ذكره ابن سعد في استعداد النبي ﷺ وتأهبه لغزوة أحد ما نصه: «فخرج رسول الله ﷺ، وقد لبس لامته وأظهر الدرع وحزم وسطها بِمنطقة من أدم من حمائل السيف...». انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٨.

(٦) سورة النحل: الآية ٨٠.

(٧) البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٧٩.

وهي جلود الأنعام[١]، كانوا أكثر ما يستخدمونها في أسفارهم وتنقلاتهم، وقد ضُربت لرسول الله ﷺ في أسفاره وغزواته قباب وخيام من أُدْم[٢].

وكان الحُمْس[٣] في الجاهلية «أهل القباب الحمر من الأدم»[٤]؛ لأنهم كانوا لا يَنسجون مَظَالّ الشَّعر، وكان بعض الشعراء الجاهليين تُضرب لهم قباب من جلد أحمر بالأسواق الأدبية، منهم النابغة الذبياني زياد بن معاوية[٥]. ولأهمية هذه المادة في الجاهلية وصدر الإسلام فقد وجد في صدر الإسلام «حوانيت فيها أصحاب الأدم»[٦] وربما قام ببيع الأدم في الأسواق الجاهلية بعض النساء، كالحرمية التي ذكرها النابغة الذبياني زياد بن معاوية بقوله:

كَادتْ تُساقِطني رَحْلي وَمْيثرتي ... بذي المجاز ولم تُحسن به نَعمَا
من قوله حَرْمية قالتْ وقد ضعنُوا ... هل في مُخفِّيكم من يشتري أدَمَا[٧]

---

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٩، ص٩٤ (بتصرف).

(٢) ذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ قد ضُربت له قبة من أدم بالحجون في عام الفتح (الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٣٦). وذكر أيضاً: «أنه قد ضربت له ﷺ في عمرة القضية قبة من أدم بالأبطح...» (الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٢). وانظر حول قباب الأدم في عهد ﷺ: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٧، ص٤٩.

(٣) الحُمْس: الأصل في التَّحمُّس: التشدد، والحُمْسُ: قريش؛ لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون، وقيل: كانوا لا يستظلون أيام منى، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٥٧، مادة: «حَمَس».

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٢.

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١١٠، وهذا الخبر قاله الأصمعي.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٢٦٣.

(٧) لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص٧٠٧. والميثرة: ميثرة السرج والجمع مواثر، وحرميّة منسوبة إلى الحرم. يقول: كادت تساقطني رحلي من صوت هذه الحرمية التي قالت هل في مخفيكم من يشتري أدما» والمخف من لم يثقل بعيره وهو أحرى أن يشتري، وقيل: المخف الخفيف المتاع، وقيل الذين نزلوا خيف منى، يقال: منه أخاف الرجل إذا أتى خيف منى.

وقد اشتهرت الجزيرة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام - محليًا وإقليميًا - ليس بوفرة الأدم فيها فحسب بل وبجودته، ولذلك كان الناس يتهادونها فيما بينهم، فقد أهدى النبي ﷺ إلى أبي سفيان بن حرب تمر عجوة، وكتب إليه يستهديه أُدْمًا مع عمرو بن أمية الضمري(١)، وكانت هذه الهدية في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وأهل مكة قبل فتحها(٢)، وكانت قوافلهم التجارية تتاجر بها. وقد اشتهر بتجارتها أبو سفيان بن حرب(٣) وعمرو بن العاص، فقد قيل: «كان عمرو بن العاص تاجراً في الجاهلية، وكان يختلف بتجارته إلى مصر وهي الأدمُ والعِطر»(٤).

وبلغ من وفرة أدم الجزيرة وجودته وعلو شأنه بين السلع التجارية، أن ملوك الدول العظمى في ذلك الوقت مثل: كسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة كان أحب ما يُهدى إليهم من الجزيرة الأُدْمُ(٥).

وقد مر معنا أن لطائم كسرى كانت تعود إلى فارس مُحملة بالأدمُ من جزيرة العرب.

ولأهمية الجلد - كسلعة استهلاكية - في ذلك الوقت، فقد جاءت كثيرٌ من الأحكام الفقهية المتعلقة بالجلود والانتفاع بها ومعالجتها في كتب الحديث(٦) والمأثورات عن الرسول ﷺ وصحابته الكرام وبعض كبار التابعين.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج١، ص٧٦-٧٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣٣٣.

(٢) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢١١.

(٣) وقال أبو علي أحمد بن عمر بن رُسته: «كان أبو سفيان بن حرب يبيع الزبيب والأدم». انظر: ابن رُسْته، الأعلاق النفيسة، ص٢١٥.

(٤) الكندي، تاريخ ولاة مصر، ص١٣.

(٥) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٠، ص١٥٥، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص٢٨٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص١٢٢، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٤٧٠.

(٦) حول هذه الأحاديث والآثار، انظر ما أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الطهارة، باب جلود الميتة إذا دُبغت، ج١، ص٦٣، رقم ١٨٧، وباب جلود السباع، ج١، ص٦٩، رقم ٢١٥، ٢١٦،=

وصناعة الكتابة ليست بدْعًا من هذه الصناعات التي ذكرناها آنفاً، فهي مثلها ابنة بيئتها، فلا غنى لصناعة الكتابة عن السلعة الأولى في ذلك العهد كمادة للكتابة عليها، بل يجزم الباحث - أو يكاد - أن الجلد كان أكثر المواد التي تستخدم في الكتابة في الجاهلية وفجر الإسلام، وقد رجَّح هذا عدد من الباحثين المعاصرين، نذكر منهم: حبيب الزيات، ومحمود شيت خطاب، فقال الأول: «كان أكثر كتابة العرب وملوكهم في الجاهلية وبَدْء الإسلام في الجلود»(١).

وقال الثاني، بعد أن ذكر بعضًا من مواد الكتابة في ذلك العهد: «... إلا أن الكتابة على الجلود كانت أكثر شيوعاً..»(٢)، وفي تعدد أنواع الجلود المستخدمة في الكتابة التي سيذكرها الباحث لاحقًا - إشارة إلى هذا الشيوع.

ويشهد لهذا الشيوع الكثير من الآثار التي نَصَّتْ على أمر الكتابة على الجلود وأنواعها، وربما أَطلقت هذه الآثار كلمة الجلد - تساهلاً - على بعض أنواعه.

فبالنسبة إلى الجلد، فقد كتب حامل رسالة هرقل (عظيم الروم) إلى رسول الله ﷺ - وهو من نصارى عرب تُجيب - كتب وصايا رسول الله ﷺ في جلد سيفه(٣).

ومنها وثيقة المبايعة التي تَمَّتْ بين رسول الله ﷺ وبين العَدَّاء بن خالد بن هَوذة، فقد كُتِبَ على قطعة جلد(٤).

ويروى أن أحد الدهاقين قدم على عمر بن الخطاب في مظلمة له على عامل من

= ٢١٧، وص٧٠، رقم ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، وص٧١، رقم ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، وص٧٢، رقم ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، وما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك، كتاب الطهارة، ج١، ص٣٤٢، رقم ٥٠٧.

(١) حبيب الزيات، صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام، المشرق، س٤٨ (شباط ١٩٥٤م): ص٢٦.

(٢) محمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، ج١، ص٢٧٢.

(٣) انظر ما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص٢٦١-٢٦٢، رقم: ١٥٥٩٢، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج٢، ص٦٠٧.

عماله، فأخذ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قطعة جلد، فكتب فيها بخطه: «ليُنصفَّن هذا الدهقان، أو لأبعثنَّ من ينصفه»(١)، وعن إبراهيم قال: سألت عبيدة [أسلم عام فتح مكة] قطعة جلد أكتب فيه، فقال: لا تُخلِّدن عني كتابًا(٢).

أما بالنسبة للآثار المتعلقة بأنواع الجلود فسيتطرق الباحث إلى ذكر هذه الأنواع بشي من التفصيل، وقبل أن يذكر الباحث أنواع الجلود المستخدمة في الكتابة في ذلك العهد، يود أن يُشير إلى أن تَعَدُّد الأنواع هذا جاء من المعالجات المختلفة التي تُعالج بها الجلود في ذلك العهد لتصبح صالحة للاستعمال أو الكتابة. ومن هذه المعالجات الدباغة، والهن: أي الطلاء، وأكثر ما يستخدم في طلاء الإبل بالقطران وهو: الهناء في المواضع التي يُسْرع إليها الجَرَب(٣)، ويستخدم أيضاً في إعداد الجلود للكتابة، فقد ذُكر في إحدى روايات قصة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الرجل الكتابيّ الذي كتب عنه نصوصًا من التوراة أنه قال للرجل: «أتكتب لي من هذا الكتاب؟ قال: نعم، فاشترى [أي: عمر] أديمًا فَهَنَاهُ، ثم جاء به إليه فنسخه له في ظهره وبطنه»(٤) فهَنَاه هنا: أي طلاه وأعده للكتابة.. ومن المواد التي تستخدم في إعداد الجلود للاستعمال والكتابة الزبيب والصِّرْف، وهو شيء أحمر يُدبغ به الأديم(٥) والقَرظَ، والأخير شجر يُدْبَغُ به، وقيل: هو ورق السَّلم يُدبغ به الأدمُ ومنه أديم مقروظ(٦)، وأديم مقروظ ومقرظ وقرظي إذا دُبغَ القَرظَ(٧).. وممن اشتهر بتجارته حتى سمِّي باسمه سعد بن عائذ مولى عمار بن ياسر ومؤذن رسول الله ﷺ، سمّي

(١) البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص١٢١.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٨٦-١٨٧، مادة: «هنأ».

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، باب حديث أهل الكتاب، ج١١، ص١١١، رقم ٢٠٠٦٢.

(٥) ابن سِيدَه، المُخصص، كتاب اللباس: الجلود، مج١، ج٤، ص١٠٨.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٥٤، مادة: «قرظ».

(٧) ابن سِيدَه، المُخصص، كتاب اللباس: الجلود، مج١، ج٤، ص١٠٦.

سعد القَرظَ(١). وممن اشتهر بهذه الصنعة - أي: صنعة الدباغة - في ذلك العهد الحارث بن صبيرة (أسلم يوم الفتح)(٢)، وقد رُئي سلمان الفارسي رضي الله عنه في المدائن في مدبغة له يعرك إهابًا بكفيه(٣)، «وقد كان إذا أصاب شاة من الغنم ذُبحت، عمد إلى جلدها فيجعل منه جرابًا»(٤).

وقد كان إعداد الجلود بالدباغة والهِنْء منتشرًا في المنازل والبيوت ويقوم عليه النساء؛ وذلك لحاجتهم المستمرة لأنواع هذه الجلود، وممن كانت تقوم بهذا العمل أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوجة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد روت عن نفسها ما نصه: «أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتاني رسول الله ﷺ وقد هَنَأْتُ، يعني دَبَغْتُ «أربعين إهابًا من أدم..»(٥)، ومنهن كذلك أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها حيث قالت عنها عائشة رضي الله عنها بعد وفاتها: «كانت زينب امرأة صَنَّاع اليد، فكانت تَدْبَغُ وتخرز وتتصدق في سبيل الله»(٦).

ومنهن أيضًا هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان رضي الله عنها، فقد دخل عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليخبرها بوفاة ابنها يزيد بن أبي سفيان، فإذا هي «تهني أهبة (جلود) لها في المنيئة [الجلد أول ما يدبغ]»(٧).

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٥٨، وابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٥٥، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٢٨٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥٤. وفي الأخير رُوي أن سعدًا اشتكى إلى النبي ﷺ قلة ذات يده، فأمره بالتجارة فخرج إلى السوق، فاشترى شيئًا من قرظ فباعه فربح فيه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمره بلزوم ذلك.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص٩٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٤٥٨، ٤٦١.

(٤) المصدر السابق، ج٢١، ص٤٣٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٨٢.

(٦) المصدر السابق، ج٨، ص١٠٨.

(٧) المصدر السابق (الطبقة الرابعة)، ج١، ص١٣٢.

ومنهن أيضًا أُم المؤمنين سَوْدة بنتُ زَمْعة[1]، فقد كانت تعمل الأديم الطائفي[2]. فيظهر من كل ذلك أن دباغة وهَنْءِ الجلود وإعدادها للاستعمال والكتابة كان من الأمور التي تقوم بها المرأة في ذلك العهد.

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن معالجات الجلود في ذلك العهد يشرع الباحث في ذكر أنواعها المستخدمة في الكتابة في ذلك العهد.

الأديم:

الأديم: هو الجلد ما كان، وقيل: الأحمر، وقيل: هو المدبوغ، وقيل: هو بعد الأفيق، وذلك إذا تم واحمر[3].. قال ابن سِيْدَه رحمه الله: «ثم يكون بعد الأفيق أديماً، فإذا شُقَّ الجلدُ وبُسط حتى يبالغ فيه مَا قبل من الدِّباغ، فهو حينئذ أديم وأدمةٌ وأدَمٌ»[4].

وقد عُرِف الأديم كمادة للكتابة منذ عهد الجاهلية، فقد قال الشاعر المُرَقِّش الأكبر عمرو بن سعد بن مالك:

الدارُ قَفْرٌ والرسوم كما رَقَّش في ظهر الأديم قَلَم[5]

ويذكر النديم ـ رحمه الله ـ في «الفهرست»: «أنه كان في خزانة المأمون كتابٌ بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ في أدم، فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعاء»[6]، «وكذلك كانوا في أوائل الإسلام يكتبون على الأدم»[7].

(١) انظر ترجمتها: ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٧، ص١٥٧–١٥٨.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص١٠٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٩، مادة: «أدم»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٩، مادة: «أدم».

(٤) ابن سِيْدَه، المُخَصَّص، كتاب اللباس، الجلود، مج١، ج٤، ص١٠٨.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص١٣٦.

(٦) النديم، الفهرست، ص١٣.

(٧) البيروني، تحقيق ما للهند من مَقُولة مقبولة في العقل أو مَرْذولة، ص١٣٣.

وقد كتب الرسول ﷺ كثيراً من كتبه على الأديم، ومن هذه الكتب الأمان الذي كتبه لسراقة بن مالك بن جُعشم في يوم هجرته[1]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقًا على هذه المادة: « .. وفي رواية الترمذي في طريق ابن عطية عن ابن عون حدثني رجل أنه قرأها في قطعة أديم أحمر، وقال ابن علية: وأنا قرأتها عند ابن عبيدالله ابن عمر كذلك »[2].

ومنها الإقطاع الذي كتبه ﷺ لتميم الداري ورهطه، فقد كان « في جلد أدم »[3]، وكذلك إقطاع الغميم الذي أقطعه ﷺ لأوفى بن موألة كُتب في أديم[4]، والكتاب التشريعي الذي كتبه ﷺ لعمرو بن حزم كتب في رقعة أدم[5]، وكتابه ﷺ لمالك بن أحمر كان في رقعة من أدم[6]، وكتابه ﷺ لأهل عمان كان في قطعة من أدم[7].

وقالت أم سلمة زوج النبي ﷺ: « دعا رسول الله ﷺ بأديم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ يُمْلي وعليٌّ يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكَارِعَه »[8].

---

(١) أخرج خبره البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٧، ص٢٣٨-٢٣٩، رقم ٣٩٠٦، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٣، ص٤٢٦، رقم ١٧٥٢١، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١١، ص١٣٤، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٥٦، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص٣٢٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٢٥، ص٤٠١.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٦٤.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يُقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص٩، والعباسي، عمدة الأخبار، ص٢٨٥، وفيه أن الغميم: موضع قريب من المدينة بين رابغ والجحفة.

(٥) أخرج خبره النسائي في سننه، كتاب القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له، ج٨، ص٥٩-٦٠، رقم ٤٨٥٦.

(٦) أخرج خبره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب منه فيما كتب بالأمان لمن فعله، ج١، ص٢٨.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص١٧٩.

(٨) السَّمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص١٢، والرامَهُرْمزي، المحدث الفاضل، ص٦٠١، رقم ٨٦٨.

وقد ذكرت المصادر استخدام «الأديم الأحمر» على التعيين في الكتابة في ذلك العهد؛ مما يشير إلى أن الكتابة على الجلد في ذلك العهد لا تتم إلا بعد معالجته معالجةً تصلح معها الكتابة بسهولة ويسر، فقد جاء أهل نجران بكتابهم إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «في أديم أحمر»[١]، وكتب ﷺ لوفد عقيل بن كعب إقطاعاً «في أديم أحمر»[٢]، وكتب ﷺ للأزرق بن عمر في عام الفتح كتاباً «في أديم أحمر»[٣]، وكتب ﷺ لنساء «قيلة» كتاب أمان «في قطعة أديم أحمر»[٤]، وحَدَّث رجل قرأ وقف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأرضه بخيبر أنه كان «في قطعة أدم، أو رقعة حمراء»[٥]، ووصف أبو الجراح مولى أم حبيبة يوم الدار يوم مقتل عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال من ضمن ما قاله: «فكأني أنظر إلى مصحف في يد عثمان وإلى حمرة أديمه»[٦].

وقد ذكر الباحث أن جزيرة العرب اشتهرت بإنتاجها من الأديم، ويعقب هنا بأن اليمن كإقليم من أقاليمها - قد اشتهر بصناعته حتى كانوا يُكنُّون بها عن الأدم، فيقال: «ليس بين الدَّرَاهم والأدمِ مثلُه» يريدون بين العِرَاق واليَمن؛ لأن تبايع أهلهما كان بالدراهم والجلود[٧].. قال أوس بن حجر:

وما عدلتْ نفسي بنفسك سَيِّداً ... سمعتُ به بين الدراهم والأدم[٨]

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٣٦٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٠٢.

(٣) الأزرقي، تاريخ مكة، ج٢، ص٢٤٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٢٠، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يُقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص١٢، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص٣٠٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٥٨.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٣٥٠.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص١٤، مادة: «أدم».

(٨) الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٧، مادة: «أدم».

واشتهرت ـ على وجه الخصوص ـ بهذه الصناعة مدن صَعْدة وصنعاء ونجران وجرَش وخَوْلان والطائف.. قال الإصطخري رحمه الله: «وبها ـ أي بصَعْدة ـ يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم، ويتخذ بنجران وجرَش والطائف أدم كثير، غير أن أكثر ذلك يرتفع من صَعْدة وبها مجتمع التجار والأموال»(١). وقال البشاري المقدسي رحمه الله: «صَعْدة أصغر من صنعاء، عامرة في الجبال، بها تُصنع الركاء الجيدة والانطاع الحسنة، ومنها يرتفع أدم جيد.. ونجران مثل جرَش وهما دون صَعْدة، وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن»(٢).

وقال ابن خُرْدَاذبه رحمه الله: «.. ثم إلى صَعْدة مدينة عظيمة يُدبغ فيها الأدم النعل...»(٣)، وقال ـ أيضاً ـ في موضع آخر: «... ومن عرقة إلى صَعْدة وهي قرية عظيمة فيها منبر ومسجد وتجار كثير، وبها يُعمل دباغ اليمن من الأدم والنعال، وأكثر تجارتهم من أهل البصرة»(٤).

وفي المصادر التاريخية ما يؤكد ما ذكره هؤلاء المؤرخون الجغرافيون من أنَّ مدن اليمن وما جاورها قد اشتهرت بهذه الصناعة، فقد جاء في خبر سرية عبدالله بن جحش الأسدي أن عير قريش التي أمره رسول الله ﷺ بتعقبها كانت محملة بأدم وزبيب الطائف(٥)، ففي هذا الخبر إشارة إلى تصدير الطائف لهذا النوع من المنتجات، ولشهرة الطائف بصناعة الأديم نُسبَ إليها فسمي هذا النوع من الأديم بالأديم الطائفي، وكذلك نجد أن بعض الآثار التي كتبت في ذلك العهد كتبت على الأديم الخولاني نسبة إلى خَوْلانَ «وخَوْلان مِخْلاف من مخاليف اليمن، منسوب إلى خَوْلان بن عمرو الحاف»(٦).

(١) الإصطخري، مسالك الممالك، ص٢٤.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٦-٨٧، وانظر: ص١٣٥، ١٣٦، ١٨٩.

(٣) ابن خُرْدَاذبه، المسالك والممالك، ص١٣٥-١٣٦.

(٤) المصدر السابق، ص١٨٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١١، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٩١.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٠٧.

فقد كتب ﷺ لعبدالله بن جحش حين خروجه في السرية المذكورة آنفاً كتابًا عسكريًّا «في أديم خولاني»[١].

وكان عند رافع بن خديج الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحاديث النبي ﷺ مكتوبة في أديم خولاني[٢].

ويُذكر أن بعضهم في ذلك العهد كان يعمد إلى حوانيت الخَرَّازين لشراء قطع الأديم لاستخدامها في الكتابة، وهذا ما أسفرت عنه قصة سعيد بن العاص بن أبي أُحيحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع الرجل الذي وصل رَحِمَه[٣]. وحيث أن عملية الخَرز هي خياطة الأدم، وصانع ذلك يدعى الخَرَّاز[٤]، فمعنى ذلك أن الخرازين كانوا ملاذ الكُتَّاب في ذلك العهد؛ وذلك لشراء احتياجاتهم من مواد الكتابة المصنوعة من الجلد.

وقد ذكرت بعض المصادر شيئًا من مواصفات بعض قطع الأديم التي كـتبتُ في عهد الرسول ﷺ، فقد وصف الكِتَاب الذي كتبه الرسول ﷺ لمالك بن الأحمر بأنه: «رقعة من أدم عرضُها أربعة أصابع وطولها قدر شبر»[٥]، وقد رأى أحمد بن يحيى العمري كتاب إقطاع الرسول ﷺ لتميم الداري ورهطه، ووصفه بقوله: «والكتاب الشريف في خرقة من خُف من أدم أظنها من ظهر القدم، وَقَدْ مَوَّه سوادُ الجلد على الخط، لا أنه أذهبه، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه، وهو بالخط الكوفي المليح القوي». ثم قال بعد أن ذكر نص الإقطاع: «وقد رأيتُ ذلك كله بعيني» ثم قال: «وقرأته من الكتاب النبوي نفسه»[٦]. وشاهده أحمد بن عبدالوهاب

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٧٨.

(٢) أخرج خبر هذا الأديم أحمد في مسنده، ج١٣، ص٣٢٤، رقم ١٧٢٠٥، قال محقق المسند: «إسناده صحيح». وانظر: العباسي، عمدة الأخبار، ص٨٦، والخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٧٢.

(٣) انظر هذه القصة: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص١٤١-١٤٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٤٤، مادة: «خرز» (بتصرف).

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٢٣، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٤١١.

(٦) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، ص١٧٣.

النويري - رحمه الله - ووصفه، فقال: « .. وهو قطعة أدَم مربعة دون الشِّبر قد غُلِّفت بالأطلس الأبيض، يزعمون أن ذلك من خُف كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد بقي بهذه القطعة الأدم آثار أحْرف خافية، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل وتحقيق النظر، وعلى هذه القطعة من الجلالة ولها من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوي أنها صادرة عن المحل المنيف... »[١]، ووصف أحمد بن علي القلقشندي هذا الكتاب بقوله: « وهذه الرقعة التي كتب بها النبي ﷺ موجودة بأيدي التميمين خُدَّام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن، وكُلَّما نازعهم أحدٌ أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكُف عنهم من يظلمهم، وقد أخبرني برؤيتها غير واحد، والأديم التي هي فيه قد خَلِق لطول الأمد »[٢]، وشاهده كذلك مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي المقدسي الحنبلي، فقال: « وقد رأيت عند التكلم على الإقطاع المشار إليه القطعة الأديم التي يقال إنها من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد صارت رَثَّة وفيها أثر الكتابة... »[٣].

وهناك وَصف بليغ وُصف به كتاب شبيب بن عامر الأزدي لعلي بن أبي طالب، فقد وُصِف بأنه: « في رقعة كأنها لسان كلب »[٤].

الـرَّق:

الرَّق: بالفتح ويكسر هو: جلد رقيق يُكتب فيه[٥] « وكل صحيفة فهي رقٌّ لرِقة حواشيها »[٦]، قال المبرد: « الرَّق ما رُقِّق من الجلد ليكتب فيه »[٧] وهذا ما يميز

(١) النويري، نهاية الأرب، ج١٨، ص١٠٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣، ص١٢٩.

(٣) العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، ص٨١.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٣١.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص١٧٠، مادة: « رقَق ». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١٢٣، مادة: « رقق ».

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٦٢٢٩.

(٧) المصدر السابق.

الرَّق عن سائر أنواع الجلود المستخدمة في الكتابة، فهو أقل سماكة منها؛ ولذلك «كان الرق يمثل المادة الأساسية التي يكتب بها العرب»(١)، ولو لم يكن يحتل الرق هذه المرتبة المتقدمة بين مواد الكتابة الجلدية في الجاهلية وفجر الإسلام لما ذكره المولى عز وجل في كتابه العزيز كمادة من مواد الكتابة، حيث قال جل في علاه: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾(٢) أي: مبسوط أو لائح أو مفتوح لا ختم عليه»(٣).

وقد تكرر ذكر الرَّق في الشعر الجاهلي وشعر فجر الإسلام، جاء في شعر طَرفة ابن العبد:

كسطور الرَّق رقَّشَهُ ... بالضُّحَى مُرَقِّشٌ يَشمُه(٤)

وفي شعر الأخنس بن شهاب التغلبي:

لابنة حَطَّانِ بن عَوف منازلٌ ... كما رقَّشَ العنوانَ في الرَّقِّ كاتبُ(٥)

وفي شعر خويلد الهذلي:

وإنِّي كما قال مُملي الكتاب ... في الرَّقِّ إذْ خَطَّه الكاتبُ(٦)

ومن شعر المخضرمين، يقول حَسَّان بن ثابت رضي الله عنه:

عَرَفْتُ ديارَ زَيْنَبَ بالكَثيب ... كخَطِّ الوحْي في الرَّقِّ القشيب(٧)

وقد كانت طريقة إعداد الرَّق وصناعته تتم «بأن تؤخذ جلود صغار العجول والحملان والجداء والغزلان، وتُغسل غسلاً جيداً ثم تُكشط لإزالة الوبر والشعر بأداة

(١) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٥٥.

(٢) سورة الطور: الآيات ١-٣.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٩، ص٥٦٦.

(٤) الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد البكري، ص٨١.

(٥) الضَّبِّيّ، ديوان المُفَضَّلِيَّات، ص٤١٠، وناصر الدين الأسد، ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السِّكيت وغيره، ص٢٠٤.

(٦) ديوان الهذليين، ج٣، ص٧٠.

(٧) ديوان حسان بن ثابت، ص١٢.

حادة وبعدئذ تُدْعك وتُصقل بحجر الخفاف حتى تصير ناعمة الملمس، وتُحَك بعد ذلك بالطباشير فتصير بيضاء اللون.. وهكذا، تستحيل مادة صالحة للكتابة متينة جميلة الشكل، وبخاصة في الوجه الداخلي منها، وإن كان الوجه الخارجي الذي يميل إلى السمرة أكثر منه احتفاظاً بالمداد»(١).

والجدير بالذكر أن الرق قد امتاز عن مادة البردي(٢) بخمسة أمور:

١- هو أكثر متانة بحد ذاته وأبقى مع الدهر.

٢ - يصح استعمال الرق للكتابة على القفا.

٣- من اليسير حك الرق وكشط الكتابة الأولى.

٤ - يساعد على تكييف الخط ولَزِّ السطور كما يشاء الكاتب.

٥- يصلح لصنع الدروج(٣).

ويذكر الباحث بعض الظواهر التي تشير إلى استخدام هذه المادة في ذلك العهد، فقد روى الأصفهاني - رحمه الله - في كتابه «الأغاني» أن قومًا مَرّوا براهب، فقالوا له: يا راهب، من أشعر الناس؟ قال: مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي، فنظر في رقٍّ له عتيق ثم قال: وهبٌ من وهبين، من جمع أو جمحين(٤). وروى ابن عساكر - رحمه الله - بسنده: أن رسول الله ﷺ خرج وهو معصوب الرأس من وجع فَصَعَدَ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس، ما هذا الكتاب الذي تكتبون؟ أكتاب مع كتاب الله؟ يوشك أن يغضب الله لِكتَابه؛ فلا يَدَع في رَقٍّ ولا في يد أحد منه شيئاً إلا أذهبه»(٥) الحديث.

---

(١) عبدالعزيز الدالي، البرديات العربية، ص٧-٨، ويوسف أسعد داغر، الرقوق، الكتاب، س٤، مج٨، ج٧ (١٩٤٩م): ص١٩٠.

(٢) سيأتي الحديث عنها لاحقًا.

(٣) يوسف أسعد داغر، الرقوق، الكتاب، س٤، مج، ج٧ (١٩٤٩م): ص١٩١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص١٣٠.

(٥) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص١٣٧.

وقد جزم أحد الباحثين المعاصرين[١] أن رسائله ﷺ التي وجهها إلى الملوك المحيطين بالجزيرة العربية: كهرقل، وكسرى، والمقوقس حاكم مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وغيرهم كانت مكتوبة على الرَّق.. وينقل لنا الحافظ ابن كثير رحمه الله وصف المصحف العثماني الذي رآه في دمشق، ويصرح بأنه كُتب «في رقٍّ» يظنهُ «من جلود الإبل»[٢].. وقد كانت أحاديث أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه التي كتبها عنه محمد بن سيرين في «رقٍّ عتيق»[٣]، وكذلك كانت مكاتبة أفلح أبو كبير مولى أبي أيوب الأنصاري[٤] (أدرك زمان عمر ورأى عثمان) مكتوبة في رق[٥].

ويطلق على الرَّق الورق، واحدتها ورقة[٦]؛ لذلك لما تكلم إمام اللغة عبدالملك ابن قُرَيْب الشهير بالأصمعي على حديث عرفجة[٧] الذي نصه: «لما قطع أنفه يوم الكلاب اتخذ أنفًا من ورق فأنتن، فاتخذ أنفًا من ذهب» قال معلقًا: «إنما اتخذ أنفاً من وَرَق بفتح الراء، أراد الرَّق الذي يكتب فيه، لأن الفضة لا تنتن»[٨] فتفسير الأصمعي هذا يؤكد المعنى المذكور.

قال ابن منظور رحمه الله: «ومنها ورق المصحف، وورق المصحف، وأوراقه: صحفه»[٩]، وقال الزبيدي: «أما ورق الكتاب فأدمٌ رقاقٌ، ومنه كأن وجهه ورقةُ

---

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص٣٢.

(٢) ابن كثير، فضائل القرآن، ص٨٨-٨٩.

(٣) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص١٧٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بدران، تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٣، ص٨٥.

(٦) ابن سِيده، المخصص، كتاب اللباس، الجلود، مج١، ج٤، ص١٠٦.

(٧) عرفجة بن أسعد بن كرب التيمي، أحد صحابة رسول الله ﷺ، ويوم كلاب هو يوم من أيام الجاهلية. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٢١.

(٨) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص١٧٥، مادة: «وَرَق».

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٧٥، مادة: «ورق».

مصحف، وهو مجاز»(١).

ومما يؤكد هذا المعنى إطلاق الصحابة وكبار التابعين كلمة «الورق» على صحف المصاحف، فقد وصف الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه وجه رسول الله ﷺ حينما ألقى عليه الصلاة والسلام نظرة على أصحابه قبيل وفاته فقال: «كأن وجهه ورقةُ مُصحف»(٢) الحديث. قال النووي رحمه الله: «قوله: كأنَّ وجهه ورقة مصحف، عبارة عن الجمال البارع، وحُسنُ البشرة، وصفاء الوجه واستنارته»(٣)، وزاد السندي: «هو عبارة عما ذكره مع زيادة كونه محبوبًا معظمًا في الصدور، وإلا لما كان لخصوص الورقة بالمصحف وجه، فليُتأمل»(٤).. قال الباحث وفي هذا التشبيه ما فيه من صفاء رفاق الكتابة، ونقائها وبياضها وبهاء منظرها، وحسن صفحتها، وجودة صناعتها، وإلا لما شُبِّه وجههُ ﷺ بها، ويستدل من ذلك بلوغ الإحسان والاتفاق في صناعة الرق كمادة للكتابة مبلغًا عظيمًا في فجر الإسلام، مما ساعد على صمودها أمام عوامل الفناء مدة تصل إلى بضع قرون.

ومن استعمل هذا التشبيه - أيضًا - عبدالله بن عامر رضي الله عنه في حديثه مع معاوية بن

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٤٧٧، مادة: «ورق».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإقامة، ج٢، ص١٦٤، رقم ٦٨٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إن عرض له عذر...، ج٤، ص٣٦٣، رقم ٩٤٣، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، ج١، ص٥١٩، رقم ١٦٢٤، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص٣٥١، رقم ١٢٠١١، وج١٠، ص٥٢٩، رقم ١٢٦٠٣، وج١١، ص٧٠، رقم ١٢٩٦٢. وقال محقق المسند: «أسانيد هذه الأحاديث صحيحة»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٦، ص٢٥٠، رقم ٣٥٤٨. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٣٥، وبدران، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ج١، ص٣٢٢، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٤٠.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٤، ص٣٦٣.

(٤) محمد فؤاد عبدالباقي، سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، ج١، ص٥١٩، حاشية الحديث رقم ١٦٢٤.

أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١]، بل إن هذا التشبيه ورد على لسان أبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبل إسلامه مخاطباً عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: «... أكرم بابن عبدالله [يعني: سيدنا محمد ﷺ] ذاك الوجه كأنه ورقة مصحف...»[٢]، وقد يكون عَنَى بذلك مصاحف أهل الكتاب في ذلك الزمن.

ومن الشواهد على إطلاق «الورق» على صفحات الرَّق ما جاء في كلام مصعب ابن سعد بن أبي وقاص حينما ذكر خطبة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في جمع القرآن، فقال ما نصه: «فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم»[٣]، وفيه تأكيد الاختلاف بين الرق والأديم. ويُروى أنه لما نسخ عثمان المصاحف، قال له أبو هريرة: أصبتَ ووفّقتَ، أشهد لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أشد أمتي حبًا لي قومٌ يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورق المعلق» فقلت: أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف، فأعْجب ذلك عثمان[٤].. وقد مر معنا ما نص عليه ابن كثير رحمه الله من أن مصاحف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتبت في الرقوق.

وفي حديث عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب وكاتب المصاحف في عهد أزواج النبي ﷺ حول المصحف الذي كتبه لحفصة بنت عمر رضي الله عنها شاهد آخر، إذ قال ما نصه: «فلما بلغت إليها [أي الآية القرآنية] حملتُ الورقة والدواة»[٥]، وفي رواية: «فلما بلغتها [أي الآية القرآنية] جئتها بالورقة التي أكتبها»[٦]، وجاء

(١) انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص١٩٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في المصاحف، ج١، ص٢١٦-٢١٧، رقم ٨٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٢٤٣، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٤٧٧.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٢٤٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٥) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في المصاحف، ج١، ص٣٥٦، رقم ٢٤٤. وقال المحقق: «إسناده حسن لغيره».

(٦) أخرجها أبو يعلى في مسنده، ج١٣، ص٥٠، رقم ٧١٢٩.

في وصف أحدهم لمصحف أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ما نصه: «فكأني أنظر إلى بياض ورقات مصحفٍ رفعته امرأةٌ من أزواج النبي ﷺ»(١)، وفيه وفي التشبيهات بورقة المصحف إشارة إلى نضارة صحائف الرَّق. ووصف أبو صالح عبدالرحمن بن قيس الكوفي الحنفي مرةً حال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «رأيتُ علي بن أبي طالب آخذاً بمصحفٍ فوضعه على رأسه، حتى إني لأرى ورقة تَتَقَعْقَعْ...»(٢).

وقال أبو راشد الأزدي واصفًا عبادة الصحابي وابِصَة بن معبد رضي الله عنه: «كنت آتي وابصة بن معبد، وقَلما أتيته إلا أصبتُ المصحف موضوعًا بين يديه، ثم إن كان ليبكي حتى أرى دموعه قد بلّت الورق..»(٣).

وفي النصوص المتعلقة بشراء ونسخ المصاحف ما يؤكد المعنى السابق، فعن إبراهيم(٤) أن علقمة(٥) اشترى ورقًا فأعطى أصحابه فكتبوه له(٦)، وتليها رواية توضح ماهية الشيء المكتوب ونصها: «أن علقمة أراد أن يكتب مصحفًا فأمر أصحابه فكتبوه»(٧)، وعن الشعبي قال: عندما سُئل عن شراء المصاحف: «إنما يُشترى ورقهُ وعَمَله»(٨)، وعن علي بن الحسين(٩) قال: «كانت المصاحف لا تباع، قال: وكان الرجل يجيء بورقة عند المنبر فيقول: من الرجل يحتسب فيكتب

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٣٢٦.
(٢) المصدر السابق، ج٤٢، ص٥٣٤.
(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٢٣٦-٢٣٧.
(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي.
(٥) علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي.
(٦) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في المصاحف باب وقد كره الأجرة على كتاب المصاحف، ج١، ص٤٥٩، رقم ٣٨٠. وقال المحقق: «إسناده حسن».
(٧) أخرجه بن أبي داود السجستاني في المصاحف باب وقد كره الأجرة على كتاب المصاحف، ج١، ص٤٥٩، رقم ٣٨١. وقال المحقق: «إسناده صحيح».
(٨) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص١١٣، رقم ١٤٥٢٧.
(٩) هو حفيد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتوفي سنة ٦١هـ.

لي؟ ثم يأتي الآخر فيكتب حتى يتم المصحف»[1].

قال الباحث: وفيما سبق من الشواهد المتعلقة بتسمية صفحات الرَّق بالورق إشارتان مهمتان: أولهما أن معظم مصاحف ذلك العهد كتبت على مادة الرَّق.. وثانيهما تعضيد هذه الشواهد أخواتها ـ المذكورات آنفًا في موضوع كتابة القرآن الكريم ـ في بيان انتشار كتابة المصاحف في ذلك العهد، وكثرة المشتغلين بها، وتعيين أماكنهم مما كان له أكبر الأثر في تطور حركة صناعة الكتابة والكتاب في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

القضيم:

وجمعه قُضُم وقَضَم.

قال أهل اللغة[2]: هو الجلد الأبيض الذي يكتب فيه، وأنشد أحدهم:

وثُــديٌّ ناهـداتٌ　　　　وبياضٌ كالقضيم

القضيم هاهنا: الرَّق الأبيض الذي يُكتب فيه، والقضيم الصحف البيض.

ورغم أن المعاجم اللغوية ذكرت ارتباطه بالكتابة، إلا أن الباحث لم يعثر على شواهد تدل على هذا سوى قول الزهري: «قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العُسُب والقُضْم والكرانف»[3].

وقد يطلق على الأديم أو الجلد اسم «جراب»، فعندما روى يزيد بن عبدالله خَبَرَ الأعرابي الذي كان معه كتاب رسول الله ﷺ لبني زهير بن أُقيش قال في وصفه: «وإذا معه قطعة من جراب أو أديم»[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج٢، ص٥٤٢، رقم ٥٥٩.

(٢) ابن سيده: المخصص، كتاب اللباس، الجلود، مج١، ج٤، ص١٠٢، وابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٨٨، مادة: «قضم».

(٣) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج٢، ص٤٣١.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٩، والجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٦٣، والأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٧٥.

الكَتِف:

بفتح الكاف وكسر التاء مفرد أكتاف، قال أهل اللغة[1] هو: «عَظْمٌ عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، كانوا يكتبون فيه؛ لقلة القراطيس عندهم»، ولوفرة هذا النوع من العظام؛ ولأنها لا تحتاج إلى إعداد أو صناعة كما هو الحال في مواد كالأديم والرق وغيرها، قال السيوطي رحمه الله: «الأكتاف جمع كَتِف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جَفَّ كتبوا عليه»[2].

وقد ذكرت المصادر شواهد كثيرة تصرح باتخاذ الكتف للكتابة في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة مقترنة مع مواد أولية أخرى وربما ذكرت منفردة. فمن الآثار التي أفردت الكتف كمادة للكتابة ما رُوي عن زيد بن ثابت، قال: «كنتُ أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذَتْهُ بَرْحَاء شديدة، وعرق عرقًا شديدًا مثل الجمان ثم سُرِّي عنه، فكنت أدخلُ عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأكتب وهو يُمْلي عَلَيَّ...»[3] الحديث.

وهناك روايات أخرى[4] - غير التي ذكرت[5] - لنزول قول المولى عزو وجل:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٩٤، مادة: «كتف»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٤٤٨، مادة «كتف»، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٤٩، مادة: «كتف»، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص٢٨٨.

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٦٨.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد...، كتاب العلم، باب عرض الكتاب بعد إملائه، ج١، ص١٥٢. وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثوقون، إلا أنه فيه وجدت في كتاب خالي وهو وجادة».

(٤) انظر هذه الروايات فيما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قول الله عز وجل (٩٥، النساء): ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ج٦، ص٤٥، رقم ٢٨٣١، وفيما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٤، ص١٨٧، رقم ١٨٣٩٦، وج١٤، ص١٩٤، رقم ١٨٤١٧، وج١٦، ص٥٣، رقم ٢١٥٥٨. وقال محقق المسند: «أسانيد الأحاديث الثلاثة صحيحة»، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢١٠-٢١١.

(٥) انظر: مبحث «كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ»، ومبحث «الدواة».

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾(١)، تصرح باستخدام «الكتف» كمادة كتبت عليها هذه الآية.

ورُوي أن حفصة رضي الله عنها جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب من قصص يوسف في كتف..(٢) الحديث.

ويبدو أن «الكتف» كمادة للكتابة كانت تستخدم لتوزيع الأموال، وهذا ما يظهر من الخبر الذي رواه ابن عباس قال: «... دخلنا [هو وعثمان بن عفان] على عمر وبين يديه صُبرٌ(٣) من مال، على صُبْرةٍ منها كتف فقال: إني نظرتُ فلم أجدْ بالمدينة أكثر عشيرة منكما، خذا هذا المال فاقسماه بين الناس...»(٤)، كذلك ما دونه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شأن الجد ـ كما مر ـ كان مادة كتابته الكتف(٥).

وقد اسْتُخْدِمَتْ «الكتف» كمادة للكتابة عليها في تعلم الصغار الكتابة في كتاتيبهم، فقد قال أدهم بأن الصحابي محرز بن أسيد الباهلي: «وإني لأول مولود بحمص، وأول من فُرض له بها وبيدي كتف، وأنا أختلف إلى الكُتَّاب»(٦)، وفيما يتعلق بكتابة القرآن على الكتف، فقد قال هانئ: «كنتُ عند عثمان رضي الله تعالى عنه وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتِف شاة إلى أُبَيّ بن كعب فيها

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، باب حديث أهل الكتاب، ج١١، ص١١٠، رقم ٢٠٠٦١.

(٣) صُبَر: جمع صُبْرة: هي الطعام المجتمع كالكُومة.. وقد تكررت في الحديث مفردة ومجموعة. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والآثر، ج٣، ص٩، مادة: «صَبَرَ»، والمقصود هنا: أي مجموعًا قد جعل صُبْره كَصُبَر الطعام.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨٨.

(٥) المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٠-٣٤١، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٤٦٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٢١٩.

«لم يَتَسَنَّ» و«فأمهل الكافرين» و«لا تبديل للخلق» قال: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب «لخلق الله» ومحا فأمهل، وكتب «فَمَهِّل» وكتب «لم يَتَسَنَّه» ألحق فيها هاء[1].

وقد كان عمر بن أبي ربيعة يكتب شعراً في الكتف ويرسله إلى النساء، ففي «الأغاني» أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذا مَرّت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف فكتب إليها وكنّى عن اسمها:

أَلِمَّا بذات الخال فاستطلعا لنا ... على العهد باقٍ ودُّها أمْ تصرَّمَا

وقُولاَ لها إن النَّوَى أجنبيةٌ ... بنا وبكم وقد خفْتُ أنْ تَتيمَّمَا[2]

ورغم أن الكتابة على الأكتاف أخذت طريقها إلى الانقراض بعد تطور صناعة الرَّق واستخدام ورق البَرْدي، إلا أنها ظلت تؤدي هذه الوظيفة حين تدعو الضرورة كقلة ذات اليد وغلاء ثمن تلك المواد. وهذا ما حدث مع الإمام الشافعي - رحمه الله - حيث قال: « .. فكنتُ أجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، وكنت أنظر إلى العظم يلوح، فأكتب فيه الحديث أو المسألة، وكانت لنا جَرة قديمة، فإذا امتلأ العظم طرحته فيها»[3].

ومما يذكر في هذا الصدد أن جريراً الشاعر الأموي كتب بيته الشهير:

فَغُضَّ الطرف إنك من نُمَيْرٍ ... فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلاَبا

على عظم الكتف[4].

وليس الكتف هو العظم الأوحد المستخدم للكتابة، بل هو أكثرها شيوعًا واستخدامًا، وذلك - فيما يبدو - لانبساط شكله واتساع مساحته مما يُساعد على

---

(١) ابن فارس، الصاحبي، ص١٢-١٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢٧٧.

(٣) ابن الأثير الجزري، مناقب الإمام الشافعي، ص٧٧.. وروى الذهبي - رحمه الله - أن الشافعي قال: «كنت أكتب في الأكتفاف والعظام». انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٣٥.

كتابة أكبر عدد من الكلمات والمعلومات، ومن العظام الأخرى المستخدمة في الكتابة ما يُسمى بالطبق، فقد روى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أمرني النبي ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده..»[1] الحديث، والطبقُ عُظَيْم أو عَظْم رقيق يفصل بين الفَقَارَيْنَ، وقيل: الفَقْرة حيث كانت، وقيل: فَقَار الظَّهر[2].

اللوح:

مفرد ألواح. واللوحُ: كل صفيحةٍ عريضةٍ من صفائح الخشب، والكتف إذا كُتب عليها سُمِّيتَ لوْحًا. وقيل كل عظم عريضٍ: لوح[3]. ولهذا جمع الزبيدي ـ رحمه الله ـ بين القولين فقال: «اللوح كلُّ صفيحة عريضة خشبًا أو عظمًا»[4].

وقد جاء ذكر اللوح في القرآن الكريم خمس مرات[5]، أربعة منها ذُكِرت كمادة للكتابة، ثلاثة منها متعلقة بألواح موسى عليه الصلاة والسلام، وواحدة متعلقة باللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾[6] قال القرطبي: «... واللوح: الكتف، وكل عظم عريض. واللوح: الذي يُكتب فيه»[7]، وقال جل في علاه في قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع قومه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[8]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص٤٦٨، رقم ٦٩٣، وقال محقق الكتاب: «إسناده حسن».

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٥١١، مادة: «طبق»، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١١٤، مادة: «طبق»، وابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢١٢، مادة: «طبق»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٢٨٣، مادة: «طبق».

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٨٤، مادة: «لوح».

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص١٩٥، مادة: «لوح».

(٥) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٦٥٣-٦٥٤، مادة: «لوح».

(٦) سورة البروج: الآيتان ٢١-٢٢.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٧٠٩٠.

(٨) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.

رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ ﴾[١] الآية. أي: «التي فيها التوراة وكان حاملاً لها»[٢].

قال رسول الله ﷺ: «ليس الخَبَرُ كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العِجْل فلم يُلْق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[٣].

وقال جل وعَلا: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾[٤] قال الحسن: كانت الألواح من خشب[٥]، وقيل في أصل مادتها أقوالاً مختلفة[٦]، وقد عَلق الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ على هذه الأقوال فقال ما نصه: «واعلم أنه ليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك الألواح، وعلى كيفية تلك الكتابة، فإنْ ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوي، وجب القول به، وإلا وجب السكوت عنه»[٧].

وفي حديث كتاب رسول الله ﷺ الذي أراد أن يكتبه لأصحابه قبل موته، ذكرت بعض رواياته أنه طلب «كتفًا»[٨] ليكتب عليها، والأخرى ذكرت أنه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٢٠٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص١١٤، رقم ٢٤٤٧، وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح»، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب في الخبر والمعاينة، ج١، ص١٥٣. وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح وصححه ابن حبان».

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٤.

(٥) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٥، ص١٧٠، والبغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص١٩٩.

(٦) انظر حول هذه الأقوال: المصادر المذكورة آنفًا ولاحقًا. وانظر أيضًا: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٢١٦.

(٧) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٤، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٨) انظر: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ج٦، ص٢٧٠-٢٧١، رقم ٣١٦٨، وما أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص١٩٧، رقم ٢٦٧٦، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وما أخرجه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص١٢٤، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٠، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٣٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٠، ص٢٦٩.

طلب «كتفًا أو لوحًا»[١] ليكتب على إحداهما، وجاء هذا التخيير بين الكتف واللوح - أيضًا - في حديث نزول الآية القرآنية ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾[٢] الآية المذكورة آنفًا[٣]، ولم يعثر الباحث على سبب هذا التخيير في كلام شُرّاح دواوين الحديث: كالنووي[٤]، والوشاني الأبي[٥]، وابن حجر العسقلاني[٦]، والسنوسي الحسني[٧]، والسيوطي[٨].. إلا أن أحد شُرّاح الحديث من المتأخرين وهو العلامة المباركفوري[٩] ذكر أن «أو» في قوله ﷺ: «ائتوني بالكتف أو اللوح» هي على الظاهر للتنويع، وعلى هذا التعليل فإن اللوح المذكور ليس المقصود به العظم العريض، بل لوح مادته من الخشب، وإلا لم يكن لمعنى «التنويع» الذي ذكره المباركفوري مستند.

وقد استخدمت الألواح كمادة للكتابة - فيما يبدو - منذ العصر الجاهلي، فقد ذُكِرَ أن الـمُخْتَلَفَ في نُبؤته خلد بن سنان العبسي كان قد ترك آثارًا مخطوطة في لَوْحين، أوصى أهله قبل موته بالرجوع إليها إذا أشكل عليهم أمر بعد وفاته[١٠].

وفي فجر الإسلام استَخدم هذه الألواح صبيان الكتاتيب، فقد روي عن عبد ربه

(١) انظر: ما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب من ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، ج٣، ص١٢٥٩، رقم ١٦٣٧، وما أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص٤١٥-٤١٦، رقم ٣٣٣٦. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٠، ص٢٦٨، والذهبي، تاريخ الإسلام: السيرة النبوية، ص٥٨٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٣) انظر: مبحث «الدواة».

(٤) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٣، ص١٢.

(٥) انظر: الأبي، إكمال المعلم، ج٥، ص٦٢٢ - ٦٢٨.

(٦) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٢٧١.

(٧) الأبي، إكمال المعلم، ج٥، ص٦٢٢ - ٦٢٨.

(٨) السيوطي، الديباج، ج٤، ص٢٣١.

(٩) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٥، ص٣١٢.

(١٠) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣١٢.

ابن سليمان بن زيتون، قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي - فيما تعلمني -: تعلموا الحكمة صغاراً؛ تعملوا بها كباراً[1]. وفي رواية: «كتبتْ لي أم الدرداء في لوحي مما تعلمني: اطلبوا العلم صغاراً؛ تعملوا به.. فإن لكل حاصد ما زرع، خيراً كان أم شراً»، فكان أول حديث سمعته[2].. وذكر أن عَبيدة[3] أتاه غلامان بلوحين فيهما كِتاب، يتخايران فقال: إنه حُكْمٌ، وأبَى[4].

وقد مر معنا ما يشير إلى استخدام غلمان الحبشة للألواح في تَعَلمهم.

وقد استُخدمت الألواح للتدريب العلمي وكتابة الآحاديث في عهد الخلافة الراشدة وفي أواخر النصف الأول من القرن الهجري الأول، فقد روي أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كانت معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئاً من فعل رسول الله ﷺ[5]، وفي رواية: «كان ابن عباس يأتي أبا رافع، فيقول: ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا؟ ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها»[6].

وعن الربيع بن سعد، قال: «رأيتُ جابراً[7] يكتب عند عبدالرحمن بن سابط في الألواح»[8]، وقال عبدالله بن محمد بن عقيل: «كنت أذهب أنا وأبا جعفر إلى جابر بن عبدالله ومعنا ألواح صغار نكتبُ فيها الحديث[9]، وقد مر معنا أن مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه.

---

(١) أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، ج١، ص٣٣٤.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٣، ص١٥٤، وج٢٧، ص١٧٦.

(٣) عَبيدة بن عمرو السلماني، تقدمت ترجمته.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٩٤.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٣٧١.

(٦) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٩١-٩٢.

(٧) الصحابي جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري.

(٨) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٠٩.

(٩) الرامهرمزي، المحدث الفاضل، ص٣٧٠ - ٣٧٠، رقم ٣٣٥.

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: «كنت لأكتب عند ابن عباس حتى أملأ ألواحي، ثم أملأ نعلي»[١].

ورُوي عن جامع بن شداد قال: رأيتُ حمّادًا[٢] يكتب عند إبراهيم[٣] في ألواح[٤].. ومما يدل على شيوع الكتابة على الألواح بين طلبة العلم قول الحسن البصري[٥] رحمه الله: «الجائي إلى العالِم بلا ألواح، كالجائي إلى الحرب بغير سلاح»[٦].

ولم يكن «اللوح» كمادة للكتابة هو الأوحد من حيث أصل مادته الخشبية، بل يشاركه ما يعرف بالقتب أو الرحل.

القَتَب:

جمعه «أقتاب» وهو رَحْلٌ صغير على قدر السنام[٧]، وأوضح ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ أصل مادته بقوله: «هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير»[٨]، وقيل: «القَتَبُ للجَمل كالإكاف لغيره»[٩]، وقال ابن منظور رحمه

(١) أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، ص٦١٩.

(٢) حمّاد بن أبي سليمان الكوفي، أصله من أصبهان، روى عن أنس بن مالك، وتفَقَّه بإبراهيم ابن يزيد النخعي، وهو أنبل أصحابه، وأفقهم وأقيسهم وأبصرهم بالمناظرة والرأي (ت ١٢٠هـ). انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٣١ – ٢٣٩.

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (ت ٩٦هـ).

(٤) أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، ج١، ص٦٦٦.

(٥) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكان سيد أهل زمانه علمًا وعملاً. رأى عثمان، وطلحة، والكبار، وروى عن كثير من الصحابة وخلق من التابعين، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٦٣ – ٥٨٨.

(٦) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص٣٥١.

(٧) الجوهري، الصحاح، ج١، ص١٩٨، مادة: «قتب».

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٤.

(٩) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١١، مادة: «قتب».

الله، والزبيدي رحمه الله: «القِتْبُ والقَتَبُ: إكاف البعير»[1]. وقد كان العرب يكتبون في الخشب وعلى هذه الأقتاب حين يضطرون إلى ذلك ولا يجدون ما يكتبون عليه، فقد كتب الجاهليون على الرحل عند الضرورة، وهذا ما نراه في قصة المُرَقِّش الأكبر أحد المتيمين من الشعراء الجاهليين حين أحسَّ بغدر الراعي ورغبته في تركه في كهف في أرض مراد، وكان المُرَقِّش مريضًا، فكتب أبياتًا على مؤخرة رَحْل الراعي الذي يُلقب بالغُفَلي، كان في مطلعها:

يا صاحبيّ تَلَبَّثا لا تعْجَلا إن الرواح رهينٌ ألا تَفْعَلا[2]

وكتب قَيْسَبةُ بن كلثوم السَّكُوني (من ملوك الجاهلية) بالمسند شعرًا على خشبة مؤخرة رَحْل أبي الطمحان القيني مستنجداً بقومه لينقذوه من الأسر جاء في مطلعها:

بَلِّغَا كِنْدَةَ الملوكَ جميعًا حيثُ سارت بالأكرمين الجمالُ[3]

وصح أن الأقتاب من المواد التي استُخدمت لكتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ، وكَتَبَ الصحابي الجليل سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي رضي الله عنه وصيّته في مؤخر رَحْله، وأوصى النبي ﷺ برَحْله وراحِلَته[4]، وكانت مسألة الجَدّ في علم الفرائض التي اختلف فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع زيد بن ثابت رضي الله عنه، كانت مكتوبة على قطعة قتب»[5].

واستمر الرَّحْل مادة من مواد الكتابة في صدر الإسلام عند الضرورة، فقد قال سعيد بن جبير: «كنتُ أسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل، فأكتبه في

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٦٠، مادة: «قتب»، والزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٣٠٣، مادة: «قتب».

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص١٣٩.

(٣) انظر خبر هذه القصة: الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٦-٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦٢٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٦٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦٢٥، وأخرج خبر هذه المسألة الدارقطني في سننه، كتاب الفرائض، ج٤، ص٩٣-٩٤.

واسطة رَحْلي حتى أصبح فأنسخهُ»[١].

ومن أنواع الخشب المستخدم في الكتابة «الرَّوْسَم» وهو عبارة عن خَشَبة فيها كتابة يُختَم بها الطعام[٢]، وقيل: «خشبة مكتوبة بالنَّقر، وفي الأساس: لويح فيه كتابٌ منقور»[٣]، والرواسيم كتبٌ كانت في الجاهلية واحدها رَوْسم[٤]، وأنشد الجوهري لذي الرُّمَّة:

ودِمْنَةٌ هَيجَتْ شوقي مَعَالِمُهَا   كأنها بالهِدَمَلاتِ الرَّواسِيمُ

والهِدَملاتِ: رِمالٌ بالدَّهناء[٥].

العسيب:

العسيب: جمع عُسُب، وهو جريدةٌ من النخل مستقيمةٌ يكشط خوصها، و«العُسُب: بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريدة النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص، والذي ينبت عليه الخوص هو السعف»[٦].

الكُرْنافة:

أصل السعفة الغليظ الملتزق بالجلد، وجمعها كرانيف، وقيل: الكرانيف أصول

---

(١) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٠٢، وأخرج نحوه الدارمي في سننه، باب من رخص في كتابة العلم، ج١، ص١٢٧–١٢٨.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٣٢، مادة: «رسم»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٢٨٩، مادة: «رسم».

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٢٨٩، مادة: «رَسم».

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٤١، مادة: «رَسَمَ».

(٥) الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٣٢، مادة: «رَسَمَ».

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٩٩، مادة: «عسب»، والزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٢٣١، مادة: «عسب»، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٢٣٤، مادة: «عسب»، وابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٤، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص٥١٤.

السَّعْف الغِلاظ العراض التي إذا يَبِسَت صارت أمثال الأكتاف[1].

وقد استخدمت العُسُب كمادة للكتابة منذ العصر الجاهلي، فقد وردت العُسُب ـ كمادة للكتابة ـ في الشعر الجاهلي من ذلك قول لبيد يصف كاتبًا:

مُتَعَوِّدٌ لَحِنٌ يعيدُ بكَفِّه قَلَما على عُسُبٍ ذَبَلْنَ وَبان[2]

وذكر امرؤ القيس العسيبَ ـ كمادة للكتابة ـ في قوله:

لِمَن طللٌ أبصرتُهُ فَشَجَاني كخَطِّ زبورٍ في عسيب يَمَان[3]

وفي عهد الرسول ﷺ ثبت أن القرآن الكريم كُتب ـ فيما كُتب عليه ـ على العسيب[4]، وكتب رسول الله ﷺ لقوم من بني فزارة كتابًا في عسيب في قطيعة وادي القرى[5].

العرجون:

وجمعه عراجين، وهو: العِذق عامة، وقيل: العِذق إذا يبس اعوج[6]، قال ابن الأثير الجزري رحمه الله: «العرجون هو العُود الأصفر الذي فيه شماريخ العِذق»[7]، وقد كتب رسول الله ﷺ إقطاعًا في عرجون لسَنْبَر الإراشي[8].

---

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والآثر، ج٤، ص١٦٨، مادة: «كرنف»، وابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٩٧، مادة: «كرنف»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٤٥٣، مادة: «كرنف».

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة، ص٢٠٦.

(٣) ديوان امرئ القيس، ص٢٣٣.

(٤) سيأتي دليل ذلك.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٤٧٢، وج٣، ص١٥٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٨٤، مادة: «عرجن»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٨، ص٣٧٨، مادة: «عرجن».

(٧) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٢٠٣، مادة: «عرج».

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٦٠.

الجريدة:

وهي السَّعفة، وجمعها جريدٌ. وقيل: سعفة طويلة رطبة[1]. وقد ذكر اليعقوبي - رحمه الله - في روايته الشاذة عن جمع القرآن في عهد أبي بكر أن القرآن «كان مفترقًا في الجريد وغيره...»[2].

وفي الحديث: «كُتِبَ القرآن في جرائد» جمع جريدة[3]، وروى البلاذري - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ أقطَعَ بلالاً [بن الحارث المزني] أرضًا، وكتب ذلك الإقطاع في جريدة[4].

اللَّخْفَةُ:

وجمعها لِخَاف، وهي صفائح الحجارة البيض الرقاق، تتميز بالعرض والدقة، ومما يؤكد أنها مستدقة كونها تستخدم في بعض الأحيان كأداة للذبح، حيث جاء في حديث جارية كعب بن مالك «فأخذت لخافة من حجر فذبحتها بها»، ويتضح من مواصفات هذا النوع من الأحجار صلاحيتها للكتابة بشكل ميسر، لذلك كانت من المواد التي كُتب عليها القرآن في عهد الرسول ﷺ[5].

وقد جمعتْ النصوص الحديثية برواياتها الصحيحة المتعددة بعضًا من المواد المذكورة آنفًا مثل: الأكتاف، والعسب، واللخاف، والحجارة، والأقتاب، والألواح..

---

(1) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص257، مادة: «جرد»، وابن منظور، لسان العرب، ج3، ص118، مادة: «جرد»، والزبيدي، تاج العروس، ج4، ص386، مادة: «جرد».

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص135.

(3) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص257.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج11، ص326.

(5) انظر: الجوهري، الصحاح، ج4، ص 1426، مادة: «لخف»، وابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 315، مادة: «لخف»، والزبيدي، تاج العروس، ج12، ص478، مادة: «لخف»، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص244، مادة: «لخف»، وابن حجر، فتح الباري، ج9، ص14، وابن كثير، فضائل القرآن، ص63، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج8، ص514.

وهي نصوص تتعلق - في جملتها - بجمع القرآن في الزمنين الصدِّيقي والعثماني، برواية القائم على هذين الجمعين الصحابي الكاتب الجليل زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . . وهذه الروايات هي: قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَتَتَبَّعْتُ القرآن أجمعُهُ من الرِّقَاع والأكْتاف والعُسُب . .»[1] الحديث.

«فَتَتَبَّعْتُ القرآن أجمعُهُ من العُسُب واللِّخاف . . .»[2] الحديث.

«فَتَتَبَّعْتُ القرآن أجمعُهُ من العُسُب والرِّقَاع واللخاف . . .»[3] الحديث.

«فَتَتَبَّعْتُ القرآن أجمعُهُ من الرِّقَاع والأكتاف . . .»[4] الحديث.

«فَتَتَبَّعْتُ القرآن أجمعُهُ من الرقاع والسعف والحجارة والرقاق . . .»[5] الحديث.

« . . . فجمعت القرآن أجمعه من الأكتاف والأقتاب والعُسُب . . .»[6] الحديث.

« . . . فاتبعتُ أجمع القرآن من الرقاع والأكتاف والأقتاب والعُسُب . . .»[7] الحديث.

« . . . فكنت أتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب . . .»[8] الحديث.

وعن مصعب بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « . . . فجعل الرجل يأتيه [أي: يأتي عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] باللوح والكتف والعُسُب . . .»[9] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. من الرأفة، ج٨، ص٣٤٤، رقم الحديث ٤٦٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٩، ص١٠، رقم ٤٩٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ما يستحب للكاتب أن يكون أمينًا عاقلاً، ج١٣، ص١٨٣، رقم ٧١٩١.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٧٢-٧٣، رقم ٧١. وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٦٧، رقم ٦٤. وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٦) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص١٧٦-١٧٧، رقم ٢٨، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٧) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص٢٠٩-٢١١، رقم ٧١، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٣٠٧.

(٩) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص٢١٧، رقم ٨٣، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

البَرْدي:

البَـرْدي: بالفتح، نبات معروف(١)، واحدته بَرْديَّة(٢)، وقيل بكسر الباء وضمِّهَا(٣)، وهو نباتٌ مصريٌّ قديم من الفصيلة السَّعْديَّة، وهو من نباتات البيئة المائية، وقد اكتسب هذا النبات أهمية كبرى في استخدامه لصناعة الورق في مصر القديمة(٤).

وقد تكرر ذكر البردي في شعر الجاهليين، ومنه قول الأعشى الكبير ميمون بن قيس يمدح هَوْذة بن علي الحَنَفيّ:

كَبَرْديَّة الغيلِ وَسْطَ الغَريفِ ... إذا خالَطَ منها السُّرُورا(٥)

وجاء هذا البيت في اللسان:

كَبَرْديَّة الغيلِ وَسْطَ الغَريفِ ... ساقَ الرِّصَافُ إليه غديرا(٦)

ورويت القافية: «السَّريرا»(٧).

قال ابن منظور رحمه الله: «وقال في المحكم: السرير ساق البردي»(٨)، وقيل: قُطْنُهُ.. وذكر ابن بَرّي عجز هذا البيت:

«إذا خالط الماء منها السرورا»

وفَسَّرَه فقال: الغِيل بكسر الغين: الغَيْضَة، وهو مَغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. والغَريف: نبت معروف.

(١) الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٤٤٧، مادة: «برد».

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٧، مادة: «برد»، والزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص٣٤٩، مادة: «برد».

(٣) عبدالعزيز الدالي، الخطاطة: الكتابة العربية، ص١١٤.

(٤) حسن مصطفى حسن، نباتات في الشعر العربي، ص٣٩.

(٥) محمد حسين، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ص١٢.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٧، مادة: «برد».

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٤، ص٣٤٩، مادة: «برد».

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٨، مادة: «برد».

قال: «والسرور جمع سُرّ وهو باطن البَرْديَّة».

فقال محقق ديوان الأعشى الدكتور محمد حسين: «الغِيل والغَرِيف واحد: وهو الأجمة والشجر الكثيف الملتف من القصب والحلفاء وكل واد فيه ماء. والسرور: بَطْن ورقة البردي. والبردي: نبات تُصنع منه الحصر. جعل البردية وسط أشجار ملتفة؛ لأن ذلك أدعى لأن تكون طَرِيَّة رطبة لا تنالها حرارة الشمس فتجففها. والمعنى: وحيث تصبح وقد ارتوت كأنها ورقة البردي، تُظلُّها الأشجار وسط الأجمة، فتحميها من حرارة الشمس ولافح الرياح، وقد خالط الماء بطنها فهو بضٌّ رخصٌ رطيب»[1].

وممن ذكر البردي قيس بن الخطيم[2] حيث قال:

تَمْشي على بَرْدِيَّتَينْ غَذَاهما غَدِقٌ بساحة حائر يَعْبُوب[3]

وصدر البيت في «ديوانه»: «تخطو»[4].

قال محمد بن القاسم الأنباري: «معناه: تمشي على ساقين كأنهما بَرْديَّتان في بياضهما، والغَدَقُ: الماء الكثير، والحائر: الموضع الذي يَتَحَّير فيه الماء من كثرته. واليَعْبُوب: الطويل»[5]. وقال ابن السِّكِّيت وغيره: «يعني ساقين كأنهما في بَيَاضِهما واسْتِوائِهما بَرْديَّتان، وهم لا يَستحسنون أن تَعْظُم العَضَلَةُ في

(١) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ص١٢.

(٢) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر جاهلي أوسي، كان قوي الشكيمة، مقرون الحاجبين أدعج العينين، أحمر الشفتين، براق الثنايا، بالغ التأثير على النساء عده ابن سلام من شعراء القرى العربية، أعجب النبي ﷺ بشعره ودعاه للإسلام، لكنه تريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه، وكانت وفاته نحو ٢ ق.هـ. انظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٢٨–٢٣١، والزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٠٥، وياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب، ص٣٣٦، وعفيف عبدالرحمن، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢٨٥.

(٣) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٦٤.

(٤) ناصر الدين الأسد، ديوان قيس بن الخطيم، ص٥٩.

(٥) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٦٤.

السَّاق »[١].

وممن ذكره من الشعراء المخضرمين، الشاعر العَجَّاج عبدالله بن رؤْبة[٢]، حيث ذكر محمد الأنباري هذا البيت في شرحه المسمى « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات »، فقال: « كأنما عظامُها برديٌّ »[٣].

وذكره شاعر الإسلام المخضرم حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصف ساقَيْ امرأة:

ممكُورةُ الساقين، شِبْهُهُما ... بَرْدِيَّتا مُتحيِّرٍ غَمْرِ

قال محقق الديوان: « ممكورة: ممتلئة، بَرْدِيتا: مثنى بردية، مؤنث البَرْدي، المتحير الغَمْر: الماء الكثير »[٤].

وقد أطلق العرب على البردي أسماء كثيرة[٥]، نذكر منها بعض الأسماء التي وردت في شعر الجاهليين والمخضرمين، فمن هذه الأسماء: السَّقيّ، قال الجوهري: « والسَّقيُّ أيضا: البَرْدي، الواحدة سَقِيةٌ، قال عبدالله بن عجلان النهدي[٦]:

---

(١) ناصر الدين الأسد، ديوان قيس بن الخطيم، ص٥٩.

(٢) عبدالله بن رُؤبة بن لبيد السعدي التميمي، أبو الشعثاء، والشعثاء ابنته، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبدالملك، سُمي العجاج لقوله: « حتى يعج عندها من عجعجا ».. يُعدّ هو وابنه رؤبة أفصح رجال الإسلام، وفي آخر حياته فُلج وأقعد، وتوفي سنة ٩٠هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٨٦-٨٧، وياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٦٤.

(٤) ديوان حسان بن ثابت، ص٩٨.

(٥) انظر هذه الأسماء: عبدالعزيز الدالي، البرديات العربية، ص٢٩، وأحمد عيسى، معجم أسماء النبات، عربي-إنكليزي-فرنسي، لاتيني، ص٦٦، ١٨٥.

(٦) عبدالله بن العجلان بن الأحب بن عامر النهدي، من قضاعة، شاعر جاهلي، سيد من سادات قومه، ومن العُشاق المتيمين، في شعره طلاوة وعذوبة قلَّ أن تكون في شعر غير المحبين من الجاهليين. له في « لسان العرب لابن منظور » بيتين اثنين فقط. مات أسفًا على زوجته التي طلقها مكرهاً نحو سنة ٥٠ ق.هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٠٣، وعفيف عبدالرحمن، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢٩٣، وياسين الأيوبي، معجم الشعراء في لسان العرب، ص٢٦٦.

جديدةُ سِربالِ الشباب كأنها   سَقيَّةُ بَرْدي نَمَتْهَا غُيُولَها »[1]

« وسُمِّي كذلك لنباته في الماء أو قريبًا منه »[2].

وقال امرؤ القيس بن حجر الكندي في معلقته المشهورة:

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كالجَديل مُخَصَّرٍ   وسَاقٍ كأُنْبوبِ السَّقِي المُذَلَّلِ

الكَشْحُ: الخصر، وقيل: الجنب، واللطيف: أراد به الصغير الضامر، وقيل: الصغير الحسن، والعرب إذا وصفت الشيء بالحسن جعلته لطيفًا. والجديل: الزمام يُتَّخَذُ من السيور فيجيء حسنًا لينًا يتثنى، أي كشحُها يتثنى، والأنبوب: البَرْديُّ الذي ينبتُ وسط النخل، والسَّقيُّ: النخل الذي يسقى ويقال: السَّقيَّ البَرْدي. والمعنى: أنه شبه ساقها، بَبَردي قد نبت تحت نخل، فالنخل يُظلِّلهُ من الشمس، وذلك أحسن ما يكون منه[3].

ومن هذه الأسماء القِنْصِف: وهو طُوطُ البَرْدي وقيل: هو البَرْديُّ إذا طال[4].

ومنها: الغَرِيف، وقد مَر في شعر الأعشى الكبير، وهو الشجر الكثير الملتف[5].

ومنها: الخَضَد، وهو ما تكَسَّر وتراكم من البردي وسائر العيدان الرَّطبة[6]، قال النابغة الذبياني زياد بن معاوية (شاعر مخضرم):

---

(١) الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢٣٧٩، مادة: « سقى ».

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٩٣، مادة: « سقى »، والزبيدي، تاج العروس، ج١٩، ص٥٣١، مادة: « سقى ».

(٣) انظر هذه الشروح والمعاني: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٦٤، وابن النحَّاس، شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلَّقات، ج١، ص٢٥، والأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج١، ص٣٥، والزَّوزني، شرح المعلقات السبع، ص٣١-٣٢، والخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، ص٦٠-٦١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٩٢، مادة: « قنصف »، والزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٤٤٤، مادة: « قنصف ».

(٥) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٤٠٩، مادة: « غرف ».

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٢، مادة: « خَضَدَ ».

يُمــدُّهُ كلُّ واد مُـتـرعٍ لَـجِبٍ   فيه رُكام من الينبوت والـخَـضَد

قال الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «والخَضد: ما خُضد وتكَسَّر من أعواد الشجر فحمله النهر»(١).

ومن أسماء البَرْدي: «الحَفَا» لأن الأصمعي قال: و«الحَفَا» البرديُّ، مستشهداً بقول ساعدة(٢):

كَذَوَائب الحَفَا الرَّطيب غَطا به   عَيْلٌ ومَدَّ بجانبيه الطُّحْلَبُ(٣)

ومنها: أصل البردي، العُنقر، قال امرؤ القيس:

على خَـبَندي قَـصَبٍ مَـمْكُورٍ   كـعنقـران الحـائر المسكور

وهو هنا يشبه به ساق الجارية(٤).

وقال شاعر الإسلام المخضرم حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخاطباً ابنه حين هَجَى الشاعر النجاشي قيس بن عمرو:

فَجَعَلتنـي غَـرض اللئام، فكُلُّهم   يرمـي بلؤمـه بالـغًا كَمُـقَصِّر

حتى تَضِبَّ لثاتـهم، فَغَدَت بهم   سَوْدَاء، أصل فُرُوعـها كـالعُنْقُر

قال محقق الكتاب: «قوله: تَضِبَّ: تَضِبَّ لثاتهم: تسيل طمعًا في غلبتي، والعُنقر: البَرْدي، أراد أن أصولهم لا ثبات لها»(٥).

«وعلى الرغم من أن البردي ورد ذكره [كما مر معنا] على لسان شعراء العربية منذ العصر الجاهلي، فإنه لم يقم دليل على نموه في بلاد الشعراء الذين أوردوا ذكره؛ لأن أحداً لم يذكر أنه رآه هناك، ولأن علماء النبات قالوا إن هذا النبات من

(١) محمد الطاهر بن عاشور، ديوان النابغة الذبياني.

(٢) يَعتقد الباحث أنه ساعدة بن جُؤيَّة الهُذلي، لأنه لم يُذكر شاعر جاهلي أو مخضرم غيره بهذا الاسم، وهو أحد بني كعب، شاهر جاهلي محسن مخضرم. أسلم ولم تكن له صحبة. انظر: عفيف عبدالرحمن، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص١٤٣.

(٣) الأصمعي، كتاب النبات، ص٢٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٩٣، مادة: «سقى».

(٥) ديوان حسان بن ثابت، ص٩٥.

الفصيلة السعدية التي تنمو في المستنقعات والمياه الضحلة»[١]. بل إن أحد الباحثين المعاصرين[٢] ذهب إلى أبعد من هذا، وهو أن هذا البردي المذكور في الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين ليس هو البردي المعروف الذي ينتمي إلى الفصيلة السعدية، بل هو نبات آخر من الفصيلة التيفية ذو ساق اسطوانية ويعيش في بيئات مشابهة لبيئة البردي المذكور، وعلل ذلك بأسباب ليس هنا مجال الخوض فيها.

وإن كان ما ذكره الباحثان آنفًا ينطبق على العصر الجاهلي فإنه لا ينطبق بطبيعة الحال على عصر فجر الإسلام؛ ذلك أن الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي شملت بلاد الشام ومصر وغيرها من البلاد الزراعية ذات البيئات والمستنقعات المائية، مما يجعل تعرف المسلمين في فجر الإسلام على نبات البردي وغيره من النباتات ذات البيئة المشابهة واستثماره والاستفادة منه أمرًا محتومًا، ويظهر ذلك من قصة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقد تولى إمرة المدائن فقال له حذيفة: «ألا نبني لك مسكنًا يا أبا عبدالله؟ قال: لِمَ تَجْعلُني ملكًا أو تجعل لي بيتًا مثل دارك التي بالمدائن. قال: لا، ولكن نبني لك بيتًا من قصب وتسقفه بالبردي، إذا قمت كاد أن يصيب رأسك، وإذا نمت كاد أن يمس طرفيك. قال: فكأنك في نفسي. قال الراوي: وفي نسخة بالبوري بدل البردي[٣]، والبوري اسم من أسماء البردي.

أما بالنسبة للورق المصنوع من البردي والمستخدم في الكتابة، فقد عرفه العرب من الجاهلية وأطلقوا عليه اسم القرطاس.

القِرْطَاس:

وهو معروف يُتَّخذ من بردي يكون بمصر. القِرْطاس ضربٌ من برود مصر،

(١) عبدالعزيز الدالي، البرديات العربية، ص٢٤.

(٢) حسن مصطفى حسن، نباتات في الشعر العربي، ص٣٩-٤٠.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص٤٣٦-٤٣٧.

والقِرطاس والقُرطاس والقِرْطس والقَرْطاس كله: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها[١]، وكسر القاف أكثر استعمالاً وأشهر من ضمِّها[٢].

وقيل: أن قرطاس مُعَرَّب[٣]، وهي من اليونانية Chartes وتقابلها في اللاتينية[٤] Charta؛ ولذلك قال الإمام المفسر أبو حيَّان الأندلسي: «وهو أعجمي»[٥].. وقد تكرر ذكر القرطاس كصحيفة للكتابة في الشعر الجاهلي، منه بيت مخش العقيلي:

كَأنَّ، بحيثُ استودع الدار أهْلُهَا ... مَخَطَّ زَبور من دَواةٍ وقرطَسِ

فوصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كُتب في قرطاس[٦].

وذُكرت كلمة «القرطاس» بمعنى صحيفة الكتابة في شعر المُرَّار بن سعيد الفَقْعسي[٧] وذلك بقوله:

عَفَتِ المنازلُ غَيْرَ مثل الأنْقُس ... بعد الزَّمانِ عَرَفْتُه بالقِرْطس

قال محمد الأنباري: «يعني الكتاب بالأنقس وهو جمع نقس مثل قِدْح واقدح: شَبَّه آثار المنازل بالكتاب بعدما مضى الزمان عليه، عَرَفْتهُ: أي عرفت الكتاب وإن شئت الرسم، والقِرْطس: يعني قِرْطاساً. وأراد غير مثل الأنقس بالقرطس أي: أنه بينٌ وشبه ما سودوا ودمَّنوا بالرماد وغير ذلك بسواد المداد»[٨].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٧٢، مادة: «قرطس»، وانظر: البغدادي، الكتاب وصفة الدواة، ص٥٠، وابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص٢٥-٢٦.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٤٤٠-٤٤١.

(٣) الخفاجي، شفاء الغليل، ص٢٤٣.

(٤) عبدالعزيز الدالي، البرديات العربية، ط١، ص٣٠.

(٥) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٤٤٠-٤٤١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٧٢، مادة: «قرطس».

(٧) المُرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشتر بن حجوان بن فَقْعس بن طريف، شاعر جاهلي مشهور من بني أسد، كان يهاجي المُساور بن هند، وكان قصيراً مفرط القصر ضئيلاً. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٩٩-٢٠٠، وعفيف عبدالرحمن، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٣٢٨.

(٨) الضبيُّ، ديوان المُفضليات، ص٧٤٣.

ويبدو أن القرطاس كان منتشراً في الشام، يأخذه الروم من مصر(١)؛ ولذلك نسبهُ الشاعر الجاهلي المشهور طَرَفَة بن العبد في معلَّقَتِه إلى الشام، فقال يصف ناقته:

ووجهٌ كَقِرْطاس الشآمي ومِشْفرٌ   كسِّبْت اليماني قَدُّه لم يحرَّد

روي أن كلمة «ووجهٌ» خطأ في هذا البيت. والصواب: «وخَدٌّ».. وهنا شبه الشاعر بياض خدها ببياض القرطاس قبل أن يُكتب فيه، وقيل شَبّه خدها في الانملاس بالقرطاس، وقيل أراد أنه عتيق لا شعر عليه والشَّعر في الخد هُجْنَة، والمراد أنه جعله كالقرطاس لنقائه، وقِصَر شَعْرته. وقوله: «كقرطاس الشآمي» يعني: كقرطاس الرجل الشآمي، فحذف الموصوف اكتفاء بدلالة الصفة عليه، وإنما قال: الشآمي؛ لأن الشأم نحو مصر(٢)، يقال رجل شآم، إذا كان من أهل الشأم، ويمان إذا كان من أهل اليمن، وتهام من أهل تهامة(٣).

ويترجح أن المراد «بالقرطاس هنا ورق البردي لا الجلد؛ لأنه ذكره في مقابل السِّبْت وهو جلد البقرة المدبوغ بالقرظ، فحينما أراد تشبيه خدها شبهه في نقائه وبياضه بالورق، ثم شبه مشافرها بالجلد المدبوغ بالقرظ»(٤).

ويبدو أن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام كانوا يحصلون عليه عن طريق رحلاتهم التجارية المتتابعة إلى بلاد الشام.

وقد جاء ذكر القرطاس في القرآن الكريم مرتين الأولى في قول المولى عز وجل: **﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾**(٥).

(١) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة الإسلامية، ص٢٦٦ (بتصرف).

(٢) قال المحقق عبدالسلام هارون رحمه الله: «أي في نسبة القراطيس إليهما».

(٣) انظر هذه الشروح: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص١٧٤، والنَّحاس، شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات، ج١، ص٦٩، والزَّوزَني، شرح المعلقات السبع، ص٧٨، والخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، ص١١٦.

(٤) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٩٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٧.

وفي هذه الآية لم يقف سادتنا المفسرون - رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة - على كلمة «قرطاس» بشيء يذكر، إلا ما كان من أحدهم بأن «القرطاس اسم لما يكتب عليه... ولا يسمى قرطاسًا إلا إذا كان مكتوبًا عليه»(١)، وقول الآخر بأن المقصود بالقرطاس: «الصحف»(٢).

والآية الثانية في قول المولى عز وجل: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾(٣) قال الطبري رحمه الله: «والمراد منه المكتوب في القراطيس»(٤). وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: «قراطيس: أي أوراقًا وبطاقات»(٥). وقال الفخر الرازي رحمه الله: «أي: يجعلونه ذات قراطيس، أي يودعونه إياها»(٦).

ويذكر المؤرخ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية على أن قوله تعالى: ﴿**تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ**﴾ «أي: طوامير، فإن القرطاس معمول بمصر من لب البردي، يبرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زماننا»(٧)، وقال محمد بن إسحاق النديم - رحمه الله - في معنى كلمة القرطاس: «وكتب أهل مصر في القرطاس المصري، ويعمل من قصب البردي»(٨).

---

(١) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٤٤٠-٤٤١.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١، ص٢٦٦. وانظر تفسير هذه الآية: البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٨٥-٨٦، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص١٦٠، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٠٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١١، ص٥٢٦.

(٥) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٤، ص٥٨١.

(٦) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٣، ص٨٣.

(٧) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص١٣٣.

(٨) النديم، الفهرست، ص٣٣-٣٤.

وقد تكرر التشبيه بالقراطيس في كلام الرسول ﷺ وبعضاً من صحابته رضوان الله تعالى عليهم، ففي حديث الرؤيا التي رآها ﷺ في منامه ووصف فيها حال أهل العذاب وأهل النعيم، تشبيه القراطيس حيث قال ﷺ ـ فيما رواه عنه أبو أمامة الباهلي ـ: « .. ثم انطَلَقْنا فإذا نحن برجال أحسن شيءٍ وَجْهاً وأحسنه لبوساً وأطيبه ريحاً كأنَّ وجُوهَهُمْ القَرَاطِيسُ، قُلْتُ: ما هَؤلاء؟ قال: هَؤلاء الصِّديقون والشُّهَداءُ والصالحون... »[1] الحديث.

وروى ابن عساكر ـ رحمه الله ـ في باب ذكر عروجه ﷺ إلى السماء واجتماعه بجماعة من الأنبياء الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الذي جاء فيه: « ... ثم صعدت إلى السماء السابعة، فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن سَانِدٌ ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال. قلتُ: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه، قال: فَسَلَّمت عليه وسلم عليّ. وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب رمد... »[2] الحديث.

وفي وصف أم هانئ[3] بطن رسول الله ﷺ تَشْبيهٌ بالقراطيس حيث قالت ـ رضي الله عنها ـ: « .. وما رأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرتُ القراطيس المثنية بعضها فوق بعض »[4]، وفي رواية: « كأنه القراطيس المُدرَّجة »[5]، وروى يزيد بن صهيب الفقير الكوفي خبره مع الصحابي جابر بن عبدالله رضي الله عنه ومجلسه الذي

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج٨، ص١٥٥، ١٥٦، رقم ٧٦٦٦. وقال محقق المعجم: « ورواهُ المصنف في مسند الشاميين (١٩٦٦) بهذا الإسناد اللفظ. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٧٧) ورجاله رجال الصحيح ».

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٥١٣.

(٣) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد مناف القرشية الهاشمية، بنت عم النبي ﷺ، وأخت علي بن أبي طالب، أسلمت عام الفتح. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٧، ص٣٩٣.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٧.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٣١١-٣١٢.

كان يُحدث فيه القوم عن رسول الله ﷺ، فقال: «... ثم نعت [أي جابر بن عبدالله] وضع الصراط ومرّ الناس عليه، قال [أي يزيد بن صهيب]: وأخافُ أن لا أكون أحفظ ذلك، قال: غير أنه قال: قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدانُ السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس...»[1] الحديث. وفي رواية: «كأنهم القراطيس البيض»[2].

قال النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث: «قوله: كأنهم القراطيس، القراطيس جمع قرطاس، بكسر القاف وضمها لغتان، وهو الصحيفة التي يُكتب فيها، شَبَّهَهُم بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم، وزوال ما كان عليهم من السواد، والله أعلم»[3].

وجاء في قصة مقتل الفارس الجاهلي دُريد بن الصِّمَّة[4] تشبيه بالقراطيس، حيث رُوِيَ أن قاتله ربيعة بن رُفَيْع بن أهبان السلمي[5] قال بعد أن قتله في غزوة حنين: «لما ضربته ووقع تكشَّف فإذا عجانةُ[6] وبطون فخذيه أبيض كالقرطاس من ركوب الخيل أعراء...»[7].

وعلى الرغم من هذه الأحاديث والآثار إلا أنها لم تذكر القراطيس كمادة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج٣، ص٥٠، رقم ٤٧٢.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص٣٦٨.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٣، ص٤٩.

(٤) دُريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن: شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين سنة ٨هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٣٢٩.

(٥) صحابي، شهد حُنَينًا، وقدم على رسول الله ﷺ في بني تميم. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٢٦٠-٢٦١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٦) العجانة: الاست، وقيل: الدبر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٧٨، مادة: «عجن».

(٧) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٢٦١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٧، ص٢٣٨.

للكتابة، وإنما أشارت إشارات واضحة وقوية إلى اشتهار أمر القراطيس في العهد النبوي والراشدي، والحال التي كانت عليها من الصفاء والنقاء.. ويعاضد ذلك ما أظهره الشاعر الجاهلي في البيت الذي ذكرناه آنفًا من نسبة القراطيس إلى بلاد الشام، ومن أن استجلابه واستيراده من تلك البلاد كان أمرًا واردًا.

أما استخدام القراطيس كمادة للكتابة فقد ظهر بوضوح بما لا يدع مجالاً للشك في العهد الراشدي، وخصوصًا بعد فتح بلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث كانت القراطيس تدخل إليها من بلاد مصر، ومن باب آكد بعد فتح بلاد مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يُصنع فيها لوفرة مادته (نبات البَرْدي) في تلك البلاد.. مما حدا بأحد الباحثين المعاصرين إلى القول بأنه «قد شاعت الكتابة على البرديات العربية في الشام بعد فتح مصر...»(١).

ويؤكد هذا الاستخدام عددٌ من الآثار والشواهد التاريخية، فقد روى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وابن كاتب وحي رسول الله ﷺ وجامع المصاحف في العهدين الصدِّيقي والعثماني خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري(٢)، أن أبا بكر الصديق «كان جمع القرآن في قراطيس...»(٣).

ورُويَ أن الصلح الذي كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل مدينة دمشق كان قد كتبه في قرطاس(٤).

---

(١) قاسم السامرائي، مقدمة في الوثائق الإسلامية، ص٢١.

(٢) أحد الفقهاء السبعة، تابعي، أدرك زمن عثمان رضي الله عنه، روى عن أبيه وغيره من الصحابة، قال عنه الحافظ ابن حجر: «ثقة فقيه»، ولد سنة ٢٩هـ، وتوفي سنة ٩٩هـ. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٤٩-٥٠، وابن حجر، تقريب التهذيب، ص٢٨٣، والزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٩٣.

(٣) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص١٧٨-١٧٩، رقم ٣٠. وقال محقق الكتاب: «رجال إسناده ثقات، لكن سالماً وخارجة لم يسمعا من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يدركا عهده فيكون الإسناد منقطعًا».. انظر: أبو شامة، المرشد الوجيز، ص٥٧، وابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٦.

(٤) قدامة، الخراج، ص٢٩٢.

ولما كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عمرو بن العاص بعد فتحه للإسكندرية أن يحمل طعامًا في البحر إلى المدينة يكفي عامة المسلمين، خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه جُلَّة من أصحاب رسول الله ﷺ لاستقبال هذه المراكب.. «ثم أمرَ زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم، وأمره أن يكتب لهم صكاكًا من قراطيس ثم يختم أسافلها، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك»[١]، ورُويَ أن الأحاديث النبوية التي كتبها عبدالله بن عمرو بن العاص كانت مكتوبة في قراطيس[٢]. ولما ضرب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أهل العراق بَعثًا، وكان أميره سلمان بن ربيعة الباهلي أنشد أحد أفراد البعث وهو أبو الطفيل:

سلمان إن كنت في الأكياس

فاكتب بحاجاتك في قرطاس

إلى ابن عفان أمير الناس[٣]

وكان عكرمة مولى عبدالله بن عباس يكتب ما يسمعه من ابن عباس رضي الله عنهما من علم وحكمة في قراطيس[٤].

وأخيرًا وليس آخرًا، فقد رُوِي أن زيد بن أسلم مولى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما همّ أن يكتب وصيته حين غزا الإسكندرية[٥] في قرطاس[٦].

وقد شاعت الكتابة على القراطيس في عهد معاوية بن أبي سفيان ليس على مستوى دواوين الخلافة والإمارة فحسب، بل على المستوى الشعبي بين الناس، فعلى المستوى الأول اعتمد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البردي (القرطاس) مادة

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٤–١٥٥.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص٤٣٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص ٤٧٢.

(٤) المصدر السابق، ج٤١، ص٤٧٢.

(٥) فتح مصر والإسكندرية كان في أحداث السنة العشرون (الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥١٢).

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٢٩٠–٢٩١.

الكتابة في ديوان الإنشاء بخلافته، وكانت الرسائل بينه وبين العمال والولاة التي تنقل بالبريد تكتب في القراطيس، فتذكر المصادر التاريخية أن مروان بن الحكم عندما أراد الكتابة إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات مرة دعا بالدواة والقرطاس(١)، كما تذكر - أيضاً - أن خبر وفاة معاوية بن أبي سفيان جاء إلى ولده يزيد مكتوبًا في قرطاس عن طريق البريد، وهذا ما يظهر من الأبيات التي نظمها يزيد بن معاوية بعد أن فرغ من دفن أبيه والصلاة عليه والدعاء له، حيث يقول في مطلعها:

جاء البريد بقرطاس يخب به ... فأوجس القلب من قرطاسه فَزِعًا(٢)

ويُروى - أيضًا - أن وصية معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتبتْ في قرطاس، حيث رُوي عن الخليفة الأموي عبدالله بن مروان أنه «دعا مؤدب ولده، فقال: رَوِّ ولدي ما في هذا القرطاس، وإذا فيه وصية معاوية»(٣).

وعلى المستوى الثاني (المستوى الشعبي) فقد كانت حاجيات الناس من الخلافة والإمارة تكتب في القراطيس، فقد رُويَ أن عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص أتى مَيَّةَ مولاة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقرطاس، وقال: فيه حاجة لي فارفعيها إلى أمير المؤمنين، فدفعته إلى معاوية(٤).

وكذلك كتب عبدالله بن صفوان حاجته إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان في قرطاس(٥)، وربما وجد من كتب ودون العلوم في القراطيس وهذا ما يظهر من قول علقمة بن قيس: «ما حفظتُ وأنا شاب، فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة»(٦).

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص١٢٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الرابعة، ج١، ص١٥٢، والطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٦٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص٢٠٧.

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٩٥.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص٢٠٩.

(٦) أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة، ج١، ص٦٥٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص١٨٥.

وهناك بعض الشواهد التاريخية التي لم تصرح بذكر القرطاس كمادة للكتابة، ولكنها تحمل في طياتها مواصفات لمادة من مواد الكتابة في عهد معاوية رضي الله عنه تشعر بأنها القرطاس، ومثلُ ذلك الصحيفة التي بعث بها معاوية رضي الله عنه إلى الحسن ابن علي رضي الله عنهما، وكتب فيها الأخير نص صلحه مع معاوية رضي الله عنه. فقد ذكرت المصادر أنها «صحيفة بيضاء مختومة في أسفلها»(١).

ومن أقوى الأدلة على استخدام القرطاس كمادة للكتابة في العهد الراشدي هو وصول عدد من البرديات (مادة القرطاس) حديثه الاكتشاف إلينا وهي مؤرخة في العهد الراشدي، وهذا ما يفهم من قول صلاح الدين المنجد ـ حفظه الله ـ عندما تكلم عن الكتابات التي وصلت إلينا من عهد الخلفاء ما بين سنة (١١هـ – ٤٠هـ)، فقال ما نصه: «فمنها البرديات أي الكتابات على البردي، وأشهر ما وصل إلينا منها الوثيقة المؤرخة سنة ٢٢هـ/ ٦٤٣م أي في عهد عمر».. ففي قوله «فمنها» وقوله «وأشهر» بصيغة (أفعلْ) إشارة إلى تعدد البرديات التي وصلت إلينا، ثم استمر ـ حفظه الله ـ في وصف هذه البردية، فقال: «وقد كُتبتْ بخط قريب من اللين، وقد حافظت البرديات على هذا الخط المدور دائمًا، وهذه البردية محفوظة في المكتبة الوطنية في أثينا في مجموعة رينر وهي مكتوبة بالخط اليوناني والخط العربي، وكانت وُجِدَتْ في بلدة أهنس في مصر، والحروف العربية متأثرة بالخط المدني، فلا شك أن هذا الخط الذي ظهر في مصر إثر الفتح قد حمله أهل الحجاز الفاتحون، وهذه البردية فيها نقط على بعض الحروف كحرف النون، والشين، والزاي، والذال، والخاء، والحروف مدورة أو أقرب إلى التدوير. ووجود النقط فوق بعض الحروف ذو أهمية كبرى لتأريخ النقط.

ونجد في هذه الوثيقة النص الآتي:

١– بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أخذ عبدالله.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٨٦، ٣٠٠، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص٢٣٦.

٢- ابن جبير واصحبه من الجزر من أهنس أخذنا.
٣- من خليفة تذوق ابن أبو قير الأصغر، ومن
خليفة اصطفن ابن أبو قير الأكبر خمسين شاة
٤- من الجزر. وخمسة عشر شاة أخرى اجزرها
اصحب سفنة وكتبه وثقلاه في
٥- شهر جمدى الأول من سنة اثنتين وعشروين
وكتب ابن حديدة»(١).

وقد أكد يحيى وهيب الجبوري - حفظه الله - على «أن هذه البردية صحيحة لا يرقى إليها الشك، ولا إلى الزمن الذي كُتِبَتْ فيه، وذلك لوجود اسم الصحابي عبدالله بن جبر الأنصاري المدني الذي ذكرته كتب التراجم»(٢)؛ إذْ له ذكر في كتاب «أسد الغابة»(٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»(٤)، و«تهذيب التهذيب»(٥).

ويؤكد قاسم السامرائي - في معرض حديثه عن البرديات الموجودة في العالم اليوم - على تعدد البرديات التي وصلت إلينا من العهد الراشدي، فيقول ما نصه: «... وأن الكثير من هذه الوثائق [أي: البرديات] تمتاز بالقدم التاريخي؛ إذْ هي محصورة ما بين سنة ٢٢ و ٧٨٠ للهجرة»(٦).

وفي ختام مبحث مادة البردي (القرطاس) تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد لاحظ من خلال قراءاته في المصادر أن مصطلحًا جديداً أطلق على البردي (القرطاس) بدأ في الظهور في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري وهو الطُّومار. وسيتطرق الباحث إلى الكلام عنه في الفصل القادم بإذن الله.

(١) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص٣٧.
(٢) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٥٠.
(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص١٩٣-١٩٤.
(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٤٨ (ترجمة جابر بن عتيك بن قيس بن الحارث).
(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص١٠٥-١٠٦.
(٦) قاسم السامرائي، مقدمة في الوثائق الإسلامية، ص٢١.

المُهْرَق:

على الرغم من أن «المُـهْـرَق» وجـمـعـه «مَـهَـارق» كـان من المواد ذات الأصل القماشي المستخدمة في الكتابة في العصر الجاهلي، الأمر الذي أكده مراراً ديوان العرب الشعر الجاهلي، إلا أننا لا نجد ذكراً لهذه المادة في العهد النبوي والراشدي، وهذا مما يثير الدهشة ويبعث على الاستغراب.

وعلى كل حال، فالباحث يفصل القول حول هذه المادة لاشتهارها في عصر ذي صلة بعصر فجر الإسلام، فالمُهْرَق: الصحيفة البيضاء يُكتب فيها، وقيل: المُهرق ثوبٌ حرير أبيض يُسقى الصَّمغ ويُصقل ثم يُكتب فيه وبالفارسية مُهر كَرْد[1]، قال الأصمعي: «المهرق فارسي في الأصل وهو في كلام الفرس (مُهْرْ كَر) أي المصقول»[2].

وقال ـ أيضًا ـ: «المهارق: كرابيسُ كانت تصقل الخرز ويكتب فيها، فأراد (مُهر كرد) أي: صقل به»[3].

وقال الخطيب التبريزي ـ رحمه الله ـ حول (مُهره كَرد) هي: «خرزة يصقلون بها ثيابًا كان الناس يكتبون فيها قبل أن تصنع القراطيس»[4]، وقال الزَّوْزَنّي في صناعة المهارق: «يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئا»[5].

ومما يؤكد أن المهارق فارسية (أعجمية) الصنع قول الشاعر الجاهلي الحارث بن حِلِّزَة اليشكُري:

لِمَن الدِّيارُ عَفَوْن بالحِبْس آياتُها كَمَهَارق الفُرْس[6]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٦٨، مادة: «هرق»، وانظر: الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٥٦٩ مادة: «هرق»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٤٩٥، مادة: «هرق».

(٢) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٣) الضبي، المفضليات، ص٢٦٣.

(٤) الأنباري، شرح القصائد السبع، ص٣٩٣.

(٥) الزّوزني، شرح المعلقات السبع، ص٢٠١.

(٦) الضبي، المفضليات، ص٢٦٣.

وكذلك قول الشاعر الجاهلي شُتَيْم بن خويلد الفزاري:

تسمعُ أصوات كُدْرِيِّ الفراخِ به   مثل الأعاجم تُغْشي الـمُهْرَقَ القَلَما[1]

ولم تكن الكتابة في المهارق ميسورة لكل الناس، لأنها كانت تُجْلَب مع القوافل التجارية من البلاد الأخرى، وكانت غالية الثمن، عزيزة المنال، ولذلك كانوا لا يكتبون بها إلا كل أمر عظيم[2]، وكان الجاحظ ـ رحمه الله ـ يقول: «لا يُقال للكتب مَهارق حتى تكونَ كُتبَ دَيْنٍ أو كتبَ عهودٍ وميثاقٍ وأمان»[3].

وقد ذكر الشعر الجاهلي ما يُكتب في المهارق، من ذلك قول الحارث بن حِلزة في معلَّقته الشهيرة:

واذكْروا حلْفَ ذي المَجَاز وما قُدِّم   فيه العهُودُ والكُفَلاءُ

حَذَرَ الخَوْنِ والتَّعدِّي وهل يَنْقُضُ   ما في المهارق الأهْواءُ[4]

وقوله: «وهل ينقض ما في المهارق الأهواء» معناه: فإن كانت أهواؤكم زيَّنت لكم الغدر والخيانة بعدما تحالفنا وتعاقدنا، فكيف تصنعون بما في الصحف مكتوب عليكم من العهود والمواثيق والبينات، فما علينا وعليكم وذلك لا ينقضه شيء»[5].

ومن ذلك ـ أيضًا ـ قول الأعشى الكبير ميمون بن قيس:

رَبِّي كريمٌ لا يكدِّرُ نعْمةً   وإِذَا يُناشَدُ بالمهَارقِ أنْشَدا

«أنشده: أي أجابه إلى طلبه. وفي البيت إشارة إلى أن هذا الممدوح متدين بأحد الأديان السماوية»[6]، ومعنى ذلك أن ما في المهارق هو من كتب أهل الكتاب.

---

(١) كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق، ص١٠٦.

(٢) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٥٣ (بتصرف).

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٧٠.

(٤) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٥) انظر البيت: الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٦٩.

(٦) محمد حسين، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ص٣٤.

وقد تكرر ذكر المهارق في الشعر الجاهلي، فقد جاء ذكرها في شعر سلامة بن جندل مرتين - على الأقل - وذلك في قوله:

لَبِسَ الرَّوامسُ والجديدُ بلاهما فَتُرِكنَ مثْل المُهرِق الأخْلاقِ(١)

وقوله:

لِمَنْ طَلَلٌ مثْلُ الكِتَابِ المُنمَّقِ خَلا عَهْدُهُ بين الصُّليب فَمُطْرَقِ
أكَبَّ عَلَيْـهِ كَـاتِبٌ بِدَوَاتِه وحادِثُه في العَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ(٢)

وقال الأعشى:

سَلاَ دار لَيْلَى: هَلْ تُبِينُ فتَنطقُ وأنَّى تَرُدُّ القَول بَيْضَاء سَمْلَقُ
وأنَّى تَرُدُّ القَولَ دارٌ كأنَّها لِطُول بِلاها والتَّقادمُ مُهْرَقُ(٣)

وقال الأسود بن يعفر:

سطور يَهُوديَّيْنِ في مُهْرَقَيهِمَا مُجِيْدَيْن منْ تَيْمَاء أو أهْل مَدْيَنِ(٤)

وأخيراً قول حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كَمْ للْمَنَازِلِ مِنْ شَهرٍ وأحْوَال كَمَا تَقَادَمَ عَهْدُ المُهْرَق البَالي(٥)

فكل هذا التكرار لكلمة «مهرق» في الشعر الجاهلي يؤكد إلف عرب الجاهلية لهذه المادة واستخدامهم إياها كمادة للكتابة. ويبقى السؤال المحير قائماً، لماذا اختفى ذكر هذا النوع من الأقمشة كمادة للكتابة في العهد النبوي والراشدي؟.

معالجات أخرى:

ذكر الباحث بعض المعالجات المتعلقة بصناعة الكتابة في فصل أدوات الكتابة،

---

(١) فخر الدين قباوة، ديوان سلامة بن جندل، ص١٣٥. والأخلاق: مفردها خلق وهو البالي.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٥-١٥٦. وجِدَّةُ مُهْرَقِ: الصحيفة المكتوبة الجديدة. والصُّلْيب ومُطْرَق: موضعان.

(٣) الصُّولي، أدب الكُتَّاب، ص١٠٦.

(٤) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٨٢.

(٥) ديوان حسان بن ثابت، ص١٨٩.

وفي ختام هذا الفصل يستعرض الباحث ـ أيضًا ـ عمليتين من العمليات المتعلقة بهذه الصناعة، وهما عمليتا التجليد والتذهيب.

التجليد:

على الرغم من أن العرب في جاهليتهم والصحابة في عهد الرسول ﷺ قد اطلعوا على بعض الأشكال المكتوبة ـ المذكورة آنفًا ـ مثل: السِّفْر، المجلَّة، والدفتر، والضِّمَامة، والطُّنوج التي حملت في خصائصها المادية شيئًا من مواصفات التجليد أو التغليف البدائي، إلا أن ظهور الكتاب الأول في تاريخ الإسلام والمسلمين (القرآن الكريم) بصفة عامة، وفي جمعه الأول والثاني بصفة خاصة، أكبر الأثر في جعل التجليد من الفنون التي احتلَّت الصدارة في تاريخ الحضارة الإسلامية في مجال صناعة الكتابة والكتاب.

ومنذ اليوم الذي اتُّفق فيه على تسمية ما جُمع من القرآن الكريم بالمصحف بدأت عجلة الاهتمام بالتجليد بالتسارع، ففي هذه التسمية دلالة واضحة وقاطعة على ظهور عملية التجليد بمعناها الواسع.

فالمصحف ما سمي مُصْحفًا إلا «لأنه أُصْحف أي جُعل جَامعًا للصُّحف المكْتُوبَة بين الدَّفَّتَين»[1]، «ودَفَّتا المصحف: جانباه وضمامتاه من جانبيه»[2]، «والضِّمامُ بالكسر: ما تَضُمُّ به شيئًا إلى شيء»[3].

ولذلك تعدد الآثار المروية عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم التي تشير إلى المصحف على أنه «ما بين لَوْحَيْن»[4]، أو «ما بين دَفَّتَيْن»، وأول هذه الآثار ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عدد من المصادر أنه قال: «رحم الله أبا بكر،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٨٦، مادة: «صحف».

(٢) المصدر السابق، ج٩، ص١٠٤، مادة: «دفف».

(٣) الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٧٢، مادة: «ضمم».

(٤) قال الباقلاني ـ رحمه الله ـ حول هذا الجمع: «وهذا الذي نختاره لاشتهاره وظهور الأخبار به» (نكت الانتصار، ص٣٥٣).

فهو أول من جمع ما بين اللوحين»، أو «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، كان أوَّل من جمع القرآن بين اللَّوْحَيْن»[١].

وثاني هذه الآثار ما رواه البخاري في «صحيحه»[٢] من أن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لعن اللهُ الواشمات والـمُوتَّشمات...» الحديث فقالت له امرأةٌ من بني أسد يُقال لها أمُّ يعقوب: «لقد قَرَأْتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول».. وثالثها ما روي عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه لما حضرته الوفاة، بكَى تلميذه يزيد[٣] بن عميرة الزبيدي على ما سيفوته من علْم معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأوْصاه معاذ قائلاً: «أتعلم مكانه لمن أرادَ بين لوحَي الـمُصْحَف، فإن أعْيا علَيك تفسيرهُ فاطلبه بعدي عند ثلاثة...»[٤] وذكر له ثلاثةً من أصحاب رسول الله ﷺ، وأوصاه ببعض الوصايا.. ورابع هذه الآثار ما رُوي من أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما نشب الناس في الطعن عليه، استشار أمراءه: سعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية، فقال ابن عامر له: «أعْطهم ما بين لَوْحَي المصحف تُرْض الناس كلهم...»[٥].. وخامسها ما روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه صعد المنبر ذات يوم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «يا أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين

---

(١) انظر: البلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري، ص٥٩-٦٠، والداني، المقنع، ص٢، وابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، ج١، ص١٦٥، رقم ١٤، ١٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٠، ص٣٧٩-٣٨١، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١١٥. وقال الذهبي: «إسناده حسن»، والقلقشندي، مآثر الإناقة، ج١، ص٨٥، والقَرْماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج١، ص٢٧٩.

(٢) كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ ج٨، ص٦٣٠، رقم ٤٨٨٦، وكتاب اللباس، باب المتنمصات، ج١٠، ص٣٧٧، رقم ٥٩٣٩.

(٣) قال ابن حجر: «وقال بعضهم: الحارث بن عميرة ولا يصح قاله البخاري» (تهذيب التهذيب، ج٦، ص٢١٦)، وقال ابن عساكر: «والصواب يزيد بن عميرة» (تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٤٥٨).

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص٤٦٠.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٢١٠.

لوحي المصحف آية تَخْفى عليَّ فيما أُنزلت، ولا أين نزلت، ولا ما عُني بها»[١]..
وآخر هذه الآثار ما روي عن عكرمة تلميذ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لقد فَسَّرتُ ما بين اللوحين»[٢].

هذا بالنسبة لما قيل في (اللوحين)، أما ما قيل في (الدَّفَّتَيْن) فقد روى البخاري في «صحيحه»[٣] عن عبدالعزيز بن رُفيع، قال: «دَخَلْتُ أنا وشداد بن معقل[٤] على ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له شداد بن معقل: أتَركَ النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما تَركَ إلا ما بين الدَّفَّتَيْن. قال: ودخلنا على محمد بن الحنفية، فقال: ما ترك إلا ما بين الدَّفَّتَيْن». قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: إلا ما بين الدَّفَّتَيْن، بالفاء تثنية دَفَّة بفتح أوله وهو اللوح، ورفع في رواية الإسماعيلي بين اللوحين» وقال - أيضًا -: «قوله: باب من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدَّفَّتَيْن، أيْ: ما في المصحف، وليس المراد أنه تَرك القرآن مجموعًا بين الدَّفَّتَيْن؛ لأنَّ ذلك يخالف ما تَقدَّم من جمع أبي بكر ثم عثمان»[٥].

وفي رواية لابن سعد - رحمه الله - عن محمد بن الحنفية أنه قام فخطب فقال: «إنّا والله ما ورثنا من رسول الله ﷺ إلا ما بين هذين اللوحين»[٦]، وأثر آخر رُوي عن رجل له إدراك، وله قصة مع عمر رضي الله عنه ويدعى شريك بن خُبَاشة النمير، فقد روى عنه أنه جعل ورقةً من أوراق الشجر - لها قصة - بين دَفَّتي المصحف[٧].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٣٩٧.

(٢) المصدر السابق، ج٤١، ص٨٩.

(٣) كتاب فضائل القرآن، باب من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدَّفَّتين، ج٩، ص٦٤-٦٥، رقم ٥٠١٩.

(٤) هو الأسدي الكوفي، تابعي كبير من أصحاب ابن مسعود وعلي. ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص٦٥.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص٦٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٠٥.

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣٠٩.

وهناك خبر آخر يبين طريقة التجليد التي تَمَّت في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نقله الزَّرْكشي ـ رحمه الله ـ عن الإمام أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي في كتابه «فهم السنن»، رخص هذا الخبر أنَّ: «كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مُفَرَقًا في الرقاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصدِّيق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشر فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء»[1].

وقد قيل: إن هناك اختلافًا بين العلماء في أن أبا بكر جمع القرآن بين لوحين أو في أوراق متفرقة؛ إذْ وردت الآثار بكل معنى من ذلك[2].

وفَسَّر أحدهم[3] معنى قول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المذكور سابقاً حول جمعه القرآن بين لوحين أن المقصود به القرآن الموجود في عهد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان هذا الرأي عنده أقرب إلى الصواب جمعًا بين الروايات. وقد أكد الباقلاني ـ رحمه الله ـ أن جمع القرآن بين لوحين كان في عهد أبي بكر الصديق مستنداً إلى قول معاذ المذكور سابقاً حين حضرته الوفاة، فقال: «وهذا تصريح منه [أي: من معاذ] أن القرآن بين لوحين وهو وأبو عبيدة [الراوي على أحد الأقوال] وغيرهم معلوم أنهم تُوفوا سنة ثمان عشرة من الهجرة في زمن عمر في طاعون عمواس»[4]. وسواءً كان الجمع بين اللوحين في عهد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو في عهد أيٍّ من الخلفاء الراشدين الآخرين، فإن جميع الآثار السابقة تؤكد: «أن بذور صناعة التجليد العربية وجدت منذ عهد أبي بكر، وأن المصحف هو أول مخطوط عربي جُلِّد بالمعنى الواسع لكلمة التجليد؛ ونقول بالمعنى الواسع لأن لفظ التجليد مشتق من الجلد، ولم تكن الجلود قد استخدمت في التجليد في ذلك التاريخ البعيد، وإنما كانت الصورة الأولى

(١) الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٣٨.

(٢) انظر: أبو شامة، المرشد الوجيز، ص٧٤-٧٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الباقلاني، نكت الانتصار، ص٣٥٤.

للتجليد هي أن يوضع المخطوط بين لوحين من الخشب مثقوبين في مكانين متباعدين من ناحية القاعدة، ويمر بكل ثقب منها خيط رفيع من ليف النخيل يبدأ بأحد اللوحين ثم تخرز به صحف المخطوط حتى ينفذ إلى اللوح الآخر من الناحية المقابلة فيعقد »[1].

وقد عزَا عبدالستار الحلوجي السبب في انفراد المصحف بهذا الشكل إلى « أن القرآن الكريم كان أول نص عربي طويل يُكتب »[2]، ويرى الباحث أن المرحلة الثانية من مراحل تنشيط حركة التجليد بمعناها الواسع بعد جمع المصحف وقبل ظهور المصنفات العلمية الطويلة في القرن الثاني الهجري، هي تأسيس ونشأة الدواوين التي قد سبق الحديث عنها؛ إذْ كانت هذه الدواوين تحوي بين جنباتها مدونات تحمل أسماء عشرات الألوف من أسماء المسلمين وعوائلهم وذراريهم، فلا يعقل أن تكون تلك المدونات على شكل رسائل أو لفافات صغيرة، بل لابد أنها كانت على شكل الكتب والمصاحف المجلدة بالطريقة التي كتب عليها التجليد في ذلك العهد .

التَّذْهيب:

التَّذْهيب هو التَّمْويه بالذَّهَب، ويقال: ذَهَّبْتُ الشيءَ فهو مُذَهَّب إذا طَلَيْتَه بالذَّهب[3]. وقد خلص أحد الباحثين المتخصصين من المعاصرين[4] إلى أن « الشيء الطبيعي أنْ يتأخر ظهور التذهيب في المخطوطات العربية إلى أواخر القرن الثاني على الأقل. . . » معللاً ذلك بكراهية الرعيل الأول من الصحابة وكبار التابعين لهذا النوع من المعالجات وخصوصًا لتعلقها بكتاب الله عز وجل.

ولكن الباحث يرى أن عملية التذهيب للمصاحف كانت تمارَس في العهد

---

(١) عبدالستار الحلوجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري ، ص٢٤٧ .

(٢) المصدر السابق، ص٢٤٨ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١ ، ص٣٩٥ ، مادة: « ذهب » .

(٤) عبدالستار الحلوجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص٢٣٩ .

الراشدي، بصرف النظر عن حجم هذه الممارسة، ودليله على هذا هو نفس دليل القائلين بانعدام هذه الممارسة في ذلك العهد. فالذي يفهمه الباحث من كراهة الصحابة وكبار التابعين لهذا النوع من العمليات في صناعة الكتابة والكتاب هو بداية ظهور هذه العملية ظهوراً يلفت الأنظار ويُثير الانتباه ويستحق صدور الأحكام عن عدد غير قليل من الصحابة وكبار التابعين حول هذا الأمر في زمن كانت فيه وسائل الاتصال والإعلام في أبسط صورها وأشكالها مقارنة بما نحن عليه الآن. ومما يؤكد هذا ما روي عن أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي بإسناد صحيح أنه قال: «مُرّ على عبدالله [أيْ: ابن مسعود (ت ٣٢هـ) رضي الله عنه] بمصحف قد زُيِّنَ بالذهب، فقال: إنَّ أحسن ما زُيِّنَ به المصحف تلاوته في الحق»[(١)]. وفي رواية: «أُتي عبدالله بمصحف قد حُلِّي بذهب، فقال إن أحسن ما زين به تلاوته في الحق...»[(٢)]، ويؤكد ذلك ما ترجمه ابن رشد في «جامع البيان والتحصيل» لصفة مصحف جد الإمام مالك المكتوب على عهد عثمان، قال ابن القاسم وأخرج إلينا أن مالك مصحفاً لجده (أبي عامر الأصبحي المختلف في صحبته)[(٣)]، فحدثنا أنه كتب علي عن عثمان بن عفان فوجدنا حلية من فضة وأغشيته من كسوة الكعبة[(٤)].

---

(١) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، باب تحلية المصاحف بالذهب، ج١، ص٤٩٨، رقم ٤٨٤. وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح»؛ وأخرج نحوه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب ما يكره أن يصنع في المصاحف، ج٤، ص٣٢٣، رقم ٧٩٤٧، وأخرج نحوه أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب التفسير، باب فيمن يقرأ القرآن منكوساً، ج٧، ص١٦٨. وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وأخرجه أبو عُبيْد الهروي في فضائل القرآن، ص٣٩٦.

(٢) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، باب تحلية المصاحف بالذهب، ج١، ص٤٩٨، رقم ٤٨٤. وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح» ص٤٩٧، رقم ٤٨٣.

(٣) ستأتي ترجمته وأنه أحد كُتَّاب المصاحف.

(٤) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص٢٨٨.

ومن النصوص التي ذكرت كراهية الصحابة لتذهيب وتحلية المصاحف ما رُويَ عن أُبَيّ بن كعب[١]، وأبي الدرداء عويمر بن عامر[٢]، وأبي هريرة[٣]، وأبي ذَرّ[٤] ـ باختلاف شكلي يسير ـ: «إذا حَلَّيْتُم مصاحفكم وَزَوَّقْتُم مساجدكم، فعليكم الدبار». وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يكره أن يُحَلَّى المصحف[٥]. وروي عن ابن سيرين أنه كان لا يرى بأساً بأن يُزَيَّن المصحف ويُحَلَّى[٦].

(١) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، باب تحلية المصاحف بالذهب، ج١، ص٤٩٥، رقم ٤٧٤. وقال محقق الكتاب: «إسناده منقطع».

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٤٩٦، رقم ٤٧٦. وقال محقق الكتاب: «إسناده ضعيف». وانظر: أبو عبيد الهروي، فضائل القرآن، ص٣٩٦-٣٩٧.

(٣) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، باب تحلية المصاحف بالذهب، ج١، ص٤٩٦، رقم ٤٧٦. وقال محقق الكتاب: «إسناده غير معروف». وانظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج١، ص٣٨٣.

(٤) انظر: أبو عبيد الهروي، فضائل القرآن، ص٣٩٦.

(٥) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، باب تحلية المصاحف بالذهب، ج١، ص٤٩٩، رقم ٤٨٦. وقال محقق الكتاب: «إسناده صحيح لغيره».

(٦) أبو عبيد الهروي، فضائل القرآن، ص٣٩٧.

الفصل الثالث:

أسماء المدوّنات في النصف الأول من القرن الأول الهجري

كان للمواد التي حملت الإنتاج المدوَّن في ذلك العهد أسماء ومصطلحات متعددة أُطلقت عليها، فكان لِزَامًا على الباحث أنْ يستعرض بعضًا من هذه الأسماء؛ ليقفَ على مدى الاهتمام بهذه المواد المستخدمة في الكتابة، ومن هذه الأسماءِ: الصحيفةُ، والكتابُ، والطومارُ، والسجلُّ، والرقعةُ، والسِّفْر، وغيرها.

الصحيفة:

الصحيفة: الكتاب، وقيل هي التي يكتب فيها(١)؛ ولذلك قيل: «إن الصحيفة هي ظرف المكتوب»(٢)، والجمع صحائف وصحف «ولا يمكن أن تُصرف هذه الكلمة إلى مادة بعينها من مواد الكتابة التي ذكرها الباحث آنفًا، إنما هي لفظة تدل على أي نوع من هذه الأنواع، فقد تكون جلدًا أو نباتًا أو حجرًا أو رَقًّا»(٣).

وقد تكررت هذه الكلمة في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم وفي حديث رسول الله ﷺ، ففي الشعر الجاهلي جاءت في قول طرفة بن العبد:

لينجز لي مواعدَ كاذبات ... بَطيٍّ صحيفةٍ فيها غرورُ(٤)

وفي قوله:

وَرَهنتني هندًا وعِرْضُكَ في ... صُحُفٍ تَلُوحُ كأنَّها خِلَلُ(٥)

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١٣، وابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٨٦، مادة: «صحف»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٣١٥، مادة: «صحف».

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٢، ص٤٢.

(٣) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٥.

(٤) الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد البكري، ص١٥٢.

(٥) محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد، حياته وشعره، ص١.

وفي قول قيس بن الخطيم:

لـمَّـا بَدَتْ نَحْـونا جِـبَـاهُـهُم حَنَّت إلينا الأَرْحَام والصُّحُف[١]

وقد مر معنا عدد من الأبيات في الشعر الجاهلي تذكر كلمة الصحيفة كاسم أطلق على مادة الكتابة، بالإضافة إلى خبر صحيفة المتلمس المشهور في العصر الجاهلي.

ولما جاء الإسلام وبدأ نزول الوحي ذكر القرآن كلمة (صحيفة) بصيغة الجمع ثمان مرات[٢]، جاءت جميعها بمعنى القرآن أو الكتب السماوية السابقة، باستثناء آية واحدة جاءت بمعنى «صحائف الأعمال التي تنشر للحساب»[٣]. وهذا المعنى الأخير جاء في قول المولى عز وجل: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾[٤].

أما الآيات السبع الأخرى فهي قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى**﴾[٥] قال البغوي رحمه الله: ﴿**مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى**﴾، يعني بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية، وقيل: «أو لم يأتهم بيان ما في الصحف الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما...»[٦].. وثانيها في قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾[٧]، «وهي التوراة وصحف

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٢٥.

(٢) انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٤٠٣.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٥٢. وانظر هذا المعنى: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١، ص٧٠، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٧٠٢٥، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١٠، ص٤١٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤١٨.

(٤) سورة التكوير: الآية ١٠.

(٥) سورة طه: الآية ١٣٣.

(٦) البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٢٣٧. وانظر نحو هذا المعنى: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٢، ص١٣٧، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص٤٠١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص١٥٠.

(٧) سورة النجم: الآيتان ٣٦-٣٧.

إبراهيم التي أنزلت عليه»[1] .. وثالثها قوله تعالى: ﴿**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً**﴾[2] «أي يعطي كتبًا مفتوحة»[3]، وقيل «أي: منشورة غير مطوية تقرأ كالكتب التي يُتكاتب بها، أو كُتِبَتْ في السماء نزلت بها الملائكة ساعة كتبت رطبة لم تُطْو بعد»[4].. ورابعها قوله تعالى: ﴿**فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ**﴾[5]، قال ابن كثير رحمه الله: «... جميع القرآن في صحف مكرمة، أي: معظّمة موقّرة»[6]، «وقيل: اللوح المحفوظ، وقيل: صحف الأولياء المنزلة»[7].. وخامسها وسادسها في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾[8].. وسابعها في قوله تعالى: ﴿**رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً**﴾[9] قال البغوي رحمه الله: «صحفًا: كتابًا، يريد ما يتضمنه من المكتوب فيها، وهو القرآن...»[10].

وكما ارتبط مصطلح (الصحيفة) بالقرآن والكتب السماوية، كذلك ارتبط بحديث النبي ﷺ وآثار الصحابة من زاويتين اثنتين:

الأولى: هي تكرر ذكر الصحيفة في حديث رسول الله ﷺ كثيرًا، حتى ذُكرت في الوثيقة التي كتبها ﷺ بين المهاجرين والأنصار واليهود فقط ـ وقد مر ذكرها ـ

---

(١) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١٠، ص٢٣.

(٢) سورة المدثر: الآية ٥٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٦٨٨١.

(٤) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١٠، ص٣٤٠. وانظر: البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٢٠.

(٥) سورة عبس: الآية ١٣.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤١٢.

(٧) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١٠، ص٣٤٠. وانظر نحو هذين التفسيرين: البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٤٤٧، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١، ص٥٨.

(٨) سورة الأعلى: الآيتان ١٨-١٩.

(٩) سورة البينة: الآية ٢.

(١٠) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص٥١٣.

ثماني مرات[1].. وقد مر معنا عدد من الأحاديث والآثار التي ذكرت الصحيفة في مجالات كتابة القرآن، والمكاتبات التشريعية العامة، وغيرها.

والثانية: ما أطلق على مدوَّنات الصحابة لحديث رسول الله ﷺ اسم «صحائف الصحابة»، مثل صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت ٦٣هـ) فقد سماها «الصادقة»، وصحيفة أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها (ت ٤٠هـ)، وصحيفة أنس بن مالك رضي الله عنه (ت ٩٣هـ)، وغيرها كثير من صحف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كانت كلمة (الصحيفة) تطلق على المدوَّنات العلمية بصفة عامة، فقد روي عن سعيد بن جبير أنه قال: «كنتُ أجلس إلى ابن عباس فأكتب في الصحيفة حتى تمتلئ، ثم أقلب نعلي فأكتب فيه»[2].

وتُسفر المصادر عن وجود مراكز بيع خاصة ببيع الصحف في العهد الراشدي، ففي خبر أبي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حول تدوين النحو أن عليًا «أمره فاشترى صحفًا بدرهم، وأَمَلَّ عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى...»[3]، ولما أراد عبدالله بن مرداس رضي الله عنه أن ينسخ صحيفة فيها قصص وقرآن كانت مع رجل من النَّخْع قال لنفسه: «اشتري صحفًا بدرهم»[4]، ويعاضد ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من يشتري

(١) انظر نص الوثيقة: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٩ - ٦٢. وحول تكرار كلمة «الصحيفة» كاسم للمدونات في عهد الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ج٣، ص٢٦٠- ٢٦١، مادة: «صحف».

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخص في كتابة العلم، ج١، ص١٢٨، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٥٧.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٣٤٧.

(٤) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٥٥.

مني علمًا بدرهم»، قال أبو خيثمة (زهير بن حرب البغدادي، أحد رواة هذا الأثر)[١]: «يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم»، قال الحارث (أحد من سمع هذا الأثر من علي رضي الله عنه): «فذهبت فاشتريت صحفًا بدرهم، ثم جئت بها»[٢].. قال الباحث: علاوة على ما ذكره، يظهر في هذا الأثر أمر التدوين العلمي ومدى انتشاره في عهد الخلافة الراشدة.

وقد وصف أحدهم شكل أحد هذه الصحف السائدة في ذلك العصر فقال: «كان علم الحسن [أي البصري] في صحيفة مثل هذه، وعقد عفّان [الواصف] بالإبهامين والسبّابتين»[٣].

قال بكر بن عبدالله أبو زيد: «يعني: بعد إدراجها على صفة عمود»[٤]، وقد تكون هذه الصحيفة من البردي (الطومار) أو من الرقرق أو الأديم.

ويظهر أن الخلفاء الراشدين كانوا يمدون ولاتهم وعُمّالهم على الأمصار بما يحتاجونه من صحف في أعمال ولايتهم، فقد قال حماد بن زيد[٥]: «قرأتُ في بعض كُتب أبي قلابة[٦]: من عمر بن الخطاب إلى أبي موسى، إني قد بعثت إليك مع غاضرة بن سمرة العنبري[٧] بصحفٍ، فإذا أتاك لكذا وكذا فأعطه مائتي درهم، وإن جاءك بعد ذلك فلا تعطه شيئًا، واكتب إليَّ في أي يومٍ قدم عليكم»[٨].

(١) انظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٢٠٦.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٩٠، والرامهرمزي، المحدِّث الفاصل، ص٣٧٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٥٩.

(٤) بكر بن عبدالله أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص٢٥.

(٥) حماد بن زيد بن درهم الأزدي (٩٨هـ - ١٧٩هـ) أحد كبار علماء البصرة في زمانه. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٩-١٠.

(٦) عبدالله بن زيد بن عمر الجرمي البصري، أحد الأعلام، روى عن عدد من الصحابة، تابعي كبير، توفي سنة ١٠٤هـ. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص١٤٠، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص٨٨.

(٧) غاضرة بن سمرة بن عمرو التميمي العنبري، له صحبة وبعثه النبي ﷺ على الصدقات. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٣٢٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٢٤١.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٢٦.

الكِتَاب:

الكِتَابُ: اسمٌ لما كُتِبَ مجموعًا، والكِتَاب: ما كتب فيه[١]، ويطلق أيضًا على الكتب السماوية «وهي لفظة قد تكون أعمّ من الصحيفة، وأكثر شيوعًا فيما نقرأ؛ إذ أنها مصدر كالكتابة، ولكنها أطلقت على الشيء المكتوب حتى كادت لا تنصرف إلا إليه»[٢]، وقد ورد ذكرها كثيراً في الشعر الجاهلي[٣]، من ذلك قول لَقِيط بن يَعْمر الإيادي:

هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... لمن رأى رأيهُ منكم ومن سمعا[٤]

وقال سلامة بن جندل:

لمن طَلَل مثل الكتاب المنمَّق ... خلا عهدهُ بين الصُّليب فمطرق[٥]

وقال زهير بن أبي سلمى:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم[٦]

وقال عَبيد بن الأبرص:

لمن الدَّارُ اقفرت بالجناب ... غير نُؤي ودمنة كالكتاب[٧]

وقال عدي بن زيد العبادي:

تعرفُ أمس من لميس الطلل ... مثل الكتاب الدارس الأحول[٨]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٩٨، مادة: «كتب».

(٢) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٩٤.

(٣) يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٦٤ (بتصرف).

(٤) ديوان لقيط بن يَعْمَر، ص٥١.

(٥) ديوان سلامة بن جندل، ص١٥٥.

(٦) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٢٦٦.

(٧) ديوان عَبيد بن الأبرص، ص٤١. وقال جامع الديوان كرم البستاني: «الجناب: القناء، والناحية، وجبل. والنُؤْي: الحُفير حول الخيمة يمنع السيل. والدِّمْنَة: آثار الدار. وقوله كالكتاب أي: كالصحيفة، أي أنها ممحوة.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١٤٦.

وقال أيضًا:

ناشدتنا بكتاب الله حُرمتنا ... ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ[1]

وقال تميم بن أُبَيّ بن مقبل:

منهن معروف آيات الكتاب وقد ... تعتادُ تكذبُ ليلى ما تُمنينا[2]

ومن شعر فجر الإسلام، قول الوليد الذي بعثه إلى معاوية يستنهضه لقتال علي ابن أبي طالب بعد خروج الأخير إلى (صفين)، فكان مما قاله:

وإنك والكتابَ إلى عليٍّ ... كدابغة وقد حلم الأديم[3]

وفي شعر صدر الإسلام جاء في قول جميل بثينة:

قفرٌ تَلوحُ بذي اللُّجين كَأنها ... أَنْضَاءُ وشْمٍ أو سطور كتاب[4]

ويلاحظ من هذه الأبيات الشعرية الجاهلية عمومية لفظة الكتاب مقارنة بالصحيفة وشموليتها لكثير مما يقرأ، وذلك يتضح في إطلاق الشعراء لفظة الكتاب على الرسائل، والكتب، والكتب السماوية، وكتاب الإنسان المحاسب عليه في الآخرة.

ولما جاء القرآن ذُكرت فيه كلمة (الكتاب) إفرادًا وجمعًا (٢٦١) مرة[5]، شملت عدة معانٍ منها: القرآن، والتوراة والإنجيل، واللوح المحفوظ، وحصاد أعمال الإنسان... إلخ. أما ما جاء فيما أُثِرَ عن الرسول ﷺ وعن أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عنهم حول هذه اللفظة في كتب السنة التسعة، فيربو على الـ (٣٠٠) مرة[6]، وقد مر معنا بعض هذه الأحاديث والآثار.

(١) لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص٤٧٢.

(٢) ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ج٢، ص٨٥٥.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٧٢.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٢٢٤، وج٨، ص١١٢.

(٥) ظهر هذا الرقم بعد أن قام الباحث بجمع الألفاظ المجموعة وغير المجموعة لكلمة (الكتاب) في: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥٩٢ – ٥٩٥.

(٦) انظر: ونسنك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ص ٥٢٨ – ٥٣٧.

الطُّومَار:

هو الصحيفة، وجمعها مَطَامِير(١) وطوامير(٢)، وأغلب ما يطلق على القرطاس (البردي) «والمراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله»(٣).. ويلحظ المتتبع للمصادر التاريخية أن هذا المصطلح الذي أطلق على ذلك النوع من مقاس القرطاس (البردي) قد بدأ في الظهور منذ عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذاع صيته وانتشر في عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحظي باهتمام دواوين الخلافة الرسمية في عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ولذلك قال القلقشندي - رحمه الله - عند ذكره امتناع الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز عن استخدام الطومار لحرصه على بيت مال المسلمين: «وأظنه [أي الطومار] من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان، إذ هو أول من قرر أمور الخلافة ورتب أحوال المُلك...»(٤)، ويعاضد ذلك قول محمد بن عمر المدائني - رحمه الله - في كتاب «القلم والدواة»(٥): «إن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان، وذاك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، وإلى الأمراء من نصف طومار، وإلى العمَّال والكُتَّاب من ثلث، وإلى التجار وأشباههم من ربع، وإلى الحساب والمُسَّاح من سدس.. فهذه مقادير لقطع الورق في القديم، وهي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس»(٦).

وتشهد لما ذكره الباحث آنفًا من مبدأ ظهور مصطلح الطومار، ثم ذيوعه وانتشاره، ثم اهتمام دواوين الخلافة الإسلامية في أواخر النصف الأول من القرن

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٠٣، مادة: «طمر».

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص١٤٦، مادة: «طمر».

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) قال يحيى وهيب الجبوري: «هذا الكتاب من الكتب المفقودة التي لم تصل إلينا». انظر: الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص٢٧٨.

(٦) انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٨٠.

الأول الهجري مجموعةٌ من الأخبار التاريخية، وفي مقدمتها ما ذكره ابن شَبَّة ـ رحمه الله ـ في باب رجوع أهل مصر بعد شخوصهم عند عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنهم رأوا أن كتاب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المزور قد كتب في طومار، حيث قال ما نصه: «انصرف المصريون فلما أتوا على ذي المروة إذا هم بمولى لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باسطٌ سُفرتَه... فإذا على السُّفْرةِ شَنَّةٌ[1] باليةٌ فيها رأس طومار، فنظروا فيه فإذا هم بكتاب من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عامله على مصر: إذا أتاك القوم فافعل وافعل. فأخذوا الطومار، وقالوا: الحمد لله الذي أظهر نيَّته وأظهر منه ما كان يخفي، ارجعوا أيها القوم، فرجعوا فأحاطوا بالدار وائتمروا بقتله، وذكروا الكتاب»[2].

ففي هذا الخبر إشارة إلى ظهور كلمة «الطومار» في ديوان خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وللجمع بين هذا الخبر وبين ظن القلقشندي ـ رحمه الله ـ السابق، وهو أن مبدأ الكتابة على الطومار كان في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن تنظيم استخدامه وترتيبه بالشكل الذي رواه محمد بن عمر المدائني ونقله القلقشندي كان في عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي خبر يشير إلى استخدام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الطوامير في عهد إمارته على دمشق، وقبل تولّيه الخلافة، وذلك عقب مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبَيْعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كتب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاباً «فلما ورد الكتاب على معاوية دعا بطومار لا كتاب فيه ثم كتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقط، ثم طواه وختم عليه وكتبَ عنوانه: من معاوية إلى علي بن أبي طالب، وبعث به مع رجل من عبس يقال له يزيد بن الحرّ...»[3]، وزاد الطبري رحمه الله: «فقال (أي معاوية للرجل العبسي): إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول..»[4]، وفي

---

(١) الشنَّةُ: الخَلَق من كل آنية صنعت من جلد، وجمعها شنان، وقيل: القربة الخَلَق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٤١.

(٢) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة المنورة، ج٤، ص١١٤٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٣.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٤. وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٢٦٧.

رواية للدينوري ـ رحمه الله ـ أن معاوية «أمر بطومارين فَوَصَلَ أحدهما بالآخر، لُفًّا ولم يكتب فيها شيئًا إلا بسم الله الرحمن الرحيم، وكَتَبَ على العنوان: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب»(١).

وفي خبر آخر يؤكد هذا الاستخدام المبكر في نفس عام حدوث الخبر السابق وهو عام ٣٦هـ، وحيث دعا معاوية شداد بن قيس كاتبه ـ بعد أن وصلته أبيات الوليد بن عقبة بن أبي معيط يستحثّه فيها على لقاء علي بن أبي طالب ـ وقال: ابْغني طومارًا، فأخذ القلم فكتب، فقال: لا تعجل، اكتب:

ومُستعجبٍ مما يَرَى من أناتِنَا ... ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرمْرَمِ

ثم قال: اطو الطومار، فأرسل به إلى الوليد، فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت(٢).

أما ما يشهد لانتشار الطومار بين عامة الناس، وعدم اقتصاره على دواوين الخلافة في ذلك العهد، فهو خبر لحاق عبدالله بن عمر رضي الله عنه بالحسين بن علي رضي الله عنه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة، وقد كان غائبًا في مال له ساعة خروج الحسين ابن علي رضي الله عنه، «فقال له: أين تريد؟ قال: العراق. وأخرج إليه كُتُبًا وطوامير، قال: هذه كتبهم وبيعتهم...»(٣)، أي: كتب أهل العراق وبيعتهم. وفي رواية: «وإذا معه طوامير كتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم»(٤).

ويذكر ابن عساكر(٥) وابن حجر العسقلاني(٦) رحمهما الله أن أحداً من الصحابة أحدث طريقة تَطْويريَّة في استخدام الطومار، فكان الصحابي أبو ريحانة

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٧١-٧٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص٤٢٩.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٣١٠-٣١١.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٠٢.

(٥) المصدر السابق، ج٢٣، ص١٩٨.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٢٩٠.

شمعون الأزدي[١] «أول من طوى الطومار وكتبَ فيه مدرجاً مقلوبًا»، قال بكر بن عبدالله أبو زيد مُعَلقًا: «فهذا يفيد بدء ثَنْي الورقةِ على وجهين متقابلين»[٢]، «والمراد بالدرج في العُرْف العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، وهو في عُرْف الزمان عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة لا غير»[٣]، وغالبًا ما تشير كلمتا الطومار والدرج إلى شيء مستطيل مُدَوَّر[٤].

---

(١) شمعون بن زيد بن خَتَافة، أبو ريحانة الأزدي، حليف الأنصار، ويقال: الأنصاري، ويقال القرشي، والأصح أنه أزدي وهو حليف حضرموت، ويقال: شمغون بالغين المعجمة، مشهور بكنيته، له صحبة مع رسول الله ﷺ، ويقال: إنه والد ريحانة سرية رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ أحاديث.. وروى عنه عددٌ من التابعين، وهو ممن شهد فتح دمشق واتخذ بها داراً، وسكن بعد ذلك ببيت المقدس وكان مرابطًا بعسقلان.. ونص ابن عبدالبر، وابن الأثير الجزري رحمهما الله على أن اسم والده «يزيد بن خنافة» على غير ما قاله ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - فيما ذكره الباحث في بداية هذه الترجمة، وقال ابن عبدالبر: «كان من الفضلاء الأخيار النجباء الزاهدين في الدنيا الراجين ما عند الله، نزل الشام روى عنه الشاميون» وقال ابن الأثير الجزري: «كان من صالحي الصحابة وعُبّادهم».. قلتُ: كانت له كرامات ذكرها ابن عساكر في تاريخه، وانفرد ابن حجر العسقلاني بقوله: «وكانت له صحف»، وعقّب محمد مصطفى الأعظمي على هذا بقوله: «وكان يخيط صحفه».. ولم يقف الباحث على هذا القول في المصادر الملحقة بهذه الترجمة، إنما المذكور هو ما نص عليه ابن حجر: «ركب أبو ريحانة البحر، وكانت له صحف، وكان يخيط فسقطت إبرته في البحر...»، وابن عساكر لم يذكر في هذه القصة خبر هذه الصحف على الإطلاق بله خياطتها. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٧١١-٧١٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٩٣ - ٢٠٤، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٦٣٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٢٨٩ - ٢٩١، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٥١٠، وابن حجر، تقريب التهذيب، ص٤٤٠، ومحمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي، ج١، ص١١٢، وج٢، ص٣٧٥.

(٢) بكر بن عبدالله أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص٢٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص١٧٣.

(٤) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي، ج٢، ص٣٧٥.

وفي «صحيح مسلم»[١] عن سفيان بن عيينة عن هشام بن حجر عن طاووس[٢] (ت ١٠٦هـ) رحمه الله، قال: «أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء عليٍّ رضي الله عنه فمحاهُ إلا قدر، وأشار سفيان بن عيينة بذراعه».

قال الإمام النووي رحمه الله: «وقوله في الرواية: فمحاه إلا قدر وأشار سفيان ابن عيينة بذراعه... معناه: محاه إلا قدر ذراع، والظاهر أن هذا الكتاب كان درجًا مستطيلاً، والله أعلم»[٣]، وما استظهره الإمام النووي رحمه الله «ظاهرٌ ووجيه، فقد جاءت بعض الروايات تُفيد أن الصحيفة الواحدة ليس حجمها كالمعروف في وقتنا، بل هي على هيئة درج مستطيل، قد يبلغ الأذرع»[٤].

ومما سبق، يَخلص الباحث إلى الأمور الآتية:

١- أطلق مصطلح الطومار على ورقة البردي (القرطاس) منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتنظيم أمره في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

٢- أنّ ظَن القلقشندي - رحمه الله - من أن أمر الطومار قد رتبه ونظمه معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أقرب إلى الصواب - إن لم يكن هو الصواب بعينه - مما نص عليه الجهشياري - رحمه الله - من أن «الوليد [بن عبدالملك][٥] أول من كتب من الخلفاء في الطوامير...»[٦]؛ إذ تدعم الشواهد التاريخية التي ذكرها الباحث ظن القلقشندي، وتُضعف قول الجهشياري.

---

(١) المقدمة، ج١، ص٤٠، رقم ٢٣.

(٢) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، من أكابر التابعين. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٢٤.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١، ص٤٢.

(٤) بكر بن عبدالله أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص٢٥.

(٥) الخليفة، أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية، توفي سنة ٩٦هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٧ - ٣٤٨.

(٦) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٤٧.

٣- شيوع استخدام كلمة الطومار في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، مما يؤكد انتشار استخدام القرطاس (البردي) كمادة للكتابة.

السِّجِلّ:

السِّجِلّ: كتاب العهد ونحوه، والجمع سجلات[١]، ولذلك قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: «هو مخصوص من الصحف بصحيفة العهد»[٢]، وتُطلق كلمة «السجل» بصفة عامة على «الكتاب الكبير»، كما ورد عند أهل الحديث[٣].

ولم يقف الباحث على ذكر لهذه الكلمة بهذا المعنى في الشعر الجاهلي، وقد وردت كلمة السِّجِلّ في القرآن الكريم مرة واحدة فقط[٤] في قول المولى عز وجل: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[٥].

وقد ذكر المفسرون عدة معان لكلمة «السجل» منها: أن السجل ملكٌ يكتب أعمال العباد، ومنها أن السِّجِل هو: الرَّجُل، أو الرجل بالحبشة[٦]، ومنها أن «السِّجِل كاتبٌ كان للنبي ﷺ»[٧] إلا أن الأكثرين من المفسرين على أن السِّجِل: الصحيفة، و«للكتب» أي: لأجل ما كُتِب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها[٨].

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٢٦، مادة: «سجل»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٤، ص٣٣٤، مادة: «سجل».

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص٤٧١.

(٣) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٣٤٤، والمباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص٣٧٦.

(٤) انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٣٤٥.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٦) انظر ذكر هذه المعاني: البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٢٧١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣٢، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٢، ص٢٢٨، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص٤٧١-٤٧٢.

(٧) أصل هذا المعنى حديث بهذا اللفظ أخرجه أبو داود في سننه برواية عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، كتاب الخراج والفيئ والإمارة، باب في اتخاذ الكاتب، ج٨، ص١٢٢، رقم ٢٩٣٣.

(٨) البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٢٧١.

قال أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمه الله: « ... والسجِل هو الكتاب المكتوب، واللام في قوله (للكتب) بمعنى « على » والمعنى: نطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب، كقوله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[1] وقول الشاعر:

* فَخَرَّ صريعًا لليدين والفم *

أي على اليدين وعلى الفم، والله أعلم »[2]. وقال إسماعيل بن كثير رحمه الله: « والصحيح عن ابن عباس: أن السجل هي الصحيفة، قاله علي بن أبي طلحة[3]، والعوفي عنه، ونص على ذلك مجاهد[4] وقتادة[5] وغير واحد، واختاره ابن جرير[6]؛ لأنه المعروف في اللغة.. فعلى هذا يكون معنى الكلام: يوم نطوي السماء كطي السِّجل للكتاب، أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[7] أي على الجبين، وله نظائر في اللغة، والله أعلم »[8].

أما الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بأن « السجل كاتبٌ كان للنبي ﷺ »، فقد أنكره عدد من كبار المحدثين والعلماء « وصرح جماعة من الحُفَّاظ

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٣.

(٢) عون المعبود، ج٨، ص١٢٢.

(٣) علي بن أبي طلحة سالم، مولى بني العباس، سكن حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره، وأخذ التفسير عن مجاهد، توفي سنة ١٤٣هـ. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص٢٠٤-٢٠٥، وابن حجر، تقريب التهذيب، ص٦٩٨.

(٤) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، توفي سنة ١٠٢هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٤٩.

(٥) قتادة بن دعامة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، مولده سنة ستين، كان من أوعية العلم، توفي سنة ١١٧هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٦٩.

(٦) إذ قال: « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع: الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب.. ». انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٨، ص٥٤٤.

(٧) سورة الصافات: الآية ١٠٣.

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص١٧٤.

بوضعه، وإن كان في سنن أبي داود»[١]، رغم أن عدداً من مصنفي تراجم الصحابة ذكروه في أسماء الصحابة كابن منده[٢]، وأبي نعيم الأصبهاني[٣]، وابن الأثير في «أسد الغابة»[٤]، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق»[٥]، وابن حجر في «الإصابة»[٦]، وما ذكروه - على حد تعبير ابن كثير - إلا «إحساناً للظن بهذا الحديث، أو تعليقاً على صحته»[٧]، وكان اعتمادهم «على هذا الحديث لا على غيره»[٨]، وممن أنكره من العلماء محمد بن جرير الطبري[٩].

وكذلك محمد الفخر الرازي - رحمه الله - حيث قال في تعليقه على هذا الأثر: «وهذا بعيد؛ لأن كُتَّاب رسول الله ﷺ كانوا معروفين، وليس فيهم من سمِّي بهذا»[١٠].

وكذلك ممن أنكره أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمه الله، فيما رواه عنه تلميذه ابن القيم الجوزية - رحمه الله - حيث قال: «سمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول: هذا الحديث موضوع، ولا يعرف لرسول الله ﷺ كاتب اسمه السجل قط، وليس في الصحابة من اسمه السجل، وكُتَّاب النبي ﷺ معروفون لم يكن فيهم من يقال له السجل، قال: والآية مكية، ولم يكن لرسول الله ﷺ كاتب بمكة»[١١].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص١٧٤.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٢.

(٣) المصدر السابق، ج٥، ص٣٦٢.

(٤) ج٢، ص٤٠٧، وفيه: «سجل كاتب النبي ﷺ، مجهول».

(٥) ج٤، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٦) ج٣، ص٢٨-٢٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٢.

(٨) المصدر السابق، ج٣، ص١٧٤.

(٩) إذْ قال: «... ولا يُعرَف لنبينا ﷺ كاتب اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه».
انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٨، ص٥٤٤.

(١٠) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٢، ص٢٢٨.

(١١) عون المعبود، ج٨، ص١٢٢.

ومن أنكره يوسف بن عبدالرحمن المِزِّي فيما رواه عنه تلميذه ابن كثير - رحمه الله - حيث قال: «وقد عرضتُ هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جداً، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول: هو حديث موضوع، وإن كان في سنن أبي داود، فقال شيخنا المزي: وأنا أقوله»(١)، وقد فَصَّل ابن كثير - رحمه الله - القول في إثبات نكارة هذا الحديث في كتابيه المشهورين: «تفسير القرآن العظيم»(٢) و«البداية والنهاية»(٣).

ومما سبق يظهر بوضوح أنَّ «السِّجِل» اسم من أسماء المدونات في العهد النبوي والراشدي، ويعاضد ذلك الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: أَلَكَ عُذرٌ أو حسنة؟ فيبهتُ الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بَلَى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقةٌ فيها «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقلُ شيء بسم الله الرحمن الرحيم»(٤).

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦١.

(٢) ج٣، ص١٧٤.

(٣) ج٥، ص٣٦١-٣٦٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص٤٣٦ - ٤٣٨، رقم ٦٩٩٤. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرج نحوه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، ج٢، ص١٤٣٧، رقم ٤٣٠٠، وأخرج نحوه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ج٧، ص٣٧٥-٣٧٦، رقم ٢٦٣٩، وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير و التهليل والتسبيح والذكر، ج١، ص٧١٠-٧١١، رقم ١٩٣٧.

ويُعاضد ذلك - أيضًا - بعض الشواهد التاريخية، فقد رُوِي أن معاوية بن أبي سفيان أرسل إلى قيس بن سعد (من أنصار علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بسجلٍ قد ختم عليه في أسفله، وقال له: اكتب في هذا السجل ما شئت، فهو لك»[1].

وكتب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سجلاً بينه وبين الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واشترط الأخير فيه شروطًا[2]. ورُوِي أن سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحَة[3] إذا أتاه سائلٌ فلم يك عنده ما سأل، قال: «اكْتُب عليَّ بمسألتك سجلاً إلى أيام يُسري»[4].

الصَّك:

الصَّكُّ: الكتاب، وجمعه أصُكّ وصُكُوكٌ وصِكَاك، وكانت الأرزاق تُسمى صِكاكًا؛ لأنها كانت تخرج مكتوبة.. وقيل: الصكُّ الذي يكتب للعهدة[5]. والصكُّ: فارسي معرب أصله جِكّ، «وهو بالفارسية: كتاب القاضي»[6].

ويظهر ارتباط «الصك» في فجر الإسلام بمدونات الأرزاق والأموال في بعض الشواهد التاريخية المتعلقة بذلك العهد، ثم أُطْلِقَت بعد ذلك على كل «مكتوب يُكتب فيه إقرارُ المقر؛ لأنه إذا قُرِئَ عليه فقال: نعم، ساغت الشهادة عليه به، وإن لم يتلفظ هو بما فيه، فكذلك إذا قرئ على العالم فأقرَّ به صحَّ أن يروى عنه»[7].

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٦٨.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٣، ص٢٧٢.

(٣) صحابي، أموي، قرشي، من الأمراء والولاة الفاتحين. ولد في سنة ٣ من الهجرة، وربي في حجر عمر بن الخطاب، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، وولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، توفي على الصحيح سنة ٥٩هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٤٤ - ٤٤٩، والزركلي، الأعلام، ج٣، ص٩٦-٩٧.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٤٥٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص١٣١، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٤٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٤٥٧، مادة: «صكك»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٦٠٠، مادة: «صكك».

(٦) الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٩٧.

(٧) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص١٤٩.

فقد روى سليمان بن يسار، عن أبي هريرة أنه قال لمروان: «أحْلَلْت بيع الربا؟ فقال مروان: ما فعلتُ. فقال أبو هريرة: أحْلَلْتَ بيع الصكَاك، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام حتى يُسْتَوفَى! قال: فخطب مروان الناس، فنهى عن بيعها»(١).

قال النووي رحمه الله: «الصكاك جمع صك، وهو: الورقة المكتوبة بدَين، ويُجْمَع أيضًا على صُكُوك، والمراد هنا: الورقة التي تخرج من ولي الأمر بالرزق لمستحقه، بأن يكتب فيها للإنسان كذا وكذا من طعام، أو غيره، فيبيع صاحبها ذلك لإنسان قبل أن يقبضه»(٢).

وفي «الموطأ»(٣) عن مالك أنه بلغه أن صكوكًا خرجت للناس في زمان مروان ابن الحكم من طعام الجار، فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها، فدخل زيد بن ثابت ورجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على مروان بن الحكم، فقالا: أتحلُّ بيع الربا يا مروان؟ فقال: أعوذ بالله، وما ذاك؟ فقالا: هذه الصكوك تبايعها الناس ثم باعوها قبل أن يستوفوها، فبعث مروان الحَرَس يتبعونها، ينزعونها من أيدي الناس ويردنُّها إلى أهلها.

قال ابن الأثير الجزري رحمه الله، معلقًا على حديث الصكاك هذا: «هي جمع صَكٍّ، وهو الكتاب، وذلك أن الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتبًا فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها تَعُجُّلاً، ويُعطون المشتري الصَّك ليمضي يقبضه، فَنُهوا عن ذلك لأنه بيع ما لم يقبض»(٤).

وهناك شواهد تاريخية أخرى تشير إلى أن «الصَّك» اسم من أسماء بعض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب بطلان بيع المبيع قبل القبض، ج١، ص٤١١-٤١٢، رقم ٣٨٢٧، وأخرج - نحوه - أحمد في مسنده، ج٨، ص٢٩٠-٢٩١، رقم ٨٣٤٧، وص٣٥٨، رقم ٨٥٧٣.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٠، ص٤١٢.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب البيوع، باب بيع العينة وما يشبهها، ج٢، ص٦٤١، رقم ٤٤.

(٤) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٤٣، مادة: «صكك».

المدونات في فجر الإسلام، فقد جاء في خبر وضع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للتاريخ الهجري أنه رُفع إليه صَكٌّ مَحَلّه في شعبان، فقال عمر: «أي شعبان الذي هو آت؟ أو الذي نحن فيه؟» ثم كان ما كان من وضع التاريخ الهجري[1].

وروى بكار بن محمد فقال: «مكاتبة أنس بن مالك سيرين الصك في صحيفة حمراء عندنا: هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه سيرين، هكذا في الكتاب، كاتبه على عشرة آلاف درهم وعشرة وصفاء في كل ستة ألف درهم ووصيف. قال بكار: الطينة التي فيها الخاتم وسط الصحيفة والكتاب حولها»[2].

وقد مر معنا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وصلت سفن الطعام من مصر أمر زيد ابن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن «يكتب لهم صكاكًا من قراطيس ثم يختم أسافلها، فكان أو من صك وختم أسفل الصكاك»[3]، وروي عن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4] أنه «باع مالاً من معاوية بتسعين ألفًا، فأمر مناديًا فنادى في أهل المدينة: من أراد القرض فليأت منزل سعد، فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز بالباقي، وكتب على من أقرضه صكًا، فمرض مرضًا قلَّ عواده. فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر: يا قريبة لمَ ترين قَلَّ عُوَّادي؟ قالت: للذي لك عليهم من الدَيْن، فأرسل إلى كلِّ رجل بصكه»[5].

ورُوِيَ أنه لَمَّا احْتُضر سعيد بن العاص قال لابنه: انظروا في دَيْني، فوجدوه تسعين ألف دينار منها سبعون ألفًا لمن سأله الرفد والصِّلة، فإذا هو قد كتب بذلك

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٢٠.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٤–١٥٥.

(٤) من فضلاء الصحابة، وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سادتهم، توفي سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة ستين. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٤٠٥.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٤١٨.

أجمعَ على نفسه صكاكًا، فحول ابنه تلك الصكاك على نفسه وقضاها[١]. ورُوي أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أجاز المنذر بن الزبير[٢] بألف ألف درهم، واقطعه قطائعًا، فقال مصعب بن عثمان: «فادركت صكًا في كتب محمد بن المنذر بمئتي ألف درهم بقية ذلك المال»[٣].

ويظهر أن معاملات بيت المال كانت تقوم على هذه الصكوك؛ فقد رَوَى شقيق ابن سلمة[٤]: «استعملَني زياد على بيت المال، فأتاني رجل بصكٍّ: أعط صاحب المطبخ ثمان مئة درهم...»[٥].

وسُئل إبراهيم[٦] عن بيع البُرِّ بالصَّك، فكان يراه جائزًا إن نوى، وإن لم ينو لم يرجع على صاحبه[٧]. وسئل الشعبي عن الرجل يشتري الصَّك بالبر، قال: هو غُررٌ له قيمة متاعه بالنقد. وقال الثوري: وكان ابن أبي ليلى يقول: إذا جمع بينه

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٥٠. وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص١٤١.

(٢) المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد، أبو عثمان القرشي الأسدي، أمه أسماء (ذات النطاقين) بنت أبي بكر، وفد على معاوية، وغزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية، ولد سنة ٣٣هـ وتوفي سنة ٧٣هـ وعمره ٤٠ سنة. انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٥، ص٢٤٧.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٥، ص٢٤٨.

(٤) شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي، أدرك النبي ﷺ، ولم يسمع عنه، وهو صاحب عبدالله بن مسعود، روى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، توفي سنة تسع وتسعين.. وقال ابن منده: «وهذا وهم، أبا وائل لم يبق إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله». وقيل: توفي سنة ٨٢هـ. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٦٣٦-٦٣٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٥٢-١٨٤.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمسق، ج٢٣، ص١٧٩.

(٦) إبراهيم بن يزيد بن قيس.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب هل يباع بالصك له على الرجل بيعًا، ج٨، ص١٠٨، رقم ١٤٥٠٤.

وبين صاحبه فأقر بما في الصك فهو جائز[١].

ومما سبق يظهر - أيضًا - مدى تأثير العامل المالي على حركة صناعة الكتابة والكِتَاب في النصف الأول من القرن الأول الهجري، ويتمثل هنا في استحداث أسماء جديدة لمدونات مالية واقتصادية.

السِّفْر:

السِّفْرُ بالكسر: الكِتَاب، وقيل هو الكتاب الكبير، وقيل: هو جزء من التوراة والجمع أسفار[٢]؛ لذلك لما أراد الله جل في علاه أن يضرب مثلاً لليهود لـمَّا تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ، قال عز من قائل: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٣]. قال القرطبي رحمه الله: «هي جمع سِفْر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يُسفر عن المعنى إذا قُرئ»[٤]، وقد استخدم الرسول الكريم ﷺ ضرب هذا المثل فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت.. ليس له جمعة»[٥].

والسافر في الأصل الكاتب، والسَّفَرة: الكتبة[٦]، قال المولى عز وجل: ﴿**بِأَيْدِي**

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب هل يباع بالصك له على الرجل بيعًا، ج٨، ص١٠٨، رقم ١٤٥٠٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٧٠، مادة: «سفر»، والزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٥٢٨، مادة: «سفر».

(٣) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٥٧٣. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٦٤.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج٢، ص٤٩٤، رقم ٢٠٢٣.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٧٠، مادة: «سفر»، والزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٥٢٨، مادة: «سفر».

سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1] «أي الملائكة الذي جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله، فهم بررة لم يتدنسوا بمعصية»[2]، وقيل: «هم القراء»[3]، وقيل: «الكَتَبَة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد في الأسفار»[4].

وقد كان هذا الاسم «السِّفْر» يتردد كثيراً بين أهل الكتاب في الجاهلية وفجر الإسلام؛ لأنه ارتبط بكتبهم، فيروى عن أبي سفيان بن حرب أنه قال: «خرجتُ أنا وأميَّة بن أبي الصَّلْت [وكان قد تَنَصَّر] تجاراً إلى الشام، قال: فَكُلَّما نزلنا منزلاً أخرج أُميَّة سِفْراً يقرأه علينا...»[5].

ورُوي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «بَعَثَني رسول الله ﷺ إلى اليمن فإني لأخطب يوماً على الناس وحبر من أحبار اليهود واقف في يده سِفْر ينظر فيه، فنادى إليَّ فقال: صِفْ لنا أبا القاسم. فوصفه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي..»[6]. وذُكر أن رسول الله ﷺ خرج يمشي بين أبي بكر وعمر، فمرَّ بيهودي ومعه سفر فيه التوراة يقرؤها على ابن أخ له مريض بين يديه، فدار حديث بينه وبين رسول الله ﷺ[7]. ورُويَ عن حصين بن أبي الحر العنبري أنه دخل على عامر بن عبد قيس، فإذا هو جالس إلى كعب [كعب الأحبار] وبينهما سِفْرٌ من أسْفار التوراة وكعب يقرأ، فإذا مرَّ على الشيء يعجبه فسره له...»[8].

---

(١) سورة عبس: الآيتان ١٥-١٦.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٧٠٧.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٧١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٧٠٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص١٤٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤١٢- ٤١٣.

(٧) المصدر السابق، ج١، ص١٨٥.

(٨) المصدر السابق، ج١، ص١١٠.

ومما يُشير إلى اشتهار كلمة «السفر» - كاسم من أسماء المدونات - وشيوع تداولها بين الصحابة وخصوصًا في إطلاقه على الكتب السماوية، ما رُوِيَ من أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن جمع القرآن قال: «التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر...»[1] ثم كرهوا ذلك، وأجمع رأيهم على أن يسموه مصحفًا.

ويختم الباحث هذا الفصل بذكر بعض أسماء المدونات التي هي دون مثيلاتها المذكورة آنفاً من حيث التداول والشيوع إلا أن المصادر قد أشارت إليها، ومن هذه الأسماء:

المجلة:

الصحيفة فيها الحكمة، وكل كتاب عند العرب مجلة[2]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا أنشد شعر أمية قال: مَجَلَّة ابن الصَّلْت.. وقال ابن الأعرابي: قلتُ لأعرابي: ما المجلة وفي يدي كراسة؟ فقال: التي في يدك. والجلُّ ما يغطى به المصحف، ثم سمي المصحف مجلة[3].

وقد ذكر المجلة النابغة الذبياني يمدح الغساسنة فقال:

مَـجَلَّتُـهُـم ذَاتُ الإله ودِينُهُـم قَويمٌ فَمَا يَرْجُونَ غير العواقِبِ[4]

قال ابن منظور رحمه الله: «يريد الصحيفة؛ لأنهم كانوا نصارى فعَنى الإنجيل»[5].

ويروى أن سُوَيْد بن صامت - أخا بني عمرو بن عوف - قدم مكة حاجًا أو معتمرًا - قبل هجرة الرسول ﷺ - فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله

(١) أبو شامة، المرشد الوجيز، ص٦٤، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص١٤٩.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٦٥٨، مادة: «جلل».

(٣) الزبيدي: تاج العروس، ج١٤، ص١١٦، مادة: «جلل».

(٤) موسوعة الشعر العربي: القسم الأول، الفهرس الهجائي لأوائل الأبيات، ج٣، ص٣٧٥، وانظر: علي فاعور، ديوان النابغة الذبياني، ص١٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١٢٠، مادة: «جلل».

وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعلَّ الذي معك مثل الذي معي! فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مَجَلَّةُ لقمان ـ يعني حكمة لقمان ـ(١)، فعرضها على الرسول ﷺ ثم عرض عليه الإسلام ودعا إليه «وهذه المجلة بالذات ذكرها وهب بن منبه(٢) قال أنه قرأ منها الكثير»(٣).

ورَوَى أحدهم: كُنَّا إذا أتينا أنس بن مالك وكَثَّرْنا عليه، أخرج إلينا مَجَالّ [جمع مجلة] من كُتبٍ. فقال: هذه كُتُبٌ سمعتُها من رسول الله ﷺ وقرأناها عليه»(٤).

الكُرَّاسة:

تكَرَّس الشيءُ وتكارَسَ: تراكمَ وتلازَبَ، والكُرَّاسة من الكتب سُمِّيَتْ بذلك لتكرُّسها، والكُرَّاسة واحدة الكُرَّاس والكَرارِيس(٥).

ورُوِي عن إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي(٦): أنه كره بيعها وشراءها [أي المصاحف]، قال: وما فرغ علقمة(٧) من مصحفه حتى بعثه إلى أصحابه، الكراسة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج، ص٣٧، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٥٧، وابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٢٨٩، مادة: «جلل».

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني الذماري أبو عبدالله الأبناوي، مؤرخ، كثير الأخبار، عالم بالأساطير ولا سيما الإسرائيليات، يُعدُّ في التابعين، روى عن عدد من الصحابة، روي عنه أنه قرأ بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء، ولد سنة ٣٤هـ، وتوفي سنة ١١٠هـ. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص١٠٥، والزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) قاسم السامرائي، مقدمة في الوثائق الإسلامية، ص١٠.

(٤) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٩٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٩٣، مادة: «كرس»، والزبيدي، تاج العروس، ج٨، ص٤٤٢، مادة: «كرس».

(٦) أبو عمران الكوفي الفقيه، روى عن كبار التابعين، ورأى عائشة رضي الله عنها رؤيا، وكان مفتي أهل الكوفة، وكان رجلاً صالحًا فقيهًا متوقيًا قليل التكلف، مات وهو مختف من الحجاج ابن يوسف الثقفي. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص١٧٦.

(٧) علقمة بن قيس النخعي الكوفي.

والكراستين والورقة والورقتين[١]. ورُوِيَ عنه - أيضًا - أنه كان يكره الحديث في الكراريس، ويقول: يشبه المصاحف[٢]. وعن مجاهد[٣] أنه كره أن يكتب العلم في الكراريس[٤].

الدَّفْتر:

وقد تُكْسَر، واحد الدَّفاتر، ويعني: جماعة الصحف المضمومة[٥]، وفي «شفاء الغليل»: «الدفاتر: عربي صحيح، وإن لم يُعرَف اشتقاقه»[٦]، وقد جاء ذكر «الدَّفْتر» في قصة ديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال مخاطبًا قومه بني عَدِي: «أردتم الأكل على ظهري لأن أُذهب حسناتي لكم، لا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن أُطْبِق عليكم الدفتر، يعني: ولو تُكتَبوا آخر الناس»[٧].

البِطَاقة:

بالكسر: رُقيعة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر، ويقال: سُمّيت بذلك لأنها تُشد بطاقة من هدب الثوب[٨]، وقيل: هي الورقة[٩]، وقال ابن الأثير

---

(١) أخرج ابن أبي داود السجستاني في المصاحف، باب بيع المصحف وشراؤه، ج٢، ص٥٥٠، رقم ٥٩٤، وقال محقق الكتاب: «إسناده حسن لغيره».

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص١٢١.

(٣) مجاهد بن جبر، المكي أبو الحجاج المخزومي المقري مولى السائب بن أبي السائب، مكي، تابعي، ثقة، روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادلة الأربعة وعدد من كبار الصحابة، كان من أعلم الناس بالتفسير، مات بين ١٠٠هـ - ١٠٣هـ وهو ساجد. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٣٥١-٣٥٢.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، ج١، ص١٢١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٨٩، مادة: «دفتر»، والزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٤٠٨، مادة: «دفتر».

(٦) الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٤٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٥، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٧٠.

(٨) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٤٥٠، مادة: «بطق».

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢١، مادة: «بطق»، والزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٤١، مادة: «بطق».

الجزري رحمه الله: «البطاقة: رقعة صغيرة يُثبَّت فيها مقدار ما يجعل فيه، إن كان عينًا فوزنه أو عدده، وإن كان متاعًا فثمنه، وقيل: سُمِّيت بذلك لأنها تشد بطاقة الثوب، فتكون الباء حينئذ زائدة، وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر»(١).

وقد جاء ذِكر «البطاقة» في حديث السجلات، وفيه: «فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، ورُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه «قال لامرأة سألته عن مسألة: اكتبيها في بطاقة» قال ابن الأثير الجزري رحمه الله: «أي: رقعة صغيرة»(٢). وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد جريان نيل مصر كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه برسالة في «بطاقة»، فألقى عمرو البطاقة في النيل فأجراه الله ستة عشر ذراعًا(٣).

الضِّمَامة:

الإضمامةُ من الكتب: الإضبارة(٤)، والجمع الأضاميم، يقال: جاء فلان بإضمامة من كتب(٥). وقد جاء في حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر صاحب رسول الله ﷺ ما رواه الوليد بن عبادة الصامت، قال: «خرجتُ أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبو اليسر صاحب رسول الله ﷺ ومعه غلامٌ معه ضمامةٌ من صحف»(٦).. الحديث.

---

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٣٦، مادة: «بطق».

(٣) انظر نص الرسالة وخبر هذه البطاقة: ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص٢٦٤-٢٦٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٤٤، ص٣٣٧، والقَرْمَاني، أخبار الدول وآثار الأُول، ج١، ص٢٨٨.

(٤) قال الصولي رحمه الله: «وأضبرت وضبرت كتبت إضبارة كتب، وجمعها أضابير، وكذلك إضمامة وجمعها أضاميم، مثل إضبارة وجمعها أضابير». انظر: الصولي، أدب الكُتَّاب، ص١٧٤.

(٥) الجوهري، الصحاح، ج٥، ص١٩٧٢، مادة: «ضمم»، وابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٣٥٨، مادة: «ضمم»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٧، ص٤٣٠، مادة: «ضمم».

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر، ج٤، ص٢٣٠١-٢٣٠٢، رقم ٣٠٠٦.

قال النووي رحمه الله: «قوله: ضمامة صحف، هي بكسر الضاد المعجمة، أي: رزمة يُضَمّ بعضها إلى بعض، هكذا وقع في جميع نسخ مسلم ضمامة، وكذا نقله القاضي [أي: القاضي عياض] عن جميع النسخ. قال القاضي: وقال بعض شيوخنا: صوابه إِضمامة، بكسر الهمزة قبل الضاد. قال القاضي: ولا يبعد عندي صحة ما جاءت به الرواية هنا كما قالوا: صنارة، وإِصنارة لجماعة ا لكتب، ولفافة لما يلف فيه الشيء، هذا كلام القاضي»(١)، وذكر صاحب «نهاية الغريب» أن «الضمامة لغة في الإِضمامة، والمشهور في اللغة إِضمامة بالألف»(٢).

وعلاوة على ما يظهر في هذا الحديث من اسم من أسماء المدونات في ذلك العهد؛ فإنه يشير إلى قوة الصلة بين العامل المالي وبين صناعة الكِتَابة والكِتَاب في ذلك العهد، حيث يظهر ذلك في نهاية الحديث إذ أن هذه «الضمامة» كان أبو اليسر يدون فيها من كان عليه دَيْنٌ له.

السبورة:

ومن أسماء المدونات في ذلك العهد السبورة: وهي الألواح من الساج يكتب فيها التذاكير(٣)، وقيل هي كَتنُّومة: جريدة الألواح من ساج يُكتْب عليها التذاكير، فإذا استغنوا عنها محوها(٤). وقد روى سلم العلوي قال: «رأيتُ أَبَانَ يكتب عند أنس في سبورة»(٥)، وفي الحديث أو الأثر «لا بأس أن يصلي الرجل وفي كمّه سبورة»(٦).

الطُّنُوج:

ومن هذه الأسماء: الطُّنُوج، وهي : الكراريس، والأصل في الطنوج: الصنوف

---

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٨، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١٠١، مادة: «ضمم».

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٤١، مادة: «سبر».

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص٤٩٣، مادة: «سبر».

(٥) أخرجه الدارمي في سننه، باب من رخص في كتابة العلم، ج١، ص١٢٧.

(٦) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٣٣٤، مادة: «سبر».

والفنون(١)، وقد حكى عثمان بن جني ـ رحمه الله ـ بسنده عن حماد الراوية رحمه الله أنه قال: «أمر النعمان(٢) فَنُسخت له أشعار العرب في الطنوج، يعني الكراريس، فكُتب له ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة»(٣).

القصة:

ومنها القصة، حيث روي أن شُرَيْحًا جاءه رجل بقصة، فأبى أن يقبلها وقال: لا أقرأ الصحف(٤). قال ابن منظور: «القِصَص بكسر القاف: جمع القِصَّة التي تُكتب»(٥).

الرُّقْعَة:

ما رُقعَ به، وجمعها رُقَعٌ ورقاعٌ، والرُّقعة: واحدة الرقاع التي تُكتَب(٦). وقد جاء في إحدى روايات حديث جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ كما مر معنا ـ على لسان جامعه زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما نصه: «فتتبعتُ القرآن أجمعهُ من الرقاع والأكتاف والعُسب وصدور الرجال...»(٧)، قال ابن حجر

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣١٧، مادة: «طنج»، والزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص٤٢٦، مادة: «طنج».

(٢) أحد ملوك الجاهلية.

(٣) ابن جني، الخصائص، ج١، ص٣٨٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٣٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٧٤، مادة: «قصص».

(٦) المصدر السابق، ج٨، ص١٣١، مادة: «رقع»، والزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص١٧٢، مادة: «رقع».

(٧) هذه الرواية التي جاء فيها ذكر «الرقاع» أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ من الرأفة، ج٨، ص٣٤٤، رقم ٤٦٧٩، وأخرجه البخاري ـ أيضاً ـ في صحيحه في كتاب الأحكام، باب ما يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، ج١٣، ص١٨٣، رقم ٧١٩١، وأخرجها الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة «التوبة»، ج٨، ص٤٣٣ - ٤٣٧، رقم ٣١٠٣، وأخرجها أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٧٢-٧٣، رقم ٧١. وقال المحقق: «إسناده=

رحمه الله: «من الرقاع جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد»[1]، وتبعه في هذا الشرح المباركفوري[2] رحمه الله.

وكذلك جاء في حديث الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن رسول الله ﷺ «أمر عامرَ بن فُهَيْرة فَكَتَب في رقعة من أدم...»[3]، وجاء في حديث «الغُلُول»[4] قول رسول الله ﷺ: «أو على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملكُ لك شيئًا قد أبلغتك»[5]. قال ابن حجر رحمه الله: «وقوله: رقاع تخفق، أي: تَتَقَعْقع وتضطرب إذا حركتها الرياح»[6].. وقال الحميدي: «المراد بها: ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع»[7]، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الأمور المالية كانت مجالاً من مجالات التدوين والتوثيق.

وقد مر معنا قول زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَيْنَا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرِّقاع، إذْ قال: طُوبَى للشام، قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه»[8].

= صحيح»، وأخرجها ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، ج١، ص٢٠٩-٢١١، رقم ٧١، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٤.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٨، ص٤٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج٧، ص٢٣٨-٢٣٩، رقم ٣٩٠٦.

(٤) الغُلُول: بضم المعجمة واللام، أي: الخيانة في المغنم؛ وسمي بذلك لأن آخذه يغله في متاعه أي يخفيه فيه. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٨٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد باب الغُلُول...، ج٦، ص١٨٥، رقم ٣٠٧٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغُلول، ج١٢، ص٤٢٠-٤٢١، رقم ٤٧١١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج٩، ص٢٣٠، رقم ٩٤٧١. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٨٦.

(٧) وكذلك ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٢٥١، مادة: «رقع».

(٨) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٦، ص٣٨، رقم ٢١٤٩٩. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».



الفصل الرابع:
أوعية حفظ المدوّنات في النصف الأول من القرن الأول الهجري

لا شك في أنَّ الإنتاج المدوّن في ذلك العهد كان يَحْظى بحفظ وعناية القائمين عليه والمهتمين به وصيانته من عوامل التَّلف والفناء، فكان لا بُدَّ من استخدام أوعية لحفظ هذه المدوَّنات، وفي هذا الفصل يَسْتَعرض الباحث أهم هذه الأوعية مثل: الصندوق، وبطن السيف، والرَّبعة، والحقيبة أو العَيْبة، والجونة أو الجؤنة، والقصبة، وغيرها.

الصُّنْدُوق:

وهو: الجُوالق[١]، ويُجمع صناديق، وهي بالصاد[٢]. والجوالق: بكسر اللام وفتحها: «وعاء من الأوعية المعروفة»[٣]، والصندوق من أهم الأوعية التي استخدمت لحفظ الوثائق والكتب والمدوَّنات في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

فقد رُوي أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت ٦٣هـ) كان يحفظ مدوناته من حديث رسول الله ﷺ في «صندوق له حَلَق»[٤] وفي رواية: «وله طُخُم[٥] [أي: حَلَق]». ورُوي أن عثمان بن عفان لما جمع المصاحف في عهده في مصحف واحد، جمع المصاحف الأخرى المكتوبة في مواد شَتَّى «وجمع ذلك كله في صندوق»[٦]، ثم طلب المشورة من أصحابه في إحراقها أو دفنها وَرَوَى أحدهم فقال: «أخبرت أنهم لما قتلوا عثمان بن عفان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقًا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٠٧، مادة: «صندق»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٢٧٨، مادة: «صندق».

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٥٠٦، مادة: «صندق».

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٦، مادة: «جلق».

(٤) خبر هذا الصندوق في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص٢٠٢-٢٠٤، رقم ٦٦٤٥. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٥) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص٤٣١-٤٣٢.

(٦) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٣، ص١٠٠٣.

مقفلاً ففتحوه»[1]، فإذا فيه وصيته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي قصة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع عامله على المدينة سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحة سعيد بن العاص ما يؤكد اهتمام الرعيل الأول بالوثائق والمدونات الرسمية وحفظها في أماكن خاصة بها ومنها «الصندوق»، فقد رَوَى ابن عساكر بسنده «كان معاوية يولي المدينة مروان بن الحكم سنة وسعيد بن العاص سنة، فَلَمَّا كان في ولاية سعيد كتب إليه معاوية: بلغني أن مروان ابتنى داراً، وأنه خرج في الطريق، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدم داره. فقال سعيد: يا جارية خُذي هذا الكتاب فضعيه في الصندوق، فلم يزل يكتب إليه في ولايته تيك، ويأمر باحتفاظ الكتب...»[2].

ورُوي أن عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يحتفظ بكتب فيها العلم والحكمة في صندوق خاص، فقد رَوَى الفاكهي - رحمه الله - بسنده: «لما قُتل ابن الزبير - رضي الله عنهما - دخل الحجاج بن يوسف منزله، فوجد فيما وجد صندوقًا صغيراً عليه سبعة أقفال...، فأمر بالصندوق فَفُتح، فإذا فيه ورقٌ أصفر ملفوف في خرْقَة، فقرأ فإذا فيه: إذا كان الشتاء قيظًا، وفاض اللِّئامُ فيضًا، وغاض الكرامُ غيضًا، وصار البغيض إلْفًا، والحديث خُلْفًا، فعشر شُويهات عُفْر، في جبل وعُسْر، خير من ملك بني النضر، حدثني ذاكم كعب الحبر»[3].. وعلاوة على ما تشير إليه هذه القصة من اهتمام بحفظ المدونات في وعاء خاص بها كالصندوق مثلاً، فإنها تُسْفر عن حرص أولئك النفر في ذلكم العهد على تدوين العلوم والحكم؛ مما ساعد على نشاط حركة الكتابة والكتاب وصناعتها في ذلك العهد.

ويظهر أن المصاحف الموجودة في المسجد النبوي كانت تُحْفَظ في صناديق خاصة بها منذ عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى العهود اللاحقة لخلافته، فقد روى مالك

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٤٤١.

(٢) المصدر السابق، ج٢١، ص١٢٧.

(٣) الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص٣٧٦. وانظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٣٠١-٣٠٢، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص١٦٨.

ابن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، وكان في صندوق عن يمين الأسطوان التي عُملت عَلَمًا على مقام النبي ﷺ، وكان يُفْتَح يوم الخميس والجمعة فنقرأ فيه بعد صلاة الصبح»[١].

ومما يُلْحق بالصندوق ما يُعرَف باسم «التَّابوت» وهو الصندوق من خشب ونحوه[٢]، وقد ذُكِرَ في القرآن مرتين[٣]، الأولى في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[٤] الآية، والثانية في قوله تعالى موصيًا أم موسى عليه الصلاة والسلام ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾[٥] الآية.

وفي الحديث الذي رواه كُرَيْب بن أبي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وكان ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً...»..
قال كُرَيْب: «وسبعٌ في التابوت»[٦]. قال ابن حجر رحمه الله: «قال ابن الجوزي: يريد: التابوت الصندوق، أي: سبع مكتوبة في صندوق عنده لم يحفظها في ذلك الوقت، قلتُ: [أي ابن حجر]: ويؤيده ما وقع عند أبي عوانة من طريق أبي حذيفة عن الثوري بسند حديث الباب قال كُرَيْب: وستة عندي مكتوبات في التابوت، ... وحكى ابن التين عن الداودي أن معنى قوله: «في التابوت»، أي: في صحيفة في تابوت عند بعض ولد العباس»[٧] انتهى كلام ابن حجر. ويرى الباحث أن مما يُعاضد قول ابن الجوزي وابن حجر رحمهما الله في معنى التابوت، هو احتفاظ كُرَيْب

(١) ابن النجار، الدرة الثمينة، ص١٦٦.

(٢) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير الطبري، ج٢، ص٣٧.

(٣) انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص١٤٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

(٥) سورة طه: الآية ٣٩.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل، ج١١، ص١١٦، رقم ٦٣١٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ج٦، ص٢٨٦-٢٨٧، رقم ١٧٨٥، وأخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص٣٧٣، رقم ٣١٩٤.

(٧) ابن حجر، فتح الباري، ج١١، ص١١٧-١١٨.

(راوي الحديث السابق عن ابن عباس) بعدل بعيد من كتب ابن عباس رضي الله عنهما، فلا شك أنه كان يحتفظ بها في مثل هذا التابوت أو نظيره من الصناديق.

وعلى المستوى الرسمي فقد « كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده »(١)، فهذا يدل أنهم كانوا يعتنون بجمع المكاتيب الرسمية أو نظائرها(٢)، ويُعدُّ هذا التابوت « أول خزانة للوثائق في الإسلام »(٣)، وكان التابوت أو الصندوق أحد أهم الأوعية التي أسهمت في نجاح هذه الغاية.. ويُرْوَى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله عن الصيام، فقال: « لأحدثنك بحديث كان عندي في التخت مخزونًا... »(٤)، ثم ذكر له الحديث.

ويُعرَف التَّخْت بأنه: « وعاء تُصان فيه الثياب، فارسي، وقد تكلمت به العرب »(٥). يُسفر هذا الآثر - أيضًا - عن أنه كان عند عبدالله بن عباس مدونات علمية يسجلها ويحتفظ بها.

بطن السيف:

وهو بمعنى: جَفْن السيف، قِرَاب السيف، قائم السيف، مُعَلَّقًا بالسيف. وكلها بمعنى غِمْد السيف، إذ أن غمد السيف هو: « غلاف السيف »(٦)، وجَفَّن السيف: غمده(٧)، وقراب السيف: هو وعاء يكون فيه السيف بِغمْده وحمَالته(٨). وقال ابن الأثير الجزري رحمه الله: « هو شبه الجراب من أدم، يَطْرَح فيه الراكب

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٧٤، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص١٢٦.

(٢) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج٢، ص٢٥٤.

(٣) قاسم السامرائي، مقدمة في الوثائق الإسلامية، ص٣٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص٤٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٨، مادة: « تخت »، والزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص٢٦، مادة: « تخت ».

(٦) الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٥١٧، مادة: « غمد ».

(٧) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٢٨٠، مادة: « جفن »، وابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٨٩، مادة: « جفن »، والزبيدي، تاج العروس، ج١٨، ص١١٠، مادة: « جفن ».

(٨) الجوهري، الصحاح، ج١، ص٢٠٠، مادة: « قرب ».

سيفه بغمده وسوطه»[1]. فمن هذه التعريفات يظهر أن القراب أشمل من الجفن؛ لأن الجفن يحوي السيف فقط، بينما القراب يحوي السيف بغمده ومستلزمات أخرى. ومن أشهر المدونات التي حفظت في بطن السيف، أو عُلقِّت به، كتاب الصدقة الذي كتبه رسول الله ﷺ ثم «قرنه بسيفه»[2]، قال المباركفوري رحمه الله: «فقرنه بسيفه: أي كتب كتاب الصدقة فقرنه بسيفه لإرادة أن يخرجه إلى عُمَّاله»[3]. وقد مر معنا ما رواه الطبري ـ رحمه الله ـ في أحداث السنة الثانية من أن رسول الله ﷺ كتب المعاقل (الديات) فكان معلَّقًا بسيفه، وقد روي أنه وُجِدَتْ مع قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفة مربوطة: «إن أشد الناس على الله عداءً القاتل غير قاتله والضارب غير ضاربه، ومن جحد نعمة مواليه فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ»[4].

كذلك فإن من المُدَونات الشهيرة التي حُفظت في مثل هذا الوعاء صحيفة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وقد مر ذكرها، فقد ذُكر أنها كانت مُعلَّقة بسيفه[5]، ورُوي أنها كانت في «قراب سيفه»[6]، وروي أنها كانت في «جفن سيفه»[7].

---

(1) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص٣٤، مادة: «جرب»، وابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٦٧، مادة: «قرب»، والزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٣٠٨، مادة: «قرب».

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، ج٤، ص٣٢٣، رقم ١٥٦٥، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الإبل والغنم، ج٣، ص٢١٨، رقم ٦٢١، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٩، ص٣٥٩، رقم ٥٤٧.

(3) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٣، ص٢١٨.

(4) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٢٧٧، رقم ٣٣٠، وأخرج ـ نحوه ـ الدارقطني في سننه، كتاب الحدود والديات وغيره، ج٣، ص١٣١، رقم ١٥٥.

(5) ذُكِر هذا في الرواية التي أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، ج١٣، ص٢٧٥، رقم ٧٣٠٠.

(6) ذُكِر هذا في الرواية التي أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ج٢، ص٩٩٤ – ٩٩٨، رقم ١٣٧٠، وأخرجها أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٢٨٢، رقم ٣٣٩، وص٤٦٢، رقم ٦٢٨، وأخرجها الحاكم في المستدرك، كتاب قسم الفيء، ج٢، ص١٥٣، رقم ٢٦٢٣.

(7) ذُكِر هذا في الرواية التي أخرجها حميد بن زنجويه في كتاب الأموال، باب الحكم في رقاب أهل الصلح وهل يحل سباؤهم أم هم أحرار، ج٢، ص٤٤١-٤٤٢، رقم ٧١٩.

ورُوِي أنَّ أبا بكر بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، أحد أحفاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نَسَخَ كتاب الصدقة من صحيفةٍ وجدها مربوطة بقراب عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١).

وذُكر أنه وجد في «قراب سيف» محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه(٢) صحيفة كانت تشتمل على أحاديث رسول الله ﷺ(٣).

الكِنَانة:

هي جعْبة السِّهام، تُتَّخذ من جلود لا خشب فيها أو من خَشَب لا جلود فيها(٤)، وقد استُخدمت الكنانة كوعاء لحفظ المدونات والرسائل، فقد روي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو على جيوش المسلمين في اليرموك لما جاءه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بموت أبي بكر الصديق وَعَزلِه وتأمير أبي عبيدة رضي الله عنهم أجمعين جعله في كنانته، وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر أمر المسلمين(٥).

ورُوِيَ أن بريداً قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنثر كِنَانته، فَبَدَرتْ صحيفة، فأخذها فقرأها، فإذا فيها قصيدة يشكو خلالها أحدهم تجاوزات فرد من الرعية(٦).

---

(١) أخرج هذا الأثر عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الزكاة، باب الصدقات، ج٤، ص٩، رقم ٦٨٠٠٢.

(٢) محمد بن مسلمة بن خالد الأنصاري الأوسي، صحابي، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسو الله ﷺ إلا تبوك، استخلفه الرسول ﷺ على المدينة، واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات جهينة لم يشهد من حروب الفتنة شيئاً، توفي بالمدينة سنة ٤٦هـ. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص١٠٧ - ١٠٩.

(٣) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص١٤٠، وبكر ابن عبدالله أبو زيد، معرفة النسخ والصحف الحديثية، ص٢٤١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٦١، مادة: «كنن».

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٣٦، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص١٢٩-١٣٠، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٤، ص١٣١.

(٦) انظر هذا الخبر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٨٥-٣٨٦، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٧٦٠-٧٦١، والبلاذري، الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، ص٢١٤.

المِخْلاة:

ما يجعل فيه الخَلَى، والخَلَى الرَّطب من الحشيش(١)، واستخدمت لحفظ الأموال والمتاع(٢)، كما استخدمت المخلاة كوعاء لحفظ المدونات، فقد رَوَى هبيرة ابن عبدالرحمن قال: «كُنَّا إذا أكثرنا على أنس بن مالك، ألقى إلينا مِخْلاة، فقال: هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله ﷺ»(٣).

الرَّبْعَةُ:

الجونة، جونة العطار، وهي إناءٌ مُرَبَّعٌ كالجُونَة(٤)، وسُمِّيت كذلك لكَوْنِها في الأصلِ ذات أربع طاقات، أو لكونها ذات أرْبعِ أرْجُل(٥)، وفي حديث هرقل: «ثم دعا بشيء كالرَّبعة العظيمة»(٦).

وقد استخدمت الرَّبعةُ كوعاء لحفظ المدونات بالرسائل في ذلك العهد، من ذلك ما جاء في خبر مُطَرِّف بن مالك أبو الرَّبَاب القُشَيْريّ، البصري(٧)، حيث قال: شَهِدتُ فتح تُسْتَر(٨) مع الأشعري [أبو موسى]، فأصبنا دانيال بالسوس(٩)،

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص١٩٠-١٩١، مادة: «خلا»، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٢٤٢-٢٤٣، مادة: «خلا».

(٢) انظر في ذلك: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص١٤٩.

(٣) الرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص٣٦٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص١٠٧، مادة: «ربع».

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص١٤١، مادة: «ربع».

(٦) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٨٩، مادة: «ربع».

(٧) شهد فتح تُسْتَر مع أبي موسى الأشعري، ولقي أبا الدرداء وكعب الأحبار، قال ابن حجر رحمه الله: «لا أعلم له رؤية». انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٨، ص٣٣٧-٣٤٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٨) تُسْتَر: أعظم مدينة بخوزستان اليوم، قال الطبري رحمه الله: «وفي هذه السنة -أعني سنة سبع عشرة- كان فتح رامهرمز والسّوس وتُسْتَر». انظر: تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٠٠، والحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩-٣١.

(٩) السُّوسُ: بضم أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة أخرى: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٠-٢٨١.

وأصبنا معه ربطتين[1] من كِتَّان، وأصبنا معه رَبْعة فيها كتاب، وكان أول من وقع عليه رجل من بلعنبر، يقال له: حرقوص[2]، فأعطاه الأشعري الربطتين وأعطاه مئتي درهم، وكان معنا أجير نصراني يُسَمَّى نعيماً فقال: تبيعوني هذه الرَّبعة بما فيها؟ قالوا: إن لم يكن فيها ذهب أو فضة أو كتاب الله، قال: فإن الذي فيها كتاب الله، فكرهوا أن يبيعوه الكتاب، فبعناه الرَّبعة بدرهمين، ووهبنا له الكتاب[3].

ورُوِي أن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما أراد أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابتٍ، قال: فَبَعَثُوا إلى الرَّبعة التي في بيت عمر فجيء بها[4].. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ معلقًا على هذا الأثر: «قلتُ: الربعة هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة رضي الله عنها، فلما جمعها عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المصحف ردّها إليها..»[5]، ولا يعلم الباحث لماذا ذكر ابن كثير رحمه الله هذا التعريف للرَّبعة مخالفًا بذلك التعريفات التي مَرَّت معنا؟! ولم يقف الباحث على مثل هذا التعريف في المصادر المذكورة آنفًا.

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «سألت الحسن بن علي عن قول عليّ في الخيار،

---

(١) وقيل: «ريطتين».

(٢) حرقوص بن زهير السَّعْدي العنبري، ذكره الطبري رحمه الله في خبر فتح خوزستان وقال: «كانت له صحبة من رسول الله ﷺ»، وقال ابن عساكر رحمه الله: «قال ابن أبي داود: هذا ذو الثدية حرقوص بن زهير العنبري من بني تميم. انظر: ابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج١، ص٧١٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٨، ص٣٤١.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج١، ص٥١٦-٥١٧، رقم ٥٢٩، وقال محقق الكتاب: «إسناده حسن لغيره»، وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٨، ص٣٤١-٣٤٣، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٤، ص٣٥١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٣٦.

(٤) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ج١، ص٢٢١، رقم ٨٩ وقال محقق الكتاب «إسناده صحيح». وانظر: ابن كثير، فضائل القرآن، ص٨٤-٨٥.

(٥) ابن كثير، فضائل القرآن، ص٨٥.

فدعا بربعة، فأخرج منها صحيفة صفراء مكتوب فيها قول علي في الخيار»[١] وفي هذا الخبر إشارة - تدعم الإشارات السابقة - تؤكد تدوين الصحابة للمسائل الفقهية.

السَّفَط:

وهو الذي يُعبَّى فيه الطِّيب وما أشْبهه من أدوات النساء[٢]. وقد استخدم العرب والفرس السَّفَط لحفظ الأشياء والأدوات[٣]، واسْتُخْدِم أيضًا كوعاء لحفظ المدونات والصحائف، فقد رُوي أن فَرُّخَان - أحد أعيان بلاد فارس - لما تقدم لتنفيذ حكم كسرى بقتله طلب أن يكتب وصيته، فدُعي بالسَّفَطَ وأخذ منه ثلاث صحائف[٤]، وفي معركة «أصبهان» في سنة ٢١هـ قُتل قائد المسلمين النُّعْمان بن مقرن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فاجتمع نفرٌ من الصحابة وبعثوا إلى أمِّ ولده، فقالوا: أما عهد إليك عهدًا؟ فقالت: هاهُنا سَفَطٌ فيه كتَابٌ، فأخذوه، فكان فيه: إن قُتل النعمان ففلان، وإن قُتل فلان ففلان[٥].

وقد أصبح السَّفَط في القرون اللاحقة وعاء أكثر أهمية لحفظ المدونات، وكُتُب العلم حتى أنشد أحدهم:

تكْتُب العلمَ وتُلْقي في سَفَطْ ... ثم لا تحفَظ، لا تُفْلحُ قط
إنما يُفْلحُ مَنْ يَحفَظُه ... بعد فَهْم وتوقٍّ من غَلَط[٦]

---

(١) ابن أبي حاتم، العلل، ج١، ص١٠٤، والكفاية، ص٢٢٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣١٥، مادة: «سفط»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٢٨١، مادة: «سفط».

(٣) انظر في ذلك: الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٣٣، وفيه: أن الصحابة حفروا فأصابوا سَفَطًا كان للهرمزان مملؤًا جواهر..». وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٢٠٩، وفيه: «.. كان في الخزائن سفط فيه حلي فأخذ منه عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ...». وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص٢٦-٢٧. وفيه: «أن المسلمين أصابوا مغانم للفرس كانت محفوظة في سفط».

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٣٢٠.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٤.

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٢٨٢، مادة: «سفط».

الجِرَاب:

الجِرَاب: الوعاء، وقيل: وعاءٌ من إهاب الشاء لا يُوعى فيه إلا يابس(١)، وهو أعم من المِزْوَد، وقد يستعمل في قراب السيف مجاز(٢). وقد أخرج أبو نعيم أحمد ابن عبدالله الأصفهاني - رحمه الله - في «حلية الأولياء» عن أبي هريرة، قال: «حفظتُ من رسول الله ﷺ خمسة جرب، فأخرجت جرابين، ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة»(٣).

الكَوَّة:

وهو: الخَرقْ في الحائط، والثقب في البيت ونحو ذلك(٤). وقد كان هذا الخَرْق بمثابة وعاء يحفظ للناس بعض مدوناتهم وصحفهم، فقد روى عُمير بن عُميم قال: «حدثني غلام لحجر بن عدي الكندي(٥)، قال: قلتُ لحجر إني رأيتُ ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ، قال: ناولني الصحيفة من الكَوَّة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعتُ علي بن أبي طالب يذكر أن الطهور نصف الإيمان...»(٦)، وفيه - أيضًا - الاهتمام بتدوين العلوم والأحكام في ذلك العهد.

وفي قصة إسلام كعب بن ماتع (كعب الأحبار) ما يؤكد هذا الاستخدام، فقد قال: «كان أبي من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى، وكان لا يَدَّخر عَنِّي شيئًا مما يَعلم، فلما حضره الموتُ دعاني فقال لي: يا بنيّ قد عَلِمْتَ أني لم أدخر عنك

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٦١، مادة: «جرب».

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص٣٦٠، مادة: «جرب».

(٣) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج١، ص٣٨١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٣٦، مادة: «كوى».

(٥) حُجْر بن عَدِي بن جبلة بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي، وهو حُجْر الخير، وأبوه عَديٌّ الأدبر، ويكنى بأبي عبدالرحمن الشهيد، له صحبة ووفادة. قال غير واحد: وفد مع أخيه هانئ ابن الأدبر، ولا رواية له عن النبي ﷺ، وسمع من عليّ وعمار. قتله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٥١هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٢-٤٦٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٢٠.

شيئًا مما كنت أعلم، إلا أني كنتُ قد حَبَستُ عنك ورقتين فيهما ذِكْرُ نبي قد أظل زمانه، وكَرهْتُ أن أُخْبِرَكَ بذلك؛ فلا آمن أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه، وقد جعلتهما في هذه الكَوَّة التي تَرى، وطيّنت عليها فلا تعرض لهما، ولا تنظرن فيهما حينك هذا، فإن كان الله يريد بك خيراً ويخرج ذلك النبي بِعَيْنه فأخرجْهُما قال: ثم مات، فلم يكن شيء أحبّ إليَّ من أن ينقضي المأتم حتى أنظر في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكَوَّة ثم استخرجتُ الورقتين، فإذا فيهما محمدٌ رسول الله ﷺ خاتم النبيين، لا نبي بعده...»[1] ثم ذكر صفاته وصفات أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

الحقيبة أو العَيْبَة:

الحقيبة: هي الرِّفادة في مُؤَخَّر القَتَب، والجمع الحقائب. وهي الوعاء الذي يجعل الرجل فيه زاده، وكل شيءٍ شُدّ في مؤخَّر رَحْلٍ أو قَتَب فقد احتُقبَ[2].

والعَيْبَة: وعاءٌ من أدم يكون فيه المتاع، والجمع عيابٌ وعِيَبٌ، وقيل: مما يُجْعل فيه الثياب[3].

وفي الحديث الشريف الذي رواه سَلَمةُ بن الأكْوع، قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن، فبينا نحن نَتَضَحَّى مع رسول الله ﷺ إذا جاء رجلٌ على جمل أحمر، فأناخه، ثم انتزع طَلَقًا من حَقَبه فَقَيَّد به الجمل...»[4] الحديث، قال النووي رحمه الله: «وأما قوله (من حَقَبه) فهو بفتح الحاء والقاف، وهو حبل الشدِّ على حقو البعير. قال القاضي: لم يُرو هذا الحرف إلا بفتح القاف. قال: وكان بعض شيوخنا يقول: صوابه بإسكانها. أي مما احتقب خلفه، وجعله في حقيبته، وهي

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، ص١٦١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٢٥، مادة: «حقب»، والزبيدي، تاج العروس، ج١، ص٤٣٣، مادة: «حقب».

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٣٤، مادة: «عيب».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ج١٢، ص٢٩٠-٢٩١، رقم ٤٥٤٧.

الرفادة في مؤخر القَتَب»[١]، وقال ابن الأثير الجزري ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا الحديث: «أي: من الحبل المشدود على حقو البعير، أو من حقيبته، وهي الزيادة [أي: الرفادة] التي تجعل في مؤخر القتب والوعاء الذي يَجْمع الرجل فيه زاده»[٢].

وقد كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كلما مَرَّتْ بالحجون تقول: «ﷺ، لقد نَزَلنا معه هاهنا ونحن يومئذ خفاف الحقائب...»[٣] الحديث.

قال النووي رحمه الله: «قولها: (خِفَاف الحقائب): جمع حقيبة، وهو كلُّ ما حُمِلَ في مؤخر الرحل والقتب، ومنه: احتقب فلان كذا»[٤].

وفي حديث ذي الجَوْشَن الضِّبَابي رضي الله عنه قول الرسول ﷺ لبلال رضي الله عنه: «يا بلال، خذ حقيبة الرجل فَزَوِّدْه من العجوة»[٥]، وقالت امرأة من بني غفار: «أردفني رسول الله ﷺ حقيبة رحله...»[٦] الحديث، وفي رواية: «وكنت جارية حديثة، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله»[٧]. قال العظيم آبادي رحمه الله: «على حقيبة.. على وزن لطيفة، وهي كُلُّ مَا شُدَّ في مؤخَّر رَحْل أو قتب، كذا في القاموس. والرَّحْلُ: هو المركب للبعير وهو أصغر من القتب»[٨]، وقد تكرر ذكر الحقيبة في أحاديث أُخر[٩].

---

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٢، ص٢٩٠.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٤١٢، مادة: «حقب».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يلزم من طاف بالبيت وسعى من البقاء على الإحرام وترك التحلل، ج٨، ص٤٤٧، رقم ٢٩٩٤.

(٤) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٨، ص٤٤٧.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص٣٩٤-٣٩٥، رقم ١٥٩٠٧، وج١٣، ص٩٩، رقم ١٦٥٨٦. وقال المحقق: «إسنادهما صحيح».

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب الاغتسال من الحيض، ج١، ص٣٨٦-٣٨٧، رقم ٣١١.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٨، ص٤٤٣، رقم ٢٧٠١٤. وقال المحقق: «إسناده ضعيف».

(٨) العظيم آبادي، عون المعبود، ج١، ص٣٨٦.

(٩) انظرها: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٤١٢، مادة: «حقب».

وقد اسْتُعْمِلَتْ هذه الحقيبة أو العيبة كوعاء لحفظ المدَوَّنات والرسائل والكتب في ذلك العهد، فقد روى بُحَير بن شَدَّاد الأسدي قال: «مَرَّ بنا الحسين [بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] بالثَّعْلَبية[1]، فخرجتُ إليه مع أخي، فإذا عليه جُبَّة صفراء لها جيبٌ في صدرها، فقال له أخي: إني أخاف عليك، فضرب بالسوط على عَيْبَةٍ قد حَقَبَها، وقال: هذه كتب وجوه أهل المِصْر»[2]، في رواية: «فقال: بالسوط، وأشار به إلى حقيبة الرحل: هذه خلفي مملوءة كتبًا»[3].

وفي رواية: «فقال: بالسوط، أشار به إلى حقيبة الرَّحْل هذه خلفي مملؤةٌ كُتَبًا»[4].

الجونة أو الجُؤنَة:

الجُؤنة: سَلَّة مُستديرة مُغَشَّاة أدَمًا يُجعل فيها الطيب والثياب[5]، وقيل: هي سَفَطٌ مُغشَّى بجلد، ظرفٌ لطيب العطار وأصله الهمز ويُلَيَّن[6]، قال ابن الأثير الجزري رحمه الله: «الجونة بالضم: التي يُعدّ فيها الطِّيب ويُحْرز»[7].

وفي حديث جابر بن سَمُرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصف النبي ﷺ: «فمسح خدي، قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُؤنة عطار»[8]. قال النووي

(١) الثعلبية، بفتح أوله: من منازل طريق مكة من الكوفة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٧٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الخامسة، ج١، ص٤٥٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٦.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٨٤، مادة: «جأن».

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج١٨، ص١٠١، مادة: «جأن».

(٧) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٣١٨، مادة: «جون».

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مَسِّه، والتبرك بمسحه، ج١٥، ص٨٤-٨٥، رقم ٦٠٠٦.

رحمه الله: «قوله: كأنما أخرجها من جُؤنة عطار، هي بضم الجيم، وهمزة بعدها، ويجوز ترك الهمزة بقلبها واواً كما في نظائرها، وقد ذكرها كثيرون أو الأكثرون الواو. قال القاضي [أي عياض رحمه الله]: هي مهموزة، وقد يترك همزها. وقال الجوهري: هي بالواو، وقد تهمز. وهي: السَّفْط الذي فيه متاع العطار، هكذا فسره الجمهور»(١) انتهى كلام النووي.

وقد استُخْدِمت الجُؤنَة أو الجُونة كوعاء لحفظ المدوّنات، فعن أبي الرباب مطرف ابن مالك القشيري قال: «كنتُ في الخيل الذين افتتحوا تُستر(٢) وكنت على القبض في نفر معي فجاءنا رجلٌ بجونة، فقال: تبيعوني ما في هذه؟ فقلنا: نعم، إلا أن يكون ذهبًا أو فضة أو كتاب الله، قال: فإنه بعض ما تقولون فيها كتاب الله، قال: ففتحوا الجونُة فإذا فيها كتاب دانيال فوهبوه للرجل، وباعوا الجونة بدرهمين، قال: فذكروا أن ذلك الرجل أسلم حين قرأ الكتاب»(٣).

القصبة:

القصبُ: كُلُّ عظمٍ مستدير أجوف، وكلُّ ما اتخذ من فضة أو غيرها(٤)، كالنحاس والحديد وجمعها قُصُب. وقد كانت القَصَبة وعاءً من أوعية حفظ المدونات والرسائل، فقد روي أن آمنة أم النبي ﷺ أتاها آت في منامها، فقال لها: «إنك قد حملت بسيد البَريَّة فسمّيه محمداً وعلّقي عليه هذا الكتاب، فاستيقظت وعند رأسها كتاب في قصبة حديد فيه: استرعيتك ربّك...»(٥).

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٥، ص٨٥.

(٢) فُتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب البيوع، باب بيع المصاحف، ج٨، ص١١١، رقم ١٤٥١٨، وأخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف، باب بيع المصاحف وشراؤها، ج١، ص٥١٤-٥١٥، رقم ٥٢٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٧٥، مادة: «قصب».

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص١٠٣.

وذكرت عدة مصادر تاريخية[1] أن الكتاب المنسوب - زوراً وبهتاناً - إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عامله بمصر كان محفوظًا في «قصَبةٍ من رَصَاص». وقد جاءت بعض الآثار المتعلقة ببعض أحكام الطهارة مشيرة إلى أنه كان من المشهور بين الناس حفظ بعض الرقاع والمدونات في القصبة، فقد قال علقمة بن أبي علقمة: سألت ابن المسيب عن الاستعاذة تكون على الحائض والجنب؟ فقال: لا بأس به إذا كان في قصبة أو رقعة يجوز عليها[2]. وعن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: القرآن كان على إمرأة فحاضت أو أصابتها جنابة، أتنزعها؟ قال: إذا كان في قصبة فلا بأس، قلت: فكان في رقعة، فقال: هذه أبغض إليّ، قلتُ: فلم يختلفان؟ قال: إن القصبة هي أكَفُّ من الرقعة، قال ابن جريج: وسمعته قبل ذلك يسأل أيجعل على صبيٍّ القرآن؟ قال: إذا كان في قَصَبَةٍ من حديد أو قَصَبةٍ ما كانت فنعم، وأما رقعة فلا...»[3].

وعن عطاء في المرأة الحائض في عنقها التعويذة أو الكتاب، قال: إن كان في أديم فَلْتَنْتَزِع، وإن كان في قصبة مُصاغة من فضة فلا بأس، إن شاءت وضعت وإن شاءت لم تفعل، قيل لعبدالله: تقول بهذا؟ قال: نعم[4].

الحُقّ أو الحُقَّةُ:

بالضم معروفة، هذا المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك مما يصلح أن يُنحت منه، عربيٌّ معروف قد جاء في الشعر الفصيح[5]، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦٥، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٤، ص١٢٠٦، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص١٨١ - ١٨٣، والجهيشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص٢١، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٣٢٣، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٤٤٢.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الحيض، باب العلائق، ج١، ص٣٤٦، رقم ١٣٤٨.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الحيض، باب العلائق، ج١، ص٣٤٥، رقم ١٣٤٧.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب الصلاة والطهارة، باب التعويذ للحائض، ج١، ص٢٦٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٥٦، مادة: «حقق»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٨٣، مادة: «حقق».

وثديًا مثل حُقِّ العاجَ رخْصاً   حَصَانًا من أكُفِّ اللامسينا(١)

ومنه - أيضًا - قول الشاعر الجاهلي عبدالله بن العجلان:

إن كُنْت ساقيةً ببُزْلِ   الأدْمِ أو بحقَاقِها(٢)

والجمع: حُقٌّ، وحُقَقٌ، وحقاقٌ.

وقد استخدم الحق أو الحقةُ في حفظ المدونات والرسائل والوثائق في ذلك العهد، فقد روى نائل بن مطرف بن العباس السلمي عن أبيه عن جده العباس السلمي أن شَخَص إلى رسول الله ﷺ فاستقطعه ركيّة(٣) بالدَّثينة(٤)، وأقطعها إياه على أن ليس له منها إلا فضل ابن السبيل. قال الراوي: وكان نائل هذا نازلاً بالدَّثينة وكان أميرهم، فأخرج إليَّ حُقَّةً فيها كراع من أدم أحمر فكان فيه ما أقطعه(٥).

ورُوِي أن المقوقس عظيم القبط صاحب مصر لما قرأ كتاب رسول الله ﷺ وفرغ منه، حفظه في «حُقٍّ من عاج»(٦)، وكذلك فعل النجاشي ملك الحبشة - في إحدى الروايات - حيث «دعا بحقٍّ من عاج فجعل فيه كِتَابي رسول الله ﷺ وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها»(٧).

وفي ختام هذا المبحث يذكر الباحث أن بعض الأشياء التي حُفظت فيها بعض المدونات بصورة عفوية طارئة، ولم تحمل صفة الوعاء في حد ذاتها، إنما ألجأت الحاجة إلى استعمالها كوسيلة مؤقتة لحفظ بعض المدونات. ومن هذه الأشياء

(١) ديوان عمرو بن كُلثوم، ص٣١٤.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٤٠.

(٣) الرَّكيُّ: جنسٌ للرَّكيَّة، وهي البئر، والذَّمَّة القليلة الماء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٣٣٣.

(٤) الدَّثينة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مثناة من تحت، ونون: ناحية بين الجند وعدن. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٤٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٧٦.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٣٤، وابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص١١٦-١١٧، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٢٧٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٩٦.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص٤٣٠.

الكُمُّ: وهو رُدْن القميص[(١)]، والكُمُّ من الثوب مدخل اليد ومخرجها[(٢)]، وقد رُوِي أن الأسقف الذي طلب من عمر بن الخطاب في جاهليته أن يكتب له عهداً باسقاط الجزية عنه قد أخْرج من كُمِّه دواة وصحيفة[(٣)]. وروي أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد أن يكتب إلى أحد عماله، أخرج من جيبه قطعة جراب ثم كتب فيها ما أراد[(٤)].

ومنها ـ أيضًا ـ العُكن والأعْكان: الأطواء في البطن من السِّمَن[(٥)]، فقد أخبر خالد بن سنان العبسي الذي قال عنه النبي ﷺ «ذاك نبيٌّ ضيعهُ قومُهُ»، أخبر قومه قبيل وفاته أنَّ في عكن امرأته لوحين، فإذا أشكل عليهم أمر فلينظروا فيها ليروا ما يسألون عنه[(٦)].

وفي خبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي بعث به إلى المشركين مع إحدى النساء يخبرهم بعزم الرسول ﷺ، جاء في هذا الخبر أن هذه المرأة حفظَت الكتاب في «عقاصها»[(٧)]، أو في «حُجْزَتها»[(٨)]، والعَقْصُ: أن تلوي الخُصْلَة من

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص٢٠٠، مادة: «كمم».

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٢٦، مادة: «كمم»، والزبيدي، تاج العروس، ج١٧، ص٦٢٧، مادة: «كمم».

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٧، ص٢٧٢.

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص٣٤٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٨٨، مادة: «عَكَنَ».

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣١٢.

(٧) جاءت هذه الكلمة في المصادر التالية: أخرج خبرها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، ج٨، ص٦٣٣، رقم ٤٨٩٠، وأخرج خبر مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ج٤، ص١٩٤١، رقم ٢٤٩٤، وأخرج خبرها ـ أيضًا ـ أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٣٢١، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٥٠، وج٩، ص٤٣٧، وابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص٣٢٥، والذهبي، تاريخ الإسلام، المغازي، ص٥٢٦.

(٨) جاءت هذه الكلمة في المصادر الآتية: البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص٤٣٦، وأخرجها=

الشعر ثم تعقدها ثم ترسلها[1]. أما الحُجزة فحجزة الإزار: جنبته، وحُجزة السراويل: موضع التّكة، وقيل: حجزة الإنسان مقعد السراويل والإزار[2]. قال النووي - رحمه الله - في شرحه لهذه الكلمة في هذا الحديث: «قوله: فأخرجتها من عقاصها، هو بكسر العين، أي: شعرها المضفور، وهو جمع عقيصة. وروى ابن جريج قال: قلت لعطاء: أُصلِّي وفي حُجْزتي غزل، قال: نعم، إنما هي مثل ثوبك، قلتُ: فسواه، فعود، فصحف فيها كتب حق؟ قال: نعم، وأحبُّ إليَّ أن يضعه في الأرض[3].. واستعملت العمامة وهي من لباس الرأس[4] كوسيلة لحفظ بعض المدونات والرسائل، فقد روي أن عيينة بن حصن والأقرع بن حابس قدما على رسول الله ﷺ: فسألاه فأمَرَ لهما بما سألا وأمر معاوية فكتب لهما بما سألا، فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفّه في عمامته وانطلق..»[5]، وفي رواية لابن شَبَّة - رحمه الله - أن عيينة هو الذي أخذ كتابه ولفّهَ في عمامته[6].

وكذلك حُفظت المدونات «تحت المفارش» أو «تحت السرير»، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لقد أُنزلت آية الرجم، ورضاعة الكبير عشراً،

= أبو يعلى في مسنده، ج١، ص٣١٨، رقم ٣٩٦، وص٣٢٠، رقم ٣٩٧، وأخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره، ج١١، ص٤٦، رقم ٦٢٥٩، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، ج١٢، ص٣٠٤ رقم ٦٩٣٩.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٥٦، مادة: «عقص».

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٢، مادة: «حجز».

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب الرجل يصلي ومعه الورق والغزل، ج١، ص٣٩٠، رقم ١٥٢٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٢٤، مادة: «عمم».

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب من يعطي الصدقة وحدُّ الغنى، ج٥، ص٢٧، رقم ١٦٢٦، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٥٣٥. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٦، ص ٢٧٣.

(٦) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٥٣٤.

فلقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ اشتغلنا بموته، فدخل الداجن فأكلها»[1].

وفي هذا الآثر - أيضًا - إشارة إلى حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على تسجيل القرآن وكتابته وقت نزوله، وروى مجاهد قال: «أتيتُ عبدالله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشة فمنعني، قلتُ: ما كنت تمنعني شيئًا، قال: هذه الصادقة، هذه ما سمعت من رسول الله ﷺ، ليس بيني وبينه أحد»[2] وفي رواية «فتناولت صحيفة من تحت رأسه»[3].

ومن أغرب تلك الأوعية الطارئة، ما حَدَث في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من أن ابن عامر كتب إلى عثمان كتبًا، فقدم عليه وقد نزل به أولئك [يعني أهل مصر] قال: «فعمدتُ إلى الكتب فخيطتها فجعلتها في قبائي أو ثيابي ثم لبستُ لباس المرأة، فلم أزل حتى دخلت عليه، فجلستُ بين يديه، فجعلتُ أفتق قبائي وهو ينظر، فدفعتها إليه، فقرأها ثم أشرف على المسجد...»[4].

ظهور الخزائن والمكتبات العامة:

وتجدر الإشارة - في هذا الموضوع - إلى أن أوعية حفظ المُدوَّنات بدأت تخرج من حيز الأوعية الصغيرة لحفظ الرسائل والمدونات المعدودات إلى حَيِّز أكبرَ يصل إلى مستوى الخزائن والبيوت المستقلة، فقد رَوَى البلاذري - رحمه الله - في حادثة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه أنَّ فاطمة بنت شريك الأنصارية من بَليّ وقفت على

(١) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الرضاع، ج٤، ص١٧٩، رقم٢٢، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب رضاع الكبير، ج١، ص٦٢٥-٦٢٦، رقم ١٩٤٤، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٨، ص٦٤، رقم ٤٥٨٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٨٤.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٨٩.

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه، باب وقف المساجد والسقايات، ج٤، ص١٩٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٣٤٠، وج٤٥، ص٢٨٦-٢٨٧.

رأس مروانَ بن الحكم حين ضربت تلك الفتنة ـ وكانت قد رَبَّت مروان بن الحكم في صغَره ـ « وأمرت به فَحُمِل وأُدخل بيتًا فيه كُتُب »(١).

ولعل هذا البيت هو البيت نفسه الذي أشار إليه عز الدين إبراهيم مصطفى في رسالته حول الرسائل النبوية؛ إذْ أفاد أنه كان هناك « بيت القراطيس »(٢)، حيث كانوا يحفظون فيه نسخًا من رسائلهم، وقد أصاب الحرق هذا البيت أيامَ عمر بن الخطاب مع احتمال عدم احتراق جميع ما فيه.

بل لقد تطور الأمر إلى ظهور ما يشبهُ المكتبات العامة، فقد روى ابن عساكر ـ رحمه الله ـ بسنده « عن محمد بن جُبير بن مُطْعم(٣) أنه احتسب بعلمه، وجعله في بيت، وأغلق عليه بابًا، ودفع المفتاح إلى مولاة له، وقال لها: مَنْ جاءك يطلبُ منك مما في هذا البيت شيئًا فادفعي إليه المفتاحَ ولا تُذهبي من الكتب شيئًا »(٤).

فهذه إذن أول مكتبة عامة تأسست في مدينة رسول الله ﷺ، وأشرفتْ عليها أوَّل أمينة مكتبة، بل ربَّما كانت هذه المكتبة أوَّلُ مكتبة عامّة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

وهذه البادرة ليست مُسْتغربةً على علم إمام كبير مثل (محمد بن جُبَير)، فقد ذكرَ الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ عن محمد بن جبير أنه « كان أحد العلماء الأشراف، صاحبَ كتب وعناية بالعلم ».

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص١٩٨.

(٢) انظر: قاسم السامرائي، مقدمة في الوثائق الإسلامية، ص٣٩-٤٠.

(٣) محمد بن جُبَير بن مطعم بن عدي النَّوفلي القرشي. انظر مصادر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج، ص٢٠٥، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص٣٩٩-٤٠٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٢، ص١٨٠ - ١٨٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٤٣-٥٤٤، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٥٦.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٢، ص١٨٧، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٢، ص٥٨.

ورغم أن هذه المكتبة كانت معاصرةً في مرحلة من مراحل تاريخها[١] لمكتبة عبدالحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي التي ذهب يحيى محمود بن جنيد إلى أنها أول مكتبة عامة تأسست بمكة المكرمة[٢]، إلا أن مكتبة محمد بن جبير تُسجَّل لها الريادة لأسباب تتعلق بمؤسِّسَيْ هاتين المكتبتين، فمحمد بن جُبَير متقدم على عبدالحكم بن عمرو من حيث الزمان والعلم والفضل والشهرة والعناية بالكتب، وهذا هو الأهم، فقد كان محمد بن جبير من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، كما سُمِّيَ في تابعي أهل مكة ومُحَدِّثيهم، وكان أبوه صحابيًّا، نَسَّابةً كبيرًا وهو جبير بن مطعم بن عدي النوفلي القرشي، إذْ «كان من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبةً»، وقد أدرك محمدٌ عمر بن الخطاب وروى عنه، وعثمان بن عفان، وعليَّ بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وَرَوَى عن أبيه وابن عباس وَوفدَ على معاوية. وهو من ناحية العلم «إمامٌ، فقيه، ثبتٌ، ثقة، وكان أعلمَ قريش بأحاديثها»، وكان صاحبَ كُتب وعناية بها، كما مر، وقد تُوفِّي محمد بن جبير قبلَ خلافة عمرَ بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١هـ) حَسْب ما رجَّحَه كلٌّ من ابن عساكر وابن حجر رحمَهما الله تعالى.

أما عبدالحكم بن عمرو فهو مجهولٌ لم تذكر كُتبُ التَّراجم والأنساب[٣] عنه شيئًا، إلا ما كان من خبر مكتبته[٤] في ترجمة صديقه الأحوص الشاعر عبدالله

---

(١) تظهر هذه المعاصرة في تاريخ وفاة كلٍّ من محمد بن جُبير والأحوص الشاعر صاحب عبدالحكم ابن عمرو.

(٢) يحيى محمود بن جنيد، الوقف وبنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافي، ص٥.

(٣) انظر من هذه المصادر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، والذهبي، سير أعلام النبلاء، والعبر في خبر من غبر، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، وابن خلكان، وفيات الأعيان، والبوريني، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، وابن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، وابن حجر، تهذيب التهذيب، والزركلي، الأعلام، وكَحالة، معجم المؤلفين.

(٤) خبر مكتبة عبدالحكم بن عمرو بن صفوان الجمحي أورده كل من: الأصفهاني، الأغاني، ج٤،=

ابن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفْلح[1]، الذي كانت وفاته حسب ما رجَّح الزِّرِكْلي سنة ١٠٥هـ[2]، وهذا هو الخبر اليتيمُ ـ فيما يعلمه الباحث ـ الذي ذُكر فيه عبدالحكم بن عمرو الجمحي. ففي التفاوت بين شخصيتي المؤسِّسين وبين مَصْدَرَي خَبر مَكْتبتيهما ما يجعل الريادة والأسبقية لمكتبة محمد ابن جُبَير بن مطعم النوفليّ القرشيّ.

= ص٢٥٠ وفيه: «كان عبدالحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتًا فجعل فيه شطر نجات ونردَات وقرْقات [لعبة للصبيان] ودفاتر فيها من كل علم. وجعل في الجدار أوتادًا فمن جاء عَلَق ثيابه على وَتَد منها، ثُمَّ جَرَّ دفْترًا فَقَرَأه»، وابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٦٠. وفيه قوله: «فَوَلَد عمرو عبدالحكيم كان من فتيان قُريش، قد اتخذَ بيتًا لإخوانه، فيه كُتُب العلم، والشِّطْرنْجات، والنَّرد، والقرْق». وفيه ـ أيضًا ـ نَسَبُ عبدالحكيم هذا وهو: «عبدالحكيم بن عمرو بن صفوان بن عبدالله الأصغر (صحابي، أسلم يوم الفتح) بن أمية (قتل يوم بدر مشركًا) بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب» فَمَعْنى ذلك أن الذي عن عبدالحكم أو عبدالحكيم ـ مع خبر مكتبته ـ هو هذا النسب، ويظهر من هذا النسب أنَّ والدَ جَدِّه عبدالله الأصغر كان ـ على الأغلب ـ صحابيًّا، إذْ ذكره ابن الأثير الجزري في أُسد الغابة (ج٣، ص٢٧٩–٢٨٠)، وانظر نسبه في شجرة نسب بني جُمَح (ملحق رقم: ٥).

(١) هو الصحابي الشهيد عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح وهو الملقب بـ «حَميُّ الدَّبْر» لقصة مشهورة في استشهاده. انظر: ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، ج٣، ص١٠٧–١٠٨. وهو والدُ جدِّ الأحوص الشاعر صاحب عبدالحكم بن عمرو.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١١٦.

الفصل الخامس:

الكَتَبَة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

نُبَذ ـ شواهد ـ آثار

لقد حمل مشعل الكتابة وصناعتها في ذلك العهد ثُلَّة مباركة من الكُتَّابِ من الصحابة رضوان الله عليهم ومن التابعين من الرجال والنساء، ومن خلال هذه الدراسة ومن مصادر أخرى تَجَمَّعت بين يدي الباحثِ أسماء مجموعةٍ من الكُتَّابِ قام بتحريرها في هذا الفصل وِفْق المنهج الآتي:

* لم تقتصر قائمة الكُتَّاب هذه على مشاهيرهم فقط، بل شملتْ كُلَّ من عَرَفَ الكتابة أو مارسها أو تعلَّمها في ذلك العهد مِمَّن أشارت إليهم المصادر بصرف النظر عن حجم تلك المعرفة أو الممارسة.

* رَتَّبَ الباحث أسماء هؤلاء الكُتَّاب وفق الترتيب الهجائي.

* افتتح الباحثُ ترجمة الكاتب بذكر جمل تعريفيةٍ مختصرة لهويته، ثم ثَنَّى بذكر الشواهد التي أشارت إلى معرفته الكتابة أو ممارسته إياها، ثم ثلَّث بِذكْر بعض من آثاره التي خطَّها بيده.. وقد خَضَع الباحث في ذلك كله لما أسْعَفَتْه به المصادر من معلومات وشواهد وآثار، ويتفاوت الكُتَّابُ في ذلك بتفاوت شُهْرتِهم ودَرَجتهم في هذه الصناعةِ والمناصب التي تقلدوها.

١ - أَبَانُ بن سعيد بن العاص القرشي الأموي:

يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف، رجَّح ابن الأثير الجزري - رحمه الله - أن إسلامه قبل خيبر، وقد استعمله رسول الله ﷺ على البحرين، وقد اختُلف في زمن وفاته، كما سيأتي(١).

وقد ذكره ضمن كُتَّاب الرسول ﷺ ابن عساكر - رحمه الله - حيث قال: « ... وكان يكتب له: عثمان بن عفان، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد »(٢)، وذكره ابن كثير - رحمه الله - حيث قال: « وكتب له: عثمان، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد »(٣)، ورغم أن أكثر أهل العلم والنسب على أن وفاته قبل عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلا أن ابن عبدالبر - رحمه الله - قال بعد أن ذكر خبر وفاته: « وكان أبان بن سعيد هو الذي تولى إملاء مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه على زيد ابن ثابت، أمرهما بذلك عثمان، ذكر ذلك ابن شهاب الزهري عن خارجة بن زيد ابن ثابت عن أبيه »(٤)، وذلك ما دفع ابن حجر - رحمه الله - إلى القول: « وهو كلام [أي: كلام ابن عبدالبر] يقتضي التناقض والتدافع؛ لأن عثمان إنما أمر بذلك في خلافته، فكيف يعيش إلى خلافة عثمان من قُتلَ في خلافة أبي بكر؟ بل الرواية التي أشار إليها ابن عبدالبر رواية شاذة تفرد بها نعيم بن حماد، عن الدَّراوَردي.. »(٥)، وممن ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ - أيضًا - كل من: البلاذري(٦)، والطبري(٧)،

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص١٤٨ - ١٥٠. وانظر: ابن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، ص١٩٢ - ١٩٣.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٣.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٦٤.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٧١.

(٦) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٣.

(٧) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

وابن عبد ربه الأندلسي[١]، والمسعودي[٢]، والباقلاني[٣]، وابن الأثير الجزري[٤]، والخزاعي[٥]، والعراقي[٦].

٢- أُبَيّ بن كعب بن قَيْس الخزرجي الأنصاري:

شهد العَقَبة وبدراً، وكان عمر يقول: «أُبَيّ سيدُ المسلمين»، روى عن عبادة بن الصامت، وابن عباس، وعبدالله بن خباب رضي الله عنهم أجمعين[٧].

وقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «... وكان أُبَيّ يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ...»[٨]. وقال ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ: «... وكان يكتب في الجاهلية، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي ...»[٩]. وقال ابن عساكر ـ رحمه الله ـ في فصل كُتَّاب رسول الله ﷺ: «وكان أُبَيّ بن كعب يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله ﷺ»[١٠].

وجاء في آخر كتاب صلح بيت المقدس: «وكتب أُبَيّ بن كعب»[١١]، وروى عمرو ابن العاص رضي الله عنه يحدث عن نفسه: «كنتُ أنا المبعوث إلى جيفر وعبد ابن الجُلُندي، وكانا من الأزد، والملك منهما جيفر، وكتب رسول الله ﷺ معي إليهما كتاباً يدعوهما إلى الإسلام، وكتب أُبَيّ بن كعب الكتاب وختمه رسول الله ﷺ ...»[١٢].

(١) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٠.
(٢) التنبيه والإشراف، ص٢٦٢.
(٣) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.
(٤) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل، ج٢، ص١٧٩.
(٥) تخريج الدلالات، ص١٧١.
(٦) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.
(٧) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص١٦٨، ١٧١.
(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤٩٨. وانظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١١٦.
(٩) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٦١.
(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٤.
(١١) المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٩.
(١٢) المصدر السابق، ج٤٦، ص١٥١.

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قال الواقدي: وهو أول من كتب للنبي ﷺ، وأول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان...»[١]، وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ معلقًا على هذه الأولية: «يعني بالمدينة، وإلا فالسور المكية لم يكن أُبَيّ بن كعب حال نزولها، وقد كتبها الصحابة بمكة رضي الله عنهم»[٢].

وقد ذكره ـ أيضًا ـ ضمن كُتّاب النبي ﷺ كل من: البغدادي[٣]، والبلاذري[٤]، واليعقوبي[٥]، والطبري[٦]، والباقلاني[٧]، وابن الأثير الجزري[٨]، والخزاعي[٩]، والعراقي[١٠]، والزبيدي[١١] رحمهم الله جميعًا.

وتجدر الإشارة إلى أنه رضي الله عنه كان يقرأ لرسول الله ﷺ بعض الكتب التي كانت تَرِد عليه[١٢]، ومن آثاره ـ أيضًا ـ رضي الله عنه:

* كتاب رسول الله ﷺ إلى العلاء بن الحضرمي[١٣].
* كتاب رسول الله ﷺ بجُمَّاع كانوا في جبل تهامة[١٤].

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٨١.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٣.
(٣) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.
(٤) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٢.
(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.
(٦) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.
(٧) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.
(٨) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل، ج٢، ص١٧٩.
(٩) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧١، ١٧٢.
(١٠) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.
(١١) حكمة الإشراق، ص٧٠.
(١٢) انظر في ذلك: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٨٣، ٤٢٩.
(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٦.
(١٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٧٨.

* كتاب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوي كتابًا آخر[١].

* كتاب رسول الله ﷺ لجُنادة الأزدي وقومه ومن تبعه[٢].

* كتاب رسول الله ﷺ لخالد بن ضماد الأزدي[٣].

* كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم من حين بعثه إلى اليمن[٤].

* كتاب رسول الله ﷺ لبارق من الأزد[٥].

* كتاب رسول الله ﷺ لعبدالله بن جحش الأسدي حين خروج سريته[٦].

* مشاركته في كتابة مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على افتراض صحة الرأي القائل بتأخر وفاته إلى ما بعد، وقد مَرَّت معنا تلك المشاركة والاختلاف في وفاته.

* كتاب رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب[٧].

٣- الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم عبد مناف بن أسد القرشي المخزومي:

من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين الأولين، ومن البدريين[٨]، ذكره الباقلاني في تسمية من كتب للنبي ﷺ[٩]، وابن عساكر[١٠]، وابن كثير[١١]، والعراقي[١٢] رحمهم الله جميعًا، ومن آثاره:

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٧٠.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص٣٥٢، وج١، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٧٧-٤٧٨.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٨.

(٨) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص ١٨٧.

(٩) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٥-٣٢٦.

(١١) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٤-٣٥٥.

(١٢) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

* كتاب رسول الله ﷺ لعبد يغوث بن وعلة الحارثي[1].
* كتاب رسول الله ﷺ لعاصم بن الحارث الحارثي[2].
* كتاب رسول الله ﷺ للأجَبِّ (رجلٌ من بني سليم)[3].
* كتاب رسول الله ﷺ لعظيم بن الحارث المحاربي[4].
* كتاب رسول الله ﷺ لبني جفال بن ربيعة بن زيد الجُذَاميين[5].

٤- أَسْعَدُ بن زُرارة بن عُدَس الأنصاري الخزرجي:

أبو أمامة، من أول الأنصار إسلامًا، وكان عقبيًا، توفي في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر[6].

وقد ذكره الباقلاني - رحمه الله - ضمن كُتّاب النبي ﷺ[7].

٥- أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِمَاك الأَشْهليّ الأَنصاريّ:

أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى، وقد اختلف في شهوده بدراً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس. توفي سنة ٢٠هـ[8].

وقد قال ابن سعد - رحمه الله - في ترجمته: « ... وكان يكتب بالعربية في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلاً، وكان يُحسن العوم والرمي، وكان يُسمَّى من كانت هذه الخصال فيه في الجاهلية الكامل، وكانت قد اجتمعت في

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٧٤.

(٤) ابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٣ - ١٤٤.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٧) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٨) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٢٤٠-٢٤٢.

أُسَيْد، وكان أبوه خُضَيْر الكتائب يعرف بذلك أيضًا ويُسمى به»[١]. وذكره الباقلاني في كُتّاب الرسول ﷺ في كتابه «الانتصار للقرآن»[٢].

٦- أَنَس بن مالك بن النَّضْر الخزرجي الأنصاري:

خادم رسول الله ﷺ، وكان يَتسمَّى به ويفتخر بذلك، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، توفي فيما بين ٩٠هـ - ٩٣هـ[٣].

ورُوي عن أنس بن مالك قال: «أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي ﷺ فَأَتَت بي رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هذا ابني وهو غلام كاتب، قال: فَخَدَمْتُه تسع سنين فما قال لي لشيء قط صنعته: أسأتَ أو بئسَمَا صنعت»[٤].

ورُوي أن أبا بكر لما استخلف بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين، فدخل عليه عمر رضي الله عنه فاستشاره، فقال عمر: «ابْعَثْه؛ فإنه لبيبٌ كاتبٌ»[٥]. وفي رواية: «إن أنس بن مالك رضي الله عنه رجلٌ كاتب لبيب فاستعن به»[٦]، وقد مَرَّ معنا في إحدى الروايات أنه كان أحد كُتّاب المصاحف التي كتبها عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٧- أُنَيْس بن أبي فَاطمة الضَّمْريّ:

عداده في أهل مصر، وقيل: اسمه إِياس، وهو مُختلَف في صحبته[٧].

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦٠٤. وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص٧٩.

(٢) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٢٩٤ - ٢٩٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٠، ص٤٠٠، رقم ١٢١٩١. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وج١١، ص٨١، رقم ١٣٠٠١. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ج٦، ص٤٠٠، رقم ٣٧٥٣. وقال محقق المسند: «إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحيح». وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٩، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص١٥٣.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص٣٦٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٢٧٨.

(٦) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة المنورة، ج٣، ص٨٥٤.

(٧) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٣٠٣-٣٠٤، ٣٣٩-٣٤٠.

وقد جاء في آخر نص كتاب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أهل الشام حين نهض أهل مصر بعثمان بن عفان «وكتب أُنَيْس بن أبي فاطمة لهلال ذي الحجة سنة خمس وثلاثين»، وقد ذَكَرَ ابن عساكر - رحمه الله - نَصّ الكتاب في «تاريخه»[١].

٨- أُهَيْب (مَوْلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

ذكره الجهشياري - رحمه الله - فيمن كَتَب لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

٩- ابن أوثال النصراني:

ذكر الجهشياري - رحمه الله - أنه كتب لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ديوان خراج حمص[٣].

١٠- أَوْس بن خَوْلِي بن عبدالله بن الحارث الخزْرجي الأنْصاريّ:

شَهد بدراً وأحداً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وحَضَر غُسْل رسول الله ﷺ ونَزَل قبره. توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما[٤].

وقال ابن سعد - رحمه الله -: «... وكان أوس بن خَوْليّ من الكَمَلَة، وكان الكامل عندهم في الجاهلية وأول الإسلام يكتب العربية ويحسن العوم والرَّمْي، وكان قد اجتمع ذلك في أوس بن خَوْلي»[٥]. وقد ذكره الباقلاني - رحمه الله - ضمن كُتَّاب النبي ﷺ[٦].

١١- بَجَالَةُ بن عَبَدَة التميمي العنبريّ البصريّ:

كاتب جَزْء بن مُعَاوية، رَوَى عن كِتَاب عمر بن الخطاب، وعن عبدالرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وكان رجلاً في زمان عمر وكاتبًا لعُمَّاله[٧].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٣٧٤-٣٧٧.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٣٢٠-٣٢١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٤٢.

(٦) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٣٢٢.

وقد روى البخاري في «صحيحه»(١) عن عمرو بن دينار أنه قال: «كنتُ جالسًا مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس، فَحَدَّثَهُما بَجَالة سنة سبعين عام حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند درج زمزم. قال: كُنْتُ كاتبًا لجَزْء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فَرِّقُوا بين كل ذي محرم من المجوس. ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس». قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ تعالى: «قوله: «فحدثهما بَجَالة» هو بفتح الموحدة والجيم الخفيفة تابعي شهير كبير، تميميّ، بصريّ وهو ابن عَبَدة بفتح المهملة والموحدة، ويُقال فيه عَبْد بالسكون بلا هاء، وما له في البخاري سوى هذا الموضع»(٢).

١٢- بُرَيْدة بن الحُصَيْب بن عبدالله الأسْلمي:

أسلم حين مَرَّ النبي ﷺ مهاجرًا، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد، فشهد معه مشاهده، وأقام آخر عمره بِمَرو ومات ودفن فيها(٣). وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: ابن سيد الناس(٤)، وابن حُدَيْدة الأنصاري(٥)، والعراقي(٦) رحمهم الله جميعًا.

---

(١) كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ج٦، ص٢٥٧، رقم ٣١٥٦، وأخرجه ـ أيضًا ـ الترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس، ج٥، ص١٦٣، رقم ١٥٨٦، وأخرج نحوه أبو داود في سننه، الخراج والفيء والإمارة، باب في أخذ الجزية من المجوس، ج٨، ص٢٢٦ – ٢٢٨، رقم ٣٠٤١، وأخرج نحوه أبو يعلى في مسنده، ج٢، ص١٦٦–١٦٧، رقم ٨٦٠، وأخرجه الدارقطني في سننه، كتاب زكاة الفطر، باب في جزية المجوس وما روي في أحكامهم، ج٢، ص١٥٤–١٥٥. وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١٣٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص٣٠٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٤٦٥.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٢٦٠. وانظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٥، ص١٦٣.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٣٦٧–٣٦٨.

(٤) عيون الآثر، ج٢، ص٤١٣.

(٥) المصباح المضيء، ج١، ص٧٦–٧٨.

(٦) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

١٣- بَشير بن سعد بن ثَعْلَبَة الأنْصاري:

يُكنَّى أبا النُّعْمان بابنه النُّعْمان، شَهِد العقبة الثانية، وبَدْرًا والمشاهد بعدها، وقُتِل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد بعد انصرافه من اليمامة سنة ١٢هـ(١).

وقد روى ابن سعد ـ رحمه الله ـ في «طبقاته»(٢)، وابن عساكر ـ رحمه الله ـ في «تاريخ مدينة دمشق»(٣): أنه «كان يكتب بالعربية في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلاً». وقد ذكره الباقلاني ـ رحمه الله ـ ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٤).

١٤- بَشِير بن نَهِيك السَّدُوسيّ:

أبو الشَّعْثَاء البصريّ، رَوَى عن: بشير بن الخصاصية وأبي هريرة، وذكره خليفة ابن خياط في الطبقة الثانية من قُرّاء البصرة(٥).

قال بشير بن نهيك: «أتيتُ أبا هريرة بكتابي الذي كَتَبْتُه فقرأتُه عليه، فقلت: هذا سمعتُه منك، قال: نعم»(٦)، وفي هذا القول تصريح بأن الحديث النبوي كان مجالاً من مجالات التدوين العلمي في ذلك العهد.

١٥- تُبَيْع بن عَامر الحِمْيريّ:

ابن امرأة كعب الأحبار، رَوَى عن كعب وأبي الدرداء(٧)، ويُقال: أنه أدرك النبي ﷺ، وأسلم في زمان أبي بكرٍ الصديق(٨).

وقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «تُبَيْع ابن امرأة كعب الأحبار، وكان عالماً قد

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٣٩٨-٣٩٩.

(٢) ج٣، ص٥٣١.

(٣) ج١٠، ص٢٨٧.

(٤) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٥) انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٣٥٤.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٢٣، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٣٥٥، وابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص٢١٤-٢١٥، رقم ٢٣٨.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٣٧٨.

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٢٦.

قرأ الكتب وسمع من كعب علمًا كثيراً...»(١)، وروى ابن عساكر ـ رحمه الله ـ أن تُبَيْعاً هذا قال: «... إني قرأتُ في الكتب أنَّ رجلاً من قريش يسافر مع ملك، ثم يَغدر به...»(٢).

١٦- ثَابِت بن قَيْس بن شَمَّاس:

خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ، شهد أُحُدًا وما بعدها، وقُتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر شهيداً(٣).

عدَّه من كُتَّاب رسول الله ﷺ كل من: ابن عساكر(٤)، وابن كثير(٥)، والعراقي(٦)، والزبيدي(٧) رحمهم الله تعالى.. ومن آثاره كِتَاب رسول الله ﷺ لقطَن بن حارثة العُليمي الذي قدم في وفد كلب على النبي ﷺ(٨)، إذ جاء في آخر الكتاب: «وكَتَبَ ثابت بن قيس بن شَمَّاس»(٩).

ومن آثاره كِتَاب رسول الله ﷺ لوفد ثُمالة والحُدَّان، فقد ذكر ابن سعد ـ رحمه الله ـ أن هذا الكتاب «كتبه ثابت بن قيس بن شماس»(١٠)، ومن آثاره ـ أيضًا ـ كِتَاب رسول الله ﷺ لوفد أسلم(١١).

١٧- جَبَّار بن صَخر بن أُميَّة الأنْصاريّ السَّلَميّ:

يُكنى: أبا عبدالله، أمه سعاد بنت سَلَمة، شهد العقبة وبدرًا وأُحُدًا، والمشاهد

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٥٢.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٢٨.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٤٥٠-٤٥١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٦.

(٥) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٥.

(٦) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(٧) حكمة الإشراق، ص٧٠.

(٨) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٤١.

(٩) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص٢٩٧.

(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٦، ٣٥٣-٣٥٤.

(١١) المصدر السابق، ج١، ص٣٥٤.

كلها مع رسول الله ﷺ(١).

وذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ أنه: «لَـمَّا أخرج عمر يهود خيبر ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جَبَّار بن صخر، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم»(٢).

١٨- أبو جَبِيرَة بن الضَّحَّاك بن خليفة الأنْصاري الأشهليّ:

تقدمت ترجمته وخبر كونه كاتبًا.

١٩- جُبَيْر بن حَيَّة الثَّقَفِيّ:

تقدم ذكره والحديث عنه، وقد ذكره ـ أيضًا ـ خليفة بن خياط العَصْفُري ـ رحمه الله ـ فيمن كتب لزياد بن عبيد(٣).

٢٠- جُبَير بن مُطْعِم بن عَدِيّ القُرشِيّ النَّوْفَليّ:

يُكَنَّى أبا محمد، وكان من حلماء قريش وساداتهم، وكان يؤخذ عنه النسب لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول: أخذتُ النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٤)، ولذلك انتدبه عمر رضي الله عنه لكتابة القبائل كما مر(٥)، أسلم بعد الحديبية، وقبل الفتح، وقيل: أسلم في الفتح، توفي سنة ٥٧هـ.

٢١- جَرِير بن عبدالله بن جَابر البَجليّ:

أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يومًا، وكان حَسَنَ الصورة، وكان له في الحروب بالعراق (القادسية وغيرها) أثرٌ عظيم. وكانت بَجِيلة متفرقة، فجمعهم عمر بن الخطاب، وجعل عليهم جريرًا. توفي سنة إِحدى وخمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين(٦).

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٥٠٥.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٥٩.

(٣) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٣٠.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٥١٥ – ٥١٧.

(٥) وانظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢٤٩. وفيه تَرْجم الخزاعي له تحت عنوان: ذكر من تَوَلّى كتابة الديوان في عصر عمر رضي الله عنه.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٥٢٩ – ٥٣١.

وما يُشير إلى إتقانه الكتابة، وجود بعض المدونات المُذيلة باسْمِهِ في المصادر التاريخية، مثل كِتَاب النُّعْمان بن مُقَرِّن إلى أهل ماه بهراذان[1]، وكذلك شهادته في بعض العهود والمكاتبات السياسية في أثناء الجهاد[2].

٢٢- جَعْفر بن أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب القُرَشيّ الهَاشميّ:

ابن عم رسول الله ﷺ، وأخو علي بن أبي طالب لأبويه، وهو جعفر الطَّيار، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خُلُقًا وخَلْقًا، أسلم بعد إسلام أخيه بقليل[3].

وقد ذكره البيهقي ـ رحمه الله ـ ضمن كُتَّاب النبي ﷺ، إذ روى من طريق ابن إسحاق: «عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ اسْتَكْتَبَ عبدالله بن أرقم، فكان يكتب عبدالله بن أرقم، وكان يجيب عند الملوك فَبَلَغَ من أمانته أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب، ثم يأمره أن يكتب ويختم، ولا يقرؤه لأمانته عنده، ثم اسْتَكْتب أيضًا زيد بن ثابت، فكان يكتب الوحي، ويكتب إلى الملوك ـ أيضًا ـ وكان إذا غاب عبدالله بن أرقم وزيد بن ثابت احتاج أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك، أو يكتب لإنسان كتابًا يقطعه، أمر جعفرًا أن يكتب...»[4].

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «... وعند البيهقي بسند حسن عن عبدالله بن الزبير: أن النبي ﷺ اسْتَكْتَبَ عبدالله بن الأرقم، فكان يكتب له إلى الملوك فبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب ويختم ولا يقرؤه، ثم استكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي، ويكتب إلى الملوك، وكان إذا غابا كَتَبَ جعفر بن أبي طالب وكتب له أيضًا أحيانًا جماعة من الصحابة»[5].

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٠.

(٢) انظر: محمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٢٩٠، ٥٦٨.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص ٥٤١.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، باب اتخاذ الكاتب، ج١٠، ص١٢٦.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص١٨٤.

وقال محمد مصطفى الأعظمي: «لم أجد أحداً ممن تَصدَّى للكتابة عن كُتَّاب النبي ﷺ ذكر جعفراً، عدا البيهقي عن ابن إسحاق»[١].

٢٣- الجُلاَس بن عُمَيْر[٢]:

ذكر البلاذري - رحمه الله - أنَّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جعل الجُلاَس بن عُمَيْر كاتبًا له في وفد عُمَّال الصدقات الذين بعثهم في بني كلب[٣].

٢٤- جُنْدُب بن جُنَادة بن سُفْيان، أبو ذَرّ الغفَاري:

أسلم والنبي ﷺ بمكة أول الإسلام، وهو أول من حَيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، ولـمّا أسلم رجع إلى بلده وقومه فأقام بها حتى هاجر النبي ﷺ، فأتاه بالمدينة بعدما ذهبت بدر وأُحُد والخندق وصَحِبَهُ إلى أن مات، وكان يعبد الله قبل مَبْعث النبي ﷺ بثلاث سنين[٤].

وقد مر معنا شاهد إتقانه للكتابة في العامل التعليمي.

٢٥- جَهْم بن سعد:

قال ابن حجر - رحمه الله -: «ذكره القضاعي في كُتَّاب النبي ﷺ وأنه هو والزبير كانا يكتبان أموال الصدقة، وكذا ذكره القرطبي[٥] المفسر في المولد النبوي من تأليفه»[٦].

وقد ذكره - أيضًا - ضمن كُتَّاب النبي ﷺ ابن حُدَيْدة الأنصاري[٧]، والعراقي[٨] رحمهما الله.

---

(١) الأعظمي، كُتَّاب النبي ﷺ، ص٤٩.

(٢) لم يعثر الباحث على ترجمة له.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٢٣.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٥٦٢ - ٥٦٣.

(٥) قال ابن حُدَيْدة الأنصاري: «ذكره أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي في كتاب الأعلام في مولد النبي ﷺ». انظر: ابن حُديدة، المصباح المضيء، ج١، ص٨١.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦٢٥.

(٧) المصباح المضيء، ج١، ص٨١.

(٨) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

٢٦- جهيم بن الصَّلْت بن مَخْرَمة القرشيّ المطلبي:

أسلم عام خيبر، وأعطاه رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقًا، ورويَ أنه لا رواية له[١]. قال البلاذري - رحمه الله -: «أسلم بعد الفتح، وتعلم الخط بالعربية في الجاهلية فجاء الإسلام وهو يكتب بها، وقد كتب لرسول الله ﷺ بعدما أسلم»[٢]. وقد ذكره فيمن كتب للنبي ﷺ كل من: اليعقوبي[٣]، والبلاذري[٤]، والمسعودي[٥]، والباقلاني[٦]، وابن الأثير الجزري[٧]، والعراقي[٨] رحمهم الله. ومن آثاره: كتَاب رسول الله ﷺ ليزيد بن الطفيل الحارثي[٩]، وكتاب رسول الله ﷺ ليُحَنَّة بن روْبة وأهل أيَلْة لسفنهم وسيارتهم... إذْ جاء في آخره: «... هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ»[١٠].

٢٧- الحارث بن عبدالله بن كعب الهَمذانيّ الكُوفيّ (الأعور):

العلاَّمة الإمام أبو زُهَير، صاحب علي وابن مسعود، كان فقيهًا كثير العلم على لين في حديثه، توفي سنة ٦٥هـ بالكوفة[١١].

وقد روى ابن عساكر - رحمه الله - بسنده إلى مجالد، قال: «قيل لعامر: لم

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٥٧٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص٣٩٤. وانظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦٢٦. وفيه قوله: «... وقال صاحب التاريخ الصمادحيُّ: كان الزبير وجهيم بن الصامت يكتبان أموال الصدقات».

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٤) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٣.

(٥) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(٦) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) أسد الغابة، ج١، ص١٧١.

(٨) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٨.

(١٠) المصدر السابق، ج١، ص٢٨٩.

(١١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٥٢ - ١٥٥.

تقول لأصحاب عَلِيّ ما تقول، وإنما تعلَّمت منهم؟ قال: من أَيِّهِم؟ قيل: من الحارث الأعور، وصَعْصَعَة بن صُوحان، ورشيد الهجري، فقال: أما الحارث فكان رجلاً حاسبًا كنتُ أتعلم منه الحساب...»[1] ثم ذكر خبر الباقين.

وروى الخطيب البغدادي - رحمه الله - بسنده عن الحارث عن علي قال: «من يشتري مني علمًا بدرهم» قال: «فذهبت فاشتريتُ صحفًا بدرهم، ثم جئت بها»[2].

وروى الذهبي - رحمه الله - قال: «قال أبو بكر بن أبي داود: كان الحارث أفقه الناس، وأحسب الناس، تعلم الفرائض من علي رضي الله عنه»[3].

٢٨- حَاطب بن أبي بَلْتَعة عمرو بن عمير اللخمي:

شهد بدرًا، وشهد الحديبية، وشهد اللهُ له بالإيمان في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ الآية. وسبب هذا النزول معلوم، مشهور، وتوفي سنة ثلاثين، وصلى عليه عثمان، وكان عمره خمسًا وستين سنة[4].

وخبر كتابته الكتاب المشهور إلى كفار قريش يخبرهم بعزم الرسول ﷺ دخول مكة في عام الفتح يُشير إلى معرفته الكتابة.

٢٩- حَاطِب بن عَمْرو بن عبد شَمس بن عبْد ود:

أخو سهيل وسليط والسكران بني عمرو، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ابن أبي الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معًا، وشهد بدرًا مع النبي ﷺ[5].

وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: ابن سيد الناس[6]، والباقلاني[7]،

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص١٠٠.

(٢) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٩٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٥٣.

(٤) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٦٥٩ - ٦٦١.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص٦٦٢.

(٦) عيون الأثر، ج٢، ص٤١٣.

(٧) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

وابن مِسْكَويه[١]، وابن حُدَيدة الأنصاري[٢]، والعراقي[٣].

٣٠- حبيب بن سالم الأنصاريّ:

مولى النُّعمان بن بشير وكاتبه، روى عنه وعن حبيب بن يساف على اختلاف ذلك، وروى عن أبي هريرة[٤].

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» أن حبيب بن سالم كتب بعض الأحاديث راوها الصحابي الجليل النعمان بن البشير (ت ٦٤هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرسلها إلى يزيد بن النعمان بن بشير، كما كتب بعضها الآخر وأرسلها إلى قتادة[٥].

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في صدر ترجمته: «حبيب بن سالم الأنصاري مولى النعمان بن بشير وكاتبه»[٦].

٣١- حبيب بن عبدالملك بن مروان:

ذكره الجهشياري ضمن كُتَّاب معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على ديوان المدينة[٧].

٣٢- أبو حُذَيْفة بن عتبة بن ربيعة القُرشيّ العَبْشَميّ:

من السابقين إلى الإسلام، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة وكان من فضلاء الصحابة، جمع الله له الشرف والفضل، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقُتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثلاث أو

---

(١) انظر: ابن حُدَيْدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص٨٦.

(٢) المصباح المضيء، ج١، ص٨٥-٨٦.

(٣) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٤٩٤. وانظر: ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص٢٠٤، رقم ٢١٠.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند، ج١٤، ص١٦٣، رقم ١٨٣١٩. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وج١٤، ص١٧٠، رقم ١٨٣٣٧، ١٨٣٣٨ وقال محقق المسند: «إسنادهما صحيح».

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٤٩٤.

(٧) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٧.

أربع وخمسين سنة(١).

وقد ذكره الباقلاني ـ رحمه الله ـ ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٢).

٣٣- حُذَيْفة بن اليَمَان العَبْسيّ:

هاجر إلى النبي ﷺ فخيَّره بين الهجرة والنُّصرة، فاختار النُّصرة، وشهد مع النبي ﷺ أُحداً، وهو صاحب سرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يَعْلَمهم أحد إلا حُذيفة، توفي سنة ست وثلاثين من الهجرة(٣).

وقد مَرَّ معنا أنه من كُتَّاب أهل الصُّفَّة ومن كُتَّاب النبي ﷺ، ويضيف الباحث هنا أنَّ المسعودي(٤)، والعراقي(٥) رحمهما الله ذكراه ضمن كُتَّاب النبي ﷺ.

٣٤- الحسن بن أبي الحسن يسار البصري:

وقد روى البغدادي(٦)، وابن قتيبة(٧)، وابن عبد ربه الأندلسي(٨)، والذهبي(٩): «أن الحسن كان كاتباً لأمير خراسان الربيع بن زياد الحارثي». وقد مر معنا الحديث عن مدوناته العلمية.

٣٥- الحسن بن عليّ بن أبي طالب القرشيّ الهاشميّ:

أبو محمد، سبط النبي ﷺ وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهو سيد شباب أهل الجنة، وريحانة النبي ﷺ وشبيهه، سَمَّاه النبي ﷺ الحسن، وعَقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يُتَصدق بزنة شعره فضة(١٠).

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٦، ص٦٨.

(٢) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٧٠٦-٧٠٧.

(٤) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٦) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨.

(٧) المعارف، ص٤٤١.

(٨) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

(٩) سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٧٢.

(١٠) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص١٣.

وقد مرَّ معنا خبر الكِتَاب الذي كتبه بنفسه لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما مرّت معنا وصيته لأبنائه بتقييد العلم وكتابته.

٣٦- الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشميّ:

أبو عبدالله، ريحانة النبي ﷺ وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولما وُلِدَ أَذَّن النبي ﷺ في أُذُنِه، وهو سيد شباب أهل الجنة، أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ[١].

قال محمد بن إسحاق النديم ـ رحمه الله ـ: إنه رأى في خزانة ابن أبي بعرة بمدينة الحديثة ـ ضمن ما رأى ـ كُتُبًا بخطوط الإمامين الحسن والحسين[٢].

٣٧- الحُصَين بن نُمير:

ذكره ابن حجر ـ رحمه الله ـ في كتاب «الإصابة»، ونقل خبر كتابته للرسول ﷺ وإن لم يتمكن من تحديد شخصيته حيث قال: «ما أدري هو الذي قبله أو غيره»[٣]. وقد مر معنا خبر كتابته للرسول ﷺ.

ورُوِي أن الرسول ﷺ دعاه ليكتب صلح الحديبية، فأبى ذلك سهيل بن عمرو وقال: لا يكتب رجل مِنَّا. فكتب علي بن أبي طالب[٤]، كما هو مشهور وثابت. وقد ذكره ضمن كُتَّاب رسول الله ﷺ كل من: البغدادي[٥]، واليعقوبي[٦]، والجهشياري[٧]، والمسعودي[٨]، والعراقي[٩].

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٢٤.

(٢) النديم، الفهرست، ص٦٤.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٨٠.

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٥.

(٥) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٧) الوزراء والكتاب، ص١٢.

(٨) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(٩) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

٣٨- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

كانت من المهاجرات، وهي أم المؤمنين تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث، كما عند أكثر العلماء(١)، وكانت كاتبة، أخَذَتْ الكتابة عن الشِّعاء العدوية(٢).

٣٩- أبو حكيمة العبدي:

قال ابن مَنْده الأصبهاني: «أبو حكيم العبدي، حدَّث عن: علي بن أبي طالب»(٣)، وقد مرَّ معنا خبر كتابته للمصاحف ومرور علي رضي الله عنه عليه.

٤٠- حُمْران بن أبَان:

مولى عثمان، من تابعي أهل المدينة ومُحَدِّثيهم، وكان من العلماء الجلَّة أهل الرأي والشرف، أصله من النمر بن قاسط وسُبِي من عين التمر فابتاعه عثمان من المسيب بن نَجْبَة فأعتقه، وسمع من عمر وعثمان وغيرهما(٤).

وقد ذكره ابن قتيبة - رحمه الله - في كُتَّاب عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذْ قال: «... فاشتري لعثمان، ثم أعتقه، وصار يكتب بين يديه...»(٥). وكذلك ذكره ابن عساكر - رحمه الله - فقد روى بسنده إلى من يقول: «سمعنا أن كاتب عثمان ابن عفان حمران مولاه»(٦).

ومن آثاره كِتَاب عن عثمان بن عفان لعبدالرحمن بن عوف بالخلافة، فقد روى ابن عساكر - رحمه الله - بسنده: «أن عثمان بن عفان اشتكى رُعافًا فدعى حمران، فقال: اكتب لعبدالرحمن العهد من بعدي، فكتب له...»(٧). وقد مرَّ معنا خبره.

---

(١) انظر: ابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج٧، ص٦٧-٦٨.

(٢) ظَمْياء محمد عَبّاس، نِسَاء خَطَّاطات، المورد، م١٥، ع٤ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م): ص١٤٣.

(٣) ابن منده، فتح الباب في الكنى والألقاب، ص٢٧٣.

(٤) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١٥٣.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٣٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٥، ص١٧٨.

(٧) المصدر السابق، ج٣٥، ص٢٩٢.

٤١ - حَمَلة بن جُوَيَّة:

كتب كتَاب بُكير بن عبدالله إلى أهل مُوقان من جبال القَبْح، إذ جاء في آخره: «شهد الشَّماخ بن ضرار، والرُّسارس بن جنادب، وحَمَلة بن جُوَيَّة. وكتب سنة إحدى وعشرين»[١].

٤٢ - حُمَيْد بن عبدالرحمن بن عَوْف بن خالد العامريّ الرواسيّ:

وفد هو وأخوه جنيد وعمرو بن مالك على النبي ﷺ، قاله هشام بن الكلبي[٢] وذكر ابن عبد ربه الأندلسي - رحمه الله - أنه كان كاتبًا لمروان بن الحكم وفي موضع آخر، قال ما نصّه: «وكان يزيد بن عبدالله بن زمعة... على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية، وكان بعد حُمَيْد بن عبدالرحمن بن عوف صاحب النبي ﷺ»[٣].

٤٣ - حَنظلة بن الرَّبيع بن صَيْفيّ الأُسَيْديّ:

يُكنَّى أبا ربعي، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي، روى عن رسول الله ﷺ، وهو ممن تخلف عن علي رضي الله عنه في قتال الجمل بالبصرة. مات بقرقيسيا[٤].

وقد اشتهر حنظلة بلقب «حنظلة الكاتب» حيث ذكرت معظم المصادر هذا اللقب، قال ابن سعد - رحمه الله -: «حنظلة بن الربيع الكاتب من بني تميم... كتب للنبي ﷺ مرَّة كتابًا فسُمي بذلك الكاتب. وكانت الكتابة في العرب قليلة»[٥]. وقال ابن قتيبة - رحمه الله - في ترجمته: «حنظلة الكاتب»[٦]، وقال

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٤١.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٧٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١١١.

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٧، وج٤، ص٢٥٢.

(٤) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٨٤-٨٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٥٥، وج٢، ص٥٤٦.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٩٩.

البلاذري - رحمه الله -: «فمن بني مخاشن: حنظلة الربيع بن رياح بن مخاشن، صاحب النبي ﷺ الذي يقال له حنظلة الكاتب، وكان معه خاتم النبي ﷺ ..»[1]، وذكر الأخير قصة حَدَثَت بين حنظلة ومعاوية رضي الله عنهما وفيها شهد معاوية بأن حنظلة كتب للنبي ﷺ، حيث قال: «... دعه فإنه أخي، كان يكتب للنبي ﷺ وأكتب له، فحفظ ونسيت»[2].

وقد عَدّه ضمن كُتَّاب النبي ﷺ عدد غير قليل من المصنفين، منهم: خليفة بن خياط العصفري[3]، والبغدادي[4]، واليعقوبي[5]، والطبري[6]، وابن عبد ربه الأندلسي[7]، والمسعودي[8]، والباقلاني[9]، وابن عساكر[10]، وابن الأثير الجزري[11]، وابن كثير[12]، والخزاعي[13]، وابن حجر[14]، والعراقي[15]، والزَّبيدي[16] رحمهم الله جميعاً.

وأكدت المصادر الحديثية على تلقيب حنظلة رضي الله عنه بالكاتب، وذلك من خلال

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٣، ص٦٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٣، ص٦٧.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٩.

(٤) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٦) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(٧) العقد الفريد، ج٥، ص٨.

(٨) التنبيه والإشراف، ص٢٦٢.

(٩) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٩، وج١٥، ص٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨.

(١١) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل، ج٢، ص١٧٩.

(١٢) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٥-٣٥٦.

(١٣) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧١-١٧٢.

(١٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١١٧.

(١٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(١٦) حكمة الإشراق، ص٧٠.

أسانيد أحاديثه المروية عن الرسول ﷺ، مثل حديثه «نافق حنظلة» الذي أخرجه مسلم في «صحيحه»(١)، والترمذي في «سننه»(٢)، وابن ماجه في «سننه»(٣)، وأحمد في «مسنده»(٤)، وحديثه عن المرأة المقتولة وأمْرِه ﷺ خالد بن الوليد أن لا يقتل ذرية ولا عسيفًا، الذي أخرجه أحمد في «مسنده»(٥).

قال الإمام النووي - رحمه الله -: «قوله [أي: قول أبي عثمان النهدي راوي الحديث عن حنظلة الأُسَيْدي]: وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ. هكذا في جميع نسخ بلادنا وذكره القاضي [أي: القاضي عياض] عن بعض شيوخهم كذلك، وعن أكثرهم كان من أصحاب النبي ﷺ ...»(٦). وقال المباركفوري - رحمه الله -: «قوله: وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ بضم الكاف وتشديد الفوقية جمع كاتب، وكان لرسول الله ﷺ كُتَّاب يكتبون له الوحي وغيره، قال ابن الجوزي في «التلقيح» تسمية من كان يكتب لرسول الله ﷺ ...»، وذكر منهم حنظلة بن الرَّبيع الأُسَيْدي(٧). وقد ترجم الإمام أحمد لمسند أحاديث حنظلة بقوله: «حديث حنظلة الكاتب الأُسَيْدي رضي الله تعالى عنه»(٨).

ومما سبق، نرى إجماع معظم - إن لم يكن جميع - المؤرخين والمحدثين على اشتهار حنظلة رضي الله عنه بلقب الكاتب، وقد جاء ذكر لقب حنظلة هذا في رثاء زوجته له إذْ جزعت عليه لَمَّا مات فَلامَهَا جاراتها في ذلك فقالت:

(١) كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، ج١٧، ص٦٩-٧٠، رقم ٦٩٠٠، ٦٩٠٢.

(٢) كتاب صفة القيامة، ج٧، ص٢٢٦-٢٢٧، رقم ٢٥١٤.

(٣) كتاب الزهد، باب المداومة على العمل، ج٢، ص١٤١٦، رقم ٤٢٣٩.

(٤) ج١٣، ص٤٣٤، رقم ١٧٥٤١.

(٥) ج١٣، ص٤٣٤-٤٣٥، رقم ١٧٥٤٢.

(٦) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٧، ص٦٩.

(٧) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٧، ص٢٢٦.

(٨) أحمد بن حنبل، المسند، ج١٣، ص٤٣٤.

تَعجَّـبَـتْ دَعْـــدُ لمحـزونـــةٍ	تبكي على ذي شَيْبَة شَاحـبِ
إنْ تسـألينـــي اليـوم ما شَـفَّني	أُخْبــرُك قـولاً ليس بالكاذب
إن ســـوادَ العـــين أوْدَى به	حُـزنٌ على حَنْظَلَة الكَاتب[١]

وروى الجهشياري ـ رحمه الله ـ أنه كتب لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

ومن آثاره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَاب خالد بن الوليد لصلوبان نَسْطونا وقومه على الجزية والـمَنَعَة، فقد جاء في آخره: «وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر»[٣].

٤٤ – حُوَيْطِبُ بن عَبْد العُزَّى بن أبي قَيْس القُرشيّ العامريّ:

من مسلمة الفتح، ومن المؤلَّفة قلوبهم، وشهد حنينًا مع النبي ﷺ، فأعطاه النبي ﷺ مئة من الإبل. مات بالمدينة في آخر خلافة معاوية[٤].

وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: الباقلاني[٥]، وابن مِسْكَويه[٦]، وابن حُدَيْدة الأنصاري[٧]، والعراقي[٨].

٤٥ – خالد بن زَيْد بن كُلَيْب، أبو أيوب الخَزْرَجي الأنْصَاريّ:

مشهور بكنيته، شهد العقبة، وبدْرًا، وأُحُدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولـمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا نزل عليه، وكان ممن شهد مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حروبه، ولزم الجهاد حتى توفي مجاهدًا سنة اثنتين وخمسين من الهجرة[٩].

---

(١) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص١٧٩، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١١٧.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص١٥.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣١٩.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٩٨.

(٥) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٦) انظر: ابن حُدَيْدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص٨٤.

(٧) المصباح المضيء، ج١، ص٨٣ – ٨٤.

(٨) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٩) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص١٢١ – ١٢٣.

وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: ابن سيد النَّاس[١]، وابن حُديدة الأنصاري[٢]، والعراقي[٣].

٤٦- خَالد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة القُرَشيّ:

يُكنَّى أبا سعيد، أسلم قديمًا، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد مع النبي ﷺ القضية، وفتح مكة، وحنينًا، والطائف، وتبوك، وبعثه رسول الله ﷺ عاملاً على صدقات اليمن، فتوفي النبي ﷺ وهو عليها. ثم استعمل أبو بكر خالدًا على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام، فقُتل بِمرج الصُّفَّر في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٤].

وقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «أقام خالد [أي: ابن سعيد ابن العاص] بعد أن قدم من أرض الحبشة مع رسول الله ﷺ بالمدينة، وكان يكتب له»[٥].

وقال البلاذري ـ رحمه الله ـ: «وكان ممن كتب لرسول الله ﷺ ...»[٦].

وممن ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ: البغدادي[٧]، والبلاذري[٨]، والطبري[٩]، وابن عبد ربه الأندلسي[١٠]، والمسعودي[١١]، والمقدسي[١٢]، والباقلاني[١٣]،

---

(١) عيون الأثر، ج٢، ص٤١٣.

(٢) المصباح المضيء، ج١، ص٨٨ – ٩٠.

(٣) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٤) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص١٢٤–١٢٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٩٦.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٥.

(٧) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٨) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٣.

(٩) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(١٠) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٠.

(١١) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(١٢) البدء والتاريخ، ج٥، ص٩٥.

(١٣) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

وابن عساكر(١)، وابن الأثير الجزري(٢)، وابن كثير(٣)، والخزاعي(٤)، والعراقي(٥)، والهيثمي(٦)، والزَّبيدي(٧) رحمهم الله جميعاً.

ومن آثارِه:

* قيل: إنه أول من كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) في صدر الكتاب من أهل مكة(٨).

* كتب كتاب أمان من رسول الله ﷺ ليهود من بني عاديًا من تيماء(٩).

* كتب كتاب طُعمة من رسول الله ﷺ ليهود بني عريض(١٠).

* كتب كتاب رسول الله ﷺ لعكٍّ ذي خَيْوان(١١).

* كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى عامة المسلمين في ثقيف(١٢).

* كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى بني أسد(١٣).

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٢) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٩.

(٣) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٤) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧١ - ١٧٢.

(٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(٦) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(٧) حكمة الإشراق، ص٧٠.

(٨) الفاكهي، أخبار مكة، ج٣، ص٢٣٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٦، ص٧٦، والذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٩١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٠٣.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٩، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٦.

(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٩، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٦.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٩، وأخرج نصه أبو يعلى في مسنده، ج١٢، ص٢٧٥ - ٢٧٧، رقم ٦٨٦٤. وقال محقق المسند: «إسناده ضعيف»، وأخرجه - أيضًا - أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في حكم أرض اليمن، ج٨، ص٢٠٩، رقم ٣٠٢.

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٥، وج٤، ص٩٦، والطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص١٨٠.

(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠.

* كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى راشد بن عبد رب السُّلمي"[١].
* كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى حرام بن عوف السلمي[٢].
* كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى العَدَّاء بن خالد بن هَوْذة ومن تبعه من عامر ابن عكرمة[٣].
* كتب إقطاع الرسول ﷺ لسعيد بن سفيان الرِّعلي[٤].
* كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى بني عمرو بن حُمَيْر يدعوهم إلى الإسلام[٥].

٤٧- خالد بن أبي الهَيّاج[٦]:

مَرَّ معنا أنه أحد كُتَّاب المصاحف في عهد عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٤٨- خالد بن الوليد بن المُغيرة المَخْزومي القرشي:

كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، ولما أراد الإسلام قدم على رسول الله ﷺ هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، ولا يصح له مشهد مع رسول الله قبل فتح مكة، وله الأثر المشهود في قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، وقد روى عن النبي ﷺ، وروى عن ثُلَّةٍ من الصحابة والتابعين[٧].

سَمَّاهُ في كُتَّاب الرسول ﷺ كل من: ابن عساكر[٨]، وابن الأثير الجزري[٩]، وابن كثير[١٠]، والعراقي[١١] رحمهم الله.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٤، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٤.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٧٣.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٨٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٨٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٥.

(٦) لم أقف على ترجمته.

(٧) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص١٤٠ - ١٤٥.

(٨) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٩) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(١٠) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٤٧، ٣٥٨.

(١١) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

وقد أشار ابن عساكر وابن كثير إلى قطائع أقطعها رسول الله ﷺ إلى أُناس، كتبها خالد بن الوليد، وقد ذكرا نص الكتَاب.

٤٩- دُخَيْن بن عامر الحَجْري، أبو لَيْلَى المصْريّ:

رَوَى عن عُقْبة بن عامر الجهني (ت ٥٨هـ) وقد قتلته الروم بتنّيس سنة مئة[١]، وهو من التابعين المصريين الثقات[٢]. وقد روى أحمد في «مسنده»، قال: «حدثنا هاشم حدثنا ليث عن إبراهيم بن نشيط الخولاني عن كعب عن علقمة عن أبي الهيثم عن دُخَيْن كاتب عقبة بن عامر قال، قلتُ لعقبة...» ثم ذكر الحديث[٣]. ففيه بيان أنَّ دُخَيْنًا كان كاتبًا للصحابي عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٥٠- رَافع بن مالك بن العَجْلان الخَزْرجي الأنْصَاريّ:

نقيب، عَقَبيّ، بَدْري، شهد العقبة الأولى والثانية، كان نقيب بني زريق، قتل يوم أُحُد شهيدًا[٤].

وقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «وكان رافع بن مالك من الكَمَلة، وكان الكامل في الجاهلية الذي يكتب ويحسن العوم والرمي، وكان رافع كذلك وكانت الكتابة قليلة»[٥].

٥١- رَبَـــاح[٦]:

كتب كتاب حبيب بن مسلمة لأهل تَفْليس من جُرْزان أرض الهرمز، وقد جاء في آخره: «شهد عبدالرحمن بن خالد، والحجاج، وعياض، وكتب رباح، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا، وكفى بالله شهيدًا»[٧].

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٢٧.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج١٣، ص٣٥٨.

(٣) المصدر السابق، ج١٣، ص٣٥٨، رقم ١٧٣١٩.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦٢١.

(٦) هكذا غير منسوب في نص الكتاب، ولتعدد من اسمه رباح من الصحابة ولقلة المعلومات المدونة عنهم عجز الباحث عن تحديد شخصية هذا الكاتب. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٣٧٤ - ٣٧٧.

(٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٤٤.

٥٢- رُفَيع بن مِهْران أبو العالية الرِّياحي:

تقدمت ترجمته وخبر كتابته وتدوينه.

٥٣- رَوْح بن زِنْبَاع بن سَلامة الجُذَامي:

لأبيه زِنْباع صحبة، أرسل عن النبي ﷺ، وحدَّث عن أبيه، ومعاوية، وعبادة ابن الصامت، وتميم الداري، وكعب الأحبار، وكان له اختصاص بعبدالملك بن مروان لا يكاد يغيب عنه، ودخل دمشق غير مرة، توفي سنة ٨٤هـ بصفين من الأردن(١).

وقد كان كاتب الخليفة عبدالملك بن مروان(٢).

٥٤- زَاذَان فُرُّوخ (الكاتب الفَارسيّ):

تقدم ذكره والحديث عنه، وقد ذكره - أيضًا - خليفة بن خياط العصفريّ(٣) فيمن كتب لزياد بن عبيد.

٥٥- الزُّبَيْرَ بن العَوَّام بن خُوَيْلد الأسْديّ القُرَشيّ:

يُكنَّى أبا عبدالله، أمه صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ وابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان إسلامه بَعْد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بيسير، هاجر إلى الحبشة والمدينة، وشهد بدرًا، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر، وجعله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقُتِل سنة ست وثلاثين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٤).

وقد ذكره فيمن كَتَبَ لرسول الله ﷺ كل من: الباقلاني(٥)، وابن عساكر(٦)،

---

(١) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص٢٤٠ - ٢٥١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٨٤.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٣٠.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٣٠٧ - ٣١١.

(٥) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٦) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣١.

وابن كثير[1] رحمهم الله، مشيرين إلى كِتَابٍ كتبه من محمد النبي ﷺ لبني معاوية بن جرول الطائيين، كما ذكره ضمن كُتَّابه ﷺ كل من: المسعودي[2]، وابن الأثير الجزري[3]، والعراقي[4] رحمهم الله جميعًا.

٥٦- زَمْل بن عمرو بن عنز العُذْري:

من بني هند بن حرام، له وفادة على رسول الله ﷺ وكَتَبَ له كِتَابًا وقد سكن الشام، وكان عند معاوية بدمشق، واستعمله على شرطته، وهو أحد شهود معاوية في التحكيم[5].

وقد ذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ أن يزيد بن معاوية استعمله على خاتمه[6].

٥٧- زياد بن حُدَيْر الأَسديّ:

نزيل الكوفة، له إدراك، وكان كاتبًا لعمر على الثغور[7]، وقد مرّ معنا ذكره.

٥٨- زياد بن عُبَيْد:

هو ابن سُميَّة الذي صار يقال له: ابن أبي سفيان، وُلِدَ على فراش عبيد مولى ثقيف، فكان يقال له: زياد بن عُبَيْد، ثم اسْتَلْحَقه معاوية، ثم لما انقضت الدولة الأموية صار يقال له: زياد ابن أبيه، وزياد ابن سُميَّة، وكنيته أبو المغيرة.. ذكره أبو عمر في الصحابة، ولم يذكر ما يدل على صحبته، وفي ترجمته أنه وفد على عمر من عند أبي موسى، وكان كاتبه، ومقتضى ذلك أن يكون له إدراك، وجزم ابن عساكر بأنه أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأنه أسلم في عهد أبي بكر، وسمع من عمر..

(١) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٨-٣٥٩. وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٩، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٥٠ - ١٥٢.

(٢) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(٣) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(٤) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٥) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٧٦ - ٧٩.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٤٦٩.

(٧) المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٨.

كان من الأمراء الدهاة الخطباء الفصحاء، مات سنة ثلاث وخمسين وهو أمير المِصْرين: الكوفة والبصرة، ولم يُجْمَعا قبله لغيره وأقام في ذلك خمس سنين(١).

وقد تقدمت أخباره في صناعة الكتابة.

٥٩- زَيْد بن أرْقَم بن زَيْد الخَزْرَجيّ الأنْصَاريّ:

رُوِي عنه من وجوه أنه شهد مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، واسْتُصْغر يوم أُحُد، وكان يتيمًا في حجر عبدالله بن رواحة، وسار معه إلى مُؤْتة، وشهد على صفين، وهو معدود في خاصة أصحابه، وسكن الكوفة، وتوفي بها سنة ثمان وستين. وقد روى حديثًا كثيراً عن النبي ﷺ(٢). ومن شواهد معرفته الكتابة، كتابته رسالة بعث بها إلى أنس بن مالك زمن الحرة يعزيه فيمن قُتِلَ من ولده وقومه(٣). ولهذا ـ ولغيره ربما ـ قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في ترجمة زيد بن أرقم: إن أنس بن مالك روى عنه كتابةً(٤).

ذكره الباقلاني ـ رحمه الله ـ ضمن كُتَّاب النبي ﷺ في كتابه «الانتصار للقرآن الكريم»(٥).

٦٠- زَيْد بن ثابت بن الضَّحَّاك الخَزْرَجيّ الأنصاري:

كان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، واستصغره رسول الله يوم بدر فرده، وشهد أحُدًا، وقيل: لم يشهدها، وإنما شهد الخندق أو مشاهده، وكان أعلم الصحابة بالفرائض، ومن أعلم الصحابة والراسخين في العلم(٦).

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥٢٧-٥٢٨.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٣٤٢ - ٣٤٤.

(٣) انظر: نص الرسالة في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، ج١٤، ص٤٣٦، رقم ١٩١٩٥، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٢٣٥.

(٥) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٣٤٦-٣٤٧.

الشواهد والآثار:

وقد رَوَى زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتابته للوحي فقال - حينما طُلب منه أن يَذْكر أخلاق رسول الله ﷺ -: «ماذا أحدِّثكم؟ كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي أرسل إليَّ فَكَتَبْتُهُ له...»[١]. ولم يختلف إثنان في أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كُتَّاب النبي ﷺ، وممن ذكره من المصنفين والعلماء: خليفة بن خياط العصفري[٢]، والبغدادي[٣]، والبلاذري[٤]، واليعقوبي[٥]، والطبري[٦]، وابن عبد ربه الأندلسي[٧]، والمسعودي[٨]، والباقلاني[٩]، وابن عساكر[١٠]، وابن الأثير الجزري[١١]، والخزاعي[١٢]، والعراقي[١٣]، والهيثمي[١٤]، وابن حجر في عدة مواضع[١٥] رحمهم الله جميعًا.

وكان زيد من كُتَّاب عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[١٦] إذْ روى ابن عساكر

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٦٥.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٩.

(٣) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٤) أنساب الأشراف، ج٢، ص ١٩٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٦) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(٧) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١، وج٥، ص٨.

(٨) التنبيه والإشراف، ص٢٦٢.

(٩) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣١، وج١٩، ص٣٠٠.

(١١) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٩.

(١٢) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧١-١٧٢.

(١٣) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(١٤) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب في كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(١٥) الإصابة، ج٧، ص١٤٨، وج٨، ص٢٥٢.

(١٦) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٨٩، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٦، والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٧، والقلقشندي، مآثر الإنافة، ج١، ص٨٩، والجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص١٦.

ـ رحمه الله ـ أن المجالد بن سعيد قال: «كان زيد بن ثابت كاتباً لرسول الله ﷺ، ثم كان كاتب عمر بن الخطاب، وله القراءة، والفرائض»(١).

وقد استخزنه عثمان بن عفان رضي الله عنه على بيت المال(٢). وذكره رضي الله عنه فيمن كتب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كل من: خليفة بن خياط العصفري(٣)، والطبري(٤)، والجهشياري(٥)، والمسعودي(٦)، وابن الأثير الجزري(٧)، والذهبي(٨) رحمهم الله جميعاً.

وقد مر معنا أخباره في كتابة القرآن الكريم وجمعه في عهد أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

٦١- زَيْد بن عبدالله بن أبي مُلَيْكَة القُرشيّ البَصْريّ:

قال ابن عساكر ـ رحمه الله ـ في صدر ترجمته: «وفد على معاوية وكتب عنه»(٩)، وفي هذا الخبر ـ أيضًا ـ إشارة إلى انتشار التدوين العلمي بين الناس في ذلك العهد.

٦٢- سالم بن أَبي أُمَيَّة التَّيْميّ، أبو النَّضْر المَدَنيّ:

مَوْلى عمر بن عُبَيْدالله التَّيْميّ، وكان كاتبه، وقد روى عن الصحابي عبد الله ابن أبي أوْفى (ت ٨٦هـ) كتابةً(١٠)، يشهد لذلك ما رواه البخاري في «صحيحه»،

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٣٠٨.

(٢) المصدر السابق، ج١٩، ص٣١٧.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص٦٦.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٥١.

(٥) الوزراء والكتاب، ص١٥.

(٦) التنبيه والإشراف، ص٢٦٥.

(٧) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٦٨.

(٨) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢١.

(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٤٤٨.

(١٠) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٢٥٦، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٤٥.

قال: «حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عبيدالله ـ وكان كاتبه ـ قال: كتب إليه عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»(١).

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «قوله: وكان كاتبه، أي أنَّ سالماً كان كاتب عبدالله ابن أبي أَوْفى»(٢).

٦٣- سالم أبو الزُّعَيْزِعة (مَوْلَى مَرْوان بن الحَكَم):

رَوَى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومكحول، وقال ابن عساكر ـ رحمه الله ـ في صدر ترجمته: «سالم أبو الزُّعَيْزِعة مولى مروان بن الحكم وكاتبه وكاتب ابنه عبدالملك ابن مروان، وكان على الرسائل لعبدالملك...»(٣).. ذَكَره المسعودي ـ رحمه الله ـ ضمن كُتَّاب مروان بن الحكم(٤)، وسَمَّاه خليفة بن خياط العصفري بكاتب الرسائل لعبدالملك بن مروان(٥)، وذكره ابن عبد ربه الأندلسي فيمن كتب لعبدالملك بن مروان(٦)، وصرح ابن حجر ـ رحمه الله ـ بكتابته لمروان بن الحكم فقال: «قال أبو الزُّعَيْزِعة كاتب مروان»(٧).

ومن آثاره: ما رواه ابن عساكر ـ رحمه الله ـ أيضًا بسنده عن عمرو بن عبيد الأنصاري قال: «أخبرني أبو الزُّعَيْزِعة كاتب مروان بن الحكم: أن مروان بن الحكم دعا أبا هريرة فأقعده خلف السرير فجعل يسأله، وجعلتُ أكتب، حتى إذا كان

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ج٦، ص٣٣، رقم٢٨١٨.
(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٣٤.
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص٨٨.
(٤) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٥.
(٥) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٩.
(٦) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٧.
(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٣٥٣.

عند رأس الحَوْل دَعَا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص، ولا قدَّم ولا أخّر»(١).

٦٤- السَّائب بن الأَقْرَع بن عوف الثَّقَفيّ:

دخل السَّائب مع أمه على النبي ﷺ فَمَسَحَ برأسه، ودعا له، وَوُلِّيَ أصْبهان، ومات بها، وعَقِبه بها، وشهد فتح نهاوند مع النُّعمان بن مُقَرِّن، وكان عمر بن الخطاب بعثه بكتابه إلى النعمان، ثم استعمله عمر على المدائن(٢).

أمَّا كونه من الكَتَبة الحَسَبة، فقد روى الذهبي - رحمه الله - في أمر فتح نهاوند أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعث السَّائب بن الأقرع مولى ثقيف - وكان كاتبًا حاسبًا - وقال له: «إن فتح الله على الناس فاقسم عليهم فَيْئَهم، وأعزِل الخُمْس»(٣).

٦٥- سَرْجُون بن مَنْصُور الرُّوميّ:

ذكره أبو الحسن في تسمية كُتَّاب أمراء دمشق، وذكر أنه كان نصرانيًّا فأسلم، وهو الذي يُنسب إليه جبر بن سرجون عند باب كيسان، ويقال له: سرحة، وله عَقب، وكان يقال: إن الكنيسة التي خارج باب الفراديس بحذاء دار أم البنين مُحْدَثَة بُنيت بعد الفتح لسرحة، كان كاتبًا لمعاوية بن أبي سفيان ثم أسلم على يديه، وبقيت الكنيسة(٤).

وقد قال خليفة بن خياط - رحمه الله - عند ذكره لكُتَّاب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعُمَّاله: «وكان على الديوان وأمره كله: سَرْجُون بن منصور الرُّومي»(٥)، وقال ابن عساكر - رحمه الله - في صدر ترجمته: «سَرْجون بن منصور الرومي كاتب معاوية وابنه يزيد بن معاوية وعبدالملك بن مروان»(٦).

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص٨٩.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٣٨٨.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٢٢٧.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص١٦١.

(٥) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٤١. وانظر: الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٤.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص١٦١. وانظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٤٧-٢٥٢.

٦٦- سَعْد بن الرَّبيع بن عَمْرو بن أبي زُهَيْر الخَزْرَجيّ الأنْصاريّ:

عَقَبيّ، بَدْريّ، نقيب، كان أحدَ نقباء الأنصار وكان كاتبًا في الجاهلية، شهد العقبة الأولى والثانية، وقُتِل يوم أُحُد شهيدًا(١).

وقد قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «وكان سعد [أي ابن الربيع] يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة»(٢). وذكره الباقلاني ـ رحمه الله ـ ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٣).

٦٧- سعد بن عُبَادة بن دُلَيْم الخَزْرَجي الأنْصاريّ:

كان سَيِّدًا جَوَادًا، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجيهًا في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها. وله ولأهله في الجود أخبار حسنة(٤).

وقال ابن سعد ـ رحمه الله ـ: «كان سعد [أي: ابن عبادة] في الجاهلية يكتب بالعربية، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يحسن العوم والرمي، وكان من أجل ذلك سُمّي الكامل»(٥). وقد ذكره الباقلاني ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٦).

٦٨- سَعْد بن مَالك بن خالد بن ثَعْلَبة الخَزْرَجيّ الأنْصَاريّ:

ذُكِر أنه تَجَهَّز ليخرج إلى بدر، فمات، فموضع قبره عند دار بني قارظ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره(٧).

وقد مرَّ معنا خبر كتابته لوصيته في مؤخر رحله.

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٤٣٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٢٢.

(٣) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٤٤١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦١٣، وج٧، ص٣٨٩. وانظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١١٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠، ص٢٤١، وابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص١٩٨، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥٥.

(٦) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٤٥١.

٦٩- سَعْد بن أبي وقَّاص مالك بن وُهَيْب الزهري القرشي:

أسلم بعد سنة، وقيل بعد أربعة، وكان عمره لَمَّا أسلم سبع عشرة سنة، وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد العشرة سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تُوُفي وهو عنهم راض. شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[١]، وما يشير إلى معرفته الكتابة ما ذكرته ابنته عائشة من أنَّ أباها عَلَّمها الكتابة، وستأتي ترجمتها بإذن الله.

٧٠- سعيد بن جُبير بن هشام:

الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد أبو محمد، ويقال: أبو عبدالله الأَسْديّ الوالِّبي، مولاهم الكوفي أحد الأعلام، روى عن ابن عباس فأكثر وَجَوَّد، وعن عبدالله بن مُغَفَّل، وعائشة[٢]، وغيرهم من الصحابة.

وقد قال المقدسي ـ رحمه الله ـ: «وكان سعيد بن جبير من أفاضل الناس، وكان من أفاضل التابعين، كتب لعبدالله بن عُتبة بن مسعود[٣]، ثم كتب لأبي بردة [ابن أبي موسى الأشعري] وهو على القضاء...»[٤].

وقد مرَّ معنا خبر كتابته للأحاديث.

٧١- سعيد بن شدَّاد اليَرْبوعي:

كان مُعَلِّماً في عهد ولاية عبيدالله بن زياد (٢٨هـ - ٦٧هـ)، قال الحرمازي: «كان سعيد بن شداد اليربوعي معلماً، وكان ابن زياد يستملحه ويدعو به كثيراً،

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٢١-٣٢٢.

(٣) عمُّهُ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رأى النبي ﷺ وهو في سن الخامسة أو السادسة، واستعمله عمر بن الخطاب، وقد اختُلف في صحبته، ورجّحها ابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى. انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٣٨. وانظر: البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

فأبطأت عليه صلته، وقال ابن زياد يوماً: ما أحوجني إلى وُصَفَاء، فَعَمد إلى صِبْيَة في كُتّابه فألبسهم الثياب وأتاه بهم، وقال: هؤلاء وُصَفَاء، فاشتراهم منه، فلما أمسوا جعلوا يبكون ويطلبون منازلهم، فأطلقهم ابن زياد، وقال لسعيد: ما حملك على هذا؟ قال: إبطاءُ صلتي، فَضَحك وسوّغه أثمان الصبيان وزاده»[١].

٧٢- سعيد بن العاص بن أبي أحيحة بن أُميَّة الأُمَوي القُرشيّ:

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وكان من فصحاء قريش، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكِتَابة القرآن، قال ابن أبي داود في «المصاحف»: حدثنا العباس بن الوليد، حدَّثنا سعيد بن عبدالعزيز، أنَّ عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ»[٢].

٧٣- سعيد بن نِمْران الهَمْدَانيّ النَّاعِطِيّ:

كان كاتباً لعلي، وأدرك من حياة النبي ﷺ أعواماً، وشهد اليرموك، وسار إلى العراق مَدَداً لأهل القادسية[٣].

وقد عدَّه في كُتَّاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه كل من: خليفة بن خياط[٤]، وابن عبد ربه الأندلسي[٥]، والجهشياري[٦] رحمهم الله جميعاً.

٧٤- سُفيان (الأَحْول):

ذكره الجهشياري ـ رحمه الله ـ فيمن كتب لمروان بن الحكم[٧].

وقال ابن عساكر ـ رحمه الله ـ: «ذكره أبو الحسين الرَّازي في تسمية كُتَّاب أمراء دمشق، وذكر أنه كان كاتباً لمروان بن الحكم»[٨].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٤١٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٩٠.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٤٨٩.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٢١.

(٥) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١، وج٥، ص٦١.

(٦) الوزراء والكُتّاب، ص٢٣.

(٧) المصدر السابق، ص٣٣.

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢١، ص٣٦٧.

٧٥- أبو سَلَمَة بن عبدالرحمن بن عَوْف الزهريّ المدنيّ:

قيل: اسمه عبدالله، وقيل: إسماعيل، وقيل: اسمه كنيته، روى عن أبيه [الصحابي الجليل]، وعثمان بن عفان، وطلحة، وعبادة بن الصامت، وأبي قَتَادة، وأبي الدرداء، وخلق من الصحابة والتابعين، كان ثقة، فقيهًا، كثير الحديث، ومن سادات قريش(١).

وقد روى ابن عساكر بسنده عن أبي سلمة عن فاطمة بنت قيس، قال: «كتبتُ ذاك من فِيْهَا كتابًا...» ثم ذكر الحديث(٢)، وفيه - أيضًا - إشارة إلى ظهور التدوين العلمي في ذلك العهد.

٧٦- سُلَيمان المِشْجَعَيّ:

من قضاعة، ذكره الجهشياري ضمن كُتَّاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان يكتب له على فلسطين(٣).

٧٧- سُويدُ بن الصَّامت بن خَالد الأَوْسيّ الأَنْصاريّ:

وهو صاحب مَجَلَّة لقمان التي مرّ ذكرها في أسماء المدونات، وهو بعد أن دعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام في ذلك الخبر «لم يبعد، وقال: إن هذا لقول حسن ثم انصرف، وقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قَتَلَتْهُ الخزرج، فكان رجال من قومه يقولون: إنا لنراه مات مسلمًا، وكان قُتِلَ يوم بُعاث»(٤)، إلا أن ابن عبدالبر - رحمه الله - شكَّكَ في إسلام سويد هذا، قائلاً: «أنا شاكٌّ في إسلام سُويد بن الصَّامت كما شَكَّ فيه غيري ممن أَلَّف في هذا الشأن قبلي، والله أعلم»(٥). وقد علق ابن حجر - رحمه الله - على قول قومه المذكور آنفًا بما نصه: «فإن صحَّ ما قالوا لم يُعَدّ في الصحابة؛ لأنه لم يلق النبي ﷺ مؤمنًا»(٦).

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٣٥١ - ٣٥٣.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص١٧٩.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٦.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٥٩٥.

(٥) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٦٧٧.

(٦) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٢٤٧.

ومما يشير إلى إتقانه الكتابة ـ علاوة على حمله مجلة لقمان معه ـ أن قومه كانوا يدعونه بالكامل «وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعرًا، شجاعًا، كاتبًا، سابحًا، رامياً سموه الكامل، وكان سويدٌ أحد الكَمَلَة»(١).

٧٨- سُوَيْد بن مُقَرِّن بن عائذ المزني:

أخو النُّعْمان بن مُقَرِّن، سكن الكوفة، رَوى عن النبي ﷺ(٢)، روى حديثه مسلم وأصحاب السُّنن(٣).

ومما يشير إلى إتقانه الكتابة، وجود بعض المدونات المذيلة باسمه في المصادر التاريخية، فقد كتب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتاب حذيفة بن اليَمان إلى أهل ماه دينار، وجاء في آخر الكتاب: «شهد القعقاع بن عمرو، ونعيم بن مُقَرِّن، وسويد بن مُقَرِّن، وكتب في المحرم»(٤). وكتب ـ أيضًا ـ كتابه إلى أهل قُومِس(٥).

٧٩- شدَّاد بن قيس:

صَدَّر ابن عساكر ـ رحمه الله ـ ترجمته بقوله: «كان كاتبًا لمعاوية بن أبي سفيان، له ذِكْر»(٦) وقد مَرَّ معنا كتابه الذي كتبه من معاوية بن أبي سفيان إلى الوليد.

٨٠- شُرَحْبيل ابن حَسَنَة:

وأسلم أبوه عبدالله بن المطاع، وأمّه حَسَنَة مولاة لِمَعْمر بن حبيب بن وهب الجمحي، وقد أسلم شُرحبيل قديمًا، وكان من مهاجرة الحبشة ومن وجوه قريش، وسَيَّره أبو بكر وعمر على جيش الشام، ولم يزل واليًا على بعض نواحي الشام لعمر إلى أن أهلك في طاعون عَمواس، سنة ثمان عشرة، وله سبع وستون سنة(٧).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٢٧.. وانظر: المصدرين السابقين.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٦٠٠-٦٠١.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٩٠.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٠.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٨.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص٤٢٩.

(٧) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٦١٩-٦٢٠.

وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ، كلٌّ من: البغدادي[١]، والبلاذري[٢]، واليعقوبي[٣]، وابن عبد ربه الأندلسي[٤]، والمسعودي[٥]، والباقلاني[٦]، وابن الأثير الجزري[٧]، والعراقي[٨]، والزبيدي[٩].

ومن آثاره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كِتَاب رسول الله ﷺ ليُحنَّة بن رُؤْبة وأهل أيلة[١٠]، كما كَتَبَ كِتَاب الإقطاع الشهير من رسول الله ﷺ إلى الداريين على قول إحدى الروايات[١١].

٨١- الشِّفَاء ليلى بنت عبدالله بن عبد شمس القُرَشِيَّة العَدَوِيَّة:

أسلمت قديمًا، وهي من المبايعات ومن المهاجرات الأُول، كانت من عقلاء النساء وفضَلائهن، وكان رسول الله ﷺ يقيل عندها، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقدِّمها في الرأي ويرضاها[١٢].

ومن شواهد معرفتها الكتابة، ما مرَّ معنا من أنها عَلَّمت حفصة رضي الله عنها الكتابة[١٣]. وقد كانت كاتبة في الجاهلية[١٤]، تَعلَّمت الكتابة من معاوية ويزيد ابني أبي سفيان[١٥]، توفيت نحو ٢٠هـ.

(١) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.
(٢) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.
(٤) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.
(٥) التنبيه والإشراف، ص٢٦٢.
(٦) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.
(٧) أسد الغابة، ج١، ص١٧١.
(٨) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.
(٩) حكمة الإشراق، ص٧١.
(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٩.
(١١) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٦٥.
(١٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٧، ص١٦٢.
(١٣) انظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٨٧.
(١٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٨.
(١٥) ظمياء محمد عباس، نساء خطاطات، المورد، م١٥، ٤٤ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م): ١٤٣.

٨٢- شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي:

أدرك النبي ﷺ، وحدَّث عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعدد من صحابة رسول الله ﷺ، توفي سنة ٨٢هـ، وعمره ـ فيما يقال ـ ١٥٠ سنة(١).

وتظهر معرفته للكتابة وممارسته إياها من خلال جعله على بيت المال من قبل زياد بن عبيد(٢).

٨٣- شَمْعون بن يزيد بن خنافة، أبو رَيْحانة الأَزْدِيّ:

قد تقدمت ترجمته وخبر كتابته في أسماء المدونات تحت عنوان: «الطومار».

٨٤- صالح بن شُرَيح السَّكُوني:

تابعي من أهل حمص، حَدَّث عن أبي عبيدة بن الجراح، وأبي هريرة، ومعاوية ابن أبي سفيان، وغيرهم.. ومن شواهد كونه كاتبًا أن أبا الحسين الرازي ذكره في تسمية كُتَّاب أمراء دمشق، وزعم أنه كان كاتبًا لأبي عبيدة بن الجراح(٣)، ورُوي أن صالح بن شريح كان كاتبًا لعبدالله بن قُرْط، وكان عبدالله بن قُرْط أميرًا لأبي عبيدة على حمص(٤).

٨٥- صالح بن عبد الرحمن أبي صالح (أبو الوليد الكاتب):

من أهل البصرة، كان أبوه أبو صالح سُبِيَ، وسُبي معه من سجستان سنة ثلاثين في خلافة عثمان، على يدي الربيع بن زياد الحارثي(٥). وقد مر معنا شاهد كونه من أحد الكُتَّاب.

---

(١) انظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٥٢ – ١٨٤.

(٢) انظر هذا الخبر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٧٩.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص٣٣٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، وج٣، ص٣٦٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص٣٣٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، وج٣، ص٣٧٠، وج٤، ص١٧٩.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص٣٤٣.

٨٦- صَخْر بن حَرْب بن أميَّة، أبو سُفْيان القُرَشِيّ الأمويّ:

وُلدَ قبل الفيل بعشر سنين، وأسلم ليلة الفتح، شهد حُنينًا والطائف مع رسول الله ﷺ، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حُنين، وأعطى ولديه يزيد ومعاوية. تُوفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

ويروى أن الإسلام جاء وهو يكتب[٢]، وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: الباقلاني[٣]، وابن سيد الناس[٤]، وابن حُدَيْدة الأنصاري[٥]، والعراقي[٦] رحمهم الله جميعًا.

٨٧- صَفْوان بن سُلَيْم، أبو الحارث المديني الفقيه:

مولى حُميد بن عبدالرحمن بن عوف، روى عن: ابن عمر، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وغيرهم من الصحابة والتابعين. يُذكر في تابعيي أهل المدينة ومُحَدِّثيهم، كان ثقة كثير الحديث، عابدًا[٧].

وشاهد كونه كاتبًا هو ما رواه ابن عساكر - رحمه الله - بسنده من أنه: «كان يَعلم الكتَاب في زمن معاوية، ثم إنه ترك التعليم وتفرغ للعبادة»[٨].

٨٨- طَلْحة بن عُبيد الله بن عثمان القُرشيّ التَّيْميّ:

يُعرَف بطلْحة الخير، وطَلْحَة الفيَّاض، وهو من السَّابقين الأولين إلى الإسلام، وأحَد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، وقد شهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وقد قُتل يوم الجمل، سنة ست وثلاثين[٩].

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٧.

(٣) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٤) عيون الأثر، ج١، ص٤١٣.

(٥) المصباح المضيء، ج١، ص١٠٨-١٠٩.

(٦) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٧) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، ص١٢١ - ١٣٧.

(٨) المصدر السابق، ج٢٤، ص١٢٧.

(٩) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٨٤-٨٥.

وقد ذكره ضمن كُتّاب النبي ﷺ كل من: ابن مسْكويه[١]، وابن سيد الناس[٢]، وابن حُدَيْدة الأنصاري[٣]، والعراقي[٤].

٨٩- ظَالِم بن عَمْرو، أبو الأسود الدُّؤلي، ويقال: الدِّيلي:

العلامة الفاضل، وُلِدَ في أيام النبوة، حدَّث عن عمر، وعليّ، وأُبَيّ بن كعب، وأبي ذرٍّ، وعبدالله بن مسعود، وطائفة، وقرأ القرآن على عثمان، وعلي، كان من وجوه الشيعة، ومن أكملهم عقلاً ورأيًا، وهو أول من تَكَلَّم في النحو[٥].

وقد مرّ معنا خبر كتابته وتدوينه لعلم النحو، ويُضيف الباحث هنا أن الأصفهاني -رحمه الله- نصَّ على أنه: «كان كاتبًا لابن عباس على البصرة»[٦].

٩٠- عامِر بن شَراحِيل بن ذي كِبَا الهَمْداني الشَّعْبيّ:

الإمام، علاَّمة العصر، أبو عمرو الهَمْداني ثم الشعبي، كانت أمُّه من سَبْيَ جلولاً، مولده في إمرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لستٍّ سنين خلتْ منها، رأى عليًا رضي الله عنه وصلى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة، ذكر الذهبي -رحمه الله- خمسين منهم[٧].

وقد كان كاتب عبدالله بن مطيع العدوي، وكاتب عبدالله بن يزيد الخَطميّ[٨] والأخير اسمه عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصن الأنصاري الخَطمي، له ولأبيه صحبة وشهد بيعة الرضوان وهو صغير، وكان الشعبي كاتبه لما كان أمير

(١) انظر: ابن حُدَيدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص١٣٦.

(٢) عيون الآثر، ج٢، ص٤١٣.

(٣) المصباح المضيء، ج١، ص١٣٢ - ١٣٦.

(٤) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٨١-٨٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٣٥٠-٣٥١.

(٧) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٩٤-٢٩٦.

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٥٠، ٣٩٥. وانظر: البَغْدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١. وفيه قوله: «وهو والي الكوفة لعبدالله بن الزبير».

الكوفة(١). وروى الذهبي أنه تعلم الحساب من الحارث الأعور(٢).

٩١- عامر بن عبدالله، أبو عُبيدة بن الجراح:

هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال، اشتهر بكنيته ونسبه إلى جدِّه، فيقال: أبو عبيدة بن الجراح، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أيضًا، وكان يُدعى القويّ الأمين(٣).

وقد ذكره البلاذري فيمن جاء الإسلام وهو يكتب(٤).

٩٢- عَامر بن فَهيرة (مَوْلَى أبي بكر الصديق):

يُكنّى أبا عمرو، وكان مُولَّداً من مولدي الأزْد، أسود اللون، مملوكًا للطفيل بن عبدالله بن سَخْبَرة، أخي عائشة لأمها. وكان من السَّابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، أسلم وهو مملوك، وكان حسن الإسلام وعُذِّب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وقد شهد عامر بدراً وأُحُداً، وقُتِل يوم بئر معونة، سنة أربع من الهجرة، وهو ابن أربعين سنة(٥).

وقد ذكره الباقلاني(٦)، وابن عساكر(٧)، وابن كثير(٨)، والعراقي(٩)، والزَّبيدي(١٠) رحمهم الله فيمن كَتَب للنبي ﷺ. وقال الأول: «كتب عن النبي ﷺ كِتَاب أمان لسراقة بن مالك بن جعثم» وقد مر معنا ذكر هذا الكتاب.

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٩٧.

(٣) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص١٢٥-١٢٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٧.

(٥) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص١٣٤.

(٦) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤١.

(٨) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٢.

(٩) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة، ص٢٤٥.

(١٠) حكمة الإشراق، ص٦٩.

٩٣- عائشة بنت سعد بن أبي وقاص:

ذَكَرها أبوها للرسول ﷺ في عام الفتح أو في حجة الوداع بقوله: «ولا يرثُني إلا ابنَةٌ لي»، فقال النووي في المبهمات: اسمها عائشة[١]، ورُوِيَ عنها أنها قالت: «عَلَّمني أبي الكتَاب»[٢].

٩٤- عَبّاس بن عبد المُطَّلب بن هاشم:

عمّ رسول الله ﷺ، وصِنْو أبيه، يُكنَّى أبا الفضل، هاجر إلى النبي ﷺ، وشهد فتح مكة، وشهد حُنينًا، وثَبت مع رسول الله ﷺ لما انهزم الناس بحُنَيْن. تُوفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

وقد رَجَّح محمد مصطفى الأعظمي أنه هو الذي كَتَبَ وثيقة مغانم خيبر، إذْ جاء في آخرها: «شهد عثمان بن عفان، وعباس وكتب»[٤]؛ ولذلك عَدَّه الأعظمي من كُتَّاب رسول الله ﷺ.

٩٥- عبدالرحمن بن أَبْزي الخُزَاعيّ (مَولى نافع بن عبْد الحارث):

سَكَنَ الكوفة، واستعمله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على خراسان، أدرك النبي ﷺ، ويقول ثُلَّة من العلماء بصحبته.. رَوَى عن النبي ﷺ، وعن أبيه، وأبي بكر، وعلي، وعمر، وأُبيّ بن كعب، وغيرهم، وأكثر روايته عن الأخيرَيْن رضي الله عنهم أجمعين[٥].

وقد مرَّ معنا خبر تولية نافع بن عبدالحارث له في خلافة عمر، ويُسْتَنْتَجُ منها أنه كان كاتبًا. وذكره ابن عبد ربه الأندلسي في أشراف الكُتَّاب، فقال: «وكان عبدالرحمن ابن أَبْزي كاتب نافع بن الحارث الخزاعي، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة»[٦].

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص٢٣٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٨.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص١٦٣- ١٦٦.

(٤) الأعظمي، كُتَّاب النبي ﷺ، ص٧٦. وانظر نص الوثيقة: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٣٦٧، ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٩٥.

(٥) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٤١٩-٤٢٠، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٣٨ - ٢٤٠.

(٦) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٠-٢٥١.

٩٦- عبدالرحمن بن أبي بَكْرة الثَّقَفيّ:

تابعي، بَصْري، ثقة، وُلِدَ بعد وفاة النبي ﷺ، وهو أول مولود وُلِدَ بالبصرة بعد أن مُصِّرت، توفي سنة ٩٦هـ(١)، وقد ذكره خليفة بن خياط العصفري - رحمه الله - فيمن كَتَب لزياد بن عبيد (ت ٥٣هـ)(٢).

٩٧- عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المَخْزومي القُرشيّ:

يُكنَّى أبا محمد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، كان عبدالرحمن ابن عشر سنين حين قُبِضَ النبي ﷺ، وكان من فضلاء المسلمين وخيارهم علمًا، ودينًا، وعلُو قدر.. رَوى عن عمر، وعثمان، وعلي، وعائشة، وغيرهم. وشهد الجمل مع عائشة، وكان صِهْر عثمان، تزوج مريم ابنة عثمان. وشهد الدار مع عثمان، وكانت وفاته في خلافة معاوية(٣).

وقال ابن عساكر - رحمه الله -: «وكان عبدالرحمن ممن ارتضاه عثمان بن عفان لإعراب المصحف»(٤)، وقال ابن حجر - رحمه الله -: «... ثم كان ممن نَدَبه عثمان لكتابة المصاحف من شباب قريش...»(٥).

٩٨- أبو هُرَيْرة عَبْد الرحمن بن صَخْر الدَّوْسِيّ:

صاحب رسول الله ﷺ، وأكثرهم حديثًا عنه، وكان من أصحاب الصُّفَّة، كما مرّ، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، فدَعَا له رسول الله ﷺ(٦). وقد مرّ معنا كتابته لحديث رسول الله ﷺ.

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص١٧٣.

(٢) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٣٠.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٢٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٤، ص٢٦٦.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٢٣.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٦، ص٣١٣-٣١٤.

٩٩- عبدالرحمن بن عَائذ الأزْدِيّ الثّمالي:

يُقال: إنه أدرك النبي ﷺ(١).. وقال ابن حجر - رحمه الله -: «تابعي مشهور... وله رواية عن جماعة من الصحابة...»(٢).

وقد مرّ معنا أنه كان يطلب العلم من أصحاب النبي ﷺ، وكانت له مدونات علمية.

١٠٠- عبدالرحمن بن أبي لبابة(٣):

مَرَّ معنا أنه كان أحد كُتَّاب مصاحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

١٠١- عبدالرحمن بن هُرمُز، أبو داود الأعْرج المَدَنيّ:

مولى ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، حدَّث عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعبدالله بن مالك بن بُحَيْنة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكان يكتب المصاحف(٤).

١٠٢- عبدالله بن الأَرْقَم بن عبد يغوث القُرَشيّ الزهري:

أسلم عام الفتح، وكَتَبَ للنبي ﷺ ولأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما...، واستعمله عمر على بيت المال، وعثمان بعده، ثم إنه اسْتَعْفَى عثمان من ذلك فأعفاه(٥).

وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كُتب إلى رسول الله ﷺ كتاب، فقال لعبدالله بن الأرقم: أجب هؤلاء، فأخذه عبدالله بن الأرقم فكتبه ثم جاء بالكتاب يُعرَض على رسول الله ﷺ، فقال: أحسنت، فما زال ذلك في نفسي حتى وليتُ فجعلته على بيت المال»(٦).

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٤٦٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص١٨٠.

(٣) لم أعثر على ترجمة له.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص٣٠-٣١.

(٥) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص١٧٢.

(٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب عرض الكتاب على من أمر به، ج١، ص١٥٢-١٥٣.

ولذلك قال ابن عساكر ـ رحمه الله ـ في تسمية كُتَّابه ﷺ: «ومنهم عبدالله بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي»، ثم قال: «... وكان يجيب عن الملوك، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك، فيكتب ويختم ما يقرأه لأمانته عنده»[1].

وذكره المسعودي[2]، والزَّبيدي[3] ـ أيضًا ـ فيمن كتب للنبي ﷺ.

ورُوِي أن الأعْمش سأل أبا وائل شقيق بن مسلمة: من كان كاتب عمر؟ قال: عبدالله بن أرقم. قال: وأتانا كتاب عمر بالقادسية وفي أسفله كتب عبدالله بن أرقم[4]. وقد ذكره المسعودي والجهشياري ضمن كُتَّاب أبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما[5].

١٠٣- عَبدالله بن أبي بَكْرة[6]:

وقد ذكره الجهشياري ضمن كُتَّاب زياد ابن أبيه (ت ٥٣هـ)، فقد كان يكتب له على الرسائل[7].

١٠٤- عبدالله بن خَلَف بن أسْعد الخُزاعيّ:

أمُّه جُنَيْبَة بن أبي طلحة العبدري، وقاتل مع عائشة يوم الجمل، وشهد أخوه عثمان بن خلف وقعة الجمل مع علي[8]، قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: «لا أعلم

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣٦. وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٣، وما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب في كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣، وانظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤.

(٢) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(٣) حكمة الإشراق، ص٦٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣٧.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٦٥، ٢٦٧، والجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص١٥-١٦.

(٦) لم يعثر الباحث على ترجمته.

(٧) الجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص٢٦.

(٨) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٢٥.

له صحبة، وفي ذلك نظر»[١]، ولذلك قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «واستكتاب عُمر له يؤذن بأن له صحبة»[٢].

وقد مَرَّ معنا بأنه كان كاتبًا لعمر بن الخطاب على ديوان البصرة، قال ابن عبد ربه الأندلسي: «... وكان عبدالله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتبًا على ديوان البصرة لعمر وعثمان، وقتل يوم الجمل مع عائشة»[٣]، وقال البغدادي بنحو هذا الخبر[٤].

١٠٥- عبدالله بن رَافع المخزُوميّ:

أبو رافع المدني، مَولَى أم سلمة زوج النبي ﷺ، رَوَى عنها، وعن حجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري، وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[٥]، وقد تقدم خبر كتابته المصحف لأم سلمة رضي الله عنها.

١٠٦- عبدالله بن رَواحة بن ثَعْلبة الأنصاري الخَزْرجيّ:

كان ممن شهد العقبة، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده فقد قُتِلَ قبله[٦]، وكان يكتب في الجاهلية وكانت الكتابة في العرب قليلة[٧]، وقد مر معنا أن رسول الله ﷺ بعثه إلى خيبر خارصًا. وذكره الباقلاني[٨]، وابن الأثير الجزري[٩]، والعراقي[١٠] رحمهم الله فيمن كتب للنبي ﷺ.

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٨٩٥.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٦٥.

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٠-٢٥١.

(٤) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص١٢٩.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٢٦. وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص٨٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٧٣.

(٨) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٩) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(١٠) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

١٠٧- عبدالله بن رُومان:

قال ابن عساكر ـ رحمه الله ـ: «أدرك عهد النبي ﷺ، وشهد فتح بعلبك مع أبي عبيدة بن الجراح، وكتَبَ الصلح لأهلها»، ثم ذكر نص الصلح وفي آخره: «وكتب عبدالله بن رُومان وختم أبو عبيدة بخاتمه»(١).

وذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ أنَّ اسمه: «عبدالله بن أبي رومان الكاتب»(٢).

١٠٨- عَبْدالله بن الزِّبَعْرَى بن قَيْس السَّهْميّ القُرَشِيّ:

شاعر، كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ في الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين، وكان من أشعر قريش، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه، واعتذر إلى رسول الله ﷺ، فقبل عذره، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد، وله في مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى من شعره في كفره(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنه «قد تعلم القراءة والكتابة... فكثيراً ما نلمح من شعره ذكر الكتابة والخط»(٤)، وقد مر معنا بيتًا من هذه الأبيات، وكذلك فقد كتب بيده أبياتًا له في هجاء قريش إذ «أصبح الناس يومًا بمكة وعلى دار الندوة مكتوب:

أَلْهـى قُصيًا عن المجد الأساطيرُ ... ورشـوةٌ مثـل ما تُرْشَ السَّفاسيرُ

وأكلُها اللحم بحتًا لا خليط له ... وقولها: رَحَلَت عيرٌ مَضَت عيرُ

فأنكر الناس ذلك، وقالوا: ما قالها إلا ابن الزِّبَعْرَى...»(٥).

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص١٣٤ - ١٣٦.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٦٨.

(٣) انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٠١-٩٠٤، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) محمد علي كاتبي، الصحابي الشاعر عبدالله بن الزبعرى، شاعر مكة وابن سيدها: حياته وشعره، ص٥١.

(٥) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٣٥-٢٣٦.

«كما نجد إشارات إلى دقة الحساب لديه، فلم تكن الأعداد غائبة عن ذهنه، أو تُلقى جزافًا.. ولعل ذلك من أثر البيئة التجارية، فهو عندما يذكر وقعة الفيل، وانتصار الله لبيته، ثم كَشْفِ الغزاة، وفلِّ جمعهم العديد.. نجد أن الزِّبَعْرَى يذكر عدد الغزاة بدقة حسابية:

سِتّون ألْفًا لَمْ يَئُوبُوا أَرْضَهُم ... ولمْ يَعِشْ بَعْدَ الإياب سقيمُهَا

وكذا في حصار المشركين الأحزاب للمدينة المنورة.... فالمدة محددة باليوم (وقد كان يومها ما يزال على كفره):

شَهْرًا وعَشْرًا قاهرين مُحَمَّدًا ... وصِحَابُه في الحرب خَيْرُ صِحَاب»(١)

١٠٩ - عبدالله بن الزُّبَيْر بن العَوام القُرشيّ الأسْدي:

أول مولود وُلِدَ في الإسلام بعد الهجرة على رأس عشرين شهراً منها، وقيل: وُلِدَ في السنة الأولى، رَوَى عن النبي ﷺ أحاديث، وعن أبيه، وعن عمر، وعثمان، وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين(٢)، وقد مر معنا أنه كان أحد النفر الذين انتدبهم عثمان رضي الله عنه لكتابة المصحف. وهو غير عبدالله بن الزبير بن المطلب القرشي الهاشمي الذي استشهد يوم أجنادين في سنة ١٣هـ(٣).

١١٠ - عبدالله بن زيْد بن عبد ربه الأنصاري الخزْرجي:

شهد العقبة، وبدراً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ(٤). قال ابن سعد - رحمه الله -: «وكان عبدالله بن زيد يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة»(٥)، ومن آثاره أنه كَتَبَ كِتَاب رسول الله ﷺ لمن أسلم من

(١) محمد علي كاتبي، الصحابي الشاعر عبدالله بن الزبعرى، ص٥٠.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٤١-٢٤٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٨.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٤٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٣٦. وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤١.

حَدَس من لخم حيث كان في آخر نص الكِتَاب: «وكَتَبَ عبدالله بن زيد»[١].
ولذا ذكره العراقي - رحمه الله - ضمن كُتَّاب النبي ﷺ.

١١١- عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح القُرشيّ العامري:

قال ابن سعد - رحمه الله -: «وكان عبدالله بن سعد بن أبي سرح قد أسلم قديمًا، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فربما أملى عليه رسول الله ﷺ (سميع عليم)، فكتب (عليم حكيم) فيقرأه رسول الله ﷺ فيقول: كذلك الله، ويُقِرُّه. فافتتن عبدالله بن سعد وقال: وما يدري محمد ما يقول إني لأكتب له ما شئت، هذا الذي كتبت يوحى إليّ كما يوحى إلى محمد: وخرج هاربًا من المدينة إلى مكة مرتدًا، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح»[٢].

وقال خليفة بن خياط العصفري - رحمه الله -: «... وكتب له [ﷺ] عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بمكة»[٣].

وذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ - أيضًا - البلاذري[٤]، واليعقوبي[٥]، والطبري[٦]، وابن عبد ربه الأندلسي[٧]، والمسعودي[٨]، والباقلاني[٩]، وابن

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ٢٦٦-٢٦٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: الطبقة الرابعة، ج٢، ص٤٤٨. وانظر هذا الخبر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج٢، ص١٨٨، وابن قتيبة، المعارف، ص٣٠٠، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٥٤، وج١١، ص١٩، والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٤٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص٢٧-٢٨، ٣٤-٣٥، وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٢٤، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣،ص٢٦٠، وابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٤، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص١٧٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٩٥.

(٣) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٩.

(٤) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٦) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(٧) العقد الفريد، ج٥، ص٨.

(٨) التنبيه والإشراف، ص٢٦٢.

(٩) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

الأثير الجزري[١]، والعراقي[٢] رحمهم الله جميعًا.

١١٢- عبدالله بن سعيد أبي أحَيْحَة بن العاص بن أُمَيَّة القُرشِيّ الأمويّ:

أمُّه صفية بنت عبدالله بن عمر بن مخزوم، كان اسمه في الجاهلية الحكم، فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: الحكم. قال: «أنت عبدالله».. وكان يكتب في الجاهلية[٣]، وقد مر معنا أمر الرسول ﷺ له بتعليم الكتابة في المدينة.

١١٣- عبدالله بن عَبَّاس بن عبد المطلب القُرشِي الهَاشميّ:

ابن عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي ﷺ مرتين، وكان يُسمّى «البَحْر» لسعة علمه، ويُسمّى «حَبْر الأمّة»[٤].

وقد مر معنا أنه كان أحد كُتَّاب مصاحف عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١١٤- عبدالله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي القرشي:

يكنَّى أبا سلمة، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ، وهو أخو رسول الله ﷺ وحمزة ابن عبد المطلب من الرضاعة، من المهاجرين، وقد ذكره البلاذري فيمن جاء الإسلام وهو يكتب[٥]، وَعدَّه ضمن كُتَّاب رسول الله ﷺ كل من: الباقلاني[٦]، وابن حُديدة الأنصاري[٧]، والعراقي[٨].

١١٥- عبدالله بن عبدالله بن أُبَيّ الأنْصَاري الخَزْرَجيّ:

من فضلاء الصحابة وأشرفهم، له شرف في الأنصار، وأبوه «عبدالله بن أُبَيّ،

---

(١) أسد الغابة، ج٢١، ص١٧٠، والكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٩.

(٢) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٦٣.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص٢٩١-٢٩٢.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٧.

(٦) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) المصباح المضيء، ج١، ص١٥٣-١٥٤.

(٨) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

المعروف بابن سلول» رأس المنافقين[١]، قال ابن حجر - رحمه الله -: «وذكره ابن عبد البر[٢] فيمن كتب للنبي ﷺ»[٣]. وممن ذكره - أيضًا - ضمن كُتَّاب النبي ﷺ ابن الأثير الجزري[٤]، والعراقي[٥] رحمهما الله.

١١٦- عبدالله بن عبدالله بن عِتْبان الأموي الأنصاري:

كان شجاعًا بطلاً من أشراف الصحابة ووجوه الأنصار وحليفًا لبني الحُبلى من الأنصار، وقد أشار ابن الأثير الجزري[٦]، وابن حجر[٧] رحمهما الله إلى أنه كتب الصلح بين أصحاب رسول الله ﷺ وأهل حي.

١١٧- عبدالله بن عبدالله بن عثمان القُرَشي التَّيْميّ:

وهو عبدالله بن أبي بكر الصديق، أخو أسماء بنت أبي بكر لأبويها، وهو الذي كان يأتي النبي ﷺ وأباه أبا بكر بالطعام وبأخبار قريش، إذ هما في الغار كل ليلة، وكان إسلامه قديمًا، ولم يُسمَع له بمشهد إلا شهوده الفتح، وحنينًا، والطائف. وقد مات في أول خلافة أبيه أبي بكر، وذلك في شوال من سنة إحدى عشر[٨].

وقد ذكره محمد مصطفى الأعظمي[٩] ضمن كُتَّاب النبي ﷺ، وذلك بناءً على ما جاء في آخر معاهدته ﷺ مع نصارى نجران - على قول أحد الروايات -: «وكتب لهم هذا الكتاب عبدالله بن أبي بكر»[١٠].

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٢٩٧.

(٢) لم يعثر الباحث على هذا النص في ترجمة هذا الصحابي. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٤٠ - ٩٤٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٣٤.

(٤) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

(٦) أسد الغابة، ج٣، ص٢٩٩.

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٣٥.

(٨) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٠٠.

(٩) كُتّاب النبي ﷺ، ص٧٩.

(١٠) محمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص١٧٦.

١١٨- عبدالله بن عثمان القرشي، أبو بكر الصديق:

ذكره ضمن كُـتّاب رسول الله ﷺ كل من: الباقلاني(١)، وابن عساكر(٢)، وابن كثير(٣)، وابن حديدة الأنصاري(٤)، والعراقي(٥).

١١٩- عبدالله بن عمرو بن العاص السَّهْمي القُرَشِيّ:

أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً، عالماً، قرأ القرآن والكتب المتقدمة، وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه - أيضًا - صفين، توفي سنة ثلاث وستين(٦). وقد مر معنا خبر صحيفته الصادقة، وكتابته لأحاديث الرسول ﷺ، وقراءته للكتب المتقدمة. وقد ذكره الباقلاني - رحمه الله - ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٧).

١٢٠- أبو موسى عبدالله بن قَيْس بن سُلَيْم الأشْعَري:

صاحب رسول الله ﷺ، وكان عامله على زَبِيد وعدن، واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة، وافتتح في خلافته أصبهان والأهواز، واستعمله عثمان على الكوفة(٨). وقد دل على إتقانه الكتابة، كتابته لصلح أصبهان في سنة ٢١هـ، حيث أورد الطبري في «تاريخه» نص (صلح أصبهان)، وفي آخر كتاب الصلح: «كتب وشهد عبدالله بن قيس»(٩)، وقد صرح رضي الله عنه لابنه أن تَعَلُّمَهُ الكتابة كان متأخرًا حيث قال: «تَعَلَّمْتُ المعجم بعد وفاة رسول الله ﷺ، فكان كتابي مثل العقارب»(١٠).

(١) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٣٤ - ٣٣٦.

(٣) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٥.

(٤) المصباح المضيء، ج١، ص٢٩-٣٠.

(٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٤٥ - ٣٤٨.

(٧) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٨) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٤٦، ٣٦٥.

(٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٢.

(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٢، ص٦٦، ٩٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٨٩، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص١١٢.

١٢١- عبدالله بن مسعود بن غافل الهُذلي:

كان إسلامه قديمًا أول الإسلام، حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان، وهاجر الهجرتين جميعًا إلى الحبشة وإلى المدينة، وصلَّى القبلتين، وشهد بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ، وهو الذي أجهز على أبي جهل، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين(١).

وتؤكد أخبار جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للمصحف ورغبة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في المشاركة في هذا الجمع على أنه كان يُتقن الكتابة بالإضافة إلى مرتبته العالية في العلم.

١٢٢- عبدالله بن الوليد الخزاعي:

مر معنا أنه كان أحد كُتَّاب مصاحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

١٢٣- عبدالله بن يزيد بن أسد بن كُرز، أبو يحيى القُشَيْري البَجلي:

أبو خالد بن عبدالله، الأمير، من أهل دمشق، قيل: إن عبدالله هذا كان كاتبًا مُفوَّهًا، وإنه كتب لحبيب بن مسلمة في خلافة عثمان، فنال حظًا وشرفًا(٢).

١٢٤- عبدالملك بن مروان بن الحكم:

الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي، وُلِدَ سنة (٢٦هـ)، سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة، ومعاوية، وغيرهم من الصحابة، وتوفي سنة (٨٦هـ)(٣).

وقد روى ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ في كتاب «المعارف»: «أن معاوية جعله مكان زيد ابن ثابت على ديوان المدينة وهو ابن ست عشرة سنة»(٤)، أي في عام ٤٢هـ تقريبًا.

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٣٨١، ٣٨٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٣، ص٣٧٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٤٦ - ٢٤٩.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٥. وانظر: البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨.

١٢٥- أبو عَبْس بن جَبْر بن عَمْرو الأوْسيّ الأنصاري:

معدود في كبار الصحابة، شهد بدراً، والمشاهد كلها ومات سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع(١). وقال ابن سعد -رحمه الله- في ترجمته: «وكان أبو عَبْس يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة»(٢).

وقد ذكره الباقلاني ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٣).

١٢٦- عُبيد -ويقال عبيدالله- بن أوْس الغَسَّاني:

قال خليفة بن خياط -رحمه الله-: «وكان كاتب الرسائل [أي في عهد معاوية]: عُبَيْد بن أوْس الغَسَّاني»(٤). وقال عنه ابن عبد ربه الأندلسي -رحمه الله-: «سيد أهل الشام، كاتب معاوية»(٥). وقال ابن عساكر -رحمه الله- في صَدْر ترجمته: «كاتب معاوية وحاجبه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم»(٦).

وقد مر ذكره معنا في خبر الترقيش.

١٢٧- عُبيدالله بن دراج (مولى معاوية):

قال ابن عساكر -رحمه الله- في ترجمته: «ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كُتَّاب أمراء دمشق، وذكر أن معاوية استعمله على خراج الكوفة مع عبدالرحمن ابن أم الحكم»(٧).

١٢٨- عُبيدالله بن أبي رافع المدني:

مولى النبي ﷺ، روى عن أبيه، وأمه سلمى، وعن علي، وأبي هريرة، وشقران مولى النبي ﷺ(٨).

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٦، ص١٩٨-١٩٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤٥٠. وانظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٢٦.

(٣) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٤) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٤١. وانظر: الجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص٢٤.

(٥) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص١٦٩-١٧٠.

(٧) المصدر السابق، ج٣٧، ص٤٢٦.

(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص١٠.

وقد أكدت معظم المصادر أن عبيدالله بن أبي رافع كان كاتبًا لعلي بن أبي طالب[1]. وقد مر معنا أنه ألف كتابًا عن الحرب بين علي ومعاوية. و ذكر ابن سعد - رحمه الله - في ترجمته ما نصه: «عبيدالله بن أبي رافع، مولى النبي ﷺ، روى عن علي بن أبي طالب وكتب، وكان ثقة كثير الحديث»[2]، وفي كتاب «المعارف» لابن قتيبة - رحمه الله - أنه «لما أسلم العباس بَشَّر أبو رافع النبي ﷺ بإسلامه، فأعتقه وزوَّجه سلمى مولاته، فولدت له عبيدالله بن أبي رافع، فلم يزل كاتبًا لعلي بن أبي طالب خلافته كلها»[3].

ومن آثاره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة، إذْ جاء في آخر الكتاب: «وكتب عبيدالله بن أبي رافع»[4].

١٢٩- عُبَيْد الله بن نصْر بن الحَجَّاج بن عِلاط السُّلَمي:

ذكره الجهشياري ضمن كُتَّاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بعض دواوينه[5]، وقال ابن عساكر - رحمه الله -: «ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كُتَّاب أمراء دمشق، وذكر أنه كان على دواوين معاوية»[6].

١٣٠- عُتَيْبَة بن النَّهَّاس العِجْليّ:

واسم النهَّاس عبدل بن حنظلة بن يام بن الحارث، كان من كبار العجليين، له

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٧٤، والعصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٢١، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٥، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠، والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٤، ٢٧٧، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٥، ص٥٠٢، وابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٧، والمقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص٢٣، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٥٨٥، والذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٥٢٥، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص١٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٨٢.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٥.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٥٩-٦٠.

(٥) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص١٢٩.

إدراك ومشاهد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كان شريفًا، من الكماة الشجعان(١).

ومن آثاره: كتاب سُوَيد بن مُقرن لرُزْبَان وأهل دِهِسْتان وسائر أهل جُرْجان، إذا جاء في آخره: «شهد سواد بن قطبة، وهند بن عمرو، وسماك بن مَخْرَمَة، وعُتَيْبة ابن النَّهَّاس، وكتب في سنة ثمان عشرة»(٢).

ومن آثاره ـ أيضًا ـ كتاب سُويد بن مقرن للفرُّخَان إصبَهبذ خراسان على طَبَرسْتان وجيل جيلان من أهل العدو، إذ جاء في آخر: «شهد سواد بن قطبة التميمي، وهند بن عمرو المرادي، وسماك بن مَخْرَمَة الأسدي، وسِمَاك بن عبيد العبسي، وعُتَيبة بن النَّهَّاس البكري، وكتب سنة ثمان عشرة»(٣).

١٣١ - عثمان بن أبي العاص بن بِشْر الثقفي:

وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف فأسلم، واستعمله رسول الله ﷺ على الطائف، ولم يزل عثمان على الطائف حياة رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر، وسنتين من خلافة عمر، وكان يغزو سنوات في خلافة عمر وعثمان(٤).

قال المقدسي ـ رحمه الله ـ: «عثمان بن العاص(٥) الثقفي كان يكتب لرسول الله ﷺ واستعمله على الطائف...»(٦)، وقد مر معنا حرصه على التَّعلُّم في العامل التعليمي.

١٣٢ - عثمان بن عفان (الخليفة الراشد الثالث رضي الله عنه):

كان من كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ، فقد رُوي عنه أنه قال عندما قُطِعت يده

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٨.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٩.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٥٧٣-٥٧٤.

(٥) اسمه في «الإصابة» و«أسد الغابة»: عثمان بن أبي العاص. انظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص٣٧٣، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٣، ص٥٧٣.

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص١٠٤.

في حادثة استشهاده: «أما إنها لأول يد خطت المفصل»[١]، ويُرْوَى أن رسول الله ﷺ كان يقول لعثمان رضي الله عنه أثناء نزول الوحي عليه: «اكتب عثمان»، أو «اكتب يا عثيم»[٢].

وقد ذكره في تسمية مَن كتب لرسول الله ﷺ كل من: البغدادي[٣]، واليعقوبي[٤]، والبلاذري[٥]، والطبري[٦]، والجهشياري[٧]، والباقلاني[٨]، وابن عساكر[٩]، وابن الأثير الجزري[١٠]، وابن كثير[١١]، والخزاعي[١٢]، والعراقي[١٣]، والهيثمي[١٤]، والزَّبيدي[١٥]، وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

ومن آثاره: كتابته لكتاب رسول الله ﷺ لنَهْشَل بن مالك الوائلي من باهلة[١٦]، وكِتَاب رسول الله ﷺ لوفد باهلة فيه فرائض الصدقات[١٧]، وكتابته

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٢١٤، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٤١١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٩٨-٩٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٨٣، والباقلاني، الانتصار، ج١، ص١٠١.

(٣) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٥) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٣.

(٦) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(٧) الوزراء والكُتَّاب، ص١٢.

(٨) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٩) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٥.

(١٠) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٨.

(١١) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٥.

(١٢) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧١-١٧٢.

(١٣) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(١٤) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(١٥) حكمة الإشراق، ص٦٩.

(١٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٤، ٣٠٧.

(١٧) المصدر السابق، ج١، ص٣٠٧.

عهد أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب بالخلافة رضي الله عنهم أجمعين[١]. وقد ذكره فيمن كتب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كل من: خليفة بن خياط العصفري[٢]، والبغدادي[٣]، والطبري[٤]، وابن عبد ربه الأندلسي[٥]، والجهشياري[٦]، والمسعودي[٧]، والذهبي[٨] رحمهم الله أجمعين.

١٣٣- عَطَاء بن أبي رَبَاح:

ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه، ونشأ بمكة، وحدث عن عائشة وأم سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن عساكر في ثنايا ترجمته: «كان عطاء بن أبي رباح مُعلم كُتَّاب...»[٩].

١٣٤- عطاء بن يَسَار:

حَدَّث عن أبي أيوب، وعائشة، وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين[١٠]، وقد مر معنا خبر كتابته للعلم.

١٣٥- عُقْبَة بن عَامر بن قَيْس الجهني:

صحابي، روى عنه عدد من الصحابة والتابعين، وقد مَرَّ معنا خبر علمه وكتابته للمصحف.

---

(١) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٦٦٧-٦٦٨.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص٦٥-٦٦.

(٣) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٤) تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٥١.

(٥) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

(٦) الوزراء والكُتَّاب، ص١٥.

(٧) التنبيه والإشراف، ص٢٦٥.

(٨) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص١٢١.

(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٣٧٤.

(١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٤٩.

١٣٦- عُقبة بن نافع القُرشي الفِهْرِيّ:

نائب أفريقية لمعاوية، وليزيد، لم يصح له صحبة، شهد فتح مصر، واختط بها[١]. وقال البلاذري: «وزعم الهيثم بن عَدِي أن عقبة بن نافع كان فيمن استعان به عثمان في نسخ الصحف التي جُمع فيها المصحف مع ابن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالرحمن بن أبي معمر بن عبدالله وهم بالمدينة»[٢].

١٣٧- عقيل بن أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب القرشيّ الهاشميّ:

ابن عم رسول الله ﷺ، وأخو علي وجعفر لأبويهما، يُكنَّى أبا يزيد[٣]، هاجر إلى النبي ﷺ سنة ثمان، وشهد غزوة مؤتة، وقد مر معنا أنه ممن انتدبهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكتابة القبائل[٤].

١٣٨- عِكْرمة، أبو عبدالله البَرْبري:

مولى عبدالله بن عَبَّاس رضي الله عنهما وتلميذه، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير، حدث عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وعقبة ابن عامر، وعلي بن أبي طالب وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين[٥].

وبما أن ولادته كانت سنة ٢٥هـ حسب اختيار الزِّركلي[٦]، يرجّح الباحث أنه

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٢-٥٣٣. وانظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٣٤-٤٣٥.

(٢) أنساب الأشراف، ج١١، ص٦٧.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٦١، ٦٣.

(٤) وانظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢٤٥. وفيه ترجم الخزاعي له تحت عنوان: «ذكْر من تولى كتابة الديوان في عهد عمر رضي الله تعالى عنه».

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٢-١٣.

(٦) الأعلام، ج٤، ص٢٤٤.

هو الذي كتب الرسالة المرسلة من عبدالله بن عباس إلى معاوية بن أبي سفيان والمذيلة بما نصه: «وكتب عكرمة ليلة البدر من صفر سنة ست وثلاثين»[1].

١٣٩- العَلاء بن الحَضْرمي، واسم الحضرمي عَبَّاد، ويقال عبدالله ابن عباد:

استعمله النبي ﷺ على البحرين، وكان يكتب للنبي ﷺ، ورُوي أن العلاء بن الحضرمي كتب إلى النبي ﷺ فبدأ بنفسه[2].

وقد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: البلاذري[3]، والطبري[4]، وابن عبد ربه الأندلسي[5]، والباقلاني[6]، وابن الأثير الجزري[7]، وابن كثير[8]، والخزاعي[9]، والعراقي[10] رحمهم الله جميعاً.

ومن آثاره الكِتَاب الذي كتبه من رسول الله ﷺ لأسلم من خزاعة لمن آمن منهم[11].

١٤٠- العَلاء بن عُقْبة:

ذكره المسعودي -رحمه الله- ضمن كُتَّاب النبي ﷺ[12]، وقال ابن عساكر -رحمه الله- في صدر ترجمته: «كان كاتباً للنبي ﷺ»[13]، وتبعه في هذا

---

(١) انظر نص الرسالة: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٧، ص٤١٥-٤١٦.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٦.

(٣) أنساب الأشراف، ج٢، ص١٩٣.

(٤) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(٥) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

(٦) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(٨) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٣٦.

(٩) تخريج الدلالات، ص١٧١-١٧٢.

(١٠) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧١.

(١٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(١٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٧.

ابن كثير[١] ـ رحمه الله ـ، وذكره ابن الأثير الجزري[٢]، والعراقي[٣] رحمهما الله فيمن كتب للنبي ﷺ.

ومن آثاره كتابان كتبهما لرسول الله ﷺ إلى كل من: العباس بن مرْداس السّلمي[٤]، وبني شنخ من جهينة[٥]. وفي آخر كل منهما: «وكتب العلاء بن عقبة». وهناك كتاب من رسول الله ﷺ لبني معن الطائيين في آخره: «وكتب العلاء وشهد»[٦]، فهو إما صاحب هذه الترجمة، أو العلاء بن الحضرمي السابق الذكر، ومن آثاره ـ أيضًا ـ كتاب رسول الله ﷺ لعَوْسَجَة بن حَرْمَلة الجُهَني، إذْ جاء في آخره: «وكتب العلاء بن عقبة»[٧].

١٤١- علي بن أبي طالب (الخليفة الراشد الرابع رضي الله عنه):

أورد ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ خَلْقٌ من العلماء والمصنفين، منهم: البغدادي[٨]، واليعقوبي[٩]، والطبري[١٠]، وابن عبد ربه الأندلسي[١١]، والجهشياري[١٢]،

(١) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٧.

(٢) أسد الغابة، ج٤، ص٧٤.

(٣) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

(٤) انظر نص الكتاب: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٣، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٨-١٤٩.

(٥) انظر نص الكتاب: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧١، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٧.

(٦) انظر نص الكتاب: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧١، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٥٢.

(٧) ابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٥.

(٨) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٩) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(١٠) تاريخ الطبري، ج١، ص٢١٨.

(١١) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٠.

(١٢) الوزراء والكتاب، ص١٢.

والباقلاني[١]، وابن عساكر[٢]، وابن الأثير الجزري[٣]، وابن كثير[٤]، والخزاعي[٥]، والعراقي[٦]، والهيثمي[٧]، والزَّبيدي[٨] رحمهم الله جميعاً.

ومن آثاره: كِتَاب صلح الحديبية المشهور، فقد مَرّ معنا خبر كتابة هذا الصلح وأن كاتبه هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: «كاتب الكتاب يوم الحديبية علي بن أبي طالب»[٩] ومن آثاره - أيضاً - الكتب الآتية:

* كتَاب رسول الله ﷺ لنعيم بن أول الداري أخي تميم الداري، وفي رواية: «لتميم بن أوس الداري»[١٠].

* كتاب رسول الله ﷺ لبني زياد بن الحارث الحارثيين[١١].

* كتاب رسول الله ﷺ للزبير بن العوام[١٢].

* كتاب رسول الله ﷺ لجميل بن رِزام العدوي[١٣].

* كتاب مكاتبة سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقد مر نصه معنا.

---

(١) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٣) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠، والكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٨.

(٤) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٥) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧١-١٧٢.

(٦) انظر: المناوي، العجالة السنية على شرح ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(٧) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كتاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(٨) حكمة الإشراق، ص٦٩.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج٥، ص٣٤٢-٣٤٣، رقم ٩٧٢١.

(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٦٧-٦٨.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٨، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٦-١٤٧.

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٤، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٥٣.

(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٧٤، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٩. وفيه: «جميل بن دارم العذري».

* كتاب وصيته رضي الله عنه. وقد ذكر الباحث عبارة منها، وجاء في آخرها: «هذا ما قضى علي بن أبي طالب في هذه الأموال التي كتب في هذه الصحيفة، والله المستعان على كل حال»(١). وفي رواية: «وكتب علي بيده لعشر ليال خلون من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين»(٢).

* كتاب رسول الله ﷺ لبُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعي. قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وفيه أن الكتاب بخط علي بن أبي طالب»(٣).

* كتاب رسول الله ﷺ إلى عمير ذي مَرَّان ومن أسلم من هَمَدان(٤).

* كتاب رسول الله ﷺ لنجران وحاشيتها(٥).

* كتاب رسول الله ﷺ لبني زاكان (من أهل قزوين في إيران) (٦).

* قال محمد بن إسحاق النديم ـ رحمه الله ـ أنه رأى في خزانة ابن أبي بعرة بمدينة الحديثة ـ مِنْ ضمن ما رأى ـ عدة أمانات وعهود(٧).

١٤٢- عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد الثاني رضي الله عنه):

ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ كل من: ابن عبد ربه الأندلسي(٨)، والباقلاني(٩)،

(١) انظر نص الوصية فيما أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابيين، وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج١٠، ص٣٧٥-٣٧٦، رقم ١٩٤١٤.

(٢) أخرجها عبدالرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابيين، وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج١٠، ص ٣٧٦، رقم ١٩٤١٥.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٤١٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٦٨-٥٦٩.

(٧) النديم، الفهرست، ص٦٤.

(٨) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٠.

(٩) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

وابن عساكر[١]، وابن الأثير الجزري[٢]، وابن كثير[٣]، والعراقي[٤]، والهيثمي[٥]، والزَّبيدي[٦] رحمهم الله جميعًا.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ ويكتب وقد جاء الإسلام، وفي طرف قصة إسلامه المذكور سابقاً ما يشير إلى هذا، ويؤكده قوله لأخته وزوجها في ثنايا القصة: «أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه. قال (أي: راوي القصة أنس بن مالك): «وكان عمر يقرأ الكتب»[٧]، وقد مر معنا خبر عهده الذي كتبه في الجاهلية لرجل من أهل الكتاب في أحد الأديرة.

وفي قصة هجرته رضي الله عنه ما يؤكد معرفته للقراءة والكتابة، فقد قال رضي الله عنه: «لـمَّا اجتمعنا للهجرة اتعدتُ أنا وعَيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص، وقلنا: الميعاد بيننا التناضب من أضاءة غفار (موضع قرب مكة)، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حُبِس، فليمض صاحباه، فأصبحتُ عندها أنا وعَيّاش بن أبي ربيعة، وحُبِس هشام، وفتن فافتتن وقَدِمْنَا المدينة، فكُنَّا نقول: ما الله بقابل من هؤلاء توبة، قوم قد عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا برسوله، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا، وكانوا يقولونه لأنفسهم فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾، قال عمر [وهو الشاهد]: بيدي كتبًا ثم بعثتُ بها إلى هشام...»[٨].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٤.

(٢) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(٣) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٥٣.

(٤) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(٥) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(٦) حكمة الإشراق، ص٦٩.

(٧) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الطهارة، باب في نهي المُحْدِث عن مس القرآن، ج١، ص١٢٣. وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٦٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٣٤.

(٨) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٧، ص٩٣.

ويعاضد ذلك كله تصريحه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ثنايا حديثه عن آية الرجم المنسوخة بقوله: «ولولا أني أكره أن أزيد في كتاب الله لكتبته في المصحف...»(١)، وفي رواية: «لكتبته في ناحية من المصحف»(٢)، وفي رواية: «لكتبتُ آية الرجم بيدي»(٣)، وقد مرَّ معنا كتابته للقضية التي بين عمرو بن العاص وبني معمر.

١٤٣- عَمْرو بن رافع (مولى عمر بن الخطاب):

قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ في صدر ترجمته: «رُوي عن حفصة أنه كتب لها مصحفًا»(٤)، وقد تقدمت ترجمته وخبر مصحفه هذا.

١٤٤- عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبي أُحَيْحَة بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف الأُموي القُرشيّ (المعروف بالأشْدَق):

وهو غير عمرو بن سعيد أبي أُحَيْحَة بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس الأموي القُرشي، ذو الهجرتين: الحبشة والمدينة، والمقطوع بصحبته، والـمُستشهد في سنة ١٣هـ(٥). فهذا الثاني هو عم الأول، يشهد لذلك ما رواه عمرو بن سعيد الأشدق من أن أعمامه خالدًا وأبانًا وعَمْرًا رجعوا عن أعمالهم حين بلغهم موت رسول الله ﷺ(٦)، ونص ابن عساكر على أن الأول (الأشدق) عمرو الأشدق [٣ - ٧٠هـ] ابن أخي الثاني(٧)، يقال: إنه رأى النبي ﷺ، وروى عن عمر، وعثمان، وعلي،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في تحقيق الرجم، ج٤، ص٧٠١، رقم ١٤٥٤، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم، ج٢، ص٨٢٤، رقم ١٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج١، ص٢٣٢، رقم ١٥٦.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص١٥٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٩٩.

(٥) انظر ترجمته: ابن قدامة المقدسي، التبْيين في أنساب القرشيين، ص١٩١، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٢١٨-٢١٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٥٢٦ - ٥٢٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٦٢.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٦٢.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص٢٩. ويرى الباحث أن الناظر في نسب العَمْرَيْن يجد أن عمرو ابن أبي أُحَيْحَة هو عم والد عمرو الأشدق، وليس عم عمرو الأشدق مباشرة.

وعائشة، وكان من سادات المسلمين، ومن الكرماء المشهورين وقد استنابه معاوية على المدينة، قتله عبدالملك بن مروان سنة ٦٩هـ على المشهور عند الأكثرين(١).

وقد قال الجهشياري ـ رحمه الله ـ: «وكان عمرو بن سعيد بن العاص يكتب على ديوان الجند»(٢)، أي في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وفي رواية للبغدادي، وابن عبد ربه الأندلسي: «كان عمرو بن سعيد بن العاص كاتبًا على ديوان المدينة، ثم طلب الخلافة فَقُتِلَ دونها»(٣). ورَوَى ابن عساكر بسَنده، عن المجالد بن سعيد قال: «... وكان عمرو بن سعيد كاتب ديوان الجند بالمدينة، فَطلَب الخلافة فَقُتِلَ دونها».

١٤٥- عَمْرو بن شُرَحْبيل:

قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: «له صحبة، لا أقف على نسبه، وليس هو عمرو ابن شرحبيل الهَمْداني أبو ميسرة صاحب ابن مسعود»(٤)، وقال ابن الأثير الجزري ـ رحمه الله ـ: «هو تابعي، قيل: إنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم»(٥).

ومن آثاره: معاهدة أهل النوبة من الأمير عبدالله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته، إذ جاء في آخرها: «كَتَبه عَمْرو بن شرَحْبيل في رمضان سنة إحدى وثلاثين»(٦).

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٧١٣ - ٧١٥. وانظر: ابن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، ص١٩٦.

(٢) الجهشياري، الوزراء والكُتَّاب، ص٢٤.

(٣) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧-٥٨، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

(٤) انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص١١٨٤. وانظر ترجمته: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص٣٣١-٣٣٢.

(٥) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٢٢٩.

(٦) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٣٠-٥٣١.

١٤٦- عمرو بن العاص بن وائل السَّهْمي القُرَشِيّ:

كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، واستعمله رسو الله ﷺ على عمان، فلم يزل بها إلى أن توفي رسول الله ﷺ، شهد فتوح الشام، وولي فلسطين لعمر بن الخطاب، وافتتح مصر، وهو أحد الحكمين في القصة المشهورة، وكان من شجعان العرب وأبطالهم، ودُهاتهم توفي بمصر سنة ثلاث وأربعين[١].

ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ: ابن شبة[٢]، واليعقوبي[٣]، وابن عبد ربه الأندلسي[٤]، والباقلاني[٥]، وابن الأثير الجزري[٦]، وابن حُدَيدة الأنصاري[٧]، والعراقي[٨] رحمهم الله جميعًا.

وقد جاء في «مسند الإمام أحمد» عن كثير بن الصلت، قال: كان ابن العاص وزيد بن ثابت يكتبان المصاحف، فمروا على هذه الآية، فقال زيد: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما ألبتة» فقال عمر: «لما أنزلت هذه أتيت رسول الله ﷺ ...» الحديث[٩].

١٤٧- عَمْرو بن نَافع:

جاء ذكره في ترجمة الزبير بن الأرْوَح التميمي في «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر على أنه كان كاتبًا لعبيدالله بن زياد (٢٨ - ٦٧هـ)[١٠].

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٢٣٢-٢٣٥.
(٢) انظر: ابن حُدَيْدة الأنصاري، المصباح المضيء، ج١، ص١٦٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.
(٤) العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.
(٥) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.
(٦) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.
(٧) المصباح المضيء، ج١، ص١٥٧ - ١٦٣.
(٨) انظر: المناوي، العجالة السنية على شرح ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.
(٩) أحمد بن حنبل، المسند، ج١٦، ص٣٤، رقم ٢١٤٨٨، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح». وقال: «... وابن العاص يقصد به عَمْرًا، وعُمر الثاني هو عمر بن الخطاب».
(١٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص ٣٠٦.

١٤٨- عُمير بن عَبَّاد الكناني(١):

ذكر اليعقوبي أن عُمَيْرًا هذا هو كاتب كِتَاب القضية بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من قِبَل الأول(٢).

١٤٩- أبو غَطَفان بن طَريف المدني:

ويُقال: ابن مالك الـمُرِّي حجازي، قيل: اسمه سعد، رَوَى عن أبيه طريف بن مالك(٣)، وسعيد بن زيد بن عمرو، وأبي رافع مولى النبي ﷺ، وأبي هريرة، وابن عباس(٤)، رضي الله عنهم أجمعين.

«وكان أبو غَطَفان قد لَزِم عثمان وكتب له، وكتب ـ أيضًا ـ لمروان، وكان قليل الحديث...»(٥).

١٥٠- قَبيصَة بن جابر بن وَهْب الأَسْديّ الكُوفيّ:

يُعدُّ في الطبقة الأولى من فقهاء الكوفة(٦)، سمع عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدالله، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين، وشهد خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية(٧)، ثم وَفَدَ على معاوية بن أبي سفيان بعد ذلك(٨).

وقد كان كاتب سعيد بن العاص بالكوفة(٩)، وكان عثمان رضي الله عنه قد استعمل سعيداً عليها في خلافته(١٠).

---

(١) لم يعثر الباحث على ترجمته.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٩.

(٣) لم يَرِد اسمه في أسد الغابة، والإصابة في تمييز الصحابة، وتهذيب التهذيب.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٤٠٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٦.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص٥١٤.

(٧) كانت خطبة الجابية في سنة ١٥هـ. انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٤٨.

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٢٣٦.

(٩) المصدر السابق، ج٤٩، ص٢٣٨.

(١٠) انظر ترجمة سعيد بن العاص: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٢، ص٤٨١-٤٨٢.

١٥١- قَبِيصَة بن ذُؤَيْب بن حَلْحَلة الخُزَاعيّ:

ذُكِر في الصحابة، وقد تقدمت ترجمته. وكان مُعَلِّم كُتَّاب في مبدأ أمره[١]، ثم أصبح - فيما بعد - على الخاتم والبريد لعبدالملك بن مروان[٢]. ولذلك علَّق ابن حجر - رحمه الله - بعد أن ذكر أن قبيصة كان معلم كُتَّاب: «وكان ذلك قبل أن يصحب عبدالملك»[٣]، «وقد كان يقرأ الكتب إذا وردت ثم يُدْخلها على عبدالملك فيخبره بما فيها»[٤].

١٥٢- قُضَاعي بن عامر، وقيل: ابن عَمْرو الدئلي، ويقال: العذري:

ممن أدرك النبي ﷺ، واستعمله على بني أسد، وشهد فتح دمشق، ومن آثاره أنه كتب كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق إذا جاء في آخره: «شهد أبو عبيدة بن الجراح، وشُرحبيل بن حسنة، وقُضَاعي بن عامر وكتب ثلاث عشرة»[٥].

١٥٣- قُسّ بن سَاعِدَة بن حُذَافة الإيادِيّ:

كانت العرب تعظمُهُ وضَربت به شعراؤها الأمثال، قال ابن حجر - رحمه الله -: «ذكره أبو عليّ بن السَّكن، وابن شاهين، وعبدان المروزي، وأبو موسى في الصحابة، وصَرَّح ابن السَّكَن بأنه مات قبل البعثة». وقيل: إنه أول من كتب من فلان إلى فلان[٦].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ج٤٩، ص٢٥٠. وانظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١، والبغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨، والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٩١.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٦.

(٥) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٩، ص٣٣٤-٣٣٥، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٣٧، ومحمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٥٧.

(٦) انظر ترجمته: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٤١٢-٤١٣.

١٥٤- كَثير بن أفْلح المدني:

مولى أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورَوَى عن: أبيه، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، وأُبَيّ بن كعب، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر[١].

وقد مَرَّ معنا أنه كان أحد كُتَّاب المصاحف التي كتبها عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٥٥- كريمة بنْت المقْداد بن الأسْود الكندية:

رَوَت عن أُمِّها ضُباعة بنت الزُّبَير بن عبد المطلب[٢]، وأمُّها هذه ابنة عم النبي ﷺ وقد سَألَته ذاتَ مَرَّة عن الاشْتِراط في الحج[٣].. وروى البلاذري بسنده أنّ كريمة بنت المقداد كانت تكتب[٤].

١٥٦- كَعْب بن مَالك بن أبي كعب عمرو الخزرجي السَّلَمي الأَنْصَاريّ:

شهد العقبة في قول الجميع، ولم يشهد بدراً، وكان من شعراء رسول الله ﷺ[٥]، ويدل على معرفته للكتابة والقراءة ما ذكره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، إذ قال في ثناياها: «... حتى إذا جاءني دفعَ إليَّ كتاباً من غَسَّان، فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بَلَغني أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالْحَقْ بنَا نُواسِك، فقلتُ لَمَّا قَرَأْتُها: وهذا أيضاً منَ البلاء..»[٦].

وفي رواية ذكرها الذهبي وفيها قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «... حتى إذا جاءني دفع إليَّ كِتَاباً من ملك غَسَّان، وكنتُ كاتباً، فإذا فيه: أما بعد، ...»[٧]، وذكر نص الرسالة.

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص٥٥٣. وانظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٩٨.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٥٥٨.

(٣) ابن الأثير الجزري، أُسْد الغابة، ج٧، ص١٧٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٨.

(٥) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٤، ص٤٦١.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ج٨، ص١١٥.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام: المغازي، ص٦٥٦.

١٥٧ – أمُّ كُلْثُوم بنتُ عُقْبَة بن أبي مُعَيْط، أَبَان القرشية:

أُمها أَرْوَى بنت كُرَيْز فهي أخت عثمان بن عفان لأمه، أسلمت بمكة قديمًا، وصَلَّت القبلتين، وبَايعت رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى المدينة ماشية[١]. وروى البلاذري ـ رحمه الله ـ بسنده أنَّ أم كُلْثوم بنت عقبة كانت تكتب[٢].

١٥٨ – مالك بن أبي عامر بن عَمْرو الأصْبَحيّ:

جَدُّ مالك بن أنس الفقيه، روى عن عمر، وعثمان، وطلحة[٣]، وأبي هريرة، وكعب الأحبار، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم[٤]، رَوَى ابن سعد ـ رحمه الله ـ بِسَندٍ جَيِّد[٥] أنّ مالك بن أبي عامر قال: شهدت عمر بن الخطاب عند الجمر[٦].

ورَوَى عنه ـ أَيْضًا ـ أنه قال: «كنتُ أحد حملة عثمان بن عَفَّان حين توفي..»[٧]، مات ما بين السبعين والثمانين الهجرية.

وقد مر معنا أنه كان أحد كتاب مصاحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويضيف الباحث هنا شاهداً آخر يؤكد أنه كان أحد كتاب المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه، وهو ما روي عن مالك بن أنس ـ إمام دار الهجرة ـ أنه قال: «كان جدي مالك بن أبي عامر ممن قرأ في زمان عثمان، وكان يكتب المصاحف»[٨].

---

(١) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٧، ص٣٧٦.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٨.

(٣) قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ بأن «سماعه من طلحة مُصَرَّحٌ به في الصحيح، وطلحة قُتِل سنة ست وثلاثين». انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٣٣٤.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٣٣٤–٣٣٥.

(٥) هذا حكم ابن حجر رحمه الله.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٦٤.

(٧) المصدر السابق، ج٣، ص٧٩.

(٨) ابن أبي داود السجستاني، المصاحف، ج١، ص٢٢٢، رقم ٩٣.

١٥٩- مُجَاهد بن جَبْر (مَوْلى ابنة غَزْوان):

رجَّح ابن حجر ـ رحمه الله ـ أن تكون له صحبة[١]، وقد صرح عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين قدومه على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أنه كاتب»، مبرراً بذلك استخلافه إيَّاه على خراج مصر[٢].

١٦٠- محمد بن جبير بن مطعم بن عدي:

تقدمت ترجمته وتقدَّم خبر عنايته بالكتب، وخبر مكتبته.

١٦١- مُحَمَّد بن سيرين:

هو الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنَسيّ البَصْريّ، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سَبْي جَرْجَرَايا تَمَلَّكَهُ أنس. وَلِدَ لسنتين بَقِيَتَا من خلافة عمر، وسمع أبا هريرة، وعِمْران بن حصين، وابن عباس، وغيرهم من الصحابة، فقد أدرك ثلاثين صحابيًا، كان حسن العلم بالفرائض والحساب، وكان فقيهًا، عالماً، ورعًا، أديبًا، كثير الحديث، صدوقًا، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حُجَّة، ت ١١٠هـ[٣].

قال البغدادي ـ رحمه الله ـ: «وكان محمد بن سيرين كاتبًا لأنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بفارس...»[٤].

ونص الزِّرِكْلي على أنه من: «أشراف الكُتَّاب»[٥].

١٦٢- مُحَمَّد بن مَسْلَمة بن خالد الأنصاريّ:

شهد بدراً، وأُحُداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، ومات بالمدينة، ولم

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢١٨.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٠٦ – ٦٢٢، والزِّرِكْلي، الأعلام، ج٦، ص١٥٤.

(٤) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨. وانظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٠٩، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١.

(٥) الزِّرِكْلي، الأعلام، ج٦، ص١٥٤.

يستوطن غيرها، كان صاحب العُمَّال أيام عمر، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان، واتخذ سيفًا من خشب. توفي بالمدينة سنة ست وأربعين أو سبع وأربعين(١).

ذكره ضمن كُتَّاب النبي ﷺ: ابن عساكر(٢)، وابن الأثير الجزري(٣)، وابن كثير(٤)، والعراقي(٥). ومن آثاره كِتَاب رسول الله ﷺ لـمهريّ بن الأبيض، إذْ جاء في آخره: «وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري»(٦).

١٦٣- مَخرَمَة بن نَوْفَل بن أُهَيْب القُرَشيّ الزُّهريّ:

كنيته: أبو صفوان، وكان من مُسْلِمَة الفتح، ومن المؤلفة قلوبهم، وحَسُنَ إسلامه، وكان له سن، وعلم بأيام الناس، وبقريش خاصة، وكان يُؤْخذ عنه النسب(٧)، ولذلك انتدبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمن انتدبه لكتابة القبائل، كما مر معنا(٨)، توفي سنة ٥٤هـ.

١٦٤- مِرْدَاس (مَوْلَى زياد بن أبيه)(٩):

ذكره الجهشياري ضمن كُتَّاب زياد ابن أبيه (ت ٥٣هـ)(١٠).

١٦٥- مَرْضِي بن مُقَرِّن الـمُزَني:

أحدُ الإخوة، روى أن سراقة بن عَمْرو كتب عهداً لأهل الباب، شَهد فيه

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص١٠٦ – ١٠٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٨.

(٣) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(٤) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٧.

(٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٦، ٣٥٥.

(٧) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص١١٩–١٢٠.

(٨) وانظر: الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص٢٤٥. وفيه ترجم الخزاعي له تحت عنوان: ذكرُ من تَولى كتابة الديوان في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) رغم أن هناك عدداً ممن حملوا هذا الاسم في كتب التراجم إلا أن الباحث لم يعثر على ترجمة لمرداس هذا.

(١٠) الجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢٦.

عبدالرحمن بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبكر بن عبدالله، كتب مَرْضِي بن مُقرِّن[1].

ولم يعثر الباحث على ترجمة له غير المذكور آنفًا، وسيأتي في ترجمة نعيم بن مُقرِّن المزني قول ابن الأثير الجزري ـ رحمه الله ـ: «ونعيم وأخوته من جلة الصحابة».

١٦٦- مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاص القرشي الأموي:

ولد في عهد النبي ﷺ، وروى عن النبي ﷺ، وابن عمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ[2]، وقد أجمعت المصادر[3] على أنه كان كاتبًا لعثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مدة خلافته.

١٦٧- مُسْلم بن أبي عبدالله:

مَرَّ معنا أنه كتب وَقْف سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٦٨- مُسْلم بن كبيس أو كُبَيْس:

مَرَّ معنا أنه من كُتَّاب المصاحف.

١٦٩- مُسْلم بن مشْكَم الخزاعي الدمشقي:

يُكَنَّى بأبي عُبَيْدالله، رَوى عن أبي الدَّرْداء وقَرأ عليه، ومعاوية، وأبي ثعلبة

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٦١. وانظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٤١، ومحمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧، ص٢٢٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٦، والعصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٠٦، والبغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٨، وابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥١، وج٥، ص٣٧، والجهشياري، الوزراء والكُتّاب، ص٢١، والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٠، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٧، ص٢٢٥، وابن الآبار القضَاعي، إعْتاب الكُتَّاب، ص٤-٥، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٤، ص١٧٢، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٧٩، وج٦، ص٢٠٣، والقرماني، أخبار الدول وآثار الأُوَل، ج٢، ص١٨.

الخشني وغيرهم من الصحابة، شامي، ثقة من خيار التابعين، وقال عنه ابن حجر - رحمه الله -: «ثقة مُقريئ»، وقد كان كاتب أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

١٧٠- ابن مصبح(٢):

مَرَّ معنا أنه أحد كُتَّاب المصاحف في عَهْد عثمان بن عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٧١- معاذ بن جَبَل بن عَمْرو الأنْصَاري الخَزْرَجي:

كان يكنى أبا عبدالرحمن، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان عُمْرُه لما أسلم ثماني عشرة سنة(٣).

وقد ذكره اليعقوبي ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٤)، وهناك نصّ عن الرسول ﷺ ذكره ابن الأثير الجزري(٥)، وتبعه ابن منظور(٦) يشير إلى أن مبعوث رسول الله ﷺ إلى اليمن كان كاتباً، ولكن هناك أكثر من شخص قد بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن منهم معاذ بن جبل، فمن المحتمل أن يكون هو المعنى بهذا الحديث، ونص الحديث: «قد بعثت إليكم كاتباً من أصحابي». قال ابن الأثير الجزري: «أراد به عالماً؛ سُمِّي به لأنه الغالب على كل من يعرف الكتابة أن يكون عنده علم ومعرفة».

١٧٢- مُعَاوية بن أبي سفْيان صَخْر بن حَرْب الأمَوي القُرشيّ:

أمه هند بنت عتبة، وكنيته أبو عبدالرحمن، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه في الفتح، وكان معاوية يقول: إنه أسلم عام القضية، وإنه لقي رسول الله ﷺ مسلماً، وكتم إسلامه من أبيه وأمِّه، وشهد مع رسول الله ﷺ حُنيناً، وكان هو

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٥٠، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٤١٤-٤١٥، وتقريب التهذيب، ص٩٤١.

(٢) لم أعثر على ترجمته.

(٣) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص١٨٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٤٨، مادة: «كتب».

(٦) لسان العرب، ج١، ص٦٩٩، مادة: «كتب».

وأبوه من المؤلفة قلوبهم، وحسن إسلامهما، تولى الإمارة عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٦٠هـ[١].

وقد أكدت المصادر أن معاوية كان من كُتَّاب الرسول ﷺ، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله! ثلاثٌ أَعْطِنيهنَّ. قال: نعم، قال: عندي أحسنُ العرب وأجملهُ، أم حبيبة بنت أبي سفيان أُزَوِّجُك بها، قال: نعم، قال: ومعاوية تجعلُه كاتبًا بين يديك، قال: نعم، قال: وتُؤَمِّرني حتى أُقاتل الكفار كما كنت أقاتلُ المسلمين، قال: نعم»[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت غلامًا أسعى مع الصبيان، قال: فالتفتُ فإذا نبي الله ﷺ خلفي مُقبلاً، فقلتُ: ما جاء نبي الله ﷺ إلاَّ إليّ، قال: فسعيتُ حتى أختبئ وراء باب دار!، قال: فلم أشعر حتى تناولني، قال: فأخذ بقفاي، فَحَطَأني حَطْأةً[٣]، قال: اذهب فادع لي معاوية، وكان كاتبه، قال: فسعيتُ فقلت: أجب نبي الله ﷺ فإنه على حاج»[٤]. والشاهد هنا قول ابن عباس رضي الله عنهما: «وكان كاتبه».

وفي حديث التنوخي الذي بعثه هرقل إلى النبي ﷺ، سؤال الرسول التنوخي عن الرجل الذي ناوله النبي ﷺ الصحيفة وكان على يساره ﷺ: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية[٥].

---

(١) انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٠١ - ٢٠٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج١٦، ص٢٧٩، رقم ٦٣٥٩، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص٤٥٦.

(٣) الحَطْوُ: تحريك الشيء مُزَعْزَعًا، ويقال حَطَأه يَحطوهُ حَطْأ: إذا دفعه بكفه، وقيل: لا يكون الحطْء إلا ضَرْبة بالكَفِّ بين الكتفين. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٤٠٤ مادة «حطا».

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣، ص١٨٩، رقم ٢٦٥١. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ج١٢، ص٢٦١، رقم ١٥٥٩٢. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

ومن المصنفين الذين ذكروا كِتَابة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ: ابن سعد[١]، وخليفة بن خياط العصفري[٢]، والبغدادي[٣]، وابن قتيبة[٤]، والبلاذري[٥]، واليعقوبي[٦]، والطبري[٧]، وابن عبد ربه الأندلسي[٨]، والمسعودي[٩]، والباقلاني[١٠]، وابن الأثير الجزري[١١]، والذهبي[١٢] إذ قال في ترجمة معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَدَّث عن النبي ﷺ، وكَتَبَ له مرات يسيرة»، وابن كثير[١٣]، والخزاعي[١٤]، والعراقي[١٥]، والهيثمي[١٦]، وابن حجر[١٧] إذ قال: «قال أبو نعيم: كان من الكَتَبَة الحَسَبَة الفصحاء...»، والقرماني[١٨]، والزَّبيدي[١٩]، رحمهم الله جميعًا.

(١) الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٠٦، و(الطبقة الرابعة)، ج١، ص١٠٦.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٩.

(٣) الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

(٤) المعارف، ص٣٤٩.

(٥) أنساب الأشراف، ج٢، ص ١٩٣.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٧) تاريخ الطبري، ج٢، ص٢١٨.

(٨) العقد الفريد، ج٥، ص٨، وج٤، ص٢٥١.

(٩) التنبيه والإشراف، ص٢٦٢.

(١٠) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(١١) أسد الغابة، ج١، ص١٧١، وج٥، ص٢٠١، والكامل في التاريخ، ج٢، ص١٧٩.

(١٢) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٠.

(١٣) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٧-٣٦٨.

(١٤) تخريج الدلالات السمعية، ص١٧٢- ١٧٤.

(١٥) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٥.

(١٦) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(١٧) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص١٢٠-١٢١.

(١٨) أخبار الدول وآثار الأُوَل، ج٢، ص٧.

(١٩) حكمة الإشراق، ص٧١.

وورد أن النبي ﷺ ـ فيما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ دعا لمعاوية رضي الله عنه، فقال: «اللهم عَلِّم معاوية الكِتَاب، والحساب، وقِهِ العذاب»(١).

قال الذهبي بعد أن ساق رواة هذا الحديث: «وللحديث شاهد قوي»(٢).

وأورد ابن عساكر ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر أحاديث كثيرة واهية وباطلة(٣) في فضائل معاوية، قول إسحاق بن راهويه، ونصه: «لا يصح عن النبي ﷺ في فضل معاوية بن أبي سفيان شيء، وأصح ما روي في فضل معاوية حديث ابن عباس أنه كان كاتب النبي ﷺ وأخرجه مسلم ـ رحمه الله ـ في «صحيحه»، وبعده حديث العرباض: اللهم عَلِّمه الكِتَاب، وبعده حديث ابن أبي عمرية: اللهم اجعله هاديًا مهديًّا»(٤).

وهناك مصدر وحيد ـ فيما يعلم الباحث ـ وهو كتاب «الكتاب وصفة الدواة والقلم» ذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب لأخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو على الشام(٥).

(١) أخرجه أحمد في المسند، ج٣، ص٤٢٨، رقم ٣٣٧٩. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وج١٢، ص٢٨٢، رقم ١٧٠٨٧. وقال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٥، ص٢٣٠، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٥، ص٧، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٨٧، وج٢، ص١٦٤، ونحوه في: ابن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الرابعة)، ج١، ص١٠٩.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٤.

(٣) قال الذهبي ـ رحمه الله ـ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «وقد ساق ابن عساكر في الترجمة أحاديث واهية باطلة، طَوَّل بها جداً». انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٧.

(٤) وأخرج حديث ابن أبي عمرية أحمد في مسنده، ج١٣، ص٥٣٩، رقم ١٧٨٢١. قال محقق المسند: «إسناده صحيح»، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب. انظر: ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٥، ص١٥-١٦.

(٥) البغدادي، الكتاب وصفة الدواة والقلم، ص٥٧.

ومن آثاره التي كتبها رضي الله عنه:

* كتاب رسول الله ﷺ لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي وأخوته وأعمامه أن لهم أموالهم[1].

* كتاب رسول الله ﷺ لبني قُرَّة بن عبدالله بن أبي نجيح البنهانيين[2].

* كتاب رسول الله ﷺ لعتبة بن فرقد[3].

* كتاب رسول الله ﷺ إلى الأقبال العباهلة[4].

* كتاب عطاء رسول الله ﷺ لعيينة بن حصن والأقرع بن حابس[5].

* كتاب إقطاع رسول الله ﷺ العقيق لبلال بن الحارث المزني[6].

* كتاب رسول الله ﷺ لأهل جرش[7].

١٧٣ - مَعْن بن عَدِيّ بن الجد بن العَجْلان الأنْصَارِيّ:

شهد العقبة، وبدراً، وأُحُداً، والخندق، وسائر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[8].

قال ابن سعد[9] وتبعه الذهبي[10] - رحمهما الله - في ترجمته: «وكان

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٧، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٨. وفيه: «بني قُرَّة بن عبدالله بن نجيح النهديين».

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨٥.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٨٧.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب من يعطي الصدقة وحده الغني، ج٥، ص٢٧، رقم ١٦٢٦، وابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٥٣٥.

(٦) ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٤٩-١٥٠.

(٧) ابن طولون، إعلام السائلين، ص١٥٢-١٥٣.

(٨) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٢٩.

(٩) الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤٦٥.

(١٠) تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين، ص٦٧.

يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة». وقد ذكره الباقلاني ضمن كُتّاب النبي ﷺ(١).

١٧٤- مُعَيْقِيب بن أبي فَاطِمة الدَّوْسِيّ الأَزْدِيّ:

أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم هاجر إلى المدينة، وتوفي آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل: بل توفي سنة أربعين في خلافة علي رضي الله عنه(٢).

وقد كتب لرسول الله ﷺ وكان على خاتمه ﷺ، وكتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أُمنائه على بيت المال(٣).

وممن ذكره ضمن كُتّاب النبي ﷺ كل من: المسعودي(٤)، وابن الأثير الجزري(٥)، والعراقي(٦) رحمهم الله.

ومن آثاره التي كتبها رضي الله عنه: وصية عمر بن الخطاب التي مرَّ ذكرها(٧)، وكتاب إقطاع من عثمان بن عفان رضي الله عنه لعثمان بن أبي العاص(٨). وكتاب عمر في افتلاء الخيل في البصرة من عبدالله أمير المؤمنين إلى المغيرة بن شعبة، وجاء في آخر الكتاب «وكتب معيقب بن أبي فاطمة في صفر سنة سبع عشرة»(٩).

(١) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٣١-٢٣٢.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٣١٦، ٥٨٤، والبلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٢٨، وابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٥، ص٢٦، والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص١٩٣.

(٤) التنبيه والإشراف، ص٢٦١.

(٥) أسد الغابة، ج١، ص١٧١.

(٦) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٧.

(٧) وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص٤٠٢.

(٨) انظر نص الكتاب: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٤، مادة: «شطّ»، ومحمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٣٢-٥٣٣.

(٩) محمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٤٨.

١٧٥- المُغيرة بن شُعبة بن أبي عَامر الثقفي:

أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية، وكان موصوفًا بالدهاء[١]، ومرَّ معنا أنه أول مَنْ وضع ديوان البصرة، وكان كاتبًا لأبي موسى الأشعري في ولايته على البصرة[٢]، وقد ذكره ضمن كُتَّاب الرسول ﷺ: اليعقوبي[٣]، والجهشياري[٤]، والباقلاني[٥]، وابن عساكر[٦]، وابن الأثير الجزري[٧]، وابن كثير[٨]، والعراقي[٩]، والهيثمي[١٠] رحمهم الله جميعًا.

ومن آثاره التي كتبها رضي الله عنه:

* كتب كتاب رسول الله ﷺ لبني الضباب من بني الحارث بن كعب[١١].
* كتب كتاب رسول الله ﷺ ليزيد بن المحجَّل الحارثي[١٢].
* كتب كتاب رسول الله ﷺ لبني قَنَان بن ثعلبة من بني الحارث[١٣].
* كتب كتاب رسول الله ﷺ لعامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي[١٤].

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٣٨.

(٢) انظر: ابن عبدربه الأندلسي، العقد الفريد، ج١، ص٧٥، وج٤، ص٢٥١.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٠.

(٤) الوزراء والكتاب، ص١٢.

(٥) الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٦) تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٧) أسد الغابة، ج١، ص١٧٠.

(٨) البداية والنهاية، ج٥، ص٣٦٨.

(٩) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(١٠) مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب كُتَّاب الوحي، ج١، ص١٥٣.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨.

(١٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٨.

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤٦٦، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٥١.

* كتب كتاب رسول الله ﷺ لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم(١).

* كتب كتاب رسول الله ﷺ لبني الجُرْمُز بن ربيعة وهم من جهينة(٢).

* كتب كتاب رسول الله ﷺ لحصين بن نَضَلَة الأسديّ(٣).

١٧٦- الـمُنْذِر بن عَمْرو بن خُنَيْس الأنصاري الخزرجي السَّاعِدي:

شهد العقبة، وبدراً، وأحُداً(٤)، قال ابن سعد ـ رحمه الله ـ في ترجمته: «وكان المنذر يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة»(٥). وقد ذكره الباقلاني ضمن كُتَّاب النبي ﷺ(٦).

١٧٧- مَنْصور بن عِكْرِمة بن عامر العَبْدَريّ:

كاتب صحيفة المقاطعة الظالمة المشهورة في تاريخ فجر الإسلام، إذ أن قريشاً لما علمت أنهم لا يقدرون على قتل رسول الله ﷺ، وأن أبا طالب لا يُسلمه، اجتمعت وائتمرت فيما بينها أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن ألا يُنْكحوهم ولا يبيعونهم شيئًا ولا يَبْتاعوا منهم، فكتبوا بذلك صحيفة، سُمِّيتْ فيما بعد بصحيفة المقاطعة(٧).

١٧٨- الـمُهاجر بن أبي أُمَيَّة بن الـمُغِيرة المخزومي القُرشيّ:

استعمله رسول الله ﷺ على صدقات كندة والصدف، وله في قتال الردة

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٧١.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٧٩، وابن طولون، إعلام السائلين، ص١٤٤.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٥٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٥٥.

(٦) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٧) انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣١-٣٢، والطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص٥٤٩- ٥٥٠.

باليمن آثر كبير[١]. وقد ذكره الباقلاني - رحمه الله - ضمن كُتَّاب النبي ﷺ[٢].

١٧٩- نَاجِية الطُّفَاوي:

أحد كُتَّاب المصاحف، وقد مَرّ خبره معنا.

١٨٠- نافع بن ظُرَيب (وقيل: ابن طريف بن نوفل):

أحد كُتَّاب المصاحف، وقد تقدمت ترجمته، وأخبار كتابته للمصاحف في خلافتي عمر وعثمان رضي الله عنهما.

ومن آثاره أنه كتب وصية عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذ جاء في آخرها: «... ونافع ابن طريف، وكتب لعشر ليال خلون من المحرم من سنة تسع وعشرين»[٣].

١٨١- النُّعْمان بن بَشِير بن ثَعْلَبة الخزرجي الأنصاري:

ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بثمان سنين، وسبعة أشهر، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة في قول، له ولأبويه صحبة، يكنى أبا عبدالله، استعمله معاوية على حمص، ثم على الكوفة، قُتل سنة ٦٤هـ[٤].

ويشهد لمعرفته الكتابة، كتابته لبعض أحاديث الرسول ﷺ[٥].

١٨٢- نُعَيْم بن مُقَرِّن بن عَائذ المُزَني:

خلف أخاه النُّعْمان بن مُقَرِّن لما قُتل بنهاوند، وأخذ الراية فدفعها إلى حذيفة بن اليمان، وكانت على يد نعيم فتوحٌ بفارس، ونعيم وأخوته من جلَّة الصحابة، ومن وجوه مُزينة، وكان عمر بن الخطاب يعرف لنعمان ونعيم فضلهما[٦].

---

(١) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٦٥.

(٢) الباقلاني، الانتصار، ج١، ص٢٧٤.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب أهل الكتابيين، وصية عمرو بن العاص، ج١٠، ص٣٧٧-٣٧٨، رقم ١٩٤١٨.

(٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٣١٠-٣١١.

(٥) انظر: محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ج١، ص١٤٢.

(٦) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٣٢٩.

ومما يشير إلى إتقانه الكتابة، وجود بعض المدونات المذيلة باسمه في معظم المصادر التاريخية، مثل: كتابه إلى الزينبي ابن قُوله وأهل الري(١)، وكتابه إلى مَرْدَانْشَاه مَصْمُغَان دُنْبَاوند وأهل دُنْباوند(٢).

١٨٣- هند بنت أبي سفيان صخر بن حرب الأُمَوية:

أخت معاوية، وزوج الحارث بن نوفل ابن عبدالمطلب(٣)، وقد ذُكرت في عداد النساء الكاتبات(٤).

١٨٤- وَرَّاد الثقفي (أبو الورد):

روى عن المغيرة ووفد على معاوية(٥)، وكان كاتب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ومولاه، واشتهر عند المحدثين بذلك(٦)، إذ إنَّ كتابته للأحاديث النبوية عن المغيرة ثبتت في كتب السنة، فقد روي عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة قال: «أملى عليَّ المغيرة بن شعبة - في كتاب معاوية - أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص٣٤٥.

(٤) انظر: ظمياء محمد عباس، نساء خطاطات، المورد، م١٥، ع٤ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص١٤١.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٧٢.

(٦) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص٤٥، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٢٦، ص٢٦٧، وانظر: سند الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، ج١٤، ص٩٢، رقم ١٨٠٨٦. وهو غير الأحاديث المذكورة أعلاه، وفي سنده: «عن وراد كاتب المغيرة»، وانظر - كذلك - سند الحديث الذي أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الطهارة، باب الرخصة في المسح على الخفين...، ج١، ص١٩٥. وفيه: «أخبرنا رجاء بن حيوه عن كاتب المغيرة بن شعبة، عن المغيرة...»، وذكر هذا الحديث بهذا السند في: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٢٣٩.

الجد»[1] وفي رواية عن وراد - أيضًا - مولى المغيرة قال: «كتب المغيرة إلى معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم...» ثم ساق الحديث[2]. وَرَوَى الشعبي قائلاً حدثني كاتب المغيرة بن شعبة قال: «كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن أكتب إليَّ بشيء سمعته من النبي ﷺ. فكتب إليه: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[3].

١٨٥- وَرْدَان (مولى عَمْرو بن العاص):

جاء في آخر العهد الذي تعاهد عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص من الطلب بدم عثمان: «وكتب وَرْدان سنة ثمان وثلاثين»[4]، فهو إذن كان مولى عمرو بن العاص وكاتبه. كما كتب معاهدة المسلمين مع أهل مصر إذ جاء في أولها: «هذا ما أعطى عمر بن العاص أهل مصر من الأمان..»، وجاء في آخرها: «شهد الزبير، وعبدالله ومحمد ابناه، وكتب وَرْدان وحضر»[5].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ج٢، ص٣٢٥، رقم ٨٤٤، والخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ج١١، ص١٣٣، رقم ٦٣٣٠، وانظر ما أخرجه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال..، ج١٣، ص٢٦٤، رقم ٧٢٩٢، وما أخرجه أحمد في مسنده، ج١٤، ص٨٣، رقم ١٨٠٥٧، وص٨٩، رقم ١٨٠٧٦، وص٩٧، رقم ١٨١٠٠، وص٩٩، رقم ١٨١٠٨، وص١٠٢، رقم ١٨١١٥، وص١١٠-١١١، رقم ١٨١٤٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، ج٥، ص٩٣، رقم ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سَلَّمَ، ج٤، ص٢٧٣، رقم ١٥٠٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ...، ج٣، ص٣٤٠، رقم ١٤٧٧، وأخرج - نحوه - مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة..، ج١١، ص٢٣٨-٢٣٩، رقم ٤٤٦٠-٤٤٦١، وأخرجه أحمد في مسنده، ج١٤، ص٩٦، رقم ١٨٠٩٦، وص٩٩، رقم ١٨١٠٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٥٤، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٣، ص١٤٨.

(٥) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٠-٥١.

١٨٦- وُهيــب:

مولى زيد بن ثابت الأنصاري عتاقةً، وكان كاتبًا لزيد بن ثابت، وقد رَوَى عنه[١].

١٨٧- يزيد بن أبي سُفيان صَخْر بن حَرْب القُرشيّ الأُمَويّ:

أخو معاوية، وكان أفضل بني أبي سفيان، وكان يُقال له: يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنيناً واستعمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه على جيش، وسيَّره إلى الشام، وخرج معه يُشَيّعه، مات في طاعون عَمْواس في خلافة عمر رضي الله عنه[٢].

ويُرجِّح الباحث أنه هو الذي كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى مُجَّاعة بن مُرّارة من بني سلمى؛ إذ جاء في آخره: «وكتب يزيد»[٣]، ذلك لأن عدداً من المصنفين ذكروه ضمن كُتَّاب النبي ﷺ، منهم: ابن سعد[٤]، وابن سيد الناس[٥]، وابن حُدَيْدة الأنصاري[٦]، والعراقي[٧] رحمهم الله جميعًا.

١٨٨- يزيد بن هرمز الفارسي[٨]:

مَرّ معنا أنه من كُتَّاب المصاحف، ومن آثاره أنه كتب كتابًا من ابن عباس رضي الله عنهما إلى نجدة الحروري[٩]، وقد مَرّ معنا أيضًا.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٠٤.

(٢) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج٥، ص٤٥٦.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب ما يقطع من الأراضي والمياه، ج٦، ص٩، وابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج٢٧، ص١٦٠.

(٤) انظر: ابن حُدَيْدة، المصباح المضيء، ج١، ص١٩١.

(٥) عيون الأثر، ج٢، ص٤١٣.

(٦) المصباح المضيء، ج١، ص١٩٠-١٩١.

(٧) انظر: المناوي، العجالة السنية على ألفية السيرة للعراقي، ص٢٤٦.

(٨) قال ابن حجر في ترجمة يزيد بن هُرْمز المدني أبو عبدالله ما نصه: «... وقيل: إنه يزيد الفارسي، والصحيح أنه غيره». انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٢٢٦.

(٩) انظر: ابن شَبَّة، تاريخ المدينة، ج٢، ص٦٤٨.

١٨٩- يُوسُف بن الزُّبَيْر المَكّي:

مولى عبدالله بن الزبير، ويقال: مولى الزبير، وكان رضيع عبدالملك بن مروان (٢٦ - ٨٦هـ)، وكان يقرأ الكتب[١]. روى عن الزبير بن العوام (ت ٣٦هـ)، وابنه عبدالله، ويزيد بن معاوية، وعبدالملك بن مروان وكان رضيعه[٢].

١٩٠- أبو يُونس (مَوْلَى عائشة رضي الله تعالى عنها):

روى عن أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين[٣]، وقد مَرّ معنا أنه كتب مصحفًا لعائشة رضي الله عنها.

وفي ختام هذا الفصل يُلْقي الباحث نظرة سريعة[٤] على قائمة الكَتَبة هؤلاء فيخلص إلى النتائج الآتية:

* بلغ عدد مَنْ عرف الكتابة أو اشتهر بها أو مارسها أو تعلّمها في النِّصف الأول من القرن الأول الهجري ١٩٠ كاتبًا.
* بلغ عدد كُتَّاب المصاحف من مجموع هؤلاء الكتبة ٢٧ كاتبًا.
* بلغ عدد الصحابة من مجموع هؤلاء الكتبة ١٠٠ كاتب.
* بلغ عدد السابقين إلى الإسلام من مجموع هؤلاء الكتبة من الصحابة ٢٦ كاتبًا.
* بلغ عدد المخضرمين من مجموع هؤلاء الكتبة من الصحابة ٣٧ كاتبًا.
* بلغ عدد من ثبتت كتابته للرسول ﷺ من مجموع هؤلاء الكتبة من الصحابة ٥٨ كاتبًا.
* بلغ عدد من عُيِّن في منصب «كاتب» من غير كُتَّاب رسول الله ﷺ ٥٧ كاتبًا.
* بلغ عدد النساء الكاتبات من مجموع هؤلاء الكَتَبة ست كاتبات.

---

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج٢٨، ص٨٢.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) المصدر السابق، ج٦، ص٤٦١.

(٤) انظر: الملحق رقم ٦.

* بلغ عدد معلمي الكتاتيب من مجموع هؤلاء الكَتَبة ستة معلمين.

* بلغ عدد كُتَّاب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مجموع هؤلاء الكتبة ستة كُتَّاب، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٨ كاتبًا، وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٥ كاتبًا، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستة كُتَّاب، ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١١ كاتبًا.

* أظهرت قائمة الكَتَبة هذه وجود أربعة عوائل نُسب إليها عدد من الكتَبة، وقد أسهم بعضهم إسهاماً واضحاً في تعليم الكتابة ونشرها وتطوير صناعتها، وجاءت هذه العوائل على النحو الآتي:

- أَبَان وخَالد وعبدالله أبناء أبي أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أُمية القرشيّ، إضافة إلى ابن أخيهم عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بعمرو الأشدق.

- جعفر وعلي وعقيل أبناء أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب القرشي، إضافةً إلى ابْني عليّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رضي الله عن الجميع.

- أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي، وأبناؤه معاوية ويزيد وهند، والمنسوب إليه زياد بن أبي سفيان، وجُلّهم ذوو أثر مشهود معلوم في نشر وتعليم الكتابة وتطوير صناعتها، ومن قَبْلهم جدهم حرب بن أمية.

- سعد بن أبي وقاص مالك القرشي وابنته عائشة، وقد أسهم سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعليم ونشر الكتابة في المدينة.

- وهناك من العوائل من نسب إليها اثنان من الكتَبة مثل: عمرو بن العاص وابنه عبدالله، والزبير بن العوَّام وابنه عبدالله، وعمر بن الخطاب وابنته حفصة، وعباس ابن عبدالمطلب وابنه عبدالله، وأبي بكر الصديق وابنه عبدالله.

النتائج والتوصيات

النتائج:

وفي نهاية المطاف يَحْسَبُ الباحث أنه قد وَثَّقَ لتاريخ صناعة الكتابة والكتاب في النصف الأول من القرن الأول الهجري: العوامل والبوادر، وغطَّاها تغطيةً أقرب إلى الشمول منها إلى الاختصار وإلى الحَصْر أقرب منها إلى القَصْر، وخَلص إلى بعض النتائج التي من أهمها:

- كان للمراكز التعليمية وما يشبه المدارس أثر في تعليم الكتابة وانتشارها في عهد الرسول ﷺ، وخير مثال على ذلك مدرسة أهل الصُّفَّة.

- تأسيس الكتاتيب في عهد الرسول ﷺ وانتشار تعليم الكتابة.

- عُلو مقام الكتَابة والكُتَّاب في نفوس الصحابة وكبار التابعين، وحثهم المتكرر على ضرورة تعلُّم الكتابة وتقييد العلم.

- انتشار تعلم الكتابة وكثرة الكتاتيب في العهد الراشدي.

- تطور العملية التنظيمية لتعليم الكتابة العربية في العهد الراشدي وتمثل ذلك في:

* تعيين معلمين للكتابة والقرآن وتحديد نفقاتهم الشهرية.

* تحديد موعد بدء اليوم الدراسي.

* إقرار الإجازة الأسبوعية لتلاميذ الكتاتيب.

* تحديد المرحلة العمرية لدخول الكُتَّاب.

* إنشاء كتاتيب جديدة في كل مدينة يفتحها المسلمون.

- كان لتعليم الكتابة وانتشارها في النصف الأول من القرن الأول الهجري أثرها في تطور الخط العربي، وتمثل ذلك في:

* تعدد أنواع الخطوط في ذلك العهد.

* التطور المتدرج لهذه الأنواع، إذ بدأت بما سُمِّي بالخط المكي في العهد المكي، ثم تطور مع انتشار تعلم الكتابة وكثرة استخدامها ليصبح أكثر إتقاناً،

فظهر ما سُمّي بالخط المدني في العهد المدني، ثم اختطت مدينة البصرة فظهر ما سُمِّي بالخط البصري، ثم نقل العرب القادمون من المدينة خطهم الذي عرفوه إلى مدينة الكوفة، فما لبث أن تطور وأدخل عليه التحسين وصار يُسمَّى بالخط الكوفي.

– كان للحركة العلمية المتميزة في مدينتي البصرة والكوفة أثرها في فرض الخطين البصري والكوفي.

– أسهمت الحركة التعليمية وتعليم الكتابة في ذلك العهد في ظهور التدوين العلمي عن طريق تقييد المسائل العلمية المختلفة وتدوينها، وكذلك تقييد المراسلات العلمية بين الصحابة وكبار التابعين، فكان أن ظهرت صحائف الصحابة في الحديث النبوي الشريف، ومدونات العلوم الأخرى مثل: التاريخ، والأنساب، والأمثال، والسيرة والمغازي، والتفسير، والنحو، والطب، والترجمة، والشعر.

– كان لحَثِّ الرسول ﷺ على كتابة القرآن الكريم منذ بدء نزول الوحي عليه والترغيب فيها وورود الشواهد على تفاعل الصحابة مع هذا الحث النبوي الكريم؛ أثَر في انتشار كتابة المصاحف بين الصحابة، مما أسهم في إزدهار صناعة الكتابة في ذلك العهد.

– كان لجمع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للقرآن أثرٌ في تطور صناعة الكتابة والكتاب في ذلك العهد، وقد تمثَّل ذلك في:

* ظهور عملية التجليد في أبسط صورها.
* انتشار إملاء المصاحف وكتابتها ونسخها بين الصحابة وكبار التابعين.
* بدء صُدُور الأحكام الفقهية والآداب المرعية بشأن المصاحف.
* تنوع أحجام المصاحف وخطوطها.

– أحدث توحيد المصاحف وجمعها في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نقلة أكبر في صناعة الكتابة والكتاب، وقد تمثل ذلك في:

* مواصفات المصحف العثماني من حيث خطه، وحبره، وحجمه.

* ظهور مراكز ثابتة في الأمصار الإسلامية لكتابة المصاحف ونسخها وصناعتها.

* انتشار المصاحف الشخصية، فقد صَحَّ أن كان لأمهات المؤمنين وبعض صحابة رسول الله ﷺ وكبار التابعين مصاحف خاصة بهم، رضي الله عنهم أجمعين.

* إنشاء أول دار (مكتبة) قرآنية تحوي عدداً من المصاحف يجتمع فيها عددٌ من المستفيدين القرّاء.

* صدور أحكام فقهية أخرى عن الصحابة وكبار التابعين تتعلق ببيع المصاحف وشرائها ونسخها وببعض معالجات صناعتها.

* اشتهار الحجْر في الحرم المكي كمركز لنسخ المصاحف احتساباً بدون أجر، فهذا المركز وغيره ـ مما ذُكر ـ من أوائل مراكز الوراقة في الحضارة الإسلامية.

* ظهور المتخصصين في نسخ المصاحف.

– إثبات أن مجتمع القرى العربية في الحجاز وبعض الأقاليم العربية في الجزيرة مجتمعات حضارية لكونها مجتمعات تجارية.

– تفاعل مجتمع الحجاز والجزيرة في الجاهلية وفجر الإسلام تفاعلاً حضارياً مع الأمم الأخرى في بعض الصناعات ومنها صناعة الكتابة والكتاب.

– كان العامل الحضاري يظهر تأثيره في نشأة الخط العربي ومراحل تطوره، وقد تمثل هذا التأثير فيما يأتي:

* في جميع الآراء القديمة المذكورة في المصادر العربية حول نشأة الخط العربي باستثناء الرأي القديم الذي عُرف بنظرية التوقيف.

* في الرأي الحديث الذي يعتبر أن الكتابة العربية مُشتقة من الكتابة النبطية.

* في تأثر أحد أنواع الخطوط العربية وهو الخط الكوفي بحضارة سابقة هي حضارة السريان.

– إثبات صحة الرواية التي مفادها أن مدينة الحيرة كانت مصدراً من مصادر تعلم الصحابة وعرب الحجاز الكتابة رغم رفض العلماء المعاصرين من أصحاب

الرأي الحديث في نشأة الخط العربي لهذا الرأي رفضًا قاطعًا.

- بلوغ أمة الفرس مرتبة عالية في إحكام صناعة الكتابة وتعليمها ونشرها والعناية بها، وسَنّ القوانين المنظمة لها وللقائمين عليها، وتحديد تخصصاتهم في بلاط الأكاسرة، إلى غير ذلك مما يتعلق بهذه الصناعة.

- تأثر عرب الجزيرة والحجاز في صناعة الكتابة بأمة الفرس؛ وذلك لوجود قنوات تمر من خلالها مثل تلك التأثيرات، ومن أهم تلك القنوات:

* الكُتَّاب العرب الذين اشتغلوا بهذه الصناعة في البلاط الفارسي وتَسَنَّمُوا فيه أعلى المناصب.

* الشعراء ا لجاهليين الذين كانوا على علم بالقراءة والكتابة، وكذلك بعض من لهم اطلاع على الثقافات واللغات الأعجمية من الجاهليين قبل بعثة الرسول الكريم ﷺ وفي بداياتها.

* الأبناء (من أبناء فارس اللذين استقروا في اليمن) حيث كانوا هناك إلى عهد الرسول ﷺ.

* الفتوحات الإسلامية لمدن مثل: عين التمر والأنبار على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه في سنة ١٢هـ.

ويظهر هذا التأثير في بعض الاقتباسات التي اقتبسها العرب والمسلمون من أمة الفرس في صناعة الكتابة مثل: عادة الكتابة على المهارق، ونظام الدواوين، وبعض المواد أو المصطلحات الكتابية ذات الأصل الفارسي في ألفاظها.

- إثبات وجود العلاقة العلمية بين عرب الحجاز وبين أهل الكتاب، وتَسَنُّم أهل الكتاب المرجعية في ذلك إلى أوائل بعثة الرسول ﷺ.

- تفوّق أهل الكتاب في صناعة الكتابة والكتاب للأسباب الآتية:

* لارتباط هذه الصناعة بكتبهم المقدسة.

* لأنَّ مراكزهم الدينية والتعليمية كانت بمثابة دور للنشر القديم.

* لما يَلْحظه المتأمل في بعض أشعار الجاهليين والمخضرمين من ارتباط بين الكتابة

ومصطلحاتها من أدوات ومواد. . . إلخ، وبين أهل الكتاب.

- تأثر عرب الحجاز بأهل الكتاب في صناعة الكتابة والكتّاب قبل ظهور الإسلام وحال ظهوره، وذلك من خلال ما يأتي:

* وجود من يكتب التوراة والإنجيل بالعربية من أهل الكتاب.

* التعبير عن التوراة بالعربية.

* استمرار العلاقة العلمية - بعد ظهور الإسلام - بين عرب الحجاز (الصحابة رضوان الله عليهم) وبين أهل الكتاب بالضوابط التي أقرّها الشارع الحكيم.

* قُرْب أهل الكتاب المكاني من حواضر الحجاز.

* إخبار المصادر بوجود عدد من الكتاب النصارى الذين أسهموا في حركة صناعة الكتابة وتعلمها وانتشارها في ذلك العهد.

- كان للعامل السياسي والإداري تأثيراً في صناعة الكتابة والكتاب في ذلك العهد، وذلك من خلال ظهور الكتابات ذات العلاقة بهذا العامل، مثل: كتابات الإقطاع، والعهود، والوسائل إلى المملوك، وكتب إحصائية وإدارية أخرى.

- إثبات أن نشأة دواوين الإنشاء والجند كانت في عهده ﷺ.

- أسهم العامل السياسي والإداري في تأسيس ديوان عمر بن الخطاب، والدواوين الأخرى.

- إبراز دور زياد بن أبيه (بن أبي سفيان) الريادي في تطور صناعة الكتابة والكتاب من خلال إشرافه على بعض الدواوين في ذلك العهد.

- تمثّل تأثير العامل السياسي والإداري في تاريخ الدواوين وصناعة الكتابة في ثلاثة محاور:

* الإحصاء الاجتماعي والإداري.

* التدوين والتأليف.

* الكتابة وصناعتها.

- دَلَّ تكرر ذكر القلم في القرآن الكريم، والآحاديث النبوية الشريفة، والشعر في

الجاهلي، وشعر فجر الإسلام على أنَّ القلم كان معروفًا عند العرب وكانت له دلالات واضحة ومحددة في أذهانهم، وكان بمثابة علامة مُمَيِّزة للكتاب في ذلك العهد.

– عرف العرب قبل الإسلام الدواة؛ إذْ تكرر ذكرها في الشعر الجاهلي، كما تكرر ذكرها في الأحاديث النبوية الشريفة.

– جودة الحبر المستخدم في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين؛ إذ ظَلَّ محتفظًا بوضوحه وصفائه عدة قرون.

– ممارسة أهل فجر الإسلام لمعالجات تتعلق بصناعة الكتابة والكتَاب، مثل: المحو بطرقه المتعددة، والتتريب، وإلاقَة الدواة، والتجليد، والتذهيب، والهَنْء.

– إنَّ الجلد كان أكثر المواد تنوعًا واستخدامًا في الكتابة في الجاهلية وفجر الإسلام.

– عَرَفَ العرب في الجاهلية وفجر الإسلام البَرْدي، واستخدام الورق المصنوع منه المُسمَّى بالقرطاس في الكتابة في فجر الإسلام، وانتشر هذا الاستخدام بعد فتح مصر، وقد جاء ذكر القرطاس في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشواهد الشعرية.

– تكرر ذكر المهارق في الشعر الجاهلي كمادة لكتابة النصوص المقدسة والعهود وكل أمر عظيم، إلا أنَّ هذه المادة لم يكن لها ذكر في العهد النبوي والخلافة الراشدة.

– ظهر أن المواد المستخدمة في الكتابة في العهد النبوي والراشدي كانت تُستخرج من البيئة المحيطة؛ فمن الحيوان كانت تستخرج الجلود والعظام مثل الكتف والطبق، ومن النبات ـ النخيل بشكل خاص ـ كانت تستخرج الكرانيف والعسيب والعرجون والجريد، ومن الأحجار اللخاف، ومن الأخشاب الألواح والأقتاب، وقد تطور الأمر في العهد الراشدي باستخدام بيئات أخرى فكان استخدام نبات البردي ليُصْنع منه ورق القرطاس.

- اهتم الرعيل الأول بحفظ المدونات العلمية والوثائق الرسمية والمراسلات الشخصية في أوعية خاصة بها، وقد كانت أكثر هذه الأوعية متعددة الأغراض، ومنها حفظ المدونات والوثائق.

- إنشاء أول مكتبة عامة في تاريخ الحضارة الإسلامية في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، وهي مكتبة محمد بن جُبير بن مطعم النوفلي.

- أطلقت مصطلحات وأسماء متعددة ومتنوعة على المدونات، وتكرر ذكر بعض منها في القرآن والآحاديث النبوية الشريفة والشعر الجاهلي؛ مما يُشير إلى الاهتمام بصناعة الكتابة في ذلك العهد.

- إطلاق مصطلح «الطُّومار» على ورقة البردي (القرطاس) منذ عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتنظيم أمره في عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشيوع استخدامه في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري؛ مما يؤكد على انتشار استخدام القرطاس (البردي) كمادّة للكتابة.

- كَشَفَتْ القائمة الحصرية للكَتَبَة في النصف الأول من القرن الأول الهجري بعضًا من النتائج الإحصائية والتحليلية المتعلقة بالكتبة في ذلك العهد.

التوصيات:

- لاحظ الباحث أنَّ المعاجم اللغوية تحتوي على ألفاظ كتابية كثيرة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال المسح الشامل لتلك المعاجم، وعليه يوصي الباحث بعمل معجم للألفاظ الكتابية والألفاظ المتعلقة بصناعة الكتابة والكتاب في تاريخ الحضارة الإسلامية.

- الاهتمام بخدمة المصادر التراثية من خلال علم المكتبات والمعلومات وأدواته، مثل: تحليل الاستشهادات المرجعية، والكشافات وقوائم رؤوس الموضوعات، إلى غير ذلك من هذه الأدوات.

المصادر والمراجع

* ابن إبراهيم، أبو يوسف يعقوب (١٣٩٦هـ) **كتاب الخراج**، ط٥، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها.

* ابن الأبرص، عبيد (١٤٠٤هـ) **ديوان عبيد بن الأبرص**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

* ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (١٤٠٧هـ) **الكامل في التاريخ**، ط١؛ تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (١٤١٥هـ) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط١، ٧مج، تحقيق وتعليق: علي محمد مُعَوض وعادل أحمد عبدالموجود، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (١٣٩٩هـ) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط٢، ٥مج، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

* الأثيوبي، محمد بن الشيخ علي (١٤١٤هـ) **قُرَّة العين في تلخيص تراجم رجال الصحيحين**، ط١، د.م: د.ن.

* ابن الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (١٤١٠هـ) **مناقب الإمام الشافعي**، تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

* الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (١٤١٥هـ) **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ط٧، تحقيق: رشدي الصالح ملْحس، مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة.

* الأسد، ناصر الدين (١٩٧٨م) **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ط٥، د.م: دار المعارف.

* الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (١٤١٠هـ) **فهرسة ابن خير الأموي الإشبيلي**، ط١، سلسلة المكتبة الأندلسية - ٩، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري.

* الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (١٩٣٧م) **كتاب مسالك الممالك**، ليدن: مطبعة بريل.

* الأصفهاني، علي بن الحسين (١٤١٥هـ) **الأغاني**، ط٣، ٢٤ مجلد، شرح: عبد أ. علي مهنا وسمير جابر، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

* الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قُرَيْب (١٣٩٢هـ) **كتاب النبات**، ط١، تحقيق: عبدالله يوسف الغنيم، القاهرة: مكتبة المتنبي.

* ابن أبي أُصَيْبعة السَّعدي، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (د.ت) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت: منشورات مكتبة الحياة.

* الأعظمي، محمد مصطفى (١٤٠١هـ) **كتاب النبي ﷺ**، ط٣، الرياض: د.ن.

* الأعظمي، محمد مصطفى (١٤١٣هـ) **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، مجلدان، بيروت: المكتب الإسلامي.

* الأعلم الشَّنْتَمري، يوسف بن سليمان (١٩٩٣م) **شرح ديوان طرفة بن العبد البكري**، ط١، تحقيق وشرح: رحاب خضر عكاوي، بيروت: دار الفكر العربي.

* الأعلم الشَّنْتَمري، يوسف بن سليمان بن عيسى (١٤١٢هـ) **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، مختارات من الشعر الجاهلي، ط١، شرح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل.

* الألباني، محمد ناصر الدين (١٣٨٧هـ) **حجة النبي ﷺ**، كما رواها جابر رضي الله عنه، ط٣، دمشق: المكتب الإسلامي.

* الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٠٩هـ) **صحيح الترغيب والترهيب للإمام المنذري**، ط٣، الرياض: مكتبة المعارف.
* الآلوسي، محمود شكري (١٣١٤هـ) **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ط١، ٣ مج، د.م: مطبعة دار السلام.
* أمين، نضال عبدالعالي (١٤٠٧هـ) **أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية**، المورد، مج ١٥، ع٤: ص ١٣١ – ١٤٠.
* الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (١٩٦٣م) **شرح القصائد السَّبْع الطِّوال الجاهليات**، ذخائر العرب – ٣٥، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، د.م: دار المعارف.
* ابن أنس، مالك (د.ت) **الموطأ**، مجلدان، تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الكتب العلمية.
* الأنصاري، أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن حُدَيْدة (١٤٠٥هـ) **المصباح المضيء في كُتّاب النبي الأمي ﷺ ورُسُله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**، ط٢، مجلدان، تصحيح وتعليق: محمد عظيم الدين، د.م: عالم الكتب.
* الأوْنَبي، الوزير أبو عبيد البكري (١٤٠٤هـ) **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، ط٢، مجلدان، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، د.م: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع.
* الأيوبي، ياسين (١٩٩٢م) **نشأة الكتابة العربية وتطوّر تدوين حروفها**، الموقف الأدبي، ع ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢: ص ٢١ – ٣٢.
* الأيوبي، ياسين (١٩٨٠م) **معجم الشعراء في لسان العرب**، ط١، بيروت: دار العلم للملايين.
* الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيِّب (د.ت) **نُكت الانتصار لنقل القرآن**،

كتب الدراسات القرآنية – ١، تحقيق ودراسة: محمد زغلول سَلام، الإسكندرية: منشأة المعارف.

* الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (١٤٠٧هـ) **الانتصار للقرآن**، سلسلة ج، عيون التراث، إشراف: فؤاد سزكين، فرانكفورت: منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية.
* بدران، عبدالقادر (١٣٩٩هـ) **تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر**، ط٢، ٧مج، بيروت: دار المسيرة.
* آل بَسَّام، عبدالله (١٤١٥هـ) **تيسير العلاّم شرح عمدة الأحكام**، ط٨، مجلدان، جدة: مكتبة السوادي.
* البَسَوي، يعقوب بن سفيان (١٤١٠هـ) **كتاب المعرفة والتاريخ**، ط١، ٤مج، تحقيق وتعليق: أكرم ضياء العُمَري، المدينة المنورة: مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
* البشاري المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد البناء الشامي (١٩٠٩م) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، لَيْدن: مطبعة بريل.
* البغدادي، أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز (١٣٩٣هـ) **الكُتَّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها**، تحقيق: هلال ناجي، المورد، مج٢، ع٢: ص٤٣ – ٧٨.
* البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفَرَّاء (١٤٠٧هـ) **تفسير البغوي المُسَمَّى معالم التنزيل**، ط٢، إعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن العك ومروان سواد، بيروت: دار المعرفة.
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (١٤٠٩هـ) **الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما** برواية البلاذري في أنساب الأشراف، ط١، تحقيق: إحسان صدقي العمد، الكويت: مؤسسة الشراع العربي.
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (١٤١٢هـ) **فتوح البلدان**، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية.

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (١٤١٧هـ) كتاب **جُمَل من أنساب الأشراف**، ط١، ١٣مج، تحقيق وتقديم: سهيل زَكّار ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
* البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (١٣٧٧هـ) **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدّكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية.
* البيك، صدقي (١٤١٩هـ) **الشعر والشعراء في سيرة ابن هشام**، الحياة، ٢١ رجب.
* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (د.ت) **السنن الكبرى: وفي ذيله الجوهر النقي**، ط١، ١٠مج، بيروت: دار المعرفة.
* التغلبي، عمرو بن كُلثوم (١٤١٣هـ) **ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي**، من كنوز التراث – ٢، ط١، تحقيق: أيمن ميدان، جدة: النادي الأدبي الثقافي.
* ابن ثابت، حسان (١٤٠٣هـ) **ديوان حسَّان بن ثابت**، بيروت: دار بيروت.
* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٣٨٠هـ) **البيان والتبيين**، ط٢، ٤مج، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (د.ت) **الحيوان**، ط٢، ٨مج، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، القاهرة: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
* الجبوري، يَحْيَى وهيب (١٩٩٤م) **الخط والكتابة في الحضارة العربية**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
* جريس، غيثان علي (١٤١٣هـ) تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، ع٨: ٤١٢ – ٤٢٣.

* الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (١٤٠٢هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط٣، مجلدان، عناية: ج. برجستراسر، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن جعفر، قدامة (د.ت) **الخراج وصناعة الكتابة**، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيري، د.م: د.ن.

* ابن جُلجُل الأندلسي، أبو داود سليمان بن حَسّان (١٤٠٥هـ) **طبقات الأطباء والحكماء** ويليه تاريخ الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين، ط٢، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت: مؤسسة الرسالة.

* الجُمحي، محمد بن سلام (د.ت) **طبقات فحول الشعراء**، مجلدان، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني.

* ابن جندل، سلامة (١٣٨٧هـ) **ديوان سلامة بن جندل**، ط١، تحقيق: فخر الدين قَبَاوة، حلب: المكتبة العربية.

* ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان (د.ت) **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجَّار، ٣مج، بيروت: دار الكتاب العربي.

* الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عَبدوس (١٤٠١هـ) **كتاب الوزراء والكُتَّاب**، ط٢، تحقيق وفهرسة: مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

* الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (١٤١٠هـ) **المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ط١، تحقيق: د.ف. عبدالرحيم، دمشق: دار القلم.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (١٤١٢هـ) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٦مج، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

* الجوهري: إسماعيل بن حَمَّاد (١٩٩٠م) **الصِّحَاح**، ط٤، ٦مج، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.

* ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبدالرحمن (د.ت) **علل الحديث**، مجلدان، عناية: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة.

* ابن أبي حاتم الرَّازي، أبو محمد عبدالرحمن (د.ت)، **كتاب الجرح والتعديل**، ط١، ٩ مجلدات، بيروت: دار الكتب العلمية.

* الحارثي، فهد العرابي (١٤١٦هـ) **فصول في تآخي الأدبي والشرعي في الثقافة العربية**، ط١، د.م: د.ن.

* الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (١٤١١هـ) **المُسْتدرك على الصَّحيحين** مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء، ط١، ٤مج، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

* الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (د.ت) **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، ٥ مجلدات، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن الحجاج القشيري، أبو الحسن مسلم (د.ت) **صحيح مسلم**، ٥ مج، تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية: فيصل عيسى البابي الحلبي.

* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٤١٥هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، ٨مج، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوّض، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٤١٦هـ) **تقريب التهذيب**، ط١، تحقيق وتعليق وتوضيح وإضافة: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (د.ت) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ١٣مج، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج وإشراف: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة.

* ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (١٤٠٣هـ) **جمهرة أنساب العرب**، ط١، مراجعة وضبط: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية.

* حسن، حسن مصطفى (١٤١٥هـ) **نباتات في الشعر العربي**، ط١، الرياض: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود.

* حسين، عبدالمجيد محمد (١٤٠٥هـ) **تيسير الوصول إلى مواضع الحديث في كتب الأصول**: جداول لتيسير الاستفادة من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، ط٢، الكويت: دار الدعوة.

* حسين، محمد (د.ت) **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس**، د.م: مكتبة الآداب بالجماميز.

* حكمت، عبدالوهاب عَبَّاس (١٩٦٨م) **الكتاب في العصر الجاهلي**، الأقلام، س٥، ع٢.

* الحلوجي، عبدالستار (١٣٩٨هـ) **المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري**، الرياض: لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

* حمادة، ماهر (١٤٠٢هـ) **مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ**، الرياض: دار العلوم.

* حمادة، ماهر (١٤٠٦هـ) **المصادر العربية والمُعَرَّبة**، ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة.

* الحمد، غانم قَدّوري (١٤٠٢هـ) **رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية**، ط١،

بغداد: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري.

* الحمد، غانم قَدّوري (١٩٨٦م) **موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة: بحث لغوي**، المورد، مج١٥، ع٣: ص ٢٧- ٤٤.

* الحُمْصي، أحمد فايز (١٤١٣هـ) **تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي**، ط٢، ٣مج، بيروت: مؤسسة الرسالة.

* حمودة، محمود عباس (د.ت) **تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

* الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (١٩٩٥م) **معجم البلدان**، ط٢، ٧مج، بيروت: دار صادر.

* حميد الله، محمد (١٤٠٤هـ) **صنعة الكتابة في عهد الرسول ﷺ والصحابة**، تاريخ العرب والعالم، س٦، ع٦١.

* حميد الله، محمد (١٤٠٧هـ) **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ط٦، بيروت: دار النفائس.

* ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤٠٨هـ) **العلل ومعرفة الرجال**، ط١، ٣مج، تحقيق وتخريج: وصيُّ الله عَبَّاس، بيروت: المكتب الإسلامي.

* ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤١٦هـ) **المسند**، ط١، ٢٠مج، شرحه وصنَعَ فهارسه: أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين، القاهرة: دار الحديث.

* أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (١٤١٢هـ) **البحر المحيط في علم التفسير**، ١١مج، عناية: عرفان العشا حسونه، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

* ابن خُرْداذْبه، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (١٣٠٩هـ) **كتاب ا لمسالك والممالك**، لَيْدن: مطبعة بريل.

* خَطَّاب، محمود شيت (١٤١٧هـ) **سفراء النبي ﷺ**، ط١، مجلدان، جدة:

دار الأندلس الخضراء.

* الخطيب، محمد عجاج (١٤١٤هـ) **أصول الحديث: علومه ومصطلحه**، ط٦، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (١٩٧٤م) **تقييد العلم**، ط٢، تصدير وتحقيق وتعليق: يوسف العش، د.م: دار إحياء السنة النبوية.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (١٣٩٥هـ) **الرحلة في طلب الحديث**، ط١، تحقيق وتعليق: نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (١٤١٧هـ) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع**، ط١، تخريج وتعليق: أبي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية.

* الخطيب التَّبْريزي، أبو زكرياء يَحْيَى بن علي (١٤٠٠هـ) **شرح القصائد العشر**، ط٤، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.

* ابن الخَطيم، قيس (١٣٨١هـ) **ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السِّكِّيت وغيره**، كنوز الشعر - ٢، ط١، تحقيق وتعليق: ناصر الدين الأسد، القاهرة: مكتبة العروبة.

* الخفاجي، أحمد بن محمد (١٤١٨هـ)، **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، ط١، تقديم وتصحيح وتوثيق وشرح: محمد كشّاش، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٣٦٧هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، ط١، ٨مج، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

* الدّراقُطني، علي بن عمر بن أحمد (١٤٠٦هـ) **سنن الدَّارقُطني** وبذيله التعليق

المغني على الدَّارَقُطني لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٤، مجلدان، بيروت: عالم الكتب.

* الدَّارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (د.ت) **سنن الدَّارمي**، مجلدان، عناية: محمد أحمد دَهْمان، د.م: دار إحياء السنة النبوية.

* داغر، يوسف أسعد (١٩٤٩م) **الرقوق**، مجلة الكتاب، س٤، مج٨، ج٧: ص ١٩٠ - ١٩٦.

* الدَّالي، عبدالعزيز (١٤٠٠هـ) **الخطاطة: الكتابة العربية**، القاهرة: مكتبة الخانجي.

* الدَّاني: أبو عمرو عثمان بن سعيد (١٤٠٣هـ) **المقنع في معرفة مَرْسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النَّقْط**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دمشق: دار الفكر.

* الدجيلي، حسن (١٩٨١م) **الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر**، الفيصل، س٥، ع٥٦.

* ابن دُرُسْتَوَيْه، عبدالله بن جعفر (١٣٩٧هـ) **كتاب الكُتَّاب**، ط١، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي، الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية.

* الدِّينوري: أحمد بن داود (د. ت) **الأخبار الطِّوَال**، تراثنا، تحقيق: عبدالمنعم عامر ومراجعة: جمال الدين الشيال، بغداد: مكتبة المُثَنَّى.

* دَنُّون، يوسف (١٤٠٣هـ) **الخط العربي بعد ظهور الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري**، عالم الكتب، مج٣، ع٣.

* الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد (١٣٨٨هـ) **كتاب تذكرة الحفاظ**، ط٤، حَيْدر آباد الدَّكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (١٤٠٧هـ) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، ط٢، عهد الخلفاء الراشدين، السيرة النبوية،

المغازي، تحقيق: عمر عبدالسلام تَدْمري، بيروت: دار الكتاب العربي.

* الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (١٤٠٩هـ) **سير أعلام النبلاء**، ط٦، ٢٥مج، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة.
* الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (١٤١٣هـ) **الكاشف**، ط١، مجلدان، تقديم وتعليق: محمد عَوّامة، تخريج: أحمد محمد نمر الخطيب، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.
* الذهبي، محمد حسين (١٣٩٦هـ) **التفسير والمفسرون**، ط٢، القاهرة: دار الكتب الحديثة.
* الرَّازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (١٤١٦هـ) **مختار الصحاح**، ط٢، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد.
* الرَّامَهُرْمُزي: الحسن بن عبدالرحمن (١٤٠٤هـ) **المُحَدِّث الفاصل بن الرَّاوي والواعي**، ط٣، تحقيق: محمد عَجَاج الخطيب، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
* الرَّزَّاز الواسطي، أسلم بن سهل المعروف ببَحْشَل (١٤٠٦هـ) **تاريخ واسط**، ط١، تحقيق: كوركيس عَوّاد، بيروت: عالم الكتب.
* ابن رُسْتَه، أبو علي أحمد بن عُمَر (١٨٩٢هـ) **الأعْلاق النفسية** ويليه البلدان لليعقوبي، لَيْدن: مطبعة بريل.
* الزَّبيدي، مُحب الدين أبي فيض السيد محمد مُرتضي الحسيني الواسطي (١٤١٤هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس**، دراسة وتحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
* الزَّبيدي، محمد مُرْتَضي (١٤١١هـ) **حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق** وبذيله تتمة في نقد الآثار المرفوعة عن الخط والكتابة، ط١، عني بإخراجه: محمد

طلحة بلال، جدة: دار المدني.

* الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري (١٤٠٨هـ) **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، شرح وتحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، د.م: عالم الكتب.

* الزحيلي، وهبه (١٤٠٩هـ) **الفقه الإسلامي وأدلته**، ط٣، ٨مج، دمشق: دار الفكر.

* أبو زرعة النصري، عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان (د.ت) **تاريخ أبي زَرْعة الدمشقي**، مجلدان، دراسة وتحقيق: شكرالله بن نعمة الله القوَجاني، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.

* الزرقاني، محمد عبدالعظيم (د.ت) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مجلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

* الزِّرْكشي، بدر الدين محمد بن عبدالله (١٩٩٥م) **الأعلام**: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١١، ٨مج، بيروت: دار العلم للملايين.

* الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (د.ت) **الفائق في غريب الحديث**، ط٢، ٤مج، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

* الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر (١٩٨٥م) **أساس البلاغة**، ط٣، ٢مج، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* الزَّوْزَني، أبو عبدالله الحسين (١٩٧٩م) **شرح المعلَّقات السبع**، ط٣، بيروت: مكتبة المعارف.

* ابن زنجويه، حميد (١٤٠٦هـ) **كتاب الأموال**، ط١، ٣مج، تحقيق: شاكر ذيب فياض، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

* الزيَّات، حبيب (١٩٥٤م) **صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام**، المشرق، س٤٨، شباط.

* أبو زيد، بكر بن عبدالله (١٤١٢هـ) **معرفة النسخ والصحف الحديثية**، ط١، الرياض: دار الراية.

* الزَّيْلعي، أبو محمد عبدالله بن يوسف الحنفي (د.ت) **نصب الراية لأحاديث الهداية**، ط٢، ٤مج، كراتشي: المجلس العلمي.

* الساعاتي، يحيى محمود (١٤٠٨هـ) **الوقف وبُنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافي**، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

* السامرائي، قاسم (١٤٠٣هـ) **مقدمة في الوثائق الإسلامية**، ط١، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر.

* سبط ابن العَجَمي، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل (١٤١٤هـ) **تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مُخَضْرَم**، ط١، ضبط وتعليق: مشهور حسن سلمان، الرياض: دار الآثر للنشر والتوزيع.

* السِّجِسْتاني، أبو بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث (١٤١٥هـ) **كتاب المصاحف**، ط١، مجلدان، دراسة وتحقيق ونقد: محب الدين عبد السبحان واعظ، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

* ابن سُحْنون، محمد (١٣٩٢هـ) **كتاب آداب المعلمين**، تحقيقات حسن حسني عبدالوهاب - ١، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، تونس: دار الكتب الشرقية.

* السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (د.ت) **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي**، ٣مج، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

* السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (١٤١٥هـ) **رُجْحَان الكفَّة في بيان نبذة من**

أخبار أهل الصُّفَّة. يتلوها رسالة في أهل الصُّفَّة وأحوالهم لإسماعيل بن عبدالله الأسْكداري، ط١، تحقيق: أبي عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، وأبي حذيفة أحمد الشقيرات، الرياض: دار السلف.

* سزكين، فؤاد (١٤٠٣هـ) **تاريخ التراث العربي**، المجلد الأول، ٤ج، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عزة مصطفى وسعيد عبدالرحيم، الرياض: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
* ابن سعد الزهري، محمد (د.ت) **الطبقات الكبرى**، ٩مج، بيروت: دار صادر.
* ابن سعد الزهري، محمد (١٤١٦هـ) **الطبقات الكبرى: الطبقة الرابعة من الصحابة**، سلسلة الناقص من طبقات ابن سعد، القسم الثالث، ط١، مجلدان، دراسة وتحقيق: عبدالعزيز عبدالله السَّلومي، الطائف: مكتبة الصديق.
* السمرقندي، محمد بن محمود (١٩٨٦م) **كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار**، تحقيق: حاتم صالح الضَّامن، المورد، مج١٥، ع٢.
* السُّهَيْلي، عبدالرحمن (١٤١٠هـ) **الرَّوض الأنفُ في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، ٨مج، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
* ابن سيد الناس اليَعْمُري، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد (١٤١٣هـ) **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ط١، مجلدان، تحقيق وتخريج وتعليق: محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث.
* ابن سِيْدَه، علي بن إسماعيل (د.ت) **المخصص**، ٥مج، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
* السيوطي، جلال عبدالرحمن بن أبي بكر (١٣٩٩هـ) **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، ط٢، مجلدان، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، بيروت: دار الكتب العلمية.

* السيوطي، جلال الدين (١٤٠٧هـ) **الإتقان في علوم القرآن**، ٤مج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا: المكتبة العصرية.

* أبو شارب، مصطفى فتحي (١٤١٧هـ) **العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي**، ط١، الرياض: عالم الكتب.

* أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (١٣٩٥هـ) **كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، تحقيق: طيار آلتي قولاج، بيروت: دار صادر.

* الشايع، ندى عبدالرحمن (١٩٩١م) **معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر**، ط١، بيروت: مكتبة لبنان.

* ابن شَبَّة النميري، أبو زيد عمر (١٤١٠هـ) **تاريخ المدينة المنورة: أخبار المدينة النبوية**، ط١، ٤مج، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، بيروت: دار التراث.

* ابن الشَّجري، هبة الله بن علي (د. ت) **مختارات أشعار العرب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

* الشدياق، أحمد فارس (١٢٩٩هـ) **الجاسوس على القاموس**، القسطنطينية: مطبعة الجوائب.

* شُرَّاب، محمد محمد حسن (١٤١٠هـ) **تميم بن أوس الدّاري: راهب عصره، وعابد أهل فلسطين**، ط١، دمشق: دار القلم.

* شُرَّاب، محمد محمد حسن (١٤١٥هـ) **المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي: الرواية الصحيحة للتاريخ الحضاري السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي والعلمي للمدينة المنورة**، ط١، مجلدان، دمشق: دار القلم.

* الشريف، تؤدة محمد (١٤٠٨هـ) **أهل الصُّفَّة: دورهم الحزبي والسياسي والاجتماعي والديني في عهد النبوة وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين**، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة.

* ابن أبي شَيْبة، أبو بكر عبدالله بن محمد (١٤٠٣هـ) **المُصَنَّف في الآحاديث والآثار**، سلسلة مطبوعات الدار السلفية - ٢٣ / ١٤، ط١، تحقيق: مختار أحمد الندوي، بومباي: الدار السلفية.
* شيخو، لويس (١٩٦٧م) **شعراء النصرانية قبل الإسلام**، ط٣، بيروت: دار المشرق.
* الصابوني، محمد علي (١٤٠٢هـ) **صفوة التفاسير**، ط٣، ٣مج، بيروت: دار القرآن الكريم.
* الصَّايغ، عبدالرحمن يوسف (د.ت) **تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب**، تحقيق وتقديم وتعليق: هلال ناجي، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر.
* ابن الصَّلاح الشهر زوري، أبو عمر عثمان بن عبدالرحمن (١٤٠١هـ) **علوم الحديث**، تحقيق وتخريج وتعليق: نور الدين عر، د.م: المكتبة العلمية.
* ابن أبي الصَّلت، أميّة (د.ت) **شرح ديوان أمية بن أبي الصَّلْت**، من التراث العربي، تقديم وتعليق: سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
* الصَّنْعاني، أبو بكر عبدالرزَّاق بن هَمَّام (١٤٠٣هـ) **المُصَنَّف ومعه كتاب الجامع للإمام مَعْمَر ابن راشد الأزدي رواية الإمام عبدالرزاق الصنعاني**، من منشورات المجلس العلمي - ٣٩، ط٢، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، جوهانسبرغ: المجلس العلمي.
* الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله (د.ت) **أدبُ الكُتَّاب**، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية.
* الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (د.ت) **ديوان المُفَضليات** مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لابل، بغداد: مكتبة المثنى.

* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (١٤٠٥هـ) **المعجم الكبير**، إحياء التراث الإسلامي - ٣١، ط٢، تحقيق وتخريج: عبدالمجيد السلفي، الجمهورية العراقية: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د.ت) **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ط٢، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤١٥هـ) **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، ٦مج، بيروت: دار المكتبة العلمية.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د.ت) **تهذيب الآثار**، مجلدان، قراءة وتخريج: محمود محمد شاكر، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

* ابن طولون، محمد (١٤٠٣هـ) **إعلام السائلين عن كُتُب سَيّد المرسلين ﷺ**، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.

* الطيبي، محمد بن حسن (١٩٦٢م) **جامع محاسن كتابة الكُتَّاب**، نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد، بيروت: دار الكتاب الجديد.

* الظاهري، أبو تراب (١٤٠٤هـ) **أصحاب الصُّفَّة**، ط١، جدة: دار القبلة.

* العامري، لَبيد بن ربيعة (د.ت) **ديوان لَبيد بن ربيعة العامري**، بيروت: دار صادر.

* العَبَّاسي، أحمد بن عبدالحميد (د.ت) **كتابة عمدة الأخبار في مدينة المختار**، ط٥، تصحيح وضبط: محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر، د.م: أسعد درابزوني الحسيني.

* عبدالباقي، محمد فؤاد (١٤٠٧هـ) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث.

* ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (١٤١٢هـ) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ط١، ٤مج، بيروت: دار الجيل.
* ابن عبدالحكم القرشي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (١٤١٦هـ) **كتاب فتوح مصر وأخبارها**، ط١، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
* عبدالرحمن، عبدالجبار (١٩٨٩م) **كشاف الدوريات العربية**، سلسلة الكشافات - ١٠، ط١، ٤مج، د.م: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي.
* ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (١٤٠٧هـ) **العقد الفريد**، ط٣، ٧مج، تحقيق مفيد محمد قميحة وعبدالمجيد الترحيني، بيروت: دار الكتب العلمية.
* عبدالهادي، محمد فتحي (١٤١٦هـ) **الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات ١٩٨٦ - ١٩٩٠م**، السلسلة الثالثة - ١٢، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
* العزِّي، عبدالمنعم صالح العلي (١٤١٢هـ) **أقباس من مناقب أبي هريرة**، ط٣، دبي: دار المنطلق للنشر وتوزيع الكتب والقرطاسية.
* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (١٤١٥هـ) **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، ط١، ٧٠مج، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غَرامة العَمْروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
* العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق (١٤١٥هـ) **عون المعبود شرح سنن أبي داود مع تعليقات الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية**، ١٤مج، إشراف: صدقي محمد جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

* العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي (١٤١٥هـ) **تاريخ خليفة بن خياط**، ط١، مراجعة وضبط وتوثيق وفهرسة: مصطفى نجيب فَوّاز وحكمت كشلي فَوّاز، بيروت: دار الكتب العلمية.

* العليمي، أبو اليمن مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن (١٩٧٣م) **الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مجلدان، عمَّان: مكتبة المحتسب.

* العُمَري، أكرم ضياء (١٩٧٢م) **أول دستور أعلنه الإسلام**، مجلة كلية الإمام الأعظم، ع١، ص ٣٥ - ٦٦.

* العُمَري، أكرم ضياء (١٩٩٤م) **السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، ط٦، مجلدان، المدينة المنورة: مكتبة العلوم و الحكم.

* عواد، كوركيس (١٩٤٦م) **الثقافة العربية الخطية**، المعلم الجديد، مج١٠، ع١٠.

* عيسى، أحمد (١٤٠١هـ) **معجم أسماء النبات**، ط٢، بيروت: دار الرائد العربي.

* العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (د.ت) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار إحياء التراث.

* العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (١٤١٤هـ) **كشف القناع المُرْني عن مُهمَّات الأسماء والكُنى**، ط١، تحقيق: أحمد محمد نمر الخطيب، جدة: مركز النشر العلمي ـ جامعة الملك عبدالعزيز.

* أبو غدة، عبدالفتاح (١٤١٨هـ) **صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل**، ط٣، بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية.

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد (د.ت) **الصاحبي**، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة: (د. ن).

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد (د.ت) **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، د.م: دار الفكر.

* الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس (١٤٠٧هـ) **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، ط١، ٣مج، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة.

* فايدة، مصطفى (١٤١٨هـ) **تأسيس عمر بن الخطاب ﷺ للديوان**، ط١، ترجمة: مسعد بن سويلم الشامان، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

* الفخر الرَّازي، محمد الرَّازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر (د.ت) **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ١٦مج، د.م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

* ابن فضل الله العُمَري، أحمد بن يَحْيَى (١٣٤٢هـ) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة: دار الكتب المصرية.

* قاشا، سهيل (١٩٧٨م) **الحبر وأدوات الكتابة في التراث العربي**، التراث الشعبي، س٩، ع٥.

* ابن قتيبة الدِّيَنوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (د.ت) **رسالة الخط والقلم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة.

* ابن قتيبة الدِّيَنوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (د.ت) **عُيُون الأخبار**، مجلدان، بيروت: دار الكتب العلمية.

* ابن قتيبة الدِّيَنوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (د.ت) **المعارف**، ذخائر العرب - ٤٤، ط٤، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف.

* ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبو محمد عبدالله ابن أحمد بن محمد (١٤٠٨هـ) **التبيين في أنساب القرشيين**، ط٢، تحقيق وتعليق: محمد نايف

الدليمي، بيروت: عالم الكتب.

* القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (١٤٠٦هـ) **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، ط١، مجلدان، تحقيق وتعليق: محمد علي الهاشمي، دمشق: دار القلم.

* القَرْماني، أحمد بن يوسف (١٤١٢هـ) **أخبار الدول وآثارُ الأُوَل في التاريخ**، ط١، ٣مج، دراسة وتحقيق: فهمي سعد وأحمد حطيط، د.م: عالم الكتب.

* القَسْطَلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٣٩٢هـ) **لطائف الإشارات لعيون القراءات**، تحقيق: عامر السيد عثمان، عبدالصبور شاهين، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي.

* القُشَيريّ، النيسابوري، أبو الحسين مُسْلم بن الحجاج (د.ت) **صحيح مسلم**، ٥مج، تحقيق وتصحيح وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

* قطب، سيد (١٣٩٧هـ) **في ظلال القرآن**، ط٤، ٦مج، بيروت: دار المشرق.

* القلقشندي: أحمد بن علي (د.ت) **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، ٣مج، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، بيروت: عالم الكتب.

* القلقشندي: أحمد بن علي (١٤٠٧هـ) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ط١، ٢٤مج، شرح وتعليق ومقابلة: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الفكر.

* ابن القيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (د.ت) **هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى**، مراجعة وتعليق: سيف الدين الكاتب، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

* الكاساني، أبو بكر بن السعود (١٤٠٢هـ) **كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي.

* الكاندهلوي، محمد يوسف (١٤٠١هـ) **حياة الصحابة**، ط٢، ٤مج، بيروت: دار الفكر.

* الكتاني، عبدالحيّ (د.ت) **نظام الحكومة النبوية المسمَّى التراتيب الإدارية**، مجلدان، بيروت: دار الكتاب العربي.

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (د.ت) **فضائل القرآن**، بيروت: دار الأندلس.

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤٠٧هـ) **فضائل القرآن**، بيروت: دار المعرفة.

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤١٦هـ) **كتاب فضائل القرآن**، ط١، تحقيق وتخريج: أبي إسحاق الحويني الأثري، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

* ابن كثير، إسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفداء (١٤٠٦هـ) **تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب**، ط١، دراسة وتحقيق: عبدالغني بن حميد ابن محمود الكُبَيْسيّ، مكة المكرمة: دار حراء للنشر والتوزيع.

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (د.ت) **تفسير القرآن العظيم**، تصحيح: خليل الميس، بيروت: دار القلم.

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (١٤٠٥هـ) **تفسير القرآن العظيم**، ٤مج، بيروت: عالم الكتب.

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (١٤١٧هـ) **البداية والنهاية**، ط٢، ٧مج، اعتناء وتوثيق: عبدالرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، بيروت: دار المعرفة.

* الكردي، محمد طاهر بن عبدالقادر (١٣٦٥هـ) **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه**، جدة: مصطفى محمد يغمور.

* الكردي، محمد طاهر بن عبدالقادر (١٤٠٢هـ) **تاريخ الخط العربي وآدابه: كتاب تاريخي اجتماعي أدبي مُزين بالصور الخطية والرسوم الفوتوغرافية**، ط٢، (د.م): (د.ن).

* الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (١٤٠٧هـ) **تاريخ ولاة مصْر ويليه كتاب تسمية قُضَاتها**، ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

* ابن ماجه القزويني، أبو عبدالله محمد بن يزيد (د.ت) **سُنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني**، مجلدان، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الكتب العلمية.

* الماوَردي، علي بن محمد البصري (د.ت) **أدبُ الدنيا والدين**، تحقيق وتعليق: مصطفى السَّقا، بيروت: المكتبة الثقافية.

* المباركفوري، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم (١٤١٥هـ) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ومعه شفاء الغلل في شرح كتاب العلل والشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل العطار، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

* محمدين، محمد محمود (١٤١٠هـ) الزراعة والري في الحجاز في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، في: الأنصاري، عبدالرحمن الطيب (محرر) **الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين**، دراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الثالث، الرياض: جامعة الملك سعود.

* ابن المدير، إبراهيم (١٣٥٠هـ) **الرسالة العذراء**، ط٢، شرح وتصحيح: زكي مبارك، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

* المديني، علي بن عبدالله (١٤٠٠هـ) **علل الحديث ومعرفة الرجال**، ط١، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، حلب، دار الوعي.

* مرزوق، عبدالصبور (١٤١٥هـ) **معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم**،

ط١، ٣مج، بيروت: دار الشروق.

* مرعيد، حميد (١٩٨٠م) **تعريب الدواوين**، الأستاذ، مج١، ع٣، ص ٧٥ - ١٠١.

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (١٤٠٦هـ) **مروج الذهب ومعادنُ الجوهر**، شرح وتقديم: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العصرية.

* المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي (١٩٨١م) **التنبيه والإشراف**، في سبيل موسوعة تاريخية - ١، بيروت: دار مكتبة الهلال.

* المقدسي، مطهر بن طاهر (د.ت) **البدء والتاريخ**، روائع التراث العربي، بيروت: مكتبة خياط.

* المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (د.ت) **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، مجلدان، بيروت: دار صادر.

* المناوي، عبدالرزاق (د.ت) **العجالة السنية على ألْفية السيرة النبوية**، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، الرياض: دار الإفتاء.

* منتصر، عبدالحليم (١٩٧٥م) **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه**، ط٦، القاهرة: دار المعارف.

* المنجد، صلاح الدين (د.ت) **معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ**، القاهرة: دار القاضي عياض.

* المنجد، صلاح الدين (١٩٧٢م) **دراسات في تاريخ الخط العربي منذُ بدايته إلى نهاية العصر الأموي**، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد.

* ابن منده الإصبهاني، أبو عبدالله محمد بن إسحاق (١٤١٧هـ) **فتح الباب في الكُنّى والألقاب**، ط١، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفَاريابي، الرياض: مكتبة الكوثر.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري

(١٤١٤هـ) **لسان العرب**، ط٣، ١٥مج، بيروت: دار صادر.

* نامي، خليل يحيى (١٩٣٥م) **أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام**، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، مج٣، ج١: ص ١ – ١١٢.
* ابن النجَّار البغدادي، أبو عبدالله محمد بن محمود (١٤١٧هـ) **الدُّرَّة الثمينة في أخبار المدينة**، سلسلة كتب تاريخ المدينة المنورة – ١، ط١، قابله واعتنى به، حسين محمد علي شكري، د.م: دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع.
* النَّسَائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي (د.ت) **سنن النَّسَائي** بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ط٣، ٥مج، عناية وترقيم وفهرسة: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
* النَّسفي، أبو حفص عمر بن محمد النَّسفي (١٤١٨هـ) **طُلْبة الطَّلَبة في الإصطلاحات الفقهية**، ط١، تعليق: أبي عبدالله محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية.
* النووي، يحيى بن شرف بن مري (١٤١٥هـ) **صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المُسمَّى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، ١٠مج، تحقيق وتخريج وترقيم: خليل مأمون شيحَا، بيروت: دار المعرفة.
* هارون، عبدالسلام (١٤٠٦هـ) **تهذيب سيرة ابن هشام**، ط١٤، بيروت: مؤسسة الرسالة.
* الهاشمي، محمد علي (١٣٨٧هـ) **عَدي بن زيد العبادي: الشاعر المبتكر**، ط١، حلب: المكتبة العربية.
* الهاشمي، محمد علي (١٤٠٠هـ) **طرفة بن العبد: حياته وشعره**، ط١، د.م: د.ن.
* الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم (١٤١٥هـ) **كتاب فضائل القرآن**، ط١، تحقيق وشرح وتعليق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، دمشق: دار ابن كثير.

* الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (١٣٨٨هـ) **كتاب الأموال**، ط١، تحقيق: محمد خليل هراس، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
* ابن هشام، عبدالملك (١٣٧٥هـ) **السيرة النبوية**، ط٢، مجلدان، تحقيق وضبط وشرح وفهرسة: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، القاهرة: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
* الهيثمي، نور الدين (١٤١٣هـ) **كتاب مجمع البحرين بزوائد المعجمين: المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني**، ط١، ٧مج، تحقيق ودراسة: عبدالقدوس محمد نذير، الرياض: مكتبة الرشد.
* الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (١٤٠٢هـ) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر**، ط٣، ٥مج، بيروت: دار الكتاب.
* هيكل، محمد حسين (١٣٧٧هـ) **الصِّديق أبو بكر**، ط٤، د.م: د.ن.
* الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (د.ت) **أسباب النزول**، تحقيق: أيمن صالح شعبان، القاهرة: دار الحديث.
* الوزير اليماني، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (١٤٠٣هـ) **الروض الباسم في الذبِّ عن سُنَّة أبي القاسم**، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
* الوُشْتاني الأبي، محمد بن خليفة (١٤١٥هـ) **صحيح مسلم مع شرحه المُسمَّى إكْمَال المُعَلم** وشرحه المسمى مُكَمّل الإكمال للإمام محمد بن محمد بن يوسف السَّنوسي الحَسَني، ط١، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، بيروت: دار الكتب العلمية.
* الوكيل، محمد السيد (١٤٠٩هـ) **الحركة العلمية في عصر الرسول ﷺ وخلفائه**، موسوعة المدينة المنورة التاريخية ـ ٣، ط٢، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع.

* ونسنك، آرنت يان (١٩٣٦م - ٦٩م) **المُعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، ٨مج، لَيْدن: مكتبة ومطبعة بريل.

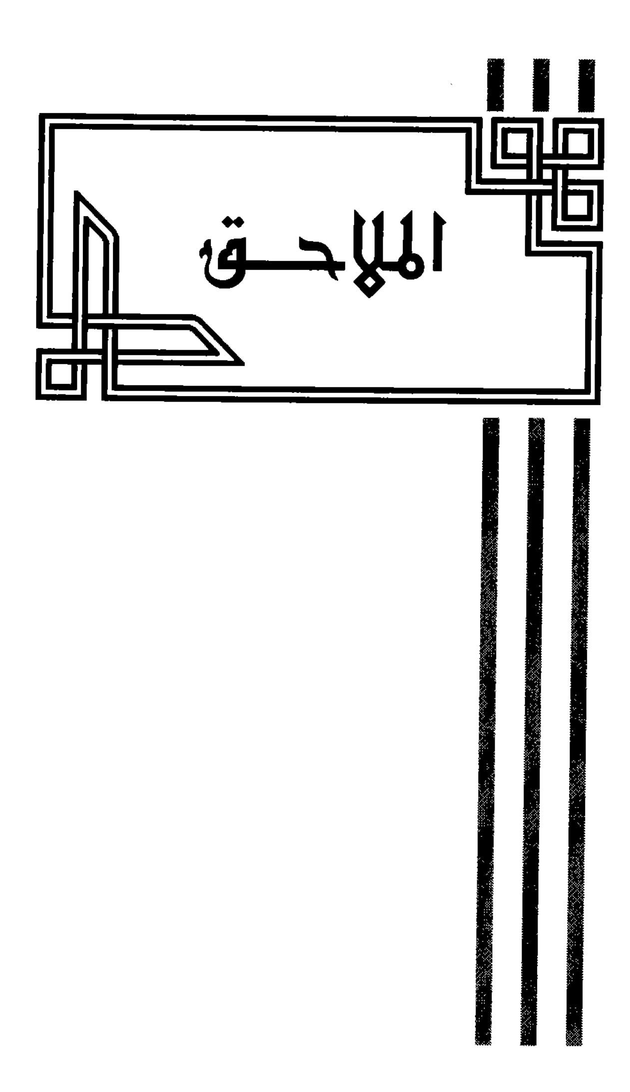
* اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (د.ت) **تاريخ اليعقوبي**، مجلدان، بيروت: دار صادر.

* أبو يعلى الموصلي التميمي، أحمد بن علي بن المُثنى (١٤٠٤هـ) **مسند أبي يعلى المَوْصلي**، ط١، ١٣ مجلد، تحقيق وتخريج: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون.

* ابن يعمر، لقيط (١٣٩١هـ) **ديوان لقيط بن يعمر**، تحقيق وتقديم: عبدالمعيد خان، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المراجع الأجنبية:

* De Sacy, Silvester. (1827) New Facts concernring The History of writing Amongest The Arabs of The Hedjaz, Asiatic Journal and Monthly Register. VoL. XXIV: 176- 184.
* Jamil, Muhmmad Faris. (1985) Islamicwiraqah “Staionery” During The Early niddly Ages, Ph. D. Thesis, University of Michigan.
* Miles, G. C. (1948) Early Islamic Inscriptions near Ta’if in the Hidjaz, Jnes, Vii: 236 - 242.
* Hawary, Hassan Nohammed. (1930) The most Ancient Islamic monument Known, Dated A. H. 31 (A.D. 652) From the time of the third Calif Uthman, JRAS: 321- 330.



الملاحق

ملحق رقم (١)
قائمة بأسماء « أهل الصفة » رضي الله عنهم أجمعين

تسلسل	اسم الصحابي « من أهل الصُّفَّة » رضي الله عنهم أجمعين	أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ)	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)	رجحان الكفة للسخاوي (ت٩٠٢هـ)	السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (معاصر)	أصحاب الصفة لأبي تراب الظاهري (معاصر)	أهل الصفة لبؤدة الشريف (معاصر)
١	أسْماء بن حارثة الأسلمي	-	١/٣٤٨	١٤٨	١/٢٦١	١٩	١٢٠
٢	الأصم (١) البكّائي	-	-	-	-	-	١٢١
٣	الأغَر المزني	-	١/٣٤٩	١٤٨	١/٢٦٢	١٩	١٢٢
٤	البراء بن مالك الأنصاري	-	١/٣٥٠	١٥٣	١/٢٦٢	٢٠	١٢٢
٥	بَشير بن عبد المنذر (أبو لبابة)	-	١/٣٦٦	١٩٨	١/٢٦١	٤٥	١٢٤
٦	بَشير بن مَعْبَد بن شراحيل (ابن الخَصَاصيَّة)	-	٢/٢٦	١٥٤	-	٩٣	١٢٤
٧	بلال بن رَباح	-	١/٣٤٩	١٥٦	١/٢٦٢	٢	١٢٧
٨	أبو ثعلبة الخُشْني	-	٢/٢٩	٣٠٦	-	٩٧	١٢٩
٩	ثقيف بن عمرو بن شميط الأسدي	-	١/٣٥٢	١٥٩	١/٢٦٢	٢٤	١٣٠
١٠	ثَوْبان مولى رسول الله ﷺ	-	١/٣٥٠	١٥٩	١/٢٦٢	٢٢	١٣١
١١	جارية بن حُميل بن نَشْبَة بن قرط	-	١/٣٥٤	١٦١	١/٢٦١	٢٧	١٣٢
١٢	جَرْهَد بن خُوَيْلد وقيل: ابن رَزَاح الأسلمي	١/٣٢١	١/٣٥٣	١٦١	١/٢٦١	٢٥	١٣٢
١٣	جُعَيْل(٢) بن سُراقه الضَّمْري	-	١/٣٥٣	١٦٣	١/٢٦١	٢٧	١٣٣
١٤	جُنْدُب بن جُنَادة (أبو ذر الغفاري)	١/٣٢٠	١/٣٥٢	١٦٥	١/٢٦٠	٢٤	١٣٥
١٥	جُنْدَرَة بن خَيْشَنَة (أبو قِرْصافة)	١/٣٢٠	-	-	-	-	١٣٧
١٦	حارثة بن النعمان الأنصاري	-	١/٣٥٦	١٦٧	١/٢٦١	٣٢	١٣٨
١٧	حازم بن حَرْملة الأنصاري	-	١/٣٥٦	١٦٩	١/٢٦١	٣٣	١٤٠
١٨	حُذيفة بن أَسيد (أبو سَريحة الغفاري)	-	١/٣٥٥	١٧٣	١/٢٦١	٢٩	١٤٠
١٩	حُذيفة بن اليَمان	-	١/٣٥٤	١٧٥	١/٢٦١	٢٨	١٤١
٢٠	حَرْمَلة بن إياس (٣)	-	١/٣٥٨	١٧٧	١/٢٦٢	٣٥	١٤٤
٢١	الحكَم بن عُمَيْر الثّمالي	-	١/٣٥٨	١٧٨	١/٢٦٢	٣٤	١٤٥
٢٢	حنظلة بن أبي عامر الأنصاري	-	١/٣٥٧	١٨٠	١/٢٦١	٣٣	١٤٦
٢٣	خبَّاب بن الأرَتّ	-	١/٣٥٩	١٨٥	١/٢٦٢	٣٦	١٤٨

تابع ملحق رقم (١)
قائمة بأسماء «أهل الصفّة» رضي الله عنهم أجمعين

تسلسل	اسم الصحابي «من أهل الصفّة» رضي الله عنهم أجمعين	أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ)	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)	رجحان الكفّة للسخاوي (ت٩٠٢هـ)	السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (معاصر)	أصحاب الصفّة لأبي تراب الظاهري (معاصر)	أهل الصفّة لنوذة الشريف (معاصر)
٢٤	خُبَيْب بن يَسَاف بن عِنْبة (أبو عبد الرحمن)	-	٣٦٤/١	١٨٨	٢٦١/١	٤٣	١٥٠
٢٥	خُرَيْم بن أوس الطائي	-	٣٦٣/١	١٩٠	٢٦١/١	٤٢	١٥١
٢٦	خُرَيْم بن فاتك الأسْدي	-	٣٦٣/١	١٩١	٢٦١/١	٤١	١٥٢
٢٧	خُنَيْس بن حُذَافة السَّهْمي	-	٣٦٠/١	١٩٣	٢٦١/١	٣٨	١٥٢
٢٨	ربيعة بن كعب الأسلمي	٣٢١/١	٣١/٢	١٩٧	-	٩٩	١٥٣
٢٩	زيد بن الخطاب	-	٣٦٧/١	١٩٩	٢٦٢/١	٤٧	١٥٤
٣٠	سالم بن عبيد الأشجعي	-	٣٧١/١	٢٠١	٢٦٢/١	٤٧	١٥٥
٣١	سالم بن عُمَيْر	-	٣٧١/١	٣٠٢	٢٦٢/١	٥٣	١٥٦
٣٢	سالم مولى أبي حُذَيفة	-	٣٧٠/١	٢٠٤	٢٦٢/١	٥٣	١٥٦
٣٣	السائب بن خَلاَّد	-	٣٧٢/١	٢٠٥	٢٦٢/١	٥٤	١٥٥
٣٤	سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري)	-	٣٦٩/١	٢٠٦	٢٦٣/١	٥١	١٦٦
٣٥	سعد بن أبي وقاص	-	٣٦٨/١	٢٠٩	٢٦٣/١	٤٩	١٥٩
٣٦	سعيد بن عامر بن حذْيَم الجُمَحي	-	٣٦٨/١	٢١٢	٢٦١/١	٥٠	١٦٤
٣٧	سَفِينة (أبو عبد الرحمن) مولى رسول الله ﷺ	-	٣٦٨/١	٢١٢	٢٦٢/١	٥٠	١٦٧
٣٨	سلمان الفارسي (أبو عبد الله)	-	٣٦٧/١	٢١٥	٢٦١/١	٤٨	١٦٩
٣٩	سليم (أبو كبشة) مولى رسول الله ﷺ	-	٢٠/٢	٣١٤	-	٨٤	١٧٥
٤٠	شَدَّاد بن أسيد	-	٣٧٢/١	٢١٦	٢٦٢/١	٥٥	١٧٥
٤١	شُقْران مولى رسول الله ﷺ	-	٣٧٢/١	٢١٧	٢٦٢/١	٥٥	١٧٦
٤٢	شَمْعون (أبو رَيْحانة) الأزْدي	-	٢٨/٢	٣١٢	-	٩٥	١٧٧
٤٣	صَفْوان بن بَيْضاء	-	٣٧٣/١	٢٢١	٢٦٢/١	٥٦	١٧٨
٤٤	صُهَيْب بن سِنَان	-	٣٧٣/١	٢٢١	٢٦٢/١	٥٦	١٧٩
٤٥	طخْفَة بن قيس الغفاري (٤)	-	٣٧٣/١	٢٢٢	-	٥٧	١٨٤
٤٦	الطُّفَاوي الدَّوسي	-	٣٧٥/١	٣١٧	٢٦٢/١	٥٩	١٨٥

تابع ملحق رقم (١)
قائمة بأسماء « أهل الصفة » رضي الله عنهم أجمعين

تسلسل	اسم الصحابي « من أهل الصفّة » رضي الله عنهم أجمعين	أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ)	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)	رجحان الكفّة للسخاوي (ت٩٠٢هـ)	السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري(معاصر)	أصحاب الصفّة لأبي تراب الظاهري (معاصر)	أهل الصفّة لنوّرة الشريف (معاصر)
٤٧	طَلْحة بن عمرو البصري أو النَّصْري	١/ ٣٢٠	٣٧٤/١	٢٢٥	٢٦٢/١	٥٨	١٨٥
٤٨	عامر بن عبد الله (أبو عبيدة بن الجراح)	-	١٠/٢	٢٢٧	-	٧١	١٨٦
٤٩	عبَّاد بن خالد الغفاري	٣٢١/١	٩/٢	٢٢٨	٢٦٣/١	٧٠	١٨٩
٥٠	عُبادة بن قُرْص وقيل : قُرْط	-	١٦/٢	٢٢٧	-	٨٠	١٩٠
٥١	عبد الرحمن بن جَبْر بن عمرو(أبو عَبْس الأنصاري)	-	٨/٢	٢٤٤	-	٦٨	١٩١
٥٢	عبد الرحمن بن صَخْر (أبو هريرة الدوسي)	١/ ٣٢٠	٣٧٦/١	٢٤٥	١/ ٢٦٠	-	١٩٢
٥٣	عبد الرحمن بن قُرْط	-	٧/٢	٢٦٥	٢٦٣/١	٦٧	١٩٦
٥٤	عبد الله بن أُنَيس الجُهَني	-	٥/٢	٢٣٠	-	٦٥	١٩٦
٥٥	عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيْدي	-	٦/٢	٢٣٤	-	٦٦	١٩٨
٥٦	عبد الله بن حُبْشي الخَثْعَمي	-	١٤/٢	٢٣٥	-	٧٨	١٩٩
٥٧	عبد الله بن حَوَالة الأزْدي	-	٣/٢	٢٣٦	-	٦٢	١٩٩
٥٨	عبد الله بن زيد الجهني(٥)	-	٦/٢	٢٣٣	-	٦٤	٢٠٠
٥٩	عبد الله بن عبد الأسد المخزومي	-	٣/٢	٢٣٧	-	٦١	٢٠١
٦٠	عبد الله بن عبدنهم (ذو البجادَين)	-	١٢١/١	١٩٥	٢٦١/١	٤٤	٢٠٢
٦١	عبد الله بن عمر بن الخطّاب	-	٧/٢	٢٤٠	-	٦٧	٢٠٤
٦٢	عبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصاري	-	٤/٢	٢٣٩	-	٦٣	٢٠٧
٦٣	عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري)	-	-	٣٢٢*	-	-	-
٦٤	عبد الله بن مسعود	-	٣٧٥/١	٢٤٢	٢٦٢	٦٠	٢٠٨
٦٥	عبد الله بن أُمّ مكتوم	-	٤/٢	٢٢٩	-	٦٣	٢٢٦
٦٦	عُبَيْد مولى رسول الله ﷺ	-	١٢/٢	٢٦٦	-	٧٣	٢١١
٦٧	عُتْبة بن عبد السُّلَمي	-	١٥/٢	٢٦٧	-	٧٨	٢١٢
٦٨	عُتْبة بن غَزوان	-	٨/٢	٢٦٨	-	-	٢١٣
٦٩	عُتبة بن مسعود	-	-	٣٢٢*			٢١٧

تابع ملحق رقم (١)
قائمة بأسماء « أهل الصفّة » رضي الله عنهم أجمعين

تسلسل	اسم الصحابي « من أهل الصُّفَّة » رضي الله عنهم أجمعين	أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ)	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)	رجحان الكفّة للسخاوي (ت ٩٠٢هـ)	السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (معاصر)	أصحاب الصُّفّة لأبي تراب الظاهري (معاصر)	أهل الصفّة لنوّرة الشريف (معاصر)
٧٠	عُتْبَة بن النُدَّر السُّلَمي	-	٢/١٥	٢٦٩	-	٧٩	٢١٥
٧١	عثمان بن مَظْعون	-	٢/٨	٢٦٩	-	-	٢١٦
٧٢	العرْباض بن سارية السُّلَمي	-	٢/١٣	٢٧٠	١/٢٦٣	٧٧	٢١٧
٧٣	أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ	-	٢/٢٧	٣١٢	-	٩٢	٢١٨
٧٤	عقبة بن عامر الجهني	-	٢/٨	٢٧٣	-	٦٩	٢١٩
٧٥	عُكَاشة بن محصَن الأسدي	-	٢/١٢	٢٧٧	-	٧٥	٢٢١
٧٦	عَمَّار بن ياسر	-	٢/٨	٢٧٨	-	-	٢٢٢
٧٧	عَمْرو بن تَغْلب	-	٢/١١	٢٧٨	-	٧٢	٢٢٩
٧٨	عَمْرو بن عَبَسة السُّلمي	-	٢/١٥	٢٧٩	-	٧٩	٢٣٠
٧٩	عمرو بن عوف المُزَني	-	٢/١٠	٢٨٠	-	٧١	٢٣٢
٨٠	عُوَيمر بن زيد (أبو الدرداء)	-	٢/١١	٢٨٢	-	٧٥	٢٣٥
٨١	عُوَيم بن ساعدة الأنصاري	-	٢/١١	٢٨٤	-	٧٤	٢٣٣
٨٢	عياض بن حمار المُجاشعي	-	٢/١٦	٢٨٥	-	٨٠	٢٣٧
٨٣	غرفة الأزدي	-	-	٣٢١*	١/٢٦٣	-	٢٣٩
٨٤	فُرات بن حَيَّان العجْلي	-	٢/١٧	٢٨٧	-	٨١	٢٣٩
٨٥	أبو فراس الأسْلمي	-	٢/١٨	٣١٣	-	٨٢	٢٤٢
٨٦	فَضَالة بن عُبَيْد الأنصاري	-	٢/١٧	٢٨٨	-	٨١	٢٤٢
٨٧	أبو فُكَيْهَة مولى صفوان بن أمية	-	٢/٢٤	٣٠٥	-	٩٢	٢٤٣
٨٨	قُرَّة بن إياس المدنيّ	-	٢/١٨	٢٨٩	-	٨٣	٢٤٤
٨٩	كعب بن عمرو (أبو اليُسر الأنصاري)	-	٢/١٩	٢٩٠	-	٨٤	٢٤٦
٩٠	كعب بن مالك	-	-	٣٢١*	١/٢٦٠	-	٢٤٧
٩١	كنَّار بن الحُصَين (أبو مَرْثَد الغَنَوي)	-	٢/١٩	٢٩١	-	٨٣	٢٤٩
٩٢	لقيط بن عامر (أبو رَزين)	-	١/٣٦٦	٣١٠	١/٢٦٢	٤٦	٢٥٠

تابع ملحق رقم (١)
قائمة بأسماء « أهل الصفَّة » رضي الله عنهم أجمعين

تسلسل	اسم الصحابي « من أهل الصفَّة » رضي الله عنهم أجمعين	أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ)	حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)	رجحان الكفَّة للسخاوي (ت٩٠٢هـ)	السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (معاصر)	أصحاب الصفَّة لأبي تراب الظاهري (معاصر)	أهل الصفَّة لتوْدة الشريف (معاصر)
٩٣	مسعود بن الربيع القاري	-	٢/ ٢١	٢٩٣	-	٨٦	٢٥٣
٩٤	مسْطح بن أُثاثة (أبو عباد)	-	٢/ ٢٠	٢٩٢	-	٨٦	٢٥٢
٩٥	مُصْعَب بن عُمَير	-	٢/ ٢٠	٢٩٣	-	٨٥	٢٥٤
٩٦	معاذ بن الحارث (أبو حليمة القارئ)	-	٢/ ٢١	٢٩٤	-	٨٧	٢٥١
٩٧	معاوية بن الحكم السُّلَمي	-	-	٢٩٤	-	١٠١	٢٥٦
٩٨	المقْداد بن الأسود	-	٢/ ٢٠	٢٩٥	-	٨٥	٢٥٧
٩٩	أبو مُوَيْهبَة مولى رسول الله ﷺ	-	٢/ ٢٧	٣١٥	-	٩٤	٢٦٠
١٠٠	نُبَيط بن شَرِيط	١/ ٣٢٠	-	-	-	-	٢٦١
١٠١	نَضْلَة بن عُبَيْد (أبو بَرْزَة الأسْلَمي)	-	٢/ ٣٢	٢٩٦	-	١٠٠	٢٦٢
١٠٢	هلال مَوْلى المغيرة بن شعبة	-	٢/ ٢٤	٢٩٨	-	٩١	٢٦٤
١٠٣	هند بن حارثة الأسلمي	-	-	٣٢١*	-	-	٢٦٣
١٠٤	وابصة بن معبد الجهني	-	٢/ ٢٣	٢٩٨	-	٩٠	٢٦٤
١٠٥	واثلة بن الأسقع	١/ ٣٢٠	٢/ ٢١	٣٠٠	١/ ٢٦٠	٨٧	٢٦٥

١) كان اسمه عبد عمرو ثم سَمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، وقد ذكره ابن سعد أنه من أصحاب الصُّفَّة . (الطبقات الكبرى ، جـ١ ، ص ٣٠٥) .

٢) وقيل : جُعَال .

٣) وقيل : هو حرملة بن عبد الله العنبري .

٤) ذكرت المصادر أنّه اختلف في اسمه اختلافًا كثيراً واضطرب فيه اضطرابًا عظيمًا . فقيل: طهْفة أو طغْفة وقيل : قيس بن طخْفة .(انظر : ابن الأثير الجزري، أُسد الغابة، جـ٣، ص ٩٧ ، ٩٨، جـ٤ ، ص ٤١٠ ؛ ابن حجر في تمييز الصحابة ،جـ٣، ص ٤٤٢، جـ٥ ، ص ٣٦٦ ؛ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ٣ ، ص ١٠ ، جـ٤، ص ٥٤٥ ؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي ، كتاب الأدب ، باب ماجاء في كراهية الاضطجاع على البطن ، جـ٨ ، ص ٤٣ ، ٤٤ ؛ العظيم آبادي ، عون المعبود ، أبواب النوم ، باب ماجاء في الرجل ينبطح على بطنه ، جـ١٣ ، ص ٣١١) .

٥) وقيل : عبد الله بن بدر . وتحت ترجمة هذين الإسمين لم يذكر ابن الأثير الجزري وابن حجر العسقلاني أنه من أهل الصُّفَّة. (انظر : أُسْد الغابة ، جـ٣ ، ص١٨٣ ، ٢٤٩، ٢٥٠؛ الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ٤ ، ص ١٧ ، ١٨ ، جـ٥ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦) .

* هذه الأسماء لم ترد في كتاب « رُجْحَان الكفَّة » للإمام السَّخَاوي وإنما أوردها مُحَقِّقًا هذا الكتاب في ذَيْل مُلْحَق بهذا الكتاب بعنوان « ذيل فيه استدراك على المصنف في ذكر أُناس من أهل الصُّفَّة » . ورغم أنَّ المصادر القديمة المذكورة في هذا الجدول لم تذكر هذه الأسماء الخمسة في أهل الصفة إلا أن بعض المصادر الأخرى ذكرتهم ، وهي على النحو التالي :

- عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) : في كتاب « الأموال » للداودي (ت٤٠٢هـ) ، ص ٩٤ ، ٩٥ . (انظر : رجحان الكفة ، ص ٣٢٢) .

- عتبة بن مسعود : في كتاب « كشف المحجوب » للهجويري ، ص٢٨٦. (انظر : رُجْحان الكفة ، ص ٣٢٢) .

- غرفة الأَزْدي : ذكر ابن حجر (ت٨٥٢هـ) رحمه الله في كتابه : « الإصابة في تمييز

الصحابة » (جـ٥ ، ص ٢٤٥) نقلاً عن ابن السَّكَن أنه من أهل الصُّفَّة .

- كعب بن مالـك الأنصاري : ذكره ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) رحمـه الله في « الجرح والتعديل » (جـ٧ ، ص ١٦٠) أنه « كان من أهل الصُّفَّة ».

- هند بن حارثة الأسلمي : ذكـره في أهل الصفة كل من ابن عبد البـر (٤٦٣هـ) رحمه الله في « الاسـتـيعـاب في مـعرفـة الأصـحاب » (جـ٤ ، ص٥٤٤) ، وابـن الأثير الجـزري (ت٦٣٠هـ) رحمه الله في « أُسْد الغابة » (جـ٥ ،ص٣٨٩) مع أخـيه أسماء بن حارثة المذكور في رأس هذه القائمة .

ملحق رقم «٢»

(جدول بأسماء الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ)

المادة / الوفد	الأزد	حمير	أسد	حنيفة
عام وفوده على رسول ﷺ	-	٩هـ	٩هـ (أول هذا العام)	-
عدد أيام التعليم	عشرة أيام	-	-	«. . . وأقاموا أيامًا يختلفون إلى رسول الله . . . »
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	-	-	-	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٨٨	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٥٦	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٩٢	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣١٦

المادة / الوفد	أشجع	الأشعريون	خشين	باهلة
عام وفوده على رسول ﷺ	٥هـ(عام الخندق)	٧هـ (زمن غزوة خيبر)	٧هـ(يتجهز لخيبر)	قدم رئيسهم بعد الفتح
عدد أيام التعليم	-	-	-	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	-	-	-	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٠٦ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٧	ابن سعد، الطبقات ، ١/ ٣٤٨ ابن كثير، البداية ، ٥/ ٧٤	ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ٣٢٩ ابن كثير، البداية، ٥/ ١٠٠	ابن كثير ، البداية ، ٥/ ٩٧

ملحق رقم «٢»

(جدول بأسماء الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ)

المادة / الوفد	خولان	بجيلة	بني البكاء	الداريُّون
عام وفوده على رسول ﷺ	١٠هـ(شهر شعبان)	١٠هـ	٩هـ	٩هـ(رجب-منصرفه من تبوك)
عدد أيام التعليم	أيام	-	-	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	«... سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها وأمر من يعلمهم القرآن والسنة.. ثم جاؤوا بعد أيام يودعونه». «وتعلموا القرآن والسنة» (البداية)	-	-	-
المصدر	ابن سعد ، الطبقات ، ١/ ٣٢٤ ابن كثير ، البداية ، ٥/ ٩٩	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٤٧	ابن كثير ، البداية، ٥/ ٩٦	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٤٣

المادة / الوفد	بلي	بهراء	تُجيب	دوس
عام وفوده على رسول ﷺ	٩هـ (شهر ربيع أول)	-	٩هـ	٧هـ (زمن غزوة خيبر)
عدد أيام التعليم	«أقاموا ثلاثًا»	« أقاموا أيامًا »	-	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	«... وأسلم القوم وسألوا رسول الله ﷺ عن الضيافة وعن أشياء من أمر دينهم فأجابهم ...»	«... فأسلموا وتعلموا الفرائض ...»	-	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٣٠	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٣١	ابن سعد، الطبقات ، ١/ ٣٢٣ ابن كثير، البداية ، ٥/ ٩٨	ابن سعد ، الطبقات، ١/ ٣٥٣ ابن كثير، البداية ، ٥/ ٧٣

ملحق رقم «٢»

(جدول بأسماء الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ)

الوفد / المادة	تميم	الرهاويّون	ثعلبة	ثقيف
عام وفوده على رسول ﷺ	-	١٠هـ	٨هـ (مقدمة ﷺ من الجعرانة)	٨هـ (بعد فتح مكة)
عدد أيام التعليم	-	« أيامًا »	-	« . . . فأقاموا قريبًا من سنة»
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	-	« . . . فأسلموا وتعلَّموا القرآن والفرائض . . . »	-	-
المصدر	ابن سعد،الطبقات،٢/ ٥٢٣-٥٤١ ابن كثير ، البداية، / ٥٠	ابن سعد، الطبقات،١/ ٣٤٤	ابن سعد ،الطبقات ،١/ ٢٩٨ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٤	ابن شبة، تاريخ المدينة ، ٢/ ٥٠١ ، ٥١٥

الوفد / المادة	جرم	سعد بن بكر	سلامان	سليم
عام وفوده على رسول ﷺ	٨هـ (بُعَيْد الفتح)	٥ هـ(شهر رجب)	١٠هـ (شهر شوال)	٨هـ (قبيل الفتح)
عدد أيام التعليم	-	-	لاتتجاوز الأيام وذلك لأن عودتهم كانت في نفس الشهر من نفس العام	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	« . . . وتعلموا القرآن وقضوا حوائجهم »	«بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة فسأله واغلظ له في المسألة ، سأله عمَّن أرسله وسأله عن شرائع الإسلام »	جاء في كلام الوفد : «فلما صلى[أي : النبي ﷺ] الظهر جلس بين المنبر وبين بيته فتقدمنا إليه فسألنا عن أمر الصلاة وشرائع الأحكام وعن الرقى ، وأسلمنا	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات،١/ ٣٦٦		ابن سعد، الطبقات١/ ٣٣٢	ابن سعد،الطبقات،١/ ٣٠٧ ابن كثير ، البداية ،٥/ ٩٧

ملحق رقم «٢»

(جدول بأسماء الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ)

المادة / الوفد	جيشان	صُدَاء	الصَّدف	عبد القيس
عام وفوده على رسول ﷺ	-	٨هـ	-	٨هـ
عدد أيام التعليم	-	-	-	١٠ أيام
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	«... فسألوه عن أشربة تكون باليمن، قال: فَسَمُّوا له التبع من العسل والمِزْر من الشعير.. الخ »	-	«... فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن أوقات الصلاة»	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٥٩	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٢٦	ابن كثير، البداية، ٥/ ١٠٠	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣١٤-٣١٥ ابن كثير، البداية، ٥/ ٥٠

المادة / الوفد	بني عبس	عذرة	غاهد	غَسَّان
عام وفوده على رسول ﷺ	قبل الفتح *	٩هـ(شهر صفر)	-	١٠هـ(شهر رمضان)
عدد أيام التعليم	-	«...أقاموا أيامًا ثم انصرفوا»	أيامًا	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	-	«... سألوا النبي ﷺ عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها وأسلموا ».	«... وأتوا أُبَيّ بن كعب فعلمهم قرآنا ... وانصرفوا»	-
المصدر	ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٣	ابن سعد ، الطبقات، ١/ ٣٣١	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٤٥	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٣٨

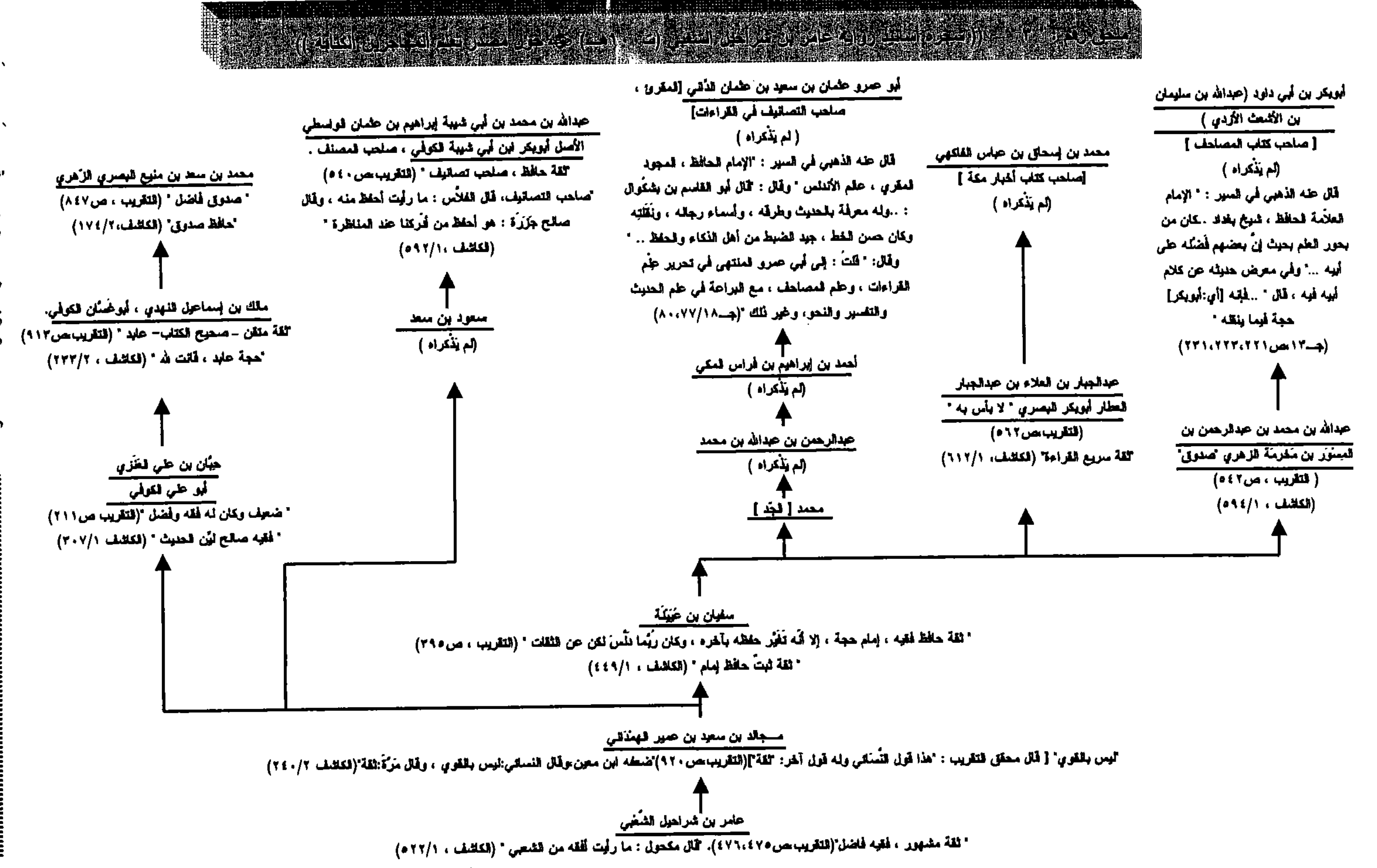
* ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ بعثهم يرصدون عيراً لقريش قدمت من الشّام فاستدل ابن كثير رحمه الله من هذا القول تقدم وفادتهم على الفتح .

ملحق رقم «٢»

(جدول بأسماء الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ)

المادة / الوفد	فزارة	كلاب	كنانة	محارب
عام وفوده على رسول ﷺ	٩هـ (مرجعه ﷺ من تبوك)	٩هـ	٩هـ(ورسول اللهﷺ يتجهز لتبوك)	١٠هـ(في حجة الوداع)
عدد أيام التعليم	-	-	-	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	-	-	-	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات ،١/ ٢٩٧ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٤	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٠٠ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٥	ابن سعد، الطبقات ،١/ ٣٠٥ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٦	ابن سعد، الطبقات ،١/ ٢٩٢ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٥

المادة / الوفد	مُرَّة	مزينة	النخع	همدان (قيس بن مالك بن سعد الأرجي)
عام وفوده على رسول ﷺ	٩ هـ (مرجعهﷺمن تبوك)	٥هـ(شهر رجب)	١١هـ(نصف شهر محرم)	قبل الهجرة في الفترة المكية
عدد أيام التعليم	-	-	-	-
النصوص التي أشارت إلى تعلمهم	-	-	-	-
المصدر	ابن سعد، الطبقات١٢/ ٢٩٧ ابن كثير، البداية، ٥/ ٩٤	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٩١ ابن كثير، البداية، ٥/ ٤٥	ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣٤٦	ابن سعد ، الطبقات، ١/ ٣٤٠


عامر بن شراحيل الشَّعْبي
" ثقة مشهور ، فقيه فاضل"(التقريب،ص٤٧٥، ٤٧٦). قال مكحول : ما رأيت أفقه من الشعبي " (الكاشف ، ٥٢٢/١)
مـجالد بن سعيد بن عمير الهمْداني
"ليس بالقوي" [قال محقق التقريب : "هذا قول النَّسائي وله قول آخر: "ثقة"](التقريب،ص٩٢٠)ضعفه ابن معين،وقال النسائي:ليس بالقوي ، وقال مَرَّة:ثقة"(الكاشف ٢٤٠/٢)
سفيان بن عُيَيْنَة
" ثقة حافظ فقيه ، إمام حجة ، إلا أنَّه تَغَيَّر حفظه بآخره ، وكان رُبَّما دلَّس لكن عن الثقات " (التقريب ، ص٣٩٥)
" ثقة ثبتٌ حافظ إمام " (الكاشف ، ٤٤٩/١)
حِبَّان بن علي العَنَزي
أبو علي الكوفي
" ضعيف وكان له فقه وفضل "(التقريب ص٢١١)
" فقيه صالح ليِّن الحديث " (الكاشف ٣٠٧/١)
مالك بن إسماعيل النهدي ، أبوغسَّان الكوفي.
"ثقة متقن – صحيح الكتاب– عابد " (التقريب،ص٩١٢)
"حجة عابد ، قانت لله " (الكاشف ، ٢٢٣/٢)
محمد بن سعد بن منيع البصري الزُّهري
" صدوق فاضل " (التقريب ، ص٨٤٧)
"حافظ صدوق" (الكاشف،١٧٤/٢)
سعود بن سعد
(لم يذكراه)
عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي
الأصل أبوبكر ابن أبي شيبة الكوفي ، صاحب المصنف .
"ثقة حافظ ، صاحب تصانيف " (التقريب،ص٥٤٠)
"صاحب التصانيف، قال الفلاَّس : ما رأيت أحفظ منه ، وقال
صالح جَزَرَة : هو أحفظ من أدركنا عند المذاكرة "
(الكاشف ،٥٩٢/١)
محمد [الجَد]
(لم يذكراه)
عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد
(لم يذكراه)
أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي
(لم يذكراه)
أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الدَّاني [المقرئ ،
صاحب التصانيف في القراءات]
(لم يذكراه)
قال عنه الذهبي في السير : "الإمام الحافظ ، المجود
المقرئ ، عالم الأندلس " وقال : "قال أبو القاسم بن بشكوال
: ..وله معرفة بالحديث وطرقه ، وأسماء رجاله ، ونَقَلتِه
وكان حسن الخط ، جيد الضبط من أهل الذكاء والحفظ .. "
وقال: " قلتُ : إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير عِلْم
القراءات ، وعلم المصاحف ، مع البراعة في علم الحديث
والتفسير والنحو، وغير ذلك "(جـ١٨/٧٧، ٨٠)
عبدالجبار بن العلاء بن عبدالجبار
العطار أبوبكر البصري " لا بأس به "
(التقريب،ص٥٦٢)
"ثقة سريع القراءة" (الكاشف، ٦١٢/١)
محمد بن إسحاق بن عباس الفاكهي
[صاحب كتاب أخبار مكة]
(لم يذكراه)
عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن
المِسْوَر بن مَخْرَمَة الزهري "صدوق"
(التقريب ، ص٥٤٢)
(الكاشف ، ٥٩٤/١)
أبوبكر بن أبي داود (عبدالله بن سليمان
بن الأشعث الأزدي)
[صاحب كتاب المصاحف]
(لم يذكراه)
قال عنه الذهبي في السير : " الإمام
العلاَّمة الحافظ ، شيخ بغداد ..كان من
بحور العلم بحيث إنَّ بعضهم فضَّله على
أبيه ..." وفي معرض حديثه عن كلام
أبيه فيه ، قال " ..فإنه [أي:أبوبكر]
حجة فيما ينقله "
(جـ١٣،ص٢٢١، ٢٢٣، ٢٣١)

ملحق رقم (٤)

« قائمة ببعض الدراسات التي أشَارَت إلى الرأي الحديث في نشأة الخط العربي مرتبة حسب التسلسل الزمني لتواريخ نشرها »

- ناصر النقشبندي ، منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين ، **سومر**، م٣، جـ١ (كانون الثاني ١٩٤٧م) : ص ١٢٩ .

الطاهر أحمد مكي ، الخط العربي : نشأته وتطوره ، **اللسان العربي** ، ع٦ (شوال ١٣٨٨هـ = يناير ١٩٦٩م) : ص ٤٤ ، ٤٥ .

- صلاح الدين المنجد ، **دراسات في تاريخ الخط العربي ، منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي** ، ط١ (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٢م) ، ص ١٢ - ٢٢ .

- سُهَيْلة ياسين الجَبُوري ، **أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي** (بغداد : جامعة بغداد ، ١٩٧٧م) ، ص ٣٧ - ٤٨ (أصل هذا الكتاب رسالة علمية أُعدَّت لنيل درجة الماجستير) .

- محمد عبد الله مليباري ، الكتابة العربية : تاريخ وفكر ، **الفيصل** ، س١ ، ع٣(رمضان ١٣٩٧هـ = أغسطس ١٩٧٧م) : ١٢٨ .

- عبد الستار الحلوجي ، **المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري** (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٨م) ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(أصل هذا الكتاب رسالة علمية أُعدَّت لنيل درجة الدكتوراة ،وقُدِّمت في عام ١٩٦٧م).

- عبد العزيز الدَّالي ، **الخطاطة : الكتابة العربية** (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠م) ، ص ٢٣ - ٣٥ .

- إبراهيم جمعة ، **قصة الكتابة العربية** ، ط٣ (د.م ، د.ن ، ١٩٨١م) ، ص١٠-١٤

(الطبعة الأولى لهذا الكتاب صدرت في سنة ١٩٤٧م) .

- محمد محفّل ، في أصول الكتابة العربية ، **دراسات تاريخية** ، ع٦ (ذو الحجة ١٤٠١هـ = تشرين الأول - أكتوبر ١٩٨١م) : ص ٧٢ .

- غانم قدوري الحمد ، **رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية** ،ط١، (د.م : اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، ١٩٨٢م) ، ص٤٤ - ٥٠ . (أصل هذا الكتاب رسالة علمية أُعدَّت لنيل درجة الماجستير ونوقشت سنة ١٩٧٦م) .

- يوسف ذَنُّون ، **الخط العربي بعد ظهور الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري** ، **عالم الكتب** ، مج ٣ ، ع٣ (محرم ١٤٠٣هـ = أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٢م) : ص٣٥٤ . لم يفصل الباحث في دراسته الرأي الحديث ، واكتفى بالإشارة إليه سريعًا بقوله : « إن الخط الذي نشأ في شمال جزيرة العرب بتأثير الكتابات السابقة عليه وفي مقدمتها الكتابة النبطية . . . » .

- زكي صالح ، **الخط العربي** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٣م) ، ص٣٧ ، ٣٨ .

- محمود حلمي ، الخط العربي بين الفن والتاريخ ، **عالم الفكر** ، م١٣ ،ع٤(يناير - فبراير - مارس ١٩٨٣م) : ص ١٦٧ - ١٦٩ .

Muhmmad Faris Jamil, Islamic Wiraqah 'Stationery' - During The Early Middle Ages, Ph.D. Ph . D. Thesis, University of Michigan, Ann Arbor (1985).3.

- إميل يعقوب ، **الخط العربي : نشأته ، تطوره ، مشكلاته ، دعوات إصلاحه** (طرابلس: جروس برس ، د.س) ، ص ١٨ - ٢١ . (حُررت مقدمة هذا الكتاب في سنة ١٩٨٦م) .

- محمود حلمي ، بداية الكتابة العربية ، **عالم الفكر** ، (يوليو - أغسطس - سبتمبر ١٩٨٦م) : ص ٢٤٠ .

- أسامة ناصر النقشبندي ، مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجري ، **المورد** ، م١٥ ، ع٣ (خريف ١٩٨٦م) : ص ٥٢٦ - ٥٢٨ .

- يوسف ذُنُّون ، قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة ، **المورد** ، م١٥ ، ع٤(١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م) : ص ٩ - ١١ .

- يوسف عاد ، الكتابة ، **تاريخ العرب والعالم** ، س٩ ، ع ٩٩ - ١٠٠ (كانون الثاني (يناير) - شباط « فبراير » ١٩٨٧م) : ص ١٧ .

- مايسة محمود داود ، **الكتابات العربية على الآثار الإسلامية : من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة** ، ط١ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩١م) ، ص٢٨, ٢٩ .

- ياسين الأيوبي ، نشأة الكتابة العربية وتطور تدوين حروفها ، **الموقف الأدبي** ، ع٢٥٠- ٢٥١ - ٢٥٢ (شباط وآذار ومارس ١٩٩٢م) : ص ٢٧ .

- يحيى وهيب الجبّوري ، **الخط والكتابة في الحضارة العربية** ، ط١(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٤م) ، ص ٢٢ - ٢٨ .

- قاسم أحمد السامرائي ، تاريخ الخط العربي وأرقامه : مقدمة موجزة ، **عالم الكتب**،م ١٦ ، ع ٦ (الجماديان ١٤١٦هـ = نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٥م) : ص٥٢٦ - ٥٢٨ .

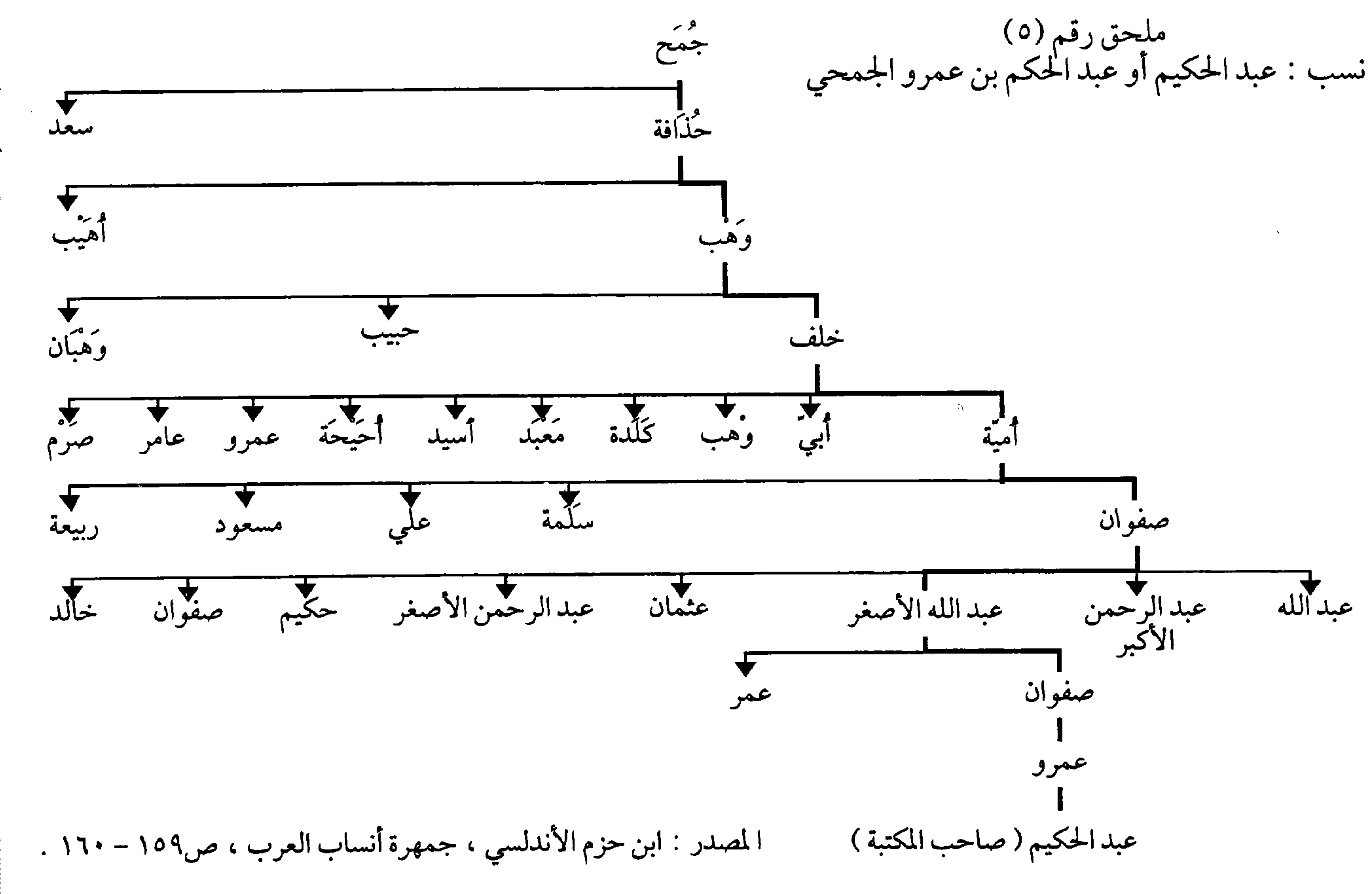
- غانم قدوري الحمد ، الكتابة العربية ، **مجلة الحكمة** ، ع١٠(١٤١٧هـ) : ص٢٢٥ - ٢٣٨ .

- شعبان عبد العزيز خليفة ، **الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء** (القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م) ، ص٨٨ - ٩٠ .

- عفيف البهنسي ، **الخط العربي : أصوله ، نهضه ، انتشاره** (د.م : دار الفكر ، د.س)، ص ٣٣ - ٣٥ .

ملحق رقم (٥)

نسب : عبد الحكيم أو عبد الحكم بن عمرو الجمحي



المصدر : ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص١٥٩ – ١٦٠ .

ملحق رقم "٦"

جدول إحصائي لقائمة الكَتَبَة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

م	البيـــان / أسمـــاء الكَـتَبَـة	من كُتّاب الرسول	الكاتبات	من المهاجرين	من الأنصار	ممن عُرِفَ كاتبًا	من كُتّاب المصاحف	عدد المصادر التي ذكرته كاتبًا للرسول ﷺ	من الكُتّاب المخضرمين	عدد آثار كُتّاب الرسول	من كُتّاب أبي بكر	من كُتّاب عمر	من كُتّاب عثمان	من كُتّاب علي	من كُتّاب معاوية	من كان مُعلِّم كُتّاب	من الصحابة	من السابقين
١	أبان بن سعيد بن العاص القرشي الأموي	■						١٠	■								■	
٢	أُبَيّ بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري	■			■		■	١٤	■	١٢							■	
٣	الأرقم بن أبي الأرقم عبدمناف بن أسد المخزومي	■		■				٣		٣							■	■
٤	أسعد بن زرارة بن عدس الأنصاري	■			■			١									■	
٥	أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِمَاك الأنصاري	■			■			١	■								■	
٦	أنس بن مالك بن النَّضْر الأنصاري				■		■		■								■	
٧	أُنَيْس بن أبي فاطمة الضَمْري																	
٨	أُهَيْب مولى عثمان بن عفان ﷺ												■					
٩	ابن أوثال النصراني														■			
١٠	أوس بن خَوْلي بن عبدالله الأنصاري	■			■			١	■								■	
١١	بَجَالة بن عَبَدَة التميمي العنبري البصري					■						■						
١٢	بريدة بن الحُصَيْب بن عبدالله الأسلمي	■		■				٣									■	
١٣	بَشير بن سعد بن ثَعْلَبة الأنصاري	■			■			١	■								■	
١٤	بَشير بن نَهيك السَدُوسي																	
١٥	تُبَيْع بن عامر الحميري																	
١٦	ثابت بن قيس بن شَمَّاس	■			■			٣		٣							■	
١٧	جبَّار بن صخر بن أمية الأنصاري				■	■											■	
١٨	أبو جَبِيرة بن الضَّحاك بن خليفة الأنصاري					■						■	■	■			■	
١٩	جُبَيْر بن حيَّة الثقفي					■			■							■		
٢٠	جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِي القرشي											■					■	
٢١	جَرِير بن عبدالله بن جابر البَجَلي																■	
٢٢	جعفر بن أبي طالب عبدمناف بن عبدالمطلب القرشي	■		■				٢									■	■
٢٣	الجُلاَّس بن عُمَيْر					■								■				
٢٤	جُنْدُب بن جُنَادة بن سفيان (أبو ذر الغفاري)			■													■	■
٢٥	جَهْم بن سعد	■						٣									■	
٢٦	جُهَيْم بن الصلْت بن مَخْرمة القرشي	■						٦	■	٢							■	
٢٧	الحارث بن عبدالله بن كعب الهَمْداني الكوفي (الأعور)																	
٢٨	حاطب بن أبي بَلْتَعة عمرو بن عمير اللخمي			■													■	
٢٩	حاطب بن عمرو بن عبدشمس بن عَبْد ود	■						٥	■								■	■
٣٠	حبيب بن سالم الأنصاري					■												
٣١	حبيب بن عبدالملك بن مروان														■			
٣٢	أبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي	■		■				١	■						■		■	■
٣٣	حذيفة بن اليَمَان العَبْسي	■						٢									■	
٣٤	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري					■												

تابع ملحق رقم "٦"

جدول إحصائي لقائمة الكَتَبة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

م	البيان / أسماء الكَتَبة	من كتّاب الرسول	الكاتبات	من المهاجرين	من الأنصار	ممن عُرف كاتباً	من كتّاب المصاحف	عدد المصادر التي ذكرته كاتباً للرسول ﷺ	من الكتّاب المخضرمين	عدد آثار كتّاب الرسول	من كتّاب أبي بكر	من كتّاب عمر	من كتّاب عثمان	من كتّاب علي	من كتّاب معاوية	من كان معلم كتّاب	من الصحابة	من السابقين
٣٥	الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي																■	
٣٦	الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي																■	
٣٧	الحُصَيْن بن نُمير	■						٦									■	
٣٨	حفصة بنت عمر بن الخطاب		■														■	
٣٩	أبوحكيمة العبدي						■											
٤٠	حُمْران بن أَبَان					■							■					
٤١	حَمَلَة بن جُوَيَّة																	
٤٢	حُمَيْد بن عبدالرحمن بن عوف العامري					■												
٤٣	حَنْظلة بن الربيع بن صَيْفي الأُسَيْدي	■						١٨		١	■						■	
٤٤	حُوَيْطب بن عبدالعُزّى بن أبي قيس القرشي	■						٤	■								■	
٤٥	خالد بن زيد بن كليب ، (أبو أيوب الأنصاري)	■			■			٢									■	
٤٦	خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي	■						١٥	■								■	■
٤٧	خالد بن أبي الهيّاج						■											
٤٨	خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي	■		■				٤									■	
٤٩	دُخَين بن عامر الحَجْري أبو ليلى المصري					■												
٥٠	رافع بن مالك بن العَجْلان الأنصاري				■				■								■	
٥١	رَبَاح																	
٥٢	رُفَيع بن مهران أبوالعالية الرياحي																	
٥٣	رَوْح بن زِنْباع بن سلامة الجُذامي					■												
٥٤	زَاذان فَرّوخ (الكاتب الفارسي)					■												
٥٥	الزبير بن العوام بن خويلد القرشي	■		■				٦									■	■
٥٦	زَمَل بن عمرو بن عنز العُذْري					■											■	
٥٧	زياد بن حُنَيْر الأسدي					■						■						
٥٨	زياد بن عبيد					■						■						
٥٩	زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري	■			■						■	■					■	
٦٠	زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري	■			■		■	١٥			■	■	■	■	■		■	
٦١	زيد بن عبدالله بن أبي مُلَيكة																	
٦٢	سالم بن أبي أمية التيْمي أبو النَّضْر					■												
٦٣	سالم أبو الزعيزعة مولى مروان بن الحكم					■												
٦٤	السائب بن الأقرع											■						
٦٥	سَرْجون بن منصور الرومي														■			
٦٦	سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري	■			■			١	■								■	
٦٧	سعد بن عُبادة بن دُلَيم الأنصاري	■			■			١	■								■	
٦٨	سعد بن مالك بن خالد الأنصاري				■												■	

تابع ملحق رقم " ٦ "

جدول إحصائي لقائمة الكَتَبة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

م	البيـــــان / أسمـــاء الكَـتَبـة	من كتاب الرسول	الكاتبات	من المهاجرين	من الأنصار	ممن عُرِف كاتباً	من كتاب المصاحف	عدد المصادر التي ذكرته كاتباً للرسول ﷺ	من الكتاب المخضرمين	عدد آثار كتاب الرسول	من كتاب أبي بكر	من كتاب عمر	من كتاب عثمان	من كتاب علي	من كتاب معاوية	من كان معلم كتاب	من الصحابة	من السابقين
٦٩	سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب القرشي			■													■	■
٧٠	سعيد بن جُبَير بن هشام					■												
٧١	سعيد بن شَدَّاد اليَرْبوعي															■		
٧٢	سعيد بن العاص بن سعيد أبي أحيحة القرشي					■	■						■				■	
٧٣	سعيد نِمْران الهمْداني النَّاعطي					■								■			■	
٧٤	سفيان الأحول					■												
٧٥	أبو سَلَمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني																	
٧٦	سليمان المِشجعي					■									■			
٧٧	سُويد بن الصامت بن خالد الأنصاري								■									
٧٨	سُوَيْد بن مُقَرّن بن عائذ المزني																	
٧٩	شَدَّاد بن قيس					■									■			
٨٠	شُرَحبيل بن حَسَنَة	■		■				٩		٢							■	■
٨١	الشِّفَاء ليلى بنت عبدالله بن عبدشمس العدوية		■						■								■	■
٨٢	شقيق بن سلمة (أبو وائل الأسدي)																	
٨٣	شمعون بن يزيد بن خنافة (أبو ريحانة)					■											■	
٨٤	صالح بن شُرَيح المكّوني					■						■						
٨٥	صالح بن عبدالرحمن أبي صالح الكاتب					■												
٨٦	صخر بن حرب بن أمية (أبو سفيان القرشي)	■						٤	■								■	
٨٧	صفوان بن سُلَيم أبوالحارث المدني الفقيه															■		
٨٨	طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي	■		■				٤	■								■	■
٨٩	ظالم بن عمرو (أبو الأسود الدُّؤلي)					■								■				
٩٠	عامر بن شراحيل الهمْداني الشَّعْبي					■												
٩١	عامر بن عبدالله (أبو عبيدة بن الجَرّاح)			■					■								■	■
٩٢	عامر بن فُهيرة ، مولى أبي بكر الصديق	■		■					■	١							■	■
٩٣	عائشة بنت سعد بن أبي وقاص		■															
٩٤	عباس بن عبدالمطلب بن هاشم	■		■						١							■	
٩٥	عبدالرحمن بن أبْزَى الخزاعي					■					■	■					■	
٩٦	عبدالرحمن بن أبي بَكْرة الثقفي					■												
٩٧	عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي					■	■						■				■	
٩٨	عبدالرحمن بن صخر ، (أبو هريرة الدوسي)																■	
٩٩	عبدالرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي																	
١٠٠	عبدالرحمن بن أبي لُبابة					■	■						■					
١٠١	عبدالرحمن بن هرمز						■											
١٠٢	عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث القرشي	■						٥			■	■					■	

تابع ملحق رقم " ٦ "

جدول إحصائي لقائمة الكَتَبة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

م	البيان / أسماء الكَتَبة	من كُتّاب الرسول	الكاتبات	من المهاجرين	من الأنصار	ممن عُرف كاتبا	من كتاب المصاحف	عدد المصادر التي ذكرته كاتبا للرسول ﷺ	من الكُتّاب المخضرمين	عدد آثار كتاب الرسول	من كُتّاب أبي بكر	من كُتّاب عمر	من كُتّاب عثمان	من كُتّاب علي	من كُتّاب معاوية	من كان مُعلّم كتاب	من الصحابة	من السابقين
١٠٣	عبدالله بن أبي بكرة					■												
١٠٤	عبدالله بن خلف بن أسعد الخزاعي					■						■	■				■	
١٠٥	عبدالله بن رافع المخزومي						■											
١٠٦	عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري	■			■			٣	■								■	
١٠٧	عبدالله بن رومان					■												
١٠٨	عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن قيس القرشي								■								■	
١٠٩	عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي						■										■	
١١٠	عبدالله بن زيد بن عبدربه الأنصاري	■			■				■								■	
١١١	عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي	■						١٠	■								■	■
١١٢	عبدالله بن سعيد أبي أحيحة بن العاص القرشي	■							■							■	■	
١١٣	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي						■										■	
١١٤	عبدالله بن عبدالأسد (أبو سلَمة المخزومي)	■		■					■								■	■
١١٥	عبدالله بن عبدالله بن أُبَيّ الأنصاري	■			■			٤	■								■	
١١٦	عبدالله بن عبدالله بن عِتبان الأنصاري	■			■												■	
١١٧	عبدالله بن عبدالله بن عثمان القرشي	■															■	■
١١٨	عبدالله بن عثمان القرشي (أبوبكر الصديق)	■		■													■	■
١١٩	عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي																■	
١٢٠	عبدالله بن قيس ، (أبو موسى الأشعري)																■	
١٢١	عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي			■													■	■
١٢٢	عبدالله بن الوليد الخزاعي						■						■					
١٢٣	عبدالله بن يزيد بن أسد القُشَيْري البَجَلي					■							■					
١٢٤	عبدالملك بن مروان بن الحكم					■									■			
١٢٥	أبو عبس بن جبر بن عمرو الأوسي الأنصاري	■			■			١	■								■	
١٢٦	عبيد – ويقال عبيد الله – بن أوس الغسّاني					■									■			
١٢٧	عبيدالله بن دراج مولى معاوية					■									■			
١٢٨	عبيدالله بن أبي رافع المدني					■								■				
١٢٩	عبيدالله بن نصر بن الحجاج بن عِلَاط السلمي					■									■			
١٣٠	عُتَيْبَة بن النهّاس العِجلي																	
١٣١	عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي	■						١									■	
١٣٢	عثمان بن عفان (الخليفة الراشد الثالث)	■		■			■	١٣	■	٢	■						■	■
١٣٣	عطاء بن أبي رباح															■		
١٣٤	عطاء بن يسار																	
١٣٥	عقبة بن عامر بن قيس الجهني						■										■	
١٣٦	عقبة بن نافع القرشي						■						■					

تابع ملحق رقم " ٦ "

جدول إحصائي لقائمة الكَتَبة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

م	البيان / أسماء الكَتَبة	من كتاب الرسول	الكاتبات	من المهاجرين	من الأنصار	ممن عُرف كاتباً	من كتاب المصاحف	عدد المصادر التي ذكرته كاتبا للرسول ﷺ	من الكتاب المخضرمين	عدد آثار كتاب الرسول	من كتاب أبي بكر	من كتاب عمر	من كتاب عثمان	من كتاب علي	من كتاب معاوية	من كان مُعلم كتاب	من الصحابة	من السابقين
١٣٧	عقيل بن أبي طالب عبد مناف القرشي			■		■						■					■	
١٣٨	عكرمة أبو عبدالله البَرْبَري																	
١٣٩	العلاء بن الحضرمي	■						٨	■	١							■	
١٤٠	العلاء بن عقبة	■						٥		٣							■	
١٤١	علي بن أبي طالب (الخليفة الراشد الثالث)	■		■				١٣	■	٩							■	■
١٤٢	عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد الثاني)	■		■				٨	■								■	■
١٤٣	عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب						■											
١٤٤	عمرو بن سعيد بن العاص ، (عمرو الأشدق)					■									■			
١٤٥	عمرو بن شُرَحبيل																	
١٤٦	عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي	■					■	٧									■	
١٤٧	عمرو بن نافع					■												
١٤٨	عمير بن عبّاد الكناني																	
١٤٩	أبو غَطَفان بن طَريف المدني					■							■					
١٥٠	قَبيصة بن جابر بن وهب الأسدي الكوفي					■												
١٥١	قَبيصة بن ذُؤيب بن حَلْحَلَة الخزاعي					■										■	■	
١٥٢	قُضاعي بن عامر																■	
١٥٣	قس بن ساعدة بن حُذافة الإيادي																	
١٥٤	كَثير بن أفلح المدني						■						■					
١٥٥	كريمة بنت المقداد بن الأسود الكندية		■															
١٥٦	كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو الأنصاري																■	
١٥٧	أم كُلثوم بنتُ عُقْبة بن أبي مُعيط القرشية		■	■													■	■
١٥٨	مالك بن أبي عامر بن عَمْرو الأصبحي					■	■						■					
١٥٩	مجاهد بن جبر مَولى ابنة غزوان					■						■					■	
١٦٠	محمد بن جبير بن مطعم																	
١٦١	محمد بن سيرين					■												
١٦٢	محمد مَسلمة بن خالد الأنصاري	■			■			٤		١							■	
١٦٣	مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي					■						■					■	
١٦٤	مِرداس مولى زياد بن أبيه					■												
١٦٥	مَرْضِي بن مُقَرِّن المُزَني																■	
١٦٦	مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي					■							■				■	
١٦٧	مسلم بن أبي عبدالله																	
١٦٨	مُسلم بن كبيس أو كُبَيْس						■											
١٦٩	مُسلم بن مِشْكَم الخزاعي الدمشقي					■												
١٧٠	ابن مصبح						■											

تابع ملحق رقم " ٦ "

جدول إحصائي لقائمة الكَتَبة في النصف الأول من القرن الأول الهجري

م	البيان / أسماء الكَتَبة	من كتاب الرسول	الكاتبات	من المهاجرين	من الأنصار	ممن عُرِف كاتبا	من كتاب المصاحف	عدد المصادر التي ذكرته كاتبا للرسول ﷺ	من الكتاب المخضرمين	عدد آثار كتاب الرسول	من كتاب أبي بكر	من كتاب عمر	من كتاب عثمان	من كتاب علي	من كتاب معاوية	من كان معلم كتاب	من الصحابة	من السابقين
١٧١	معاذ بن جَبَل بن عمرو الأنصاري	■			■			١									■	
١٧٢	معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي	■						١٩	■	٦							■	
١٧٣	مَعْن بن عَدِي بن الجد بن العجلان الأنصاري	■			■			١	■								■	
١٧٤	معيقيب بن أبي فاطمة الدَّوسي	■		■				٣				■					■	■
١٧٥	المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي	■						٨		٧		■					■	
١٧٦	المنذر بن عمرو بن خُنيس الأنصاري	■			■			١	■								■	
١٧٧	منصور بن عكرمة بن عامر العَبْدري																	
١٧٨	المهاجر بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة المخزومي	■						١									■	
١٧٩	ناجية الطُّفَاوي						■											
١٨٠	نافع بن ظُرَيْب ، وقيل : ابن طُرَيْف بن نوفل						■					■						
١٨١	النعمان بن بشير بن ثعلبة الأنصاري				■												■	
١٨٢	نُعَيْم بن مُقَرِّن بن عائذ المُزَنِي																■	
١٨٣	هند بنت أبي سفيان صخر بن حرب الأموية		■														■	
١٨٤	وراد الثقفي أبو الورد					■												
١٨٥	وردان مولى عمر بن العاص					■												
١٨٦	وهيب					■												
١٨٧	يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي	■						٤	■								■	
١٨٨	يزيد بن هرمز الفارسي						■											
١٨٩	يوسف بن الزبير المكي																	
١٩٠	أبو يونس مولى عائشة						■											

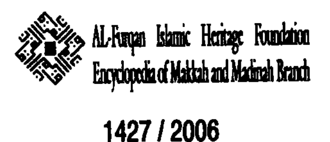
الكشاف العام

BOOK MAKING AND WRITING IN THE HIJAZ:

ERA OF THE PROPHET AND THE RASHIDUN CALIPHATE

BY
MAGED A. BADAHDAH

Vol. Two



1427 / 2006